صحيفة

صحيفة

•(تمت)•

الجزء الاول من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن
علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم
ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه
الله

وبهامشه التاريخ المسمى باخبار الدول وآثار الاول للعلامة الفاضل
أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني وغيره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم فلا أول لوجوده الدائم الكريم فلا آخر لبقائه ولا نهاية لجوده الملك حقا فلا تدرك العقول حقيقة كنهه القادر فكل ما في العالم من أثر قدرته المقدس فلا تقرب الحوادث حماه المنزه عن التغيير فلا يتحومنه سواه مصرف الخلائق بين رفع وخفض وبسط وقبض وابرام ونقض واماتة واحياء وايجاد وافناء واسعاد واضلال واعزاز واذلال يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير مبيد القرون السالفة والامم الخالفة لم يمنعهم منه ما اتخذوه معقلا وحرزا فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا بتقديره النفع والضر وله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين أحمده على ما أولى من نعمه وأجزل للناس من قسمه وأصلي على رسوله محمد سيد العرب والعجم المبعوث الى جميع الامم وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى ومصابيح الظلم صلى الله عليه وعليهم وسلم

❊اما بعد❊ فاني لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها مؤثرا للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها مائلا الى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها فلما تأملتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل الى العرض فمن بين مطول قد استقصى الطرق والروايات ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات والمشهور من الكائنات وسود كثير منهم الاوراق بصغائر الامور التي الاعراض عنها اولى وترك تسطيرها أحرى كقولهم خلع فلان الذمي صاحب العيار وزاد رطلا في الاسعار وأكرم فلان وأهين فلان وقد أرخ كل منهم الى زمانه وجاء بعده من ذيل عليه وأضاف المتجددات بعد تاريخه اليه والشرقي منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب والغربي قد أهمل أحوال الشرق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على تصاريف العبر عند سماع التواريخ والسير وصلى الله على أشرف البدو والحضر محمد سيد البشر وعلى آله وصحبه الميامين الغرر ٭(أما بعد)٭ فلما كان في التواريخ والسير عبرة لمن اعتبر وتنبيه لمن ادكر واعلام ان قاطن الدنيا على خطر واحضار لصورة حال من مضى وغبر كيف قدر واقتدر ونهى وأمر وغلب وقهر وجمع وادخر ان في ذلك لعبرة لمن اعتبر وتذكرة لمن اذكر وتبصرة لمن تبصر رأيت ان أجمع عن نقلة الاخبار وحملة الآثار ملخص سير الاولين من الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وأخبار الامم الماضية والقرون الخالية وما في الدنيا من العجائب وما أودع الله فيها من الغرائب (وسميته) أخبار الدول وآثار الاول ليكون اسما يوافق مسماه ولفظا يطابق معناه ومن الله استمد الصواب واستغفره من الخطا في الخطاب والجواب واسأله الاتمام على أحسن نظم وتمام بحرمة نبيه وصفيه صفوة الانبياء وخير الانام وهو حسبي ونعم الوكيل وقد جعلته مشتملا على مقدمة وخمسة وخمسين بابا (أما المقدمة) فهي محتوية على سبعة فصول (الفصل الاول) في بيان معنى التاريخ وموضوعه وما أرخه الناس قبل الهجرة وشاركوا به (الفصل الثاني) في بداية المخلوقات وأولية المنشآت (الفصل الثالث) فيكان

فكان الطالب اذا أراد أن يطالع تاريخا احتاج الى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع
ما فيها من الاخلال والاملال فلما رأيت الامر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع
لاخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليكون تذكرة لي اراجعه خوف النسيان وآتي
فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضا الى وقتنا هذا ولا
أقول اني أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ فان من هو بالموصل لابد أن يشذ
عنه ما هو بأقصى الشرق والغرب ولكن أقول انني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في
كتاب واحد ومن تأمله علم صحة ذلك فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الامام أبو جعفر
الطبري اذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه والمرجوع عند الاختلاف اليه
فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها وقد ذكر هو في أكثر الحوادث
روايات ذوات عدد كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها وربما زاد الشيء اليسير
أو نقصه فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت اليها من غيرها ما ليس فيها وأودعت كل شيء
مكانه فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا على ما تراه فلما فرغت
منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها الى ما نقلته من تاريخ
الطبري ما ليس فيه ووضعت كل شيء منها موضعه الا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاني لم أضف الى ما نقله أبو جعفر شيأ الا ما فيه زيادة بيان أو اسم
انسان أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله وانما اعتمدت عليه من بين المؤرخين اذ هو
الامام المتقن حقا الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا على اني لم أنقل الا من التواريخ
المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه ولم أكن
كالخابط في ظلماء الليالي ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي ورأيتهم أيضا يذكرون
الحادثة الواحدة في سنين ويذكرون منها في كل شهر أشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل
منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر فجمعت انا الحادثة في موضع واحد وذكرت
كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض
وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها فاما الحوادث الصغار التي
لا يحتمل منها كل شيء ترجمة فاني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فاقول ذكر
عدة حوادث واذا ذكرت بعض من نبغ وملك في قطر من البلاد ولم تطل أيامه فاني أذكر
جميع حاله من اوله الى آخره عند ابتداء أمره لانه اذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به وذكرت
في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهوري العلماء والاعيان والفضلاء وضبطت الاسماء
المشتبهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الاشكال
ويغني عن الانقاط والاشكال فلما جمعت أكثره أعرضت عنه مدة طويلة لحوادث
تجددت وقواطع توالت وتعددت ولان معرفتي بهذا النوع كملت وتمت ثم ان نفرا
من اخواني وذوي المعارف والفضائل من خلاني ممن أرى محادثتهم نهاية أوطاري
وأعدهم من اماثل مجالسي وسماري رغبوا الي في ان يسمعوه مني ليرووه عني
فاعتذرت بالاعراض عنه وعدم الفراغ منه فانني لم أعاود مطالعة مسودته ولم اصلح

الخامس العلو معنى حرف وعدد السنين تراجم الكتاب

*(الف التار الناس

اعلم ان عن ال والحاد تقادم أخبار حل فال أ وكشف حال ال اليهود كتاب ر وسلم خيبر الصحابه قبيل فا سعد بن ابي سفيا فتح خيبر رضي الله قبل خيبر في عام ا من أن ش الاسا قط

ما أصلح فيها من غلط وسهو ولا اسقطت منها ما يحتاج الى اسقاط ومحو وطالت المراجعة مدة وهم للطلب ملازمون وعن الاعراض معرضون وشرعوا في سماعه قبل اتمامه واصلاحه واثبات ما تمس الحاجة اليه وحذف ما لا بد من اطراحه والعزم على اتمامه فاتر والعجز ظاهر للاشتغال بما لا بد منه لعدم المعين والمظاهر والهموم توالت ونوائب تتابعت فانا ملازم الاهمال والتواني فلا أقول اني لاسير الهم سير الشواني فبينا الامر كذلك اذ برز امر من طاعته فرض واجب واتباع أمره محكم لازب من أعلاق الفضل باقباله عليه نافقة وأرواح الجهل باعراضه عنها ماحقة من احيا المكارم وكانت أمواتا وأعادها خلقا جديدا بعد ان كانت رفاتا من عم رعيته عدله ونواله وشملهم احسانه وافضاله مولانا مالك الملك الرحيم العالم المؤيد المنصور المظفر بدر الدين ركن الاسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين خلد الله دولته فحينئذ ألقيت عني جلباب المهل وابطلت رداء الكسل وألقت الدواة وأصلحت القلم وقلت هذا اوان الشد فاشتدي زيم وجعلت الفراغ اهم مطلب واذا اراد الله امرا هيأ له السبب وشرعت في اتمامه مسابقا ومن العجب ان السكيت يروم ان يجيء سابقا ونصبت نفسي غرضا للسهام وجعلتها مظنة لاقوال اللوام لان المآخذ اذا كانت تتطرق الى التصنيف المهذب والاستدراكات تتعلق بالمجموع المرتب الذي تكررت مطالعته وتنقيحه واجيد تأليفه وتصحيحه فهي بغيره اولى وبه احرى على اني مقر بالتقصير فلا اقول ان الغلط سهو جرى به القلم بل اعترف بان ما اجهل اكثر مما اعلم (وقد سميته) اسما يناسب معناه وهو الكامل في التاريخ ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها ظنا منه ان غاية فائدتها انما هو القصص والاخبار ونهاية معرفتها الاحاديث والاسمار وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره واصبح مخشلبا جوهره ومن رزقه الله طبعا سليما وهداه صراطا مستقيما علم ان فوائدها كثيرة ومنافعها الدنيوية والاخروية جمة غزيرة وها نحن نذكر شيأ مما ظهر لنا فيها ونكل الى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها فاما فوائدها الدنيوية فمنها ان الانسان لا يخفى انه يحب البقاء ويؤثر ان يكون في زمرة الاحياء فياليت شعري اي فرق بين ما رآه امس او سمعه وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة اخبار الماضين وحوادث المتقدمين فاذا طالعها فكأنه عاصرهم واذا علمها فكأنه حاضرهم ومنها ان الملوك ومن اليهم الامر والنهي اذا وقفوا على ما فيها من سيرة اهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف ونظروا الى ما اعقبت من سوء الذكر وقبيح الاحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استقبحوها واعرضوا عنها واطرحوها واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وممالكهم عمرت واموالهم درت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات

وقع من الحوادث في كل حين وما سطر فيها كتبه ٤ من فعل الملوك وانه لم يخل من التواريخ كتاب من كتب الله المنزلة فمنها ما ورد بأخباره المجملة ومنها ما ورد بأخباره المفصلة وقد وقع في التوراة في سفر من أسفارها ما يتضمن تفصيل أحوال الامم السالفة وقد انزل في القرآن العظيم سورة القصص مفردة ولو لم يكن في التاريخ الا الاحاطة بعلم من مضى حتى كأنك حاضره وأوصافه حتى كأنك ناظره لكان في ذلك غاية قصد كل سامع وبهجة كل طامع ومطلع وطالع واختلفوا في معنى التاريخ ذكر صاحب مفاتيح العلوم التاريخ النظام وهو معرب وعن الصولي تاريخ الشيء غايته ووقته الذي ينتهي اليه ومنه قيل فلان تاريخ قومه أي انتهى اليه شرفهم ومعرفة غايتهم وقال الجواليقي في المعرب ان التاريخ ليس بعربي واشتقاقه من الارخ وهو ولد البقرة الوحشية اذا كان أنثى بفتح الهمزة وكسرها كأنه شيء حدث كما يحدث الولد وفي مفاتيح العلوم التاريخ كلمة فارسية أصلها ماه روز فعربت ويقال ان الارخ الوقت والتاريخ كأنه التوقيت وفي نور المقابيس وتاريخ الكتاب ليس عربيا ولا سمع من فصيح وفي الصحاح التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله وأرخت الكتاب بيوم كذا وورخته بمعنى واحد وفرق الاصمعي بين اللغتين فقال بنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخا وقيس تقول أرخته تأريخا وقال ابن عباس رضي الله عنه قد ذكر الله تعالى التاريخ في كتابه فقال يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج الاعداد

لاعداء وخاصوا بها من المهالك واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لا يحدث امر الا قد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلا ويصبح لان يقتدي به اهلا ولقد احسن القائل حيث يقول

رايت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للانسان وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة وجعله عقلا ثانيا توسعا وتعظيما له والا فهو زيادة في عقله الاول ومنها ما يتجمل به الانسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها ونقل طريفة من طرائفها فترى الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه والقلوب متأملة ما يورده ويصدره مستحسنة ما يذكره * وأما الفوائد الاخروية فمنها ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا باهلها وتتابع نكباتها الى اعيان قاطنيها وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبق على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير زهد فيها واعرض عنها واقبل على التزود للآخرة منها ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من هذه النقائص ولعل قائلا يقول ما نرى ناظرا فيها زهد في الدنيا واقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا فياليت شعري كم رأى هذا القائل قارئا للقرآن العزيز وهو سيد المواعظ وافصح الكلام يطلب به اليسير من هذا الحطام فان القلوب مولعة بحب العاجل ومنها التخلق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الاخلاق فان العاقل اذا رأى ان مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم ولا ملك معظم بل ولا احد من البشر علم انه يصيبه ما اصابهم وينوبه ما نابهم

وهل انا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد فان ظن هذا القائل ان الله سبحانه اراد بذكرها الحكايات والاسمار فقد تمسك من اقوال الزيغ بمحكم سببها حيث قالوا هذه أساطير الاولين اكتتبها نسأل الله تعالى ان يرزقنا قلبا عقولا ولسانا صادقا ويوفقنا للسداد في القول والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل

(ذكر الوقت الذي ابتدئ فيه بعمل التاريخ في الاسلام)

قيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أمر بعمل التاريخ والصحيح المشهور ان عمر بن الخطاب أمر بوضع التاريخ وسبب ذلك ان أبا موسى الاشعري كتب الى عمر انه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم أرخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بمهاجرة رسول الله فقال عمر بل نؤرخ بمهاجرة رسول الله فان مهاجرته فرق بين الحق والباطل قاله الشعبي وقال ميمون بن مهران رفع الى عمر صك

وذكر ابن عساكر في تاريخه باسناده الى الزهري والشعبي قال لما أهبط آدم ٥ عليه السلام من الجنة وانتشر ولده ارخ بنوه من هبوط آدم عليه السلام فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله تعالى نوحا فأرخوا مبعث نوح عليه السلام حتى كان الغرق فهلك من هلك وخرج نوح وذريته ومن معه من السفينة فكان التاريخ من الطوفان الى زمن نار ابراهيم عليه السلام وأقدم التواريخ التي بايدي الناس تاريخ القبط لانه بعد انقضاء الطوفان ثم اجتمع رأى كل ملة فأرخ الروم واليونانيون بظهور اسكندر وأرخت القبط بملك بختنصر وأرخ بنو اسحق من مبعث نبي الى مبعث نبي آخر وما زالوا يؤرخون ما كان من الكوائن حتى أتى عام الفيل فجعلوه تاريخا قال المحب الطبري أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة بالتاريخ وكانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه صلى الله عليه وسلم حتى أرخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الهجرة لانها فرقت بين الحق والباطل وذلك سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة من الهجرة وقدموا التاريخ على الهجرة بشهرين وجعلوه من المحرم

(الفصل الثاني في بداية المخلوقات واولية المنشآت)

قال النبي صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن معه شيء وكان عرشه على الماء فهو الاول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء فهو السابق للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها اذ ليس له أول ولا آخر قال المسعودي خلق الله تعالى الاشياء على غير مثال وابتدعها من غير أصل واختلفوا في أول ما خلق

محله شعبان فقال اى شعبان أشعبان هو آت أم شعبان الذى نحن فيه ثم قال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعوا للناس شيأ يعرفونه فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فانهم يؤرخون من عهد ذى القرنين فقال هذا يطول فقال اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل ان الفرس كلما قام ملك طرح تاريخ من كان قبله فاجتمع رأيهم على ان ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة فوجدوه عشر سنين فكتبوا التاريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن سيرين قام رجل الى عمر فقال ارخوا فقال عمر ما ارخوا فقال شئ تفعله الاعاجم فى شهر كذا من سنة كذا فقال عمر حسن فارخوا فاتفقوا على الهجرة ثم قالوا من أى الشهور فقالوا من رمضان ثم قالوا فالمحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجمعوا عليه وقال سعيد بن المسيب جمع عمر الناس فقال من أى يوم نكتب التاريخ فقال على من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركه ارض الشرك ففعله عمر وقال عمرو بن دينار اول من ارخ يعلى بن أمية وهو باليمن واما قبل الاسلام فقد كان بنو ابراهيم يؤرخون من نار ابراهيم الى بنيان البيت حين بناه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ثم ارخ بنو اسمعيل من بنيان البيت حتى تفرقوا فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم ومن بقى بتهامة من بنى اسمعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بنى زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤى وأرخوا من موته الى الفيل ثم كان التاريخ من الفيل حتى ارخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة او ثمان عشرة وقد كان كل طائفة من العرب تؤرخ بالحادثات المشهورة فيها ولم يكن لهم تاريخ يجمعهم وفى ذلك قول بعضهم

ها أنا ذا آمل الخلود وقد * أدرك عقلى مولدى حجرا

وقال الجعدى
فمن يك سائلا عنى فانى * من الشبان ايام الختان

وقال آخر
وما هى الا فى ازار وعلقة * بغار ابن همام على حى خثعما

وكل واحد ارخ بحادث مشهور عندهم فلو كان لهم تاريخ يجمعهم لم يختلفوا فى التاريخ والله أعلم

(القول فى الزمان)

الزمان عبارة عن ساعات الليل والنهار وقد يقال ذلك للطويل والقصير منهما والعرب تقول اتيتك زمان الصرام * وزمان الصرام يعنى به وقت الصرام وكذلك أتيتك ازمان الحجاج أمير ويجمعون الزمان يريدون بذلك ان كل وقت من اوقات امارته من الازمنة

(القول فى جميع الزمان من اوله الى آخره)

اختلف الناس فى ذلك فقال ابن عباس من رواية سعيد بن جبير عنه سبعة آلاف سنة وقال وهب بن منبه ستة آلاف سنة قال أبو جعفر والصحيح من ذلك ما دل على صحته الخبر الذى رواه ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اجلكم فى أجل من قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وروى نحو هذا المعنى أنس وأبو سعيد الا انهما قالا الى

الله تعالى فقيل نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام اول ما خلق الله نورى وقيل العقل وقيل القلم وقيل اللوح وهو من درة بيضاء دفتاه ياقوتتان حمراوان وهو فى عظم لا يوصف وخلق له قلما من جوهرة طولها مسيرة خمسمائة عام مشقوق السن ينبع منه النور كما ينبع من أقلام أهل الدنيا المداد وكتب الله به فى اللوح مقادير كل شئ الى يوم القيامة كذا فى المدارك وغيره

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق فى غشاوته الجنين

وفى الحديث ان بين يدى الله تعالى * لوحا فيه مائة وخمس عشرة شريعة ويقول الله تعالى فيه وعزتى وجلالى لا يجيئنى عبد مؤمن بواحدة منهن الا ادخلته الجنة كذا فى الاتقان فى علوم القرآن (وذكر الثعلبى) عن أنس رضى الله عنه ان اللوح المحفوظ فى جبهة اسرافيل عليه السلام وقد أكثر العلماء فى وصف القلم روى عن ابن المقنع انه قال الاقلام مطايا الفطن ورسل الكرام وبنان البيان وقوام الامور بشيئين بالقلم والسيف والقلم فوق السيف ثم خلق الله تعالى جرم الارض فى هيئة الفهر عليها دخان ثم خلق الله من ذلك الدخان السموات ثم دحا الارض وبسطها منه واختلف فى مكان الفهر قيل انه موضع بيت المقدس تحته بسط الارض وقيل من تحت الكعبة فخلق جرم الارض مقدم على خلق السماء واما دحوها وبسطها فتأخر لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها كذا

غروب

غروب الشمس و بدل صلاة العصر بعد العصر وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وروى نحوه جابر بن سمرة وأنس وسهل بن سعد وبريدة والمستورد بن شداد وأشياخ من الانصار كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذه أخبار صحيحة قال وقد زعم اليهود ان جميع ماثبت عندهم على مافي التوراة من لدن خلق آدم الى الهجرة اربعة آلاف سنة وثلثمائة واثنتان واربعون سنة وقالت اليونانية من النصارى ان من خلق آدم الى الهجرة خمسة آلاف سنة وتسعمائة واثنتين وتسعين سنة وشهرا وزعم قائل ان اليهود انما نقصوا من السنين دفعا منهم لنبوة عيسى اذ كانت صفته ومبعثه في التوراة وقالوا لم يأت الوقت الذي في التوراة ان عيسى يكون فيه فهم ينتظرون بزعمهم خروجه ووقته قال وأحسب ان الذي ينتظرونه ويدعون صفته في التوراة هو الدجال وقالت المجوس ان قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرث الى وقت الهجرة ثلاثة آلاف ومائة وتسع وثلاثون سنة وهم لايذكرون مع ذلك شيأ يعرف فوق جيومرث ويزعمون أنه هو آدم وأهل الاخبار مختلفون فيه فمن قائل مثل قول المجوس ومن قائل انه يسمى بآدم بعد ان ملك الاقاليم السبعة وانه حام بن يافث بن نوح وكان بارا بنوح فدعا له ولذريته بطول العمر والتمكين في البلاد واتصال الملك فاستجيب له فلك جيومرث وولده الفرس ولم يزل الملك فيهم الى أن دخل المسلمون المدائن وغلبوهم على ملكهم ومن قائل غير ذلك كذا قال أبو جعفر (قلت) ثم ذكر أبو جعفر بعد هذا أصولا تتضمن الدلالة على حدوث الازمان والاوقات وهل خلق الله قبل خلق الزمان شيأ أم لا وعلى فناء العالم وان لايبقى الا الله تعالى وانه أحدث كل شئ واستدل على ذلك باشياء يطول ذكرها ولا يليق ذلك بالتواريخ لاسيما المختصرات منه فانه بعلم الاصول أولى وقد فرغ المتكلمون منه في كتبهم فرأينا تركه أولى (بريدة بضم الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخرها هاء)

(القول في ابتداء الخلق وما كان اوله)

صح في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبادة بن الصامت انه سمعه يقول ان أول ماخلق الله تعالى القلم وقال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن وروى نحو ذلك عن ابن عباس وقال محمد بن اسحق أول ماخلق الله تعالى النور والظلمة فجعل الظلمة ليلا أسود وجعل النور نهارا أبيض مضيئا والاول أصح للحديث وابن اسحق لم يسند قوله الى أحد واعترض أبو جعفر على نفسه بما روى سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى كان على عرشه قبل ان يخلق شيأ فكان أول ماخلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة وأجاب بان هذا الحديث ان كان صحيحا فقد رواه شعبة أيضا عن أبي هاشم ولم يقل فيه ان الله كان على عرشه روى أنه قال أول ماخلق الله القلم

(القول فيما خلق بعد القلم)

في الكشاف وغيره ثم خلق الملائكة والجان كما سيأتي عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقال الله للسموات اطلعي شمسي وقمري ونجومي وقال للارض شقي انهارك وأخرجي ثمارك فأجابتا واختلف العلماء في الايام التي خلق الله فيها السموات والارض والمخلوقات هل هي مثل ايام الدنيا ومثل ايام الآخرة كل يوم الف سنة على قولين (احدهما) انها مثل ايام الدنيا قاله مجاهد والحسن البصري لانها هي المعهودة والثاني انها مثل ايام الآخرة وبه قال ابن عباس وعامة العلماء وقد خلق الله السموات والارض قبل خلقها الايام والليالي والشمس والقمر وفي الحديث أن الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وفي رواية الحديد يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والعمران والخراب وانواع النباتات والحيوانات واقوات اهل الارض وارزاقهم والماء فكل شئ يفتر عن التسبيح الا الماء فانه ابدا في تسبيح وتسبيحه اضطرابه فتلك اربعة ايام وخلق سبع سموات في يومين خلق يوم الخميس السموات وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من يوم الجمعة آخر الخلق في آخر الساعات وهي الساعة التي تقوم فيها الملائكة وهي محل اجابة الدعاء * فان قيل فهلا خلقها في لحظة واحدة وهو اهون عليه فالجواب من وجوه (احدها) ان التثبت ابلغ في القدرة والتعجيل لاتقتضيه الحكمة قاله ابن عباس (والثاني) ان الله تعالى اراد ان يظهر في كل وقت

ثم ان الله خلق بعد القلم وبعد ان أمره فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة سحابا رقيقا وهو الغمام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم وقد سأله ابو رزين العقيلي اين كان ربنا قبل ان يخلق الخلق فقال في غمام ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء وهو الغمام الذي ذكره الله في قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام (قلت) فيه نظر لانه قد تقدم ان اول ما خلق الله تعالى القلم وقال له اكتب فجرى في تلك الساعة ثم ذكر في اول هذا الفصل ان الله خلق بعد القلم وبعد ان جرى بما هو كائن سحابا ومن المعلوم ان الكتابة لابد فيها من آلة يكتب بها وهو القلم ومن شيء يكتب فيه وهو الذي يعبر عنه ههنا باللوح المحفوظ وكان ينبغي أن يذكر اللوح المحفوظ ثانيا القلم والله اعلم ويحتمل أن يكون ترك ذكره لانه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة ثم اختلف العلماء فيمن خلق الله بعد الغمام فروى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس اول ما خلق الله العرش فاستوى عليه وقال آخرون خلق الله الماء قبل العرش وخلق العرش فوضعه على الماء وهو قول أبي صالح عن ابن عباس وقول ابن مسعود ووهب بن منبه وقد قيل ان الذي خلق الله تعالى بعد القلم الكرسي ثم العرش ثم الهواء ثم الظلمات ثم الماء فوضع العرش عليه قال وقول من قال ان الماء خلق قبل العرش أولى بالصواب لحديث أبي رزين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان الماء كان على متن الريح حين خلق العرش قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس فان كان كذلك فقد خلقا قبل العرش وقال غيره ان الله خلق القلم قبل ان يخلق شيأ بالف عام واختلفوا أيضا في اليوم الذي ابتدأ الله تعالى فيه خلق السموات والارض وقال عبد الله بن سلام وكعب والضحاك ومجاهد ابتداء الخلق يوم الاحد وقال محمد بن اسحق ابتداء الخلق يوم السبت وكذلك قال أبو هريرة واختلفوا أيضا فيما خلق كل يوم فقال عبد الله بن سلام ان الله تعالى بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين يوم الاحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات يوم الخميس والجمعة ففرغ آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها آدم عليه السلام فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة ومثله قال ابن مسعود وابن عباس من رواية أبي صالح عنه الا انه لم يذكر خلق آدم ولا الساعة وقال ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة عنه ان الله تعالى خلق الارض باقواتها من غير ان يدحوها ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك فذلك قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهذا القول عندي هو الصواب وقال ابن عباس أيضا من رواية عكرمة عنه ان الله تعالى وضع البيت على الماء على أربعة اركان قبل أن يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت ومثله قال ابن عمرو وروى السدي عن أبي صالح وعن أبي مالك عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات قال ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيأ مما خلق قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين في يومين

امرا تستعظمه الملائكة قاله مجاهد (والثالث) ان الذي يتوهمه المتوهم من ابطاء الخلق في ستة آلاف سنة يتوهمه في ستة ايام عند تأمل قوله تعالى كن فيكون وكان قادرا ان يخلق المخلوقات في لمحة واحدة وانما خلقها في ستة ايام تعليما لخلقه الرفق والتثبت في الامور واختلفوا في اسماء الايام فقال الزجاج والفراء وغيرهما قالوا كانت العرب تقول ليوم السبت شيار وليوم الاحد أول وليوم الاثنين اهون وللثلاثاء جبار وللاربعاء دبار وللخميس مؤنس وليوم الجمعة العروبة وكانوا يسمون ايضا يوم السبت ابجد ويوم الاحد هوز ويوم الاثنين حطي والثلاثاء كلمن والاربعاء سعفص والخميس قرشت والجمعة العروبة حكاه الضحاك واختلفوا في خلق الليل والنهار على قولين (احدهما) النهار خلق اولا قاله عكرمة ومجاهد لانه ضياء والنور مقدم على الظلام (والثاني) الليل وبه قال عامة العلماء لقوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فيدل على ان الليل مقدم عليه ولان الظلمة اصل والضوء عارض وهو من اشراق نور الشمس فلا يكون اصلا وقد نص عليه ابن عباس فقال ارأيتم حين كانت السموات والارض رتقا هل كان بينهما الا ظلمة وفي الخريدة ان الله تعالى خلق الخلق من اربعة اشياء خلق الملائكة من نور والجان من نار والبهائم من ماء وآدم من طين * وذكر الشيخ الاكبر ان اول ما خلق الله تعالى من الحيوان النحلة وآخر ما خلق الله من الحيوان الذر واول ما خلق من النبات الكماة واول ما بكر ن يوم

يوم الاحد ويوم الاثنين فخلق الارض على حوت والحوت النون الذى ذكره الله تعالى فى القرآن فى قوله ن والقلم والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح وهى الصخرة التى ذكرها لقمان ليست فى السماء ولا فى الارض فتحرك الحوت فاضطربت وتزلزلت الارض فارسى عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض فذلك قوله تعالى وجعلنا فيها رواسى أن تميد بكم قال ابن عباس والضحاك ومجاهد وكعب وغيرهم كل يوم من هذه الايام الستة التى خلق الله فيها السماء والارض كالف سنة. (قلت) اما ماورد فى هذه الاخبار من ان الله تعالى خلق الارض فى يوم كذا والسماء فى يوم كذا انما هو مجاز والا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليالى لان الايام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليالى عبارة عما بين غروبها وطلوعها ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس وانما المراد به انه خلق كل شئ بمقدار يوم كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وليس فى الجنة بكرة وعشيا (سلام والدعبد الله بتخفيف اللام)

(القول فى الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه)

قد ذكرنا ما خلق الله تعالى من الاشياء قبل خلق الاوقات وأن الازمنة والاوقات انما هى ساعات الليل والنهار وان ذلك انما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك فلنذكر الآن بأى ذلك كان الابتداء أبالليل أم بالنهار فان العلماء اختلفوا فى ذلك فان بعضهم يقول ان الليل خلق قبل النهار ويستدل على ذلك بان النهار من نور الشمس فاذا غابت الشمس جاء الليل فبان بذلك أن النهار وهو النور وارد على الظلمة التى هى الليل واذا لم يرد نور الشمس كان الليل ثابتا فدل ذلك على ان الليل هو الاول وهذا قول ابن عباس وقال آخرون كان النهار قبل الليل واستدلوا بان الله تعالى كان ولا شئ معه ولا ليل ولا نهار وان نوره كان يضئ به كل شئ خلقه حتى خلق الليل قال ابن مسعود ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات من نور وجهه قال أبو جعفر والاول أولى بالصواب للعلة المذكورة أولا ولقوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها فبدأ بالليل قبل النهار قال عبيد بن عمير الحارثى كنت عند على فسأله ابن الكواء عن السواد الذى فى القمر فقال ذلك آية محيت وقال ابن عباس مثله وكذلك قال مجاهد وقتادة وغيرهما لذلك خلقهما الله تعالى الشمس أنور من القمر (قلت) وروى أبو جعفر ههنا حديثا طويلا عدة أوراق عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى خلق الشمس والقمر وسيرهما فانهما على عجلتين لكل عجلة ثلثمائة وستون عروة يجرها بعددها من الملائكة وانهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان فى بحر بين السماء والارض فذلك كسوفهما ثم ان الملائكة يخرجونهما فذلك تجليهما من الكسوف وذكر الكواكب وسيرها وطلوع الشمس من مغربها ثم ذكر مدينة بالمغرب تسمى جابرسا وأخرى بالمشرق تسمى جابرقا ولكل واحدة منهما عشرة آلاف باب يحرس كل باب منها عشرة آلاف رجل لا تعود الحراسة اليهم الى يوم القيامة وذكر يأجوج ومأجوج ومنسك وتاريس الى اشياء أخر لا حاجة الى ذكرها فاعرضت عنها لمنافاتها العقول ولو صح

والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره وطويله وقصيره ويجمع على ازمان وازمنة وقيل هو عبارة عن حركات الفلك وتدخل فيه ساعات الليل والنهار والساعات مقدرات بقطع الشمس والقمر درجات الفلك واليوم جمعه ايام واصله ايوام ومعياره من طلوع الشمس أو الفجر الثانى الى غروب الشمس (ذكر) الامام المطرزى فى المغرب ان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا جزأ من يوم والقمرية ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس يوم وسدسه وفضل ما بينهما عشرة ايام وثلث وربع عشر يوم بالتقريب على رأى بطليموس وقال بعض الحكماء قدر مدة الاعمار مع هدم الليل والنهار وقال الليل والنهار غرسان يثمران للبرية صنوف البلية * واختلفوا فى البحار على اقوال (احدها) انها خلقها الله تعالى يوم خلق السموات والارض كافى جميع المياه (والثانى) انها بقية طوفان نوح عليه السلام قاله ابن عباس والمفسرون (والثالث) انها من عرق الارض لما ينالها من حرارة الشمس (والرابع) انها من مياه الارض فالملح ينحدر الى الاماكن المنخفضة فينعقد غليظا كدرا ويختلط به الاجزاء النارية روى عن عكرمة انه قال البحر المظلم من ورائه بحر آخر يقال له الباكى ماؤه عذب وانما سمى الباكى لانه يبكى من خشية الله تعالى وليس بعده شئ وقال علماء الهيئة البحار باسرها داخلة فى الفلك لانه محيط بالارض

اسنادها لذكرناها وقلنا به ولكن الحديث غير صحيح ومثل هذا الامر العظيم لا يجوز ان يسطر فى الكتب بمثل هذا الاسناد الضعيف * واذ كنا قد بينا مقدار مدتها بين أول ابتداء الله عز وجل فى انشاء ما أراد انشاءه من خلقه الى حين فراغه من انشاء جميعه من مبنى الدنيا ومدة أزمانها وكان الغرض فى كتابنا هذا ذكر ما قد بينا انا ذاكروه من تاريخ الملوك الجبابرة والعاصية ربها والمطيعة ربها وأزمان الرسل والانبياء وكنا قد أتينا على ذكر ما تصح به التاريخات وتعرف به الاوقات وهو الشمس والقمر فلنذكر الآن أول من أعطاه الله تعالى ملكا وأنعم عليه فكفر نعمته وجحد ربوبيته واستكبر فسلبه الله نعمته وأخزاه وأذله ثم نتبعه ذكر من استن سنته واقتفى أثره وأحل الله به نقمته ونذكر من كان بازائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها المحمودة آثارها ومن الرسل والانبياء ان شاء الله تعالى

(قصة ابليس لعنه الله وابتداء أمره واطغائه آدم عليه السلام)

فأولهم وامامهم ورئيسهم ابليس وكان الله تعالى قد حسن خلقه وشرفه وملكه على سماء الدنيا والارض فيما ذكر وجعله مع ذلك خازنا من خزان الجنة فاستكبر على ربه وادعى الربوبية ودعا من كان تحت يده الى عبادته فمسخه الله تعالى شيطانا رجيما وشوه خلقه وسلبه ما كان خوله ولعنه وطرده عن سمواته فى العاجل ثم جعل مسكنه ومسكن اتباعه فى الآخرة نار جهنم نعوذ بالله تعالى من نار جهنم ونعوذ بالله تعالى من غضبه ومن الحور بعد الكور ونبدأ بذكر الاخبار عن السلف بما كان الله أعطاه من الكرامة وبادعائه ما لم يكن ونتبع ذلك بذكر أحداث فى سلطانه وملكه الى حين زوال ذلك عنه والسبب الذى به زال عنه ان شاء الله تعالى

(ذكر الاخبار بما كان لابليس لعنه الله من الملك)
(وذكر الاحداث فى ملكه)

روى عن ابن عباس وابن مسعود ان ابليس كان له ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا قال ابن عباس ثم انه عصى الله تعالى فمسخه شيطانا رجيما وروى عن قتادة فى قوله تعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه انما كانت هذه الآية فى ابليس خاصة لما قال ما قال لعنه الله تعالى وجعله شيطانا رجيما وقال فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين وروى عن ابن جريج مثله * وأما الاحداث التى كانت فى ملكه وسلطانه فمنها ما روى عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلقت الملائكة من نور وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها اذا التهبت وخلق الانسان من طين فأول من سكن فى الارض الجن فاقتتلوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله تعالى اليهم ابليس فى جند من الملائكة

العظام كالنيل والفرات ودجلة وبحر النجف بالكوفة فانه كان بحرا تأتى فيه السفن من الهند فاستحال الماء عنه الى موضع آخر وكذا ببغداد فى دجلة فانها استحالت فراسخ فاخربت قرى كثيرة وهى اليوم قد استحالت أيضا وذكر بطليموس صاحب المجسطى ان فى كل ستة وثلاثين ألف سنة تنتقل أوجات الكواكب وتدور فى البروج الاثنى عشر دورة واحدة فاذا انتقلت من الشمال الى الجنوب تختلف مسامتات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الارض فيختلف بها الليل والنهار والشتاء والصيف والحر والبرد وتتغير رباع الارض فيصير العامر خرابا والخراب عامرا والبر بحرا والبحر برا والسهل جبلا والجبل سهلا

(الفصل الثالث فى خلق الجن والشياطين وذكر ابليس اللعين)

قال علماء اللغة أصل الجن من الاستتار ومنه الجنين لانه مستتر فى بطن امه ومنه الجنة لاستتار ارضها بورقها وقد ورد ان الجن اجسام هوائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة لها عقول وافهام وقدرة على الاعمال الشاقة بخلاف الانس وقال الجوهرى انما سموا بذلك لانهم لا يرون واما الشياطين فهم كل عات متمرد من الجن والانس والدواب واشتقاقه على قولين (أحدهما) انه من شطن أى بعد عن الخير (والثانى) انه من شاط يشيط اذا احترق ومنه شاطت القدر * عن وهم

وبهم هذا الحى الذين يقال لهم الجن فقاتلهم ابليس ومن معه حتى الحقهم بجزائر البحور واطراف الجبال فلما فعل ذلك اغتر فى نفسه وقال قد صنعت مالم يصنعه أحد فاطلع الله تعالى على ذلك من قلبه ولم يطلع عليه أحد من الملائكة الذين معه وروى عن أنس نحوه وروى أبو صالح عن ابن عباس ومرة الهمدانى عن ابن مسعود انهما قالا لما فرغ الله تعالى من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم من خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع فى نفسه كبر وقال ما أعطانى الله تعالى هذا الامر الا لمزية لى على الملائكة فاطلع الله على ذلك منه فقال انى جاعل فى الارض خليفة قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فدعاه ذلك الى الكبر وهذا قول ثالث فى سبب كبره وروى عكرمة عن ابن عباس ان الله تعالى خلق خلقا فقال اسجدوا لآدم فقالوا لا نفعل فبعث عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق خلقا آخر فقال انى خالق بشرا من طين فاسجدوا لآدم فأبوا فبعث الله تعالى عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق هؤلاء الملائكة فقال اسجدوا لآدم قالوا نعم وكان ابليس من أولئك الذين لم يسجدوا وقال شهر بن حوشب ان ابليس كان من الجن الذين سكنوا الارض وطردتهم الملائكة وأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء وروى عن سعيد بن مسعود ذلك وأولى الاقوال بالصواب ان يقال كما قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه وجائز ان يكون فسوقه من اعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده وجائز ان يكون لكونه من الجن (ومرة الهمدانى بسكون الميم والدال المهملة نسبة الى همدان قبيلة كبيرة من اليمن)

(ذكر خلق آدم عليه السلام)

ومن الاحاديث فى سلطانه خلق أبينا آدم عليه السلام وذلك لما أراد الله تعالى ان يطلع ملائكته على ما علم من انطواء ابليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة حتى دنا أمره من البوار وملكه من الزوال فقال للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وروى عن ابن عباس ان الملائكة قالت ذلك للذى كانوا عهدوا من أمره وأمر الجن الذين كانوا سكان الارض قبل ذلك فقالوا لربهم تعالى أتجعل فيها من يكون مثل الجن الذين كانوا يسفكون الدماء فيها ويفسدون ويعصونك ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال الله لهم انى أعلم مالا تعلمون يعنى من انطواء ابليس على الكبر والعزم على خلاف أمرى واغتراره وأنا مبدى ذلك لكم منه لتروه عيانا فلما أراد الله أن يخلق آدم أمر جبريل أن يأتيه بطين من الارض فقالت الارض أعوذ بالله منك أن تنقص منى وتشيننى فرجع ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب انها عاذت بك فاعذتها فبعث ميكائيل فاستعاذت منه فاعاذها فرجع وقال مثل جبريل فبعث اليها ملك الموت فاستعاذت منه فقال أنا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ أمر ربى فأخذ من وجه الارض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء وطينا لازبا فلذلك

عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الجان من مارج من نار وفسره ابن عباس فقال المارج لسان النار الذى يكون فى طرفها اذا التهبت وقال الجوهرى المارج نار لا دخان لها خلق منها الشياطين وفى كنز الاسرار ان الجان أبو الجن كما ان الانسان أبو البشر وسمى جانا لتواريه عن الاعين وفى ابليس ثلاثة أقوال انه من الجن ففسق أو من الملائكة فمسخ أو من الجنانيين فطردوا والعياذ بالله وفى كتاب الاوائل قيل ان الله تبارك وتعالى خلق الملائكة والجان من جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن ثم ان الجن عصوا وفسقوا عن أمر ربهم وسفكوا الدماء فبعث الله تعالى اليهم ثمانمائة نبى وهم يقتلونهم قال مقاتل ان الله لم يبعث نبيا قبل آدم عليه السلام وانما بعث اليهم ملكا منهم فعصوه وهو المنذر بدليل قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين فجرى لهم ما جرى من القتل والاسر على أيدى الملائكة السماوية حتى طهروا الارض منهم وكان رئيس تلك الملائكة ابليس ولما أهبط آدم عليه السلام الى الارض انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هنالك وجعل عرشه على الماء ثم ألقيت عليه شهوة السفاد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ فيخرج من بيضته ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق والاقرب من مجالسه من يفرق ويلقى عداوة بين المرء وزوجه ثم أكثرهم اذى للخلق ونحن نستعيذ بالله تعالى من كيد الرجيم كذا فى آكام المرجان فى أحكام

خرج بنو آدم مختلفين . وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر
والاسود والابيض وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب ثم بلت طينته حتى
صارت طينا لازبا ثم تركت حتى صارت حمأ مسنونا ثم تركت حتى صارت صلصالا كما
قال ربنا تبارك وتعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون واللازب اللزج
الملتزق بعضه ببعض أي ثم ترك حتى تغير وانتن وصار حمأ مسنونا يعني منتنا ثم صار صلصالا
وهو الذي له صوت وانما سمي آدم لانه خلق من اديم الارض قال ابن عباس أمر الله
بتربة آدم فرفعت فخلق آدم من طين لازب من حمأ مسنون وانما كان حمأ مسنونا بعد
التراب فخلق منه آدم بيده لئلا يتكبر ابليس عن السجود له قال فمكث أربعين ليلة وقيل
أربعين سنة جسدا ملقى فكان ابليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل أي يصوت قال فهو
قول الله تعالى من صلصال كالفخار يقول هو كالمنفوخ الذي ليس بمصمت ثم يدخل من
فيه فيخرج من دبره ويدخل من دبره فيخرج من فيه ثم يقول لست شيأ ولشيء ما خلقت
ولئن سلطت عليك لاهلكنك ولئن سلطت علي لاعصينك فكانت الملائكة تمر به فتخافه
وكان ابليس أشدهم منه خوفا فلما بلغ الحين الذي أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال
للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فلما نفخ الروح فيه دخلت من قبل
رأسه وكان لا يجري شيء من الروح في جسده الا صار لحما فلما دخلت الروح رأسه عطس
فقالت له الملائكة قل الحمد لله وقيل بل ألهمه الله التحميد فقال الحمد لله رب العالمين
فقال الله له يرحمك ربك يا آدم فلما دخلت الروح عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما بلغت جوفه
اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فلذلك يقول الله
تعالى خلق الانسان من عجل فسجد له الملائكة كلهم الا ابليس استكبر وكان من
الكافرين فقال الله له يا ابليس ما منعك ان تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه لم أكن لاسجد
لبشر خلقته من طين فلم يسجد كبرا وبغيا وحسدا فقال الله له يا ابليس ما منعك أن تسجد
لما خلقت بيدي الى قوله لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين فلما فرغ من ابليس
ومعاتبته وأبى الا المعصية أوقع عليه اللعنة وأيأسه من رحمته وجعله شيطانا رجيما
وأخرجه من الجنة قال الشعبي أنزل ابليس مشتملا الصماء عليه عمامة اعور في احدى
رجليه نعل وقال حميد بن هلال نزل ابليس مختصرا فلذلك كره الاختصار في الصلاة ولما
أنزل قال يا رب أخرجتني من الجنة من أجل آدم واني لا أقوى عليه الا بسلطانك قال
فانت مسلط قال زدني قال لا يولد ولد الا ولد لك مثله قال زدني قال صدورهم مساكن لك
وتجري منهم مجرى الدم قال زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال
والاولاد وعدهم قال آدم يا رب قد انظرته وسلطته علي واني لا امتنع منه الا بك قال لا يولد
لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يا رب زدني قال الحسنة بعشر أمثالها
وازيدها والسيئة بواحدة أو امحوها قال يا رب زدني قال يا عبادي الذين أسرفوا على
أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قال يا رب زدني قال التوبة

الجان وغيره وذكر في الاوائل ان ابليس أول من لاط وهو رئيس اللائطين وحامل لوائهم الى النار لانه لما اهبط من الجنة
قرت الزوجة منه فلاط بنفسه
فكانت ذريته منه (ذكر الشيخ)
الاكبر قدس الله سره في الفتوحات
قال اخبرني بعض المكاشفين
انه رأى الجن يأتون الى العظم
فيشمونه كما تشم السباع ثم
يرجعون وقد أخذوا أرزاقهم
وغذاءهم في ذلك الشم ونكاحهم
كالرياح المتداخلة بعضها ببعض
كلقاح النخلة الروائح (عن سعيد
ابن جبير) انه قال الجن خمسة
انواع جان وجن وشيطان
وعفريت ومارد واضعفها الجان
وهو مسيخ الجن واقواها المارد
وقال الحسن البصري الشياطين
اولاد ابليس لا يموتون الا معه
والجن يموتون قبله ولا خلاف ان
الكل خلقوا قبل آدم عليه السلام
وفي الخبر ان الله تعالى لما سخر الجن
لسليمان عليه السلام نادى جبريل
ايها الجن والشياطين اجيبوا
نبي الله فخرجوا من الكهوف
واطراف الارض فوجا فوجا
تسوقهم الملائكة وهم اربعة
وعشرون فرقة باشكال مختلفة
على صور جميع الحيوانات مختلفة
الاعضاء فتعجب سليمان عليه
السلام وسجد شكرا لله تعالى وقال
الهي البسني هيبة من عندك
ثم فرقهم في الصنائع وابنية
الحصون واستخراج المعادن
والجواهر • وفي مرآة الزمان
عن الحسن البصري رحمه الله
الجن ثلاثة اصناف صنف في البر
وصنف في البحر وصنف في الهواء (وروى) عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال هم اربعون جيلا كل جيل لا تنفعها

لا تفنه يامن ولدك ما كانت فيه سم الروح قال يارب زدني قال أعشر ولا أبالي قال حسبي ثم قال الله لآدم ائت أولئك النفر من الملائكة فقل السلام عليكم فأتاهم فسلم عليهم فقالوا له وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم فلما امتنع ابليس من السجود وظهر للملائكة ما كان مستترا عنهم علم الله آدم الاسماء كلها واختلف العلماء في الاسماء فقال الضحاك عن ابن عباس علمه الاسماء كلها التي تتعارف بها الناس انسان ودابة وأرض وسهل وجبل وفرس وحمار واشباه ذلك حتى القسوة والقصعة وقال مجاهد وسعيد بن جبير مثله وقال ابن زيد علم أسماء ذريته وقال الربيع علم أسماء الملائكة خاصة فلما علمها عرض الله أهل الاسماء على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اني ان جعلت الخليفة منكم اطعتموني وقدستموني ولم تعصوني وان جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك الدماء فانكم ان لم تعلموا أسماء هؤلاء وأنتم تشاهدونهم فبأن لا تعلموا ما يكون منكم ومن غيركم وهو مغيب عنكم أولى وأحرى وهذا قول ابن مسعود ورواية أبي صالح عن ابن عباس وروى عن الحسن وقتادة انهما قالا لما أعلم الله الملائكة بخلق آدم واستخلافه وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال اني أعلم ما لا تعلمون قالوا فيما بينهم ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقا الا كنا أكرم على الله منه واعلم منه فلما خلقه وأمرهم بالسجود له علموا انه خير منهم وأكرم على الله منهم فقالوا ان يك خيرا منا وأكرم على الله منا فنحن اعلم منه فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا بأن علمه الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اني لا أخلق أكرم منكم ولا أعلم منكم ففزعوا الى التوبة واليها يفزع كل مؤمن فقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قالا وعلمه اسم كل شئ من هذه الخيل والبغال والابل والجن والوحش وكل شئ

﴿ذكر اسكان آدم الجنة واخراجه منها﴾

فلما ظهر للملائكة من معصية ابليس وطغيانه ما كان مستترا عنهم وعاتبه الله على معصيته بتركه السجود لآدم فأصر على معصيته واقام على غيه لعنه الله وأخرجه من الجنة وطرده منها وسلبه ما كان اليه من ملك سماء الدنيا والارض وخزن الجنة فقال الله له اخرج منها يعني من الجنة فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين واسكن آدم الجنة قال ابن عباس وابن مسعود فلما اسكن آدم الجنة كان يمشي فيها فردا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة واستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها فقال من انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي قالت له الملائكة لينظروا ما بلغ علمه ما اسمها قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لانها خلقت من حي وقال الله يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقال ابن اسحق فيما بلغه عن اهل الكتاب وغيرهم منهم عبد الله بن عباس قال القى الله تعالى على آدم النوم واخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما وخلق منه حواء وآدم نائم فلما استيقظ رآها الى جنبه فقال لحمي ودمي وروحي فسكن اليها فلما زوجه الله تعالى وجعل له سكنا من نفسه قال له

منهم ستمائة الف وهم مأمورون ومنهيون وذكر الدميري في حياة الحيوان ان الله تعالى قال لابليس لا اخلق لآدم ذرية الا ذرأت لك مثلها فليس من ولد آدم احد الا وله شيطان قد قرن به (وقيل) ان الشياطين فيهم الذكور والاناث يتوالدون من ذلك واما ابليس فان الله تعالى خلق له في فخذه اليمنى ذكرا وفي اليسرى فرجا فهو ينكح هذا بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة ولهم أسماء مختلفة وكلهم عدو لبني آدم واشتقاقه من الابلاس وهو الاياس وابليس قد يئس من رحمة الله تعالى واختلفوا هل كان من الملائكة او من الجن على ثلاثة أقوال (أحدها) انه كان من الملائكة واحتجوا بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس وهذا استثناء متصل فدل على انه منهم (والثاني) انه من الجن ولم يكن من الملائكة قط لقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه (والثالث) انه لا من الملائكة ولا من الجن بل هو خلق مفرد خلقه الله من النار كما خلق آدم من الطين انبأنا محمد بن طاهر ابي الحسن بن علي الجوهري بن عمر بن حيويه عن الحسن بن معروف عن الحسين ابن الفهم عن محمد بن سعد عن عبد الله ابن نمير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اشرف من كان من الملائكة وأكرمهم يقال لهم الجن لانهم استتروا عن اعين الملائكة لشرفهم وكان ابليس منهم قال وكان رئيس ملائكة سماء الدنيا وسلطانها وسلطان الارض وكان من خزنة الجنة ومن اشد الملائكة اجتهادا واكثرهم علما وكان

يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ولا تقربا هـذه الشجرة فتكونا من الظالمين وعن مجاهد وقتادة مثله فلما اسكن الله آدم وزوجته الجنة اطلق لهما ان يأكلا كل ما ارادا من كل ثمارها غير ثمرة شجرة واحدة ابتلاء منه لهما وامضى قضاؤه فيهما وفى ذريتهما فوسوس لهما الشيطان وكان سبب وصوله اليهما انه اراد دخول الجنة فمنعته الخزنة فاتى كل دابة من دواب الارض وعرض نفسه عليها ان تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبى عليه حتى أتى الحية وقال لها أمنعك من ابن آدم فانت فى ذمتى ان انت ادخلتينى فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به وكانت كاسية على أربعة قوائم من أحسن دابة خلقها الله كانها بختية فأعراها الله وجعلها تمشى على بطنها قال ابن عباس اقتلوها حيث وجدتموها واخفروا ذمة عدو الله فيها فلما دخلت الحية الجنة خرج ابليس من فيها فناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقالا له ما يبكيك قال ابكى عليكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك فى أنفسهما ثم أتاهما فوسوس لهما وقال يا آدم هـل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقال ما نهاكما ربكما عن هـذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين أى تكونا ملكين أو تخلدا ان لم تكونا ملكين فى نعمة الجنة قال الله تعالى فدلاهما بغرور وكان اشتغال حواء لوسوسته أعظم فدعاها آدم لحاجته فقالت لا الا ان تأتى ههنا فلما أتى قالت لا الا ان تأكل من هـذه الشجرة وهى الحنطة قال فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وكان لباسهما الظفر فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وكانت الشجرة من أكل منها أحدث وذهب آدم هاربا فى الجنة فناداه ربه ان يا آدم منى تفر قال لا يارب ولكن حياء منك فقال يا آدم من أين أتيت قال من قبل حواء يارب فقال الله فان لها على ان أدميها فى كل شهر وان أجعلها سفيهة وقد كنت خلقتها حليمة وان أجعلها تحمل كرها وتضع كرها وتشرف على الموت مرارا وقد كنت جعلتها تحمل يسرا وتضع يسرا ولولا بليتها لكان النساء لا يحضن ولكن حليمات ولكن يحملن يسرا ويضعن يسرا وقال الله تعالى له لا لعن الارض التى خلقت منها لعنة يحول ثمارها شوكا ولم يكن فى الجنة ولا فى الارض شجرة أفضل من الطلح والسدر وقال للحية دخل الملعون فى جوفك حتى غر عبدى ملعونة أنت لعنة يتحول بها قوائمك فى بطنك ولا يكون لك رزق الا التراب أنت عدوة بنى آدم وهم أعداؤك حيث لقيت واحدا منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ رأسك اهبطوا بعضكم لبعض عدو آدم وابليس والحية فاهبطهم الى الارض وسلب الله آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة قيل كان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن سقته حواء الخمر حتى سكر فلما سكر قادته اليها فأكل (قلت) والعجب من سعيد كيف يقول هذا والله يقول فى صفة خمر الجنة لا فيها غول

●(ذكر اليوم الذى أسكن آدم فيه الجنة واليوم الذى أخرج فيه منها واليوم الذى تاب فيه)●

شيطانا رجيما ملعونا نعوذ بالله من خذلانه وذكر أبو جعفر الطبرى ان ابليس بعثها كما فى الارض فنفى بنى الجن القسنة ثم عرج الى السماء فاقام يتعبد حتى خلق آدم والله أعلم بخلقه واحكم

●(الفصل الرابع فى ذكر الارضين وسكانها وما ورد فى قطانها)●

روى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان فى الارض قبل الجن خلق يقال لهم الجن والبن والطم والرم وانقرضوا ويقال انهم من الجن وذكر غيره ان أول من سكن الارض امة يقال لهم الجن والبن ثم سكنها الجن فاقاموا يعبدون الله تعالى زمانا فطال عليهم الامد فسدوا فارسل الله اليهم نبيا منهم لقوله تعالى يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وقيل ملكا منذرا يقال له يوسف فلم يطيعوه وقاتلوه فارسل الله اليهم الملائكة فاجلتهم الى البحار وكان مدة اقامتهم فى الارض الفعام قال الشيخ محيى الدين بن عربى فى الفتوحات المكية فى باب حدوث الدنيا قدس الله سره لقد طفت بالكعبة مع قوم لا اعرفهم فانشدوا بيتين حفظت واحدا منهما ونسيت الاخر

لقد طفنا كما طفتم سنينا بهذا البيت طرا اجمعينا

فقلت لواحد منهم من انتم فقال نحن من اجدادك الاول فقلت كم لكم من الزمان والمدة فقال بضع واربعون القسنة فقلت ليس لآدم قريب من تلك السنين فقال عن اى آدم تقول عن هـذا الاقرب اليك

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أسكن الجنة وفيه أهبط منها وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة يقللها لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه قال عبد الله بن سلام قد علمت أي ساعة هي هي آخر ساعة من النهار وقال أبو العالية أخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة منه وأهبط الى الارض لتسع ساعات مضين من ذلك اليوم وكان مكثه في الجنة خمس ساعات منه وقيل كان مكثه ثلاث ساعات منه ٢ فان كان قائل هذا القول أراد انه سكن الفردوس لساعتين مضتا من يوم الجمعة من أيام الدنيا التي هي على ما هي به اليوم فلم يبعد قوله من الصواب لان الاخبار كذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم بان آدم خلق آخر ساعة من اليوم السادس التي مقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا فمعلوم ان الساعة الواحدة من ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاما من أعوامنا وقد ذكرنا ان آدم بعد ان خمر ربنا طينته بقي قبل أن ينفخ فيه الروح اربعين عاما وذلك لاشك انه عنى به اعوامنا ثم بعد ان نفخ فيه الروح الى ان تناهى أمره واسكن الجنة واهبط الى الارض غير مستنكر ان يكون مقدار ذلك من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة وان كان اراد انه سكن الجنة لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الايام التي مقدار اليوم منها الف سنة من سنيننا فقد قال غير الحق لان كل من له قول في ذلك من اهل العلم يقول انه نفخ فيه الروح آخر نهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس وقد روى ابو صالح عن ابن عباس ان مكث آدم كان في الجنة نصف يوم كان مقداره خمسمائة عام وهذا ايضا خلاف ما وردت به الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن العلماء

(ذكر الموضع الذي أهبط فيه آدم وحواء من الارض)

قيل ثم ان الله تعالى اهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه وهو يوم الجمعة مع زوجته حواء من السماء فقال علي وابن عباس وقتادة وأبو العالية انه أهبط بالهند على جبل يقال له نود من ارض سرنديب وحواء بجدة قال ابن عباس فجاء في طلبها فكان كلما وضع قدمه بموضع صار قرية وما بين خطوتيه مفاوز فسار حتى أتى جمعا فازدلفت اليه حواء فلذلك سميت المزدلفة وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعا واهبطت الحية باصفهان وابليس بميسان وقيل اهبط آدم بالبرية وابليس بالابلة قال ابو جعفر وهذا ما لا يوصل الى معرفة صحته الا بخبر يجيء مجيء الحجة ولا نعلم خبرا في ذلك غير ما ورد في هبوط آدم بالهند فان ذلك مما لا يدفع صحته علماء الاسلام قال ابن عباس فلما اهبط آدم على جبل نود كانت رجلاه تمس الارض ورأسه بالسماء يسمع تسبيح الملائكة فكانت تهابه فسألت الله ان ينقص من طوله فنقص طوله الى ستين ذراعا فحزن آدم لما فاته من الانس باصوات الملائكة وتسبيحهم فقال يا رب كنت جارك في دارك ليس لي رب غيرك ادخلتني جنتك آكل منها حيث شئت فاهبطتني الى الجبل المقدس فكنت اسمع اصوات الملائكة واجد ريح الجنة فحططتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني ريح الجنة فأجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم

اربعين غيره فتفكرت في ذلك ثم ذكرت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق قبل آدم المعلوم عندنا مائة الف آدم قال الشيخ اجتمعت مرة في عالم الارواح مع ادريس عليه السلام وسألته عن صحة ذلك الكشف فقال ادريس عليه السلام صدق الخبر وصدق شهودك ومكاشفتك في ذلك نحن معاشر الانبياء آمنا بحدوث العالم وانقطع علمنا عن مبدأ الاعيان والاكوان * قال علماء اللغة انما سميت الارض ارضا لان الاقدام ترضها وقال الجوهري الارض مؤنثة وهي اسم جنس وجمعها أرضون وقد تجمع على أروض قال الثعلبي لما خلق الله الارض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه واحدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب قابضتين على الارض السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدمه موضع قرار فأهبط الله من الفردوس ثورا وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم يستقر فأخذ الله ياقوتة حمراء من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة

٢ (قوله فان كان قائل هذا القول الخ) غير محرر وعبارة مروج الذهب واما ما ذهب اليه الجمهور من أهل الفقه والآثار فهو ان الابتداء كان يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ في آدم الروح وهو اليوم السادس من نيسان ثم خلقت حواء من آدم وأسكنا الجنة لثلاث ساعات مضت منه فمكثا ثلاث ساعات وهو ربع يوم بمائتي سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا انتهت

نعلت بك ذلك فلما رأى الله تعالى عرى آدم وحواء امره ان يذبح كبشا من الضان من الثمانية الازواج التى انزلها الله من الجنة فاخذ كبشا فذبحه واخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبة ولحواء درعا وخمارا فلبساذلك وقيل ارسل اليهما ملكا يعلمهما ما يلبسانه من جلود الضأن والانعام وقيل كان ذلك لباس اولاده واماهو وحواء فكان لباسهما ما كانا خصفا من ورق الجنة فاوحى الله الى آدم ان لى حرما حيال عرشى فانطلق وابن لى بيتا فيه ثم حف به كما رأيت ملائكتى يحفون بعرشى فهنالك استجيب لك ولولدك من كان منهم فى طاعتى فقال آدم يارب وكيف لى بذلك لست اقوى عليه ولا اهتدى اليه فقيض الله ملكا فانطلق به نحو مكة وكان آدم اذا مر بروضة قال للملك انزل بنا ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزله آدم عمرانا وما عداه مفاوز فبنى البيت من خمسة أجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودى وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فاراه المناسك التى يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة فطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى الهند فمات على نود فعلى هذا القول اهبط حواء وآدم جميعا وان آدم بنى البيت وهذا خلاف الذى نذكره ان شاء الله تعالى منه أن البيت انزل من السماء وقيل حج آدم من الهند اربعين حجة ماشيا ولما أنزل الى الهند كان على راسه اكليل من شجر الجنة فلما وصل الى الارض يبس فتساقط ورقه فنبتت منه انواع الطيب بالهند وقيل بل الطيب من الورق الذى خصفه آدم وحواء عليهما وقيل لما أمر بالخروج من الجنة جعل لا يمر بشجرة منها الا اخذ منها غصنا فهبط وتلك الاغصان معه فكان اصل الطيب بالهند منها وزوده الله من ثمار الجنة فثمارنا هذه منها غيران هذه تتغير وتلك لا تتغير وعلمه صنعة كل شئ ونزل معه بعض طيب الجنة والحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وكان من ياقوت الجنة ونزل معه عصا موسى وهى من آس الجنة او من لبان وانزل بعد ذلك العلاة والمطرقة والكلبتان وكان حسن الصورة لا يشبهه من ولده غير يوسف وأنزل عليه جبريل بصرة فيها حنطة فقال آدم ما هذا قال هذا الذى اخرجك من الجنة فقال ما اصنع به فقال انثره فى الارض ففعل فانبته الله من ساعته ثم حصده وجمعه وتركه وذراه وطحنه وعجنه وخبزه كل ذلك بتعليم جبريل وجمع له جبريل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النار وعلمه جبريل صنعة الحديد والحراثة وانزل اليه ثورا فكان يحرث عليه قيل هو الشقاء الذى ذكره الله تعالى بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ثم ان الله أنزل آدم من الجبل وملكه الارض وجميع ما عليها من الجن والدواب والطير وغير ذلك فشكا الى الله تعالى وقال يارب أما فى هذه الارض من يسبحك غيرى فقال الله تعالى سأخرج من صلبك من يسبحنى ويحمدنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى واجعل فيها بيتا اختصه بكرامتى واسميه بيتى واجعله حرما آمنا فمن حرمه بحرمتى فقد استوجب كرامتى ومن اخاف اهله فيه فقد خفر ذمتى واباح حرمتى اول بيت وضع للناس فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد الى وزارنى وضافنى ويحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وان يسعف كلا بحاجته تعمره انت يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من

عام فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليه قدماه ولذلك الثور أربعون الف قرن خارجة من أقطار الارض ومنخراه فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا واحدا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله صخرة خضراء كغلظ السموات والارض فاستقرت قوائم الثور عليها الخلق الله حوتا عظيما فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة (روى) السدى عن اشياخه ان لكل ارض سكانا فسكان الارض الثانية الريح العقيم وهى التى اهلكت قوم عاد وسكان الثالثة حجارة جهنم التى ذكرها الله تعالى فى قوله وقودها الناس والحجارة وفى الرابعة كبريت جهنم وفى الخامسة حيات جهنم وفى السادسة عقاربها كالبغال الدهم واذنابها مثل الرماح وسكان السابعة ابليس وجنوده * وذكر الشيخ سراج الدين بن الوردى فى عجائب المخلوقات عن عطاء بن يسار فى قوله عز وجل الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال فى كل ارض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوحكم وابراهيم مثل ابراهيمكم

(الفصل الخامس فى خلق السموات وانشاء العلويات)

قال الجوهرى كل ما علاك فأظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء ويقال للسحاب سماء ويسمى المطر سماء قال والسماء تذكر وتؤنث وتجمع على اسمية وسموات قال والسمو الارتفاع والعلو والسماء ظهر الفرس لعلوه وقد ورد فى السماء

ولدلث آمة بعد آمة ثم أمر آدم أن يأتي البيت الحرام وكان قد أهبط من الجنة ياقوتة واحدة وقيل درة واحدة وبقي كذلك حتى أغرق الله قوم نوح عليه السلام فرفع وبقي أساسه فبوّأ الله لابراهيم عليه السلام فبناه على ماند كره ان شاء الله تعالى وسار آدم الى البيت لحجه ويتوب عنده وكان قد بكى هو وحواء على خطيئتهما وما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ثم أكلا وشربا بعدها ومكث آدم لم يقرب حواء مائة عام فحج البيت وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (نود بضم النون وسكون الواو وآخره دال مهملة)

(ذكر اخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق)

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أخذ الله الميثاق على ذرية آدم بنعمان من عرفة فأخرج من ظهره كل ذرية ذرأها الى أن تقوم الساعة فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة الى قوله بما فعل المبطلون (نعمان بفتح النون الاولى) وقيل عن ابن عباس أيضا انه أخذ عليهم الميثاق بدحنا موضع وقال السدي أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه الى الارض من السماء ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء مثل اللؤلؤ فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منها كهيئة الذر سودا فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فأعطوه الميثاق طائفة طائعين وطائفة على وجه التقية

(ذكر الاحداث التي كانت في عهد آدم في الدنيا)

وكان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل وأهل العلم مختلفون في اسم قابيل فبعضهم يقول قين وبعضهم يقول قاين وبعضهم يقول قاين وبعضهم يقول قابيل واختلفوا أيضا في سبب قتله فقيل كان سببه ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت له فيها بقابيل بن آدم وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولم تجد عليهما طلقا حين ولدتهما ولم تر معهما دما لطهر الجنة فلما أكلا من الشجرة وهبطا الى الارض فاطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق حين ولدتهما ورأت معهما الدم وكانت حواء فيما يذكرون لا تحمل الا توأما ذكرا وأنثى فولدت حواء لآدم أربعين ولدا لصلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطنا وكان الولد منهم أي أخواته شاء تزوج الا توأمته التي تولد معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن يومئذ نساء الا أخواتهم وأمهم حواء فأمر آدم ابنه قابيل ان ينكح توأمة هابيل وأمر هابيل ان ينكح توأمة أخيه قابيل وقيل بل كان آدم غائبا وكان لما أراد السير قال للسماء احفظي ولدي بالامانة فأبت وقال للارض فأبت وللجبال فأبت وقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع وستجد ما يسرك فانطلق آدم فكان ماند كره وفيه قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا

أخبار وآثار قال أحمد بن حنبل باسناده عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وعليه ملك ساجد قال الجوهري الاطيط صوت الرحل والابل من ثقل حملها قال وهب بن منبه عبادة أهل سماء الدنيا القيام والثانية الركوع والثالثة السجود والرابعة القراءة والخامسة التسبيح والسادسة الذكر والسابعة الجلوس في النجيات وفي التبصرة عن عبد الله بن سلام قال لما خلق الله الملائكة رفعت رؤسها الى السماء وقالت يا رب مع من أنت فقال مع المظلوم حتى يؤدى حقه فمنهم من يشهد معنا صلاتنا ومنهم صفوف في السماء كصفوف بني آدم في الصلاة ومنهم كتبة على بني آدم يكتبون أعمالهم (عن أنس) رضي الله عنه انه قال اذا مات العبد قال الملكان الموكلان به يا رب مات فلان أفتأذن لنا ان نصعد الى السماء فيقول الله تعالى سمائي مملوأة من ملائكتي يسبحونني ويحمدونني فيقولان أفنقيم في الارض فيقول أرضي مملوأة من خلقي يسبحونني فيقولان ماذا نصنع وأين نكون فيقول الله تعالى قوما على قبر عبدي فكبرا وهللا واكتبا ذلك لعبدي الى يوم القيامة (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أراد الله تعالى خلق المخلوقات خلق الماء فثار منه دخان فارتفع فخلق منه السماء وجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا وأوحى في كل سماء أمرها أي ما قدر أن يكون فيها من الملائكة والنجوم وغير ذلك

قيل قال آدم لقابيل وهابيل في معنى نكاح أختيهما ما قال لهما فسلم هابيل لذلك ورضي به وأبى ذلك قابيل وكرهه تكرما عن أخت هابيل ورغب باخته عن هابيل وقال نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فانا احق باختي وقال بعض أهل العلم ان اخت قابيل كانت من أحسن الناس فضن بها على أخيه وارادها لنفسه وانهما لم يكونا من ولادة الجنة انما كانا من ولادة الارض والله اعلم فقال له ابوه آدم يابني انها لا تحل لك فأبى ان يقبل ذلك من ابيه فقال له أبوه يابني فقرب قربانا ويقرب اخوك هابيل قربانا فايكما قبل الله قربانه فهو احق بها وكان قابيل على بذر الارض وهابيل على رعاية الماشية فقرب قابيل قمحا وقرب هابيل ابكارا من ابكار غنمه وقيل قرب بقرة فارسل الله نارا بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل وبذلك كان يقبل القربان اذا قبله الله فلما قبل الله قربان هابيل وكان في ذلك القضاء له باخت قابيل غضب قابيل وغلب عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان وقال لاقتلنك حتى لا تنكح اختي قال هابيل انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك الى قوله فطوعت له نفسه قتل اخيه فاتبعه وهو في ماشيته فقتله فهما اللذان قص الله خبرهما في القرآن فقال واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر الى آخر القصة قال فلما قتله سقط في يده ولم يدر كيف يواريه وذلك أنه كان فيما يزعمون اول قتيل من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه قال ياويلتى أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين الى قوله لمسرفون فلما قتل اخاه قال الله تعالى يا قابيل اين اخوك هابيل قال لا ادري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان صوت دم اخيك يناديني من الارض الآن أنت ملعون من الارض التي فتحت فاها فبلعت دم اخيك فاذا انت عملت في الارض فانها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعا تائها في الارض فقال قابيل عظمت خطيئتي ان لم تغفرها قيل كان قتله عند عقبة حراء ثم نزل من الجبل آخذا بيد اخته وهرب بها الى عدن من اليمن قال ابن عباس لما قتل اخاه اخذ بيد اخته ثم هبط بها من جبل نود الى الحضيض فقال له آدم اذهب فلا تزال مرعوبا لا تأمن من تراه فكان لا يمر به احد من ولده الا رماه فاقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه هذا ابوك قابيل فارمه فرمى الاعمى اباه قابيل فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك فرفع الاعمى يده فلطم ابنه فمات فقال ياويلتى قتلت ابي برميتي وابني بلطمتي ولما قتل هابيل كان عمره عشرين سنة وكان لقابيل يوم قتله خمس وعشرون سنة وقال الحسن كان الرجلان اللذان ذكرهما الله تعالى في القرآن بقوله واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق من بني اسرائيل ولم يكونا من بني آدم لصلبه وكان آدم اول من مات وقال ابو جعفر الصحيح عندنا انهما ابنا آدم لصلبه للحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل منها وذلك لانه اول من سن القتل فبان بهذا انهما لصلب آدم فان القتل ما زال بين بني آدم قبل بني اسرائيل وفي هذا الحديث انه اول من سن القتل ومن الدليل على انه مات من ذرية آدم قبله ما ورد في

تفسير

(روى الواقدي) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال السماء الاولى من زمردة خضراء والثانية من فضة والثالثة من ذهب والرابعة من لؤلؤ والخامسة من الياقوت والسادسة من المرجان والسابعة من الدر وتحت العرش بحر مستمسك بالقدرة ينزل منه أرزاق الحيوان يوحي الله تعالى فيطير ما شاء من سماء الى سماء حتى يجتمع في سماء الدنيا في موضع يقال له الابرم فتجيء السحابة السوداء فتدخله فتشرب منه مثل شرب الاسفنجة فيسوقها الله حيث شاء وما أنزل الله من السماء من ماء الا بمكيال قال ابن عباس رضي الله عنهما ما نزل مطر من السماء الا ومعه البذر اما انكم لو بسطتم شيأ لرأيتموه (وفي الهيئة السنية) ان المطر اثنان مطر من السماء فيه البذر والنبات ومطر يسوقه الغيم من البحر فلا يكون معه البذر ولا النبات والسحاب غربال المطر ولولا السحاب لافسد المطر ما يقع عليه من الارض (واختلف) أصحاب الآثار والقدماء في لون السماء هل هو أصلي أو عرضي فذهب بعضهم الى انه أصلي لما روي انه عليه السلام قال ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر يعلم من هذا ان لون السماء أخضر وانه أصلي وذهب القدماء الى انه أزرق وانه عرضي واختلفوا في سببه فزعم بعضهم ان الفلك مائل الى البياض وان شعاع الشمس مائل الى الحمرة فاذا أشرق شعاع الشمس على الفلك تولد عن اللونين لون لازوردي (قال وهب بن منبه رضي الله عنه) ان الشمس على عجلة لها ثلثمائة وستون عروة قد تعلق بكل عروة ملك

تفسير قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما عن ابن عباس وابن جبير والسدي وغيرهم قالوا كانت حواء تلد لآدم فتعبدهم اى تسميهم عبد الله وعبد الرحمن ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاها ابليس فقال لو سميتماه بغير هذه الاسماء لعاش ولد كما فولدت ولدا فسمته عبد الحرث وهو اسم ابليس فنزلت هو الذي خلقكم من نفس واحدة الآيات وقد روى هذا المعنى مرفوعا (قلت) انما كان الله تعالى يميت اولادهم اولا واحيا هذا المسمى بعبد الحرث امتحانا واختبارا وان كان الله تعالى يعلم الاشياء بغير امتحان لكن علما لا يتعلق به الثواب والعقاب ومن الدليل على ان القاتل والمقتول ابنا آدم لصلبه ما رواه العلماء عن علي بن أبي طالب ان آدم قال لما قتل هابيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

في ابيات غيرها وقد زعم اكثر علماء الفرس ان جيومرث هو آدم وزعم بعضهم انه ابن آدم لصلبه من حواء وقالوا فيه اقوالا كثيرة يطول بذكرها الكتاب اذ كان قصدنا ذكر الملوك وايامهم ولم يكن ذكر الاختلاف في نسب ملك من جنس ما انشأنا له الكتاب فان ذكرنا من ذلك شيأ فلتعريف من ذكرنا لمعرفة من لم يكن عارفا به وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم انه غير آدم ووافق علماء الفرس على اسمه وخالفهم في عينه وصفته فزعم ان جيومرث الذي زعمت الفرس انه آدم انما هو حام بن يافث بن نوح وانه كان معمرا سيدا نزل جبل دنباوند من جبال طبرستان من ارض المشرق وتملكها وبفارس وعظم امره وامر ولده حتى ملكوا بابل وملكوا في بعض الاوقات الاقاليم كلها وابتنى جيومرث المدن والحصون واعد السلاح واتخذ الخيل وتجبر في آخر امره وتسمى بآدم وقال من سماني بغيره قتلته وتزوج ثلاثين امرأة فكثر منهن نسله وان مارى ابنه ومارياتة اخته ممن كانا ولدا في آخر عمره فأعجب بهما وقدمهما فصار الملوك من نسلهما قال ابو جعفر وانما ذكرت من امر جيومرث في هذا الموضع ما ذكرت لانه لا تدافع بين علماء الامم انه ابو الفرس من العجم وانما اختلفوا فيه هل هو آدم ابو البشر ام غيره على ما ذكرنا ومع ذلك فلان ملكه وملك اولاده لم يزل منتظما على سياق متصل بارض المشرق وجبالها الى ان قتل يزدجرد بن شهريار بمرو ايام عثمان بن عفان والتاريخ على اسماء ملوكهم اسهل بيانا واقرب الى التحقيق منه على اعمار ملوك غيرهم من الامم اذ لا يعلم امة من الامم الذين ينتسبون الى آدم دامت لهم المملكة واتصل الملك لملوكهم يأخذه آخرهم عن اولهم وغابرهم عن سالفهم سواهم وانا ذاكر ما انتهى الينا من القول في عمر آدم واعمار من بعده من ولده من الملوك والانبياء وجيومرث ابي الفرس فاذكر ما اختلفوا فيه من امرهم الى الحال التي اجتمعوا عليها واتفقوا على ملك منهم في زمان بعينه انه هو الملك في ذلك الزمان ان شاء الله وكان آدم مع ما اعطاه الله تعالى من ملك الارض نبيا رسولا الى ولده وانزل الله عليه احدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بيده علمه

يجرونها في السماء ويؤدونها الى البحر المسجور وهو بحر عوج مكفوف كأنه جبل ممدود في الهواء ولو بدت الشمس من ذلك البحر لاحرقت ما على وجه الارض من كل شئ حتى الجبال والصخور قال أبو الحسين بن المنادي لاخلاف بين العلماء في أن السماء على الارض مثل القبة وان العالم مثل الكرة وانها تدور بما فيها من الكواكب على قطبين ثابتين غير متحركين أحدهما في ناحية الشمال والآخر في ناحية الجنوب وان كرة الارض مثبتة وسط كرة السماء كالنقطة من الدائرة (عن أبي ذر رضي الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الارض الى السماء مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام والارضون مثل ذلك وما بين السماء السابعة الى العرش مثل جميع ذلك قال الخطابي وهذا على مقدار سير بني آدم اما الملك فانه يخرق الجميع في ساعة واحدة أو لحظة واحدة وكذا الشيطان في الارض (سئل علي) ابن أبي طالب كرم الله وجهه كم بين السماء والارض فقال دعوة مستجابة فقيل له كم بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس (عن أبي ذر رضي الله عنه) قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد حين غربت الشمس فقال يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال انها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها فتستأذن في الرجوع فيأذن لها أخرجاه في الصحيحين (روى) الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا تطلع الشمس كل يوم الا وهي كارهة تقول يا الهي لا تطلعني على عبادك يعصونك حتى

اياها جبريل روى ابوذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا قال قلت يارسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا يعني كثيرا طيبا قال قلت من اولهم قال آدم قال قلت يارسول الله وهو نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سوّاه رجلا وكان ممن أنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في احدى وعشرين ورقة

(ذكر ولادة شيث)

ومن الاحداث في أيامه ولادة شيث وكانت ولادته بعد مضي مائة وعشرين سنة لآدم وبعد قتل هابيل بخمس سنين وقيل ولد فردا بغير توأم وتفسير شيث هبة الله ومعناه انه خلف من هابيل وهو وصيّ آدم وقال ابن عباس كان معه توأم ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعبادة الخلوة في كل ساعة منها وأعلمه بالطوفان وصارت الرياسة بعد آدم اليه وأنزل الله عليه خمسين صحيفة واليه انساب بني آدم كلهم اليوم وأما الفرس الذين قالوا ان جيومرث هو آدم فانهم قالوا ولد لجيومرث ابنه ميشان أخت ميشى وتزوج ميشى أخته ميشان فولدت له سيامك وسيامى فولد لسيامك بن جيومرث افروال ودقس وبواسب واجرب واوراش وأمهم جميعا سيامى ابنة ميشى وهي أخت أبيهم وذكروا ان الارض كلها سبعة أقاليم فارض بابل وما يوصل اليه مما يأتيه الناس برا وبحرا فهو من اقليم واحد وسكانه ولد افروال بن سيامك واعقابهم فولد لافروال بن سيامك من افرى ابنة سيامك أوشهنج بيشداد الملك وهو الذي خلف جده جيومرث في الملك وهو أول من جمع ملك الاقاليم السبعة وسنذكر اخباره وكان بعضهم يزعم ان أوشهنج هذا هو ابن آدم لصلبه من حوّاء وأما ابن الكلبي فانه زعم أن أول من ملك الارض أوشهنج بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح قال والفرس تزعم انه كان بعد آدم بمائتي سنة وانما كان بعد نوح بمائتي سنة ولم تعرف الفرس ما كان قبل نوح والذي ذكره هشام بن الكلبي لا وجه له لان أوشهنج مشهور عند الفرس وكل قوم أعلم بانسابهم وأيامهم من غيرهم قال وقد زعم بعض نسابة الفرس ان أوشهنج هذا هو مهلائيل وان أباه افروال هو قينان وان سيامك هو انوش أبو قينان وان ميشى هو شيث أبو انوش وان جيومرث هو آدم فان كان الامر كما زعم فلا شك ان أوشهنج كان في زمن آدم رجلا وذلك لان مهلائيل فيما ذكر في الكتب الاولى كانت ولادة امه دينه ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم وأتاه بعد ما مضى من عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة وقد كان له حين وفاة آدم ستمائة سنة وخمس وستون سنة على حساب ان عمر آدم كان ألف سنة وقد زعمت الفرس ان ملك أوشهنج كان أربعين سنة فان كان الامر على ما ذكره النسابة الذي ذكرت منه ما ذكرت فبعيد من قال ان ملكه كان بعد وفاة آدم بمائتي سنة

(ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر ان آدم مرض أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وأمره ان يخفي علمه عن قابيل

انها تقف عند الطلوع قدر دقيقة انها ثلثمائة وستون ملكا حتى تطلع وانها تعنه قال تطلع الشمس كل سنة في ثلثمائة وستين كوة لاترجع الى تلك الكوة الى ذلك اليوم من العام القابل قال الحسن البصري رحمه الله الشمس تغرب في ماء يغلي غليان القدور ويفيض الماء من تلك العين الحارة حولها ثلاثة أيام لا يأتي على شيء الا احترق (وحكى الثعلبي) عن عمرو بن مالك بن امية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي ان بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فاستأجرت رجلا وسرت حتى رأيتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلتحف بالاخرى وكان صاحبي يحسن بلسانهم فسألهم قالوا وما أنتم قال جئنا حتى ننظر الى الشمس كيف تطلع قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ووقعت ثم افقت وهم يمسحونني بدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذ هي كهيئة الزيت واذا طرف السماء كالفسطاط فلما ارتفعت ادخلوني سربا لهم انا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصيدون السمك فيطرحونه في الشمس ويأكلونه * وللشمس منافع كثيرة (احدها) انها سراج العالم (والثانية) انها طابخ لاطعمتهم من غير كلفة ومنضج لثمرهم (والثالثة) تسير من المشرق الى المغرب لمصالحهم (والرابعة) انها لا تقف في مكان واحد لئلا تضر بالخلق (والخامسة) انها تكون في الشتاء في اسفل البروج وفي الصيف في

وولده لانه قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ما عندهم من
العلم ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به وقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال قال الله تعالى لآدم حين خلقه ائت أولئك النفر من الملائكة فقل السلام
عليكم فأتاهم فسلم عليهم وقالوا له عليك السلام ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال له هذه
تحيتك وتحية ذريتك بينهم ثم قبض له يديه فقال له خذ واختر فقال أخترت يمين ربي وكلتا
يديه يمين ففتحها له فاذا فيها صورة آدم وذريته كلهم واذا كل رجل منهم مكتوب عنده أجله
واذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة واذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم
النور فقال هؤلاء الانبياء والرسل الذين أرسلهم الى عبادي واذا فيهم رجل هو من
اضوئهم نورا ولم يكتب له من العمر الا أربعين سنة فقال آدم يارب هذا من اضوئهم نورا
ولم تكتب له الا اربعين سنة بعد ان اعلمه انه داود عليه السلام فقال ذلك ما كتبت له فقال
يارب انقص له من عمري ستين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اهبط الى الارض
يعد ايامه فلما اتاه ملك الموت لقبضه قال له آدم عجلت ياملك الموت قد بقي من عمري ستون
سنة فقال له ملك الموت مابقي شيء سألت ربك أن يكتبه لابنك داود فقال مافعلت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فنسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فحينئذ وضع الله
الكتاب وامر بالشهود وروى عن ابن عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اول من جحد آدم ثلاث مرار وان الله لما خلقه مسح ظهره فاخرج منه ما
هو ذارئ الى يوم القيامة فجعل يعرضهم على آدم فرأى منهم رجلا يزهر قال اى رب اى بني
هذا قال ابنك داود قال كم عمره قال ستون سنة قال زده من العمر قال الله تعالى لا الا ان
تزيده انت وكان عمر آدم الف سنة فوهب له اربعين سنة فكتب عليه بذلك كتابا واشهد عليه
الملائكة فلما احتضر آدم اتته الملائكة لتقبض روحه فقال قد بقي من عمري أربعون سنة
قالوا انك قد وهبتها لابنك داود قال مافعلت ولا وهبت له شيأ فانزل الله عليه الكتاب
واقام الملائكة شهودا فاكمل لآدم الف سنة واكمل لداود مائة سنة وروى مثل هذا عن
جماعة منهم سعيد بن جبير وقال ابن عباس كان عمر آدم تسعمائة سنة وستا وثلاثين سنة
وأهل التوراة يزعمون ان عمر آدم تسعمائة سنة وثلاثون سنة والاخبار عن رسول الله
والعلماء ماذكرنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق وعلى رواية ابي هريرة التي فيها
ان آدم وهب داود من عمره ستين سنة لم يكن كثير اختلاف بين الحديثين ومافي التوراة
من ان عمره كان تسعمائة وثلاثين سنة فلعل الله ذكر عمره في التوراة سوى ماوهبه لداود
قال ابن اسحق عن يحيى بن عباد عن ابيه قال بلغني ان آدم حين مات بعث الله بكفنه
وحنوطه من الجنة ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيبوه وروى ابي بن كعب عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان آدم حين حضرته الوفاة بعث الله اليه بحنوطه وكفنه من الجنة فلما
رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم فقال خلي عني وعن رسل ربي فما لقيت ما لقيت
الا منك ولا اصابني ما اصابني الا فيك فلما قبض غسلوه بالسدر والماء وترا وكفنوه في وتر
من الثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس لما مات

اعلاه المنافع العالم (والسادسة) انه لا تجتمع مع القمر في سلطانه لئلا يقال كل واحد منهما ضوء الآخر وقد جاء
افلاطون الشمس فقال شيء ثلاث
مشهون يخرج منه اللهب وفي
القمر فوائد (منها) انه سراج للخلق
بالليل ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم لقوله تعالى اقتربت الساعة
وانشق القمر وقدرناه منازل
ليعرف بها المواقيت ويحامن نوره
تسعا وتسعين جزأ ولولا ذلك
لانبسط الناس في معايشهم ليلا
ونهارا فاذى الحريص كده وفيه
عيوب (منها) ان النوم فيه
منكشفا يورث البرص (ومنها)
انه يبلي الكتان ونوره من نور الشمس
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال الناس يارسول الله هل نرى
ربنا يوم القيامة فقال هل تمارون
في القمر ليلة البدر ليس دونه
سحاب قالوا لا قال فهل تمارون
في الشمس ليس دونها سحاب قالوا
لا قال فانكم ترونه كذلك اخرجاه
في الصحيحين ذكر المسعودي في
اخبار الزمان عن زرارة بن ابي
اوفى رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال قلت لجبرائيل هل
رأيت ربك قط فانتفض ثم قال
يامحمد ان بيني وبينه سبعين الف
حجاب من نور لو دنوت الى واحد
منها لاحترقت

*(الفصل السادس في معنى النبوة
والرسالة وما ورد في حرف الانبياء
واقلامهم من المقالة وعدد النبيين
وتفاوت ما بينهم من السنين)*

قال الشيخ محيي الدين بن العربي
قدس الله سره في الفتوحات المكية
اعلم ان النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله تعالى يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبده بها في نفسه فان بعث بها الى غيره كان

آدم قال شيث لجبرائيل صل عليه فقال تقدم انت فصل على ابيك فكبر عليه ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون فتفضيلا لآدم وقيل دفن في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكنز وقال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكانت وفاته يوم الجمعة كما تقدم وذكر ان حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت الى وقت الطوفان واستخرجهما نوح وجعلهما في تابوت ثم حملهما معه في السفينة فلما غاضت بالارض الماء ردهما الى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان قال وكانت حواء فيما ذكر قد غزلت ونسجت وعجنت وخبزت وعملت اعمال النساء كلها واذ قد فرغنا من ذكر آدم وعدوه ابليس وذكر اخبارهما وما صنع الله بعدوه ابليس حين تجبر وتكبر من تعجيل العقوبة وطغى وبغى من الطرد والابعاد والنظرة الى يوم الدين وما صنع بآدم اذ أخطأ ونسي من تعجيل العقوبة له ثم تغمده الله بالرحمة اذ تاب من زلته فارجع الى ذكر قابيل وشيث ابني آدم وأولادهما ان شاء الله

(ذكر شيث بن آدم عليه السلام)

قد ذكرنا بعض أمره وانه كان وصي آدم في خلافته بعد مضيه لسبيله وما أنزل الله عليه من الصحف وقيل انه لم يزل مقيما بمكة يحج ويعتمر الى ان مات وانه كان جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها وانه بنى الكعبة بالحجارة والطين وأما السلف من علمائنا فانهم قالوا لم تزل القبة التي جعل الله لآدم مكان البيت الى أيام الطوفان فرفعها الله حين أرسل الطوفان وقيل ان شيثا لما مرض أوصى الى ابنه انوش ومات فدفن مع أبويه بغار أبي قبيس وكان مولده لمضي مائتي سنة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم وقيل غير ذلك وقد تقدم وكانت وفاته وقد أتت عليه تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة وقام انوش بن شيث بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدبير من تحت يديه من رعيته مقام أبيه لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل فكان جميع عمر انوش سبعمائة وخمس سنين وكان مولده بعد ان مضى من عمر أبيه شيث ستمائة سنة وخمس سنين وهذا قول أهل التوراة وقال ابن عباس ولد لشيث انوش وولد معه نفرا كثيرا واليه أوصى شيث ثم ولد لانوش بن شيث ابنه قينان من أخته نعمة بنت شيث بعد مضي تسعين سنة من عمر انوش وولد معه نفرا كثيرا واليه الوصية وولد قينان مهلائيل ونفرا كثيرا معه واليه الوصية وولد مهلائيل يرد وهو اليارد ونفرا معه واليه الوصية فولدت يرد حنوخ وهو ادريس النبي ونفرا معه واليه الوصية وولد حنوخ متوشلخ ونفرا معه واليه الوصية واما التوراة ففيها ان مهلائيل ولد بعد ان مضى من عمر آدم عليه السلام ثلثمائة وخمس وتسعون سنة ومن عمر قينان سبعون وولد يرد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة فكان على منهاج أبيه غير ان الاحداث بدأت في زمانه

(ذكر الاحداث التي كانت من لدن ملك شيث الى ان ملك يرد)

ذكر ان قابيل لما قتل هابيل وهرب من أبيه آدم الى اليمن أتاه ابليس فقال له ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت أيضا نارا تكون لك

رسولا وفي الكتب الكلامية الولي هو العارف بالله تعالى وصفاته حسب ما يكون المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات وكرامته ظهور امر خارق للعادة من قبله غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجا وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة وفي العمدة لم يبعث الله تعالى نبيا من اهل البادية ولا من النساء ولا من الجن وفي ربيع الابرار للزمخشري عن فرقد السبخي لم يبعث الله نبيا قط من مصر من الامصار وانما بعثوا من القرى ذكر الهروي في كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات ان بلاد الغرب والعجم لم يطأها نبي بل بها من العباد والزهاد ما لو جمع لكان خلقا كثيرا وفي العرائس قال الله تعالى اني قضيت يوم خلقت السموات والارض ان أجعل النبوة في الاجراء وأجعل الملك في الرعاة والعز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والثروة في الاقلاء والمدائن في الفلوات والآجام في المفازة وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه انه قال جميع الكتب المنزلة مائة صحيفة وأربعة كتب نزل على آدم عليه السلام عشر صحائف في عشرين ورقة وهي حروف المعجم وهي اول كتاب كان في الدنيا وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وعشرون ورقة وأنزلت التوراة على موسى بعد صحف ابراهيم بسبعمائة سنة وأنزل الزبور على داود بعد التوراة بخمسمائة عام وأنزل الانجيل على عيسى بعد الزبور بستمائة وعشرين عاما والقرآن على

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد الانجيل بستمائة سنة والسنة الانبياء ثلاثة ٢٣ سريانية وعبرانية وعربية وفي لسان الزنجي ذكر

ولعقبك تبقى بيت نارية وأول من نصب النار وعبدها وقال ابن اسحق ان قينا وهو قابيل
نكح أخته اشوث بنت آدم فولدت له رجلا وامرأة حنوخ بن قين وعذب بنت قين فنكح
حنوخ أخته عذب فولدت ثلاثة بنين وامرأة عيرد ومحويل وأنوشيل ومولايث ابنة
حنوخ فنكح أنوشيل بن حنوخ أخته مولايث وولدت له رجلا اسمه لامك فنكح لامك
امرأتين اسم احداهما عدى والاخرى صلى فولدت عدى تولين بن لامك فكان أول من
سكن القباب واقتنى المال وتوبلين فكان أول من ضرب بالونج والصنج وولدت رجلا
اسمه توبلقين وكان أول من عمل النحاس والحديد وكان أولادهم فراعنة وجبابرة وكانوا قد
أعطوا بسطة في الخلق قال ثم انقرض ولد قين ولم يتركوا عقبا الا قليلا وذرية آدم كلها
جهلت أنسابهم وانقطع نسلهم الا ما كان من شيث فمنه كان النسل وأنساب الناس اليوم
كلهم اليه دون أولاد أبيه آدم ولم يذكر ابن اسحق من أمر قابيل وولده الا ما حكيت وقال
غيره من أهل التوراة ان أول من اتخذ الملاهي من ولد قابيل رجل يقال له توبال بن قابيل
اتخذها في زمان مهلائيل بن قينان اتخذ المزامير والطنابير والطبول والعيدان والمعازف
فانهمك ولد قابيل في اللهو وتناهى خبرهم الى من بالجبل من ولد شيث فهم منهم مائة رجل
بالنزول اليهم وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم وبلغ ذلك يارد فوعظهم ونهاهم فلم يقبلوا ونزلوا
الى ولد قابيل فأعجبوا بما رأوا منهم فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت
من آبائهم فلما أبطؤا ظن من بالجبل ممن كان في نفسه زيغ انهم أقاموا اغتباطا فتسللوا
ينزلون من الجبل ورأوا اللهو فأعجبهم ووافقوا نساء من ولد قابيل متسرعات اليهم
وصرن معهم وانهمكوا في الطغيان وفشت الفحشاء وشرب الخمر فيهم وهذا القول غير
بعيد من الحق وذلك انه قد روي عن جماعة من سلف علماء المسلمين نحو منه وان لم يكونوا
بينوا زمان من حدث ذلك في ملكه الا انهم ذكروا ان ذلك كان فيما بين آدم ونوح منهم
ابن عباس أو مثله ومثله روى الحكم بن عتيبة عن أبيه مع اختلاف قريب من القولين
والله أعلم وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا في مهلائيل بن قينان وانه هو أوشهنج
الذى ملك الاقاليم السبعة وبينت قول من خالفهم وقال هاشم بن الكلبي انه أول من بنى
البناء واستخرج المعادن وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد وبنى مدينتين كانتا أول ما بني
على ظهر الارض من المدائن وهما مدينة بابل وهي بالعراق ومدينة السوس بخوزستان
وكان ملكه أربعين سنة وقال غيره هو أول من استنبط الحديد وعمل منه الادوات
للصناعات وقدر المياه في مواضع المنافع وحض الناس على الزراعة واعتماد الاعمال وأمر
بقتل السباع الضارية واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش وبذبح البقر والغنم
والوحش وأكل لحومها وانه بنى مدينة الري قالوا وهي أول مدينة بنيت بعد مدينة
جيومرث التي كان يسكنها بدنباوند وقالوا انه أول من وضع الاحكام والحدود وكان ملقبا
بذلك يدعى بيشداد ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل وذلك ان بيش معناه أول وداد
معناه عدل وقضاء وهو أول من استخدم الجواري وأول من قطع الشجر وجعله في البناء
وذكروا انه نزل الهند وتنقل في البلاد وعقد على رأسه تاجا وذكروا انه قهر ابليس

السيوطي في الاتقان انه ما نزل وحي
الا بلسان عربي مبين فيترجم كل
نبي بلسان قومه وفي محاضرة
الاوائل ان الله تعالى علم آدم عليه
السلام ألف حرفة مما يحتاج أولاده
اليها كما علمه الالسن فكل شئ
علمه آدم فهو اسمه الى يوم القيامة
فتفرقت الحرف في أولاده توفيقا
منه فكل أخذ عن الاب الاكبر
بحسب الاستعداد للكمالات
الآدمية لانه انشأ آلات الصنائع
والهم معرفة حقائق الاشياء ولما
نزل من الجنة كان معه الابرة
والمطرقة والسندان والكلبتين كذا
في تفسير الشيخ وكان لبعض الانبياء
حرف يستعينون بها في معايشهم فمن
ثم كان آدم عليه السلام حراثا وزراعا
وادريس عليه السلام كان كاتبا
وخياطا فهو أول من خط وخاط
وكان نوح عليه السلام نجارا وكان
هود عليه السلام تاجرا وكذلك
صالح عليه السلام وكان ابراهيم
الخليل عليه السلام يعتني الحراثة
والزراعة وكان اسمعيل عليه
السلام قناصا واسحق عليه السلام
راعيا كذلك يعقوب عليه السلام
ويوسف كان وزير فرعون مصر
وكان أيوب عليه السلام تاجرا
وشعيب عليه السلام راعيا وكذلك
موسى عليه السلام وهرون عليه
السلام كان وزير موسى والياس
عليه السلام كان نساجا وكان داود
عليه السلام زرادا وولده سليمان
عليه السلام كان يعمل القفف
ويبيعها وزكريا عليه السلام يعمل بالطين وعيسى عليه السلام سياحا وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مجاهدا وفي روض

الرياض للامام اليافعي ان الله تبارك وتعالى لما اخرج الناس من ظهر آدم عليه السلام في عالم الذر عرض عليهم جميع

وجنوده ومنعهم الاختلاط بالناس وتوعدهم على ذلك وقتل مردتهم فهربوا من شرفه الى المفاوز والجبال فلما مات عادوا وقيل انه سمى شرار الناس شياطين واستخدمهم وملك الاقاليم كلها وانه كان بين مولد أوشهنج وموت جيومرث مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة (عتيبة بالعين وبعدها تاء فوقها نقطتان وياء تحتها نقطتان وباء موحدة)

(ذكر يرد)

وقيل يارد بن مهلائيل أمه خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم ولد بعدما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة وفي أيامه عملت الاصنام وعاد من عاد عن الاسلام ثم نكح يرد في قول ابن اسحق وهو ابن مائة واثنتين وستين سنة بركنا ابنة الدرمسيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم فولدت له حنوخ وهو ادريس النبي فكان أول بني آدم اعطى النبوة وخط بالقلم وأول من نظر في علوم النجوم والحساب وحكماء اليونانيين يسمونه هرمس الحكيم وهو عظيم عندهم فعاش يرد بعد مولد ادريس ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات فكان عمره تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة وقيل أنزل على ادريس ثلاثون صحيفة وهو أول من جاهد في سبيل الله وقطع الثياب وخاطها وأول من سبى من ولد قابيل بن آدم فاسترق منهم وكان وصى والده يرد فيما كان آباؤه وصوا به اليه وفيما أوصى بعضهم بعضا وتوفى آدم بعد ان مضى من عمر ادريس ثلثمائة وثمان سنين ودعا ادريس قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله تعالى ومعصية الشيطان وان لا يلابسوا أولاد قابيل فلم يقبلوا منه قال وفي التوراة ان الله رفع ادريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة من عمره وبعد ان مضى من عمر أبيه خمسمائة سنة وسبع وعشرون سنة فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسا وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنتين وستين سنة قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أباذر من الرسل أربعة سريانيون آدم وشيث وحنوخ وهو أول من خط بالقلم وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وقيل ان الله أرسله الى جميع أهل الارض في زمانه وجمع له علم الماضين وزاده ثلاثين صحيفة وقال بعضهم ملك بيوراسب في عهد ادريس وكان قد وقع عليه من كلام آدم فاتخذه سحرا وكان بيوراسب يعمل به (يارد بياء معجمة باثنتين من تحتها وراء مهملة وذال (٣) معجمة وحنوخ بحاء مهملة مفتوحة ونون بعدها واو وخاء معجمة وقيل بخائين معجمتين)

(ذكر ملك طهمورث)

زعمت الفرس انه ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويونجهان يعني خير أهل الارض ابن حبايداد بن أوشهنج وقيل في نسبه غير ذلك وزعم الفرس أيضا انه ملك الاقاليم السبعة وعقد على رأسه تاجا وكان محمودا في ملكه مشفقا على رعيته وانه ابتنى سابور من فارس ونزلها وتنقل في البلدان وانه وثب بابليس حتى ركبه فطاف عليه في اداني الارض وأقاصيها وافزعه ومردته حتى تفرقوا وكان أول من اتخذ الصوف والشعر للبس والفرش وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وغيرها وأخذ الجوارح للصيد وكتب بالفارسية وان بيوراسب ظهر في أول

الصنائع الدنيوية والحرف البشرية الى يوم القيامة فاختار كل انسان صنعة بحسب استعداده وقابليته فلما أبداهم الى الوجود في الدنيا أجرى على لسان كل أحد وأيده بما اختار لنفسه من الحرف في عالم الارواح فوقع التعارف والتناكر والتعلم والتعليم بين الارواح فأخذ كل روح من جنسه ما يلائم استعداده فانفردت طائفة من بين الارواح لم تختر شيأ فقيل لها من حضرة الغيب اختاري فقالت يا ربنا ما أعجبنا شئ من تلك الحرف التي شاهدناها فنختاره فأظهر لهم تعالى وتقدس مقامات العبودية فقالت الارواح قد اخترنا يا مولانا هذه فناداهم الحق جل جلاله وعزتي وجلالي لاشغلنكم غدا بين عرفكم وخدمكم وكان للانبياء عليهم السلام اقلام مختلفة فكان قلم آدم عليه السلام سريانيا وقلم شيث عليه السلام صوليانيا وقلم ادريس عليه السلام بربريا وقلم نوح عليه السلام جرجمانيا وقلم ابراهيم عليه السلام برهميا وقلم اسحق عليه السلام يونانيا وقلم موسى عليه السلام عبرانيا وقلم داود عليه السلام عزبريا وقلم سليمان عليه السلام كاهنيا وقلم عيسى عليه السلام روميا وقلم شمعون افرنجيا وقلم جرجيس قبطيا وقلم دانيال أرمنيا وقلم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كوفيا وهو أفضل الاقلام كذا ذكره البوني في كتابه وأول من صلى العشاء موسى عليه السلام وأول من صلى المغرب عيسى عليه السلام وأول من صلى العصر يونس عليه السلام وأول من صلى الظهر ابراهيم عليه السلام وأول من صلى الفجر آدم عليه السلام وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في مسامرته

سنة من ملكه ودعا الى ملة الصابئين كذا قال أبو جعفر وغيره من العلماء انه ركب ابليس وطاف عليه والعهدة عليهم وانما نحن نقلنا ما قالوه قال ابن الكلبي أول ملوك الارض من بابل طهمورث وكان لله مطيعا وكان ملكه أربعين سنة وهو أول من كتب بالفارسية وفي أيامه عبدت الاصنام وأول ما عرف الصوم في ملكه وسببه ان قوما افتقروا تعذر عليهم القوت فامسكوا نهارا وأكلوا الى الليل ما يمسك رمقهم ثم اعتقدوه تقربا الى الله وجاءت الشرائع به

(ذكر حنوخ وهو ادريس عليه السلام)

ثم نكح حنوخ بن يرد هدانة وقال اذانة ابنة باويل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم وهو ابن خمس وستين سنة فولدت له متوشلخ بن حنوخ فعاش بعد ما ولد متوشلخ ثلثمائة سنة ثم رفع واستخلفه حنوخ على أمر ولده وأمر الله وأوصاه وأهل بيته قبل ان يرفع وأعلمهم ان الله سوف يعذب ولد قابيل ومن خالطهم ونهاهم عن مخالطتهم وانه كان أول من ركب الخيل لانه سلك رسم أبيه حنوخ في الجهاد ثم نكح متوشلخ عربا ابنة عزازيل بن أنوشيل بن حنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة فولدت له لمك بن متوشلخ فعاش بعد ما ولد له لمك سبعمائة سنة وولد له بنون وبنات فكان كل ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وسبعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى الى ابنه لمك فكان لمك يعظ قومه وينهاهم عن مخالطة ولد قابيل فلم يقبلوا حتى نزل اليهم جميع من كان معهم في الجبل وقيل كان لمتوشلخ ابن آخر غير لمك يقال له صابئ وبه سمي الصابئون (قلت محويل بحاء مهملة وياء معجمة باثنتين من تحت وقين بقاف وياء معجمة باثنتين من تحت ومتوشلخ بفتح الميم وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق وبالشين المعجمة وبحاء مهملة وقيل خاء معجمة) ونكح لمك بن متوشلخ قينوش ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ ابن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة فولدت له نوح بن لمك وهو النبي فعاش لمك بعد مولد نوح خمسمائة سنة وخمسا وتسعين سنة وولد له بنون وبنات ثم مات ونكح نوح ابن لمك عزرة بنت براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين وهو ابن خمسمائة سنة فولدت له ولده ساما وحاما ويافث بني نوح وكان مولد نوح بعد موت آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ولما أدرك قال له أبوه لمك قد علمت انه لم يبق في هذا الجبل غيرنا فلا تستوحش ولا تتبع الامة الخاطئة وكان نوح يدعو قومه ويعظهم فيستخفون به وقيل كان نوح في عهد بيوراسب وكانوا قومه فدعاهم الى الله تسعمائة وخمسين سنة كلما مضى قرن اتبعهم قرن على ملة واحدة من الكفر حتى انزل الله عليهم العذاب وقال ابن عباس فيما رواه الكلبي عن أبي صالح عنه فولد لمك نوحا وكان له يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ولم يكن في ذلك الزمان أحد ينهى عن منكر فبعث الله اليهم نوحا وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم مائة وعشرين سنة ثم أمره الله بصنعة الفلك فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ثم مكث من بعد السفينة ثلثمائة سنة وخمسين سنة وروي عن جماعة من السلف انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق وان الكفر بالله حدث في القرن الذي بعث اليهم نوح فأرسله الله وهو أول نبي بعث بالانذار والدعاء الى التوحيد وهو قول

نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ما بين آدم عليه السلام الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وخمسمائة وخمسة وسبعون سنة وعلى ما رواه الكلبي عن أبي صالح انه ستة آلاف وتسع عشرة سنة وتفصيل ذلك من آدم الى نوح عليه السلام ألف ومائتا سنة ومن نوح الى ابراهيم عليه السلام ألف ومائة سنة ومن ابراهيم الى موسى خمسمائة وخمس وسبعون سنة ومن موسى الى داود ألف ومائة سنة وتسع وسبعون سنة ومن داود الى عيسى ألف وثلثمائة وخمس وستون سنة ومن عيسى الى محمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة ولمجوس الفرس وأصحاب الزيجات واليهود واليونانيين من النصارى أقوال كثيرة تركناها قصد الاختصار وفي نزهة النواظر عن ابن عساكر بسنده الى انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل حدثه قال مضى من الدنيا ستة آلاف وسبعمائة سنة وذكر محمد بن جرير الطبري ان من آدم الى انقضاء الخلق سبعة آلاف سنة وان طلوع الشمس من مغربها قبل انقضاء العالم ونبي في الارض مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي وثلثمائة وثلاثة عشر من المرسلين ومابقي من الدنيا الا كما بقي من النهار اذا غابت الشمس وبقي حمرة الشمس على الحيطان وفي بعض الاخبار ان أبانا آدم عليه السلام لما خلق قالت له الارض يا آدم قد جئتني بعد ما ذهب جدتي ونضرتي وشبابي وقد خلقت اي بليت وقنيت والذي أثبته بطليموس في المجسطي وأرخه ورصده ان بين هبوط آدم وبين الهجرة ستة آلاف سنة

ابن عباس وقتادة

(ذكر ملك جمشيد)

وأما علماء الفرس فانهم قالوا ملك بعد طهمورث جمشيد والشيد عندهم الشعاع وسموه القمر لقبوه بذلك لجماله وهو جم بن ويجهان وهو أخو طهمورث وقيل انه ملك الاقاليم السبعة وسخر له ما فيها من الجن والانس وعقد التاج على رأسه وأمر لسنة مضت من ملكه الى خمسين سنة بعمل السيوف والدروع وسائر الاسلحة وآلة الصناع من الحديد ومن سنة خمسين من ملكه الى سنة مائة بعمل الابريسم وغزله والقطن والكتان وكل ما يستطاع غزله وحياكة ذلك وصبغه ألوانا ولبسه ومن سنة مائة الى سنة خمسين ومائة صنف الناس أربع طبقات طبقة مقاتلة وطبقة فقهاء وطبقة كتاب وصناع وطبقة حراثين واتخذ منهم خدما ووضع لكل أمر خاتما مخصوصا به فكتب على خاتم الحرب الرفق والمداراة وعلى خاتم الخراج العمارة والعدل وعلى خاتم البريد والرسل الصدق والامانة وعلى خاتم المظالم السياسة والانتصاف وبقيت رسوم تلك الخواتيم حتى محاها الاسلام ومن سنة مائة وخمسين الى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين وأذلهم وقهرهم وسخروا له ومن سنة خمسين ومائتين الى سنة ست عشرة وثلثمائة وكل الشياطين بقطع الاحجار والصخور من الجبال وعمل الرخام والجص والكلس والبناء بذلك الحمامات والنقل من البحار والجبال والمعادن والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر وأنواع الطيب والادوية فنفذوا في ذلك بأمره ثم أمر فصنعت له عجلة من الزجاج فاصفد فيها الشياطين وركبها وأقبل عليها في الهواء من دنباوند الى بابل في يوم واحد وهو يوم هرمز روز افروردين ماه فاتخذ الناس ذلك اليوم عيدا وخمسة أيام بعده وكتب الى الناس في اليوم السادس يخبرهم انه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله فكان من جزائه اياه عليها انه قد جنبهم الحر والبرد والاسقام والهرم والحسد فمكث الناس ثلثمائة سنة بعد الثلثمائة والست عشرة سنة لا يصيبهم شئ مما ذكره ثم بنى قنطرة على دجلة فبقيت دهرا طويلا حتى خربها الاسكندر وأراد الملوك عمل مثلها فعجزوا فعدلوا الى عمل الجسور من الخشب ثم ان جم بطر نعمة الله عليه وجمع الانس والجن والشياطين وأخبرهم انه وليهم ومانعهم بقوته من الاسقام والهرم والموت وتمادى في غيه فلم يحر أحد منهم جوابا وفقد مكانه بهاءه وعزه وتخلت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره فأحس بذلك بيوراسب الذي سمي الضحاك فابتدر الى جم ليلتهمه فهرب منه ثم ظفر به بعد ذلك بيوراسب فاستطرد امعاءه وأشره بمنشار وقيل انه ادعى الربوبية فوثب عليه أخوه ليقتله واسمه اسفتور فتوارى عنه مائة سنة ثم خرج عليه في تواريه بيوراسب فغلبه على ملكه وقيل كان ملكه سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر قلت وهذا الفصل من حديث جم قد أثبتناه تاما بعد ان كنا عازمين على تركه لما فيه من الاشياء التي تمجها الاسماع وتأباها العقول والطباع فانها من خرافات الفرس مع أشياء أخر قد تقدمت قبلها وانما ذكرناها ليعلم جهل الفرس فانهم كثيرا ما يشنعون على العرب بجهالهم وما يفعلوا هذا ولا انا

ومائتين وست عشرة سنة وقد ورد في الحديث النبوي أن مدة عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وأني بعثت في الالف الآخرة فكان في الالف الاولى آدم عليه السلام وفي الثانية ادريس عليه السلام وفي الثالثة نوح عليه السلام وفي الرابعة ابراهيم عليه السلام وفي الخامسة موسى عليه السلام وفي السادسة عيسى عليه السلام وفي الالف السابعة محمد صلى الله عليه وسلم وبه تمت آلاف الدنيا كذا في أصول التواريخ وغيره والله أعلم

(الفصل السابع في ذكر تراجم الابواب المطهرة لاسرار الكتاب)

لو كان كهذا الفصل لخلا من شئ نذكره من أخبارهم

(ذكر الاحداث التي كانت في زمن نوح عليه السلام)

قد اختلف العلماء في ديانة القوم الذين أرسل اليهم نوح فمنهم من قال انهم كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله ومنهم من قال انهم كانوا أهل طاعة بيوراسب أول من أظهر القول بمذهب الصابئين وتبعه على ذلك الذين ارسل اليهم نوح وسنذكر أخبار بيوراسب فيما بعد وأما كتاب الله قال فينطق بأنهم أهل أوثان قال تعالى وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا قلت لاتناقض بين هذه الاقاويل الثلاثة فان القول الحق الذي لايشك فيه هو انهم كانوا أهل أوثان يعبدونها كما نطق به القرآن وهو مذهب طائفة من الصابئين فان أصل مذهب الصابئين عبادة الروحانيين وهم الملائكة لتقربهم الى الله تعالى زلفى فانهم اعترفوا بصانع العالم وانه حكيم قادر مقدس الا انهم قالوا الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى معرفة جلاله وانما نتقرب اليه بالوسايط المقربة لديه وهم الروحانيون وحيث لم يعاينوا الروحانيين تقربوا اليهم بالهياكل وهي الكواكب السبعة السيارة لانها مدبرة لهذا العالم عندهم ثم ذهبت طائفة منهم وهم أصحاب الاشخاص حيث رأوا ان الهياكل تطلع وتغرب وترى ليلا ولاترى نهارا الى وضع الاصنام لتكون نصب أعينهم ليتوسلوا بها الى الهياكل والهياكل الى الروحانيين والروحانيون الى صانع العالم فلهذا كان أصل وضع الاصنام أولا وقد كان أخيرا في العرب من هو على هذا الاعتقاد قال تعالى مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقد حصل من عبادة الاصنام مذهب الصابئين والكفر والفواحش وغير ذلك من المعاصي فلما تمادى قوم نوح على كفرهم وعصيانهم بعث الله اليهم نوحا يحذرهم بأسه ونقمته ويدعوهم الى التوبة والرجوع الى الحق والعمل بما أمر الله تعالى وأرسل نوح وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وقال عون بن شداد ان الله تعالى أرسل نوحا وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وقيل غير ذلك وقد تقدم قال ابن اسحق وغيره ان قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال اللهم اغفر لي ولقومي فانهم لايعلمون حتى اذا تمادوا في معصيتهم وعظمت منهم الخطيئة وتطاول عليه وعليهم الشأن اشتد عليه البلاء وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتي قرن الا كان أخبث من الذي كان قبله حتى ان كان الآخر ليقول قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنونا لايقبلون منه شيأ وكان يضرب ويلف ويلقى في بيته يرون انه قد مات فاذا أفاق اغتسل وخرج اليهم يدعوهم الى الله فلما طال ذلك عليه ورأى الاولاد شرا من الآباء قال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان تك لك فيهم حاجة فاهدهم وان يك غير ذلك فصبرني الى ان تحكم فيهم فأوحى اليه انه ان يؤمن من قومك الا من قد آمن فلما يئس من ايمانهم دعا عليهم فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا الى آخر القصة فلما شكا الى الله واستنصره عليهم أوحى الله اليه ان

اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاقبل نوح على عمل الفلك ولها عن دعاء قومه وجعل يهيئ عتاد الفلك من الخشب والحديد والقير وغيرها مما لا يصلحه سواه وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه فيقول ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون قال ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم وصنع الفلك من خشب الساج وأمره ان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والله أعلم وأمر نوحا ان يجعله ثلاث طبقات سفلى ووسطى وعليا ففعل نوح كما أمره الله تعالى حتى اذا فرغ منه وقد عهد الله اليه اذا جاء أمرنا وفار التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه فلما فار التنور وكان فيما قيل من حجارة كان لحواء وقال ابن عباس كان ذلك تنورا من أرض الهند وقال مجاهد والشعبي كان التنور بأرض الكوفة وأخبرته زوجته بفوران الماء من التنور وأمر الله جبرائيل فرفع الكعبة الى السماء الرابعة وكانت من ياقوت الجنة كما ذكرناه وخبأ الحجر الاسود بجبل أبي قبيس فبقي فيه الى ان بني ابراهيم البيت فأخذه فجعله موضعه ولما فار التنور حمل نوح من أمر الله بحمله وهم أولاده الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم وستة اناسي فكانوا مع نوح ثلاث عشرة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم كلهم بنو شيث وقال قتادة كانوا ثمانية انفس نوح وامرأته وثلاثة بنوه ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة ولم يذكر فيهم زوج نوح وحمل معه جسد آدم ثم أدخل ما أمر الله به من الدواب وتخلف عنه ابنه يام وكان كافرا وكان آخر من دخل السفينة الحمار فلما دخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم ترتفع رجلاه فجعل نوح يأمره بالدخول فلا يستطيع حتى قال ادخل وان كان الشيطان معك فقال كلمة زلت على لسانه فلما قالها ادخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك فتركه ولما أمر نوح بادخال الحيوان السفينة قال أي رب كيف أصنع بالاسد والبقرة وكيف أصنع بالعناق والذئب والطير والهر قال الذي ألقى بينهم العداوة هو يؤلف بينهم فألقى الحمى على الاسد وشغله بنفسه ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره ٭ الا انما الحمى على الاسد الورد

وجعل نوح الطير في الطبق الاسفل من السفينة وجعل الوحش في الطبق الاوسط وركب هو ومن معه من بني آدم في الطبق الاعلى فلما اطمأن نوح في الفلك وأدخل فيه كل من أمر به وكان ذلك بعد ستمائة سنة من عمره في قول بعضهم وفي قول بعضهم ما ذكرناه وحمل معه من حمل جاء الماء كما قال الله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر فكان بين ان أرسل الماء وبين ان احتمل الماء الفلك أربعون يوما وأربعون ليلة وكثر واشتد وارتفع وطمى وغطى نوح عليه وعلى من معه طبق السفينة

وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه الذي هلك وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين وكان كافرا قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء وكان عهد الجبال وهي حرز وملجأ فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وعلا الماء على رؤس الجبال فكان على اعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا فهلك ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلم يبق الا نوح ومن معه والاعوج بن عنق فيما زعم أهل التوراة وكان بين ارسال الماء وبين ان غاض ستة أشهر وعشر ليال قال ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما فاقبلت الوحش حين أصابها المطر والطين الى نوح وسخرت له فحمل منها كما أمره الله فركبوا فيها العشر ليال مضين من رجب وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من آب وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرم فلذلك صام من صام يوم عاشوراء وكان الماء نصفين نصفا من السماء ونصفا من الارض وطافت السفينة بالارض كلها لا تستقر حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا ثم ذهبت في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل بقردى بأرض الموصل فاستقرت عليه فقيل عند ذلك بعدا للقوم الظالمين ولما استقرت قيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء نشفته الارض واقام نوح في الفلك الى ان غاض الماء فلما خرج منها اتخذ بناحية من قردى من أرض الجزيرة موضعا وابتنى قرية سموها ثمانين وهي الآن تسمى سوق الثمانين لان كل واحد ممن معه بنى لنفسه بيتا وكانوا ثمانين رجلا قال بعض اهل التوراة لم يولد لنوح الا بعد الطوفان وقيل ان ساما ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة وقيل ان اسم ولده الذي أغرق كان كنعان وهو يام وأما المجوس فانهم لا يعرفون الطوفان ويقولون لم يزل الملك فينا من عهد جيومرث وهو آدم قالوا ولو كان كذلك لكان نسب القوم قد انقطع وملكهم قد اضمحل وكان بعضهم يقر بالطوفان ويزعم انه كان في اقليم بابل وما قرب منه وان مساكن ولد جيومرث كانت بالمشرق فلم يصل ذلك اليهم وقول الله تعالى أصدق في ان ذرية نوح هم الباقون فلم يعقب أحد ممن كان معه في السفينة غير ولده سام وحام ويافث ولما حضرت نوحا الوفاة قيل له كيف رأيت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وأوصى الى ابنه سام وكان أكبر ولده

(ذكر بيوراسب وهو الازدهاق الذي يسميه العرب الضحاك)

وأهل اليمن يدعون أن الضحاك منهم وانه أول الفراعنة وكان ملك مصر لما قدمها ابراهيم الخليل والفرس تذكر انه منهم وتنسبه اليهم وانه بيوراسب بن ارونداسب بن رينكار بن وندريشتك بن يارين بن فروال بن سيامك بن ميشي بن جيومرث ومنهم من ينسبه هذه النسبة وزعم أهل الاخبار انه ملك الاقاليم السبعة وانه كان ساحرا فاجرا قال هشام بن الكلبي ملك الضحاك بعد جم فيما يزعمون والله أعلم ألف سنة ونزل السواد في قرية يقال لها برس في ناحية طريق الكوفة وملك الارض كلها وسار بالفجور والعسف وبسط يده في القتل وكان أول من سن الصلب والقطع وأول من وضع العشور وضرب الدراهم وأول من تغنى وغنى له قال وبلغنا ان الضحاك هو نمرود وان ابراهيم عليه السلام

ولد فى زمانه وانه صاحبه الذى أراد احراقه وتزعم الفرس ان الملك لم يكن الا لبطن الذى منه أوشهنج وجم وطهمورث وان الضحاك كان غاصبا وانه غصب أهل الارض بسحره وخبثه وهوّل عليهم بالحيتين اللتين كانتا على منكبيه وقال كثير من أهل الكذب ان الذى كان على منكبيه كان لحمتين طويلتين كل واحدة منهما كرأس الثعبان وكان يسترهما بالثياب ويذكر على طريق التهويل أنهما حيتان يقتضيانه الطعام وكانتا تتحركان تحت ثوبه اذا جاع ولقى الناس منه جهدا شديدا وذبح الصبيان لان اللحمتين اللتين كانتا على منكبيه كانتا تضربانه فاذا اطلاهما بدماغ انسان سكنتا فكان يذبح كل يوم رجلين فلم يزل الناس كذلك حتى اذا أراد الله هلاكه وثب رجل من العامة من أهل أصبهان يقال له كابى بسبب ابنين له أخذهما أصحاب بيوراسب بسبب اللحمتين اللتين على منكبيه وأخذ كابى عصا كانت بيده فعلق بطرفها جرابا كان معه ثم نصب ذلك كالعلم ودعا الناس الى مجاهدة بيوراسب ومحاربته فاسرع الى اجابته خلق كثير لما كانوا فيه من البلاء وفنون الجور فلما غلب كابى تفاءل الناس بذلك العلم فعظموه وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علمهم الاكبر الذى يتبركون به وسموه درفش كابيان فكانوا لا يسيرونه الا فى الامور الكبار العظام ولا يرفع الا لاولاد الملوك اذا وجهوا فى الامور الكبار وكان من خبر كابى انه من أهل أصبهان فثار بمن اتبعه فالتفت الخلائق اليه فلما أشرف على الضحاك قذف فى قلب الضحاك منه الرعب فهرب عن منازله وخلى مكانه فاجتمع الاعجام الى كابى فاعلمهم انه لا يتعرض للملك لانه ليس من أهله وأمرهم ان يملكوا بعض ولد جم لانه ابن الملك أوشهنج الاكبر بن فروال الذى رسم الملك وسبق فى القيام به وكان افريدون بن اثفيان مختفيا من الضحاك فوافى كابى ومن معه فاستبشروا به ووافاه فملكوه وصار كابى والوجوه لافريدون اعوانا على أمره فلما ملك وأحكم ما احتاج اليه من أمر الملك واستوى على منازل الضحاك وسار فى اثره فاسره بدنباوند فى جبالها وبعض المجوس تزعم انه وكل به قوما من الجن وبعضهم يقول انه اتى سليمان بن داود وحبسه سليمان فى جبل دنباوند وكان ذلك الزمان بالشام فخارج بيوراسب بحبسه يجره حتى حمله الى خراسان فلما عرف سليمان ذلك أمر الجن فاوثقوه حتى لا يزول وعملوا عليه طلسما كرجلين يدقان باب الغار الذى حبس فيه أبدا لئلا يخرج فانه عندهم لا يموت وهذا أيضا من أكاذيب الفرس الباردة ولهم فيه أكاذيب اعجب من هذا تركنا ذكرها وبعض الفرس يزعم ان افريدون قتله يوم النيروز فقال العجم عند قتله امروز نوروز أى استقبلنا الدهر بيوم جديد فاتخذوه عيدا وكان أسره يوم المهرجان فقال العجم امدمهرجان لقتل من كان يذبح وزعموا انهم لم يسمعوا فى أمور الضحاك بشئ يستحسن غير شئ واحد وهو ان بليته لما اشتدت ودام جوره وتراسل الوجوه فى أمره فاجمعوا على المسير الى بابه فوافاه الوجوه فاتفقوا على ان يدخل عليه كابى الاصبهانى فدخل عليه ولم يسلم فقال ايها الملك أى السلام أسلم عليك سلام من يملك الاقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم فقال بل سلام من يملك الاقاليم لانى ملك الارض فقال كابى اذ كنت تملك الاقاليم كلها فلم

خصصتنا

خصصتنا بالثقالات واسبابك من بينهم ولم لا تقسم الامور بيننا وبينهم وعدد عليه أشياء كثيرة فصدقته فعدل كلامه في الضحاك فأقر بالاساءة وتألف القوم ووعدهم بما يحبون وأمرهم بالانصراف ليعودوا ويقضي حوائجهم ثم ينصرفوا الى بلادهم وكانت أمه حاضرة تسمع معاتبتهم وكانت شرا منه فلما خرج القوم دخلت مغتاظة من احتماله وحلمه عنهم فوبخته وقالت له الا أهلكتهم وقطعت أيديهم فلما أكثرت عليه قال لها يا هذه لا تفكري في شئ الا وقد سبقت اليه الا ان القوم بدهوني بالحق وقرعوني به فكلما هممت بهم تخيل لي الحق بمنزلة الجبل بيني وبينهم فما أمكنني فيهم شئ ثم جلس لاهل النواحي فوفى لهم بما وعدهم وقضى أكثر حوائجهم وقال بعضهم كان ملكه ستمائة سنة وكان عمره ألف سنة وانه كان في باقي عمره شبيها بالملك لقدرته ونفوذ أمره وقيل كان ملكه ألف سنة ومائة سنة وانما ذكرنا خبر بيوراسب ههنا لان بعضهم يزعم ان نوحا كان في زمانه وانما أرسل اليه والى أهل مملكته وقيل انه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة صور ومدينة دمشق

(ذكر ذرية نوح عليه السلام)

قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين انهم سام وحام ويافث وقال وهب بن منبه ان سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم وان حام أبو السودان وان يافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج وقيل ان القبط من ولد قوط بن حام وانما كان السواد في نسل حام لان نوحا نام فانكشفت سوأته فرآها حام فلم يغطها ورآها سام ويافث فألقيا عليه ثوبا فلما استيقظ علم ما صنع حام واخوته فدعا عليهم قال ابن اسحق فكانت امرأة سام بن نوح صلب ابنة بتاويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم فولدت له نفرا أرفخشذ واشوذ ولاوذ وآرم قال ولا أدري آرم لام أرفخشذ واخوته أم لا فمن ولد لاوذ بن سام فارس وجرجان وطسم وعمليق وهو أبو العماليق ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون والفراعنة بمصر وكان اهل البحرين وعمان منهم ويسمون جاشم وكان منهم بنو أميم بن لاوذ اهل وبار بأرض الرمل وهي بين اليمامة والشحر وكانوا قد كثروا فأصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية وهم الذين يقال لهم النسناس وكان طسم ساكني اليمامة الى البحرين فكانت طسم والعماليق وأميم وجاشم قوما عربا لسانهم عربي ولحقت عبيل بيثرب قبل ان تبنى ولحقت العماليق بصنعاء قبل ان تسمى صنعاء وانحدر بعضهم الى يثرب فاخرجوا منها عبيلا فنزلوا موضع الجحفة فأقبل سيل فاجتحفهم اى أهلكهم فسميت الجحفة قال وولد آرم بن سام عوض وعابر وحويل فولد عوض عابر وعاد وعبيل وولد عابر ابن آرم ثمود وجديس وكانوا عربا يتكلمون بهذا اللسان المضري وكانت العرب تقول لهذه الامم ولجرهم العرب العاربة ويقولون لبني اسمعيل العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين أظهرهم فكانت عاد بهذا الرمل الى حضرموت وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى ولحقت جديس بطسم وكانوا معهم باليمامة الى البحرين واسم اليمامة اذ ذاك جو

وسكنت جاشم عمان والنبط من ولد نبيط بن ماش بن آرم بن سام والفرس بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام قال وولد لارفخشذ بن سام ابنه قينان كان ساحرا وولد لقينان شالخ بن أرفخشذ من غير ذكر قينان لما ذكر من سحره وولد لشالخ عابر ولعابر فالغ ومعناه القاسم لان الارض قسمت والالسن تبلبلت فى أيامه وقحطان بن عابر وولد لقحطان يعرب ويقطان فنزلا اليمن وكان أول من سكن اليمن وأول من سلم عليه بابيت اللعن وولد لفالغ ابن عابر ارغو وولد لارغو ساروغ وولد لساروغ ناخور وولد لناخور تارخ واسمه بالعربية آزر وولد لآزر ابراهيم عليه السلام وولد لارفخشذ أيضا نمروذ وقيل هو نمروذ ابن كوش بن حام بن نوح قال هشام بن الكلبي السند والهند بنو توقير بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وجرهم من ولد يقطن بن عابر وحضرموت بن يقطن ويقطن هو قحطان فى قول من نسبه الى غير اسمعيل والبربر من ولد عملاق بن مارب بن فاران ابن عمرو بن عملق بن لاوذ بن سام بن نوح ما خلا صنهاجة وكتامة فانهما بنو فريقش بن صيفى ابن سبا وأما يافث فمن ولده جامر وموعع ومورك وبوان وقوبا وماشج وتيرش فمن ولد جامر ملوك فارس فى قول ومن ولد تيرش الترك والخزر ومن ولد ماشج الاشبان ومن ولد موعع يأجوج ومأجوج ومن ولد بوان الصقالبة وبرجان والاشبان كانوا فى القديم بأرض الروم قبل ان يقع بها من وقع من ولد العيص بن اسحق وغيرهم وقصد كل فريق من هؤلاء الثلاثة سام وحام ويافث أرضا فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها ومن ولد يافث الروم وهم بنو لنطى بن يونان بن يافث بن نوح وأما حام فولد له كوش ومصرايم وقوط وكنعان فمن ولد كوش نمروذ بن كوش وقيل هو من ولد سام وصارت بقية ولد حام بالسواحل من النوبة والحبشة والزنج ويقال ان مصرايم ولد القبط والبربر وأما قوط فقيل انه سار الى الهند والسند فنزلها وأهلها من ولده وأما الكنعانيون فلحق بعضهم بالشام ثم جاءت بنو اسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها وصار الشام لبنى اسرائيل ثم وثبت الروم على بنى اسرائيل فاجلوهم عن الشام الى العراق الا قليلا منهم ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام وكان يقال لعاد عاد ارم فلما هلكوا قيل لثمود ثمود ارم قال وزعم أهل التوراة ان أرفخشذ ولد لسام بعد ان مضى من عمر سام مائة سنة وسنتان وكان جميع عمر سام ستمائة سنة وولد لارفخشذ قينان بعد ان مضى من عمر أرفخشذ خمس وثلاثون سنة وكان عمره أربعمائة وثلاثين سنة ثم ولد لقينان شالخ بعد ان مضى من عمره تسع وثلاثون سنة ولم يذكر مدة عمر قينان فى الكتب لما ذكرنا من سحره ثم ولد لشالخ عابر بعدما مضى من عمره ثلاثون سنة وكان عمره كله أربعمائة وثلاثا وثلاثين سنة ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة وكان عمره أربعمائة وأربعا وسبعين سنة ثم ولد لفالغ أرغو بعد ثلاثين سنة من عمر فالغ وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة وولد لارغو ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة وولد لساروغ ناخور بعد ثلاثين سنة من عمره وكان عمره كله مائتين وثلاثين سنة ثم ولد لناخور تارخ أبو ابراهيم بعدما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وكان عمره كله مائتين وثمانيا وأربعين

وولد

المدن والبلدان وما فيها من عجائب الآثار والسكان ويشتمل على أربعين فصلا)

(الفصل الاول فى ذكر آدم أبى البشر عليه السلام)

اختلف العلماء لم سمى آدم على قولين (أحدهما) انه خلق من أديم الارض ووجهها (والثانى) انه مشتق من الادمة وهى سمرة اللون وآدم اسم عربى وليس بعجمى وذكر الثعلبى ان التراب بلسان العربية آدم وكنيته أبو محمد اظهارا لشرف نبينا عليه السلام وكان اجمل البرية وكان أمرد وانما نبتت اللحى لولده بعده وكان كثير الشعر فى بدنه جعد آدم وانزل عليه عشر صحائف فى عشرين ورقة وهى حروف المعجم وتفسير الوعد والوعيد وتدوين أهل كل زمان وصورهم وسيرتهم مع أنبيائهم وملوكهم وما يحدث فى الارض فابصر آدم عليه السلام ذلك كله وعرف ما يكون فى أولاده كذا فى تفسير الفصول وذكر البونى فى بحر الوقوف فى علم الحروف ان الحروف كانت تتشكل لآدم عليه الصلاة والسلام فى قالب نورانيته عند ارادة سماعها وهى خاصية اختصه الله بها وفى اصول التواريخ كان آدم عليه السلام يخط بالبنان ويرسم الخطوط على الالبان ويعلمها ويكتبها الاولاد وعلمه الله تعالى الالسن كلها فكان يتكلم بألف لسان كذا نقله النسفى فى بحر العلوم وكان من معجزاته ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحجر والشجر يمشى معه وكان يأخذ الحصى بيده ويتكلم معه وكان يزرع الحب ويحصده

وولد لتارخ وهو آزر ابراهيم عليه السلام وكان بين الطوفان ومولد ابراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة وولد لقحطان بن عابر يعرب فولد ليعرب يشجب فولد يشجب سبأ فولد سبأ حمير وكهلان وعمرا والاشعر وانمارا ومرا فولد عمرو بن سبأ عديا وولد عدي لخما وجذاما

(ذكر ملك افريدون)

وهو افريدون بن اثغيان وهو من ولد جمشيد وقد زعم بعض نسابة الفرس ان نوحا هو افريدون الذي قهر الضحاك وسلبه ملكه وزعم بعضهم ان افريدون هو ذو القرنين صاحب ابراهيم الذي ذكره الله في كلامه العزيز وانما ذكرته في هذا الموضع لان قصته في اولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح على ما سيأتي ولحسن سيرته وهلاك الضحاك على يديه ولانه قيل ان هلاك الضحاك كان على يد نوح واما باقي نسابة الفرس فانهم ينسبون افريدون الى جمشيد الملك وكان بينهما عشرة آباء كلهم يسمى اثغيان خوفا من الضحاك وانما كانوا يتميزون بالقاب لقبوها فكان يقال لاحدهم اثغيان صاحب البقر الحمر واثغيان صاحب البقر البلق واشباه ذلك وكان افريدون اول من ذلل الفيلة وامتطاها ونتج البغال واتخذ الاوز والحمام وعمل الترياق ورد المظالم وأمر الناس بعبادة الله والانصاف والاحسان ورد على الناس ما كان الضحاك غصبه من الارض وغيرها الا ما لم يجد له صاحبا فانه وقفه على المساكين وقيل انه أول من سمي الصوفي وهو اول من نظر في علم الطب وكان له ثلاثة بنين اسم الاكبر شرم والثاني طوج والثالث ايرج فخاف ان يختلفوا بعده فقسم ملكه بينهم اثلاثا وجعل ذلك في سهام كتب أسماءهم عليها وأمر كل واحد منهم فاخذ سهما فصارت الروم وناحية العرب لشرم وصارت الترك والصين لطوج وصارت العراق والسند والهند والحجاز وغيرها لايرج وهو الثالث وكان يحبه واعطاه التاج والسرير ومات افريدون ونشبت العداوة بين أولاده وأولادهم من بعدهم ولم يزل التحاسد ينمو بينهم الى ان وثب طوج وشرم على أخيهما ايرج فقتلاه وقتلا ابنين كانا لايرج وملكا الارض بينهما ثلثمائة سنة ولم يزل افريدون يتبع من بقي بالسواد من آل نمروذ والنبط وغيرهم حتى أتى على وجوههم ومحا اعلامهم وكان ملكه خمسمائة سنة

(ذكر الاحداث التي كانت بين نوح وابراهيم)

قد ذكرنا ما كان من أمر نوح وامر ولده واقتسامهم الارض بعده ومساكن كل فريق منهم فكان ممن طغى وبغى فأرسل الله اليهم رسولا فكذبوه فأهلكهم الله هذان الحيان من ولد ارم بن سام بن نوح أحدهما عاد والثاني ثمود فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانت مساكنهم ما بين الشحر وعمان وحضرموت بالاحقاف فكانوا جبارين طوال القامة لم يكن مثلهم يقول الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فأرسل الله اليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص ومن الناس من يزعم انه هود وهو عابر بن شالخ بن

التي تحتاج اليها ذريته كان أبونا آدم عليه السلام اخذها وكشفها من حضرة تعليم الاسماء الكلية التي علمه الله تعالى حين علمه الاسماء ألف حرفة وفي نزهة اللغة ان آدم عليه السلام كان لغته في الجنة العربية المحضة فلما عصى سلبه الله العربية فتكلم بالسريانية ولما أراد الله تعالى خلق آدم عليه السلام اوحى الى الارض اني أريد ان أخلق منك خلقا فمنهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن اطاعني أدخلته جنتي ومن عصاني أدخلته النار فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة ثم أمر الله تعالى جبرائيل ان يأتيه بقبضة من الارض فاقسمت الارض بالله تعالى ان لا يأخذ منها شيأ يكون نصيبا للنار فرجع جبريل عليه السلام ولم يأخذ منها شيأ ثم أمر الله بذلك ميكائيل ثم اسرافيل فرجعا ولم يأخذا منها شيأ ثم أمر الله تعالى بذلك عزرائيل فاخذ ولم يلتفت الى قسمها وأتى بها الى الملك الجبار فقال تعالى أنت تصلح لقبض الارواح وسماه ملك الموت وكان ابليس عليه اللعنة قد وطئ الارض بقدميه فخلقت النفس مما مس قدم ابليس فصارت طباعه ماوى الشر ومن التربة التي لم تصل اليها قدم ابليس أصل الانبياء والاولياء وفي عوارف المعارف ان الله تعالى أمر

قبل ل جبرائيل فهبط في الملائكة المقربين وقبض قبضة من موضع قبره صلى الله عليه وسلم وكانت موضع نظر الله

ارفخشذ بن سام بن نوح وكانوا أهل اوثان ثلاثة يقال لاحدها صدا وللآخر صمود وللثالث الهباء فدعاهم الى توحيد الله وافراده بالعبادة دون غيره وترك ظلم الناس فكذبوه وقالوا من اشد منا قوة ولم يؤمن بهود منهم الا قليلا وكان من أمرهم ما ذكره ابن اسحق قال ان عادا أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هودا فلما أصابهم قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة يستسقون لكم فبعثوا قيل بن عير ولقيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر ولقمان بن عاد بن فلان ابن عاد الاكبر فى سبعين رجلا من قومهم فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر بظاهر مكة خارجا عن الحرم فاكرمهم وكانوا اخواله وصهره لان لقيم بن هزال كان تزوج هزيلة بنت بكر أخت معاوية فأولدها أولادا كانوا عند خالهم معاوية بمكة وهم عبيد وعمرو وعامر وعمير بنو لقيم وهم عاد الآخرة التى بقيت بعد عاد الاولى فلما نزلوا على معاوية أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية فلما رأى معاوية طول مقامهم وتركهم ما أرسلوا له شق عليه ذلك وقال هلك اخوالى واستحيا أن يأمر الوفد بالخروج الى ما بعثوا له فذكر ذلك للجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله لعلهم يتحركون فقال معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يصبحنا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا • قد امسوا لا يبينون الكلاما

فى أبيات ذكرها والهينمة الكلام الخفى فلما غنتهم الجرادتان ذلك الشعر وسمعه القوم قال بعضهم لبعض يا قوم بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذى نزل بهم فابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد انهم والله لا يسقون بدعائكم ولكن أطيعوا نبيكم فأنتم تسقون وأظهر اسلامه عند ذلك فقال جلهمة بن الخيبرى خال معاوية لمعاوية بن بكر احبس عنا مرثد بن سعد وخرجوا الى مكة يستسقون لعاد فدعوا الله تعالى لقومهم واستسقوا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ونادى مناد منها يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال قد اخترت السحابة السوداء فانها أكثر ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقى من عاد أحدا لا والدا تترك ولا ولدا الا جعلته همدا الا بنى اللوذية المهدى وبنو اللوذية بنو لقيم بن هزال كانوا بمكة عند خالهم معاوية بن بكر وساق الله السحابة السوداء بما فيها من العذاب الى عاد فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بامر ربها أى كل شئ أمرت به وكان اول من رأى ما فيها وعرف انها الريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها فهدد فلما رأت ما فيها صاحت وصعقت فلما أفاقت قالوا ماذا رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فلما خرجت الريح من الوادى قال شعبة رهط من الخلجان تعالوا حتى نقوم على شفير الوادى فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله فتدق عنقه وبقى الخلجان فمال الى الجبل وقال

تعالى وهى يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم ثم غمست فى انهار الجنة كلها وطيف بها السموات والارض والبحار فعرفت الملائكة حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم وفضله قبل ان تعرف آدم لقوله عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ثم عجنها بطينة آدم عليه السلام ثم تركها أربعين سنة طينا لازبا يلصق بعضه ببعض ثم تركها أربعين سنة حتى صارت صلصالا كالفخار اذا ضربته صوت ليعلم ان أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتى تصويره ثم جعله جسدا والقاه بين مكة والطائف اربعين سنة وقيل مائة وعشرين سنة وكان ابليس اذا مر به فزع وضربه برجله فيظهر له صوت وصلصلة فيزداد فزعه وكان يدخل فى فيه ويخرج من دبره ويقول لامر ما خلقت ولئن فضلت على لاهلكنك وفى الخبر امطر على جسد آدم عليه السلام الحزن أربعين سنة ثم أمطر عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم فى أولاده وأول ما نفخ الله تعالى من روحه فى دماغ آدم عليه السلام فاستدارت فيه مقدار مائة سنة ثم نزلت فى عينيه ثم الى خياشيمه فعطس فنزلت الروح الى فيه ولسانه فاول كلمة جرت على لسانه الحمد لله رب العالمين فاجابه الله تعالى يرحمك ربك يا آدم ولذلك خلقتك فكان كل عضو تنتهى اليه الروح من جسده يصير لحما وعصبا فلما انتهت الى سرته نهض ليقوم وفخذاه وساقاه من طين فلم يمكنه ذلك فلما وصلت الروح الى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل

لم

لم يبق الا الحلجان نفسه * يالك من يوم دهاني أمسه

بثابت الوطء شديد وطسه * لو لم يجئني جئته أجسه

فقال له هود أسلم تسلم فقال ومالي قال الجنة فقال فما هؤلاء الذين في السحاب كأنهم البخت قال الملائكة قال أيعيذني ربك منهم ان اسلمت قال هل رأيت ملكا لايعيذ من جنده قال لو فعل مارضيت ثم جاءت الريح وألحقته بأصحابه وسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال تعالى والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا الا هلك واعتزل هود والمؤمنون في حظيرة لم يصبه ومن معه الا تلين الجلود وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعاد وفد عاد الى معاوية بن بكر فنزلوا عليه فأتاهم رجل على ناقة فأخبرهم بمصاب عاد وسلامة هود قال وكان قد قيل للقمان بن عاد اختر لنفسك الا انه لاسبيل الى الخلود فقال يارب أعطني عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة أنسر فعمر فيما يزعمون عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ الذكر حين يخرج من بيضته حتى اذا مات أخذ غيره وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة فلما مات السابع مات لقمان معه وكان السابع يسمى لبدا قال وكان عمر هود مائة وخمسين سنة وقبره بحضرموت وقيل بالحجر من مكة فلما هلكوا أرسل الله طيرا اسود فنقلتهم الى البحر فذلك قوله تعالى فأصبحوا لايرى الا مساكنهم ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فذلك قوله أهلكوا بريح صرصر عاتية وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم البيت على من فيه وأما ثمود فهم ولد ثمود بن جاثر بن ارم بن سام وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا فبعث الله اليهم صالح بن عبيد بن اسف بن ماشج بن عبيد بن جادر بن ثمود وقيل اسف بن كماشج بن اروم بن ثمود يدعوهم الى توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة فقالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا وكان الله قد اطال اعمارهم حتى ان كان أحدهم يبني البيت من المدر فينهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فارهين فنحتوها وكانوا في سعة من معايشهم ولم يزل صالح يدعوهم فلم يتبعه منهم الا القليل مستضعفون فلما الح عليهم بالدعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا ياصالح اخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم فارنا آية فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم فدعوا أصنامهم ان لايستجاب لصالح مايدعو به وقال له سيد قومه ياصالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة ناقة جوفاء عشراء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم المواثيق بذلك وأتى الصخرة وصلى ودعا ربه عز وجل فاذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انفجرت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به سيد قومه واسمه جندع بن عمرو ورهط من قومه فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه الناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ومتى عقرتموها أهلككم الله فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما فاذا كان يوم شربها خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملؤا كل وعاء واناء واذا كان يوم شربهم صرفوها عن

جسد آدم عليه السلام فلما أتم الله تعالى خلقه ونفخ فيه الروح كان ذلك آخر ساعة من يوم الجمعة الثامن والعشرين من أدار والطالع الثور وكان دور السنبلة وكان الطالع وقت خلق حواء السرطان كذا في معالم التنزيل وغيره ثم ان الله تعالى أمر الملائكة بالسجود له فأول من سجد اسرافيل عليه السلام فاثابه الله تعالى بان كتب القرآن في جبهته ثم الملائكة اجمعون الا ابليس اللعين فانه استكبر وأبى ان يسجد لآدم عليه السلام فلما عصى الله تعالى صيره شيطانا رجيما ولعنه وسماه ابليسا والمبلس هو العاصي واختلفوا في السجود لآدم عليه السلام على أقوال (أحدها) انه سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة وانما كان انحناء وايماء ووضع اليد على الصدر وقال بعضهم انما كان السجود لآدم حقيقة بان جعل آدم عليه السلام قبلة لهم وسجودهم لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة لصلاة المؤمنين والصلاة لله رب العالمين ومعنى سجودهم انهم اقروا لآدم انه اخير واكرم على الله تعالى منهم وزين الله تعالى آدم بانواع الزينة كان يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبينه كالقمر ليلة البدر ثم حمله على سرير وجعل السرير على اكتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به في السموات فحملته الملائكة على اعناقهم وطافوا به في السموات مقدار مائة سنة ثم اسكنه الجنة فلم يكن من يؤانسه ويجالسه فالقى الله عليه النوم فاخذ من احدى اضلاعه الايسر من غير ان يحس آدم

لماء ثم تشرب منه شيأ وتزودوا من الماء للغد فأوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون
لناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل قال الا تعقروها أنتم يوشك ان يولد فيكم مولود
يعقرها قالوا وما علامته فوالله لانجده الا قتلناه قال فانه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر
قال فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لاحدهما ابن رغب له عن المناكح وللآخر
ابنة لا يجد لها كفؤا فزوج أحدهما ابنه بابنة الآخر فولد بينهما المولود فلما قال لهم
صالح انما يعقرها مولود فيكم اختاروا قوابل من القرية وجعلوا معهن شرطا يطوفون
في القرية فاذا وجدوا امرأة تلد نظروا ولدها ما هو فلما وجدوا ذلك المولود صرخ
النسوة وقلن هذا الذي يريد نبي الله صالح فأراد الشرط ان يأخذوه فحال جداه بينهم
وبينه وقالوا لو أراد صالح هذا لقتلناه فكان شر مولود وكان يشب في اليوم شباب غيره في
الجمعة فاجتمع تسعة رهط منهم يفسدون في الارض ولا يصلحون كانوا قتلوا أبناءهم حين
ولدوا وخوفا ان يكون عاقر الناقة منهم ثم ندموا فاقسموا ليقتلن صالحا وأهله وقالوا نخرج
فترى الناس أنا نريد السفر فنأتي الغار الذي على طريق صالح فنكون فيه فاذا جاء الليل
وخرج صالح الى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى الغار ثم انصرفنا الى رحالنا وقلنا ما شهدنا
قتله فيصدقنا قومه وكان صالح لا يبيت معهم كان يخرج الى مسجد له يعرف بمسجد صالح
فيبيت فيه فلما دخلوا الغار سقطت عليهم صخرة فقتلتهم فانطلق رجال ممن عرف الحال الى
الغار فرأوهم هلكى فعادوا يصيحون ان صالحا أمرهم بقتل أولادهم ثم قتلهم وقيل انما
كان تقاسم التسعة على قتل صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان
التسعة الذين عقروا الناقة قالوا تعالوا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان
كاذبا الحقناه بالناقة فأتوه ليلا في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا فأتى أصحابهم
فرأوهم هلكى فقالوا لصالح أنت قتلتهم وأرادوا قتله فمنعهم عشيرته وقالوا انه قد أنذركم
العذاب فان كان صادقا فلا تزيدوا ربكم غضبا وان كان كاذبا فنحن نسلمه اليكم فعادوا
عنه فعلى القول الاول يكون التسعة الذين تقاسموا غير الذين عقروا الناقة والثاني أصح
والله أعلم واما سبب قتل الناقة فقيل ان قدار بن سالف جلس مع نفر يشربون الخمر فلم
يقدروا على ماء يمزجون به خمرهم لانه كان يوم شرب الناقة فحرض بعضهم بعضا على
قتلها وقيل ان ثمودا كان فيهم امرأتان يقال لاحداهما قطام وللاخرى قبال وكان
قدار يهوى قطام ومصدع يهوى قبال ويجتمعان بهما في بعض الليالي فقالتا لقدار
ومصدع لا سبيل لكما الينا حتى تقتلا الناقة فقالا نعم وخرجا وجمعا أصحابهما وقصدا الناقة
وهي على حوضها فقال الشقي لاحدهم اذهب فاعقرها فأتاها فتعاظمه ذلك فاضرب
عنه وبعث آخر فاعظم ذلك وجعل لا يبعث أحدا الا تعاظمه قتلها حتى مشى هو اليها
فتطاول فضرب عرقوبيها فوقعت تركض وكان قتلها يوم الاربعاء واسمه بلغتهم جبار
وكان هلاكهم يوم الاحد وهو عندهم أول فلما قتلت أتى رجل منهم صالحا فقال أدرك
الناقة فقد عقروها فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون اليه يا نبي الله انما عقرها فلان انه
لا ذنب لنا قال انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى الله ان يرفع عنكم

عليه السلام بذلك فخلق منه حواء واسم ذلك الضلع المراة وبه سميت فلما استيقظ ادم عليه السلام من نومه راها عند
رأسه فقربها اليه فسألته الملائكة
ماهذه يا آدم فقال آدم عليه السلام
عظم من عظامي ولحم من لحمي
قالوا ولم خلقها الله تعالى قال
لتسكن الي واسكن اليها وكان لون
بدنهما كله كاللؤلؤ بين الصدفين
مضيئا مثل شعاع الشمس وكان في
الصلابة كالظفر فلما أكلا من
الشجرة اوهى الله جلدهما وبقى
من ذلك شئ قليل حتى صار في
اطراف أصابعهما ليتذكرا بذلك
أول حالهما فاباح الله تعالى لهما
نعيم الجنة الا شجرة البر وكان حب
الحنطة يومئذ ككلى البقر الين
من الزبد واحلى من الشهد واشد
بياضا من اللبن وكان طول
شجرتها سبعة أذرع ولها خمسة
أغصان في كل منها سنبلة فكانت
خمس حبات ثم ان ابليس أراد
دخول الجنة ليوسوس لآدم
فمنعته الخزنة فادخلته الحية بين
نابيها فلما أدخل وسوس لآدم
وزوجته وحسن لهما الاكل
من الشجرة المذكورة وقرر
عندهما انهما ان اكلا منها خلدا
ولم يموتا فاكلت حواء حبة
واطعمت آدم حبتين فلما وصلت
الى فؤاده طار التاج عن رأسه
واللباس عن ابدانهما وناداهما
القصر اخرجا عني فصارا يهرولان
من شجرة الى شجرة فيطلبان من
ورقها ما يسترهما فيأبى حتى رحمتهما
شجرة التين فاعطتهما من ورقها
فكافأها الله تعالى بان ساوى
ظاهرها وباطنها في المنفعة فاعطاها ثمرتين في عام واحد فلما اهبطا يبس ذلك الورق وذرته الرياح فانتشر الى

العذاب

العذاب فخرجوا يطلبونه ولما رأى الفصيل أمه تضطرب قصد جبلا يقال له القارة
قصيرا فصعده وذهبوا يطلبونه فأوحى الله الى الجبل فطال في السماء حتى ما يناله الطير
ودخل صالح القرية ولما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحا فرغا ثلاثا
فقال صالح لكل رغوة أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وآية
العذاب ان وجوهكم تصبح في اليوم الاول مصفرة وتصبح في اليوم الثاني محمرة وتصبح
في اليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا اذا وجوههم كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم
ذكرهم وانثاهم فلما اصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة فلما أصبحوا في اليوم الثالث
اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فتكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر
وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم الى الارض فجعلوا يقلبون أبصارهم الى
السماء والارض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحة
من السماء فيها صوت كالصاعقة فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين
وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم الا رجلا كان في الحرم فمنعه الحرم قيل
ومن هو قيل ابو رغال وهو أبو ثقيف في قول ولما سار النبي صلى الله عليه وسلم الى قرية
ثمود فقال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها واراهم مرتقى
الفصيل في الجبل واراهم الفج الذي كانت الناقة ترد منه الماء وأما صالح عليه السلام
فانه سار الى الشام فنزل فلسطين ثم انتقل الى مكة فأقام بها يعبد الله حتى مات وهو ابن
ثمان وخمسين سنة وكان قد أقام في قومه يدعوهم عشرين سنة واما أهل التوراة فانهم
يزعمون انه لا ذكر لعاد وهود وثمود وصالح في التوراة قال وأمرهم عند العرب في
الجاهلية والاسلام كشهرة ابراهيم الخليل عليه السلام (قلت) وليس انكارهم ذلك
بأعجب من انكارهم نبوة ابراهيم الخليل ورسالته وكذلك انكارهم حال المسيح عليه
السلام

* (ذكر ابراهيم الخليل عليه السلام ومن كان في عصره من ملوك العجم) *

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن
أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واختلف في الموضع الذي كان فيه والموضع الذي
ولد فيه فقيل ولد بالسوس من أرض الاهواز وقيل ولد ببابل وقيل بكوثى وقيل بحران
ولكن أباه نقله قال عامة أهل العلم كان مولده في عهد نمروذ بن كوش ويقول عامة اهل
الاخبار ان نمروذ كان عاملا للازدهاق الذي زعم بعض من زعم ان نوحا أرسل اليه واما
جماعة من سلف من العلماء فانهم يقولون كان ملكا برأسه قال ابن اسحق وكان ملكه قد
أحاط بمشارق الارض ومغاربها وكان ببابل قال ويقال لم يجتمع ملك الارض الا لثلاثة
ملوك نمروذ وذي القرنين وسليمان بن داود واضاف غيره اليهم بختنصر وسنذكر بطلان
هذا القول فلما أراد الله ان يبعث ابراهيم حجة على خلقه ورسولا الى عباده ولم يكن فيما
بينه وبين نوح نبي الا هود وصالح فلما تقارب زمان ابراهيم اتى اصحاب النجوم نمروذ
فقالوا له انا نجد غلاما يولد في قريتك هذه يقال له ابراهيم يفارق دينكم ويكسر

بلاد الهند فيه أصل جميع الطيب والبهار وبكى عليه جميع ما في الجنة الا الذهب والفضة وشجرة العود فناداهم الله تعالى لم لا بكيتم على عبدي فقالوا ربنا ما نبكي على عبد عصاك فقال لو كان عندكم رقة لبكيتم خوفا من مكري فوعزتي وجلالي لا ينتفع بكما الا بدخولكما النار وأنت يا شجرة العود لا يفوح لك رائحة الا في النار موقدة قال اصحاب السير فلما أكلا من الحنطة أوحى الله تعالى الى ادم أن يا آدم لم أكلت من الشجرة المنهية فقال يارب اغواني ابليس وزين لي أكلها وحلف لي انه قد نصح ولم أدر أن أحدا يحلف بك كاذبا فاهبط الله تعالى آدم وحواء وابليس والحية والطاوس الى الارض وكان مهبطهما حين اهبطا من جنة عدن فهبط آدم في جزيرة سرنديب على جبل الراهون وهو جبل عال بأرض الهند يراه البحريون من مسافة بعيدة وفيه أثر قدمي آدم عليه السلام مغموستين في الجبل على الصخر وكانت قدمه سبعين ذراعا ويرى على هذا الجبل كل ليلة على هيئة البرق ولابد له في كل يوم من مطر يغسل قدم آدم عليه السلام ويقال ان الياقوت الاحمر والالماس موجودان فيه تحدره السيول الى الحضيض واهبطت حواء بجدة * وفي تاريخ القدس لما نزل آدم على سرنديب سجد فوقعت جبهته على صخرة بيت المقدس لانه ارفع محل على وجه الارض وكان رجلاه على الجبل ورأسه في السماء يسمع تسبيح الملائكة فهابته الملائكة فجعلت قامته الى ستين ذراعا وكل خطوة منه ثلاثة مراحل وفي أي موضع وطئ بقدمه كان بلادا وقرية

أصنامكم فيشم وكذا من سنة كذا فلما دخلت السنة التي ذكروا حبس نمروذ الحبالى عنده الا أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانه لم يظهر عليها أثره فذبح كل غلام ولد في ذلك الوقت فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبة منها فولدت ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ثم رجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فكان يشب في اليوم ما يشب غيره في الشهر وكانت تجده حيا يمص ابهامه جعل الله رزقه فيها وكان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وقيل بل علم آزر بولادة ابراهيم وكتمه حتى نسي الملك ذكر ذلك فقال آزر ان لي ابنا قد خبأته أفتخافون عليه الملك ان أنا جئت به فقالوا لا فانطلق فأخرجه من السرب فلما نظر الى الدواب والى الخلق ولم يكن رأى قبل ذلك غير أبيه وأمه جعل يسأل أباه عما يراه فيقول أبوه هذا بعير أو بقرة أو غير ذلك فقال ما لهؤلاء الخلق بد من ان يكون لهم رب وكان خروجه بعد غروب الشمس فرفع رأسه الى السماء فاذا هو بالكوكب وهو المشتري فقال هذا ربي فلم يلبث ان غاب فقال لا أحب الآفلين وكان خروجه في آخر الشهر فلهذا رأى الكوكب قبل القمر وقيل كان تفكره وهو ابن خمسة عشر شهرا وقال لامه وهو في المغارة اخرجيني انظر فأخرجته عشاء فنظر فرأى الكوكب وتفكر في خلق السموات والارض وقال في الكوكب ما تقدم فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما غاب قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نورا أعظم من كل ما رأى فقال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون ثم رجع ابراهيم الى أبيه وقد عرف ربه وبرئ من دين قومه الا انه لم ينادهم بذلك فأخبرته امه بما كانت صنعت من كتمان حاله فسره ذلك وكان آزر يصنع الاصنام التي يعبدونها ويعطيها ابراهيم ليبيعها فكان ابراهيم يقول من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه فلا يشتريها منه أحد وكان يأخذها وينطلق بها الى نهر فيضرب رؤوسها فيه ويقول اشربي استهزاء بقومه حتى فشا ذلك عنه في قومه غير انه لم يبلغ خبره نمروذ فلما بدا لابراهيم ان يدعو قومه الى ترك ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا أباه الى التوحيد فلم يجبه ودعا قومه فقالوا من تعبد أنت قال رب العالمين قالوا نمروذ قال بل اعبد الذي خلقني فظهر أمره وبلغ نمروذ ان ابراهيم أراد ان يري قومه ضعف الاصنام التي يعبدونها ليلزمهم الحجة فجعل يتوقع فرصة ينتهي بها الفعل بأصنامهم فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم أي طعين ليهربوا منه اذا سمعوا به وانما يريد ابراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم وكان لهم عيد يخرجون اليه بجميعهم فلما خرجوا قال هذه المقالة فلم يخرج معهم الى العيد وخالف الى أصنامهم وهو يقول تالله لأكيدن أصنامكم فسمعه ضعفاء الناس ومن هو في آخرهم ورجع الى الاصنام وهي في بهو عظيم بعضها الى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي آلهتهم وقالوا نترك الآلهة الى حين نرجع فنأكله فلما نظر ابراهيم الى ما بين أيديهم من الطعام قال ألا تأكلون فلما لم يجبه أحد قال ما لكم لا تنطقون فراغ

عليهم

وهو أول من مشى في الارض ولما اهبط آدم عليه السلام من الجنة اخرج معه صرة من الحنطة وقيل كان معه سبعة واحدة انفرقت ستمائة حبة ومعه ثلاثون قضيبا من أشجار الجنة فكل قضيب منها مودع اصناف الثمار منها ماله قشر وذوات النوى ومنها ما لا قشر لها وأنزل معه الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وكان يمشي كما تمشي الشمس والقمر ويده عصاه موسى عليه السلام كانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع ومكث في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة خمسمائة عام وقيل ساعة من ساعات الآخرة وهي مقدار ثمانين عاما من اعوام الدنيا وكان أول شيء أكله في الجنة العنب وآخر شيء أكله الحنطة وكذلك عند وفاته واستمر مائة سنة يبكي على خطيئته ولا يرفع رأسه حياء من الله تعالى فجاءه جبريل عليه السلام فقال له يا آدم هذا بكاؤك لفراق الجنان فأين بكاؤك لفراق الرحمن فبكى مائة سنة أخرى تجري من احدى عينيه مثل الفرات ومن الاخرى مثل دجلة فلما تاب الله عليه امره ان يتوجه الى الحرم أي مكة فتوجه فاهبط الله تعالى عليه خيمة من خيم الجنة فنصبها بمكان البيت الحرام ونصب الحجر الاسود فلما أمره الله تعالى بالحج وانتهى الى عرفات التي بها حواء فتعارفا فمن ثم سمي عرفات ثم اشتكى العري فأمره الله تعالى ان يذبح كبشا فذبحه واخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم عليه السلام ولبساه ثم أمره جبريل عليه السلام ان يتخذ آلات الحرث ففعل ذلك وجعل يحرث الارض على

عليهم ضربا باليمين فكسرها بفاس في يده حتى اذا بقي أعظم صنم منها ربط الفاس بيده ثم تركهن فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم راعهم ذلك واعظموه وقالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم يعمون يسبها ويعيبها ولم نسمع ذلك من غيره وهو الذى نظنه صنع بها هذا وبلغ ذلك نمروذ واشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ما نفعل به وقيل يشهدون عليه كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فلما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمروذ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون غضب من ان تعبدوا هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها فارعووا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرها الى أنفسهم فيما بينهم فقالوا لقد ظلمناه وما نراه الا كما قال ثم قالوا وعرفوا انها لا تضر ولا تنفع ولا تبطش لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أى لا يتكلمون فيخبرونا من صنع هذا بها وما تبطش بالايدى فنصدقك يقول الله تعالى ثم نكسوا على رؤسهم في الحجة عليهم لابراهيم فقال لهم ابراهيم عند قولهم ما هؤلاء ينطقون أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ثم ان نمروذ قال لابراهيم أرأيت الهك الذى تعبد وتدعو الى عبادته ما هو قال ربى الذى يحيي ويميت قال نمروذ أنا أحيي وأميت قال ابراهيم وكيف ذلك قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فأقتل أحدهما فأكون قد أمته واعفو عن الآخر فأكون قد أحييته فقال ابراهيم ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ ثم انه وأصحابه اجمعوا على قتل ابراهيم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم قال عبد الله بن عمر أشار بتحريقه رجل من اعراب فارس قيل له وللفرس اعراب قال نعم الاكراد هم اعرابهم قيل كان اسمه هيزن نخسف به فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة فأمر نمروذ بجمع الحطب من اصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتنذر ان بلغت ما تطلب ان تحتطب لنار ابراهيم حتى اذا أرادوا ان يلقوه فيها قدموه واشعلوا النار حتى ان كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدتها وحرها فلما أجمعوا لقذفه فيها صاحت السماء والارض وما فيها الا الثقلين الى الله صيحة واحدة اى ربنا ابراهيم ليس في أرضك من يعبدك غيره يحرق بالنار فيك فأذن لنا في نصره قال الله تعالى ان استغاث بشئ منكم فلينصره وان لم يدع غيري فانا له فلما رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه الى السماء وقال اللهم أنت الواحد في السماء وأنت الواحد في الارض حسبي الله ونعم الوكيل وعرض له جبريل وهو يوثق فقال ألك حاجة يا ابراهيم قال أما اليك فلا فقذفوه في النار فناداها الله فقال يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وقيل ناداها جبريل فلو لم يتبع بردها سلام لمات ابراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار الا طفئت ظنت انها هي وبعث الله ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد فيها الى جنبه يؤنسه فمكث نمروذ اياما لا يشك ان النار قد اكلت ابراهيم فرأى كأنه نظر فيها وهي يحرق بعضها بعضا وابراهيم جالس الى جنبه رجل مثله فقال لقومه لقد رأيت كان ابراهيم حي ولقد شبه على ابنوا لى صرحا يشرف بى على النار فبنوا له وأشرف منه فرأى ابراهيم

الثوربن فبكى الثوران على مافاتهما من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت منها الجاورس وبالاقنبت منه الحمص وبالثانبت منه العدس (وفي التوراة) ان آدم عليه السلام جامع حواء قبل ان يصيب الطعمة فحملت فولدت له قابيل وتوأمته بنومين فلم تجد لهما ألما وطلقا ولم ترمعهما دما لطهارة الجنة ثم ولدت هابيل وتوأمته برقان بعد ذلك فوجدت ما تجده النساء وكان قابيل حراثا وهابيل راعى الغنم فلما كبرا زوج آدم عليه السلام اخت قابيل لهابيل وأخت هابيل لقابيل وكانت اخت قابيل اجمل من اخت هابيل فلما فرق آدم عليه السلام بينهما كان من امرهما ما ذكره الله تعالى في كتابه (واختلف) في موضع قتله فقال ابن عباس رضى الله عنهما بالهند على جبل نود وقال بعضهم عند عقبة جبل حراء بمكة المشرفة وقال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في دمشق بجبل قاسيون وله قبر كبير على قلة جبل عال بوادى بردى بقرب قرية الحسينية وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما قتل قابيل هابيل وكان آدم عليه السلام بمكة رأى الاطعمة تغيرت واشتاك الشجر وحمضت بعض الفواكه وفتر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فأتى الهند فوجد ولده قد قتل فانشأ يقول

تغيرت البلاد ومن عليها
فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى لون وطعم * وقل بشاشة الوجه الصبيح

قيل مكث آدم عليه السلام مائة سنة حزينا لا يضحك بسبب قتل ولده

جالسا والى جانبه رجل فى صورته فناداه نمروذ يا ابراهيم ان الهك كبير الذى بلغت قدرته وعزته ان حال بينك وبين ما ارى هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال أتخشى ان أقت فيها قال لا فقام ابراهيم فخرج منها فلما خرج قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيت معك مثل صورتك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فقال نمروذ انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت الا عبادته فقال ابراهيم اذا لا يقبل الله منك ما كنت على شئ من دينك فقال يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكى وقرب أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم ومنعه الله منه وآمن مع ابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمروذ وملئهم وآمن له لوط بن هاران وهو ابن أخى ابراهيم وكان لهم أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ وهو أبو بتويل وبتويل أبو لابان وأبو ربقا امرأة اسحق ابن ابراهيم أم يعقوب ولابان أبو ليا وراحيل زوجتى يعقوب وآمنت به سارة وهى ابنة عمه وهى سارة ابنة هاران الاكبر عم ابراهيم وقيل كانت ابنة ملك حران فآمنت بالله تعالى مع ابراهيم

(ذكر هجرة ابراهيم عليه السلام ومن آمن معه)

ثم ان ابراهيم والذين اتبعوا أمره اجمعوا على فراق قومهم فخرج مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق ابن لاوذ بن سام بن نوح وقيل كان أخا الضحاك استعمله على مصر وكانت سارة من أحسن النساء وجها وكانت لا تعصى ابراهيم شيأ فلما وصفت لفرعون أرسل الى ابراهيم فقال من هذه التى معك قال أختى يعنى فى الاسلام وتخوف ان قال هى امرأتى أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى فأمر بذلك ابراهيم فتزينت وأرسلها اليه فلما دخلت عليه اهوى بيده اليها وكان ابراهيم حين ارسلها قام يصلى فلما اهوى اليها أخذ أخذا شديدا فقال ادعى الله ولا اضرك فدعت له فأرسل فاهوى اليها فأخذ أخذا شديدا فقال ادعى الله ولا أضرك فدعت له فأرسل ثم فعل ذلك الثالثة فذكر مثل المرتين فدعا أدنى حجابه فقال انك لم تأتنى بانسان وانك أتيتنى بشيطان أخرجها واعطها هاجر ففعل فاقبلت بهاجر فلما احس ابراهيم بها انفتل من صلاته فقال مهيم فقالت كفى الله كيد الكافرين وأخدم هاجر وكان ابو هريرة يقول تلك امكم يا بنى ماء السماء وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث مرات اثنتين فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله فى سارة هى أختى

(ذكر ولادة اسمعيل عليه السلام وحمله الى مكة)

قيل كانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم وقالت خذها لعل الله يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى اسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت اسمعيل ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما يعنى ولادة هاجر فكان ابراهيم قد خرج بها الى الشام من مصر خوفا من فرعون فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهى من السبع مسيرة يوم وليلة

هابيل فعوضه الله تعالى بغلام سماه شيثا ومن ابيل انه خلف من عند الله مكان هابيل وولد لآدم عليه السلام اربعون ولدا فى عشرين بطنا كذا فى العرائس (وفى شفاء الصدور) ان الله تعالى لما عرض على آدم عليه السلام كل شئ مما خلق قال له اختر من خلقى ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز اولادك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا ولما احتضر كانت مدة مرضه احد عشر يوما وتولى غسله شيث عليه السلام وصلى عليه وقيل صلى عليه جبريل وكبر عليه ثلاثين تكبيرة وقيل اربعا وستين تكبيرة والملائكة خلف جبريل وبنوه خلف الملائكة ودفنوه فى جبل ابى قبيس فى مكان يقال له غار الكنز فلم يزل آدم عليه السلام فى ذلك الغار حتى كان زمن الغرق فاستخرجه نوح عليه السلام وحمله فى تابوت معه فى السفينة فلما خرج رده الى مكانه وقيل ذهب به الى بيت المقدس ويؤيد ذلك ما ذكره فى اتحاف الاخصاء ان قبر آدم عليه السلام فى بيت المقدس رأسه عند مسجد ابراهيم عليه السلام حبرون ورجلاه عند الصخرة الشريفة وبينهما ثمانية عشر ميلا فاذا كان يوم القيامة اقامه الله تعالى على رجليه ثم يحشر ذريته اليه ويقول الله تعالى يا آدم اليك حشرت ذريتك لكرامتك على وقيل دفن فى مسجد الخيف بمنى وقيل دفن فى مشارق الفردوس عند قرية هى أول قرية كانت فى الارض وكسفت عليه الشمس وكانت وفاته يوم الجمعة لست خلون من نيسان فى

فبعثه الله نبيا وكان ابراهيم قد اتخذ بالسبع بئرا ومسجدا وكان ماء البئر معينا طاهرا فآذاه
أهل السبع فانتقل عنهم فنضب الماء فاتبعوه يسألونه العود اليهم فلم يفعل وأعطاهم سبعة
اعنز وقال اذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معينا طاهرا فاشربوا منه ولا تغترف منه
امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فلما وقفت على الماء ظهر اليها وكانوا يشربون منه الى أن
غرفت منه امرأة طامث فعاد الماء الى الذى هو عليه اليوم وأقام ابراهيم بين الرملة وايليا
ببلد يقال له قط أو قط قال فلما ولد اسمعيل حزنت سارة حزنا شديدا فوهبها الله اسحق وعمرها
سبعون سنة فعمر ابراهيم مائة وعشرون سنة فلما كبر اسمعيل واسحق اختصما فغضبت
سارة على هاجر فأخرجتها ثم أعادتها فغارت منها فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة
فتركت أنفها وأذنها لئلا تشينها ثم خفضتها فمن ثم خفض النساء وقيل كان اسمعيل صغيرا
وانما أخرجتها سارة غيرة منها وهو الصحيح وقالت سارة لا تساكنني فى بلد فأوحى الله الى
ابراهيم أن يأتى مكة وليس بها يومئذ نبت فجاء ابراهيم باسمعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة
بموضع زمزم فلما مضى نادته هاجر يا ابراهيم من أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع
ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس قال ربى أمرنى قالت فانه لن يضيعنا فلما ولى قال ربنا انك
تعلم ما نخفى وما نعلن يعنى من الحزن وقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند
بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم الآية فلما ظمئ اسمعيل
جعل يدحض الارض برجله فانطلقت هاجر حتى صعدت الصفا لتنظر هل ترى شيأ فلم ترشيأ
فانحدرت الى الوادى فسعت حتى أتت المروة فاستشرفت هل ترى شيأ فلم ترشيأ ففعلت
ذلك سبع مرار فذلك أصل السعى ثم جاءت الى اسمعيل وهو يدحض الارض بقدميه
وقد نبعت العين وهى زمزم فجعلت تفحص الارض بيدها عن الماء وكلما اجتمع أخذته
وجعلته فى سقائها قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم يرحمها الله لو تركتها لكانت عينا
سائحة وكانت جرهم بواد قريب من مكة ولزمت الطير الوادى حين رأت الماء فلما رأت
جرهم الطير لزمت الوادى قالوا ما لزمته الا وفيه ماء فجاؤا الى هاجر فقالوا لو شئت لكنا معك
فآنسناك والماء ماؤك قالت نعم فكانوا معها حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل
امرأة من جرهم فتعلم العربية منهم هو وأولاده فهم العرب المتعربة واستأذن ابراهيم
سارة أن يأتى هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم وقد ماتت هاجر فذهب
الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل
يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع قال ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندى ضيافة
وما عندى أحد فقال ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له فليغير عتبة بابه
وعاد ابراهيم وجاء اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل عندك أحد قالت جاءنى
شيخ كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال اقرئى زوجك السلام وقولى
له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة
ان يزور اسمعيل فأذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب
اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب ليتصيد وهو يجىء الآن ان شاء الله

اليوم والساعة التى كان فيها خلقه وعاشت حوّاء بعده سنة واحدة ثم ماتت ودفنت مع زوجها وقيل دفنت بجدّه
وعمرها تسعمائة سنة وسبع
وتسعون سنة ولم يمت آدم عليه
السلام حتى بلغ ولده وولد ولده
أربعين ألفا وقيل ألفى ألف وفى
التوراة ان آدم عليه السلام عاش
تسعمائة سنة وثلاثين سنة وقال
وهب عاش آدم عليه السلام ألف
سنة والله سبحانه وتعالى أعلم أى
ذلك كان

(الفصل الثانى فى ذكر شيث عليه السلام)

كان أجل ولد آدم عليه السلام
وأفضلهم وأشبههم به وأحبهم
اليه وكان وصى أبيه عليه السلام
وولى عهده واليه انتهت انساب
الناس وهو اسم عجمى حكى ان
حوّاء حملت بشيث حتى نبتت
أسنانه وكانت تنظر الى وجهه من
صفائه فى بطنها ولما وضعته أخذته
الملائكة فمكث عندهم أربعين
يوما وعلموه ألسنتهم ثم ردّوه اليها
وهو أوّل من تكلم بالعبرانية وأوّل
من رأى اللعبة وأوّل من لبس
القلنسوة والنعلين وهو الذى بنى
الكعبة بالطين والحجارة وكانت هنالك
خيمة لآدم عليه السلام وأنزل
الله عليه خمسين صحيفة وكانت
ولادته لمضى مائتين وثلاثين سنة
من عمر آدم عليه السلام وعاش
تسعمائة سنة واثنتى عشرة سنة
واختلف فى مكان قبره قيل انه
دفن فى قبر أبيه آدم عليه السلام
وقيل دفن بقرية سرعين من اعمال
بعلبك وله قبر هنالك يزار ويتبرك به
وقد زرته وولد لشيث انوش وهو أوّل من علم الكتاب وحساب الشهور والسنين وأحسن عبادة الله تعالى وفى

تعالى فانزل يرحمك الله فقال لها فعندك ضيافة قالت نعم قال فهل عندك خبز أو بر أو شعير أو تمر قال فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز أو تمر أو بر او شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك فقالت انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام بالاناء فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر ففعلت به كذلك فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه منى السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدمه وهو يقرئك السلام ويقول قد استقامت عتبة بابك قال ذاك ابراهيم وقيل ان الذى انبع الماء جبريل فانه نزل الى هاجر وهي تسعى في الوادى فسمعت حسه فقالت قد اسمعتنى فاغثني فقد هلكت أنا ومن معي فجاء بها الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عينا فتعجب فجعلت تفرغ في شنها فقال لها لا تخافي الظما

•(ذكر عمارة البيت الحرام بمكة)•

قيل ثم أمر الله ابراهيم ببناء البيت الحرام فضاق بذلك ذرعا فأرسل الله السكينة وهي ريح خجوج وهي اللينة الهبوب لها رأسان فسار معها ابراهيم حتى انتهت الى موضع البيت فتطوقت عليه كتطوى الحجفة فأمر ابراهيم ان يبنى حيث تستقر السكينة فبنى ابراهيم وقيل أرسل الله مثل الغمامة له راس فكلمه وقال يا ابراهيم ابن على ظلى او على قدرى لا تزد ولا تنقص شيئا وهذان القولان نقلا عن على وقال السدى الذى دله على موضع البيت جبريل فسار ابراهيم الى مكة فلما وصلها وجد اسمعيل يصلح نبلا له وراء زمزم فقال له يا اسمعيل ان الله قد امرنى ان أبنى له بيتا قال اسمعيل فأطع ربك فقال ابراهيم قد امرك ان تعيننى على بنائه قال اذن أفعل فقام معه فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتنى بحجر حسن اضعه على الركن فيكون للناس علما فناداه ابو قبيس ان لك عندى وديعة وقيل بل جبريل أخبره بالحجر الاسود فأخذه ووضعه موضعه وكانا كلما بنيا دعوا الله ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر وهو مقام ابراهيم فجعل يناوله فلما فرغ من بناء البيت امره الله ان يؤذن فى الناس بالحج فقال ابراهيم يارب وما يبلغ صوتى قال اذن وعلى البلاغ فنادى ايها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فسمعه ما بين السماء والارض وما فى اصلاب الرجال وارحام النساء فأجابه من آمن ممن سبق فى علم الله ان يحج الى يوم القيامة فأجيب لبيك لبيك ثم خرج باسمعيل معه الى التروية فنزل به منى ومن معه من المسلمين فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم بات حتى اصبح فصلى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهم الى الموقف من عرفة الذى يقف عليه الامام فوقف به على الاراك فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى اتى المزدلفة

زمانه قتل قابيل رماه الملك الاعمى بحجر فشدخ رأسه فمات وانوش أول من غرس النخلة ونطق بالحكمة عاش تسعمائة سنة وخمسا وستين سنة وولد لانوش قينان فى أيام جده وكان رجلا تقيا صالحا جمع أولاد أبيه وتهيأ لمحاربة الجن لتمردهم عليه وعلى أولاد أبيه واسترقهم بالقتل حتى تقاصر عن تقدمه وعن تواليه عاش سبعمائة سنة وعشرين سنة وولد له مهلائيل قام فى قومه بطاعة الله تعالى واتبع وصية آدم عليه السلام وفى زمانه نزل القبطى وبعض أولاد آدم عليه السلام الجبل المقدس واشتغلوا باللهو ومخالطة بنات قابيل ومن بعده تفرقت الكلمة وتحزبت الناس احزابا وفى زمانه قسم الدنيا خمس فرق وخص ولد شيث عليه السلام بأكثرها خيرا عاش تسعمائة سنة وخمسا وستين سنة وولد لمهلائيل يارد وكان فى أيامه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا قوما صالحين فماتوا فى شهر واحد فحزن أقاربهم عليهم فقال رجل من بنى قابيل يا قوم هل لكم ان أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير انى لا أقدر ان أجعل فيهم روحا قالوا نعم فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم من خشب الساج ثم نصبها لهم فكان الرجل يأتى أخاه وعمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الاول ثم جاء من بعدهم القرن الثانى فعظموهم أعظم من تعظيم القرن الاول ثم جاء القرن الثالث فقالوا ما عظم أولونا هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله تعالى فعبدوهم فهذا سبب عبادة الاصنام وولد ليارد اخنوخ وهو ادريس عليه

بجمع

فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قزح حتى اذا اسفر دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ثم عاد به الى منى ليريه كيف رمى الجمار حتى فرغ من الحج وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان جبريل هو الذى أرى ابراهيم كيف يحج ورواه عنه ابن عمر ولم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى أن هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد النبى صلى الله عليه وسلم على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قصة الذبيح)

واختلف السلف من المسلمين فى الذبيح فقال بعضهم هو اسمعيل وقال بعضهم هو اسحق وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما صحيح لم نعده الى غيره فأما الحديث فى أن الذبيح اسحق فقد روى الاحنف عن العباس بن عبد المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث ذكر فيه وفديناه بذبح عظيم هو اسحق وقد روى هذا الحديث عن العباس من قوله لم يرفعه واما الحديث الآخر فى ان الذبيح اسمعيل فقد روى الصنابحى قال كنا عند معاوية بن ابى سفيان فذكروا الذبيح فقال على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يارسول الله عد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك صلى الله عليه وسلم فقيل لمعاوية وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب نذر ان سهل الله حفر زمزم أن يذبح أحد أولاده فخرج السهم على عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم ففداه بمائة بعير وسنذكره ان شاء الله والذبيح الثانى اسمعيل

(ذكر من قال انه اسحق)

ذهب عمر بن الخطاب وعلى والعباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله رضى الله عنهم فيما رواه عنه عكرمة وعبد الله بن مسعود وكعب وابن سابط وابن أبى الهذيل ومسروق الى ان الذبيح اسحق عليه السلام حدث عمرو بن أبى سفيان بن أبى أسيد بن أبى جارية الثقفى ان كعبا قال لابى هريرة ألا أخبرك عن اسحق بن ابراهيم قال بلى قال كعب لما رأى ابراهيم ذبح اسحق قال الشيطان والله لئن لم افتتن عند هذا آل ابراهيم لم افتتن أحدا منهم بعد ذلك أبدا فتمثل رجلا يعرفونه فأقبل حتى اذا خرج ابراهيم باسحق ليذبحه دخل على سارة امرأة ابراهيم فقال لها أين أصبح ابراهيم غاديا باسحق قالت لبعض حاجته قال لا والله انما غدا به ليذبحه قالت سارة لم يكن ليذبح ولده قال الشيطان بلى والله لانه زعم ان الله قد أمره بذلك قالت سارة فهذا أحسن ان يطيع ربه ثم خرج الشيطان فأدرك اسحق وهو مع أبيه فقال له ان ابراهيم يريد أن يذبحك قال اسحق ما كان ليفعل قال بلى والله انه زعم أن ربه امره بذلك قال اسحق فوالله لان أمره ربه بذلك ليطيعنه فتركه ولحق ابراهيم فقال أين أصبحت غاديا بابنك قال لبعض حاجتى قال لا والله انما تريد تذبحه قال ولم قال لانك زعمت أن الله أمرك بذلك قال ابراهيم فوالله ان كان الله أمرنى بذلك لافعلن فلما أخذ ابراهيم اسحق ليذبحه أعفاه الله من ذلك وفداه بذبح عظيم واوحى الله الى اسحق انى معطيك دعوة أستجيب لك فيها قال اسحق اللهم فأيما عبد لقيك من الاولين

السلام كان رجلا طويلا ضخم البطن عظيم الصدر قليل شعر الجسد كثير شعر الرأس وكانت احدى أذنيه أعظم من الاخرى وكانت فى جسده نكتة بيضاء من غير برص وكان رقيق الصوت قريب الخطا اذا مشى كذا ذكره ابن قتيبة فى الانساب وكان نبيا وملكا عظيما ولد بمصر ويسموه هرمس الهرامسة أى أسد الاسود وهو عطارد وفى المختصر فى اخبار البشر نبأ الله تعالى ادريس عليه السلام وكشف له الاسرار السماوية وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ونزل عليه جبريل أربع مرات كذا فى الانس الجليل ومن معجزاته انه كان يرى الملائكة فى الهواء حين يظهرون وكان كلما يدعو السحاب أجابه بلغته وسمعه الناس يتكلم مع السحاب وفى عجائب الدنيا للمسعودى ان ادريس عليه السلام صب الرصاص ذهبا بصاصا وهو الذى يسمى المثلث لانه نبى وملك وحكيم ودفع اليه كتاب سر الملكوت الذى علمه زرائيل الملك لآدم عليه السلام وكانوا يتوارثونه مختوما لا ينظرون فيه ولم يفتحه بعد شيث غير ادريس عليه السلام وانما سمى ادريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الاسلام وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم وعلم الرياضة والمنطق والطبيعى والالهى وابرار الفلك وهو أول من خط بالقلم وخاط الثياب ولبسها وكانوا قبله يلبسون الجلود وهو أول من جاهد فى سبيل الله ونهى أرباب الفساد من بنى آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث

والاخرين لا يشرك بك شيأ فادخله الجنة وقال عبيد بن عمير قال موسى يارب يقولون بالاه ابراهيم واسحق ويعقوب فبم نالوا ذلك قال ان ابراهيم لم يعدل بى شيأ قط الا اختارنى وان اسحق جادلى بالذبح وهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادنى حسن ظن بى (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين وجارية بالجيم)

•(ذكر من قال ان الذبيح اسمعيل عليه السلام)•

روى سعيد بن جبير ويوسف بن مهران والشعبى ومجاهد وعطاء بن أبى رباح كلهم عن ابن عباس انه قال ان الذبيح اسمعيل وقال زعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود وقال ابو الطفيل والشعبى ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظى انه اسمعيل قال الشعبى رأيت قرنى الكبش فى الكعبة قال محمد بن كعب ان الذى أمر الله ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك فى كتاب الله فى قصته الخبر عن ابراهيم وما أمر به من ذبحه ابنه أنه اسمعيل وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى ابراهيم قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وتقول وبشرناها باسحق نبيا ومن وراء اسحق يعقوب بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح اسحق وله فيه من الله عزوجل ما وعده وما الذى أمر بذبحه الا اسمعيل فذكر ذلك محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة فقال ان هذا الشئ ما كنت انظر فيه وانى لاراه كما قلت

•(ذكر السبب الذى من اجله أمر ابراهيم بالذبح وصفة الذبح)•

قيل أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فيما ذكر انه دعا الله ان يهب له ولدا ذكرا صالحا فقال رب هب لى من الصالحين فلما بشرته الملائكة بغلام حليم قال اذن هو لله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل له اوف بنذرك الذى نذرت وهذا على قول من زعم ان الذبيح اسحق وقائل هذا يزعم ان ذلك كان بالشام على ميلين من ايليا واما من زعم انه اسمعيل فيقول ان ذلك كان بمكة قال محمد بن اسحق ان ابراهيم قال لابنه حين امر بذبحه يابنى خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب نحتطب لاهلك فلما توجه اعترضه ابليس ليصده عن ذلك فقال اليك عنى يا عدو الله فوالله لامضين لامر الله فاعترض اسمعيل فاعلمه ما يريد ابراهيم يصنع به فقال سمعا لامر ربى وطاعة فذهب الى هاجر فاعلمها فقالت ان كان ربه امره بذلك فتسليما لامر الله فرجع بغيظه لم يصب منهم شيأ فلما خلا ابراهيم بالشعب وهو شعب ثبير قال له يابنى انى أرى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم قال له ياأبت ان أردت ذبحى فاشدد رباطى لا يصبك من دمى شئ فينتقص أجرى فان الموت شديد واشحذ شفرتك حتى تريحنى فاذا اضجعتنى فكبنى على وجهى فانى اخشى ان نظرت فى وجهى أن تدركك رحمة فتحول بينك وبين امر الله وان رأيت ان ترد قميصى الى هاجر امى فعسى ان يكون اسلى لها عنى فافعل فقال ابراهيم نعم المعين انت اى بنى على امر الله فربطه كما امره ثم حد شفرته وتله للجبين ثم أدخل الشفرة حلقه فقلبها الله لقفاها ثم اجتذبها اليه ليفرغ منه فنودى أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها وقيل جعل الله على حلقه صحيفة نحاس قال ابن عباس خرج عليه كبش من الجنة قد رعى فيها اربعين خريفا

عليه السلام فأمره الله تعالى ان يقاتلهم ويسبى نساءهم واولادهم فاطاعه قليل وعصاه كثير وكان عدة من أطاعه ألف انسان وهو الذى رسم بعمارة المدن وجمع طلاب العلم وقرر لهم قواعد السياسة وعمارة المدن فبنت كل فرقة من الامم مدنا فى أرضهم فكان عدة المدن التى بنيت فى زمانه مائة وثمانين مدينة • وذكر بعض المحققين فى شرح الفصوص ان آدم عليه السلام لما مرض مرض الموت تمنى من ثمار الجنة فاتى جبريل عليه السلام بطبق من ثمار الجنة على رأس حورية فأكل منه وسأل الله تعالى ان يزوج تلك الحورية من شيث عليه السلام فأجابه الله تعالى فولدت منه ادريس عليه السلام ولهذا السر الجلى كان له تجرد ملكى وسياحة ملكية عرج الى الافلاك وشاهد أطوارها وأدوارها وصنف الكتب الكثيرة مما جاء به جبريل عليه السلام وأخذها قوم من يده فى العصر أكثرها بحكمة من الله سبحانه مما فيه اظهار أسرار الربوبية فاقتضت الحكمة الالهية اخفاءها من العامة وذكر انه لم ينم ست عشرة سنة ولا يأكل حتى بقى عقلا مجردا وروحانية فى فلك الشمس وهو أول من خالط الملائكة والارواح المجردة وحصل له معراج انسلاخ البشرية • وذكر الشيخ محيى الدين ابن العربى قدس الله سره فى الفتوحات المكية وفى قوت القلوب ان ادريس هو الياس وانه ينزل كما ينزل عيسى بن مريم عليه السلام تشريفا لشرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وله جولان فى الارض وتقاسيه بريته مع خلافته

وقيل هو الكبش الذى قربه هابيل وقال على عليه السلام كان كبشا اقرن اعين ابيض وقال الحسن ما فدى اسمعيل الا بتيس من الاروى هبط عليه من ثبير فذبحه قيل بالمقام وقيل بمنى فى المنحر

(ذكر ما امتحن الله به ابراهيم عليه السلام)

بعد ابتلاء الله تعالى ابراهيم بما كان من نمرود وذبح ولده بعد رجاء نفعه ابتلاه الله بالكلمات التى اخبر انه ابتلاه بهن فقال تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن واختلف السلف من العلماء الائمة فى هذه الكلمات فقال ابن عباس من رواية عكرمة عنه فى قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن لم يبتل أحد بهذا الدين فاقامه الا ابراهيم وقال الله وابراهيم الذى وفى قال والكلمات عشر فى براءة وهى العابدون الحامدون الآية وعشر فى الاحزاب وهى ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر فى المؤمنين من اوله الى قوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون وقال آخرون وهى عشر خصال قال ابن عباس من رواية طاوس وغيره عنه الكلمات عشر وهى خمس فى الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس وخمس فى الجسد وهى تقليم الاظفار وحلق العانة والختان ونتف الابط وغسل أثر الغائط وقال آخرون هى مناسك الحج وقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما وهو قول ابى صالح ومجاهد وقال آخرون هى ست وهى الكواكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان وذبح ابنه وهو قول الحسن قال ابتلاه بذلك فعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذى فطر السموات والارض وهاجر من وطنه واراد ذبح ابنه وختن نفسه وقيل غير ذلك مما لا حاجة اليه فى التاريخ المختصر وانما ذكرنا هذا القدر لئلا يخلو من فصول الكتاب

(ذكر عدو الله نمرود وهلاكه)

ونرجع الآن الى خبر عدو الله نمرود وما آل اليه امره فى دنياه وتمرده على الله تعالى واملاء الله له وكان اول جبار فى الارض وكان احراقه ابراهيم ما قدمنا ذكره فأخرج ابراهيم عليه السلام من مدينته وخاف انه يطلب الها ابراهيم فأخذ اربعة افرخ نسور فرباهن باللحم والخمر حتى كبرن وغلظن فقرنهن بتابوت وقعد فى ذلك التابوت فأخذ معه رجلا ومعه لحم لهن فطرن به حتى اذا ذهبن اشرف ينظر الى الارض فراى الجبال تدب كالنمل ثم رفع لهن اللحم ونظر الى الارض فرآها يحيط بها بحر كأنها فلك فى ماء ثم رفع طويلا فوقع فى ظلمة فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع والقى اللحم فاتبعته النسور منقضات فلما نظرت الجبال اليهن وقد اقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال وكادت تزول ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وكان طيرانهن من بيت المقدس ووقوعهن فى جبل الدخان فلما رأى انه لا يطيق شيئا أخذ فى بنيان الصرح فبناه حتى علا وارتقى فوقه ينظر الى اله ابراهيم بزعمه وأحدث ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانهم من القواعد من أساس الصرح فسقط وتبلبلت الالسن يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا وكان لسان الناس قبل ذلك سريانيا هكذا روى انه

محمدية كالغضر قطامية بحرية وبينهما اجتماع برا وبحرا عند سد ياجوج وماجوج وفى مكة وعرفات وفى مدة الزمان قال ابن عباس رضى الله عنهما أربعة من الانبياء احياء فيهم أرواحهم وهم ادريس وعيسى فى السماء والياس والخضر فى الارض وكلهم يموتون الا ادريس فانه اذا مات الخلق اصابته دهشة فيبقى فى عداد الموتى وهو حى وقيل هو الذى يجيب الله تعالى اذا مات الخلق وقال لمن الملك اليوم فيقول ادريس لله الواحد القهار قال وهب كان يرفع لادريس عليه السلام كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الارض فى زمانه حتى اشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله عزوجل فى زيارته فأذن له وطلب ان يذيقه الموت فأذاقه باذن الله تعالى ثم أحياه الله تعالى ثم سأله أن يورده النار فأورده اياها ثم سأله أن يدخله الجنة فلما دخل الجنة أبى ان يخرج منها محتجا بأن الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فبقى بها بعناية الله تعالى فهو حى هنالك فتارة يعبد الله تعالى فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة قيل أسكنه قلب الافلاك وهو فلك الشمس وعلم دور الافلاك وطبائع الكواكب وخواصها ولما رفعه الله تعالى كان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل رفع وهو ابن ثلثمائة وخمس وستين سنة وعاش أبوه بعد ارتفاعه خمسمائة سنة وخمسا وثلاثين سنة فلما رفعه الله عزوجل اختلفوا بعده واحدثوا الاحداث الى زمن نوح عليه

لم يحدث وهذا ليس بشئ فان الطبع البشري لم يخل منه انسان حتى الانبياء صلوات الله عليهم وهم أكثر اتصالا بالعالم العلوي وأشرف أنفسا ومع هذا فيأكلون ويشربون ويبولون ويتغوطون فلو نجا منه أحد لكان الانبياء أولى لشرفهم وقربهم من الله تعالى وان كان لكثرة ملكه فالصحيح انه لم يملك مستقلا ولو ملك مستقلا لكان الاسكندر أكثر ملكا منه ومع هذا لم يقل فيه شئ من هذا قال زيد بن أسلم ان الله تعالى بعث الى نمرود بعد ابراهيم ملكا يدعوه الى الله أربع مرات فأبى وقال أرب غيري فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع جموعه ففتح الله عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها فبعثها الله عليهم فأكلتهم ولم يبق منهم الا العظام والملك كما هو لم يصبه شئ فأرسل الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث يضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من يجمع يديه ويضرب بهما رأسه وكان ملكه ذلك أربعمائة سنة وأماته الله تعالى وهو الذي بنى الصرح وقال جماعة ان نمرود بن كنعان ملك مشرق الارض ومغربها وهذا قول يدفعه أهل العلم بالسير واخبار الملوك وذلك انهم لا ينكرون أن مولد ابراهيم كان أيام الضحاك الذي ذكرنا بعض اخباره فيما مضى وانه كان ملك شرق الارض وغربها وقول القائل ان الضحاك الذي ملك الارض هو نمرود ليس بصحيح لان أهل العلم بالمتقدمين يذكرون ان نسب نمرود في النبط معروف ونسب الضحاك في الفرس مشهور وانما الضحاك استعمل نمرود على السواد وما اتصل به يمنة ويسرة وجعله وولده عمالا على ذلك وكان هو ينتقل في البلاد وكان وطنه ووطن أجداده دنباوند من جبال طبرستان وهناك رمى به افريدون حين ظفر به وكذلك بختنصر ذكر بعضهم انه ملك الارض جميعها وليس كذلك وانما كان اصبهبذ ما بين الاهواز الى أرض الروم من غربي دجلة من قبل لهراسب لان لهراسب كان مشتغلا بقتال الترك مقيما بازائهم ببلخ وهو بناها لما تطاول مقامه هناك لحرب الترك ولم يملك أحد من النبط شبرا من الارض مستقلا برأسه فكيف الارض جميعها وانما تطاولت مدة نمرود بالسواد فمكث أربعمائة سنة ثم دخل من نسله بعده لاكجبيل يقال له نبط بن قعود ملك بعده مائة سنة ثم كداوص بن نبط ثمانين سنة ثم بالش بن كداوص مائة وعشرين سنة ثم نمرود بن بالش سنة وشهرا فذلك سبعمائة سنة وسنة وشهر أيام الضحاك وطن الناس في نمرود ما ذكرناه فلما ملك افريدون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش وشرد النبط وقتل فيهم مقتلة عظيمة

(ذكر قصة لوط وقومه)

قد ذكرنا هجرة لوط مع ابراهيم عليه السلام الى مصر وعودهم الى الشام ومقام لوط بسدوم فلما أقام بهم أرسله الله الى أهلها وكانوا أهل كفر بالله تعالى وركوب فاحشة كما قال تعالى لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل أنهم كانوا يأخذون المار اذا مر بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث وهو اللواطة وأما اتيانهم المنكر في ناديهم فقيل كانوا يحذفون من مر بهم ويسخرون منهم وقيل كانوا يتضارطون في مجالسهم وقيل

السلام وولد لادريس متوشلخ على ثلثمائة ٤٦ سنة من عمره واستخلفه ادريس بأمر الله تعالى قبل رفعه وذكر انه أول من ركب الخيل لانه اقتفى رسم أبيه في الجهاد وعاش تسعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة ومات في ايلول في حياة ادريس عليه السلام وولد لمتوشلخ لمك وفي زمانه كثرت الجبابرة من ولد قابيل وعاش لمك سبعمائة سنة وولد له غلام وعمره اذ ذاك ثمانمائة وسبع وثمانون سنة فسماه نوحا

(الفصل الرابع في ذكر نوح عليه السلام)

كان رجلا دقيق الوجه في رأسه طول عظيم العينين غليظ الفصوص دقيق الساقين والساعدين كثير لحم الفخذين ضخم السرة طويل اللحية طويلا جسيما وهو أول نبي نبأه الله تعالى بعد ادريس عليه السلام وأول نذير من الشرك وأول أولي العزم وهو أول نبي نسخت شريعته شريعة آدم عليه السلام وكان ادريس عليه السلام على شريعة آدم عليه السلام وهو أول نبي عذبت أمته بدعوته وقد كان رأى ان نارا خرجت من فيه فأحرقت جميع الخلق وهو أطول الانبياء عمرا وشيخ المرسلين وجعلت معجزاته في نفسه لانه عاش ألف سنة ولم ينقص له شئ من قوته ومن معجزاته ان قومه طلبوا منه المعجزة بأن يرحل جبل من جبال فارس فيصير في عرفات فدعا الله تعالى فأجابه فارتحل الجبل وصار في عرفات وانه لما خرج من السفينة لم يكن عنده ولا عند قومه شئ من الطعام فأخذ الرمل وأكله وأطعم من كان معه فصار الرمل في

كان

كان يأتى بعضهم بعضا فى مجالسهم وكان لوط يدعوهم الى عبادة الله وينهاهم عن الامور التى يكرهها الله منهم من قطع السبيل وركوب الفواحش واتيان الذكور فى الادبار ويتوعدهم على اصرارهم وترك التوبة بالعذاب الاليم فلا يزجرهم ذلك ولا يزيدهم وعظه الا تماديا واستعجالا لعقاب الله انكارا منهم لوعيده ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه النصرة عليهم لما تطاول عليه أمرهم وتماديهم فى غيهم فبعث الله جبرائيل لما أراد هلاكهم ونصر رسوله جبرئيل وملكين آخرين معه أحدهما ميكائيل والآخر اسرافيل فاقبلوا فيما ذكرمشاة فى صورة رجال وأمرهم ان يدعوا بابراهيم وسارة وبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم وكان الضيف قد أبطأ عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وكان يضيف من نزل به وقد وسع الله عليه الرزق فرح بهم ورأى ضيفا لم ير مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخدم هؤلاء القوم احد الا انا بيدى فخرج الى أهله فجاء بعجل سمين قد حنذه أى انضجه فقربه اليهم فامسكوا ايديهم عنه فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة فضحكت لما عرفت من امر الله ولما تعلم من قوم لوط فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فقالت وصكت وجهها أألد وانا عجوز الى قوله حميد مجيد وكانت ابنة تسعين سنة وابراهيم ابن عشرين ومائة فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى ذهب يجادل جبرائيل فى قوم لوط فقال له ارايت ان كان فيهم خمسون من المسلمين قالوا وان كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعذبهم قال واربعون قالوا واربعون قال وثلاثون حتى بلغ عشرة قالوا وان كان فيهم عشرة قال ماقوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ثم قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين ثم مضت الملائكة نحو سدوم قرية لوط فلما انتهوا اليها لقوا لوطا فى ارض له يعمل فيها وقد قال الله تعالى لهم لا تهلكوهم حتى تشهدوا عليهم لوطا اربع شهادات فاتوه فقالوا انا مضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت اليهم فقال لهم اما تعلمون ما يعمل اهل هذه القرية والله ما اعلم على ظهر الارض انسانا اخبث منهم حتى قال ذلك أربع مرات وقيل بل لقوا ابنته فقالوا يا جارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم خافت عليهم من قومها فاتت أباها فقالت يا ابتاه ادرك فتيانا على باب المدينة ما رايت اصبح وجوها منهم لئلا يأخذهم قومك فيفضحوهم وكان قومه قد نهوه ان يضيف رجلا فجاء بهم فلم يعلم الا اهل بيت لوط فخرجت امراته فاخبرت قومها وقالت انه قد نزل بنا قوم ما رايت احسن وجوها منهم ولا اطيب رائحة فجاءه قومه يهرعون اليه فقال يا قوم اتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد فنهاهم ورغبهم وقال هؤلاء بناتى هن اطهر لكم مما تريدون قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد اولم ننهك عن العالمين فلما لم يقبلوا منه قال لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد يعنى لو ان لى انصارا او عشيرة يمنعونى منكم فلما قال ذلك وجد عليه الرسل فقالوا ان ركنك لشديد ولم يبعث الله نبيا الا فى ثروة من قومه ومنعة من عشيرته وأغلق

ابراهيم احلى من العسل وغرس شجرة واحدة فاثمرت فى الحال فاكلوا منها

ولم يبالغ احد من المرسلين فى الدعوة مثل ما بالغ ولم يشب له شعرة ولم يصبر نبي على اذى قومه مثل ما صبر وهو على طول عمره كان يضرب ثم يلف فى لبد ثم يلقى فى بيته فيرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم وكان فى غضبه وانتهاره شدة وكان نجارا فبعثه الله تعالى الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقيل بعث بعد اربعمائة سنة وكان الكفر قد عم فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما مات ثلاثة قرون من قومه وهو يدعوهم فلا يجيبونه ولا يتبعه منهم الا قليل فلما ايس من ايمان قومه واخبره الله تعالى انه لم يبق فى اصلاب الرجال وارحام النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم فاستجاب الله تعالى دعاءه فاوحى الله اليه ان اصنع الفلك فاشتغل بغرس الاشجار وعمل السفينة اربعين سنة فاعقم الله ارحام النساء فلم يولد لهم ولد فاوحى الله تعالى اليه ان اعمل السفينة فقد اشتد غضبى على من عصانى فاستاجر نجارين يساعدانه ويعملان معه واولاده سام وحام ويافث ينحتون السفينة معه فجعل طولها ستمائة ذراع وعرضها ثلثمائة وثلاثين ذراعا الذراع الى المنكب عن قول ابن عباس رضى الله عنه وفجر الله له عين القير حين نجر السفينة فغلى غليانا حتى طلاها به وكان فراغه من عمل السفينة يوم الجمعة لتسع عشرة خلت من ادار واوحى اليه

ان يحمل معه زاده سنة فى السفينة وان العلامة فى نزول العذاب اذا فار التنور وكان التنور لحواء تخبز فيه قيل انه كان من

لوط الباب فعالجوه وفتح لوط الباب فدخلوا واستأذن جبرئيل ربه في عقوبتهم فأذن له فبسط جناحه ففقأ أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم بعضا عميانا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط أسحر قوم في الارض وقالوا للوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون فأخرجهم الله الى الشام وقال لوط اهلكوهم الساعة فقالوا لم نؤمر الا بالصبح أليس الصبح بقريب فلما كان الصبح أدخل جبرئيل وقيل ميكائيل جناحه في أرضهم وقراهم الخمس فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل فأهلكت من لم يكن بالقرى وسمعت امرأة لوط الهدة فقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها ونجى الله لوطا وأهله الا امرأته وذكر أنه كان فيها أربعمائة ألف وكان ابراهيم يتشرف عليها ويقول سدوم يوما هالك ومدائن قوم لوط خمس سدوم وصبعة وعمرة ودوما وصعرة وسدوم هي القرية العظمى قوله يهرعون اليه هو مشي بين الهرولة والجمز

•(ذكر وفاة سارة زوج ابراهيم عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه)•

لا يدفع أحد من أهل العلم ان سارة توفيت بالشام ولها مائة وسبع وعشرون سنة وقيل انها كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان وقيل عاشت هاجر بعد سارة مدة والصحيح ان هاجر توفيت قبل سارة كما ذكرنا في مسير ابراهيم الى مكة وهو الصحيح ان شاء الله تعالى فلما ماتت سارة تزوج بعدها قطورا ابنة يقطن امرأة من الكنعانيين فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدين ومدان ونشق وسرح وكان جميع أولاد ابراهيم مع اسمعيل واسحق ثمانية نفر وكان اسمعيل بكره وقيل في عدد أولاده غير ذلك فالبربر من ولد نفشان وأهل مدين قوم شعيب من ولد مدين وقيل تزوج بعد قطورا امرأة أخرى اسمها حجون ابنة اهير

•(ذكر وفاة ابراهيم وعدد ما أنزل عليه)•

قيل لما أراد الله قبض روح ابراهيم أرسل اليه ملك الموت في صورة شيخ هرم فرآه ابراهيم وهو يطعم الناس وهو شيخ كبير في الحر فبعث اليه بحمار فركبه حتى أتاه فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه وأذنه ثم يدخلها فاه فاذا دخلت جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت فقال يا شيخ ما لك تصنع هذا قال يا ابراهيم الكبر قال ابن كم أنت فزاد على عمر ابراهيم سنتين فقال ابراهيم انما بيني وبين أن أصير هكذا سنتان اللهم اقبضني اليك فقام الشيخ وقبض روحه ومات وهو ابن مائتي سنة وقيل مائة وخمس وسبعين سنة وهذا عندي فيه نظر لان ابراهيم لا يخلو أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بسنتين أو أكثر من ذلك فان من عاش مائتي سنة كيف لا يرى من هو أكبر منه بهذا القدر القريب ولكن هكذا روى ثم انه قد بلغه عمر نوح ولم يصبه شيء مما رأى بذلك الرجل وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وأنزل الله على ابراهيم عشر صحائف قال قلت يا رسول الله فما كانت

الحديد وقيل انه كان مبنيا بالحجارة واختلفوا في مكان التنور فقال مقاتل التنور بالشام بموضع يقال له عين وردة وقال ابن عباس كان بالهند وقيل كان بمسجد الكوفة فلما اذن الله تعالى في هلاكهم اتت ابنة نوح التنور لتسجره للخبز وكانت تخبز للذين يعملون السفينة وكانوا سبعة نفر فظهر لها الماء من اسفل التنور فبادرت الى ابيها واخبرته بذلك فدخلوا السفينة واقبل جبريل عليه السلام يحشر من البهائم من كل جنس زوجين حتى لا ينقطع نسلها فيدخلهما السفينة وكان اول ما حمل في السفينة الدرة وآخر ما حمل الحمار ووكل الله بالسفينة ملائكة يحفظونها الثلاث ثلث فجعل الماء ينزل من السماء كأفواه القرب بغير سحاب وفجر الله تعالى ينابيع الارض فالتقى كل شيء على وجه الارض وذلك لثلاث عشرة خلت من آب وكان ذلك عاشر رجب واستمر الى عاشر محرم ومضى ستمائة سنة من عمر نوح عليه السلام ولتتمة الفي سنة ومائتي سنة وست وخمسين سنة من هبوط آدم عليه السلام واستقرت السفينة في الماء على ما قيل مائة وخمسين يوما وقد اغرق الله جميع الارض واهلك كل شيء فيه الروح من اصل ماء اخرجه من مكان الحرق وهو التنور وكان سببا للغرق فارتفع الماء على اعلى الجبال وكان الماء محضا فذاب قير السفينة لسخن الماء فعلم الله تعالى نوحا عليه السلام اسما من اسمائه فلما دعا به جمد القير على السفينة والاسم الذي كان يدعو به اهيا اشر اهيا علم الله تبارك وتعالى

بصحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها امثال (٣) منها وعلى العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله ان يكون له ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال فى المطعم والمشرب وعلى العاقل ان لا يكون طاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاده أو مرمة لمعاشه او لذة فى غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل الا فيما يعنيه وهو أول من اختتن وأول من اضاف الضيف وأول من اتخذ السراويل الى غير ذلك من الاقاويل

(ذكر خبر ولد اسمعيل بن ابراهيم)

قد ذكرنا فيما مضى سبب اسكان اسمعيل الحرم وتزوجه امرأة من جرهم وفراقه اياها بأمر ابراهيم ثم تزوج اخرى وهى السيدة بنت مضاض الجرهمى وهى التى قال لها قولى لزوجك قد رضيت عتبة بابك فولدت لاسمعيل اثنى عشر رجلا نابت وقيذار واذبل وميشا ومسمع ودما وماش وآزر وقطورا وقاس وطميا وقيدمان وكان عمر اسمعيل فيما يزعمون سبعا وثلاثين ومائة سنة ومن نابت وقيذار ابنى اسمعيل نشر الله العرب وأرسله الله تعالى الى العماليق وقبائل اليمن وقد ينطق أولاد اسمعيل بغير الالفاظ التى ذكرت ولما حضرت اسمعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحق ان يزوج ابنته من العيص بن اسحق وان يدفن عند قبر امه هاجر بالحجر

(ذكر اسحق بن ابراهيم وأولاده)

قيل ونكح اسحق رفقا بنت بتويل فولدت له عيص ويعقوب توأمين وان عيص كان أكبرهما وكان عمر اسحق لما ولدله ستين سنة ثم نكح عيص بن اسحق نسمة بنت عمه اسمعيل فولدت له الروم بن عيص وكل بنى الاصفر من ولده وزعم بعض الناس ان الاشبان من ولده ونكح يعقوب بن اسحق وهو اسرائيل ابنة خاله ليا بنت ليان بن بتويل فولدت له روبيل وكان اكبر ولده وشمعون ولاوى ويهوذا وزبالون واشجر وقيل ويشجر ثم توفيت ليا فتزوج اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وولد له من سريتين أربعة نفر دان ونفتالى وجاد واشر فكان ليعقوب اثناعشر رجلا قال السدى تزوج اسحق بجارية فحملت بغلامين فلما أرادت أن تضع أراد يعقوب ان يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلى لاعترضن فى بطن أمى ولاقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيص وأخذ يعقوب بعقب عيص فسمى يعقوب وسمى أخوه عيص لعصيانه وكان عيص احبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فقال له اسحق لما كبر وعمى يابنى اطعمنى لحم صيد واقترب منى أدع لك بدعاء دعالى به أبى وكان عيص رجلا اشعر وكان يعقوب أجرد وسمعت أمهما ذلك فقالت ليعقوب يابنى اذبح شاة واشوها والبس جلدها وقربها الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك يعقوب فلما جاء قال يا أبتاه كل قال من أنت قال أنا ابنك عيص فمسحه اسحق فقال المس مس عيص والريح

هذين الاسمين لابراهيم عليه السلام حين القى فى النار فلما تكلم به صارت النار بردا وسلاما وهما اسمان جليلان عظيمان من اسماء الله تعالى فى التوراة وكانت الدنيا مظلمة سوداء ولا مواجه دوى كدوى الرعد فلم يعرف القوم الليل من النهار حتى انزل الله على نوح عليه السلام خرزتين بيضاء وسوداء فكانت البيضاء بالنهار تضىء وتغلب السوداء والسوداء تظلم وتغلب بالليل على البيضاء وكان نوح عليه السلام أول من قرر الساعات لمواقيت الصلاة فجعل النهار اثنتى عشرة ساعة والليل مثل ذلك ثم أمر الله تعالى الارض ان تبلع الماء والسماء ان تقلع فاقبلت السفينة آخذة نحو الموصل فلما انتهت الى ارض قبردى وبازيدى واستقرت السفينة فى عشر خلون من محرم على الجودى وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور وروا بنى قرية بالجزيرة تسمى سوق ثمانين فانهم كانوا فى السفينة ثمانين رجلا وكان مكثه فى السفينة سنة هلالية تنقص ثلاثة عشر يوما وكان مقامه بالكوفة ومن مسجده فار التنور على ماقيل وفيه نجرت السفينة وهو مسجده الذى بعث فيه ومصلاه وذكر ان بعض الارض لم تسرع الى بلع الماء ومنها ما اسرع الى بلعه عند ما امرت فما اطاع كان ماؤه عذبا اذا احتفر وما تأخر عن القبول بسرعة عاقبها الله تعالى ان

جعل ماءها املاحا من ذلك البحار وهى بقية ما غضب اهلك به أمم وفى التوراة ان نوحا عاش بعد الطوفان

رجع يعقوب فقالت أمه امه عيص فكل فأكل ودعا له ان يجعل الله في ذريته الانبياء والملوك وقام يعقوب وجاء عيص وكان في الصيد فقال لابيه قد جئتك بالصيد الذي طلبت فقال يا بني قد سبقك أخوك فحلف عيص ليقتلن يعقوب فقال يا بني قد بقيت لك دعوة فدعا له ان تكون ذريته عدد التراب وان لا يملكهم غيرهم وهرب يعقوب خوفا من أخيه الى خاله وكان يسري بالليل ويكمن بالنهار فلذلك سمي اسرائيل ثم ان يعقوب تزوج ابنتي خاله وجمع بينهما فلذلك قال الله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وولد منهما فماتت راحيل في نفاسها ابنيامين وأراد يعقوب الرجوع الى بيت المقدس فاعطاه خاله قطيع غنم فلما ارتحلوا لم يكن لهم نفقة فقالت زوجة يعقوب ليوسف اسرق صنما من اصنام أبي نستنفق منه فسرق صنما من أصنام أبيها واحب يعقوب يوسف وأخاه بنيامين حبا شديدا ليتمهما وقال يعقوب لراع من الرعاة اذا أتاكم أحد يسألكم من انتم فقولوا نحن ليعقوب عبد عيص فلقيهم عيص فسألهم فاجابه الراعي بذلك الجواب فكف عيص عن يعقوب ونزل يعقوب الشام ومات اسحق بالشام وعمره مائة وستون سنة ودفن عند أبيه ابراهيم عليه السلام

•(قصة ايوب عليه السلام)•

وهو رجل من الروم من ولد عيص وهو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وقيل موص بن رزعيل بن عيص وكانت زوجته التي أمر ان يضربها بالضغث ابنة يعقوب بن اسحق وقيل هي رحمة ابنة افرايم بن يوسف وكانت أمه من ولد لوط وكان دينه التوحيد والاصلاح بين الناس واذا أراد حاجة سجد ثم طلبها وكان من حديثه وسبب بلائه ان ابليس سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب حين ذكره الله فحسده وسأل الله ان يسلطه عليه ليفتنه عن دينه فسلطه على ماله فجمع ابليس عظماء أصحابه من العفاريت وكان لايوب البثنية جميعها من اعمال دمشق بما فيها وكان له فيها ألف شاة برعاتها وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة الفدان اتان ولكل اتان ولد واثنان وما فوق ذلك فلما جمعهم ابليس قال ما عندكم من القوة والمعرفة فاني قد تسلطت على مال أيوب فقال كل منهم قولا فارسلهم فاهلكوا ماله كله وأيوب يحمد الله ولا يرجع عن الجد في عبادته والشكر له على ما أعطاه والصبر على ما ابتلاه فلما رأى ذلك ابليس من أمره سأل الله ان يسلطه على ولده فسلطه ولم يجعل له سلطانا على جسده ولا عقله وقلبه فاهلك ولده كلهم ثم جاء اليه متمثلا بمعلمه الذي كان يعلمهم الحكمة جريحا مشدوخا يرققه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فسر بذلك ابليس ثم ان ايوب ندم لذلك وجد واستغفر فصعد حفظته من الملائكة بتوبته الى الله قبل ابليس فلما لم يرجع ايوب عن عبادة ربه والصبر على ما ابتلاه به سأل الله تعالى ان يسلطه على جسده فسلطه عليه خلا لسانه وقلبه وعقله فانه لم يجعل له على ذلك سلطانا فجاءه وهو ساجد فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده وصار أمره الى ان انتن لحمه وامتلأ جسده دودا فان كانت الدودة لتسقط من جسده فيردها

ثلثمائة وخمسين سنة فكان عمره تسعمائة وخمسين سنة وقال وهب كان عمر نوح عليه السلام ألف سنة لانه بعث الى قومه وهو ابن خمسين سنة ولبث فيهم الى ان مات تسعمائة وخمسين سنة وقال شداد ان عمر نوح عليه السلام الف واربعمائة وثمانون سنة فقيل له لو اتخذت لك بيتا من طين تاوي اليه فقال انا ميت غدا وتاركه ولم يزل في بيت شعر الى ان فارق الدنيا واختلف في مكان قبره فقيل بمسجد الكوفة وقيل بجبل الاحمر وقيل بذيل جبل لبنان بمدينة الكرك وهو الاصح وله هناك قبر يزار ويتبرك به الى يومنا هذا وقد اجمع العلماء على ان الله تبارك وتعالى احب ان يجعل جميع خلقه بعد الطوفان من صلب نوح عليه السلام لانه لم يبق من نجا معه في السفينة الا بنوه الثلاثة سام وحام ويافث فجميع بني آدم اليوم في جموع اقطار الارض تناسلوا من ذرية نوح وابنائه الثلاثة وكان مولدهم بعد مضي خمسمائة سنة من عمره سام بن نوح عليه السلام سكن بعد الطوفان وسط الارض الحرم وما حوله واليمن الى حضرموت وعمان الى البصرين من ولده ارم وارفخشذ ومن ولد ارفخشد قحطان ابن عاد وابنه يعرب بن قحطان وهو أول من تكلم بالعربية ونزل ارض اليمن فهو أبو اليمن كلهم وهو اول من حياه ولده بتحية الملك انعم صباحا وابيت اللعن وفي زمانه فرق الله الالسنة فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانا وفي ولد حام سبعة عشر لسانا وفي ولد يافث ستة وثلاثين لسانا وكانت وفاة سام يوم الجمعة وكان عمره ستمائة سنة وحام بن نوح عليه السلام كان رجلا ابيض حسن الوجه والصورة

اليه ويقول كلي من رزق الله واصابه الجذام وكان أشد من ذلك عليه انه كان يخرج في جسده مثل ثدي المرأة ثم يتفقأ وانتن حتى لم يطق أحد ان يشم ريحه فاخرجه أهل القرية منها الى الكناسة خارج القرية لايقربه أحد الا زوجته وكانت تختلف اليه بما يصلحه فبقي مطروحا على الكناسة سبع سنين ما يسأل الله ان يكشف ما به وما على وجه الارض اكرم على الله منه وقيل كان سبب بلائه ان أرض الشام اجدبت فارسل فرعون الى أيوب ان هلم الينا فان لك عندنا سعة فاقبل باهله وخيله وماشيته فاقطعهم فرعون القطائع ثم ان شعيبا النبي دخل الى فرعون فقال يا فرعون اما تخاف ان يغضب الله غضبة فيغضب لغضبه اهل السماء وأهل الارض والبحار والجبال وايوب ساكت لايتكلم فلما خرجا اوحى الله الى ايوب يا ايوب سكت عن فرعون لذهابك الى أرضه استعد للبلاء فقال أيوب أما كنت اكفل اليتيم وآوي الغريب وأشبع الجائع واكفت الارملة فمرت سحابة يسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون من فعل ذلك يا ايوب فاخذ ترابا فوضعه على رأسه وقال انت يارب فاوحى الله اليه استعد للبلاء قال فديني قال اسلمه لك قال فما أبالي وقيل كان السبب غير ذلك وهو نحو ما ذكرناه فلما ابتلاه الله واشتد البلاء قالت امرأته انك رجل مجاب الدعوة فادع الله ان يشفيك فقال كنا في النعماء سبعين سنة فلنصبر في البلاء سبعين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة وقيل انما اقسم ليجلدها لان ابليس ظهر لها وقال بما اصابكم ما أصابكم قالت بقدر الله قال وهذا أيضا بقدر الله فاتبعيني فاتبعته فاراها جميع ماذهب منهم في واد وقال اسجدي لي واردّ عليكم فقالت ان لي زوجا استأمره فلما أخبرت ايوب قال ألم تعلمي ان ذلك الشيطان لئن شفيت لاجلدنك مائة جلدة وأبعدها وقال لها طعامك وشرابك علي حرام لا أذوق مما تأتيني به شيأ فابعدي عني فلا اراك فذهبت عنه فلما رأى ايوب ان امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال رب اني مسني الضر وانت أرحم الراحمين كرر ذلك فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ورد الله اليه جسده وصورته واما امرأته فقالت كيف اتركه وليس عنده أحد يموت جوعا وتأكله السباع فرجعت اليه فرأت ايوب وقد عوفي فلم تعرفه فعجبت حيث لم تره على حاله فقالت له ياعبد الله هل رأيت ذلك الرجل المبتلى الذي كان ههنا قال وهل تعرفينه اذا رأيتيه قالت نعم قال هو انا فعرفته وقيل انما قال مسني الضر لما وصل الدود الى لسانه وقلبه خاف ان يبطل عن ذكر الله تعالى والفكر ورد الله اليه اهله ومثلهم معهم قيل هم باعيانهم وقيل رد الله اليه امرأته ورد اليها شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وانزل الله اليه ملكا فقال يا ايوب ان الله يقرئك السلام لصبرك على البلاء اخرج الى اندرك فخرج اليه فبعث الله سحابة فالقت عليه جرادا من ذهب وكانت الجرادة تذهب فيتبعها حتى يردها في اندره فقال الملك اما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال ان هذه البركة من بركات ربي لست اشبع منها وعاش ايوب بعد ان رفع عنه البلاء سبعين سنة ولما عوفي امره الله ان

فغير الله لونه والوان ذريته من أجل دعوة ابيه فنزل على ساحل البحر لانه دعا عليه بتسويد الوجه وسواد ذريته وان يكون أولاده عبيدا لاولاد سام و يافث فكثرهم الله تعالى واغنامهم وهم السودان وعاش خمسمائة وستين سنة وأما يافث فمن ولده الصقالبة و برجان والاشبان وكانت منازلهم بأرض الروم ومن ولده الترك والخزر واليونان ويأجوج ومأجوج فكانوا يعبدون الاصنام وبعضهم يعبدون الشمس والقمر والكواكب وقام بعده ولده ارفخشذ وكان عمره الى ان قبضه الله تعالى أربعمائة وخمسا وستين سنة ولما قبض ارفخشذ قام بعده ولده شالخ بن ارفخشذ وكان عمره أربعمائة وثلاثين سنة فلما قبض شالخ قام بعده ولده عابر وهو هود عليه السلام

(الفصل الخامس في ذكر هود عليه السلام)

كان أشبه ولد آدم بآدم عليه السلام وكان رجلا آدم اللون كثير الشعر حسن الوجه وكان تاجرا وكان من صميم قومه وأشرافهم بعثه الله الى حي من ولد ارم بن سام وهم عاد الاولى فكذبوه ولم يؤمن منهم الا القليل ومن معجزاته ان قومه سألوه ان يجعل الله تعالى اصواف شياههم واوبارهم ابريسما فدعا الله تعالى فصارت ابريسما وكان مكان مرعى قومه حجارة لم ينبت فيه شئ فدعا الله تعالى فأجابه فصارت الاحجار ترابا وكانت مساكنهم الشحر بين عمان وحضرموت والاحقاف من أرض اليمن وكانوا ثلاثة عشر قبيلة وكان ملكهم عادا يعبد القمر فعاش ألفا ومائتي سنة ثم مات فانتقل الملك الى أكبر ولده وهو شديد

باخذ عرجونا من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به زوجته ليبر من يمينه ففعل ذلك وقول أيوب رب انى مسنى الضر دعاء ليس بشكوى ودليله قوله تعالى فاستجبنا له وكان من دعاء ايوب أعوذ بالله من جار عينه ترانى ان رأى حسنة سترها وان رأى سيئة ذكرها وقيل كان سبب دعائه انه كان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه اسم احدهم يلدد والآخر اليفز والثالث صافر فانطلقوا اليه وهو فى البلاء فبكتوه أشد تبكيت وقالوا له لقد اذنبت ذنبا ما اذنبه احد فلهذا لم يكشف العذاب عنك وطال الجدال بينهم وبينه فقال فتى كان معهم لهم كلاما يرد عليهم فقال قد تركتم من القول أحسنه ومن الرأى اصوبه ومن الامر اجمله وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون حق من استقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم الم تعلموا ان ايوب نبى الله وخيرته من خلقه يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يعلمكم الله انه سخط شيأ من امره ولا انه نزع شيأ من الكرامة التى أكرمه بها عباده ولا ان ايوب فعل غير الحق فى طول ما صحبتموه فان كان البلاء هو الذى ازرى به عندكم ووضعه فى نفوسكم وقد علمتم ان الله يبتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك دليلا على سخطه عليهم ولا على هوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم واطال فى هذا النحو من الكلام ثم قال لهم وقد كان فى عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يكل السنتكم ويكسر قلوبكم ويقطع حجتكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم خشيته عن الكلام من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم وطاشت احلامهم وعقولهم فزعا من الله وهيبة له فاذا أفاقوا استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم مع الظالمين وانهم لابرار ومع المقصرين وانهم لاكياس اتقياء ولكنهم لا يستكثرون لله عز وجل الكثير ولا يرضون له القليل ولا يدلون عليه بالاعمال فهم أينما لقيتهم خائفون مهيمون وجلون فلما سمع ايوب كلامه قال ان الله يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب الصغير والكبير فتى كانت فى القلب ظهرت على اللسان ولا تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله تعالى عبدا حكيما عند الصبا لم تسقط منزلته عند الحكام ثم اقبل على الثلاثة فقال رحمتم قبل ان تسترحموا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عنى باموالكم لعل الله ان يخلصنى أو قربوا قربانا لعل الله ان يتقبل ويرضى عنى وانكم قد اعجبتكم انفسكم فظننتم انكم عوفيتم باحسانكم فبغيتم وتعززتم لو صدقتم ونظرتم بينكم وبين ربكم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية وقد كنت فيما خلا والرجال يوقروننى وأنا مسموع كلامى معروف من حقى مستنصف من خصمى فاصبحت اليوم وليس لى راى ولا كلام معكم فانتم اشد على من مصيبتى ثم اعرض عنهم واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال رب لاى شئ خلقتنى ليتنى ان كرهتنى لم تخلقنى ياليتنى كنت حيضة ملقاة وياليتنى عرفت الذنب الذى اذنبت فصرفت وجهك الكريم عنى لو كنت امتنى فالموت أجمل بى الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهى أنا عبد ذليل ان

فاقام خمسمائة وثمانين سنة ثم مات فانتقل الملك الى أخيه شداد بن عاد كما سيأتى وهو الذى بنى ارم ذات العماد فاجتهد هود عليه السلام أن يتخذ الحجة على شداد وجنوده بالرسالة وأتاه ودعاه الى الله تعالى فلم يقبل وأصر على الكفر وذلك حين بلغ ملكه سبعمائة عام وكان له حلم فلم يعجل على هود بمكروه وكان الله تعالى قد أعطاهم من القامة ما لم يعطها غيرهم كان طول الرجل منهم سبعين ذراعا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ثمانين ذراعا وقال الكلبى اطولهم أربعمائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا وكان رأس احدهم مثل القبة العظيمة وكان عين الرجل يوكر فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانت أموالهم الابل لم يقتنوا غيرها لعظم أجسامها وقوتها يقال انها كانت أعظم مما هى الآن اضعافا كثيرة وكانت مطاياهم وطعامهم وكان الرجل يتغدى بناقة ويتعشى بناقة اخرى وكانت تمت لهم وكثر عددهم حتى امتلأت منهم أرضهم وبلادهم وسخر لهم من قطع الجبال والصخور ما لم يسخر لاحد قبلهم ولا بعدهم كانوا يسلخون العمد من الجبال فيجعلون طول العمود مثل طول الجبل ثم يقلعونه وينصبونه حيث شاؤا ويبنون عليها القصور واخبرنى رجل انه راى ضرس رجل من قوم عاد فكان كالجبل الضخم وكانت ثمارهم فى العظم بحالة لا توصف وذكر ان بعض اهل حضرموت وجدوا فى الارض كوزا من فخار فى جوفه سنبلة حنطة قد امتلأ منها الكوز فوزنوا السنبلة فكانت منا بالمكى وحبها كالبيض فلما رأوا ان لا غالب لهم من

إحسنت

أحسنت فالمن لك وان اسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا فقد وقع على البلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي ذهب المال فصرت اسأل بكفي فيطعمني من كنت اعوله اللقمة الواحدة فيمنها على ويعيرني هلك أولادي ولو بقي احدهم اعانني قد ملني أهلي وعقني ارحامي فتنكرت معارفي ورغب عني صديقي وجحدت حقوقي ونسيت صنائعي اصرخ فلا يصرخونني واعتذر فلا يعذرونني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت الى أمتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذي اذاني واقمأني وان سلطانك هو الذي اسقمني فلو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى اتكلم بملء فمي ثم كان ينبغي للعبد ان يحاج مولاه عن نفسه لرجوت ان تعافيني عند ذلك ولكنه القاني وعلا عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه لا نظر الى فرحمني ولا دنا مني فاتكلم ببراءتي واخاصم عن نفسي فلما قال ايوب ذلك أظلتهم غمامة ونودي منها يا ايوب ان الله يقول قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا فقم فأدل بحجتك وتكلم ببراءتك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي ان يخاصمني الاجبار تجعل الزيار في فم الاسد واللجام في فم التنين وتكيل مكيالا من النور وتزن مثقالا من الريح وتصرصرة من الشمس وترد امس لقد منتك نفسك أمرا لا تبلغه بمثل قوتك أردت ان تكابرني بضعفك أم تخاصمني بعيك ام تحاجني بخطلك أين انت مني يوم خلقت الارض هل علمت باي مقدار قدرتها اين كنت معي يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ولا بدعائم تحملها هل تبلغ حكمتك ان تجري نورها او تسير نجومها او يختلف بامرك ليلها ونهارها وذكر اشياء من مصنوعات الله فقال ايوب قصرت عن هذا الامر ليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم بشيء يسخطك الهي اجتمع على البلاء وانا أعلم ان كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية تعلم ما تخفي القلوب وقد علمت في بلائي ما لم اكن اعلمه كنت اسمع بسطوتك سمعا فاما الان فهو نظر العين انما تكلمت بما تكلمت به لتعذرني وسكت لترحمني وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي فدسست فيه وجهي فلا أعود لشيء تكرهه ودعا فقال الله يا ايوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي غضبي قد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون ان خلفك آية وعبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له عين ماء فاغتسل فيها فرفع الله عنه البلاء ثم خرج فجلس واقبلت امرأته فسألته عنه فقال هل تعرفينه قالت نعم مالي لا اعرفه فتبسم فعرفته بضحكه فاعتنقته فلم تفارقه من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد وانما ذكرته قبل يوسف وقصته لما ذكر بعضهم من أمره وانه كان نبيا في عهد يعقوب وذكر ان عمر ايوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه اوصى عند موته الى ابنه حومل وان الله بعث بعده ابنه بشر بن ايوب نبيا وسماه ذا الكفل وكان مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وسبعين سنة فاوصى الى ابنه عبدان وان الله بعث بعده شعيب بن صفيون بن عنقا بن ثابت بن مدين بن ابراهيم عليه السلام

الناس تجبروا واحتقروهم وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها من دون الله تعالى وكانوا كالحصى عددا فبعث الله اليهم هودا بعد ان مضى من عمره ثلاثون سنة فأمرهم ان يوحدوا الله تعالى وان يكفوا عن ظلم الناس فأبوا وكذبوه وتمادوا في الغي والضلال وقالوا من اشد منا قوة فلما فعلوا ذلك ولم يقبلوا نصيحة هود عليه السلام أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى هلكت مواشيهم واصابهم الضر الشديد والقحط الجهيد وكان الناس اذا اصابهم كربة بعثوا وفودهم الى البيت الحرام فيدعون الله تعالى فيستجاب لهم فاجتمع رأي الملك واصحابه على ان يتوجه سبعة نفر من اصحابه فيسيروا الى الحرم فيستسقوا لقومهم فلما قدموا مكة وبالغوا في الدعاء بدت لهم ثلاث سحابات بيضاء وسوداء وحمراء ونودوا ان اختاروا ايتهن شئتم فقالوا اخترنا السوداء فانها اكثر غيثا فنودوا اخترتم رمادا أرمدا لا يبقى منكم والدا ولا ولدا الا تركتكم همدا فتفرقت السحابتان البيضاء والحمراء ومضت السحابة السوداء نحو اليمن فوافت من ساعتها فتباشروا وكان أول من نظر الى ما في تلك السحابة من العذاب امرأة منهم تسمى مهدا فرأت وسط السحابة كلهب النار فصفقت بيديها وهي أول من ابتدعت التصفيق عند المصائب ونادت باعلى صوتها ويلكم عليكم بهود عليه السلام فقد اتاكم العذاب الا ترون الى ما في هذه السحابة قالوا ما نرى شيئا فائزين

قالت اني أرى وسط السحاب نارا * تثار من ضرامها الشرارا يسوقها قوم على خيول * تهتف بالاصوات والصهيل

(ذكر قصة يوسف عليه السلام)

ذكروا ان اسحق توفى وعمره ستون ومائة سنة وقبره عند ابيه ابراهيم قبروا بناه يعقوب وعيص فى مزرعة حبرون وكان عمر يعقوب مائة وسبعا واربعين سنة وكان ابنه يوسف قد قسم له ولامه شطر الحسن وكان يعقوب قد دفعه الى اخته ابنة اسحق تحضنه فاحبته حبا شديدا واحبه يعقوب ايضا حبا شديدا فقال لاخته يا اخية سلمى الى يوسف فوالله ما اقدر ان يغيب عنى ساعة فقالت والله ما انا تاركته ساعة فاصر يعقوب على اخذه منها فقالت اتركه عندى اياما لعل ذلك يسليني ثم عمدت الى منطقة اسحق وكانت عندها لانها كانت اكبر ولده فحزمتها على وسط يوسف ثم قالت قد فقدت المنطقة فانظروا من اخذها فالتمست فقالت اكشفوا اهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف وكان من مذهبهم ان صاحب السرقة ياخذ السارق له لا يعارضه فيه احد فاخذت يوسف فامسكته عندها حتى ماتت واخذه يعقوب بعد موتها فهذا الذى تقول اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وقيل فى سرقته غير هذا وقد تقدم فلما رأى اخوة يوسف محبة ابيهم له واقباله عليه حسدوه وعظم عندهم ثم ان يوسف رأى فى منامه كان احد عشر كوكبا والشمس والقمر تسجد له فقصها على ابيه وكان عمره حينئذ اثنى عشرة سنة فقال له ابوه يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين ثم عبر له رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث وسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمى ما قال يوسف ولا تخبرى اولادك قالت نعم فلما اقبل اولاد يعقوب من الرعى اخبرتهم بالرؤيا فازدادوا حسدا وكراهة له وقالوا ما عنى بالشمس غير ابينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ان ابن راحيل يريد ان يتملك علينا ويقول انا سيدكم وتآمروا بينهم ان يفرقوا بينه وبين ابيه وقالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفى ضلال مبين فى خطا بين فى ايثارهما علينا اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين اى تائبين فقال قائل منهم وهو يهوذا وكان افضلهم واعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة واخذ عليهم العهود انهم لا يقتلونه فاجمعوا عند ذلك ان يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى ارسال يوسف معهم الى البرية واقبلوا اليه ووقفوا بين يديه وكذلك كانوا يفعلون اذا ارادوا منه حاجة فلما رآهم قال ما حاجتكم قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون نحفظه حتى نرده ارسله معنا الى الصحراء يرتع ويلعب وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انه ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لا تشعرون وانما قال لهم ذلك لانه كان رأى فى منامه كان يوسف على رأس جبل وكان عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليقتلوه واذا ذئب منها يحمى عنه وكان الارض انشقت فذهب فيها فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة ايام فلذلك خاف عليه الذئب فقال له بنوه لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما سمع يعقوب بذلك اطمأن اليهم فقال يوسف يا ابت ارسلنى

وهى عذاب بال عاد فاعلموا * فوحدوا الله لكى ما تسلموا . ثم استجيروا بالنبى هود * نبى رب واحد معبود
نفدا ناكم عن قريب داهيه
فليس تبقى منكم من باقيه

فلما اراد الله تعالى اهلاكهم امر خازن الريح العقيم وهى تحت الارض قد زمت بسبعين الف زمام من حديد وقد وكل بها سبعون الف ملك ان يخرج منها مقدار منخر ثور فقال يا رب انت اعلم لو اخرجت مقدار ذلك ما تركت على ظهر الارض شيأ الا احرقته فاوحى الله اليه ان يخرج مقدار ثقب الخاتم فلما اخرجت سخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى دائمة متتابعة فلما دنت الريح منهم نظروا الى الابل والرجال بهذه الاجسام العظيمة تطير بها الريح بين السماء والارض وكان هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين قد اعتزلوا فى ناحية فما كان يلحقهم من الريح الا ما تلين عليه الجلود وتلذ له الانفس فلما رأوا ذلك تبادروا الى البيوت فلما دخلوا دخلت عليهم الريح فاخرجتهم واهلكتهم وطحنت تلك الحصون والقصور والمدائن حتى عاد ذلك كله رملا دقاقا فنسفته الرياح فكانت تهب عليهم مثل شرر النار فتذيب لحومهم وعظامهم وكانت تقلع الصخور العظام من الجبال فتلقيها فى الهواء ثم تقذفها على رؤسهم ولم يخرج الريح العقيم قط الا بمكيال الا فى ذلك اليوم فانها عتت على الخزنة من شدة الغضب فغلبتهم فلم يعلموا مكيالها فلما اهلكهم الله تعالى بعث طيورا سودا فنقلت اجسادهم الى البحر والقتهم فيه وكان بين مهلك شداد وجنوده بالصيحة الى مهلك

معهم قال أو تحب ذلك قال نعم فاذن له فلبس ثيابه وخرج معهم وهم يكرمونه فلما برزوا الى البرية أظهروا له العداوة وجعل بعض اخوته يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه وجعل يصيح يا ابتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الاماء فلما كادوا يقتلونه قال لهم يهوذا أليس قد أعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه فانطلقوا به الى الجب فأوثقوه كتافا ونزعوا قميصه وألقوه فيه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي أتوارى به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يؤانسونك قال انى لم أر شيأ فدلوه في الجب فلما بلغ نصفه ألقوه وأرادوا أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فاقام عليها ثم نادوه فظن انهم قد رحموه فاجابهم فارادوا أن يرضخوه بالحجارة فمنعهم يهوذا ثم أوحى الله اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون بالوحى وقيل لا يشعرون انه يوسف والجب بأرض بيت المقدس معروف ثم عادوا الى أبيهم عشاء يبكون فقالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب فقال لهم أبوهم بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ثم قال لهم أرونى قميصه فأروه فقال تالله ما رأيت ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يشق قميصه ثم صاح وخر مغشيا عليه ساعة فلما أفاق بكى بكاء طويلا فأخذ القميص يقبله ويشمه وأقام يوسف في الجب ثلاثة أيام وأرسل الله ملكا يحل كتافه ثم جاءت سيارة فأرسلوا واردهم وهو الذى يتقدم الى الماء فادلى دلوه الى البئر فتعلق به يوسف فأخرجه من الجب وقال يا بشرى هذا غلام أى تباشروا وقيل بشرى اسم غلام وأسروه بضاعة يعنى الوارد وأصحابه خافوا ان يقول اشتريناه فيقول الرفقة أشركونا فيه فقالوا ان أهل الماء استبضعونا هذا الغلام وجاء يهوذا بطعام ليوسف فلم يره في الجب فنظر فرآه عند مالك في المنزل فاخبر اخوته بذلك فأتوا مالكا وقالوا هذا عبد ابق منا وخافهم يوسف فلم يذكر حاله واشتروه من اخوته بثمن بخس قيل عشرون درهما وقيل أربعون درهما وذهبوا به الى مصر فكساه مالك وعرضه للبيع فاشتراه قطفير وقيل اطفير وهو العزيز وكان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالقة قيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف ومات ويوسف حى وملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف فلم يؤمن فلما اشترى يوسف وأتى به الى منزله قال لامرأته واسمها راعيل اكرمى مثواه عسى أن ينفعنا اذا فهم الامور ببعض ما نحن بسبيله أو نتخذه ولدا وكان لا يأتى النساء وكانت امرأته حسناء ناعمة في ملك ودنيا فلما خلا من عمر يوسف ثلاث وثلاثون سنة آتاه الله العلم والحكمة قبل النبوة وراودته راعيل عن نفسه وأغلقت الابواب عليه وعليها ودعته الى نفسها فقال معاذ الله انه ربى يعنى ان زوجك سيدى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون يعنى ان خنته ظلم وجعلت تذكر محاسنه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر من جسدى قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هى أول ما يسيل من جسدى قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب فلم تزل به حتى همت وهم بها وذهب ليحل سراويله (٢) فاذا هو بصورة يعقوب قد عض على اصبعه يقول يا يوسف أتواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق

(٢) قوله وذهب ليحل سراويله نعوذ بالله من اعتقاد هذا بل هم بها بالضرب تأديبا أو ان الهم وحصوله معلق على عدم رؤية البرهان والا فانبياء الله منزهون عن الهم على الفاحشة اهـ من هامش

قوم عاد بالريح ثلثمائة سنة ومات هود عليه السلام بمكة بعد هلاك قومه وله مائة وخمسون سنة قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان قبر هود عليه السلام بحضرموت وقيل بجامع دمشق فلما قبض هود عليه السلام قام بالامر بعده ارغو ابن فالغ كان يأمر بعبادة الله تعالى وظهر في زمانه نمروذ الجبار واسمه طهماسفان وهو أول من لبس التاج وعبد النار ودعا لها وسيأتى اخباره ان شاء الله تعالى

(الفصل السادس في ذكر صالح عليه السلام)

كان رجلا احمر مائلا الى البياض سبط الشعر وكان يمشى حافيا ولا يتخذ حذاء كما كان يمشى المسيح ولا يتخذ مسكنا ولا بيتا ولا ماوى له الا المسجد وهو صالح بن عبيد بن غابر بن ارم بن سام بن نوح بعث الى قوم ثمود وكان بينه وبين هود عليه السلام نحو من مائة سنة وسميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وثمود ههنا القبيلة ذكر في مرآة الزمان عن مقاتل قال كان بين قومه بقايا من قوم عاد على طولهم وهيئتهم وكان لهم صنم من حديد يدخل فيه الشيطان في السنة مرة واحدة ويكلمهم وكان أبو صالح سادنه ففارقه وكان قد هم بكسره فناداهم الصنم اقتلوا سادنى فقتلوه ورموه في مغارة فجاءت اليه امرأته بعد مدة وهو ميت فبكت عليه فأحياه الله تعالى فقام اليها فوطئها في

ومثلك اذا واقعتها مثله اذا مات وسقط الى الارض وقيل جلس بين رجليها فرأى في الحائط ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فقام حين رأى برهان ربه هاربا يريد الباب فادركته قبل خروجه من الباب فجذبت قميصه من قبل ظهره فقدته والفيا سيدها لدى الباب وابن عمها معه فقالت له ما جزاء من اراد باهلك سوأ الا ان يسجن قال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فهربت منها فادركتني فقدت قميصي قال لها ابن عمها تبيان هذا في القميص فان كان قد من قبل فصدقت وان كان قد من دبر فكذبت فاتى بالقميص فوجده قد من دبر فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وقيل كان الشاهد صبيا في المهد قال ابن عباس تكلم أربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة امرأة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وقال زوجها ليوسف أعرض عن هذا أي ذكر ما كان منها فلا تذكره لاحد ثم قال لزوجته استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وتحدث النساء بامر يوسف وامرأة العزيز وبلغ ذلك امرأة العزيز فارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ يتكئن عليه وسائد وحضرن وقدمت لهن أترجا واعطت كل واحدة منهن سكينا لقطع الاترج وقد اجلست يوسف في غير المجلس الذي هن فيه وقالت له اخرج عليهن فخرج فلما رأينه اكبرنه واعظمنه وقطعن ايديهن بالسكاكين ولا يشعرن وقلن معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فلما حل بهن ما حل من قطعهن ايديهن وذهاب عقولهن وعرفن خطأهن فيما قلن اقرت على نفسها وقالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاختار يوسف السجن على معصية الله فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن ثم بدا للعزيز من بعد ما رأى الآيات من القميص وخمش الوجه وشهادة الطفل وتقطيع النسوة ايديهن في ترك يوسف مطلقا وقيل انها اشتكت الى زوجها وقالت ان هذا العبد قد فضحني في الناس يخبرهم اني راودته عن نفسه فسجنه سبع سنين فلما حبس يوسف ادخل معه السجن فتيان من اصحاب فرعون مصر احدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه لانهما نقل عنهما انهما يريدان ان يسما الملك فلما دخل يوسف السجن قال اني اعبر الاحلام فقال احد الفتيين للآخر هلم فلنجربه قال الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تأكل الطير منه وقال الآخر اني اراني اعصر خمرا فقال لهما يوسف لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما كره ان يعبر لهما ما سألاه عنه واخذ في غير ذلك وقال يا صاحبي السجن أارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وكان اسم الخباز مجلث واسم الآخر نبو فلم يدعاه حتى اخبرهما بتأويل ما سألاه عنه فقال اما احدكما وهو الذي راى انه يعصر الخمر فيسقي ربه خمرا يعني سيده الملك واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من راسه فلما عبر لهما قالا ما راينا شيأ قال قضي الامر الذي فيه تستفتيان ثم قال لنبو وهو الذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك الملك واخبره اني محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه غفلة عرضت ليوسف من

الحال فعاقت بصالح عليه السلام من ساعتها وعاد كما كان ميتا وشب صالح فبعثه الله عزوجل حين راهق الحلم الى قابل

عباس رضي الله عنه لما تم له أربعون سنة وكانت منازلهم بالحجر بين الحجاز والشام بينها وبين وادي القرى ثمانية عشر ميلا وكانوا يتخذون من الجبال بيوتا فنحتوا فيها وجوفوها وكانوا في سعة من معايشهم وبيوتهم الى وقتنا هذا منحوتة في الجبال ودورهم باقية وآثارهم بادية ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا وهذا يدل على ان أجسامهم كانت كاجسامنا فخالفوا أمر الله تعالى وعبدوا غيره وعتوا في الارض وتجبروا فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو من أفضلهم حسبا ونسبا فدعاهم الى الله عزوجل فكذبوه ولم يقبلوا ما دعاهم اليه فقال العظماء منهم يا صالح ان أحببت ان نصدقك ونؤمن بالهك فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة اضخم ما يكون من النوق ومعها سقبها فدعا صالح ربه فاستجاب الله دعاءه فقال لهم من أين تريدونها فاشاروا الى صخرة وقالوا من هذه الصخرة فاشار اليها صالح وقال اخرجي باذن الله تعالى فبيناهم كذلك اذ نظروا الى الصخرة وهي ترجي كما ترجي الناقة وتمخض كما تمخض المرأة في نفاسها وتحركت فانصدعت عن ناقة كما سألوه ثم نهضت فجعلت تمشي نحوهم حتى اذا دنت بركت فوضعت سقبا مثلها في العظم والجسم ثم نهضت نحو المرعى واتبعها سقبها فلما رأوا ذلك بهتوا متعجبين وآمنوا بالله تعالى يومهم وليلتهم فلما اصبحوا رجعوا الى امرهم ما كانوا عليه من الكفر والطغيان فقال لهم صالح اما اذا نكصتم

قبل

قيل الشيطان فأوحى الله اليه يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فلبث
في السجن سبع سنين ثم ان الملك وهو الريان بن الوليد بن الهروان بن اراشة بن فاران بن
عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح رأى رؤيا هالته رأى سبع بقرات سمان يأكلهن
سبع عجاف ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحازة
والعافة فقصها عليهم فقالوا اضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فقال الذى
نجا منهما وادكر بعد أمة أى حين أنا أنبئكم بتأويله فارسلون فارسلوه الى يوسف فقص
عليه الرؤيا فقال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون
ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد
ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون فان البقر السمان سنون مخاصيب والبقرات
العجاف السنون المحول وكذلك السنبلات الخضر واليابسات فعاد نبو الى الملك فاخبره فعلم
ان قول يوسف حق فقال ائتونى به فلما أتاه الرسول ودعاه الى الملك لم يخرج معه وقال ارجع
الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن فلما رجع الرسول من عند يوسف سأل
الملك أولئك النسوة فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولكن امرأة العزيز خبرتنا انها
راودته عن نفسه فقالت امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه فقال يوسف انما رددت الرسل
ليعلم سيدى انى لم أخنه بالغيب فى زوجته فلما قال ذلك قال له جبرائيل ولا حين هممت بها
فقال يوسف وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء فلما ظهر للملك براءة يوسف وأمانته
قال ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما جاءه الرسول خرج معه ودعا لاهل السجن وكتب على
بابه هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم اغتسل
ولبس ثيابه وقصد الملك فلما وصل اليه وكلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين فقال يوسف
اجعلنى على خزائن الارض فاستعمله بعد سنة ولو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض
لاستعمله من ساعته فسلم خزائنه كلها اليه بعد سنة وجعل القضاء اليه وحكمه نافذا وورد
اليه عمل قطفير سيده بعد ان هلك وكان هلاكه فى تلك الليالى وقيل بل عزله فرعون وولى
يوسف عمله والاول أصح لان يوسف تزوج امرأته على ما نذكره ولما ولى يوسف عمل مصر
دعا الملك الريان الى الايمان فآمن ثم توفى ثم ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية
ابن نمير بن السلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق فدعاه يوسف الى الايمان فلم يؤمن وتوفى
يوسف فى ملكه ثم ان الملك الريان زوج يوسف راعيل امرأة سيده فلما دخل بها قال أليس
هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء جميلة فى
ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك فغلبتنى نفسى
ووجدها بكرا فولدت له ولدين افرايم ومنشا فلما ولى يوسف خزائن أرضه ومضت السنون
السبع المخصبات وجمع فيها الطعام فى سنبله ودخلت السنون المجدبة وقحط الناس
وأصابهم الجوع وأصاب بلاد يعقوب التى هو بها فبعث بنيه الى مصر وامسك بنيامين
أخا يوسف لامه فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون وانما أنكروه لبعد عهدهم
منه ولتغير لبسه فانه لبس ثياب الملوك فلما نظر اليهم قال اخبرونى ما شأنكم قالوا نحن من

على اعقابكم فإياكم ان تمسوا هذه الناقة بسوء أو تمنعوها حظها من المرعى والشرب فيحل بكم العذاب هذه ناقة الله
لكم آية تذرونها تأكل فى أرض
الله من الكلا ولها من الماء يوم
تشرب به كله ولكم يوم آخر
لان مياههم كانت قليلة فكانت
تشرب ماء الوادى فى يوم ويحلبونها
فى يوم فيشربون لبنها عوض
ما شربت فأجابوه الى ذلك فمكثت
الناقة ترد الماء فتستوعبه جميعا
لعظمها حتى لا تدع منه شيأ
فتصدر وضرعاها يشخبان لبنا
فيستقبلونها بالمحالب فيحلبون منها
بقدر ما كانت تشرب من الماء فى
الكثرة ثم تصدر من غير الفج الذى
وردت فيه لانها لم تقدر على ان
تصدر من حيث وردت للضيق قال
أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه
أتيت أرض ثمود فذرعنا مصدر
الناقة فوجدته ستين ذراعا فلما
طال عليهم ذلك ملوها فاجتمع تسعة
من أشرار قومه على عقرها
فعقروها وجعلوا يشوون لحمها
ويأكلونه وكان عقر الناقة فى
سادس عشر بيع الثانى فلما
رأى الفصيل ذلك انطلق موليا حتى
اتى جبلا عاليا شامخا منيعا يقال
له ضوء فخرجوا يطلبونه فلما رأوه
على الجبل ذهبوا ليأخذوه فاوحى
الله تعالى الى الجبل فتطاول فى
السماء حتى ما يناله الطير وجاءه
صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل
بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا
فانفجرت الصخرة فدخلها
فوعدهم الله تعالى بالعذاب فقال
تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام لكل
 رغوة يوم فاصابهم فى اليوم الاول وكان نهار الخميس صفرة فاصبحوا مصفرين وفى اليوم الثانى أصبحوا ووجوههم

حمرة كأنما خضبت بالدماء واصبحوا في اليوم ٥٨ الثالث ووجوههم مسودة كأنها طليت بالقار وصبحهم العذاب يوم الاحد
فاتتهم صيحة من السماء ارتجت لها
الدنيا فتقطعت قلوبهم في صدورهم
فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك
ولحق صالح ومن آمن معه من
قومه بمكة وكان آمن بصالح من قوم
ثمود اربعة آلاف نفس وأقام
صالح في قومه عشرين سنة وتوفي
بمكة ودفن بالحجر وله من العمر
مائتان وثمانون سنة وقيل خرج
صالح ليلة الاحد من بين أظهرهم
ومن معه من المؤمنين فنزل بموضع
بمدينة الرملة من بلاد فلسطين
فمات فدفن بها قال النبي صلى الله
عليه وسلم يحشر صالح على ناقته
يوم القيامة وروى ابن الزبير عن
جابر بن عبد الله قال لما مر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالحجر من
وادي القرى في غزوة تبوك
فقال لاصحابه لا يدخلن أحدكم
القرية ولا يشرب من مائها ولا
تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا
ان تكونوا باكين ان يصيبكم
مثل ما أصابهم وعن الضحاك بن
مزاحم قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا علي أتدري من
أشقى الاولين قال الله ورسوله
اعلم قال عاقر الناقة قال اتدري
من أشقى الآخرين قال الله ورسوله
اعلم قال قاتلك يا علي

(الفصل السابع في ذكر ابراهيم الخليل عليه السلام)

كان جميلا مكملا واصطفاه الله
نبيا وخليلا وجعله من أولي العزم
وهو أبو الانبياء وتاج الاصفياء
وأنزل عليه عشرون صحيفة وهو أول من اضاف الضيف وأول من اختتن واستنجى بالماء واستاك واستنشق بالماء

اباد

الشام جئنا لنمتار الطعام قال كذبتم أنتم عيون فاخبروني خبركم قالوا نحن عشرة اولاد
رجل واحد صديق كنا اثني عشر وانه كان لنا أخ تخرج معنا الى البرية فهلك وكان أحبنا
الى أبينا قال فالى من سكن أبوكم بعده قالوا الى أخ لنا أصغر منه قال فأتوني به أنظر اليه فان
لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه قال فاجعلوا بعضكم
عندي رهينة حتى ترجعوا فوضعوا شمعون اصابته القرعة وجهزهم يوسف بجهازهم
وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم يعني ثمن الطعام في رحالهم لعلهم يرجعون لما علم ان أمانتهم
وديانتهم تحملهم على رد البضاعة فيرجعون اليه لاجلها وقيل ردها اليهم لانه خشي ان
لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى فاذا رأوا معهم بضاعة عادوا وكان يوسف حين
رأى ما بالناس من الجهد قد آسى بينهم وكان لا يحمل للرجل الا بعيرا فلما رجعوا الى ابيهم
باحمالهم قالوا يا أبانا ان عزيز مصر قد أكرمنا كرامة لو انه بعض أولاد يعقوب ما زاد على
كرامته وانه ارتهن شمعون وقال أتوني باخيكم الذي عطف عليه ابوكم بعد اخيكم فان لم
تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه
من قبل فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت
الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير قال يعقوب ذلك كيل يسير فقال يعقوب لن
أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله
على ما نقول وكيل ثم أوصاهم أبوهم بعد ان أذن لاخيهم في الرحيل معهم وقال يا بني
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة خاف عليهم العين وكانوا ذوي صورة
حسنة ففعلوا كما امرهم ابوهم ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه وعرفه وأنزلهم
منزلا واجرى عليهم الوظائف وقدم لهم الطعام واجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين
وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف لقد بقي اخوكم هذا
وحيدا فاجلسه معه وتغديا كله فلما كان الليل جاءهم بالفرش وقال لينم كل اخوين
منكم على فراش وبقي بنيامين وحده فقال هذا ينام معي فبات معه على فراشه فبقي يشمه
ويضمه اليه حتى اصبح وذكر له بنيامين حزنه على يوسف فقال له اتحب ان اكون اخاك
عوض أخيك الذاهب فقال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب
ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه فعانقه وقال له اني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما فعلوه
بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ولا تعلمهم بما علمتك وقيل لما دخلوا على يوسف نقر
الصواع وقال انه يخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم بعتم أخاكم فلما سمعه
بنيامين سجد له وقال سل صاعك هذا عن أخي أحي هو فنقره ثم قال هو حي وستراه قال
فاصنع بي ما شئت فانه ان علم بي سوف يستنقذني قال فدخل يوسف فبكى ثم توضأ وخرج
اليهم قال فلما حمل يوسف ابل اخوته من الميرة جعل الاناء الذي يكيل به الطعام وهو
الصواع وكان من فضة في رحل أخيه وقيل كان اناء يشرب فيه ولم يشعر أخوه بذلك وقيل
ان بنيامين لما علم ان يوسف أخوه قال لا أفارقك قال يوسف أخاف غم أبوينا ولا يمكنني
حبسك الا بعد ان أشهرك بامر فظيع قال افعل قال فاني أجعل الصواع في رحلك ثم

أنادي عليك بالسرقة لا آخذ إلا منهم قال افعل فلما رحلوا أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين لانا رددنا ثمن الطعام الى يوسف فلما قالوا ذلك قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه تأخذونه لكم فبدأ بأوعيتهم ففتشها قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه فقالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف وكانت سرقته حين سرق صنما لجده أبي أمه فكسره فعيروه بذلك وقيل ما تقدم ذكره من المنطقة فلما استخرجت السرقة من رحل الغلام قال اخوته يا بني راحيل لا يزال لنا منكم بلاء فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم فأخذ يوسف أخاه بحكم اخوته فلما رأوا انهم لا سبيل لهم عليه سألوه ان يتركه لهم وقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه فقال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فلما أيسوا من خلاصه خلصوا نجيا لا يختلط بهم غيرهم فقال كبيرهم وهو شمعون وقيل روبيل ألم تعلموا ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ان تأتنه بأخينا الا ان يحاط بنا ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي بالخروج وقيل بالحرب فارجعوا الى أبيكم فقصوا عليه خبركم فلما رجعوا الى أبيهم فاخبروه بخبر بنيامين وتخلف شمعون قال بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا يوسف وأخيه وشمعون ثم اعرض عنهم وقال واحزناه على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم مملوء من الحزن والغيظ فقال له بنوه تالله لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا اى دنفا او تكون من الهالكين فاجابهم يعقوب فقال انما أشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف وقيل بلغ من وجد يعقوب وجد سبعين مثكلا واعطى على ذلك اجر مائة شهيد قيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة فاغفرها قال قد غفرتها لك فكان يعقوب اذا سئل بعد ذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله فأوحى الله اليه لو كانا ميتين لاحييتهما لك انما ابتليتك لانك قد شويت وقترت على جارك ولم تطعمه وقيل كان سبب ابتلائه انه كان له بقرة لها عجول فذبح عجولها بين يديها وهي تخور فلم يرحمها يعقوب فابتلي بفقد اعز ولده عنده وقيل ذبح شاة فقام ببابه مسكين فلم يطعمه منها فاوحى الله اليه في ذلك واعلمه انه سبب ابتلائه فصنع طعاما ونادى من كان صائما فليفطر عند يعقوب ثم ان يعقوب امر بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع اليها وتحسس الاخبار عن يوسف وأخيه فرجعوا الى مصر فدخلوا على يوسف وقالوا يا أيها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة يعني قليلة فأوف لنا الكيل قيل كانت بضاعتهم دراهم زيوفا وقيل كانت سمنا وصوفا وقيل غير ذلك وتصدق علينا بالفضل ما بين الجيد والرديء وقيل برد اخينا علينا فلما سمع كلامهم غلبته نفسه فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذي كان يكتم وقيل انما اظهر لهم ذلك لان اباه كتب اليه

أول من تسمى ابراهيم ابراهيم عليه السلام ومعناه أب رحيم وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يثني عليه وعن بن مالك قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم انفرد باخراجه مسلم واول من شاب وهو ابن مائة وخمسين سنة فلما ظهر الشيب قال يا رب ما هذا فقال الله تعالى وقار فقال رب زدني وقارا وذلك ان سارة لما ولدت اسحق قال الكنعانيون الا تعجبون لهذا الشيخ والعجوز وجدا غلاما لقيطا فتبنياه فصور الله تعالى اسحق على صورة ابراهيم فلم يكن يفصل بينهما فوسم الله ابراهيم بالشيب ليفرقا روى الحافظ ابن عساكر بسنده الى الاصبغ بن نباتة قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه يقول كان الرجل فيما قبل يبلغ الهرم ولم يشب وكان الرجل يأتي القوم وفيهم الوالد والولد فيقول ايكم الاب لا يعرفون الاب من الابن ومن معجزاته ان ريح المسك يفوح من بدنه فاذا سكن دارا وخرج منها فان رائحة المسك لم تزل تفوح فيها فكان المجوس يجعلون تلك الدار معبدا ويوقدون فيها النار وكان يسمع من بعيد روي انه لما وضع هاجر واسمعيل بمكة ثم ذهب الى الشام وضاق عليهما الامر بعد مدة فصاح يوما اسمعيل الى ابيه يشكو الضيق والجوع فسمعه ابراهيم ودعا له فوسع الله عليه الرزق وكانت السباع تسير معه وتكلمه وتؤانسه اذا سار وحيدا وكان مولد ابراهيم عليه السلام بقرية كوثى من اقليم بابل وقيل

حتى قيل له انه احد ابنيه لانه سرق كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن
ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء
اما جدي فشدت يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما ابي فشدت
يداه ورجلاه ووضع السكين على حلقه ليذبح ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب
اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية فعادوا ومعهم قميصه ملطخا بدم وقالوا اكله
الذئب وكان لي ابن آخر اخوه لامه فكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق
وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة
تدرك السابع من ولدك فلما قرأ الكتاب لم يتمالك ان بكى واظهر لهم فقال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي
قد من الله علينا بان جمع بيننا فاعتذروا وقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين
قال لا تثريب عليكم اليوم اي لا اذكر لكم ذنبكم يغفر الله لكم ثم سألهم عن ابيه فقالوا
لما فاته بنيامين عمي من الحزن فقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا
واتوني باهلكم اجمعين فقال يهوذا انا اذهب به لاني ذهبت اليه بالقميص ملطخا بالدم
واخبرته ان يوسف اكله الذئب فانا اخبره انه حي فافرحه كما احزنته وكان هو البشير ولما
فصلت العير عن مصر حملت الريح الى يعقوب ريح يوسف وبينهما ثمانون فرسخا ويوسف
بمصر ويعقوب بارض كنعان فقال يعقوب اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون فقال
له من حضره من اولاده تالله انك من ذكر يوسف لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير
بقميص يوسف القاه على وجه يعقوب فارتد بصيرا وقال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا
تعلمون يعني تصديق الله تاويل رؤيا يوسف ولما ان جاء البشير قال له يعقوب كيف تركت
يوسف قال تركته ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال تركته على الاسلام
قال الآن تمت النعمة فلما رأى من عنده من اولاده قميص يوسف وخبره قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا قال سوف استغفر لكم أخر الدعاء الى السحر من ليلة الجمعة ثم ارتحل
يعقوب وولده فلما دنا من مصر خرج يوسف يتلقاه ومعه اهل مصر وكانوا يعظمونه فلما دنا
احدهما من صاحبه نظر يعقوب الى الناس والخيل وكان يعقوب يمشي ويتوكأ على ابنه
يهوذا فقال له يا بني هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما قرب منه اراد يوسف
ان يبدأه بالسلام فمنع من ذلك فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان لانه لم
يفارقه الحزن والبكاء مدة غيبة يوسف عنه قال فلما دخلوا مصر رفع ابويه يعني امه واباه
وقيل كانت خالته وكانت امه قد ماتت وخروا له يعقوب وامه واخوته سجدا وكان السجود
تحية الناس للملوك ولم يرد بالسجود وضع الجبهة على الارض فان ذلك لا يجوز الا لله تعالى
وانما اراد الخضوع والتواضع والانحناء على السلام كما يفعل الآن بالملوك والعرش
السرير وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وكان بين رؤيا
يوسف ومجيء يعقوب اربعون سنة وقيل ثمانون سنة فانه القي في الجب وهو ابن سبع
عشرة سنة ولقيه وهو ابن سبع وتسعين سنة وعاش بعد جمع شمله ثلاثا وعشرين سنة وتوفي

بقرية برزة من أعمال دمشق وقيل ولد بقرية حران ونقله أبوه الى بابل وقيل كان مولده بالسوس من أرض الاهواز فخاف من
نمرود الجبار وأخفاه الله تعالى
في غار وجعله في سرب خافه عليه
من نمرود وكان يمص ابهامه واللبن
يدر منه وكان يشب في كل يوم مثل
ما يشب غيره في شهر قال مقاتل
لما أتى عليه سنة تكلم وهو أول
كلامه فقال يا أماه من ربي قالت
أنا قال ومن ربك قالت أبوك قال
ومن رب أبي قالت نمرود قال ومن
رب نمرود فالطمته وقالت اسكت
ثم رجعت الى أبيه واخبرته بما
قال فجاء اليه أبوه فقال له مثل
ذلك يقال انه أقام في السرب
ثلاث سنين وقيل سبع سنين وكان
أبوه آزر يصنع الاصنام ويعطيها
لابراهيم عليه السلام ليبيعها
وكان ابراهيم عليه السلام يقول
من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلما
فشا أمره واتصل خبره بنمرود
وهو ملك تلك البلاد وقيل كان
عاملا على سواد العراق وما اتصل
به للضحاك فلما كثر عليهم ذم
ابراهيم عليه السلام لآلهتهم
وكسرها يوم عيدهم اتخذ له نمرود
النار ووضعه في المنجنيق لياتي
في النار فأتاه خازن الماء فقال ان
أردت أخمدت النار وأتاه خازن
الرياح فقال ان اردت طيرت النار
في الهواء فقال ابراهيم عليه
السلام لا حاجة لي اليكم فأتاه
جبريل فقال له هل لك حاجة قال
اما اليك فلا قال فاسأل الله تعالى
قال علمه بحالي حسبي من سؤالي
فقال الله تعالى يا نار كوني بردا
وسلاما على ابراهيم ولما وصل الى النار تلقته الملائكة بايديها وجاء جبريل بقميص من الجنة فالبسه اياه فانقلبت

وله مائة وعشرون سنة واوصى الى اخيه يهوذا وقيل كانت غيبة يوسف عن يعقوب ثمانى عشرة سنة وقيل ان يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه الى مصر وكانت مدة غيبته عن يعقوب اثنتين وعشرين سنة وكان مقام يعقوب بمصر واهله معه سبع عشرة سنة وقيل غير ذلك والله اعلم ولما مات يعقوب اوصى الى يوسف أن يدفنه مع ابيه اسحق ففعل يوسف فسار به الى الشام فدفنه عند ابيه ثم عاد الى مصر واوصى يوسف ان يحمل من مصر ويدفن عند آبائه فحمله موسى لما خرج بنى اسرائيل وولد يوسف افرايم ومنشا فولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى وولد لمنشا موسى قبل موسى بن عمران وزعم اهل التوراة انه موسى الخضر وولد له رحمة امرأة ايوب فى قول

(قصة شعيب عليه السلام)

قيل ان اسم شعيب يثرون بن ضيعون بن عنقا بن ثابت بن مدين بن ابراهيم وقيل هو شعيب ابن ميكيل من ولد مدين وقيل لم يكن شعيب من ولد ابراهيم وانما هو من ولد بعض من آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام ولكنه ابن بنت لوط فجدة شعيب ابنة لوط وكان ضرير البصر وهو معنى قوله تعالى وانا لنراك فينا ضعيفا اى ضرير البصر وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا ذكره قال ذاك خطيب الانبياء بحسن مراجعته قومه وان الله ارسله الى اهل مدين وهم اصحاب الايكة والايكة شجر ملتف وكانوا اهل كفر بالله وبخس للناس فى المكاييل والموازين وافساد اموالهم وكان الله وسع عليهم فى الرزق وبسط لهم فى العيش استدراجا لهم منه مع كفرهم بالله فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى اراكم بخير وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط فلما طال تماديهم فى غيهم وضلالهم ولم يزدهم تذكير شعيب اياهم وتحذيره عذاب الله اياهم الا تماديا ولما اراد اهلاكهم سلط عليهم عذاب يوم الظلة وهو ما ذكره ابن عباس فى تفسير قوله تعالى فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فقال بعث الله عليهم وقدة وحرا شديدا فأخذ بأنفسهم فخرجوا من البيوت هرابا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحتها فارسل الله عليهم نارا قال عبد الله بن عباس فذلك عذاب يوم الظلة وقال قتادة بعث الله شعيبا الى أمتين الى قومه أهل مدين والى اصحاب الايكة وكانت الايكة من شجر ملتف فلما اراد الله ان يعذبهم بعث عليهم حرا شديدا ورفع لهم العذاب كانه سحابة فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء بردها فلما كانوا تحتها امطرت عليهم نارا قال فذلك قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة واما أهل مدين فهم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل فعذبهم الله بالرجفة وهى الزلزلة فاهلكوا قال بعض العلماء كان قوم شعيب عطلوا حدا فوسع الله عليهم فى الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم فى الرزق فجعلوا كلما عطلوا حدا وسع الله عليهم فى الرزق حتى اذا أراد هلاكهم سلط عليهم حرا لا يستطيعون ان يتقاروا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظلة فوجد روحا فنادى أصحابه هلموا الى الروح

النار روضة خضراء ذات عين ماء عذب وورد احمر ونرجس وقعد جبريل يحدث معه وأقام ابراهيم فى النار اربعين يوما وكان يقول بعد ما خرج منها ما طاب لى عيش مثل تلك الايام ووددت انى لو كنت فيها ابدا قال كعب الاحبار ما انتفع احد من اهل الارض بنار ولا احرقت شيأ فى تلك الساعة لمخافة انها المعنية بالخطاب وعن سفيان الثورى رحمه الله انه قال اوحى الله الى النار لئن نلت من ابراهيم أكثر من حل وثاقه لاعذبنك عذابا لا أعذبه احدا من العالمين وكان حين وضع فى المنجنيق ورمى به برد عن ثيابه ولم يترك عليه الا سراويله فقصد بعض السفهاء نزع السراويل عنه فشلت يداه وهو اول من اتخذ السراويل بوحى اوحى اليه ان استر عورتك من الارض فهبط عليه جبريل بخرقة من الجنة ففصلها جبريل سراويل وخاطته سارة وقال ما أحسن هذا واستره يا جبريل فانه نعم السترة للمؤمن فلما لبسه قال ما لبست ثوبا احب الى منه فاذا مت فغسلونى من تحته وكفنونى من فوقه وهو اول من جرد من ثيابه فى سبيل الله فلذلك كساه الله تعالى فى ذلك المحل قميصا من الجنة وادخر له كسوة بيضاء يكسوها له فى المحشر ويوضع له منبر على يسار العرش فيجلس عليه وكان عمره حين القى فى النار ست عشرة سنة واقام ابراهيم عليه السلام بعد ذلك ما شاء الله ان يقيم وآمنت به سارة وهى بنت عمه هاران فكانت اخت لوط عليه السلام وكانت اجمل اهل زمانها ذكران الحسن نصفه فى جميع الخلق والثلث فى يوسف عليه

فذهبوا اليه سراعا حتى اذا اجتمعوا اليه ارسل الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم الظلة
وقد روى عامر عن ابن عباس انه قال لمن حدثك ما عذاب يوم الظلة فكذبه وروى
مجاهد عذاب يوم الظلة هو اظلال العذاب على قوم شعيب وقال زيد بن أسلم في قوله
تعالى يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء قال
مما كان ينهاهم عنه قطع الدراهم

(قصة الخضر وخبره مع موسى)

قال أهل الكتاب ان موسى صاحب الخضر هو موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب
والحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى صاحب الخضر هو موسى بن
عمران على ما نذكره وكان الخضر ممن كان في أيام افريدون الملك بن اثفيان في قول علماء
الكتاب الاول قبل موسى بن عمران وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذي
كان في أيام ابراهيم الخليل وانه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة فشرب من مائه ولا يعلم
ذو القرنين ومن معه فخلد وهو حي عندهم الى الآن وزعم بعضهم انه كان من ولد من
آمن مع ابراهيم وهاجر معه واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن
سام بن نوح وكان ابوه ملكا عظيما وقال آخرون ذو القرنين الذي كان على عهد ابراهيم
افريدون بن اثفيان وعلى مقدمته كان الخضر قال عبد الله بن شوذب الخضر من ولد
فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان كل عام بالموسم وقال ابن اسحق استخلف الله على
بني اسرائيل رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص فبعث الله لهم الخضر معه نبيا قال
واسم الخضر فيما يقول بنو اسرائيل ارميا بن حلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وبين
هذا الملك وبين افريدون أكثر من ألف عام وقول من قال ان الخضر كان في أيام
افريدون وذى القرنين الاكبر قبل موسى بن عمران أشبه بالحديث الصحيح ان موسى بن
عمران أمره الله بطلب الخضر ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق بالكائن
من الامور فيحتمل ان يكون الخضر على مقدمة ذى القرنين قبل موسى وانه شرب من
ماء الحياة فطال عمره ولم يرسل في أيام ابراهيم وبعث في أيام ناشية بن أموص وكان ناشية
هذا في أيام بشتاسب بن لهراسب والحديث ما رواه أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس ان نوفا يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى
ابن عمران قال كذب عدو الله حدثني أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
موسى قام في بني اسرائيل خطيبا فقيل له اى الناس اعلم فقال أنا فعتب الله عليه حين
لم يرد العلم اليه فقال يا رب هل هناك أعلم مني قال بلى عبد لي بمجمع البحرين قال يا رب كيف
لي به قال تأخذ حوتا فتجعله في مكتل فحيث تفقده فهو هناك فأخذ حوتا فجعله في مكتل
ثم قال لفتاه اذا فقدت هذا الحوت فأخبرني فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا
الصخرة وذلك الماء وهو ماء الحياة من شرب منه خلد ولا يقاربه شيء ميت الا حيي فمس
الحوت منه فحيي وكان موسى راقدا واضطرب الحوت في المكتل فخرج في البحر فأمسك
الله عنه جرية الماء فصار مثل الطاق فصار للحوت سربا وكان لهما عجبا ثم انطلقا فلما كان

السلام والسدس في سارة تتزوجها وخرج مهاجرا معه وهو اول من هاجر من وطنه في طاعة الله تعالى حفظا لايمانه
واله النمرود ان يخرج من ارضه الى
حيث شاء فاجابه الى ذلك حيث
يئس من ايمانه فخرج وهو ابن
سبعين سنة ومعه ابن عمه لوط وابنة
عمه سارة وابوه آزر الى قرية
حران فاقاموا بها خمسين سنة ومات
بها آزر بعد سنتين ثم سار ابراهيم
ولوط عليهما السلام واهله
من حران الى قرية برزة قال صاحب
اتحاف الاخصاء بسنده الى الزهرى
ان ابراهيم عليه السلام تعبد في
مسجد بقرية برزة فمن صلى فيه
اربع ركعات خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه واستجيب دعاؤه
فوجدوا بها جوعا عظيما فساروا
الى مصر واقاموا بها ثلاثة اشهر
وقصة سارة مع فرعون مصر ستجيء
ان شاء الله تعالى وكان اول من آمن
به وعظمه ابنة نمروذ فعذبها نمروذ
على ذلك عذابا شديدا ثم امر الله
تعالى جبريل فرفعها من بين
اظهرهم ثم جاء بها الى ابراهيم عليه
السلام وذلك من بعد ما هاجر
تزوجها ابراهيم من ابنه مدين
حملت منه عشرين بطنا اكرمهم
الله تعالى بالنبوة كذا في البحر
الزخار وتزوج ابراهيم بعد سارة
امرأة من الكنعانيين يقال لها
قنطورا فولدت له سبعة نفر فكان
جميع ولد ابراهيم ثلاثة عشر
رجلا فابقى عنده اسحق عليه
السلام بارض الشام واسمعيل
بارض الحجاز وفرق سائر اولاده
في البلاد وعلمهم اسما من اسماء
الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون به عليهم السلام وعاش ابراهيم عليه السلام مائتي سنة وقبره في حبرون

حين الغداء قال لموسى فتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى تجاوز حيث أمره الله فقال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا قال يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة فاذا رجل نائم مسجى بثوبه فسلم موسى عليه فقال وأنى بأرضنا السلام قال أنا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم قال يا موسى انى على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله لا أعلمه قال له موسى هل أتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ثم ركبا سفينة فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى الماء فقال الخضر لموسى ما ينقص علمى وعلمك من علم الله الا مقدار ما نقر هذا العصفور من البحر قال فبيناهم فى السفينة فلم يفجأ موسى الا وهو يتد وتدا أو ينزع تختاما منها فقال له موسى حملنا بغير نول فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا قال وكانت الاولى من موسى نسيانا قال فخرجا فانطلقا يمشيان فابصرا غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ برأسه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فلم يجدا احدا يطعمهما ولا يسقيهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه فقال له موسى لم يضيفونا ولم ينزلونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وفى قراءة أبى سفينة صالحة واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا الى ما لم تسطع عليه صبرا فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز الا علما قيل لابن عباس لم نسمع لفتى موسى بذكر فقال شرب الفتى من الماء فخلد فاخذه العالم فطابق به سفينة ثم أرسلها فى البحر فانها لتموج به الى يوم القيامة الحديث يدل على ان الخضر كان قبل موسى وفى ايامه ويدل على خطأ من قال انه أرميا لان ارميا كان ايام بختنصر وبين أيام موسى وبختنصر من المدة ما لا يشكل على عالم بأيام الناس فان موسى انما نبئ فى أيام منوجهر وكان ملكه بعد جده افريدون

(ذكر الخبر عن منوجهر والحوادث فى أيامه)

ثم ملك بعد افريدون بن اثغيان بن كاو منوجهر وهو من ولد ايرج بن افريدون وكان مولده بدنباوند وقيل بالرى فلما ولد منوجهر أخفى أمره خوفا من طوج وسلم عميه ولما كبر

حبرون وكان اشتراها وفيها قبرت زوجته سارة وبنى مشير الغرام انه لم يبعث ابراهيم عليه السلام حتى بعث اسحق الى ارض الشام وبعث يعقوب الى ارض كنعان واسمعيل الى جرهم ولوط الى سذوم وكانوا انبياء على عهد ابراهيم عليه السلام

(الفصل الثامن فى ذكر لوط عليه السلام)

وهو ابن عم ابراهيم عليه السلام قال الثعلبى انما سمى لوطا لانه لبط حبه اى تعلق ولصق بقلب ابراهيم عليه السلام وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكانت الروم قد اسرت لوطا فغزاهم ابراهيم عليه السلام حتى استنقذه منهم فبعث لوطا الى الاردن لاهل سذوم وما يليها وكانوا كفارا يأتون الفواحش وكان ينهاهم عن ذلك فاقام لوط عليه السلام فيهم بضعا وعشرين سنة وهو يدعوهم الى عبادة الله تعالى فكانوا لا يزدادون الا انكارا وتكذيبا ومن معجزاته ان قومه طلبوا منه معجزة وسألوه مطرا بلا سحاب فدعا الله تعالى فاستجاب دعاءه فامطر الله تعالى عليهم مطرا ماء عذبا بلا سحاب فاسلم البعض وجحد البعض وغاب ابن رجل من الكفار فطلب ان يخبره بمكانه فدعا ربه فاجابه فرأى ابن الرجل واخبره وكان بينهما مسيرة مائة فرسخ فاسلم الرجل ثم ان لوطا سأل ربه ان ينصره عليهم فأجاب الله دعاءه فبعث الله تعالى جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام لاهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه السلام فاقبلوا اليه بعد مفارقة ابراهيم مشاة فى صورة شبان مردان نحو قرية لوط فلقوا لوطا ودخلوا معه منزله فلم يعلم بهم احد وكان نصف النهار وعلم لوط

منوجهر سار الى جده افريدون فتوسم فيه الخير وجعل له ما كان جعل لجده ايرج من المملكة وتوجه بتاجه وقد زعم بعضهم ان منوجهر ابن شجر بن افريقش بن اسحق بن ابراهيم انتقل اليه الملك واستشهد بقول جرير بن عطية

وابناء اسحق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موت لابسين السنورا
اذا انتسبوا عدوا الصبهبذ منهم * وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب فيهم ونبوة * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
فيجمعنا والغر ابناء فارس * أب لا يبالى بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا * رضينا بما أعطى الاله وقدرا

وأما الفرس فتنكر هذا النسب ولا تعرف لها ملكا الا فى أولاد افريدون ولا تقر بالملك لغيره قلت والحق ما قاله الفرس فان أسماء ملوكهم قبل الاسكندر معروفة وبعده أيام ملوك الطوائف واذا كان منوجهر أيام موسى وكل ما بين موسى واسحق خمسة آباء معروفون ولم يزالوا بمصر ففى أى زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس ومن اين لجرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة لاسيما وقد جعل الجميع ابناء اسحق قال هشام بن الكلبى ملك طوج وسلم الارض بعد أخيهما ايرج ثلثمائة سنة ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ثم وثب به ابن لطوج التركى على رأس ثمانين سنة فنفاه عن بلاد العراق اثنتى عشرة سنة ثم أديل منه منوجهر فنفاه عن بلاده وعاد الى ملكه بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة وكان منوجهر يوصف بالعدل والاحسان وهو أول من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب وأول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقانا وأمر أهلها بطاعته ويقال ان موسى ظهر فى سنة ستين من ملكه وقال غير هشام انه لما ملك سار نحو بلاد الترك طالبا بدم جده ايرج بن افريدون فقتل طوج بن افريدون وأخاه سلما ثم ان افراسياب بن فشنج بن رستم ابن ترك الذى ينسب اليه الاتراك من ولد طوج بن افريدون حارب منوجهر بعد قتله طوج بستين سنة وحاصره بطبرستان ثم اصطلحا ان يجعلا حد ما بين ملكيهما رمية سهم رجل من أصحاب منوجهر اسمه ايرشى وكان راميا شديد النزع فرمى سهما من طبرستان فوقع بنهر بلخ وصار النهر حدا ما بين الترك وولد طوج وعمل منوجهر ذلك وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس فى أكاذيبهم ان رمية سهم تبلغ هذا كله وقد كان منوجهر اشتق من الفرات ودجلة ونهر بلخ انهارا اعظاما وأمر بعمارة الارض وقيل ان الترك تناولت من أطراف رعيته بعد خمس وثلاثين سنة من ملكه فوبخ قومه وقال لهم أيها الناس انكم لم تلدوا الناس كلهم وانما الناس ناس ما ناضلوا عن انفسهم ودفعوا العدو عنهم وقد نالت الترك من أطرافكم وليس ذلك الا بترككم جهاد عدوكم وان الله أعطانا هذا الملك ليبلونا أنشكر أم نكفر فيعاقبنا فاذا كان غدا فاحضروا فحضر الناس والاشراف فقام على قدميه فقام له الناس فقال اقعدوا انما قمت لاسمعكم فجلسوا فقال أيها الناس انما الخلق للخالق والشكر للمنعم والتسليم للقادر ولا بد مما هو كائن وانه لا أضعف من مخلوق طالبا كان أو مطلوبا ولا أقوى من خالق ولا أقدر ممن طلبته فى يده ولا

ان قومه يسيئون الادب فى حقهم فخرجت امرأته فاعلمت قومها وقالت ان فى بيت لوط شبانا ما رأيت مثلهم فى عمرى وقال ابو حمزة اليمانى بلغنا ان العلم الذى كان بين امرأة لوط وقومها انها اذا رأت اضيافا اتتهم فتقول لهم هبوا ملحا تدعوهم بذلك الى الفاحشة باضياف لوط فبلغنا ان الله تعالى مسخها ملحا عن ابى بكر ابن عياش قال سألت اباجعفر لم عذب نساء قوم لوط قال الله تعالى اعدل من ذلك كان استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فلما اخبرت امرأة لوط قومه بالاضياف جاءه قومه يهرعون اليه فاغلق لوط الباب وهم يعالجون الباب فلما رأت الملائكة ما لقى لوط منهم من الكرب والتعب بسببهم قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد ثم قالوا افتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب ودخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحيه وجوههم فطارت اعينهم واعماهم فساروا لايعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فافترقوا فلما علم لوط عليه السلام ان اضيافه رسل الله وانهم ارسلوا لهلاك قومه قال اتهلكونهم الساعة فقال له جبريل ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما كان السحر خرج لوط واهل بيته ومعه امرأته ولما اصبحوا ادخل جبريل جناحه تحت ارضهم فاقتلع قريات لوط فى كل قرية مائة الف ورفعهم بين السماء والارض حتى سمع اهل سماء الدنيا اصوات ديوكهم ونباح كلابهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ثم اتبع شرادهم ومسافرهم الحجارة قيل كان مكتوبا

أعجز من هو في يد طالبه وان التفكر نور والغفلة ظلمة فالضلالة جهالة وقد ورد الاول ولا بد للآخر من اللحاق بالاول ان الله أعطانا هذا الملك فله الحمد ونسأله الهام الرشد والصدق واليقين وانه لا بد ان يكون للملك على أهل مملكته حق ولاهل مملكته عليه حق فحق الملك عليهم ان يطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدوه وحقهم على الملك ان يعطيهم ارزاقهم في أوقاتها اذ لا معول لهم الا عليها وانه خازنهم وحق الرعية على الملك ان ينظر اليهم ويرفق بهم ولا يحملهم على ما لا يطيقون وان أصابتهم مصيبة أو تنقص من ثمارهم ان يسقط عنهم خراج ما نقص وان اجتاحتهم مصيبة ان يعوضهم ما يقويهم على عمارتهم ثم يأخذ منهم بعد ذلك قدر ما لا يجحف بهم في سنة أو سنتين الا وان الملك ينبغي ان يكون فيه ثلاث خصال ان يكون صديقا لا يكذب وان يكون سخيا لا يبخل وان يملك نفسه عند الغضب فانه مسلط ويده مبسوطة والخراج يأتيه فلا يستأثر على جنده ورعيته بما هم اهل له وان يكثر العفو فانه لا ملك اقوى ولا ابقى من ملك فيه العفو فان الملك ان يخطئ في العفو خير من ان يخطئ في العقوبة الا وان الترك قد طمعت فيكم فاكفونا فانما تكفون انفسكم وقد امرت لكم بالسلاح والعدة وانا شريككم في الرأي وانما لي من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم الا وانما الملك ملك اذا أطيع فان خولف فهو مملوك وليس بملك الا وان أكمل الاداة عند المصيبات الاخذ بالصبر والراحة الى اليقين فمن قتل في مجاهدة العدو رجوت له بفوز رضوان الله وانما هذه الدنيا سفر لاهلها لا يحلون عقد الرحال الا في غيرها وهي خطبة طويلة ثم أمر بالطعام فأكلوا وشربوا وخرجوا وهم له شاكرون مطيعون وكان ملكه مائة وعشرين سنة وزعم ابن الكلبي ان الرايش واسمه الحرث بن قيس بن صيفي بن سبا بن يعرب بن قحطان وكان قد ملك اليمن بعد يعرب بن قحطان كان ملكه باليمن أيام ملك منوجهر وانما سمي الرايش لغنيمة غنمها فادخلها اليمن فسمي الرايش ثم غزا الهند فقتل بها واسر وغنم ورجع الى اليمن ثم سار على جبلي طيئ ثم على الانبار ثم على الموصل ووجه منها خيله وعليها رجل من أصحابه يقال له شمر بن العطاف فدخل على الترك بأرض أذربيجان فقتل المقاتلة وسبى الذرية وكتب ما كان من مسيره على حجرين وهما معروفان باذربيجان ثم ملك بعده ابنه ابرهة ولقبه ذو المنار وانما لقب بذلك لانه غزا بلاد المغرب وأوغل فيها برا وبحرا وخاف على جيشه الضلال عند قفوله فبنى المنار ليهتدوا وقد زعم أهل اليمن انه وجه ابنه العبد بن ابرهة في غزواته الى ناحية من اقاصي المغرب فغنم وقدم بسبي له وحشة منكرة فذعر الناس منهم فسمي ذو الاذعار فابرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا في البلاد وانما ذكرت من ذكرت من ملوك اليمن ههنا لقول من زعم ان الرايش كان أيام منوجهر وان ملوك اليمن كانوا عمالا لملوك فارس

(قصة موسى عليه السلام ونسبه وما كان في أيامه من الاحداث)

قيل هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وولد لاوي ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة وولد قاهث للاوي وهو ابن ست وأربعين سنة وولد لقاهث يصهر وولد عمران ليصهر وله ستون سنة وكان عمر جميعه مائة وسبعا وأربعين

على كل حجر اسم من رمى به وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وكانت قرى قوم لوط خمسا وهي سذوم وعامورا وادما وصبويم وصوعر وكان فيها اربعة آلاف الف فاحتملها جبريل عليه السلام وقلبها فلذلك سميت المؤتفكات اي المنقلبات وقيل قلب الاربع قرى واما الخامسة فان اهلها آمنوا بلوط فامنوا من العذاب وتوفي لوط ودفن في قرية تسمى كفر بريك على نحو فرسخ من مسجد الخليل وفي المغارة الغربية تحت المسجد العتيق ستون نبيا منهم عشرون مرسلا. ولما مضى من عمر ابراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وقيل سبعون سنة ولد من هاجر جارية سارة اسمعيل عليه السلام

(الفصل التاسع في ذكر اسمعيل عليه السلام)

وهو اسم اعجمي وفيه لغتان اسمعيل باللام واسماعين بالنون قال ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا وعد وفى وانجز وقد وعد رجلا ان يلقاه بمكان فاقام سنة ينتظره وهو أكبر أولاد ابراهيم عليه السلام وابو العرب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأمه هاجر القبطية ومن معجزاته ان كفار البادية طلبوا منه معجزة وكان جالسا عند أصل شوك فدعا الله تعالى فاثمر الشوك في الحال وسألوه ان يحلب لبنا من ضرع يابس فوضع يده على ظهر نعجة ذات ضرع يابس وقال بسم الله الذي أرسلني رسولا فظهر اللبن من ضرعها باذن الله تعالى فا من

به من آمن وروى ان ابراهيم عليه السلام استمر دهرا طويلا لا يولد له ولد فوهبت له سارة هاجر فقالت اني

سنة وولد موسى ولعمران سبعون سنة وكان عمر عمران جميعه مائة وسبعا وثلاثين سنة
وام موسى يوحانذ واسم امرأته صفورا بنت شعيب النبي وكان فرعون مصر في أيامه
قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن
عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول وقيل كانت من بني اسرائيل فلما نودي
موسى اعلم ان قابوس فرعون مصر مات وقام أخوه الوليد بن مصعب مكانه وكان عمره
طويلا وكان أعتى من قابوس وافجر وأمر بان يأتيه هو وهرون بالرسالة ويقال ان
الوليد تزوج آسية بعد أخيه ثم سار موسى الى فرعون رسولا مع هرون فكان من مولد
موسى الى ان أخرج بني اسرائيل من مصر ثمانون سنة ثم سار الى التيه بعد ان مضى وعبر
البحر وكان مقامهم هنالك الى ان خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة فكان ما بين مولد
موسى الى وفاته مائة وعشرون سنة قال ابن عباس وغيره دخل حديث بعضهم في بعض
ان الله تعالى لما قبض يوسف وهلك الملك الذي كان معه وتوارثت الفراعنة ملك مصر
ونشر الله بني اسرائيل لم يزل بنو اسرائيل تحت يد الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان
يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيهم من الاسلام حتى كان فرعون موسى وكان
أعتاهم على الله وأعظمهم قولا وأطولهم عمرا واسمه فيما ذكر الوليد بن مصعب وكان
سيء الملكة على بني اسرائيل يعذبهم ويجعلهم خولا ويسومهم سوء العذاب فلما أراد
الله ان يستنقذهم بلغ موسى الاشد وأعطاه الرسالة وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى
انه رأى في منامه كان نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت
القبط وتركت بني اسرائيل وأخربت بيوت مصر فدعا السحرة والحزاة والكهنة فسألهم
عن رؤياه فقالوا يخرج من هذا البلد يعنون بيت المقدس الذي جاء بنو اسرائيل منه رجل
يكون على وجهه هلاك مصر فأمر ان لا يولد لبني اسرائيل مولود الا ذبح ويترك الجواري
وقيل انه لما تقارب زمان موسى أتى المنجمون فرعون وحزاته اليه فقالوا اعلم انا نجد
في علمنا ان مولودا من بني اسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه يسلبك ملكك ويغلبك
على سلطانك ويبدل دينك فأمر بقتل كل مولود يولد في بني اسرائيل وقيل بل تذاكر
فرعون وجلساؤه مما وعد الله عز وجل ابراهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فقال
بعضهم ان بني اسرائيل لينتظرون ذلك وقد كانوا يظنونه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا
ليس هكذا وعد الله ابراهيم فقال فرعون كيف ترون فاجمعوا على ان يبعث رجالا يقتلون
كل مولود في بني اسرائيل وقال للقبط انظروا عمالكم الذين يعملون خارجا فادخلوهم
واجعلوا بني اسرائيل يلون ذلك فجعل بني اسرائيل في أعمال غلمانهم فذلك حين يقول الله
عز وجل ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح
أبناءهم فجعل لا يولد لبني اسرائيل مولود الا ذبح وكان يأمر بتعذيب الحبالى حتى يضعن
فكان يشق القصب ويوقف المرأة عليه فيقطع اقدامهن وكانت المرأة تضع فتتقي بولدها
القصب وقضى الله الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وكلموه
وقالوا ان هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك ان يقع العمل على غلماننا تذبح الصغار

حرمت من الولد فدل الله تعالى ان رزقك منها ولدا تقر به عينك فاصحبها ابراهيم عليه السلام بجمالها وعقلها ودينها

فلما حملت باسمعيل وولدته تحول نور
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عن جبين
ابراهيم الى جبين اسمعيل عليه السلام
يلوح كالشمس المشرقة فأخذت
سارة الغيرة وقالت لابراهيم عليه
السلام قد علمت ان الله تبارك وتعالى
جعل صداقي عليك رضاي وطاعتي
واني آمرك ان تحمل هذه الجارية
وابنها حتى تأتي بها بلدا لا ماء فيه
ولا زرع فتسكنهما فيه قال أفعل
ذلك فأمر الله تعالى ابراهيم
بالمسير الى مكة فركب البراق هو
واسمعيل وهاجر حتى أتى بهما
الى البيت وكان يومئذ كالبرق الخاطف
يضيء حافتاه عند منتهى طرفه
ولم يكن بها يومئذ خلق من
الناس فأنزلهما هناك والبيت
يومئذ ربوة حمراء مشرفة على
ما سواها ولم ينزل عن مطيته وولى
منصرفا فنادته هاجر يا نبي الله
الى من تكلنا قال الى الله تعالى
وأستودعكما اياه فقالت له آلله
أمرك بهذا قال نعم قالت اذا
لا يضيعنا فرجع ابراهيم عليه
السلام الى الشام فعمدت هاجر
فعملت عريشا وكان معها شنة
فيها ماء فنفد الماء وعطشا عطشا
شديدا وكان اسمعيل يومئذ من
ابناء ثلاث سنين فجعلت تتضرع
الى الله تعالى وتصعد يمنة ويسرة
وكانت تسعى بين الصفا والمروة
وتأتي اسمعيل فتضع يدها على فيه
مخافة ان يموت من العطش ثم
ترجع وتسعى وذلك أول سعي يسعى
هنالك وهي في ذلك تدعو وتقول اللهم انا وديعة نبيك وخليلك عندك فلا تضيع وديعتك يا من لا يضيع ودائعه

وتذى

رأى في المنام فأوّل ذلك لئلا تبقى من أولادهم فأمرهم أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فلما كان في ثالث السنة التي تركوا فيها ولد هرون وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها وهي السنة المقبلة فلما أرادت امه وضعه حزنت من شأنه فأوحى الله اليها أي الهمها ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم وهو النيل ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فلما وضعته أرضعته ثم دعت نجارا فجعل له تابوتا وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته في اليم فلما توارى عنها أتاها ابليس فقالت في نفسها ما الذي صنعت بنفسي لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب الي من ان القيه بيدي الى حيتان البحر ودوابه فلما ألقته قالت لاخته واسمها مريم قصيه يعني قصي أثره فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون انها اخته فاقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند دور فرعون فخرج جواري آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية وظنن ان فيه مالا فلما فتح واشارت اليه آسية وقعت عليها رحمته واحبته فلما أخبرت به فرعون واتته به قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه فقال فرعون يكون لك واما أنا فلا حاجة لي فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو أقر فرعون ان يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله كما هداها واراد ان يذبحه فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها وقال اني أخاف ان يكون هذا من بني اسرائيل وان يكون هذا الذي على يديه هلاكنا فذلك قوله عز وجل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وأراد والها المرضعات فلم يأخذ من احد من النساء فذلك قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت اخته مريم هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا ما يدريك ما نصحهم له هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك فقالت نصحهم له شفقتهم عليه ورغبتهم في قضاء حاجة الملك ورجاء منفعته فانطلقت الى امه فأخبرتها الخبر فجاءت امه فلما ارضعته ثدييها أخذ منها فكادت تقول هذا ابني فعصمها الله والناس يسمون موسى لانه وجد في ماء وشجر والماء بالقبطية مو والشجر سا فذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن وكان غيبته عنها ثلاثة ايام واشتد معها الى بيتها واتخذه فرعون ولدا فدعي ابن فرعون فلما تحرك الغلام حملته امه الى آسية فاخذته ترقصه وتلعب به وناولته فرعون فلما اخذه اليه اخذ الغلام بلحيته فنتفها فقال فرعون علي بالذباحين يذبحونه هو هذا قالت آسية لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا انما هو صبي لا يعقل وانما فعل هذا من جهل وقد علمت انه ليس في مصر امرأة اكثر حليا مني انا اضع له حليا من ياقوت وجمرا فان اخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان اخذ الجمر فانما هو صبي فاخرجت له ياقوتها ووضعت له طستا من جمر فجاء جبريل فوضع يده في جمرة فاخذها فطرحها موسى في فيه فاحرقت لسانه فهو الذي يقول الله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فدرأت عن موسى بذلك القتل وكبر موسى وكان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس ويدعى موسى بن فرعون وامتنع به بنو اسرائيل ولم يبق قبطي يظلم اسرائيليا خوفا منه ثم ان فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له

يا أيها الراعي أين ولدها فجبريل عليه السلام في صورة آدمي فركض برجله ٦٧ موضع بئر زمزم فنبع من موضع رجله ماء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وادسم من السمن فاستطارت بذلك فرحا وصبرت في فيه فرجعت اليه نفسه وقد كان أشرف على الهلاك بما حلت تحفظ الماء بالتراب لئلا يذهب وجعلت تغرف وتدخره في شنها لولدها فقال لها جبريل عليه السلام ابشري لا تخافي الظمأ وانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وان هذا الغلام وأباه سيبنيان بيتا هذا موضعه ثم تركهما وعرج الى السماء فلبثا خمسة أيام يشربان من ذلك الماء فيجزئهما عن الطعام والشراب فلما كان يوم السادس أقبل غلامان من العماليق الذين كانوا ترولا بعرفات يريدان يعيرا لهما فاشرفا على جبل ابي قبيس فابصرا بياض الماء فتعجبا وانطلقا الى قومهما فاعلماهم بذلك فاقبل نفر من عظمائهم فابصروا الماء واشاروا الى اسمعيل وامه هاجر فسألوها فأخبرتهم بخبرها فقالوا لولا ان هذا الغلام كريم على الله تعالى ما أنبع له هذا الماء بهذا المكان فانا عهدنا به منذ ستة أيام وليس به ماء أفتأذنين لنا ان ننتقل باهالينا الى هذا المكان فنقيم معكما به على ان الاسكان يكون لهذا الغلام حتى أخرجنا منه خرجنا وله عندنا المواساة في الماء والنماء وان نجعله اذا أدرك رئيسنا قالت نعم ان وفيتم فدونكم فاخبروا قومهم وانتقلوا جميعا واقاموا في المنازل والبيوت ونشأ اسمعيل عليه السلام مع أولادهم وكانت لغتهم العربية الفصيحة وهي لغة أولاد بني معد التي نزل

القرآن به وشب اسمعيل حتى بلغ الرشد اذ ويم لسانا واستمم له فتعلموا منه من أموالهم قسمة حتى صار أكثرهم
ابلا وغنما وأعطاه الله القوس
فكان لا يرمى شيأ الا اصابه
واخرج الله تعالى له من البحر
مائة فرس ثم ساقتها الملائكة اليه
فركبها وكان يدعوها يا خيل الله
اجيبي فالعرب في بلاد العرب فرس
الا أتاه وهو أول من ركب الخيل
العتاق وكانت قبل ذلك وحوشا
لا تركب وبعث الى العماليق
وجرهم وقبائل اليمن وكانوا
يعبدون الاوثان فآمن بعضهم
وماتت هاجر ولاسمعيل عشرون
سنة ولها من العمر تسعون سنة
ودفنت بالحجر وفي مرآة الزمان
انها لما سمعت بذبح ولدها ذاقت
مرارتها فماتت بعد ثلاثة أيام
ثم ان ابراهيم عليه السلام اشتاق
الى اسمعيل شوقا شديدا وكان له
متطلبا فاستأذن سارة في اتيانه
فأذنت له على ان لا ينزل عن مطيته
غيرة حتى يولى راجعا فسار على
البراق من الشام حتى أتى مكة
في طرفة عين وقيل كان تطوى له
الارض فرآها مشحونة بالناس
ففرح بذلك فرحا شديدا وسأل عن
منزل اسمعيل وكان منزله بموضع
الحجر فدل عليه فقرع الباب
فخرجت اليه امرأة اسمعيل
وقالت ما تشاء يا شيخ فقال أريد
اسمعيل فقالت خرج باكرا الى
غنمه وليس بمنصرف الى سدفة
من الليل فقال لها كيف
عيشكم قالت اسوأ عيش ونحن
ببلاد لا زرع فيها ولا ضرع ولم تعرض
عليه النزول فقال لها ابراهيم عليه السلام اخبريه بقدومي اليه وسلامي عليه وقولي له انى لم أجد السبيل الى المقام لوقت

فرعون فقد ركب فركب موسى في اثره فادركه المقيل بارض يقال لها منف (بفتح الميم وسكون النون) مصر القديمة التي هي مصر يوسف الصديق وهي الآن قرية كبيرة فدخل نصف النهار وقد اغلقت اسواقها على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يقول هذا اسرائيلى قيل انه السامرى وهذا من عدوه يقول من القبط فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فغضب موسى لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم وكان قد حماهم من القبط وكان الناس لا يعلمون انه منهم بل كانوا يظنون ان ذلك بسبب الرضاع فلما اشتد غضبه وكزه فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم أوحى الله تعالى الى موسى وعزتى لو ان النفس التى قتلت أقرت لى ساعة واحدة انى خالق رازق لاذقتك العذاب قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين فاصبح فى المدينة خائفا يترقب ان يؤخذ فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يقول يستغيثه قال له موسى انك لغوى مبين ثم أقبل لينصره فلما نظر الى موسى وقد اقبل نحوه ليبطش بالرجل الذى يقاتل الاسرائيلى خاف ان يقتله من أجل انه اغلظ له فى الكلام قال أتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وما تريد ان تكون من المصلحين فترك القبطى فذهب فافشى عليه ان موسى هو الذى قتل الرجل فطلبه فرعون وقال خذوه فانه صاحبنا فجاء رجل فأخبره وقال له ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج قيل كان حزقيل مؤمن آل فرعون كان على بقية من دين ابراهيم عليه السلام وكان أول من آمن بموسى فلما أخبره خرج من يومه خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين وأخذ فى ثنيات الطريق فجاءه ملك على فرس وفى يده عنزة وهى الحربة الصغيرة فلما رآه موسى سجد له من الفرق فقال له لا تسجد لى ولكن اتبعنى فهداه نحو مدين وقال موسى وهو متوجه اليها عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل فانطلق به الملك حتى انتهى به الى مدين فكانت ثمانى ليال وليس معه طعام وكان يأكل ورق الشجر ولم يكن له قوة على المشى فما بلغ مدين حتى سقط خف قدمه فلما ورد ماء مدين قصد الماء فوجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى تحبسان غنمهما وهما ابنتا شعيب النبى وقيل ابنتا يثرون وهو ابن أخى شعيب فلما رآهما موسى سألهما ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة عليها كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما غنمهما فرجعتا سريعا وكانتا انما تسقيان من فضول الحياض وقصد موسى شجرة هناك ليستظل بها فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس لقد قال موسى ولو شاء انسان ان ينظر الى خضرة امعائه من شدة الجوع لفعل وما سأل الا أكلة فلما رجعت الجاريتان الى أبيهما سريعا سألهما فأخبرتاه فأعاد احداهما الى موسى تستدعيه فأتته وقالت له ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام معها فمشت بين يديه فضربت الريح ثوبها فحكى عجيزتها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق فانا اهل

يت لانتظر فى اعقاب النساء فلما أتاه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما وهى التى احضرته يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين قال لها ابوها القوة قد رأيتها فما يدريك بامانته فذكرت له ما أمرها به من المشى خلفه فقال له أبوها انى أريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى نفسك ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك فقال له موسى ذلك بينى و بينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل فاقام عنده يومه فلما امسى احضر شعيب العشاء فامتنع موسى من الاكل فقال ولماذا ذلك قال انا من أهل بيت لا ناخذ على اليسير من عمل الآخرة الدنيا بامرها فقال شعيب ليس لذلك اطعمتك انما هذه عادتى وعادة آبائى فاكل وازدادت رغبة شعيب فى موسى فزوجه ابنته التى احضرته واسمها صفورا وأمرها ان تأتيه بعصا فأتته بعصا وكانت تلك العصا قد استودعها اياه ملك فى صورة رجل فدفعتها اليه فلما رآها أبوها أمرها بردها والاتيان بغيرها فالقتها وأرادت ان تأخذ غيرها فلم تقع بيدها سواها وجعل يردها وكل ذلك لا يخرج فى يدها غيرها فاخذها موسى ليرعى بها فندم أبوها حيث أخذها وخرج اليه لياخذها منه حيث هى وديعة فلما رآه موسى يريد أخذها منه مانعه فحكما أول رجل يلقاهما فاتاهما ملك فى صورة آدمى فقضى بينهما ان يضعها موسى فى الارض فمن حملها فهى له فالقاها موسى فلم يطق أبوها حملها واخذها موسى بيده فتركها له وكانت من عوسج لها شعبتان وفى رأسها محجن وقيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه وقيل فى أخذها غير ذلك وأقام موسى عند شعيب يرعى له غنمه عشر سنين وسار باهله فى زمن شتاء و برد فلما كانت الليلة التى أراد الله عز وجل لموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوته وكلامه اخطأ فيها الطريق حتى لا يدرى اين يتوجه وكانت امرأته حاملا فاخذها الطلق فى ليلة شاتية ذات مطر ورعد و برق فاخرج زنده ليقدح نارا لاهله ليصطلوا و يبيتوا حتى يصبح ويعلم وجه طريقه فاصلد زنده فقدح حتى اعيا فرفعت له نار فلما رآها ظن انها نار وكانت من نور الله فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر فان لم أجد خبرا آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فخين قصدها رآها نور ممتدا من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب فتحير موسى وخاف حين رأى نارا عظيمة بغير دخان وهى تلتهب فى شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فلما دنا منها استأخرت عنه ففزع ورجع فنودى منها فلما سمع الصوت استأنس فعاد فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن من الشجرة فى البقعة المباركة ان بورك من فى النار ومن حولها يا موسى انى أنا الله رب العالمين فلما سمع النداء ورأى تلك الهيبة علم انه ربه تعالى فخفق قلبه وكل لسانه وضعفت قوته وصار حيا كميت الا ان الروح تتردد فيه فارسل الله اليه ملكا يشد قلبه فلما ثاب اليه عقله نودى اخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وانما أمر بخلع نعليه لانهما كانتا من جلد حمار ميت وقيل لينال قدمه الارض المباركة ثم قال له تسكينا لقلبه وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى أتوكأ عليها واهش بها على غنمى يقول اضرب الشجر فيسقط ورقه لغنمى ولى

انصرافه فاتى آمره بقلع العتبة فان الباب لا يصلح الا بالعتبة ثم انصرف راجعا الى الشام فلما اقبل اسمعيل نحو منزله فى المساء ورأى نور أبيه ساطعا بمكة وجبالها ووجد بباب داره رائحة المسك الاذفر ورأى الاغنام تشم الآثار فقال لامرأته هل جاءك من أحد فأخبرته خبر الشيخ عليه السلام قالت ويامرك بقلع عتبة باب دارك والاستبدال بها فقال لها ان ذلك الشيخ هو والدى ابراهيم عليه السلام وهو يامرنى بطلاقك فاذهبى فأنت طالقة ثم ان مضاض ابن عمرو وهو رئيس جرهم زوج اسمعيل عليه السلام بابنته دعلة وكانت من الطاهرات التقيات ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة فى زيارة اسمعيل عليه السلام فاستحلفته غيرة عليه انه اذا أتى الموضع لا ينزل عن مركوبه فاقبل ابراهيم عليه السلام لرؤية اسمعيل عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل عليه السلام فقرعه فخرجت اليه امرأته دعلة بنت مضاض قالت من تريد قال اريد اسمعيل فقالت بابى وامى انه خرج باكرا الى ابله وغنمه فانزل عندنا الى وقت انصرافه فقال ان النزول لا يمكن فجاءته بحجر كان فى البيت وجعلته تحت قدمه اليمنى وغسلت رأسه ودهنته بدهن طيب ثم حولت الحجر الى شماله فوضع رجله اليسرى عليه ومال برأسه نحوها فرجلته ودهنته وأثرت قدماه فى الحجر فلما رأت الجرهمية ذلك اكبرته فقال لها ابراهيم عليه السلام ارفعيه عندك فيكون له شان و بناء بعد حين وهذا الحجر الآن فى صندوق من حديد بمقام ابراهيم عليه السلام وقد زرته وقبلته ووضع

فيها مآرب أخرى احمل عليها المزود والسقاء وكانت تضيء لموسى في الليلة المظلمة وكانت اذا اعوزه الماء دلاها في البئر فتنال الماء ويصير في رأسها شبه الدلو وكان اذا اشتهى فاكهة غرزها في الارض فتنبت لها اغصان فتحمل الفاكهة لوقتها قال له القها يا موسى فالقاها موسى فاذا هي حية تسعى عظيمة الجثة في خفة حركة الجان فلما رآها موسى ولى مدبرا ولم يعقب فنودي يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون اقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى عصا وانما أمره الله بالقاء العصا حتى اذا القاها عند فرعون لا يخاف منها فلما اقبل قال خذها ولا تخف وادخل يدك في فيها وكان على موسى جبة صوف فلف يده بكمه وهو لها هائب فنودي ألق كمك عن يدك فالقاه وادخل يده بين لحييها فلما ادخل يده عادت عصا كما كانت لا ينكر منها شيئا ثم قال له أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء يعني برصا فادخلها واخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لها نور ثم ردها فعادت كما كانت فقيل له هذان برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون وأخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني أي يبين لهم عني ما أكلمهم به فانه يفهم عني ما لا يفهمون قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون فاقبل موسى الى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف على أمه وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه فجاء هرون فسألها عنه فاخبرته انه ضيف فدعاه فاكل معه وسأله هرون من انت قال انا موسى فاعتنقا وقيل ان الله ترك موسى سبعة أيام ثم قال اجب ربك فيما كلمك فقال رب اشرح لي صدري الآيات فامره بالمسير الى فرعون ولم يزل أهله مكانهم لا يدرون ما فعل حتى مر راع من أهل مدين فعرفوهم فاحتملهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر فساروا اليه واما موسى فانه سار الى مصر وأوحى الله الى هرون يعلمه بقدوم موسى ويامره بتلقيه فخرج من مصر فالتقى به قال موسى يا هرون ان الله تعالى قد أرسلنا الى فرعون فانطلق معي اليه قال سمعا وطاعة فلما جاء الى بيت هرون واظهرا انهما ينطلقان الى فرعون سمعت ذلك أمهما هرون فصاحت امهما وقالت انشدكما الله ان لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما فأبيا فانطلقا اليه ليلا فضربا بابه فقال فرعون لبوابه من هذا الذي يضرب بابي هذه الساعة فاشرف عليهما البواب فكلمهما فقال له موسى انا رسول رب العالمين فاخبر فرعون فادخل اليه وقيل ان موسى وهرون مكثا سنتين يغدوان الى باب فرعون ويروحان يلتمسان الدخول اليه فلم يجسر احد يخبره بشأنهما حتى أخبره مسخرة كان يضحكه بقوله فامر حينئذ فرعون بادخالهما فلما دخلا قال له موسى اني رسول من رب العالمين فعرفه فرعون فقال له الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما يعني نبوة وجعلني من المرسلين فقال له فرعون ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قد فتح فاه فوضع اللحى الاسفل

لى فيه من ماء زمزم فشربته ورأيت وضع رجله اليمنى اكثر تأثيرا من رجله اليسرى فكأنه قد داس على عجين وأصابعه الشريفة مثل اصابع اليدين في الطول ثم قال لها كيف عيشكم بهذا المكان قالت خير عيش وماء عذب ومرعى فقال بارك الله لكم في مائكم ومرعاكم ثم أتته بطعام ورفعته على رأسها فلما أتم الغداء قال لها اذا أتاك اسمعيل فاعلميه بقدومي عليه وقولي له اني لم اجد السبيل الى النزول وانا عائد ان شاء الله تعالى واعلميه اني آمره باستمساك عتبة داره فانها صالحة ثم انصرف راجعا نحو الشام فلما أمسى اقبل اسمعيل عليه السلام فوجد رائحة أبيه كالمترور ورأى نورا ساطعا على الجدران من باب داره فقال لامرأته هل أتاك من أحد فاخبرته بذلك فقال ذاك أبي نبي الله وخليله ابراهيم عليه السلام وقد أمرني ان استمسك بك فبكت وقالت بالهف نفسي لو كنت عرفت لكان يرى مني خلاف ما كان قال لها لقد احسنت واجملت فجزيت خيرا ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ان يبنيا الكعبة فسار ابراهيم عليه السلام الى مكة فرأى اسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه وصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد وكان عمر اسمعيل اذ ذاك ثلاثين سنة ثم قال يا اسمعيل ان الله أمرنا ان نبني له بيتا قال نعم فجعل ابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وكان الحجر الاسود في

فى الارض والاعلى على القصر وتوجه نحو فرعون ليأخذه نخافه فرعون ووثب فزعا فاحدث فى ثيابه ثم بقى بضعا وعشرين يوما يجيء بطنه حتى كاد يهلك وناشده فرعون بربه تعالى ان يردّ الثعبان فاخذه موسى فعاد عصا ثم ادخل يده فى جيبه وأخرجها بيضاء كالثلج لها نور يتلألأ ثم ردّها فعادت الى ما كانت عليه من لونها ثم اخرجها الثانية لها نور ساطع فى السماء تكل منه الابصار قد اضاءت ما حولها يدخل نورها البيوت ويرى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردّها موسى فى جيبه واخرجها فاذا هى على لونها وأوحى الله تعالى الى موسى وهرون ان قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى فقال له موسى هل لك فى ان أعطيك شبابك فلا تهرم وملكك فلا ينزع واردّ اليك لذة المناكح والمشارب والركوب فاذا مت دخلت الجنة وتؤمن بى فقال لا حتى يأتى هامان فلما حضر هامان عرض عليه قول موسى فعجزه وقال له تصير تعبد بعد ان كنت تعبد ثم قال له انا اردّ عليك شبابك فعمل له الوسمة فخضبه بها فهو أوّل من خضب بالسواد فلما رآه موسى هاله ذلك فاوحى الله اليه لا يهولنك ماترى فان لا يلبث الا قليلا فلما سمع فرعون ذلك خرج الى قومه فقال ان هذا الساحر عليم وأراد قتله فقال مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات وقال الملأ من قوم فرعون ارجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم ففعل وجمع السحرة فكانوا سبعين ساحرا وقيل اثنين وسبعين وقيل خمسة عشر ألفا وقيل ثلاثين ألفا فوعدهم فرعون واتعدوا يوم العيد كان لفرعون فصفهم فرعون وجمع الناس وجاء موسى ومعه أخوه هرون وبيده عصاه حتى أتى الجمع وفرعون فى مجلسه مع اشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب فقال السحرة بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر ثم قالوا لنأتينك بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فقال له السحرة ياموسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين قال بل القوا فالقوا حبالهم وعصيهم فاذا هى فى رأى العين حيات امثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا فاوجس موسى خوفا فاوحى الله اليه ان الق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا فالقى عصاه من يده فصارت ثعبانا عظيما فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهى كالحيات فى أعين الناس فجعلت تلقفها وتبتلعها حتى لم تبق منها شيأ ثم أخذ موسى عصاه فاذا هى فى يده كما كانت وكان رئيس السحرة اعمى فقال له اصحابه ان عصا موسى صارت ثعبانا عظيما وتلقف حبالنا وعصينا فقال لهم ولم يبق لها أثر ولا عادت الى حالها الاول فقالوا لا فقال هذا ليس بسحر فخر ساجدا وتبعه السحرة اجمعون وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل فقطعهم وقتلهم وهم يقولون ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين فكانوا أول النهار كفارا وآخر النهار شهداء وكان حزقيل مؤمن آل فرعون يكتم ايمانه قيل كان من بنى اسرائيل وقيل كان من القبط وقيل هو النجار الذى صنع التابوت الذى

مكثرنا من زمن الطوفان حيث شاء الله فأتاه به جبريل فنصبه ابراهيم فى موضعه حيث أمره الله تعالى فانار شرقا وغربا ويمينا وشمالا فحرّم الله الحرام حيث انتهى نور الركن واشراقه من كل جانب وفى البحر العميق انه حفر فى جوف الكعبة على يمين الداخل بئرا ليكون فيها ما يهدى الى الكعبة وكان اسم البئر الاخسف وكان المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما مما يلى الحجر يمنة الباب وانما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فلما فرغ من بنائها صعد على جبل أبى قبيس ونادى أيها الناس ان الله جل جلاله كتب عليكم الحج الى هذا البيت فحجوا فاجابه الناس من اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك لبيك فلا يحج الا من أجاب يومئذ فانصرف ابراهيم عليه السلام الى أرض الشام واختلف العلماء فى الذبيح فمنهم من ذهب الى انه اسحق عليه السلام ومنهم من رأى انه اسمعيل عليه السلام قال المسعودى فى مروج الذهب ان كان الامر وقع بالذبح بمنى فالذبيح اسمعيل لان اسحق لم يدخل الحجاز وان كان الامر بالذبح وقع بالشام فالذبيح اسحق لان اسمعيل لم يدخل الشام والذى ذهب اليه بعض العلماء ان الذبيح اسحق قال لما أمر بذبح ولده فى المنام سار باسحق من الشام حتى أتى به المنحر بمنى فى غداة واحدة وهو مسيرة شهر فلما صرف الله عنه الذبح وفداه بالكبش ذبحه ورجع به فى روحة واحدة الى سكانه بالشام فطويت له الارض وقال ابن عباس رضى الله عنه ان اسمعيل هو الذبيح

جعل فيه موسى والقى فى النيل فلما رأى غلبة موسى السحرة اظهر ايمانه وقيل اظهر ايمانه قبل ذلك وكان فرعون أراد قتل موسى فقال أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فلما اظهر ايمانه قتل وصلب مع السحرة وكان له امرأة مؤمنة تكتم ايمانها أيضا وكانت ماشطة ابنة فرعون فبينما هى تمشطها اذ وقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت ابنة فرعون أبى قالت لا بل ربى وربك ورب ابيك فاخبرت أباها بذلك فدعابها وبولدها وقال لها من ربك قالت ربى وربك الله فامر بتنور نحاس فاحمى ليعذبها وأولادها فقالت لى اليك حاجة قال وما هى قالت تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنها قال ذلك لك فامر باولادها فالقوا فى التنور واحدا واحدا وكان آخر أولادها صبيا صغيرا فقال اصبرى يا اماه فانك على الحق فالقيت فى التنور مع ولدها وكانت آسية امرأة فرعون من بنى اسرائيل وقيل كانت من غيرهم وكانت مؤمنة تكتم ايمانها فلما قتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها كشف الله عن بصيرتها وكانت تنظر اليها وهى تعذب فلما رأت الملائكة قوى ايمانها وازدادت يقينا وتصديقا لموسى فبينما هى كذلك اذ دخل عليها فرعون فاخبرها خبر الماشطة قالت له آسية الويل لك ما اجرأك على الله فقال لها لعلك اعتراك الجنون الذى اعترى الماشطة فقالت ما بى جنون ولكنى آمنت الله تعالى ربى وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد اصابها ما اصاب الماشطة فاقسم لتذوقن الموت او لتكفرن باله موسى فخلت بها امها وارادتها على موافقة فرعون فابت وقالت اما ان اكفر بالله فلا والله فامر فرعون حتى مدت بين يديه أربعة أوتاد وعذبت حتى ماتت فلما عاينت الموت قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين فكشف الله عن بصيرتها فرأت الملائكة وما اعد لها من الكرامات فضحكت فقال فرعون انظروا الى المجنون التى بها تضحك وهى فى العذاب ثم ماتت ولما رأى فرعون قومه قد دخلهم الرعب من موسى خاف ان يؤمنوا به ويتركوا عبادته فاستمال انفسه وقال لوزيره يا هامان ابن لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا فامر هامان بعمل الآجر وهو اول من عمله وجمع الصناع وعمل فى سبع سنين وارتفع البنيان ارتفاعا لم يبلغه بنيان آخر فشق ذلك على موسى واستعظمه فاوحى الله اليه ان دعه وما يريد فانى مستدرجه ومبطل ما عمله فى ساعة واحدة فلما تم بناؤه امر الله جبريل بتخريبه واهلك كل من عمل فيه من صانع ومستعمل فلما راى فرعون ذلك من صنع الله امر اصحابه بالشدة على بنى اسرائيل وعلى موسى ففعلوا ذلك وصاروا يكلفون بنى اسرائيل من العمل ما لا يطيقونه وكان الرجال والنساء فى شدة وكانوا قبل ذلك يطعمون بنى اسرائيل اذا استعملوهم فصاروا لا يطعمونهم شيأ فيعودون باسوإ حال يريدون يكسبون ما يقوتهم فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان العاقبة للمتقين وان الله يستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون فلما ابى فرعون وقومه الا الثبات على الكفر تابع الله عليه الآيات فارسل عليهم الطوفان وهو المطر المتتابع

وان الله تعالى فداه بالكبش فذبحه وهو كبش أملح أقرن اعين ينظر فى سواد وانه رعى فى الجنة أربعين خريفا وهو الذى قربه هابيل وتقبل منه وان ابراهيم عليه السلام نحره بالنحر من منى والذى نفسى بيده لقد كان أول الاسلام وان قرن ذلك الكبش لمعلق فى ميزاب البيت الحرام قد نخس نحاس واستمر الى ان احترق البيت فى أيام الحجاج فاحترق معه وان رمى الجمرات سنة ابراهيم عليه السلام لما تعرض له الشيطان حين ذهابه للذبح (فان قيل) ان ابراهيم عليه السلام لم يسر لزيارة اسمعيل الا بعد ان بلغ اسمعيل مبلغ الرجال وتزوج وأمره بتغيير عتبة داره وكان الامر بالذبح لما بلغ معه السعى فمتى كان الذبح (قلت) قال فى نزهة النواظر ان ابراهيم عليه السلام كان يزور اسمعيل وهاجر فى كل شهر على البراق يأتى مكة غدوة ثم يرجع فيقيل فى منزله بالشام وفى بعض زياراته كانت قصة الذبح والفداء وعن الصنابحى قال كنا عند معوية بن أبى سفيان بدمشق فذكروا الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال معوية على الخبير سقطتم كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يعد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فقيل له يا رسول الله وما الذبيحان فقال أبى عبد الله وجدى اسمعيل كذا فى مرآة الزمان وسئل ابو سعيد الضرير عن الذبيح فقال

إن الذبيح هديت اسمعيل • انطق الكتاب بذا الذو التنزيل

فغرق كل شئ ألهم فقالوا ياموسى ادع ربك يكشف عنا هذا ونحن نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فكشفه الله عنهم ونبتت زروعهم فقالوا ما يسرنا انا لم نمطر فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم فسألوا موسى ان يكشف مابهم ويؤمنون به فدعا الله فكشفه فلم يؤمنوا وقالوا قد بقى من زروعنا بقية فأرسل الله عليهم الدبا وهو القمل فاهلك الزروع والنبات اجمع وكان يهلك اطعمتهم ولم يقدروا ان يحترزوا منه فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ففعل فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الضفادع وكانت تسقط فى قدورهم واطعمتهم وملأت البيوت عليهم فسألوا موسى ان يكشفه عنهم ليؤمنوا به ففعل فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الدم فصارت مياه الفرعونيين دما وكان الفرعونى والاسرائيلى يستقيان من ماء واحد فيأخذ الاسرائيلى ماء ويأخذ الفرعونى دما وكان الاسرائيلى يأخذ الماء فى فيه فيمجه فى فم الفرعونى فيصير دما فبقى ذلك سبعة ايام فسألوا موسى ان يكشفه عنهم ليؤمنوا ففعل فلم يؤمنوا فلما يئس من ايمانهم ومن ايمان فرعون دعا موسى وأمن هرون فقال ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله لهما فمسخ الله أموالهم ماعدا خيلهم وجواهرهم وزينتهم حجارة والنخل والاطعمة والدقيق وغير ذلك فكانت احدى الآيات التى جاء بها موسى فلما طال الامر على موسى أوحى الله اليه يأمره بالمسير ببنى اسرائيل وأن يحتمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالارض المقدسة فسأل موسى عنه فلم يعرفه الا امرأة عجوز فأرته مكانه فى النيل فاستخرجه موسى وهو فى صندوق مرمر فاخذه معه فسار وأمر بنى اسرائيل ان يستعيروا من حلى القبط ما أمكنهم ففعلوا ذلك واخذوا شيأ كثيرا وخرج موسى ببنى اسرائيل ليلا والقبط لا يعلمون وكان موسى على ساقة بنى اسرائيل وهرون على مقدمتهم وكان بنو اسرائيل لما ساروا من مصر ستمائة ألف وعشرين ألفا وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون ياموسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا اما الاول فكانوا يذبحون ابناءنا ويستحيون نساءنا وأما الآن فيدركنا فرعون فيقتلنا قال موسى كلا ان معى ربى سيهدين وبلغ بنو اسرائيل الى البحر وبقى بين ايديهم وفرعون من ورائهم فأيقنوا بالهلاك فتقدم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق فقال كل سبط قد هلك اصحابنا فأمر الله الماء فصار كالشبابيك فكان كل سبط يرى من عن يمينه وعن شماله حتى خرجوا ودنا فرعون واصحابه من البحر فرأى الماء على هيئته والطرق فيه فقال لاصحابه ألا ترون البحر قد فرق منى وانفتح لى حتى ادرك اعدائى فلما وقف فرعون على أفواه الطرق لم تقتحمه خيله فنزل جبريل على فرس أنثى وديق فشمت الحصن ريحها فاقتحمت فى أثرها حتى اذا هم اولهم ان يخرج ودخل آخرهم أمر البحر ان يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم وبنو اسرائيل ينظرون اليهم وانفرد جبريل بفرعون يأخذ من حمأة البحر فيجعلها فى فيه وقال حين ادركه الغرق آمنت انه لا اله الا الذى آمنت

وقال محمد بن كعب القرظى انا لنجد فى كتاب الله تعالى ان الذبيح اسمعيل وذلك ان الله تعالى لما فرغ من قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق فدل على ان قصة الذبيح كانت مقدمة على البشارة باسحق ولان الامم توارثت النحر بمنى من زمن الخليل عليه السلام وهلم جرا وموضع النحر بمنى مشهور وهو من شعائر الحج فان النحر هناك واجب حتى لو تركه لزمه دم فالواجب التوقف فى هذا فان الادلة متعارضة من الجانبين والترجيح على ان الذبيح اسحق متعذر وولد لاسمعيل من دعلة بنت مضاض اثنا عشر ذكرا وبنت وعاش اسمعيل مائة وسبعا وثلاثين سنة فقبره مابين الميزاب الى الحجر * ولما حفر ابن الزبير اساس الكعبة وجد سفطا من مرمر اخضر فسأل العلماء بالاخبار فقالوا هذا قبر اسمعيل وامه قالوا والمحدودب مما يلى الركن الشامى فيه قبور العذارى من بنات اسمعيل عليه السلام وفى مرآة الزمان وغيره ان اسمعيل عليه السلام شكا الى ربه حر مكة فاوحى الله تعالى الى ملك ففتح له بابا من الجنة يجرى عليها ريحها الى يوم القيامة

(الفصل العاشر فى ذكر اسحق عليه السلام)

وهو اسم أعجمى وان وافق لفظ العربى يقال اسحقه الله اسحاقا واسحق بالعبرانية الضاحك وهو أصغر من اسمعيل بثلاث وعشرين سنة وكان أحسن الناس وجها

١٠ مل ل لانه ورث الحسن عن امه سارة (ومن معجزاته) انه جاءه رجل من كفار قومه فقال ارنى معجزة حتى أؤمن بك

به بنو اسرائيل وغرق بعث الله اليه ميكائيل يعيره فقال له آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم لو رأيتني وانا ادس من حمأة البحر في فم فرعون مخافة ان يقول كلمة يرحمه الله بها فلما نجا بنو اسرائيل قالوا ان فرعون لم يغرق فدعا موسى فاخرج الله فرعون غريقا فاخذه بنو اسرائيل يتمثلون به ثم ساروا فأتوا على قوم يعبدون الاصنام فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون فتركوا ذلك ثم بعث موسى جندين عظيمين كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من اهلها اقد اهلك الله عظماءهم ورؤساءهم ولم يبق غير النساء والصبيان والزمنى والمرضى والمشايخ والعاجزين فدخلوا البلاد وغنموا الاموال وحملوا ما اطاقوا وباعوا ما عجزوا عن حمله على غيرهم وكان على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وكان موسى قد وعده الله وهو بمصر انه اذا خرج مع بني اسرائيل منها واهلك الله عدوهم ان يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما اهلك الله فرعون وأنجى بني اسرائيل قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا فسأل موسى ربه ذلك فأمره ان يصوم ثلاثين يوما ويتطهر ويطهر ثيابه ويأتي الى الجبل جبل طور سيناء ليكلمه ويعطيه الكتاب فصام ثلاثين يوما أولها أول ذي القعدة وسار الى الجبل واستخلف أخاه هرون على بني اسرائيل فلما قصد الجبل أنكر ريح فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل تسوك بلحاء شجرة فاوحى الله اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك وأمره ان يصوم عشرة ايام أخرى فصامها وهي عشر ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة ففي تلك الليالي العشر افتتن بنو اسرائيل لان الثلاثين انقضت ولم يرجع اليهم موسى وكان السامري من اهل باجرمى وقيل من بني اسرائيل فقال هرون يا بني اسرائيل ان الغنائم لا تحل لكم والحلي الذي استعرتموه من القبط غنيمة فاحفروا حفرة وألقوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ففعلوا ذلك وجاء السامري بقبضة من التراب الذي أخذه من اثر حافر فرس جبريل فألقاه فيه فصار الحلي عجلا جسدا له خوار وقيل ان الحلي ألقي في النار فذاب فألقى السامري ذلك التراب فصار الحلي عجلا جسدا له خوار وقيل كان يخور ويمشي وقيل ما خار الا مرة واحدة ولم يعد وقيل ان السامري صاغ العجل من ذلك الحلي في ثلاثة ايام ثم قذف فيه التراب فقام له خوار فلما رأوه قال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فنسي موسى وتركه ههنا وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه فقال لهم هرون يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا أمري فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم فأقام بمن معه ولم يقاتلهم ولما ناجى الله تعالى موسى قال له ما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على اثري قال فانا قد فتنا قومك من بعدك يا موسى واضلهم السامري فقال موسى يا ربي هذا السامري قد أمرهم ان يتخذوا العجل من نفخ فيه الروح قال أنا قال فانت اذا أضللتهم ثم ان موسى لما كلمه الله تعالى أحب ان ينظر اليه قال رب أرني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فتجلى الله للجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين واعطاه الالواح فيها

الحلال

وكان عنده جلود يابسة قديمة فقال ان كنت نبيا فانفخ في هذه الجلود حتى تحيى كما كانت فدعا الله تعالى فاجابه وامره بان يملأ الجلود وملأهم بنفخ فيه ففعل ذلك فحييت باذن الله تعالى وقيل انه الذبيح وكان مذبحه في بيت ايليا ولما علمت سارة بذبح ولدها أخذها البطن من الجزع يومين وماتت في اليوم الثالث ولما بلغ عمر اسحق ستين سنة حملت زوجته رفقا بنت تويل بغلامين في بطن واحد فلما أرادت وضعهما اقتتل الغلامان في بطنها فاراد يعقوب ان يخرج قبل العيص فقال له العيص والله ان خرجت قبلي لاتعرضن في بطن أمي فاقتلها قال فتأخر يعقوب كرامة لامه وخرج العيص قبله فسمي عيصا لانه عصى وسمي يعقوب لانه خرج عقيب العيص وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكن خرج العيص قبله وكانا قد ولدا في زمن ابراهيم عليه السلام فنشأ يعقوب بالرحمة واللين فصار صاحب زرع وماشية ونشأ العيص بالغلظة والفظاظة فكان صاحب صيد وقنص وكانت الام تميل ليعقوب عليه السلام لكثرة برها ثم ان الله تعالى امتحن اسحق بذهاب بصره فاظهر الصبر والتسليم فدعا ليعقوب عليه السلام بالنبوة والرياسة على اخوته ودعا للعيص بالملك وبقاء النسل وان يجعل ذريته عدد التراب وان لا يملكهم أحد غيرهم فهو أبو الروم كلهم وكل ما كان من بني الاصفر فهو من ولده وصارت الملوك في ولده وهم اليونان وعاش اسحق مائة وثمانين سنة وكانت وفاته في السنة التي استوزر بها يوسف عليه السلام بمصر ودفن عند

الحلال والحرام والمواعظ وعاد موسى ولا يقدر أحد ان ينظر اليه وكان يجعل عليه حريرة
نحو اربعين يوما ثم يكشفها لما تغشاه من النور فلما وصل الى قومه ورأى عبادتهم العجل
ألقى الالواح وأخذ برأس اخيه ولحيته يجره اليه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي
اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي فترك هرون واقبل على
السامري وقال ما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر
الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس
ثم أخذ العجل وبرده بالمبارد واحرقه وأمر السامري فبال عليه وذراه في البحر فلما ألقى
موسى الالواح ذهب ستة اسباعها وبقي سبع وطلب بنو اسرائيل التوبة فأبى الله ان
يقبل توبتهم وقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم
فاقتلوا أنفسكم فاقتتل الذين عبدوه والذين لم يعبدوه فكان من قتل من الفريقين
شهيدا فقتل منهم سبعون الفا وقام موسى وهرون يدعوان الله فعفا عنهم وأمرهم
بالكف عن القتال وتاب عليهم وأراد موسى قتل السامري فأمره الله بتركه وقال انه
سخي فلعنه موسى ثم ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا من اخيارهم وقال لهم
انطلقوا معي الى الله فتوبوا مما صنعتم وصوموا وتطهروا وخرج بهم الى طور سيناء
للميقات الذي وقته الله فقالوا اطلب أن نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من
الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ودخل فيه موسى وقال للقوم ادنوا فدنوا
حتى دخلوا في الغمام فوقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه فلما فرغ
انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد الله تعالى ويدعوه ويقول يا رب اخترت
أخيار بني اسرائيل واعود اليهم وليسوا معي فلا يصدقوني ولم يزل يتضرع حتى رد الله
اليهم ارواحهم فعاشوا رجلا رجلا ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فقالوا يا موسى
انت تدعو الله فلا تسأله شيأ الا اعطاك فادعوه يجعلنا انبياء فدعا الله فجعلهم انبياء وقيل
امر السبعين كان قبل ان يتوب الله على بني اسرائيل فلما مضوا للميقات واعتذروا قبل
توبتهم وامرهم ان يقتل بعضهم بعضا والله اعلم * ولما رجع موسى الى بني اسرائيل
ومعه التوراة ابوا ان يقبلوها ويعملوا بما فيها للاثقال والشدة التي جاء بها وامر الله
جبريل فقلع جبلا من فلسطين على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ ورفعه فوق رؤسهم
مقدار قامة الرجل مثل الظلة وبعث نارا من قبل وجوههم واتاهم البحر من خلفهم فقال
لهم موسى خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به والا رضختكم
بهذا الجبل وغرقتكم في هذا البحر واحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم قبلوا
ذلك وسجدوا على شق وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في
اليهود يسجدون على جانب وجوههم وقالوا سمعنا واطعنا ولما رجع موسى من المناجاة
بقي اربعين يوما لا يراه احد الا مات وقيل ما رآه الاعمى فجعل على وجهه ورأسه برنسا لئلا
يرى وجهه * ثم ان رجلا من بني اسرائيل قتل ابن عم له ولم يكن له وارث غيره ليرث ماله

كان رجلا ازهر اي قليل الشعر
مختار زمانه وهو أبو الاسباط ونبي
في زمن ابراهيم عليه السلام (ومن
معجزاته) ان ارض كنعان كانت
بين جبلين في موضع ضيق فسأله
قومه ان ينقل الجبال من تلك
الاماكن فدعا الله تعالى فأجابه
وامره بأن يشير بيده الى الجبال
فانقلعت الجبال من أماكنها
فسارت الى ارض بعيدة فصارت
أراضيهم واسعة (ومنها) ان ابنه
يهودا حين قاتل العماليق انكسر
رمحه فصاح بأعلى صوته الى ابيه
فقال يا ابت انكسر رمحي فسمع
صوته يعقوب عليه السلام من
سبعين فرسخا فصعد يعقوب
السطح ورمى برمح اليه فأخذه
فقاتل به * قال الكسائي بعث الله
تعالى يعقوب نبيا الى اهل كنعان
وكان ملكهم يومئذ سلجم من ولد
دارا فلما نزل يعقوب عليه السلام
بارض كنعان وبنى بها دارا واسعة
نزل بها هو وأولاده وقيل هي مدينة
نابلس وهناك مرعاه فبلغ الملك ذلك
فخرج بجميع جنده يريد اهلاك
يعقوب فلما بلغ الى مكان يعقوب
نظر الى الدار وهيبته فندم على المجيء
الى هناك واجتمع مع يعقوب وجلس
بين يديه وقال له من أنت وكيف
نزلت في هذا المكان بغير اذني فقال
انا يعقوب بن اسحق نبي الله ابن
ابراهيم خليل الله ونزلت في هذا
المكان باذن الله تعالى واني بعثت
لادعوك وقومك الى الايمان بالله
تعالى والاقرار بأني عبده فان
أجبت والا جاهدتك في الله حق جهاده فغضب الملك وقال لهم تجاهدني وليس معك جند فنظر يعقوب الى أولاده العشرة وكانوا

رجله والقاه بموضع آخر ثم اصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بني اسرائيل فجحدوا فسأل موسى ربه فأمرهم ان يذبحوا بقرة فقالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين المستهزئين فقالوا له ما هي ولو ذبحوا بقرة ما لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم لان رجلا منهم كان برا بأمه وكان له بقرة على النعت المذكور فنفعه بره بأمه فلم يجدوا على الصفة المذكورة الا بقرته فباعها منهم بملء جلدها ذهبا فلما سألوا موسى عنها قال انها بقرة لا فارض ولا بكر يقول لا كبيرة ولا صغيرة نصف بين السنين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها يعني لا عيب فيها وقيل لا بياض فيها قالوا الآن جئت بالحق وطلبوها فلم يجدوا الا بقرة ذلك الرجل البار بأمه فاشتروها وغالى بها حتى أخذ ملء جلدها ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل بلسانها وقيل بغيره فحيي وقام وقال قتلني فلان ثم مات

(ذكر أمر بني اسرائيل في التيه ووفاة هرون عليه السلام)

ثم ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسير بني اسرائيل الى اريحاء بلد الجبارين وهي ارض بيت المقدس فساروا حتى كانوا قريبا منهم فبعث موسى اثني عشر نقيبا من سائر اسباط بني اسرائيل فساروا ليأتوا بخبر الجبارين فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق فأخذ الاثني عشر فحملهم وانطلق بهم الى امرأته فقال انظري الى هؤلاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون أن يقاتلونا واراد ان يطأهم برجله فمنعته امرأته وقالت اطلقهم ليرجعوا ويخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فلما خرجوا قال بعضهم لبعض انكم ان أخبرتم بني اسرائيل بخبر هؤلاء لا يقدموا عليهم فاكتموا الامر عنهم وتعاهدوا على ذلك ورجعوا فنكث عشرة منهم العهد واخبروا بما رأوا وكتم رجلان منهم وهما يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا ختن موسى ولم يخبروا الا موسى وهرون فلما سمع بنو اسرائيل الخبر عن الجبارين امتنعوا عن المسير اليهم فقال لهم موسى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان وهما يوشع وكالب من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فغضب موسى فدعا عليهم فقال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وكانت عجلة من موسى فقال الله تعالى فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فندم موسى حينئذ فقالوا له فكيف لنا بالطعام فانزل الله المن والسلوى فاما المن فقيل هو كالصمغ وطعمه كالشهد يقع على الاشجار وقيل هو الترنجبين وقيل هو الخبز الرقاق وقيل هو عسل كان ينزل لكل انسان صاع وأما السلوى فهو طائر يشبه السماني فقالوا أين الشراب فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة

قياما على رأسه فقال اجاهدك بالله وملائكته وهؤلاء الاولاد فغضب الملك وانصرف الى حصنه وأخذ يعقوب يدعوهم الى دين الاسلام فلم يقبلوا ولم يؤمنوا فأمر اولاده بالجهاد فقال شمعون يا نبي الله انا أكفيك أمر هذا الحصن وأدن له فوقف على باب الحصن وقال اللهم افتح لنا وأنت خير الفاتحين بسم الله اله ابراهيم واسحق ويعقوب وضرب برجله الوثيق باب الحصن فدكدك الحصن وسقطت حيطانه ومات أكثر من فيه من الخوف ودخل يعقوب الى الحصن وأولاده وانهزم الملك وغالب جنوده وغنموا كل ما فيه ✱ قال في العرائس ان جبريل نزل لاسحق عليه السلام وقال ان الله تعالى قد رأى صبرك وقد عوضك من بصرك دعوة مستجابة في أمر ولدك فادع له بما شئت فكان يحب أن يدعو للعيص فسبقت السعادة في القدم ليعقوب عليه السلام فدعا له فتنبأ فصار العيص يتمنى لاخيه المكائد وينصب له المصائد فخافت الام عليه وأمرت يعقوب ان يسير الى خاله بفلسطين فخرج يعقوب يسير بالليل ويكمن بالنهار فسمي لذلك اسرائيل فبينما هو يسير أدركه الليل في بعض الطريق فبات متوسدا حجرا فرأى فيما يرى النائم ان سلما منصوبا الى باب من أبواب السماء عند رأسه والملائكة تنزل منه وتعرج فيه وأوحى الله اليه اني انا الله لا اله الا أنا الهك واله آبائك وقد اورثتك هذه الارض المقدسة وذريتك من بعدك وباركت فيك وفيهم وجعلت فيكم الكتاب والحكم والنبوة فسار الى خاله لبا بن تنويل وكانت له بنتان لايا وراحيل فتزوجهما

عينا لكل سبط عين فقالوا أين الظل فظلل عليهم الغمام فقالوا أين اللباس فكانت ثيابهم تطول معهم ولا يتمزق لهم ثوب ثم قالوا ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم فلما خرجوا من التيه رفع عنهم المن والسلوى ثم ان موسى التقى هو وعوج بن عناق فوثب موسى عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة اذرع فأصاب كعب عوج فقتله وقيل عاش عوج ثلاثة آلاف سنة ثم ان الله أوحى الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلقا نحوه فاذا هم فيه بشجرة لم يروا مثلها وفيه بيت مبنى وسرير عليه فرش وريح طيبة فلما رآه هرون أعجبه قال ياموسى انى اريد أن انام على هذا السرير فقال له موسى ثم قال انى اخاف رب هذا البيت ان يأتى فيغضب على قال موسى لاتخف أنا أكفيك قال فنم معى فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال ياموسى خدعتنى فتوفى ورفع على السرير الى السماء ورجع موسى الى بنى اسرائيل فقال له بنو اسرائيل انك قتلت هرون لحبنا اياه فقال ويحكم افترونى أن أقتل أخى فلما أكثروا عليه صلى ودعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا اليه ما بين السماء والارض فأخبرهم انه مات وان موسى لم يقتله فصدقوه وكان موته فى التيه

(ذكر وفاة موسى عليه السلام)

قيل بينما موسى عليه السلام يمشى ومعه يوشع بن نون فتاه اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن انها الساعة فالتزم موسى وقال لاتقوم الساعة وانا ملتزم نبى الله فاستل موسى من تحت القميص وبقى القميص فى يدى يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذه بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبى الله فقال ماقتلته ولكنه استل منى فلم يصدقوه قال فاذا لم تصدقونى فأخرونى ثلاثة أيام فوكلوا به من يحفظه فدعا الله فأتى كل رجل كان يحرسه فى المنام فأخبران يوشع لم يقتل موسى فانا رفعناه الينا فتركوه وقيل ان موسى كره الموت فأراد الله ان يحبب اليه الموت فأوحى الله الى يوشع بن نون وكان يغدو عليه ويروح ويقول له موسى يانبى الله ما أحدث الله اليك فقال له يوشع بن نون يانبى الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شئ مما أحدث الله لك ولايذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت وقيل انه مر منفردا برهط من الملائكة يحفرون قبرا فعرفهم فوقف عليهم فلم ير أحسن منه ولم ير مثل مافيه من الخضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد له منزل كريم مارأيت مضجعا ولامدخلا مثله فقالوا أتحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك وتنفس أسهل تنفس تتنفسه فنزل فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وكان صلى الله عليه وسلم زاهدا فى الدنيا راغبا فيما عند الله انما كان يستظل فى عريش ويأكل ويشرب من نقير من حجر تواضعا الى الله تعالى وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله أرسل ملك الموت

وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى ان بعث الله موسى وأنزل عليه التوراة وكان يعقوب بينهما فى غبطة وسرور وكان لهما جاريتان أختان فوهبته كل واحدة منهما جاريتها فجمع بين أختين حرتين واختين امتين فولد له من لايا اربعة من الاسباط وهم روبيل ويهودا وشمعون ولاوى وولد له من راحيل يوسف واخوه بنيامين واخوات لهما وماتت راحيل من نفاس بنيامين ودفنت خارج بيت المقدس على الشارع الذى بقرب بيت لحم وولدت كل واحدة من الجاريتين ثلاثة رهط من الاسباط وهم يساخار وزبولون ودان ونفتالى وكال واشر وسموا بالاسباط لان كل واحد منهم ولد له قبيلة والسبط فى كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان ثم اشتاق يعقوب لرؤية امه وسار بأهله واولاده وهم اثنا عشر ذكرا الى ارض كنعان وكان اخوه العيص رجلا طويلا اشقر اشعر الجلد ذا سلاح وقوة وقد كان سمع بوصول أخيه فاستقبله فتلاقيا وتعانقا وكان ليعقوب مواش كثيرة فاعطى العشر من غنمه لاخيه استكفاء للشر فبقيا برهة من الدهر حتى ترك العيص له البلاد وانتقل الى بلاد الروم فاستوطنها فهو أبو الروم وكل بنى الاصفر من اولاده قال السدى لما خاف يعقوب من اخيه العيص واعطاه من غنمه خمسمائة وخمسين دفعا للشر وكان الله تعالى أوحى الى يعقوب لاتخف من العيص فانى احفظك منه كما حفظت أباك فلما صنعه أوحى الله اليه صانعت بالغنم ولم تطمئن الى قولى وعزتى وجلالى لاملكن ولد العيص من ولدك عدد

لقبض روحه فلطمه ففقأ عينه فعاد وقال يارب أرسلتني الى عبد لا يحب الموت قال الله ارجع له وقل له يضع يده على ظهر ثور وله بكل شعرة تحت يده سنة وخيره بين ذلك وبين ان يموت الآن فانا ملك الموت وخيره فقال له فما بعد ذلك قال الموت قال فالآن اذا فقبض روحه وهذا القول صحيح قد صح النقل به عن النبي صلى الله عليه وسلم فكان موته في التيه أيضا وقيل بل هو الذي فتح مدينة الجبارين على ما نذكره وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة من ذلك في ملك افريدون عشرون وفي ملك منوجهر مائة سنة وكان ابتداء أمره منذ بعثه الله الى ان قبضه في ملك منوجهر ثم نبئ بعده يوشع بن نون فكان في زمن منوجهر عشرين سنة وفي زمن افراسياب سبع سنين

•(ذكر يوشع بن نون عليه السلام وفتح مدينة الجبارين)•

لما توفي موسى بعث الله يوشع بن نون بن افراثيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام نبيا الى بني اسرائيل وأمره بالمسير الى أريحا مدينة الجبارين واختلف العلماء في فتحها على يد من كان فقال ابن عباس ان موسى وهرون توفيا في التيه وتوفي فيه كل من دخله وقد جاوز العشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فلما انقضى أربعون سنة أوحى الله الى يوشع بن نون فامره بالمسير اليها وفتحها ففتحها ومثله قال قتادة والسدي وعكرمة وقال آخرون ان موسى عاش حتى خرج من التيه وسار الى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يوشع بن نون ففتحها وهو قول ابن اسحق قال ابن اسحق سار موسى بن عمران الى أرض كنعان لقتال الجبارين فقدم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو صهره على أخته مريم بنت عمران فلما بلغوها اجتمع الجبارون الى بلعم بن باعورا وهو من ولد لوط فقالوا له ان موسى قد جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا فادع الله عليهم وكان بلعم يعرف اسم الله الاعظم فقال لهم كيف ادعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم فاتوا امرأته واهدوا لها هدية فقبلتها وطلبوا اليها ان تحسن لزوجها ان يدعو على بني بني اسرائيل فقالت له في ذلك فامتنع فلم تزل به حتى قال استخير الله فاستخار الله تعالى فنهاه في المنام فاخبرها بذلك فقالت راجع ربك فعاود الاستخارة فلم يرد اليه جواب فقالت لو أراد ربك لنهاك ولم تزل تخدعه حتى اجابهم فركب حمارا له متوجها الى جبل مشرف على بني اسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم فما سار عليه الا قليلا حتى ربض الحمار فنزل عنه وضربه حتى قام فركبه فسار به قليلا فبرك فعل ذلك ثلاث مرات فلما اشتد ضربه في الثالثة انطقه الله فقال له ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة تردني فلم يرجع فاطلق الله الحمار حينئذ فسار عليه حتى أشرف على بني اسرائيل فكان كلما اراد ان يدعو عليهم ينصرف لسانه الى الدعاء لهم واذا أراد ان يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم فقالوا له في ذلك فقال هذا شئ غلبنا الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق غير المكر والحيلة وأمرهم ان يزينوا نساءهم ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن الى العسكر ولا تمتنع امرأة نفسها ممن يريدها وقال ان زنى منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا ذلك ودخل النساء عسكر بني

ما ماتت فملكت الروم وهم ولد العيص هذا المقدار فأول ملكهم اياهم خراب بيت المقدس آخر مرة واستعبدوا بني اسرائيل الى زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان خمسمائة وخمسين سنة ولقد قيل ان يعقوب والعيص ماتا في يوم واحد وقيل عاش يعقوب عليه السلام في ارض مصر بعد أن اجتمع بولده يوسف سبع عشرة سنة وكان عمره مائة وسبعا واربعين سنة وتوفي بمصر وحمله ابنه يوسف ودفنه عند قبر أبيه ابراهيم عليه السلام (وذكر اهل التاريخ) ان الانبياء كلهم من اولاد يعقوب الا أحد عشر نبيا وهم نوح وهود وصالح ولوط وأيوب وشعيب وابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومحمد صلى الله عليه وسلم

•(الفصل الثاني عشر في ذكر يوسف الصديق عليه السلام)•

سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم فهو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام كان أبيض اللون حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق غليظ الساقين والساعدين والعضدين خميص البطن أقنى الانف صغير السرة وكان بخده الايمن خال اسود وكان بين عينيه شامة بيضاء كأنها البدر ليلة تمامه وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور وكان اذا تبسم يرى النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور من بين ثناياه ولا يقدر أحد من بني آدم على وصف يوسف عليه السلام لان الله تعالى أعطاه ثلث الجمال وقسم بين العباد الثلثين وقيل اعطى ليوسف عليه السلام تسعة

اسرائيل فاخذ زمري بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة وأتى بها موسى فقال له أظنك تقول هذا حرام فوالله لا نطيعك ثم أدخلها خيمته فوقع عليها فانزل الله عليهم الطاعون وكان فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب أمر عمه موسى غائبا فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في بني اسرائيل وأخبر الخبر وكان ذا قوة وبطش فقصد زمري فرآه وهو مضاجع المرأة فطعنهما بحربة في يده فانتظمهما ورفع الطاعون وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفا وقيل سبعون ألفا فانزل الله في بلعم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ثم ان موسى قدم يوشع الى اريحاء في بني اسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس الغروب فخشي ان يدركهم الليل فيعجزوه فدعا الله تعالى ان يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتى استأصلهم ودخلها موسى فأقام بها ماشاء الله ان يقيم وقبضه الله اليه لا يعلم بقبره أحد من الخلق وأما من زعم ان موسى كان قد توفي قبل ذلك فقال ان الله أمر يوشع بالمسير الى مدينة الجبارين فسار ببني اسرائيل ففارقه رجل يقال له بلعم بن باعورا وكان يعرف الاسم الاعظم وساق من حديثه نحو ما تقدم فلما ظفر يوشع بالجبارين أدركه المساء ليلة السبت فدعا الله فرد الشمس عليه وزاد في النهار ساعة فهزم الجبارين ودخل مدينتهم وجمع غنائمهم ليأخذها القربان فلم تأت النار فقال يوشع فيكم غلول فبايعوني فبايعوه فلصقت يده في يد من غل فاتاه برأس ثور من ذهب مكلل باليواقوت فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلتهما وقيل بل حصرها ستة أشهر فلما كان السابع تقدموا الى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور فدخلوها وهزموا الجبارين وقتلوا فيهم فاكثروا ثم اجتمع جماعة من ملوك الشام وقصدوا يوشع فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك الى غار فأمر بهم يوشع بن نون فقتلوا وصلبوا ثم ملك الشأم جميعه فصار لبني اسرائيل وفرق عماله فيه ثم توفاه الله فاستخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا وكان عمر يوشع مائة وستا وعشرين سنة وكان قيامه بالامر بعد موسى سبعا وعشرين سنة وأما من بقي من الجبارين فان افريقش بن قيس بن صيفي بن سبا بن كعب بن زيد بن حمير بن سبا بن يشجب ابن يعرب بن قحطان مر بهم متوجها الى افريقية فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم افريقية فافتتحها وقتل ملكها جرجير واسكنهم اياها فهم البرابرة واقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة فهم فيهم الى اليوم

(ذكر أمر قارون)

وكان قارون بن يصهر بن قاهث وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى والاول أصح وكان عظيم المال كثير الكنوز قيل ان مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلا فبغى على قومه بكثرة ماله فوعظوه ونهوه وقالوا له ما قص الله تعالى في كتابه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين فاجابهم جواب مغتر لحلم الله عنه فقال انما أوتيته يعني المال والخزائن على علم

أبوء الحسن وواحد للناس وكان يأكل الفواكه والبقول الخضر فترى خضرتها حين ترددها في حلقه وصدره حتى تصل الى بطنه وكان اذا مشى في أزقة مصر يتلألأ نور وجهه على الجدران ويدخل الضوء من الطاقات كما ترى الشمس والماء على الجدران وأما معجزاته في تعبير الرؤيا فمشهورة وانه جاءه ابنا أميرين ضيفا فدعاهما الى الاسلام فقالا لا نؤمن حتى تخضر هذه الشجرة فدعا يوسف عليه السلام فاخضرت الشجرة من ساعتها وأتوه بولد من أولاد كبرائهم وكان أعمى فقالوا له ان أبصر هذا الولد نؤمن بك فدعا الله تعالى فأجابه فزال عماه باذن الله تعالى *واختلف في معنى يوسف فقالوا هو اسم عبراني وقيل يوسف الاسف وفي اللغة الحزن والاسف العبد واجتمعا فيه وولد يوسف لما كان ليعقوب من العمر احدى وتسعون سنة وكان سنه في الوقت الذي رأى الرؤيا سبع سنين وكان منزلهم بالتريات من ارض فلسطين بغور الشأم وكانوا أهل بادية ومواشي وكان يعقوب يؤثر يوسف بزيادة المحبة على اخوته وكانت اخوته يحسدونه على ذلك فلما بلغهم الرؤيا تزايد حسدهم وأرادوا قتله فكان منهم ما ذكره الله تعالى بقوله فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب قيل هو بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب قيل أوحي اليه في الصغر كما أوحي الى يحيى عليه السلام وكان عمره اذ ذاك سبع عشرة سنة وكان الوحي قوله تعالى لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وكان من دعائه حين ألقوه في الجب مما لقنه جبريل عليه السلام حين هبط اليه وأجلسه على الصخرة سالما لم يضره شئ على ما حكاه

عندي قيل على خبر ومعرفة مني وقيل لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا فلم يرجع عن غيه ولكنه تمادى في طغيانه حتى خرج على قومه في زينته وهي انه ركب برذونا أبيض بمراكب الارجوان المذهبة وعليه الثياب المعصفرة وقد حمل معه ثلثمائة جارية على مثل برذونه وأربعة آلاف من أصحابه وبنى داره وضرب عليها صفائح الذهب وجعل لها بابا من ذهب فتمنى أهل الغفلة والجهل مثل ماله فنهاهم أهل العلم بالله وأمره الله تعالى بالزكاة فجاء الى موسى من كل ألف دينار دينار وعلى هذا من كل ألف شئ شئ فلما عاد الى بيته وجده كثيرا فجمع نفرا يثق بهم من بني اسرائيل فقال ان موسى أمركم بكل شئ فاطعتموه وهو الآن يريد أخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم ان تحضروا فلانة البغي فتجعلوا لها جعلا فتقذفه بنفسها ففعلوا ذلك فاجابتهم اليه ثم أتى موسى فقال ان قومك قد اجتمعوا لك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم فقال من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كانت له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت فقال نعم قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فقال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى أقسمت عليك بالذي أنزل التوراة الا صدقت أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت لا كذبوا ولكن جعلوا الي جعلا على ان أقذفك فسجد ودعا عليهم فاوحى الله اليه مر الارض بما شئت تطعك فقال يا أرض خذيهم وقيل ان هذا الامر بلغ موسى فدعا الله تعالى عليه فأوحى الله اليه مر الارض بما شئت تطعك فجاء موسى الى قارون فلما دخل عليه عرف الشر في وجهه فقال له يا موسى ارحمني فقال موسى يا ارض خذيهم فاضطربت داره وساخت بقارون واصحابه الى الكعبين وجعل يقول يا موسى ارحمني قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى ركبهم فلم يزل يستعطفه وهو يقول يا ارض خذيهم حتى خسف بهم فأوحى الله الى موسى ما افظك أما وعزتي لو اياي نادى لاجبته ولا اعيد الارض تطيع احدا ابدا بعدك فهو يخسف به كل يوم قامة فلما انزل الله نقمته حمد المؤمنون الله وعرف الذين تمنوا مكانه بالامس خطأ أنفسهم واستغفروا وتابوا

•(ذكر من ملك من الفرس بعد منوجهر)•

لما هلك منوجهر ملك فارس سار افراسياب بن فشنج بن رستم ملك الترك الى مملكة الفرس واستولى عليها وسار الى أرض بابل وأكثر المقام بمهرجان قذق وأكثر الفساد في مملكة فارس وعظم ظلمه وأخرب ما كان عامرا ودفن الانهار والقنى وقحط الناس سنة خمس من ملكه الى ان خرج عن مملكة فارس ولم يزل الناس منه في أعظم البلية الى ان ملك زو بن طهماسب وكان منوجهر قد سخط على ولده طهماسب ونفاه عن بلاده فأقام في بلاد الترك عند ملك اسمه يقال له وامن وتزوج ابنته فولدت له زو بن طهماسب وكان المنجمون قد قالوا لابيها ان ابنته تلد ولدا يقتله فحبسها فلما تزوجها طهماسب وولدت منه كتمت أمرها وولدها ثم ان منوجهر رضي عن طهماسب وأحضره اليه فاحتال في اخراج زوجته وابنه زو من حبسهما فوصلت اليه ثم ان زو فيما ذكر قتل جده وامن في بعض

اللهم يا مؤنس كل غريب ويا صاحب كل وحيد ويا ملجأ كل خائف ويا كاشف كل كربة ويا عالم كل نجوى ويا منتهى كل شكوى يا حاضر كل ملا يا حي يا قيوم اسألك أن تقذف رجاءك في قلبي حتى لا يكون لي شغل غيرك وان تجعل لي من أمري فرجا ومخرجا انك على كل شئ قدير وأقام في الجب ثلاثة أيام فمرت به السيارة فاخرجته من الجب وأخذوه معهم وجاء يهودا الى الجب بطعام ليوسف فلم يجده ورآه عند تلك السيارة وأخبر يهودا اخوته بذلك فأتوا الى السيارة وقالوا هذا عبد أبق منا وخافهم يوسف فلم يذكر حاله فاشتروه من اخوته بثمن بخس قيل عشرون درهما وقيل أربعون وذهبوا به الى مصر فباعه استاذه فاشتراه الذي على خزائن مصر واسمه قطفير وكان فرعون مصر حينئذ الريان بن الوليد رجلا من العماليق من ولد عملاق ابن سام بن نوح وقال وهب بن منبه ترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه زنته ذهبا وزنته فضة وزنته مسكا وحريرا وكان وزنه أربعمائة رطل ولما اشترى العزيز يوسف هويته امرأته زليخا وراودته عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك وفي معناه سبعة أقوال أصحها ما قاله الكسائي هي لغة لاهل حوران معناها بالقبطية هلم فابى يوسف وهرب منها ولحقته من خلفه فتشبثت بثوبه فاخرقته وصادفها زوجها قطفير عند الباب ففزعت منه فقالت ما جزاء من أراد باهلك سوءا يعني الزنا ثم خافت على يوسف ان يقتل فقالت الا أن يسجن أو عذاب أليم أي ضرب بالسياط فلما سمع يوسف كلامها قال هي راودتني عن نفسي فجعل ينظر العزيز مرة الى يوسف ومرة

بعض الحروب وطرد افراسياب التركي عن مملكة فارس حتى ردّه الى الترك بعد حروب جرت بينهما فكانت غلبة افراسياب على أقاليم بابل ومملكة الفرس اثنتي عشرة سنة من لدن توفي منوجهر الى ان أخرجه عنها زو وكان اخراجه عنها في زوزابان من شهر ابان ماه فاتخذ لهم هذا اليوم عيدا وجعلوه الثالث لاعيادهم النوروز والمهرجان وكان زو محمودا في ملكه محسنا الى رعيته وأمر باصلاح ما كان افراسياب أفسده من مملكتهم وبعمارة الحصون واخراج المياه التي غوّر طرقها حتى عادت البلاد الى احسن ما كانت ووضع عن الناس الخراج سبع سنين فعمرت البلاد في ملكه وكثرت المعايش واستخرج بالسواد نهرا وسماه الزاب وبنى عليه مدينة وهي التي تسمى العتيقة وجعل لها طسوج الزاب الاعلى وطسوج الزاب الاوسط وطسوج الزاب الاسفل وكان اول من اتخذ ألوان الطبيخ وأمر بها وباصناف الاطعمة وأعطى جنوده ما غنم من الترك وغيرهم وكان جميع ملكه الى ان انقضت مدته ثلاث سنين وكان كرشاسب بن انوط وزيره في ملكه ومعينه فيه وقيل كان شريكه في الملك والاول اصح وكان عظيم الشأن في فارس الا انه لم يملك

(ذكر ملك كيقباذ)

ثم ملك بعد زو كيقباذ بن راع بن ميسرة بن نوذر بن منوجهر وقدر مياه الانهار والعيون لشرب الارض وسمى البلاد بأسمائها وحدها بحدودها وكوّر الكور وبين حيز كل كورة وأخذ العشر من غلاتها لارزاق الجند وكان فيما ذكر كيقباذ حريصا على عمارة البلاد ومنعها من العدو كثير الكنوز وقيل ان الملوك الكيانية وأبناءهم من نسله وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة فكان مقيما بالقرب من نهر بلخ وهو جيحون لمنع الترك من تطرق شيء من بلاده وكان ملكه مائة سنة

(ذكر الاحداث في بني اسرائيل في عهد زو وكيقباذ ونبوة حزقيل)

لما توفي يوشع بن نون قام بأمر بني اسرائيل بعده كالب بن يوفنا ثم حزقيل بن نوري وهو الذي يقال له ابن العجوز وانما قيل له ذلك لان أمه سألت الله الولد وقد كبرت فوهبه الله لها وهو الذي دعا للقوم الموتى فأحياهم الله وكان سبب ذلك ان قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها ونزلوا ناحية فهلك أكثر من بقي بالقرية وسلم الآخرون فلما ارتفع الطاعون رجعوا فقال الذين بقوا اصحابنا هؤلاء كانوا احزم منا ولو صنعنا كما صنعوا بقينا فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وهم بضعة وثلاثون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وقيل أربعة آلاف وقيل غير ذلك حتى نزلوا ذلك المكان فصاح بهم ملك فماتوا ونخرت عظامهم فمر بهم حزقيل فلما رآهم جعل يتفكر في بعثهم فأوحى الله اليه أتريد ان أريك كيف أحييهم قال نعم فقيل له ناد فنادى يا أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فجعلت العظام تطير بعضها الى بعض حتى صارت اجسادا من عظام ثم نادى يا أيتها العظام ان الله يأمرك ان تكتسي فألبست لحما ودما وثيابها التي ماتت فيها ثم نادى يا أيتها الارواح ان الله يأمرك أن تعودي الى أجسادك فعادت وقامت الاجساد أحياء وقالوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم أحياء

اليها متحببا متحيرا وكان في المهد صبي عمره سبعة ايام فنادى بأعلى صوته بلسان بين كما أخبر الله تعالى عنه ان كان قميصه قد من قبل الآية فلما ظهر له براءة يوسف وخيانتها قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم قال الزمخشري ما كان العزيز الا حليما وقيل كان قليل الغيرة قال الشيخ أثير الدين أبو حيان في تفسيره وتربة اقليم مصر اقتضت قلة الغيرة فلما اشتهرت هذه القضية قال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا وهو لا يرضى بها ولا يميل اليها انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا واترجا وقالت يحق عليكن الا ما أطعمتني يوسف اذا امرتكن الساعة فقلن سمعا وطاعة ثم انها زينت يوسف بأوفى زينة وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه في اعينهن وقال ابن عباس أمنين وأمذين من الدهش وقيل حضن وقطعن أيديهن بحسبهن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لاشتغال قلوبهن بحسنه قال وهب كن أربعين امرأة فمات منهن تسع وجدا به وكمدا عليه وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم نزل علينا من السماء فلما رأت زليخا حال النسوة قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي في حبه ثم بعد ذلك ما زالت تشكو الى زوجها وتقول قد فضحني بين الناس وهو يقول انت راودتيه عن نفسه فحبسه زوجها ودام في الحبس سبع سنين ثم أخرجه فرعون مصر بسبب تعبيره الرؤيا التي رآها وألبسه خاتمه وقلده سيفه وفوض

يعرفون أنهم كانوا موتى حتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد كفنا دسما ثم ماتوا ثم مات حزقيل ولم تذكر مدته في بني اسرائيل وقيل كانوا قوم حزقيل فلما ان ماتوا بكى حزقيل وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا فقال الله أتحب ان احييهم قال نعم قال فاني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا

(ذكر الياس عليه السلام)

لما توفي حزقيل كثرت الاحداث في بني اسرائيل وتركوا عهد الله وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العزار بن هرون بن عمران نبيا وكان الانبياء في بني اسرائيل بعد موسى بن عمران يبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة وكان الياس مع ملك من ملوكهم يقال له اخاب وكان يسمع منه ويصدقه وكان الياس يقيم له أمره وكان بنو اسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه يقال له بعل فجعل الياس يدعوهم الى الله وهم لا يسمعون الا من ذلك الملك وكان ملوك بني اسرائيل متفرقة كل ملك قد تغلب على ناحية يأكلها فقال ذلك الملك الذي كان الياس معه والله ما ارى الذي تدعو اليه الا باطلا لاني أرى فلانا وفلانا يعني ملوك بني اسرائيل قد عبدوا الاوثان ولم يضرهم ذلك شيأ يأكلون ويشربون ويتمتعون ما ينقص ذلك من دنياهم وما نرى لنا عليهم من فضل ففارقه الياس وهو يسترجع فعبد ذلك الملك الاوثان أيضا وكان لذلك الملك جار صالح مؤمن يكتم ايمانه وله بستان الى جانب دار الملك والملك يحسن جواره وللملك زوجة عظيمة الشر والكفر فقالت له ليأخذ بستان الرجل فلم يفعل فكانت تخالف زوجها اذا سار عن بلده وتظهر للناس فغاب مرة فوضعت امرأته على صاحب البستان من شهد عليه أنه سب الملك فقتلته وأخذت بستانه فلما عاد الملك غضب من ذلك واستعظمه وأنكره فقالت فات أمره فأوحى الله الى الياس يأمره ان يقول للملك وامرأته ان يردا البستان على ورثة صاحبه فان لم يفعلا غضب عليهما وأهلكهما في البستان ولم يتمتعا به الا قليلا فاخبرهما الياس بذلك فلم يراجعا الحق فلما رأى الياس أن بني اسرائيل قد أبوا الا الكفر وا فلم دعا عليهم فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين فهلكت الماشية والطيور والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا واختفى الياس خوفا من بني اسرائيل فكان يأتيه رزقه ثم انه أوى ليلة الى امرأة من بني اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضر شديد فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع الياس وكان معه وصحبه وصدقه وكان الياس قد كبر فأوحى الله اليه انك قد أهلكت كثيرا من الخلق من البهائم والدواب والطير وغيرها ولم يعص سوى بني اسرائيل فقال الياس أي رب دعني أكن انا الذي أدعو لهم وآتيهم بالفرج لعلهم يرجعون فجاء الياس اليهم وقال لهم انكم قد هلكتم وهلكت الدواب بخطاياكم فان أحببتم ان تعلموا ان الله ساخط عليكم بفعلكم وان الذي أدعوكم اليه هو الحق فاخرجوا بأصنامكم وادعوها فان استجابت لكم فذلك الحق كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرج عنكم قالوا انصفت فخرجوا

اليه الامر جميعه ثم لما مات العزيز استوزره مكانه وتزوج يوسف امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسناء في دنيا واسعة وكان زوجي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وجمالك فغلبتني نفسي ولما دخل بها وجدها عذراء فولدت له ولدين أحدهما افرايم والآخر منشا وابنة يقال لها رحمة وهي زوجة أيوب عليه السلام وروى انه أحبها أضعاف ما كانت تحبه في أول مرة وهي لا تلتفت اليه كما كانت فقال لها ما شأنك لا تحبينني كما كنت تحبينني أول مرة فقالت له لما ذقت محبة الله شغلتني عن كل شئ سواه وكانت قد دامت على يديه هي والملك ريان وخلق كثير فعدل يوسف عليه السلام في الاحكام وأحبه الخاص والعام ودبر أمورهم في السنين المخصبة حتى دخلت السنون المجدبة وكان القحط قد نزل بأرض يعقوب فلما سمع اخوته باعطائه الميرة بمصر استأذنوا أباهم فأرسلهم يعقوب عليه السلام فحين دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون لانه كان بين رميهم له في الجب وبين قدومهم سبعون سنة وقيل ثمانون سنة فلما عرفوه استحيوا منه واعتذروا اليه عما وقع منهم في حقه فقال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ثم قال لهم ما حال أبي بعدي قالوا ذهبت عيناه من البكا فقال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين فقال يهوذا أنا ذهبت اليه بالقميص ملطخا بالدم وأنا أذهب بأمانهم

بأصنامهم فدعوها فلم يستجب لهم ولم يفرج عنهم فقالوا لالياس انا قد هلكنا فادع الله
لنا فدعا لهم بالفرج وأن يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس وعظمت وهم ينظرون ثم
أرسل الله منها المطر فحييت بلادهم وفرج الله عنهم ما كانوا فيه من البلاء فلم ينزعوا ولم
يراجعوا الحق فلما رأى ذلك الياس سأل الله ان يقبضه فيريحه منهم فكساه الله الريش
وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فصار ملكا انسيا سماويا أرضيا وسلط الله
على الملك وقومه عدوا فظفر بهم وقتل الملك وزوجته بذلك البستان وألقاهما فيه حتى
بليت لحومهما

(ذكر نبوة اليسع عليه السلام وأخذ التابوت من بني اسرائيل)

فلما انقطع الياس من بني اسرائيل بعث الله اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله
وعظمت فيهم الاحداث وعندهم التابوت يتوارثونه فيه السكينة وبقية مما ترك آل
موسى وآل هرون تحمله الملائكة فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت الا هزم الله
العدو وكانت السكينة شبه رأس هر فاذا صرخت في التابوت بصراخ هر ايقنوا بالنصر
وجاءهم الفتح ثم خلف فيهم ملك يقال له ايلاف وكان الله يمنعهم ويحميهم فلما عظمت
أحداثهم نزل بهم عدو فخرجوا اليه وأخرجوا التابوت فاقتتلوا فغلبهم عدوهم على
التابوت وأخذه منهم وانهزموا فلما علم ملكهم ان التابوت أخذ مات كمدا ودخل العدو
أرضهم ونهب وسبى وعاد فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف وكانوا يتمادون
احيانا في غيهم فيسلط الله عليهم من ينتقم منهم فاذا راجعوا التوبة كف الله عنهم شر
عدوهم فكان هذا حالهم من لدن توفي يوشع بن نون الى ان بعث الله اشمويل وملكهم
طالوت ورد عليهم التابوت وكانت مدة ما بين وفاة يوشع الذي كان يلي أمر بني اسرائيل
بعضها القضاة وبعضها الملوك وبعضها المتغلبون الى ان ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة
الى اشمويل أربعمائة سنة وستين سنة فكان أول من سلط عليهم رجل من نسل لوط يقال له
كوشان فقهرهم وأذلهم ثماني سنين ثم أنقذهم من يده أخ لكالب الاصغر يقال له عتنيل
فقام بأمرهم أربعين سنة ثم سلط عليهم ملك يقال له عجلون فملكهم ثماني عشرة سنة ثم
استنقذهم منه رجل من سبط بنيامين يقال له أهود وقام بأمرهم ثمانين سنة ثم سلط عليهم
ملك من الكنعانيين يقال له يابين فملكهم عشرين سنة واستنقذهم منه امرأة من بني
أنبيائهم يقال لها دبورا ودبر الامر رجل من قبلها يقال له باراق أربعين سنة ثم سلط عليهم
قوم من نسل لوط فملكوهم سبع سنين واستنقذهم رجل يقال له جدعون بن يواش من ولد
نفتالي بن يعقوب فدبر أمرهم أربعين سنة وتوفي ودبر أمرهم بعده ابنه أبيمالخ ثلاث سنين
ثم دبرهم بعده فولاع بن فوا ابن خال أبيمالخ ويقال انه ابن عمه ثلاثا وعشرين سنة ثم دبر
أمرهم بعده رجل يقال له يائير اثنتين وعشرين سنة ثم ملكهم قوم من أهل فلسطين بني
عمون ثماني عشرة سنة ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين ثم دبرهم بعده
يحشون سبع سنين ثم بعده آلون عشر سنين ثم بعده لبرون ويسميه بعضهم عكرون ثماني سنين
ثم قهرهم أهل فلسطين وملكوهم أربعين سنة ثم وليهم شمسون عشرين سنة ثم بقوا بعده

اليه بالقميص فأخبره انه حي فأفرحه كما أحزنه فسار ثمانين فرسخا في سبعة أيام فلما فارق عريش مصر قال أبوهم لولد
ولده اني لأجد ريح يوسف لولا أن
تفندون أي تسفهون وفي الخبر
ان الريح استأذنت ربها في ان تأتي
يعقوب عليه السلام بريح يوسف
فأذن لها فأتته ذكر الواحدي في
تفسيره الوسيط ان الريح التي أتت
بريح يوسف الى يعقوب عليه السلام
هي ريح الصبا قال ولذلك ترى
العشاق يكثرون من ذكرها في
أشعارهم الغرامية ويروى
ان يعقوب سأل البشير كيف
تركت يوسف فقال ملك مصر
قال يعقوب ما أصنع بالملك على
أي دين تركته قال على دين
الاسلام قال الآن تمت النعمة
مالي ما أكافئك به على بشارتك
الا الدعاء هون الله عليك سكرات
الموت ولا جعل لك الى بخيل حاجة
فلما ألقى القميص على وجهه ارتد
بصيرا بعدما كان أعمى وقويا بعد
أن كان ضعيفا فلما دنا يعقوب
من مصر خرج يوسف والملك في
أربعمائة ألف من الجند فلما
دنا كل واحد منهما من صاحبه
ترجل يوسف فقال يعقوب السلام
عليك يا مذهب الاحزان وعانق
كل واحد منهما صاحبه وبكى
يعقوب ويوسف فقال يوسف
يا أبت بكيت حتى ذهب بصرك
أما تعلم ان القيامة تجمعنا قال
بلى ولكن خفت ان تسلب دينك
فيحال بيني وبينك قال وهب بن
منبه دخل يعقوب الى مصر وولده
وهم اثنان وسبعون انسانا من
رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى وهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية والعواجز والهرمى والزمنى

وكانت الازمنة ألف ألف ومائتي ألف ويقال ان السبب في افتراق يوسف ويعقوب اباه ان ابراهيم عليه السلام دخل مصر

عشر سنين بعد يردبر ولاويس ثم قام بأمرهم بعده قد عالى الكاهن وفي أيامه غلب أهل فلسطين على التابوت في قول السدي من وقت قيامه اربعون سنة بعث اشمويل نبيا فدبرهم عشر سنين ثم سألوا اشمويل ان يبعث لهم ملكا يقاتل بهم أعداءهم

(ذكر حال اشمويل وطالوت)

كان من خبر اشمويل بن بالي ان بني اسرائيل لما طال عليهم البلاء وطمع فيهم الاعداء وأخذ التابوت منهم فصاروا بعده لا يلقون ملكا الا هزمهم فقصدهم جالوت ملك الكنعانيين وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين فظفر بهم فضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة فدعوا الله ان يبعث لهم نبيا يقاتلون معه وكان سبط النبوة هلكوا فلم يبق منهم غير امرأة حبلى فحبسوها في بيت خيفة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فولدت غلاما سمته اشمويل ومعناه سمع الله دعائي وسبب هذه التسمية انها كانت عاقرا وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبغت عليها بكثرة الاولاد فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولدا فرحم الله انكسارها وحاضت لوقتها وقرب منها زوجها فحملت فلما انقضت مدة الحمل ولدت غلاما سمته اشمويل فلما كبر اسلمته في بيت المقدس يتعلم التوراة وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ أن يبعثه الله نبيا أتاه جبريل وهو يصلي فناداه بصوت يشبه صوت الشيخ فجاء اليه فقال ما تريد فكره ان يقول لم ادعوك فيفزع فقال ارجع فنم فرجع فعاد جبريل لمثلها فجاء الى الشيخ فقال له يا بني عد فاذا دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل وأمره بانذار قومه واعلمه ان الله بعثه رسولا فدعاهم فكذبوه ثم اطاعوه واقام يدبر أمرهم عشر سنين وقيل أربعين سنة وكانت العمالقة مع ملكهم جالوت قد عظمت نكايتهم في بني اسرائيل حتى كادوا يهلكونهم فلما رأى بنو اسرائيل ذلك قالوا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وأبنائنا فدعا الله فأرسل اليه عصا وقرنا فيه دهن وقيل له ان صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا واذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه به وملكه عليهم فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت دباغا وقيل كان سقاء يسقي الماء ويبيعه فضل حماره فانطلق يطلبه فلما اجتاز بالمكان الذي فيه اشمويل دخل يسأله ان يدعو له ليرد الله حماره فلما دخل نش الدهن فقاسوه بالعصا فكان مثلها فقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وهو بالسريانية شاول بن قيس بن اغمار بن ضرار بن يحرف بن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق فقالوا له ما كنت قط أكذب منك الساعة ونحن من سبط المملكة ولم يؤت طالوت سعة من المال فنتبعه فقال اشمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم فقالوا ان كنت صادقا فأت بآية فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة والسكينة رأس هر وقيل طشت من ذهب يغسل فيه قلوب الانبياء وقيل غير ذلك وفيه الالواح وهي من در

في بعض الازمنة الاخرى منها شبه زهادهم وعبادهم حفاة مشاة الى أربع فراسخ تعظيما واجلالا لاول بيت حل به ابراهيم عليه السلام فاوحى الله اليه انك لن تنزل ابادي وهم يمشون معك لاخرجن من أصلابك أربعة ولا من أولادك في هذه المدينة ويروى انه أتاه ملك الموت يوما لزوره فقال له يا ملك الموت نشدتك الله هل قبضت روح يوسف قال لا قال أحي هو أم ميت قال له يا نبي الله حي وأبشر فان الله تبارك وتعالى لا يميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان في الصخرة التي عليها قرار الارض وان شئت أعلمتك لم ابتليت بفقد ولدك قال فاعلمني يا عزرائيل قال هل تذكر الجارية التي اشتريتها للرضاع يوسف وفرقت بينها وبين ولدها لكثرة المحب لولدك قال نعم قال فلذلك ابتليت بفقد ولدك وأقام يوسف مع اخوته وأبيه سبع عشرة سنة مجتمعين ومات يعقوب بمصر وسار به يوسف الى بيت المقدس ودفنه عند أبيه كما تقدم ولما حضر يوسف الوفاة جمع اليه قومه من بني اسرائيل وهم ثمانون رجلا فاعلمهم بنزول أمر الله فقالوا يا نبي الله الى من يؤول أمرنا من بعدك فعين لهم مكانه يهوذا وقال لهم أمركم يستقيم على ما أنتم عليه الى ان نشأ رجل عات جبار من السبط يدعي الربوبية وهو فرعون العزيز يقهركم ويذبح أبناءكم ويستحي نساءكم ويسومكم سوء العذاب ويأذن

وياقوت وزبرجد وأما البقية فهى عصا موسى ورضاضة الالواح فحملته الملائكة وأتت به الى طالوت نهارا بين السماء والارض والناس ينظرون فاخرجه طالوت اليهم فاقروا بملكه ساخطين وخرجوا معه كارهين وهم ثمانون ألفا فلما خرج قال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى وهو نهر فلسطين وقيل الاردن فشربوا منه الا قليلا وهم اربعة آلاف فمن شرب منه عطش ومن لم يشرب منه الا غرفة روى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه لقيهم جالوت وكان ذا بأس شديد فلما رأوه رجع أكثرهم وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ولم يبق معه غير ثلثمائة وبضعة عشر عدد أهل بدر فلما رجع من رجع قالوا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وكان فيهم ايشا ابو داود ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابنا وكان داود اصغر بنيه وقد خلفه يرعى لهم ويحمل لهم الطعام وكان قد قال لابيه ذات يوم يا أبتاه ما أرمى بقذافتى شيأ الا صرعته ثم قال له لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبت عليه واخذت باذنيه فلم أخفه ثم أتاه يوما آخر فقال انى لامشى بين الجبال فأسبح فلا يبقى جبل الاسبح معى قال له أبشر فان هذا خير اعطاكه الله فأرسل الله الى النبى الذى مع طالوت قرنا فيه دهن وتنورا من حديد فبعث به الى طالوت وقال له ان صاحبكم الذى يقتل جالوت يوضع هذا الدهن على رأسه فيغلى حتى يسيل من القرن ولا يجاوز رأسه الى وجهه ويبقى على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه فدعا طالوت بنى اسرائيل فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأحضر داود من رعيه فمر فى طريقه بثلاثة أحجار فكلمته وقلن خذنا يا داود تقتل بنا جالوت فأخذهن فجعلهن فى مخلاته وكان طالوت قد قال من قتل جالوت زوجته ابنتى وأجريت خاتمه فى مملكتى فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه فغلى حتى ادهن منه ولبس التنور فملأه وكان داود مسقاما ازرق مصفارا فلما دخل فى التنور تضايق عليه حتى ملأه وفرح اشمويل وطالوت وبنو اسرائيل بذلك وتقدموا الى جالوت وتصافوا للقتال وخرج داود نحو جالوت وأخذ الاحجار ووضعها فى قذافته ورمى بها جالوت فوقع الحجر بين عينيه فثقب رأسه فقتله ولم يزل الحجر يقتل كل من أصابه ينفذ منه الى غيره فانهزم عسكر جالوت باذن الله ورجع طالوت فأنكح ابنته داود وأجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى داود وأحبوه فحسده طالوت وأراد قتله غيلة فعلم ذلك داود ففارقه وجعل فى مضجعه زق خمر وسجاه ودخل طالوت الى منام داود وقد هرب داود فضرب الزق ضربة بخرقه فوقعت قطرة من الخمر فى فيه فقال يرحم الله داود ما كان أكثر شربه الخمر فلما أصبح طالوت علم أنه لم يصنع شيأ فخاف داود أن يغتاله فشدد حجابه وحراسه ثم ان داود أتاه من القابلة فى بيته وهو نائم فوضع سهمين عند رأسه وعند رجليه فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فقال يرحم الله داود هو خير منى ظفرت به وأردت قتله وظفر بى فكف عنى وأذكى عليه العيون فلم يظفروا به وركب طالوت يوما فرأى داود فركض فى أثره فهرب داود منه واختفى فى غار فى الجبل فعمى الله أثره على طالوت ثم ان طالوت قتل العلماء حتى لم يبق أحد الا امرأة كانت تعرف اسم الله الاعظم فساقها الى

فقتل ابائه ثم يخرج من بنى اسرائيل نبى من ولد اخى لاوى اسمه موسى بن عمران عليه السلام فينجيكم الله على يديه وكان ليوسف عليه السلام ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف يستقيم أمركم مادام هذا الديك يصرخ فيكم فحين يولد هذا الجبار يسكت ولا يصرخ مدة ولايته فاذا أذن الله تعالى بمولد هذا النبى عاد الديك الى صراخه فذلك علامة انقضاء مدة ذلك الجبار وظهور نبى الله فى الارض فما زالوا يراعون الحال الى ان ظهر المال وقبض الله تعالى يوسف وله من العمر مائة وعشر سنين ولما أرادوا دفنه تشاجر أهل مصر فى مكان القبر فكل يحب ان يدفن فى محلتهم واجتمعوا وهموا بالقتال فرأوا أن يدفنوه فى النيل حيث يتفرق الماء لاهل مصر ليمر الماء عليه حتى يكونوا كلهم شركاء ففعلوا ذلك وجعلوه فى تابوت من الرخام وسدوه بالرصاص وطلى بالاطلية الدافعة للهواء والماء ووضع فى وسط النيل نحو مدينة منف وهناك مسجد فلما سار موسى من مصر بعد غرق فرعون ببنى اسرائيل الى التيه نبش يوسف وحمله معه فى التيه حتى مات موسى وحمله يوشع فدفنه بالقرب من نابلس وقيل عند قبر ابراهيم عليه السلام

(الفصل الثالث عشر فى ذكر موسى بن منشا عليه السلام)

وهو موسى بن منشا بن يوسف الصديق عليه السلام غير موسى ابن عمران وذلك لما توفى يعقوب ويوسف عليهما السلام بقى الامر الى الاسباط فكثروا وغوا وظهر منهم ملوك وغيروا السنن وأفسدوا فى الارض وفشا فيهم الفجر

والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن منشا وولايته وهم الى عبادة الله تعالى وأداء أمره واقامة سنته وذلك قبل

رجل يقتلها فرحمها وتركها واختفى أمرها ثم ان طالوت ندم وأراد التوبة وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس فكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي ويقول أنشد الله عبدا علم لي توبة الا أخبرني بها فلما أكثر ناداه مناد من القبور يا طالوت اما رضيت قتلتنا احياء حتى تؤذينا أمواتا فازداد بكاء وحزنا فرحمه الرجل الذي أمره بقتل تلك المرأة فقال له ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فأخذ عليه العهود والمواثيق ثم أخبره بتلك المرأة فقال سلها هل لي من توبة فقصد عندها وسألها هل له من توبة فقالت ما اعلم له من توبة ولكن هل تعلمون قبر نبي قالوا انهم قبر يوشع بن نون فانطلقت وهم معها فدعت فخرج يوشع فلما رآهم قال ما لكم قالوا جئنا نسألك هل لطالوت من توبة قال ما أعلم له توبة الا أن يتخلى من ملكه ويخرج هو وولده فيقاتلون في سبيل الله حتى تقتل أولاده ثم يقاتل هو حتى يقتل فعسى ان يكون له توبة ثم سقط ميتا ورجع طالوت أحزن مما كان يخاف ان لا يتابعه ولده فبكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فسأله بنوه عن حاله فأخبرهم فتجهزوا للغزو فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم قاتل هو بعدهم حتى قتل وقيل ان النبي الذي بعث الى طالوت حتى أخبره بتوبته اليسع وقيل اشمويل والله أعلم وكانت مدة ملك طالوت الى ان قتل اربعين سنة

(ذكر ملك داود)

هو داود بن ايشا بن عوفيد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رام بن حصرون ابن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وكان قصيرا أزرق قليل الشعر فلما قتل طالوت أتى بنو اسرائيل داود فأعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم وقيل ان داود ملك قبل ان يقتل جالوت وسبب ملكه حينئذ أن الله أوحى الى اشمويل ان أمر طالوت بغزو مدين وقتل من بها فسار اليها وقتل من بها الا ملكهم فانه أخذه أسيرا فأوحى الله الى اشمويل قل لطالوت آمرك بأمر فتركته لأنزعن الملك منك ومن بيتك ثم لا يعود فيكم الى يوم القيامة وأمر اشمويل بتمليك داود فملكه وسار الى جالوت فقتله والله أعلم فلما ملك بني اسرائيل جعله الله نبيا وملكا وانزل عليه الزبور وعلمه صنعة الدروع وهو أول من عملها والان له الحديد وأمر الجبال والطير يسبحن معه اذا سبح ولم يعط الله أحدا مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وانها المصيخة تسمع صوته وكان شديد الاجتهاد كثير العبادة والبكاء وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر وكان يحرسه كل يوم وليلة اربعة آلاف وكان يأكل من كسب يده وفي ملكه مسخ اهل أيلة قردة وسبب ذلك انهم كانوا تأتيهم يوم السبت حيتان البحر كثيرا فاذا كان غير يوم السبت لا يجيء اليهم منها شيء فعملوا على جانب البحر حياضا كبيرة واجروا اليها الماء فاذا كان آخر نهار يوم الجمعة يحول الماء الى الحياض فدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج منها فيأخذونها يوم الاحد فنهاهم بعض أهلها فلم ينتهوا فمسخهم الله قردة وبقوا ثلاثة ايام وهلكوا

(ذكر فتنته بزوجة أوريا)

ثم ان الله ابتلاه بزوجة اوريا وكان سبب ذلك انه قد قسم زمانه ثلاثة ايام يوما يقضي فيه

مولد موسى بن عمران بأربع مائة سنة فأطاعه قوم منهم وعصاه آخرون وزعم أهل التوراة انه صاحب الخضر والعامة من العلماء ان صاحب الخضر موسى بن عمران ثم لبث في بني اسرائيل ماشاء الله تعالى ان يقيم ثم مات على ما ذكره أصحاب التواريخ

(الفصل الرابع عشر في ذكر أيوب عليه السلام)

كان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والحاجبين قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوبا على جبهته المبتلى الصابر وهو أيوب بن اموص بن رزاح ابن روم بن العيص بن اسحق عليه السلام وكانت أمه بنت لوط عليه السلام وأبوه ممن آمن بابراهيم عليه السلام وتزوج برحمة بنت افرايم بن يوسف عليه السلام وكانت رحمة من أشبه الناس بجدها يوسف فرزقه الله عز وجل منها اثني عشر بطنا في كل بطن ذكر وأنثى وكان الله تعالى قد اصطفاه وحباه وبسط عليه الدنيا وكان غنيا كثير الضيافة وله أصناف من الاموال الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة ومال وولد وكان يكفل الارامل واليتامى وما كان يشبع حتى يشبع الجائع ومن معجزاته انه دعا أمير بلده الى الاسلام فقال أريد ان تبني سقف داري بلا جدار فدعا الله تعالى فأجابه وسقطت الحيطان الى

بين الناس ويوما يخلو فيه لعبادة ويوما يخلو فيه مع نسائه وكان له تسع وتسعون امرأة وكان يحسد فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال اى رب ارى الخير قد ذهب به آبائى فاعطنى مثل ما اعطيتهم فأوحى الله اليه ان اباءك ابتلوا ابتلاء فصبروا ابتلى ابراهيم بذبح ابنه وابتلى اسحق بذهاب بصره وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف فقال رب ابتلنى بمثل ما ابتليتهم واعطنى مثل ما اعطيتهم فأوحى الله اليه انك مبتلى فاحترس وقيل كان سبب البلية أنه حدث نفسه انه يطيق ان يقطع يوما بغير مقارفة سوء فلما كان اليوم الذى يخلو فيه للعبادة عزم على ان يقطع ذلك اليوم بغير سوء واغلق بابه واقبل على العبادة فاذا هو بحمامة من ذهب فيها كل لون حسن قد وقعت بين يديه فاهوى ليأخذها فطارت غير بعيد من غير ان ييأس من أخذها فما زال يتبعها وهى تفر منه حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه حسنها فلما رأت ظله فى الارض جللت نفسها بشعرها فاستترت به فزاده ذلك رغبة فسأل عنها فأخبر أن زوجها بثغر كذا فبعث الى صاحب الثغر بأن يقدم أوريا بين يدى التابوت فى الحرب وكان كل من يقدم بين يدى التابوت لا ينهزم اما ان يظفر او يقتل ففعل ذلك به فقتل وقيل ان داود لما نظر الى المرأة فاعجبته سأل عن زوجها فقيل انه فى جيش كذا فكتب الى صاحب الجيش ان يبعثه فى سرية الى عدو كذا ففعل ذلك ففتح الله عليه فكتب الى داود فأمر ان يرسله ايضا الى عدو كذا اشد منه ففعل فظفر فامر داود ان يرسل الى عدو ثالث ففعل فقتل اوريا فى المرة الثالثة فلما قتل تزوج داود امرأته وهى ام سليمان فى قول قتادة وقيل ان خطيئة داود كانت انه لما بلغه حسن امرأة اوريا تمنى أن تكون له حلالا فاتفق ان اوريا سار الى الجهاد فقتل فلم يجد له من الهم ما وجد لغيره فبينما داود فى المحراب يوم عبادته وقد اغلق الباب اذ دخل عليه ملكان ارسلهما الله اليه من غير الباب فراعه ذلك فقالا لا تخف نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب اى قهرنى وأخذ نعجتى فقال للآخر ما تقول قال صدق انى اردت ان أكمل نعاجى مائة فأخذت نعجته فقال داود اذا لا ندعك وذلك فقال الملك ما أنت بقادر عليه قال داود بلى ان لم ترد عليه ماله ضربنا منك هذا وهذا وأومأ الى انفه وجبهته قال يا داود انت أحق ان يضرب منك هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الا امرأة واحدة فلم تزل به حتى قتل وتزوجت امرأته ثم غابا عنه فعرف ما ابتلى به وما وقع فيه فخر ساجدا اربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لا بد منها وادام البكاء حتى نبت من دموعه عشب غطى رأسه ثم نادى يا رب قرح الجبين وجمدت العين وداود لم يرجع اليه فى خطيئته بشئ فنودى اجائع فتطعم ام مريض فتشفى ام مظلوم فتنصر قال فنحب نحبة هاج ما كان نبت فعند ذلك قبل الله توبته وأوحى اليه ارفع رأسك فقد غفرت لك قال يا رب كيف اعلم انك قد غفرت لى وأنت حكم عدل لا تحيف فى القضاء اذا جاء اوريا يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه تشخب اوداجه دما قبل عرشك يقول يا رب سل هذا فيم قتلنى فأوحى الله اليه اذا كان ذلك دعوته واستوهبك منه فيهبك لى فاثيبه بذلك الجنة قال يا رب الآن علمت انك

الارض وبنى سقف الدار قائما بغير عمد فأسلم كل من كان فى تلك الدار وكان فى أرض قريبة منه تراب فسأل الله ان يكون التراب ماء فسأل الله تعالى فأجابه فصار التراب ماء وبعثه الله الى أهل البثنية من الجولان من بلاد دمشق والجابية وكان كثير المال والولد فابتلاه الله تعالى فى ماله وولده ونفسه حتى نحل جسمه وسبب ابتلائه أن ابليس اللعين حسده وقال يا الهى لو سلطتنى عليه لكفر بك وأطاعنى فسلطه عليه ليظهر صبره وكذب ابليس ثم ان ابليس فرق عفاريته فى المال فافناه فلما رآه لا يلتفت الى المال سأل الله تعالى ان يسلطه على ولده فجاء اليهم وزلزل قصرهم فوقعت الحيطان عليهم فقتلوا عن آخرهم فلما بلغه ذلك فقال فصبر جميل فحينئذ سأل ابليس ان يسلطه على جسده وقال لا سلطان لك على قلبه ولسانه وعقله فأتاه وهو ساجد فنفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده ووقعت فيه حكة قال الكسائى صار جميع بدنه كالجدرى وورم واسود وامتلأ قيحا ووقع فيه الدود وسال منه الصديد ووقع فيه الحكاك فجعل يحكه حتى سقطت أظافيره وتقطع لحمه وانتن فاخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا وفى كشف الاسرار انه سلط على بدنه اثنا عشر الف زوج من الدود وان الدود لما تناثرت منه صعدت الى الشجر فخرج من لعابها الابريسم فصار افخر اللباس ببركة أيوب عليه السلام فرفضه الناس غير امرأته رحمة فكانت تخدمه وقد وقع به بلاء لو سلط على جبل لضعف عن حمله حتى تقطعت اصابعه وما يقدر أن يرفع

قد غفرت لك قال فما استطاع داود بعدها ان يملأ عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبض ونقش خطيئته في يده فكان اذا رآها اضطرب بيده وكان يؤتى بالشراب في الاناء ليشربه فكان يشرب نصفه او ثلثه فيذكر خطيئته فينتحب حتى تكاد مفاصله يزول بعضها من بعض ثم يملأ الاناء من دموعه وكان يقال ان دمعة داود تعدل دموع الخلائق وهو يجيء يوم القيامة وخطيئته مكتوبة بكفه فيقول يا رب ذنبي ذنبي قدمني فيقدم فلا يأمن فيقول يا رب أخرني فلا يأمن وازالت الخطيئة طاعة داود عن بني اسرائيل واستخفوا بأمره ووثب عليه ابن له يقال له ايشا وامه ابنة طالوت فدعا الى نفسه فكثر اتباعه من أهل الزيغ من بني اسرائيل فلما تاب الله على داود اجتمع اليه طائفة من الناس فحارب ابنه حتى هزمه ووجه اليه بعض قواده وأمره بالرفق به والتلطف لعله يأسره ولا يقتله وطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فقتله فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر لذلك القائد

(ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود عليه السلام)

قيل أصاب الناس في زمان داود طاعون جارف فخرج بهم الى موضع بيت المقدس وكان يرى الملائكة تعرج منه الى السماء فلهذا قصده ليدعو فيه فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورفع الطاعون فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا وكان الشروع في بنائه لاحدى عشرة سنة مضت من ملكه وتوفي قبل ان يستتم بناءه وأوصى الى سليمان باتمامه وبقتل القائد الذي قتل اخاه ايشا بن داود فلما توفي داود ودفنه سليمان تقدم بانفاذ امره فقتل القائد واستتم بناء المسجد بناه بالرخام وزخرفه بالذهب ورصعه بالجواهر وقوي على ذلك جميعه بالجن والشياطين فلما فرغ اتخذ ذلك اليوم عيدا عظيما وقرب قربانا فتقبله الله منه وكان ابتداؤه أولا بناء المدينة فلما فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد وقد اكثر الناس في صفة البناء مما يستبعد ولا حاجة الى ذكره وقيل ان سليمان هو الذي ابتدأ بعمارة المسجد وكان داود أراد ان يبنيه فأوحى الله اليه ان هذا بيت مقدس وانك قد صبغت يدك في الدماء فلست ببانيه ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء فلما ملك سليمان بناه ثم ان داود توفي وكان له جارية تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح فيقوم الى عبادته فأغلقتها ليلة فرأت في الدار رجلا فقالت من أدخلك الدار فقال انا الذي ادخل على الملوك بغير اذن فسمع داود قوله فقال أنت ملك الموت قال نعم قال فهلا أرسلت الي لاستعد للموت قال قد أرسلت اليك كثيرا قال من كان رسولك قال اين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك قال ماتوا قال فهم كانوا رسلي اليك لانك تموت كما ماتوا ثم قبضه فلما مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوته وكان له تسعة عشر ولدا فورثه سليمان دونهم وكان عمر داود لما توفي مائة سنة صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت مدة ملكه أربعين سنة

(ذكر ملك سليمان بن داود عليه السلام)

لما توفي داود ملك بعده ابنه سليمان على بني اسرائيل وكان ابن ثلاث عشرة سنة وآتاه مع الملك النبوة وسأل الله ان يؤتيه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاستجاب له وسخر له الانس

القمة الى فيه الا يرفع يديه جميعا فما ٨٩ يبلعان فيه الا بجهد وتساقط لحم رأسه فكان ترى من وسط اذنه الاذن الاخرى وان دماغه سال من فمه وتقطعت امعاؤه فكان الطعام يخرج كما دخل وذهبت قوة رجليه فما كان يلحق مواشيه ماوقع الداء في أولاده فماتوا بأجمعهم وذهب ماله وماتت ماشيته فصار يسأل الناس فيطعمه من كان اجيرا عنده فصبر على جميع ذلك فلما أراد الله عافيته وكان ثم ارادة هبط عليه جبريل عليه السلام وقال أبشر يا أيوب ان الله تعالى قد شفاك ووهب لك كل شيء ذهب منك فاركض برجلك بأمر ربه فانفجرت له عين ماء فدخل فيها واغتسل وشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وكسي حلة فاخرة والعين مشهورة بلاد نوى والجولان والحجر الذي كان يأوي اليه في حال بلائه في ذلك المسجد وكان يقول اللهم ان كان هذا من رضاك فشدده وان كان من سخطك فاغفر وسبب سؤاله العافية انه كان له اخوان فأتياه يوما فوجدا منه رائحة منكرة فقالا لو علم الله من هذا خيرا مابلغ به هذا فاسمع شيئا اشد عليه من ذلك فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة وانا شبعان وانا اعلم مكان جائع فصدقني وهما يسمعان اللهم ان كنت تعلم اني لم البس قميصا وانا اعلم مكان عار فصدقني ثم سجد قال اللهم لا ارفع رأسي حتى تكشف ما بي وكان ذلك في ثامن عشر فلما اذهب الله عنه البلاء خرج من مكانه فجلس واقبلت امرأته فالتمسته في مضجعه فلم تجده فقامت متنكرة كالوالهة وهي تبكي وذلك

والجن

والجن والشياطين والطير والريح فكان اذا خرج من بيته الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس وقيل انما سخر له الريح والجن والشياطين والطير وغير ذلك بعد أن زال ملكه وأعاده الله سبحانه اليه على ماتذكره وكان ابيض جسيما كثير الشعر يلبس البياض وكان أبوه يستشيره فى حياته ويرجع الى قوله فمن ذلك ماقصه الله فى كتابه فى قوله وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث الآية وكان خبر ان غنما دخلت كرما فأكلت عناقيده وافسدته فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان اوغير ذلك ان يسلم الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها الى أن يعود كرمه الى حاله ثم يأخذ كرمه ويدفع الغنم الى صاحبها فأمضى داود قوله وقال الله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال بعض العلماء فى هذا دليل على ان كل مجتهد فى الاحكام الفروعية مصيب فان داود أخطأ الحكم الصحيح عند الله تعالى وأصابه سليمان فقال الله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما وكان سليمان يأكل من كسب يده وكان كثير الغزو وكان اذا أراد الغزو أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره ويركبون عليه هم ودوابهم ومايحتاجون اليه ثم أمر الريح فحملته فسارت فى غدوته مسيرة شهر وفى روحته كذلك وكان له ثلثمائة زوجة وسبعمائة سرية وأعطاه الله انه لايتكلم أحد بشئ الا حملته الريح اليه فيعلم مايقول

(ذكر ماجرى له مع بلقيس)

نذكر أولا ماقيل فى نسبها وملكها ثم ماجرى له معها فنقول قد اختلف العلماء فى اسم آبائها فقيل انها هى بلقمة ابنة ايلشرح بن الحرث بن قيس بن صيفى بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن قحطان وقيل هى بلقمة ابنة الهدهاد واسمه ايلشرح بن تبع ذى الاذعار بن تبع ذى المنار بن تبع الرايش وقيل فى نسبها غير ذلك لاحاجة الى ذكره وقد اختلف الناس فى التبابعة وتقديم بعضهم على بعض والزيادة فى عددهم والنقصان اختلافا لايحصل الناظر فيه على طائل وكذا أيضا اختلفوا فى نسبها اختلافا كثيرا وقال كثير من الرواة ان أمها جنية ابنة ملك الجن واسمها رواحة بنت السكر وقيل اسم أمها يلقمة بنت عمرو بن عمير الجنى وانما نكح أبوها الى الجن لانه قال ليس فى الانس لى كفؤ فخطب الى الجن فزوجوه واختلفوا فى سبب وصوله الى الجن حتى خطب اليهم فقيل انه كان لهجا بالصيد فربما اصطاد الجن على صور الظباء فيخلى عنهن فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فانكحه على ان يعطيه ساحل البحر مابين يبرين الى عدن وقيل ان أباها خرج يوما متصيدا فرأى حيتين تقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فأمر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها ماء فأفاقت فاطلقها وعاد الى داره وجلس منفردا فاذا معه شاب جميل فذعر منه فقال له لاتخف أنا الحية التى انجيتنى والاسود الذى قتلته غلام لنا تمرد علينا وقتل عدة من اهل بيتى وعرض على ابيها المال وعلم الطب فقال أما المال فلا حاجة لى به واما الطب فهو قبيح بالملوك ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه على شرط ان لايغير عليها شيأ تعمله ومتى غير فارقته فاجابه الى ذلك

فبكت ثم قالت ياعبد الله أين المبتلى الذى كان ههنا لعل الذئاب ذهبت به فقال ويحك أنا أيوب فقالت اتق الله ولا تسخر بى فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيتيه قالت نعم ومالى لا أعرفه فتبسم وقال أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته قال ابن عباس فو الذى نفسى بيده مافارقته من عناقه حتى رد الله عليهما كل مال لهما وولدهما فذلك قوله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم واختلفوا فى مدة ابتلائه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث أيوب فى بلائه ثمان عشرة سنة وكان له اندران أحدهما للقمح والآخر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين احداهما أفرغت الذهب على اندر القمح وأفرغت الاخرى الورق على اندر الشعير وقيل ان الله تعالى أمطر عليه جرادا من ذهب وأحيا الله أولاده بأعيانهم وآتاه مثلهم وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة وقيل خمسا وتسعين سنة وقيل مائتين وعشرين سنة ودفن فى المكان الذى ابتلى فيه وقبره مشهور هناك يزار ويتبرك به صلوات الله عليه

(الفصل الخامس عشر فى ذكر ذى الكفل عليه السلام)

اسمه بشر بن أيوب عليه السلام بعثه الله تعالى بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يابشير انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره ان نعصى الله ورسوله فلو سألت الله تعالى ان يطيل

حملت منه فولدت له غلاما فالقته في النار فجزع لذلك وسكت للشرط ثم حملت منه فولدت جارية فالقتها الى كلبة فاخذتها فقام ذلك عليه وصبر للشرط ثم انه عصى عليه بعض اصحابه فجمع عسكره فسار اليه ليقاتله وهي معه فانتهى الى مفازة فلما توسطها راى جميع مامعهم من الزاد يخلط بالتراب واذا الماء يصب من القرب والمزاود فايقنوا بالهلاك وعلموا انه من فعال الجن عن امر زوجته فضاق ذرعا عن حمل ذلك فاتاها وجلس واوما الى الارض وقال يا ارض صبرت لك على احراق ابني واطعام الكلبة ابنتي ثم انت الآن قد فجعتنا بالزاد والماء وقد اشرفنا على الهلاك فقالت المرأة لو صبرت لكان خيرا لك وساخبرك ان عدوك خدع وزيرك فجعل السم في الازواد والمياه ليقتلك واصحابك فمر وزيرك ليشرب مابقي من الماء ويأكل من الزاد فأمره فامتنع فقتله ودلتهم على الماء والميرة من قريب وقالت اما ابنك فدفعته الى حاضنة تربيه وقدمات واما ابنتك فهي باقية واذا بجويرية قد خرجت من الارض وهي بلقيس وفارقته امرأته وسار الى عدوه فظفر به وقيل في سبب نكاحه الجن غير ذلك والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة واما ملكها اليمن فقيل ان أباها فوض اليها الملك فملكت بعده وقيل بل مات عن غير وصية بالملك لاحد فأقام الناس ابن اخ له وكان فاحشا خبيثا فاسقا لايبلغه عن بنت قيل ولا ملك ذات جمال الا احضرها وفضحها حتى انتهى الى بلقيس بنت عمه فأراد ذلك منها فوعدته ان يحضر عندها الى قصرها واعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله اذا دخل اليها وانفرد بها فلما دخل اليها وثبا عليه فقتلاه فلما قتل أحضرت وزراءه فقرعتهم فقالت أما كان فيكم من يانف لكريمته وكرائم عشيرته ثم اريتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه فقالوا لانرضى بغيرك فملكوها وقيل ان أباها لم يكن ملكا وانما كان وزير الملك وكان الملك خبيثا قبيح السيرة يأخذ بنات الاقيال والاعيان والاشراف وانها قتلته فملكها الناس عليهم وكذلك أيضا عظموا ملكها وكثرة جندها فقيل كان تحت يدها أربعمائة ملك كل ملك منهم على كورة مع كل ملك منهم أربعة آلاف مقاتل وكان لها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها وكان لها اثناعشر قائدا يقود كل قائد منهم اثنى عشر ألف مقاتل وبالغ آخرون مبالغة تدل على سخف عقولهم وجهلهم قالوا كان لها اثناعشر ألف قيل تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل مع كل مقاتل سبعون ألف جيش في كل جيش سبعون ألف مبارز ليس فيهم الا ابناء خمس وعشرين سنة وما أظن الساعة راوى هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتى يعلم مقدار جهله ولو عرف مبلغ العدد لاقصر عن اقدامه على هذا القول السخيف فان أهل الارض لايبلغون جميعهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم ونساؤهم هذا العدد فكيف يكونوا ابناء خمس وعشرين سنة فياليت شعرى كم يكون غيرهم ممن ليس من أسنانهم وكم تكون الرعية وأرباب الحرف والفلاحة وغير ذلك وانما الجند بعض أهل البلاد وان كان الحاصل من اليمن قد قل في زماننا فان رقعة أرضه لم تصغر وهي لاتسع هذا العدد قياما كل واحد الى جانب الآخر ثم انهم قالوا أنفقت على كوة بيتها التي تدخل الشمس منها فتسجد لها ثلثمائة ألف أوقية من الذهب

وجاهد أعداءه فقال بشر بن ايوب لقد سألتموني شيأ عظيما وكلفتموني شططا جسيما

أعمارنا ولا يميتنا الا اذا شئنا فتعيده ثم قام وصلى ودعا وقال اللهم امرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وامرتني أن اجاهد اعداءك وانت تعلم اني لا املك الا نفسي وان قومي قد سألوني فيما انت اعلم به مني فلا تؤاخذني بجريرة غيري فأوحى الله تعالى اليه يابشر اني سمعت مقالة قومك واني قد اعطيتهم ماسألوني وطولت اعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم بذلك فبلغهم بشر رسالة الله تعالى واخبرهم بما اوحى اليه وتكفل لهم كما امره الله تعالى فسمي ذا الكفل ثم انهم توالدوا وتناسلوا وكثروا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت عليهم معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا ان يدعو الله تعالى ان يردهم الى آجالهم فردهم الى اعمارهم فماتوا آجالهم فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا خمسة اسداسها الروم وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم بن العيص ابن اسحق وكان بشر عليه السلام مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وسبعين سنة وقبره في قرية كفل حارس من اعمال نابلس

﴿الفصل السادس عشر في ذكر شعيب عليه السلام﴾

اختلف العلماء في نسبه قال ابن الجوزي هو شعيب بن عيفا بن نويب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وامه ميكيل بنت لوط عليه السلام ويقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه بعثه الله تعالى الى اهل مدين واصحاب الايكة والايكة الشجرة الملتفة وكان لسانه عربيا وقالوا

وقالوا غير ذلك وذكروا من أمر عرشها ما يناسب كثرة جيشها فلا نطول بذكره وقد تواطؤا على الكذب والتلاعب بعقول الجهال واستهانوا بما يلحقهم من استجهال العقلاء لهم وانما ذكرنا هذا على قبحه ليقف بعض من كان يصدق به عليه فينتهى الى الحق واما سبب مجيئها الى سليمان واسلامها فانه طلب الهدهد فلم يره وانما طلبه لان الهدهد يرى الماء من تحت الارض فيعلم هل فى تلك الارض ماء أم لا وهل هو قريب أم بعيد فبينما سليمان فى بعض مغازيه اذ احتاج الى الماء فلم يعلم أحد ممن معه بعده فطلب الهدهد ليسأله عن ذلك فلم يره وقيل بل نزلت الشمس الى سليمان فنظر ليرى من أين نزلت لان الطير كانت تظله فرأى موضع الهدهد فارغا فقال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين وكان الهدهد قد مر على قصر بلقيس فرأى بستانا لها خلف قصرها فمال الى الخضرة فرأى فيه هدهدا فقال له أين أنت عن سليمان وما تصنع ههنا فقال له ومن سليمان فذكر له حاله وما سخر له من الطير وغيره فعجب من ذلك فقال له هدهد سليمان وأعجب من ذلك ان كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجعلوا الشكر لله ان سجدوا للشمس من دونه وكان عرشها سريرا من ذهب مكلل بالجواهر النفيسة من اليواقيت والزبرجد واللؤلؤ ثم ان الهدهد عاد الى سليمان فأخبره بعذره فى تأخيره فقال له اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم فاتاها وهى فى قصرها فألقاه فى حجرها فأخذته وقرأته وأحضرت قومها وقالت انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين يا أيها الملأ ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين قالت انى مرسلة اليهم بهدية فان قبلها فهو من ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى وان لم يقبلها فهو نبى من الله فلما جاءت الهدية الى سليمان قال للرسل أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم الى قوله وهم صاغرون فلما رجع الرسل اليها سارت اليه وأخذت معها الاقيال من قومها وهم القواد وقدمت عليه فلما قاربته وصارت منه على نحو فرسخ قال لاصحابه أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يعنى قبل أن تقوم فى الوقت الذى تقصد فيه بيتك للغداء قال سليمان أريد أسرع من ذلك فقال الذى عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا وكان يعرف اسم الله الاعظم أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وقال له انظر الى السماء وادم النظر فلا ترد طرفك حتى احضره عندك وسجد ودعا فرأى سليمان العرش قد نبع من تحت سريره فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر اذ أتانى به قبل أن يرتد الى طرفى أم أكفر اذ جعل تحت يدى من هو أقدر منى على احضاره فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ولقد تركته فى حصون وعنده جنود تحفظه فكيف جاء الى ههنا فقال سليمان للشياطين ابنوا لى صرحا تدخل على فيه بلقيس فقال بعضهم ان سليمان قد سخر له ما سخر وبلقيس ملكة سبا ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية أبدا وكانت امرأة شعراء الساقين فقال الشياطين ابنوا له بنيانا يرى ذلك منها فلا يتزوجها فبنوا له صرحا من قوارير خضر وجعلوا له طوابق من قوارير

وكان ضريرا ثم رد الله بصره فى آخر عمره ومن معجزاته انه كان فى ارض مدين رمل عظيم يشاهدون منه عناء شديدا فدعا الله تعالى فاجابه وامره بان يشير الى الرمل فأشار اليه فانتقل منه الرمل الى مكان آخر وكان فى أرضه حجارة كثيرة فانقلبت بدعائه نحاسا فصارت قومه أغنياء بذلك النحاس وكان شعيب عليه السلام اذا أراد أن يصعد الجبل انخفض له حتى يعلو عليه ثم يقوم الجبل كأنه يسير برك حتى علا عليه وكان كما كان وكان قوم شعيب كفارا وكان أرضهم مدين وهى ما بين أرض مصر وأرض الشام وكان غالبهم تجارا عليهم ممر الناس من مصر الى الشام فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان وذلك انهم كانوا يجلسون على الطريق ويبيعون بالكيل والميزان الناقص وكانوا عشارين يقطعون الطريق فلما طال تماديهم فى الغى والكفر وايس شعيب من صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين فأجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم الله بالرجفة وهى الزلزلة قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فأرسل عليهم رمضا وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا فى أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وأنضجهم الحر فخرجوا الى البرية فبعث الله تعالى عليهم سحابة فأظلتهم ووجدوا لها بردا وريحا طيبة فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله تعالى عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا وصاروا رمادا وذلك قوله تعالى

بيض املس كأنه الماء وجعلوا تحت الطوابيق صور دواب البحر من السمك وغيره وقعد سليمان على كرسي ثم أمر فادخلت بلقيس عليه فلما أرادت ان تدخله ورأت صور السمك ودواب الماء حسبته لجة ماء فكشفت عن ساقيها لتدخل فلما رآها سليمان صرف نظره عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير فقالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فاستشار سليمان فى شئ يزيل الشعر ولا يضر الجسد فعملت له الشياطين النورة فهى أول ما عملت النورة ونكحها سليمان وأحبها حبا شديدا وردها الى ملكها باليمن فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام وقيل انه أمرها ان تنكح رجلا من قومها فامتنعت وانفت من ذلك فقال لا يكون فى الاسلام الا ذلك فقالت ان كان ولا بد من ذلك فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على الملك وأمر الجن من أهل اليمن بطاعته فاستعملهم ذو تبع فعملوا له عدة حصون باليمن منها سلحين ومراوخ وفليون وهنيدة وغيرها فلما مات سليمان لم يطعه ذا تبع وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل بل بقيا وقيل ان بلقيس ماتت قبل سليمان بالشام وانه دفنها بتدمر واخفى قبرها

•(ذكر غزوته أبا زوجته جرادة ونكاحها وعبادة الصنم فى داره وأخذ خاتمه وعوده اليه)•

قيل سمع سليمان بملك فى جزيرة من جزائر البحر وشدة ملكه وعظم شانه وانه لم يكن للناس اليه سبيل فخرج سليمان الى تلك الجزيرة وحملته الريح حتى نزل بجنوده بها فقتل ملكها وغنم ما فيها وغنم بنتا للملك لم ير الناس مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على قلة رغبة فيه واحبها حبا شديدا وكانت لا يذهب حزنها ولا تزال تبكى فقال لها ويحك ما هذا الحزن والدمع الذى لا يرقأ قالت انى اذكر ابى وملكه وما اصابه فيحزننى ذلك قال فقد ابدلك الله ملكا خيرا من ملكه وهداك الى الاسلام قالت انه كذلك ولكنى اذا ذكرته اصابنى ما ترى فلو امرت الشياطين فصوروا صورته فى دارى اراها بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزنى فامر الشياطين فعملوا لها مثل صورته لا تنكر منها شيأ والبستها ثيابا مثل ثياب ابيها وكانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه فى جواريها فتسجد له ويسجدن معها وتروح عشية ويرحن فتفعل مثل ذلك ولا يعلم سليمان بشئ من امرها اربعين صباحا وبلغ الخبر آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد من منازل سليمان اى وقت اراد من ليل او نهار سواء كان سليمان حاضرا او غائبا فاتاه فقال يا نبى الله قد كبر سنى ودق عظمى وقد حان منى ذهاب عمرى وقد احببت ان اقوم مقاما اذكر فيه انبياء الله واثنى عليهم بعلمى فيهم واعلم الناس بعض ما يجهلون قال افعل فجمع له سليمان الناس فقام آصف خطيبا فيهم فذكر من مضى من الانبياء واثنى عليهم حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احلمك فى صغرك وابعدك من كل ما يكره فى صغرك ثم انصرف فملئ سليمان غضبا فارسل اليه وقال له يا آصف لما ذكرتنى جعلت تثنى على فى صغرى وسكت عما سوى ذلك فما الذى احدثت فى آخر امرى قال ان غير الله ليعبد فى دارك اربعين

فأخذهم عذاب يوم الظلة وقال أبو عبد الله البجلي ابجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت اسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى زمان شعيب كلمن فقالت اخته وهى تبكى

كلمن قد هد ركنى ❊ هلكه وسط المحله
سيد القوم اتاه الحتف نارا وسط ظله
جعلت نارا عليهم ❊ دارهم كالمضمحله

وقد رثاهم المنتصر بن المنذر بشعر يقول

ملوك بنى حطى وسعفص ذى الندى
وهوز ارباب المقام مع الحجر
هم ملكوا ارض الحجاز باوجه
كمثل شعاع الشمس او صورة البدر
وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا
قصورا وشادوا للمكارم والفخر

ولهؤلاء الملوك اخبار عجيبة من حروب وسير تركناها طلب الاختصار ولما اصاب قوم شعيب ما اصاب لحق شعيب عليه السلام والذين آمنوا معه مكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا وقيل ان شعيبا توفى فى قرية حطين من اعمال صفد والى قبره هناك يزار ويتبرك به وكان عمره مائة واربعين سنة

•(الفصل السابع عشر فى ذكر الخضر عليه السلام)•

واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وانما لقب بالخضر لانه حيثما جلس اخضر حوله وقيل اسمه الخضر بن منشا ابن افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام قال ابن اسحق كان الخضر نبيا بعثه الله الى بنى اسرائيل بعد شعيب وكان يتكلم على الغيب وهو صاحب موسى عليه السلام وذكر المسعودى فى كتابه اخبار الزمان ومن اباده الحدثان ان هذا الخضر ابن خالة الاسكندر وكان على مقدمة

يوما في هوى امراة قال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت انك ما قلت الا عن شئ بلغك ودخل داره وكسر الصنم وعاقب تلك المراة وجواريها ثم امر بثياب الطهارة فاتى بها وهي ثياب تغزلها الابكار اللاتي لم يحضن ولم تمسها امراة ذات دم فلبسها وخرج الى الصحراء وفرش الرماد ثم اقبل تائبا الى الله وتمعك في الرماد بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا وبكى واستغفر يومه ذلك ثم عاد الى داره وكانت ام ولد له لا يثق الا بها يسلم خاتمه اليها وكان لا ينزعه الا عند دخول الخلاء واذا اراد ان يصيب امراة يسلمه اليها حتى يتطهر وكان ملكه في خاتمه فدخل في بعض تلك الايام الخلاء وسلم خاتمه اليها فاتاها شيطان اسمه صخر الجني في صورة سليمان فاخذ الخاتم وخرج الى كرسي سليمان وهو في صورة سليمان فجلس عليه وعكفت عليه الانس والجن والطير وخرج سليمان وقد تغيرت حاله وهيئته فقال خاتمي فقالت ومن انت قال انا سليمان قالت كذبت لست بسليمان قد جاء سليمان واخذ خاتمه مني وهو جالس على سريره فعرف سليمان خطيئته فخرج وجعل يقول لبني اسرائيل أنا سليمان فيحثون عليه التراب فلما رأى ذلك قصد البحر وجعل ينقل سمك الصيادين ويعطونه كل يوم سمكتين يبيع احداهما بخبز ويأكل الاخرى فبقي كذلك أربعين يوما ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل انكروا حكم الشيطان المتشبه بسليمان فقال آصف يا بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم قال أمهلوني حتى أدخل على نسائه واسألهن هل أنكرن ما انكرنا منه فدخل عليهن وسألهن فذكرن اشد مما عنده فقال انا لله وانا اليه راجعون ان هذا هو البلاء المبين ثم خرج الى بني اسرائيل فأخبرهم فلما رأى الشيطان انهم قد علموا به طار من مجلسه فمر بالبحر فألقى الخاتم فيه فبلعته سمكة واصطادها صياد وعمل لسليمان يومه ذلك فاعطاه سمكتين تلك السمكة احداهما فأخذها فشقها ليصلحها ويأكلها فرأى خاتمه في جوفها فأخذه وجعله في اصبعه وخر لله ساجدا وعكفت عليه الانس والجن والطير واقبل عليه الناس ورجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وبث الشياطين في احضار صخر الذي أخذ الخاتم فاحضروه فنقب له صخرة وجعله فيها وسد النقب بالحديد والرصاص والقاه في البحر وكان مقامه في الملك اربعين يوما بقدر عبادة الصنم في دار سليمان وقيل كان السبب في ذهاب ملكه ان امرأة له كانت ابر نسائه عنده تسمى جرادة ولا يأتمن على خاتمه سواها فقالت له ان أخي بينه وبين فلان حكومة وانا أحب ان تقضي له فقال افعل ولم يفعل فابتلي واعطاها خاتمه ودخل الخلاء فخرج الشيطان في صورته فاخذه وخرج سليمان بعده فطلب الخاتم فقالت الم تاخذه قال لا وخرج من مكانه تائها وبقي الشيطان أربعين يوما يحكم بين الناس ففطنوا له واحدقوا به ونشروا التوراة فقرؤها فطار من بين أيديهم والقى الخاتم في البحر فابتلعه حوت ثم ان سليمان قصد صيادا وهو جائع فاستطعمه وقال انا سليمان فكذبه وضربه فشجه فجعل يغسل الدم فلام الصيادون صاحبهم واعطوه سمكتين احداهما التي ابتلعت الخاتم فشق بطنها وأخذ الخاتم فرد الله اليه ملكه فاعتذروا اليه فقال لا أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم وسخر الله له الجن والشياطين والريح ولم يكن سخرها له قبل ذلك

الى الآن والى يوم ينفخ في الصور فهو نبي معمر محجوب عن الابصار وروى محمد بن المتوكل ان الخضر من أولاد فارس والياس من بني اسرائيل وهما يلتقيان في كل عام بالموسم وأكلهما الكرفس والكمأة فالياس في البر والخضر في البحر عليهما السلام

*(الفصل الثامن عشر في ذكر موسى الكليم * عليه أفضل الصلاة والتسليم)*

كان موسى عليه السلام رجلا طويلا جعد الشعر آدم اللون وكان بلسانه عقدة وثقل وكان فيه سرعة وعجلة وهو موسى بن عمران ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام ولما أراد الله تعالى ان يفرج عن بني اسرائيل وينجيهم من فرعون وقومه بعث موسى عليه السلام وكان من أمره انه لما ولدته امه كان فرعون مصر يومئذ الوليد بن مصعب الريان بن مروان بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وقد امر بقتل الاطفال بسبب رؤيا رآها فيها التهلكة فخافت عليه أمه وألقى الله تعالى في قلبها ان تلقيه في النيل فجعلته في تابوت وألقته فالتقطته آسية امرأة فرعون وربته وسمته موسى لانه وجد بين الماء والشجر فان الماء بلغتهم المو وسا الشجر فسمي بصفة المكان الذي وجد فيه فلما كبر وبلغ أشده رفع عن بني اسرائيل كثيرا من الظلم فبينما هو يمشي في بعض الايام اذ وجد اسرائيليا وقبطيا يختصمان فوكز القبطي فقتله ثم اشتهر ذلك وخاف موسى من فرعون فهرب من مصر الى مدين

وهو أشبه بظاهر القرآن وهو قوله تعالى قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد وقيل في سبب زوال ملكه غير ذلك والله أعلم

•(ذكر وفاة سليمان)•

لما رد الله الى سليمان الملك لبث فيه مطاعا والجن تعمل له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من شاء ويطلق من شاء حتى اذا دنا أجله وكان عادته اذا صلى كل يوم رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول ما اسمك فتقول كذا فيقول لأي شئ أنت فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك فقالت الخرنوبة فقال لها لأي شئ أنت قالت لخراب هذا البيت يعني بيت المقدس فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب البيت وقلعها ثم قال اللهم عم عن الجن موتي حتى يعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب وكان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل وأكثر يدخل طعامه وشرابه فادخله في المرة التي توفي فيها فبينما هو قائم يصلي متوكئا على عصاه أدركه أجله فمات ولا تعلم به الشياطين ولا الجن وهم في ذلك يعملون خوفا منه فأكلت الارضة عصاه فانكسرت فسقط فعلموا انه قد مات وعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب ولو علموا الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ومقاساة الاعمال الشاقة ولما سقط أراد بنو اسرائيل ان يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا يوما وليلة فأكلت منها فحسبوا بنسبته فكان أكل تلك العصا في سنة ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب لأتيناك بأطيب الشراب ولكنا سننقل لك الماء والطين فهم ينقلون اليها حيث كانت ألم تر الى الطين يكون في وسط الخشبة فهو ما ينقلونه لها قيل ان الجن والشياطين شكوا ما يلحقهم من التعب والنصب الى بعض أولي التجربة منهم وقيل كان ابليس فقال لهم ألستم تنصرفون بأحمال وتعودون بغير أحمال قالوا بلى قال فلكم في ذلك راحة فحملت الريح الكلام فألقته في أذن سليمان فأمر الموكلين بهم انهم اذا جاؤا بالاحمال والآلات التي يبنى بها الى موضع البناء والعمل يحملهم من هناك في عودهم ما يلقونه من المواضع التي فيها الاعمال ليكون أشق عليهم وأسرع في العمل فاجتاز وابذلك الذي شكوا اليه حالهم فأعلموه حالهم فقال لهم انتظروا الفرج فان الامور اذا تناهت تغيرت فلم تطل مدة سليمان بعد ذلك حتى مات وكان مدة عمره ثلاثا وخمسين سنة وملكه اربعين سنة

•(ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباذ)•

لما توفي كيقباذ ملك بعده ابنه كيكاوس بن كينية بن كيقباذ فملك فحمى بلاده وقتل جماعة من عظماء البلاد المجاورة له وكان يسكن بنواحي بلخ وولد له ولد سماه سياوخش وضمه

بشعيب عليه السلام وزوجه ابنته صفورا وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنين وأعطاه تربيتهما سيرة عشر ليال واتصل العصا وكانت من آس الجنة على قول أكثر العلماء وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام وكان حملها آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض واتصلت الى شعيب واما صفتها والمآرب التي فيها لموسى عليه السلام فانها كان لها شعبتان ومحجن في احدى الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى عليه السلام اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر تضئ شعبتاها كالشمعتين واذا احتاج الى الماء أدلاها في البئر فجعلت تمتد على مقدار قعر البئر ويصير في رأسها المحجن شبه الدلو واذا جاع ضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل واذا اشتهى فاكهة غرسها في الارض فتثمر له من ساعتها واذا أراد عبور نهر او بحر من غير سفينة ضرب بها فتفرق الماء باذن الله تعالى ويبدو له طريق متسع يمشي فيه وكان يشرب احيانا من احدى شعبتيها لبنا ومن الاخرى عسلا واذا أعيا في الطريق ركبها فتحمله الى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك رجل وكانت تدله على الطريق وكان اذا احتاج الى الطيب فاح منها الطيب فيطيب ثوبه واذا أراد قتل عدو ألقاها فترى انها تنقلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم وتصير شعبتاها فمها فيه اثنا عشر نابا وضرسا لها صرير يخرج منها لهب النار وعيناها لمعان كالبرق ويلتهب من فيها ريح السموم لا تصيب

الى رستم الشديد بن داستان بن نريمان بن جوذنك بن كرشاسب وكان اصبهبد سجستان وما يليها وجعله عنده ليربيه فاحسن تربيته وعلمه العلوم والفروسية والآداب وما يحتاج الملوك اليه فلما كمل ما أراد حمله الى أبيه فلما رآه سر به صورة ومعنى وكان ابوه كيكاوس قد تزوج ابنة افراسياب ملك الترك وقيل انها ابنة ملك اليمن فهويت سياوخش ودعته الى نفسها فامتنع فسعت به الى أبيه حتى أفسدته عليه فسأل سياوخش رستم الشديد ان يخاطب أباه لينفذه الى محاربة افراسياب بسبب منعه بعض ما كان قد استقر بينهما وأراد البعد عن أبيه ليامن كيد امرأته ففعل ذلك رستم فسيره أبوه وضم اليه جيشا كثيفا فسار الى بلاد الترك للقاء افراسياب فلما سار الى تلك الناحية جرى بينهما صلح فكتب سياوخش الى ابيه يعرفه ما جرى بينه وبين افراسياب من الصلح فكتب اليه والده يامره بمناهضة افراسياب ومحاربته وفسخ الصلح فاستقبح سياوخش الغدر وانف منه فلم ينفذ ما أمره به ورأى ان ذلك من فعل زوجة والده ابتداء فعله فراسل افراسياب في الامان لنفسه لينتقل اليه فاجابه افراسياب الى ذلك وكان السفير في ذلك فيران بن وكسعان ودخل سياوخش الى بلاد الترك فاكرمه افراسياب وانزله واجرى عليه وزوجه بنتاله يقال لها وسفافريد وهي ام كيخسرو وظهر له من ادب سياوخش ومعرفته بالملك وشجاعته ما خاف على ملكه منه وزاد الفساد بينهما بسعي ابني افراسياب واخيه كند وحسدا منهم لسياوخش فامرهم افراسياب بقتله فقتلوه ومثلوا به وكانت زوجته ابنة افراسياب حاملة منه بابنه كيخسرو فطلبوا الحيلة في اسقاط ما في بطنها فلم يسقط فانكر فيران الذى كان امان سياوخش على يده قتله وحذر عاقبته والاخذ بثاره من والده كيكاوس ومن رستم وأخذ زوجة سياوخش اليه لتضع ما في بطنها ويقتله فلما وضعت رق فيران لها وللمولود ولم يقتله وستر أمره حتى بلغ فسير كيكاوس الى بلاد الترك من كشف أمره وأخذه اليه وحين بلغ خبر قتله الى فارس لبس شادوس بن جودرز السواد حزنا وهو أول من لبسه ودخل على كيكاوس فقال له ما هذا فقال ان هذا اليوم يوم ظلام وسواد ثم ان كيكاوس لما علم بقتل ابنه سير الجيوش مع رستم الشديد وطوس اصبهبد اصبهان لمحاربة افراسياب فدخلا بلاد الترك فقتلا واسرا واثخنا فيها وجرى لهما مع افراسياب حروب شديدة قتل فيها ابنا افراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سياوخش وزعمت الفرس ان الشياطين كانت مسخرة له وانهم ابتنت له مدينة طولها في زعمهم ثلثمائة فرسخ وبنوا عليها اسوارا من صفر وسورا من شبه وسورا من فضة وكانت الشياطين تنقلها بين السماء والارض وان كيكاوس لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث فيها ثم ان الله أرسل الى المدينة من يخربها فعجزت الشياطين عن المنع عنها فقتل كيكاوس جماعة من رؤسائهم وقال بعض العلماء باخبار المتقدمين انما سخرله فعل الشياطين بامر سليمان بن داود وكان مظفرا لا يناويه أحد من الملوك الا ظهر عليه فلم يزل كذلك حتى حدثته نفسه بالصعود الى السماء فسار من خراسان الى بابل واعطاه الله تعالى قوة ارتفع بها هو ومن معه حتى بلغوا السحاب ثم سلبهم الله تلك القوة فسقطوا

شيأ الا أحرقته وتمر بالصخرة التي مثل الجبل فتبلعها حتى يرى ان الصخور في جوفها تقعقع وتمر بالشجرة العظيمة فتقصمها بأنيابها او تحطمها او تبلعها وجعلت تتلمظ كانها تطلب شيأ تأكله رجعنا الى القصة فلما سار موسى من مدين الى مصر يريد اخراج أمه واخيه وكان في زمن الشتاء اخطأ الطريق وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق في ليلة مظلمة شاتية فاعيا وأراد ان يقدح فلم يظهر له نار ولا ضوء من العصا واخذ يتأمل فرفعت له نار من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او شهاب قبس لعلكم تصطلون فلما دنا منها رأى نورا ممتدا من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب وقيل من العلق ليس لها دخان تلتهب وتشتعل من جوف الشجرة الخضراء ولا تزداد الشجرة الا خضرة ونضرة فتحير موسى وخاف وأراد ان يرجع فنودي منها يا موسى اني أنا الله رب العالمين فلما رأى تلك الهيئة علم انه ربه فخفق قلبه ولما عاد عقله اليه نودي ان أخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى قيل وكان السبب في خلع نعليه على ما رواه عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت نعلاه من جلد حمار ميت غير مدبوغ ثم قال الله تعالى ايناسا له وتسكينا لقلبه وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها الآية فقال الله تعالى ألقها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى فولى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى اى نردها عصا

وهلكوا وافلت بنفسه وا حدث بومئذ وهذا بجمعه من ا كاذيب الفرس الباردة ثم ان كيكاوس بعد هذه الحادثة تمزق ملكه وكثرت الخوارج عليه وصاروا يغزونه فيظفر مرة ويظفرون أخرى ثم غزا بلاد اليمن وملكها يومئذ ذو الاذعار بن ابرهة ذي المنار بن الرايش فلما ورد اليمن خرج اليه ذو الاذعار وكان قد اصابه الفالج فلم يكن يغزو فلما وطئ كيكاوس بلاده خرج اليه بنفسه وعساكره وظفر بكيكاوس فاسره واستباح عسكره وحبسه في بئر واطبق عليه فسار رستم من سجستان الى اليمن وأخرج كيكاوس وأخذه وأراد ذو الاذعار منعه فجمع العساكر وأراد القتال ثم خاف البوار فاصطلحا على أخذ كيكاوس والعود الى بلاد الفرس فاخذه وأعاده الى ملكه فاقطعه كيكاوس سجستان وزابلستان وهي أعمال غزنة وأزال عنه اسم العبودية ثم توفي كيكاوس وكان ملكه مائة وخمسين سنة

•(ذكر ملك كيخسرو بن سياوخش بن كيكاوس)•

لما مات كيكاوس ملك بعده ابن ابنه كيخسرو بن سياوخش بن كيكاوس وامه وسفافريد ابنة افراسياب ملك الترك فلما ملك كتب الى الاصبهبذين بجمعهم ان يأتوا بعساكرهم جميعا فلما اجتمعوا جهز ثلاثين ألفا مع طوس وأمره بدخول بلاد الترك وان لا يمر بقرية ولا مدينة لهم الا قتل كل من فيها الا مدينة من مدنهم كان بها اخ له اسمه فرود بن سياوخش كان أبوه قد تزوج أمه في بعض مدائن الترك فاجتاز طوس بها فجرى بينه وبين فرود حرب قتل فيها فرود فبلغ خبره كيخسرو فعظم عليه وكتب الى عمه كان مع طوس يامره بالقبض على طوس وارساله مقيدا والقيام بامر الجيش ففعل ذلك وسار بالعسكر نحو افراسياب فسير افراسياب العساكر اليه فاقتتلوا قتالا شديدا كثرت فيه القتلى وانحازت الفرس الى رؤس الجبال وعادوا الى كيخسرو فوبخ عمه ولامه واهتم بغزو الترك فامر بجمع العساكر بجميعها وان لا يتخلف أحد فلما اجتمعوا اعلمهم انه يريد قصد بلاد الترك من أربعة وجوه فسير جودرز في أعظم العساكر وأمره بالدخول الى بلاد الترك مما يلي بلخ واعطاه درفش كابيان وهو العلم الاكبر الذي لهم وكانوا لا يرسلونه الامع بعض أولاد الملوك لامر عظيم وسير عسكرا آخر من ناحية الصين وسير عسكرا آخر مما يلي الخزر وعسكرا آخر بين هذين العسكرين فدخلت العساكر بلاد الترك من كل جهاتها واخربتها الاسيما جودرز فانه قتل واخرب وسبى وتبعه كيخسرو بنفسه في طريقه فوصل اليه وقد قتل جماعة كثيرة من أهل افراسياب واثخن فيهم ورآه قد قتل خمسمائة الف ونيفا وستين الفا واسر ثلاثين ألفا وغنم مالا يعد ولا يحصى وعرض عليه من قتل من أهل افراسياب وطراخنته فعظم جودرز عنده وشكره واقطعه اصبهان وجرجان ووردت عليه الكتب من عساكره الداخلة من تلك الوجوه الى الترك بما قتلوا وغنموا واخربوا وانهم هزموا لافراسيان عسكرا بعد عسكر فكتب اليهم ان يجدوا في محاربتهم ويوافوه بموضع سماه لهم فلما بلغ افراسياب قتل من قتل من طراخنته وأهله وعساكره عظم ذلك عليه وسقط في يديه ولم يكن بقي عنده من أولاده الا ولد شيده فوجهه في جيش نحو كيخسرو فسار اليه

كما كانت وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فادخل يده في جيبه ثم اخرجها فاذا هي نور تلتهب بكل عظمة البصر ثم ردها فخرجت كما كانت فقال الله تعالى فذانك برهانان من ربك ثم قال اذهب الى فرعون انه طغى الى قوله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى ويقال ان الله تعالى كلمه في تلك المدة بمائة الف وأربعة عشر ألف كلمة يقول له مع كل كلمة وقتلت نفسا بغير حق وسئل موسى من اين عرفت ان الذي يكلمك هو ربك تعالى فقال لان كلام المخلوق يسمع بحاسة واحدة وهي السمع واني كنت اسمع كلام الله من جميع الجهات بجوارحي كلها فلما أمر الله تعالى موسى عليه السلام بابلاغ الرسالة ولم يمكنه الاجتماع مع أهله وكان قلبه مشتغلا بولده واراد ان يراه فامر الله تعالى ملكا فاخذ يده وجاء به ملفوفا بخرقة وناوله لموسى فاخذ حجرين وجعل يحك أحدهما بالآخر حتى حدده كالسكين وختن به ابنه ثم عالج الملك الولد المختون حتى برئ من ساعته باذن الله تعالى ثم رده الملك الى موضعه وسار موسى ولم يزل أهل موسى مقيمين في ذلك الموضع لا يدرون ما فعل بموسى حتى مر راع من اهل مدين فعرفهم واحتملهم وردهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى عليه السلام بعد ما اغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب الى موسى فلما قرب موسى من مصر أوحى الله تعالى الى هرون أخيه يبشره بقدوم موسى الى مصر ويخبره انه قد بعثه له وزيرا ورسولا معه الى فرعون وأمره ان يسير يوم السبت لعشر خلت

واقتتلوا

فاقتتلوا قتالا شديدا اربعة ايام ثم انهزمت الترك وتبعهم الفرس يقتلونهم ويأسرون وادركوا ابن افراسياب فقتلوه وجمع افراسياب بالحادثة وقتل ابنه فاقبل فيمن عنده من العساكر فالتقى كيخسرو فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله واشتد الامر فانهزم افراسياب وكثر القتل في الترك فقتل منهم مائة الف وجد كيخسرو في طلب افراسياب ولم يزل يهرب من بلد الى بلد حتى بلغ اذربيجان فاستتر وظفر به واتى به الى كيخسرو فاحضره عنده وسأله عن غدره بابيه فلم يكن له حجة ولا عذر فامر بقتله فذبح كما ذبح سياوخش ثم انصرف من اذربيجان مظفرا منصورا فرحا فلما قتل افراسياب ملك الترك بعده اخوه كي سواسف فلما توفي ملك بعده ابنه جرزاسف وكان جبارا عاتيا فلما فرغ كيخسرو من الاخذ بثار ابيه واستقر في ملكه زهد في الدنيا وترك الملك وتنسك واجتهد اهله واصحابه به ليلازم الملك فلم يفعل فقالوا له فاعهد الى من يقوم بالملك بعدك فعهد الى لهراسب وفارقهم كيخسرو وغاب عنهم فلا يدري ما كان منه ولا اين مات وبعض يقول غير ذلك وكان ملكه ستين سنة وملك بعده لهراسب

(ذكر امر بني اسرائيل بعد سليمان)

قيل ثم ملك بعد سليمان على بني اسرائيل ابنه رحبعم بن سليمان وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم افترقت ممالك بني اسرائيل بعد رحبعم فملك افيا بن رحبعم سبط يهوذا و بنيامين دون سائر الاسباط وذلك ان سائر الاسباط ملكوا عليهم يوربعم بن نابط عبد سليمان بسبب القربان الذي كانت جرادة زوجة سليمان فيما زعموا اقربته في داره للصنم فتوعده الله تعالى ان ينزع بعض الملك عن ولده فكان ملك افيا بن رحبعم ثلاث سنين ثم ملك اسا بن افيا امر السبطين اللذين كان ابوه يملكهما احدى واربعين سنة وكان رجلا صالحا وكان اعرج

(ذكر محاربة اسا بن افيا وزرح الهندي)

قيل كان اسا بن افيا رجلا صالحا وكان ابوه قد عبد الاصنام ودعا الناس الى عبادتها فلما ملك ابنه اسا امر مناديا فنادى الا ان الكفر قد مات واهله وعاش الايمان واهله فليس كافر في بني اسرائيل يطلع راسه بكفر الا قتلته فان الطوفان لم يغرق الدنيا واهلها ولم يخسف بالقرى ولم تمطر الحجارة والنار من السماء الى الارض الا بترك طاعة الله والعمل بمعصيته وشدد في ذلك فاتى بعضهم ممن كان يعبد الاصنام ويعمل بالمعاصي الى ام اسا الملك وكانت تعبد الاصنام فشكوا اليها فجاءت اليه ونهته عما كان يفعله وبالغت في زجره فلم يصغ الى قولها بل تهددها على عبادة الاصنام واظهر البراءة منها فحينئذ يئس الناس منه وانتزح من كان يخافه وساروا الى الهند وكان بالهند ملك يقال له زرح وكان جبارا عاتيا عظيم السلطان قد اطاعه اكثر البلاد وكان يدعو الناس الى عبادته فوصل اليه أولئك النفر من بني اسرائيل وشكوا اليه ملكهم ووصفوا له البلاد وكثرتها وقلة عسكرها وضعف ملكها واطمعوه فيها فارسل الجواسيس فاتوه باخبارها فلما تيقن الخبر جمع العساكر وسار الى الشام في البحر وقال له بنو اسرائيل ان لاسا صديقا ينصره ويعينه قال فاين اسا وصديقه من كثرة عساكري وجنودي وبلغ خبره الى اسا فتضرع الى الله تعالى

السدي بلغني ان موسى أتى مصر ليلا فنزل في دار أمه واجتمع بأمه وأخيه هرون فقال موسى لهرون انطلق معي الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه قال هرون سمعا وطاعة لامر الله تعالى فانطلقا اليه ودعاه موسى فأجاب كما أخبر الله تعالى في القرآن وأراه موسى عصاه ثعبانا فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض قدر ميل وقامت على ذنبها وأرادت أن تبلع القصر مع ما فيه حتى خاف منه فرعون فأحدث في ثيابه ثم أدخل موسى يده في جيبه وأخرجها وهي بيضاء لها نور تكل منه الابصار فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها الى جيبه وكان من أمرهما مع فرعون ما ذكره الله تعالى في كتابه ثم أحضر لهما السحرة من مدائن الصعيد وكانت سبع مدائن وعدتهم سبعون ألفا وكان اجتماعهم بالاسكندرية وجاؤا بسحر عظيم فجين أتى موسى عصاه سدت الارض من عظمها وبلغ ذنبها من وراء السحرة فابتلعت جميع ما ألقوا وقصدت القوم فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفا فآمن به السحرة فقتلهم فرعون عن آخرهم ولما آمنت السحرة ورجع فرعون وقومه مغلوبا دعا عليهم موسى عليه السلام فأرسل الله عليهم الطوفان والجراد

والقمل والضفادع والدم وأول ما أرسل عليهم السماء بالمطر فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى

واظهر الضعف والعجز عن الهندى وسال الله النصرة عليه فاستجاب الله له واراه فى المنام انى سامام من قدرتى فى رزح الهندى وعساكره ما أكفيك شرهم واغنمكم أموالهم حتى يعلم أعداؤك ان صديقك لا يطاق وليه ولا يهزم جنده ثم سار رزح حتى أرسى بالساحل وسار الى بيت المقدس فلما صار على مرحلتين منه فرق عساكره فامتلأت منهم تلك الارض وملأت قلوب بنى اسرائيل رعبا وبعث اسا العيون فعادوا وأخبروه من كثرتهم بما لم يسمع مثله وسمع الخبر بنو اسرائيل فصاحوا وبكوا وودع بعضهم بعضا وعزموا على أن يخرجوا الى رزح ويستأسروا اليه وينقادوا له فقال لهم ملكهم ان ربى قد وعدنى بالظفر ولا خلف لوعده فعاودوا الدعاء والتضرع ففعلوا ودعوا باجمعهم وتضرعوا وفزعوا ان الله أوحى اليه يا اسا ان الحبيب لا يسلم حبيبه وأنا الذى أكفيك عدوك فانه لا يهون من توكل على ولا يضعف من تقوى بى وقد كنت تذكرنى فى الرخاء فلا أسلمك فى الشدة وسأرسل بعض الزبانية يقتلون أعدائى فاستبشر واخبر بنى اسرائيل فاما المؤمنون فاستبشروا واما المنافقون فكذبوه وأمره الله بالخروج الى رزح فى عساكره فخرج فى نفر يسير ووقفوا على رابية من الارض ينظرون الى عساكره فلما رآهم رزح احتقرهم واستصغرهم وقال انما خرجت من بلادى وجمعت عساكرى وأنفقت أموالى لهذه الطائفة ودعا النفر من بنى اسرائيل الذين قصدوه والجواسيس الذين أرسلهم ليختبروا له وقال كذبتمونى وأخبرتمونى بكثرة بنى اسرائيل حتى جمعت العساكر وفرقت أموالى ثم أمر بهم فقتلوا وأرسل الى اسا يقول له أين صديقك الذى ينصرك ويخلصك من سطوتى فأجابه اسا يا شقى انك لا تعلم ما تقول أتريد ان تغالب الله بقوتك أم تكاثره بقلتك وهو معى فى موقفى هذا وان يغلب أحد كان الله معه وستعلم ما يحل بك فغضب رزح من قوله وصف عساكره وخرج الى قتال اسا وأمر الرماة فرموهم بالسهام فبعث الله من الملائكة مددا لبنى اسرائيل فأخذوا السهام وردوها الى الهنود فقتلت كل انسان منهم نشابته فقتل جميع الرماة فضج بنو اسرائيل بالتسبيح والدعاء وتراءت الملائكة للهنود فلما رآهم رزح ألقى الله الرعب فى قلبه وسقط فى يده ونادى فى عساكره يأمرهم بالحملة عليهم ففعلوا فقتلتهم الملائكة ولم يبق منهم غير رزح وعبيده ونسائه فلما رأى ذلك ولى هاربا وهو يقول قتلنى صديق اسا فلما رآه اسا مدبرا قال اللهم انك ان لم تكف استنفر علينا بانيه وبلغ رزح ومن معه الى البحر فركبوا السفن فلما سارت بهم أرسل الله عليهم الرياح فغرقتهم أجمعين ثم ملك بعد اسا ابنه سافاط الى أن هلك بعد خمس وعشرين سنة ثم ملكت عزليا بنت عمرم أخت اخزيا وكانت قتلت أولاد ملوك بنى اسرائيل ولم يبق منهم الا يواش بن اخزيا وهو ابن ابنها فانه ستر عنها ثم قتلها يواش وأصحابه وكان ملكها سبع سنين ثم ملك يواش أربعين سنة ثم قتله أصحابه وهو الذى قتل جده ثم ملك عوزيا بن امصيا بن يواش ويقال له عوزيا الى أن توفى اثنتين وخمسين سنة ثم ملك يوثام ابن عوزيا الى أن توفى ست عشرة سنة ثم ملك حزقيا بن احاز الى أن توفى فيقال انه صاحب شعيا الذى أعلمه شعيا انقضاء عمره فتضرع الى ربه فزاده وأمر شعيا باعلامه ذلك وقيل

جلس منهم غرق معهم ان يومهم مختلطة ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل من الماء قطرة فتضرعوا الى موسى عليه السلام ووعدوه ان كشف عنهم ليؤمنوا فدعا فكشف عنهم فرجعوا الى طغيانهم فأرسل الله عليهم الجراد فأكل جميع ما بايديهم حتى الابواب وسقوف البيوت ومسامير الحديد حتى وقعت دورهم وابتلوا بالجوع ولم يصب بنى اسرائيل شئ من ذلك فتضرعوا الى موسى عليه السلام كما سبق فدعا فكشف عنهم فرجعوا الى كفرهم فارسل الله عليهم القمل وقد اختلفوا فى القمل فمنهم من قال القمل باسكان الميم وقيل السوس وقيل الدبا فأكل شعورهم وابشارهم ولزم جلودهم ومنعهم النوم ولم يصابوا بشئ أشد منه فصاحوا الى موسى فدعا فكشف عنهم فعادوا الى ضلالهم فارسل عليهم الضفادع وكانت تدخل فى فرشهم وثيابهم واذا اراد الرجل أن يتكلم أو يأكل دخلت فى فيه وتلقى نفسها فى طعامهم وقدورهم وهى تغلى فقالوا ادع لنا ربك ان يكشفها عنا فدعا فكشفت فرجعوا الى غيهم فبعث الله عليهم الدم فرجع ماؤهم الى الدم فصاروا يشربون دما وقيل سلط عليهم الرعاف وكان مكث كل عذاب سبعة أيام من السبت الى السبت ويكشف عنهم بمقدار شهر ثم يعودون غيره فلم يؤمنوا وكان فرعون قد استعبد بنى اسرائيل اى اتخذهم عبيدا لهم خدما والنساء يغزلن الكتان وينسجن والضعفاء والشيوخ العاجزون عن الخدمة جعل عليهم ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه

ان صاحب شعيا في هذه القصة اسمه صدقيا على ما يرد ذكره

(ذكر شعيا والملك الذي معه من بني اسرائيل ومسير سنحاريب الى بني اسرائيل)

قيل كان الله تعالى قد أوحى الى موسى ما ذكر في القرآن وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا فكثر في بني اسرائيل الاحداث والذنوب وكان الله يتجاوز عنهم متعطفا عليهم وكان من أول ما أنزل الله عليهم عقوبة لذنوبهم ان ملكا منهم يقال له صدقيا وكانت عادتهم اذا ملك عليهم رجل بعث الله اليه نبيا يرشده ويوحي اليه ما يريد ولم يكن لهم غير شريعة التوراة فلما ملك صدقيا بعث الله تعالى اليه شعيا وهو الذي بشر بعيسى وبمحمد عليه السلام فلما قارب أن ينقضي ملكه عظمت الاحداث في بني اسرائيل فارسل الله عليهم سنحاريب ملك بابل في عساكر يغص بها الفضاء فسار حتى نزل بيت المقدس وأحاط به وملك بني اسرائيل مريض في ساقه قرحة فأتاه النبي شعيا وقال له ان الله يأمرك أن توصي وتعهد فانك ميت فأقبل الملك على الدعاء والتضرع فاستجاب الله له فأوحى الله الى شعيا انه قد زاد في عمر الملك صدقيا خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك زال عنه الالم وجاءته الصحة ثم ان الله أرسل على عسكر سنحاريب ملكا فصاح بهم فماتوا غير ستة نفر منهم سنحاريب وخمسة من كتابه أحدهم بختنصر في قول بعضهم فخرج صدقيا وبنو اسرائيل الى معسكرهم فغنموا ما فيه والتمسوا سنحاريب فلم يجدوه فأرسل الطلب في أثره فوجدوه ومعه أصحابه فأخذوهم وقيدوهم وحملوهم اليه فقال لسنحاريب كيف رأيت صنع ربنا بك فقال قد أتاني خبر ربكم ونصره اياكم فلم أسمع ذلك فطاف بهم حول بيت المقدس ثم سجنهم فأوحى الله الى شعيا يأمر الملك باطلاق سنحاريب ومن معه فاطلقهم فعادوا الى بابل وأخبروا قومهم بما فعل الله بهم وبعساكرهم وبقي بعد ذلك سبع سنين ثم مات وقد زعم بعض أهل الكتاب ان بني اسرائيل سار اليهم قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل يقال له كفرون وكان بختنصر ابن عمه وكاتبه وان الله أرسل عليهم ريحا فاهلكت جيشه وأفلت هو وكاتبه وان هذا البابلي قتله ابن له وان بختنصر غضب لصاحبه فقتل ابنه الذي قتله وان سنحاريب سار بعد ذلك وكان ملكه بنينوى وغزا مع ملك اذربيجان يومئذ بني اسرائيل فاوقع بهم ثم اختلف سنحاريب وملك اذربيجان وتحاربا حتى تفانى عسكراهما فخرج بنو اسرائيل وغنموا ما معهم وقيل كان ملك سنحاريب الى أن توفي تسعا وعشرين سنة وكان ملك بني اسرائيل الذي حصره سنحاريب حزقيا فلما توفي حزقيا ملك بعده ابنه منشا خمسا وخمسين سنة ثم ملك بعده أمون الى أن قتله أصحابه

الشمس قبل أن يؤدي ضريبته غاب بينه الى عنقه شهرا ولما أراد الله تعالى هلاك فرعون وخلاص بني اسرائيل من هذه الشدة أمر الله تعالى موسى ان يتخذ عيدا هو وقومه وان يستعيروا للعيد هم من آل فرعون الحلى وأنواع الزينة لان أصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام في زمانه ايام القحط فبقي ذلك في يد القبط وأراد الله تعالى ان يورثه لبني اسرائيل فامر فرعون أهله بان يعيروا لبني اسرائيل جميع ما في خزائنه من أنواع الحلى وما في يد قومه حتى بقي في يد موسى وقومه أفضل أموال أعدائه ومسخ ما بقي عندهم حجارة حتى الحمصة والعدسة وأخرج الله كل ولد زنا كان في بني اسرائيل من القبط حتى رجع كل الى أبيه وأمر موسى عليه السلام ان يسري بقومه من مصر ليلا وألقى الله الموت في ابكار القبط فمات كلهن في تلك الليلة وكن سبعين ألف بكر فلما أصبحوا اشتغلوا بدفنهن وبما نالهم من حزنهن ويسري موسى بقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين لصغره وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن بناتهم وبلغهم خروج بني اسرائيل تبعهم فرعون على مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف رجل وكان بين يدي فرعون مائة ألف ناشب ومائة ألف أصحاب حراب ومائة ألف أصحاب أعمدة فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة فنظروا فاذا هم بفرعون وقومه فبقوا

اثنتى عشرة سنة ثم ملك ابنه يوشيا الى ان قتله فرعون مصر الاجدع احدى وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابنه ياهواحاز بن يوشيا فعزله فرعون الاجدع واستعمل بعده يوياقيم بن ياهواحاز ووظف عليه خراجا يحمله اليه وكان ملكه اثنتى عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه يوياخين فغزاه بختنصر وأشخصه الى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه وملك بعده يقونيا ابن عمه وسماه صدقيا وخالفه فغزاه وظفر به وحمله الى بابل وذبح ولده بين يديه وسمل عينيه وخرب بيت المقدس والهيكل وسبى بنى اسرائيل وحملهم الى بابل فمكثوا الى ان عادوا اليه على ما نذكره ان شاء الله وكان جميع ملك صدقيا احدى عشرة سنة وقيل ان شعيا أوحى الله اليه ليقوم فى بنى اسرائيل يذكرهم بما يوحى الله على لسانه لما كثرت فيهم الاحداث ففعل فعدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها وأخذ الشيطان بهدب ثوبه وأراه بنى اسرائيل فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه فى وسطها وقيل فى أسماء ملوكهم غير ذلك تركناه كراهة التطويل ولعدم الثقة بصحة النقل به

(ذكر ملك لهراسب وابنه بشتاسب وظهور زرادشت)

قد ذكرنا ان كيخسرو لما حضرته الوفاة عهد الى ابن عمه لهراسب بن كيوجى بن كيكاووس فهو ابن ابن كيكاووس فلما ملك اتخذ سريرا من ذهب وكلل بانواع الجواهر وبنيت له بارض خراسان مدينة بلخ وسماها الحسناء ودون الدواوين وقوى ملكه بانتخابه الجنود وعمر الارض وجبى الخراج لارزاق الجند واشتدت شوكة الترك فى زمانه فنزل مدينة بلخ لقتالهم وكان محمودا عند أهل مملكته شديد القمع لاعدائه الجبابرة من له شديد التفقد لاصحابه بعيد الهمة عظيم البنيان وشق عدة أنهار وعمر البلاد وحمل اليه ملوك الهند والروم والمغرب الخراج وكاتبوه بالتمليك هيبة له وحذرا منه ثم انه تنسك وفارق الملك واشتغل بالعبادة واستخلف ابنه بشتاسب فى الملك وكان ملكه مائة وعشرين سنة وملك بعده ابنه بشتاسب وفى أيامه ظهر زرادشت بن سفيمان الذى ادعى النبوة وتبعه المجوس وكان زرادشت فيما زعم أهل الكتاب من أهل فلسطين يخدم لبعض تلامذة أرميا النبى خاصا به فخانه وكذب عليه فدعا الله عليه فبرص ولحق ببلاد اذربيجان وشرع بها دين المجوس وقيل انه من العجم وصنف كتابا وطاف به الارض فما عرف أحد معناه وزعم انه لغة سماوية خوطب بها وسماه اشتا فسار من اذربيجان الى فارس فلم يعرفوا ما فيه ولم يقبلوه فسار الى الهند وعرضه على ملوكها ثم أتى الصين والترك فلم يقبله أحد وأخرجوه من بلادهم وقصد فرغانة فاراد ملكها ان يقتله فهرب منها وقصد بشتاسب بن لهراسب فامر بحبسه فحبس مدة وشرح زرادشت كتابه وسماه زند ومعناه التفسير ثم شرح الزند بكتاب سماه بازند يعنى تفسير التفسير وفيه علوم مختلفة كالرياضات واحكام النجوم والطب وغير ذلك من اخبار القرون الماضية وكتب الانبياء وفى كتابه تمسكوا بما جئتكم به الى ان يجيئكم صاحب الجمل الاحمر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك على رأس ألف سنة وستمائة سنة وبسبب ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب ثم يذكر

مصبحين وقالوا انا لمدركون قال موسى كلا ان معي ربي سيهدين فلما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح وعادت ترمي بموج كالجبال من اشتداد غضب الله تعالى والبحر هو بحر القلزم فقال له يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع بن نون وجاز البحر فما ابتل حافر دابته وكذلك حزقيل مؤمن آل فرعون جاز البحر فاراد القوم ان يصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فصبر موسى ولم يدر كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فتفرق فى البحر اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق ثم أرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا اعلمكم الكلمات التى تكلم بهن موسى عليه السلام حيث جاز البحر ببنى اسرائيل قلنا بلى يا رسول الله قال قولوا اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فخاضت بنو اسرائيل فى البحر كل سبط فى طريق وعن جانبيهم الماء جامدا كالجبال الضخمة لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد غرق اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان اشتبكى فصار الماء مشتبكا فكان ينظر بعضهم بعضا حتى جاوزوا البحر سالمين ولما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون راوا البحر منفلقا فهاب قومه ان يدخلوه ولم يكن فى خيل فرعون انثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبرائيل عليه السلام على فرس انثى

عند اخبار سابور ذى الاكتاف ان من جملة الاسباب الموجبة لغزوة العرب هذا القول
والله أعلم ثم ان بشتاسب أحضر زرادشت وهو ببلخ فلما قدم عليه شرع له دينه فأعجبه
واتبعه وقهر الناس على اتباعه وقتل منهم خلقا كثيرا حتى قبلوه ودانوا به وأما المجوس
فيزعمون ان أصله من اذربيجان وانه نزل على الملك من سقف ايوانه وبيده كبة من نار
يلعب بها ولا تحرقه وكل من أخذها من يده لم تحرقه وانه اتبعه الملك ودان بدينه وبنى
بيوت النيران فى البلاد وأشعل من تلك النار فى بيوت النيران فيزعمون ان النيران التى فى
بيوت عباداتهم من تلك الى الآن وكذبوا فان النار التى للمجوس طفئت فى جميع
البيوت لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم على ما نذكره ان شاء الله تعالى وكان ظهور
زرادشت بعد مضى ثلاثين سنة من ملك بشتاسب وأتاه بكتاب زعم انه وحى من الله تعالى
وكتب فى جلد اثنى عشر ألف بقرة حفرا ونقشا بالذهب فجعله بشتاسب فى موضع باصطخر
ومنع من تعليمه العامة وكان بشتاسب وآباؤه قبله يدينون بدين الصابئة وسيرد باقى اخباره

(ذكر مسير بختنصر الى بنى اسرائيل)

قد اختلف العلماء فى الوقت الذى أرسل فيه بختنصر على بنى اسرائيل فقيل كان فى عهد
أرميا النبى ودانيال وحننيا وعزاريا وميشائيل وقيل انما أرسله الله على بنى اسرائيل لما
قتلوا يحيى بن زكريا والاول أكثر وكان ابتداء أمر بختنصر ما ذكره سعيد بن جبير قال كان
رجل من بنى اسرائيل يقرأ الكتب فلما بلغ الى قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا أولى
بأس شديد قال أى رب أرنى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى اسرائيل على يده فأرى
فى المنام مسكينا يقال له بختنصر ببابل فسار على سبيل التجارة الى بابل وجعل يدعو
المساكين ويسأل عنهم حتى دلوه على بختنصر فأرسل من يحضره فرآه صعلوكا مريضا
فقام عليه فى مرضه يعالجه حتى برأ فلما برأ أعطاه نفقة وعزم على السفر فقال له بختنصر
وهو يبكى فعلت معى ما فعلت ولا أقدر على مجازاتك قال الاسرائيلى بلى تقدر عليه تكتب
لى كتابا ان ملكت أطلقتنى فقال أتستهزئ بى فقال انما هذا أمر لا محالة كائن ثم ان ملك
الفرس أحب أن يطلع على أحوال الشام فأرسل انسانا يثق به ليتعرف له اخباره وحال
من فيه فسار اليه ومعه بختنصر فقير لم يخرج الا للخدمة فلما قدم الشام رأى أكثر بلاد
الله خيلا ورجالا وسلاحا ففت ذلك فى ذرعه فلم يسأل عن شئ وجعل بختنصر يجلس
مجالس أهل الشام فيقول لهم ما يمنعكم أن تغزوا بابل فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شئ
فكلهم يقول له لا نحسن القتال ولا نراه فلما عادوا أخبر الطليعة بما رأوا من الرجال
والسلاح والخيل وأرسل بختنصر الى الملك يطلب اليه ان يحضره لمعرفة جلية الحال
فأحضره فأخبره بما كان جمعه ثم ان الملك أراد أن يبعث عسكرا الى الشام أربعة
آلاف راكب جريدة واستشار فيمن يكون عليهم فأشار بعض أصحابه فقال لا بل
بختنصر فجعله عليهم فساروا فغنموا وأوقعوا ببعض البلاد وعادوا سالمين ثم ان لهراسب
استعمله اصبهبذا على ما بين الاهواز الى أرض الروم من غربى دجلة وكان السبب فى مسيره
الى بنى اسرائيل انه لما استعمله لهراسب كما ذكرنا سار الى الشام فصالحه أهل دمشق

مشتهية الفحل وعليه عمامة سود او تقدمهم فلما شمت الخيل ريحها اقتحموا البحر فى اثرها وجاء ميكائيل خلف القوم
يستحثهم حتى لم يبق منهم احد فلما هم
اولهم ان يخرج وآخرهم قد دخل
امر الله تعالى البحران يأخذهم
فالتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم
اجمعين وانفرد جبريل عليه
السلام بفرعون فلما ادركه الغرق
قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت
به بنوا اسرائيل الآية فقال له
جبريل آلآن وقد عصيت قبل
وكنت من المفسدين قال فجعل
جبريل عليه السلام يدس فى فيه
حمأ البحر وخاف ان يعيد تلك
الشهادة او يقول كلمة يرحمه الله
بها فلما سمعت بنوا اسرائيل صوت
التطام البحر قالوا لموسى ما هذه
الرجة قال لهم ان الله تعالى قد
اهلك فرعون ومن كان معه غرقا فلم
يصدقوا بموت فرعون فامر الله
البحر فالقاه على ساحل البحر حتى نظر
اليه بنوا اسرائيل كلهم وكان غرقه
فى اليم يوم الثالث من جمادى الآخرة
فلما اغرق الله تعالى فرعون وقومه
ونجا موسى ومن معه ولم يبق فى
مدائن فرعون الا النساء والصبيان
والمرضى استخلف عليهم رجل منهم
وسار موسى ومن معه من بنى
اسرائيل الى الارض المقدسة ولم
يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون
اليها اذ ذهب موسى عليه السلام
لميقات ربه واتاهم بالتوراة وهى
مكتوبة بالذهب على تسعة الواح
من زمرد اخضر فابوا ان يقبلوها
لان شريعته كانت ثقيلة فامر الله
تعالى جبلا من جبال فلسطين
وهو الطور فانقلع من اصله وارتفع حتى قام على رؤسهم وبعث نارا من قبل وجوههم واتاهم البحر من خلفهم وقيل لهم خذوا

وبيت المقدس فعادعنهم واشتد رهانتهم فلما عاد من القدس الى طبرية وثب بنو اسرائيل على ملكهم الذى صالح بختنصر فقتلوه وقالوا داهنت أهل بابل وخذلتنا فلما سمع بختنصر قتل الرهائن الذين معه وعاد الى القدس فأخربه وقيل ان الذى استعمله انما كان الملك بهمن بن بشتاسب بن لهراسب وكان بختنصر قد خدم جده وأباه وخدمه وهو زعموا ماويلا فأرسل بهمن رسلا الى ملك بنى اسرائيل ببيت المقدس فقتلهم الاسرائيلى فغضب بهمن من ذلك واستعمل بختنصر على أقاليم بابل وسيره فى الجنود الكثيرة ففعل بهم ما ذكره هذه الاسباب الظاهرة وانما السبب الكلى الذى أحدث هذه الاسباب الموجبة للانتقام من بنى اسرائيل هو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره وكانت سنة الله تعالى فى بنى اسرائيل انه اذا ملك عليهم ملكا أرسل معه نبيا يرشده ويهديه الى أحكام التوراة فلما كان قبل مسير بختنصر اليهم كثرت فيهم الاحداث والمعاصى وكان الملك فيهم يقوتيا ابن يوياقيم فبعث الله اليه أرمياقيل هو الخضر عليه السلام فأقام فيهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن المعاصى ويذكرهم نعمة الله عليهم باهلاك سنحاريب فلم يرعووا فأمره الله أن يحذرهم عقوبته وانهم ان لم يراجعوا الطاعة سلط عليهم من يقتلهم ويسبى ذراريهم ويخرب مدينتهم ويستعبدهم ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة فلم يراجعوا فأرسل الله اليه لاقيضن لهم فتنة تذر الحليم حيران ويضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل وعساكر مثل قطع السحاب يهلك بنى اسرائيل ويقتلهم ويخرب بيت المقدس فلما سمع أرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وتضرع الى الله فى رفع ذلك عنهم فى أيامه فأوحى الله اليه وعزتى لا أهلك بيت المقدس وبنى اسرائيل حتى يكون الامر من قبلك فى ذلك ففرح أرميا وقال لا والذى بعث موسى وأنبياءه بالحق لا آمر بهلاك بنى اسرائيل أبدا وأتى ملك بنى اسرائيل فأعلمه بما أوحى اليه فاستبشر وفرح ثم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين ولم يزدادوا الا معصية وتماديا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحى حيث لم يكونوا يتذكرون فقال لهم ملكهم يا بنى اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يأتيكم عذاب الله فلم ينتهوا فألقى الله فى قلب بختنصر ان يسير الى بنى اسرائيل ببيت المقدس فسار فى العساكر الكثيرة التى تملأ الفضاء وبلغ ملك بنى اسرائيل الخبر فاستدعى أرميا النبى فلما حضر عنده قال له يا أرميا أين ما زعمت ان ربك أوحى اليك ان لا يهلك بيت المقدس حتى يكون الامر منك فقال أرميا ان ربى لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل ودنا انقطاع ملكهم وأراد الله اهلاكهم أرسل الله ملكا فى صورة آدمى الى أرميا وقال له استفته فأتاه وقال له يا أرميا انا رجل من بنى اسرائيل استفتيك فى ذوى رحمى وصلت أرحامهم بما أمرنى الله به وأتيت اليهم حسنا وكرامة فلا تزيدهم كرامتى اياهم الا اسخاطا لى وسوء سيرة معى فافتنى فيهم فقال له احسن فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله به ان تصله فانصرف عنه الملك ثم عاد اليه بعد أيام فى تلك الصورة فقال له أرميا اما طهرت اخلاقهم وما رأيت منهم ما تريد فقال والذى

ما آتيناكم بقوة واسمعوا وان قبلتم ه ٢ ١٠٢ وفعلتم ما امرتم به والا طحنتكم بهذا الجبل واغرقتكم فى هذا البحر واحرقتكم بهذه النار فلما راوا ان لا مهرب لهم منها سجدوا على شق وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة فى اليهود وكان نزول موسى بالالواح ثامن عشر جمادى الاولى وقال قتادة مكث موسى عليه السلام بعدما تغشاه نور رب العالمين لايراه احد الا مات حتى اتخذ على وجهه برقعا وفى الحديث كان بعد ذلك يبصر دبيب النملة فى الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشر فراسخ وكان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا لشدة غضبه وقصة موسى مع الخضر عليهما السلام مشهورة تركناها لطولها واشتهارها ولما حان ان يفترقا قال له الخضر لو صبرت لاتيت على الف عجب كل اعجب مما رأيت فبكى موسى على فراقه قال ابو حامد الاندلسى رايت بمكة عند مجمع البحرين طولها اكثر من ذراع وعرضها شبر واحد جنبها شوك وعظام وجلد رقيق ولها عين واحدة ونصف راس فمن رآها من هذا الجانب يحسب انها ماكولة منه ونصفها الاخر صحيح والناس يتبركون بها وهو من نسل الحوت الذى اكل منه موسى وفتاه يوشع فلما قطر عليه قطرة من وضوء موسى حين التوضى احياه الله تعالى ولما امر الله تعالى موسى عليه السلام بمحاربة الجبارين نزل ارض كنعان ومعه بنو اسرائيل وبعث اثنى عشر نقيبا ليتجسسوا له اخبار الجبارين فلما توجهوا اتيهم فى طريقهم عوج بن عناق وكان يحتطب فاخذهم جميعا وجعلهم فى حزمة الحطب وحملها ثم انطلق الى

بعثك

بعثك بالحق ما أعلم كرامة يؤتيها أحد من الناس الى ذوى رحمه الا وقد آتيتها اليهم وأفضل
من ذلك فلم يزدادوا الا سوء سيرة فقال ارجع الى أهلك واحسن اليهم فقام الملك من عنده
فلبث أياما ونزل بختنصر على بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل
وقال ملكهم لارميا اين ما وعدك ربك فقال انى بربى واثق ثم ان الملك الذى ارسله الله
يستنقى أرميا عاد اليه وهو قاعد على جدار بيت المقدس فقال مثل قوله الاول وشكا
اهله وجورهم وقال له يانبى الله كل شئ كنت أصبر عليه قبل اليوم لان ذلك كان فيه
سخطى وقد رأيتهم اليوم على عمل عظيم من سخط الله تعالى فلو كانوا على ما كانوا عليه
اليوم لم يشتد عليهم غضبى وانما غضبت اليوم لله واتيتك لاخبرك خبرهم وانى أسألك بالله
الذى بعثك بالحق الا مادعوت الله عليهم ان يهلكوا فقال ارميا يا مالك السموات
والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم
فلما خرجت الكلمة من فيه أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس والتهب مكان
القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ
الرماد على رأسه وقال يا ملك السموات والارض يا أرحم الراحمين أين ميعادك أيارب
الذى وعدتنى به فأوحى الله اليه انه لم يصبهم ما أصابهم الا بفتياك التى أفتيت رسولنا
فاستيقن انها فتياه وان السائل كان من عند الله وخرج أرميا حتى خالط الوحش ودخل
بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت
المقدس وأمر جنوده فحملوا التراب وألقوه فيه حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى بابل
وأخذ معه سبايا بنى اسرائيل وأمرهم فجمعوا من كان فى بيت المقدس كلهم فاجتمعوا
واختار منهم مائة ألف صبى فقسمهم على الملوك والقواد الذين كانوا معه وكان من أولئك
الغلمان دانيال النبى وحنانيا وعزاريا وميشائيل وقسم بنى اسرائيل ثلاث فرق فقتل ثلثا
وأقر بالشام ثلثا وسبى ثلثا ثم عمر الله بعد ذلك أرميا فهو الذى روئى بفلوات الارض
والبلدان ثم ان بختنصر عاد الى بابل وأقام فى سلطانه ماشاء الله ان يقيم ثم رأى رؤيا فبينما
هو قد أعجبه ما رأى اذ رأى شيأ أنساه ما رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل
وقال أخبرونى عن رؤيا رأيتها فانسيتها وانكم لم تخبرونى بها وبتأويلها لانزعن أكتافكم
فخرجوا من عنده ودعوا الله وتضرعوا اليه وسألوه ان يعلمهم اياها فاعلمهم الذى سألهم
عنه فجاؤا الى بختنصر فقالوا رأيت تمثالا قال صدقتم قالوا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه
وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد فبينما أنت
تنظر اليه قد اعجبك ارسل الله عليه صخرة من السماء فدقته وهى التى انستك الرؤيا قال
صدقتم فما تأويلها قالوا اريت ملك الملوك فبعضهم كان الين ملكا من بعض وبعضهم
كان احسن ملكا من بعض وبعضهم اشد وكان اول الملك الفخار وهو اضعفه والينه ثم
كان فوقه النحاس وهو افضل منه واشد ثم كان فوق النحاس الفضة وهى أفضل من
ذلك واحسن ثم كان فوقها الذهب وهو احسن من الفضة وافضل ثم كان الحديد وهو
ملكك فهو اشد الملك واعز وكانت الصخرة التى رايت ان ارسل الله ملكا من السماء فدق

امرأته وقال لها الاترى الى من اتوا الهاربتنا ونزلوا بارضنا ثم اخرجهم من الحزمة وطرحهم بين يديها فنظرتهم وتعجبت
من لطافة ابدانهم فاراد عوج ان
يطحنهم برجله فمنعته زوجته وقالت
دعهم حتى يرجعوا الى قومهم
ويخبروهم بما راوا فتركهم عوج
فساروا فى المدينة واسمها اريحا
وهى الارض المقدسة يسكنها يومئذ
العمالقة وهم من ولد عملاق بن
لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام
وجعلوا ينظرون الى الجبارين
وما هم عليه من عظيم خلقتهم
وشدة القوة والمنعة وراوا فاكهتهم
واذا العنقود من العنب تحمله
خمسة رجال فى خشبة والرمانة اذا
نزع حبها يسع قشرها اربعة
رجال من بنى اسرائيل فهالهم ذلك
ورجعوا فلما بلغ الجبارين نزول
عسكر موسى قالوا لملكهم ياق
ابن صافون هنا رجل يقال له بلعام بن
باعورا بن عارب بن لوط عليه السلام
ساكن بقرية من قرى البلقاء مجاب
الدعوة فاسأله ان يدعو عليهم فلم يزل
الملك وقومه يتضرعون اليه وهو
يمانعهم حتى فتنوه بامراة وبذلوا له
الاموال فافتتن وركب اتانه واراد
ان يسير فربضت به الاتان فضربها
فلم تتحرك فاذن الله تعالى لها فى
الكلام فقالت ويحك يا بلعام اين
اذهب ألا ترى الملائكة امامى وهم
يردوننى ويحك يا بلعام تذهب الى
كليم الله وبنى اسرائيل لتدعو عليهم
فترك الاتان وسار حتى صعد على
جبل يقال له حسبان وهو مشرف
على القوم فدعا عليهم فلم يتأت
منه وعجز فجعل لا يدعو عليهم بشئ
من الشر الا صرف الله به لسانه
الى قومه فنسى الاسم الاعظم واندلع لسانه فبقى على صدره وكان ذلك فى سادس المحرم فقال لهم قد ذهب منى الآن الدين والدنيا

ذلك بجمعه نبيا يبعثه الله من السماء بعد ذلك أجمع ويصير الامر اليه فلما عبر دانيال ومن معه رؤيا بختنصر قربهم وادناهم واستشارهم في امره فحسدهم اصحابه وسعوا بهم اليه وقالوا عنهم ما اوحشه منهم فامر فحفر لهم اخدود والقاهم فيه وهم ستة رجال والقى معهم سبعا ضاريا ليأكلهم ثم قال اصحاب بختنصر انطلق واقلنا كل واشرب فذهبوا فاكلوا وشربوا ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم لم يخدش منهم احدا ووجدوا معهم رجلا سابعا فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فمسخه وصار في الوحش في صورة اسد وهو مع ذلك يعقل ما يعقله الانسان ثم رده الله الى صورة الانس واعاد عليه ملكه فلما عاد الى ملكه كان دانيال واصحابه اكرم الناس عليه فعاد الفرس وسعوا بهم الى بختنصر وقالوا له في خصمائهم ان دانيال اذا شرب الخمر لا يملك نفسه من كثرة البول وكان ذلك عندهم عارا فصنع لهم بختنصر طعاما واحضره عنده وقال للبواب انظر اول من يخرج ليبول فاقتله وان قال لك انا بختنصر فقل له كذبت بختنصر امرني بقتلك واقتله فحبس الله عن دانيال البول وكان اول من قام من الجمع بختنصر فقام مدلا انه الملك لئلا يقدم احد عليه وكان ذلك ليلا فلما رآه البواب شد عليه ليقتله فقال له انا بختنصر فقال له كذبت أن بختنصر امرني بقتلك وقتله وقيل في سبب قتله ان الله ارسل عليه بعوضة فدخلت في منخره وصعدت الى راسه فكان لا يقر ولا يسكن حتى يدق راسه فلما حضره الموت قال لاهله شقوا راسي فانظروا ما هذا الذي قتلني فلما مات شقوا راسه فوجدوا البعوضة بام راسه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه وضعف بختنصر المتجبر فتبارك الذي بيده ملكوت كل شيء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واما دانيال فانه اقام بارض بابل واستقل عنها ومات ودفن بالسوس من اعمال خوزستان ولما اراد الله تعالى ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس كان بختنصر قد مات فانه عاش بعد تخريب بيت المقدس اربعين سنة في قول بعض اهل العلم وملك بعده ابن له يقال اولمردخ تلك الناحية ثلاثا وعشرين سنة ثم هلك وملك ابن له يقال له بلتاصر سنة فلما ملك خلط في امره فعزله ملك الفرس حينئذ وهو مختلف فيه على ما ذكرناه واستعمل بعده داريوش على بابل والشام وبقي ثلاثين سنة ثم عزله واستعمل مكانه اخشويرش فبقي اربع عشرة سنة ثم ملك ابنه كيرش العلي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان قد تعلم التوراة ودان باليهودية وفهم عن دانيال ومن معه مثل حنانيا وعزاريا وغيرهما فسألوه ان ياذن لهم في الخروج الى بيت المقدس فقال لو كان بقي منكم الف نبي ما فارقتكم وولى دانيال القضاء وجعل اليه جميع امره وامره ان يقسم ما غنمه بختنصر من بني اسرائيل عليهم وامر بعمارة بيت المقدس فعمر في ايامه وعاد اليه بنو اسرائيل وعدة المدة لهؤلاء الملوك معدودة من خراب بيت المقدس منسوبة الى بختنصر وكان ملك كيرش اثنتين وعشرين سنة وقيل ان الذي امر برد بني اسرائيل الى الشام بشتاسب بن لهراسب وكان قد بلغه خراب بلاد الشام وانه لم يبق بها من بني اسرائيل احد فنادى في ارض بابل من شاء من بني اسرائيل ان يرجع الى الشام فليرجع

فلم يبق الا المكر والخديعة والحيلة فاشار على الملك ان يرسلوا الحسان من النساء نحو العسكر ولا يمنعن نفوسهن فانه ان زني واحد منهم كفيتموهم ففعلوا فلما اتى النساء العسكر مرت امراة من الكنعانيين برجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري ابن شلوم فاخذها وزنى بها فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا وسمع بهما رجل يقال له فنحاص بن العيزار ابن هرون عليه السلام صاحب امر موسى عليه السلام فاخذ حربته وكانت كلها من حديد ودخل عليهما وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج رافعا بهما الى السماء وهو يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون من وقته وكانا في الحربة كحالهما في حالة الزنا فنعوذ بالله من سوء الخاتمة ونسأله العفو والمغفرة بمنه وكرمه

● (قصة قارون وما سار من الفنون) ●

وكان لموسى ابن عم يقال له قارون ابن مصعب وكان في نهاية الفقر فلما اوحى الله تعالى الى موسى ان يحلي التابوت بالذهب وعلمه صنعة الكيمياء فصنعه فنظر قارون واراد ان يتعلمه وكانت كلثم اخت موسى عليه السلام تعلمت الصنعة من اخيها فعلمتها لقارون فخرج قارون وقد تعلم الكيمياء واتخذ ما اراد حتى كثر ماله بحيث انه كان يحمل مفاتيح كنوزه على اربعين بغلا وكان موسى يامر باعطاء الزكاة فلم يأتمر وعلم امراة بغية بان تتهم موسى بالزنا فلما سمع بذلك موسى عليه السلام غضب غضبا شديدا وقال يا رب ان قارون قد بغى علي فانصرني عليه ومالك

وسلط عليهم رجلا من آل داود وامره ان يعمر بيت المقدس فرجعوا وعمروه وكان ارمياء بن حزقيا من سبط هرون بن عمران فلما وطئ بختنصر الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل وسباهم قد فارق البلاد واختلط بالوحش فلما عاد بختنصر الى بابل اقبل ارمياء على حمار له معه عصير عنب وفي يده سلة تين فرأى بيت المقدس خرابا فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم امات حماره واعمى عنه العيون فلما أن عمر بيت المقدس احيا الله من ارمياء عينيه ثم احيا جسده وهو ينظر اليه وقيل له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قيل بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه و يتغير وانظر الى حمارك فنظر الى عظام حماره وهي تجتمع بعضها الى بعض ثم كسي لحما ثم قام حيا باذن الله وانظر الى المدينة وهي تبنى وقد كثر فيها بنو اسرائيل وتراجعوا اليها من البلاد وكان عهدها خرابا وأهلها ما بين قتيل وأسير فلما رآها عامرة قال أعلم ان الله على كل شيء قدير وقيل ان الذي اماته الله مائة عام ثم أحياه كان عزيرا فلما عاش قصد منزله من بيت المقدس على وهم منه فرأى عنده عجوزا عمياء زمنة كانت جارية له ولها من العمر مائة وعشرون سنة فقال لها هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما ارى احدا يذكر عزيرا غيرك فقال انا عزير فقالت ان عزيرا كان مجاب الدعوة فادع الله لي بالعافية فدعا لها فعاد بصرها وقامت ومشت فلما رأته عرفته وكان لعزير ولد وله من العمر مائة وثلاث عشرة سنة وله اولاد شيوخ فذهبت اليهم الجارية واخبرتهم به فجاؤا فلما رأوه عرفه ابنه بشامة كانت في ظهره وقيل ان عزيرا كان مع بني اسرائيل بالعراق فعاد الى بيت المقدس فجدد لبني اسرائيل التوراة لانهم عادوا الى بيت المقدس ولم يكن معهم التوراة لانها كانت قد اخذت فيما اخذوا احرقت وعدمت وكان عزير قد أخذ مع السبي فلما عاد عزير الى بيت المقدس مع بني اسرائيل جعل يبكي ليلا ونهارا وانفرد عن الناس فبينما هو كذلك في حزنه اذ أقبل اليه رجل وهو جالس فقال يا عزير ما يبكيك فقال ابكي لان كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا انعدم قال فتريد أن يرده الله عليكم قال نعم قال فارجع وصم وتطهر والميعاد بيننا غدا هذا المكان ففعل عزير ذلك وأتى المكان فانتظره وأتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله في صورة رجل فسقاه من ذلك الاناء فتمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وحدودها فاحبوه حبا شديدا لم يحبوا شيأ قط مثله واصلح أمرهم واقام عزير بينهم ثم قبضه الله اليه على ذلك وحدثت فيهم الاحداث حتى قال بعضهم عزير ابن الله ولم يزل بنو اسرائيل ببيت المقدس وعادوا وكثروا حتى غلبت عليهم الروم زمن ملوك الطوائف فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة وقد اختلف العلماء في أمر بختنصر وعمارة بيت المقدس اختلافا كثيرا تركنا ذكره اختصارا

(ذكر غزو بختنصر العرب)

قيل أوحى الله الى برخيا بن حنانيا بأمره ان يقول لبختنصر ليغزو العرب فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم ويستبيح أموالهم عقوبة لهم على كفرهم فقال برخيا لبختنصر

فاستجاب الله دعاءه فأوحى الله اليه اني قد امرت الارض بالطاعة لك وسلطتك عليه فاقبل موسى عليه السلام حتى دخل على قارون ثم قال يا عدو الله انت بعثت الى امرأة وتقيمها على رؤس الاشهاد وتريد فضيحتي يا ارض خذيه قال فساخت داره في الارض ذراعا وسقط قارون عن سريره فاخذته الارض الى ركبتيه ثم قال يا ارض خذيه فاخذته الارض الى حقويه وساخت داره على قدر ذلك فقال يا موسى يا موسى فقال يا عدو الله لم لا تتعظ بهلاك الامم الماضية وهلاك فرعون ثم قال يا ارض خذيه فاخذته الارض الى عنقه فلم يقدر على الكلام وجعل موسى يكرر ذلك حتى اضطربت به الارض اضطرابا شديدا وخسف به وبداره فاوحى الله تعالى الى موسى فقال يا موسى استغاث بك قارون سبعين مرة فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة لاغثته

(في ذكر عوج بن عناق وما فيه من الخلاف والشقاق)

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان طول عوج بن عناق ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعا بذراع الملك وعمره ثلاثة آلاف وستمائة سنة وكان ممن ولد في دار آدم عليه السلام وكانت امه من بنات آدم عليه السلام وكانت من احسن النساء واجملهن وكانت اسمها عناق ويقال انها أول من بغى على وجه الارض وكانت أصابع يديها كل اصبع ثلاثة اذرع في عرض ذراعين في كل اصبع ظفران كالمناجل فلما أراد الله اهلاكها بعث الله عليها أسودا كالفيلة وذئابا كالابل ونسورا كالخيل فافترسوها وقتلوها وأكلوا لحمها

ما أمر به فابتدأ بمن في بلاده من تجار العرب فاخذهم وبنى لهم حيرا بالنجف وحبسهم
فيه ووكل بهم وانتشر الخبر في العرب فخرجت اليه طوائف منهم مستأمنين فقبلهم وعفا
عنهم فانزلهم السواد فابتنوا الانبار وخلى عن أهل الحيرة فاتخذوها منزلا حياة بختنصر
فلما مات انضموا الى أهل الانبار وهذا أول مكثي العرب السواد بالحيرة والانبار وسار
الى العرب بنجد والحجاز فاوحى الله الى برخيا وأرميا أمرهما أن يسيرا الى معد بن
عدنان فيأخذاه ويحملاه الى حران واعلمهما انه يخرج من نسله محمد صلى الله عليه وسلم
الذي يختم به الانبياء فسارا تطوى لهما المنازل والارض حتى سبقا بختنصر الى معد
فحملاه الى حران في ساعتهما ولمعد حينئذ ثنتا عشرة سنة وسار بختنصر فلقي بجموع
العرب فقاتلهم فهزمهم وأكثر القتل فيهم وسار الى الحجاز فجمع عدنان العرب والتقى
هو وبختنصر بذات عرق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عدنان وتبعه بختنصر الى حصون
هناك واجتمع عليه العرب وخندق كل واحد من الفريقين على نفسه واصحابه فكمن
بختنصر كمينا وهو أول كمين عمل وأخذتهم السيوف فنادوا بالويل ونهي عدنان عن
بختنصر وبختنصر عن عدنان فافترقا فلما رجع بختنصر خرج معد بن عدنان مع الانبياء
حتى أتى مكة فاقام اعلامها وحج وحج معه الانبياء وخرج معد حتى أتى ريسوب وسأل
عمن بقي من ولد الحرث بن مضاض الجرهمي فقيل له بقي جوشم بن جلهمة فتزوج معد
ابنته معانة فولدت له نزار بن معد

● (ذكر بشتاسب والحوادث في ملكه وقتل أبيه لهراسب) ●

لما ملك بشتاسب بن لهراسب ضبط الملك وقرره واتقنه وابتنى بفارس مدينة فسا ورتب
سبعة من عظماء أهل مملكته مراتب وملك كل واحد منهم مملكة على قدر مرتبته ثم
انه أرسل الى ملك الترك واسمه خرزاسف وهو اخو افراسياب وصالحه واستقر الصلح
على ان يكون لبشتاسب دابة واقفة على باب ملك الترك لا تزال على عادتها على أبواب
الملوك فلما جاء زرادشت الى بشتاسب واتبعه على ما ذكرناه أشار زرادشت على بشتاسب
بنقض الصلح مع ملك الترك وقال أنا اعين لك طالعا تسير فيه الى الحرب فتظفر وهذا
أول وقت وضعت الاختيارات للملوك بالنجوم وكان زرادشت عالما بالنجوم جيد المعرفة
بها فاجابه بشتاسب الى ذلك فارسل الى الدابة التي بباب ملك الترك والى الموكل بها
فصرفها فغضب ملك الترك وارسل اليه يتهدده وينكر عليه ذلك ويأمره بانفاذ
زرادشت اليه وان لم يفعل غزاه وقتله وأهل بيته فكتب اليه بشتاسب كتابا غليظا
يؤذنه فيه بالحرب وسار كل واحد منهما الى صاحبه والتقيا واقتتلا قتالا شديدا فكانت
الهزيمة على الترك وقتلوا قتلا ذريعا ومروا منهزمين وعاد بشتاسب الى بلخ وعظم أمر
زرادشت عند الفرس وعظم شأنه حيث كان هذا الظفر بقوله وكان أعظم الناس غنى
في هذه الحرب اسفنديار بن بشتاسب فلما انجلت الحرب سعى الناس بين بشتاسب وابنه
اسفنديار وقال يريد الملك لنفسه فندبه لحرب بعد حرب ثم أخذه وحبسه مقيدا ثم ان
بشتاسب سار الى ناحية كرمان وسجستان وسار الى جبل يقال له طميدر لدراسة دينه

والتنسك

وكان عوج يتناول الحوت من قعر البحر فيشويه بعين الشمس ويأكله وكان يحلق رأسه بالسحاب وكان يمشي يوم
الطوفان مع السفينة ويشرب من
طوله وكان اذا غضب على أهل بلد
بال عليهم فغرقوا في بوله وكان جبارا
عنيدا ولما نزل موسى عليه السلام
وبنو اسرائيل بارض كنعان لمحاربة
الجبابرة وجهه ملكهم باق بن
صافون اليهم عوج فسار الى مقدار
نزول العسكر فكان فرسخا في
فرسخ فانطلق الى جبل من جبال
الشام فقطع منه صخرة على مقدار
عسكر موسى عليه السلام ثم حملها
على رأسه واقبل نحوهم ليلقيها عليهم
ويقتلهم جميعا فسلط الله على تلك
الصخرة وهي على رأسه الهدهد
وسائر الطيور فجعلت تنقر تلك
الصخرة حتى تقورت ● ذكر الكسائي
ان الله تعالى أراد اظهار قدرته
لبني اسرائيل فارسل هدهدا وفي
منقاره حجر من السماء فضرب
وسط الحجر بالحجر الذي معه ضربة
واحدة فانخرق ونزل في عنقه
كهيئة الطوق فاقبل اليه موسى
بعصاه وكان طول موسى عشرة
اذرع وطول عصاه عشرة اذرع
واعطاه الله من القوة ان وثب في
السماء عشرة اذرع وضربه بالعصا
فلم تلحق الا كعبه فانصرع الى
الارض قتيلا ● ولما رجع النقباء
من مدينة الجبارين واخبروا
قومهم بما رأوا من عظم خلقتهم
وشدة قوتهم فقالوا يا موسى انا لن
ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب
أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
الآية فاوحى الله تعالى الى موسى
اني حرمت عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولأتيهنهم في هذه البرية

والتنسك هنالك وخلف آباه لهراسب ببلخ شيخا قد ابلغ الكبر وترك بها خزائنه وأولاده ونساءه فبلغت الاخبار الى ملك الترك خرزاسف فلما تحققه جمع عساكره وحشده وسار الى بلخ رانتهز الفرصة بغيبة بشتاسب عن مملكته ولما بلغ بلخ ملكها وقتل لهراسب وولدين لبشتاسب والهرابذة واحرق الدواوين وهدم بيوت النيران وارسل السرايا الى البلاد فقتلوا وسبوا واخربوا وسبى ابنتين لبشتاسب احداهما خمانى وأخذ علمهم الاكبر المعروف بدرفش كابيان وسار متبعا لبشتاسب وهرب بشتاسب من بين يديه فتحصن بتلك الجبال مما يلي فارس وضاق ذرعا بما نزل به فلما اشتد عليه الامر أرسل الى ابنه اسفنديار مع عالمهم جاماسب فاخرجه من محبسه واعتذر اليه ووعده ان يعهد اليه بالملك من بعده فلما سمع اسفنديار كلامه سجد له ونهض من عنده وجمع من عنده من الجند وبات ليلته مشغولا بالتجهز وسار من الغد نحو عسكر الترك وملكهم والتقوا واقتتلوا والتحمت الحرب وحمى الوطيس وحمل اسفنديار على جانب من العسكر فاثر فيه ووهنه وتابع الحملات وفشا في الترك ان اسفنديار هو المتولي لحربهم فانهزموا لا يلوون على شئ وانصرف اسفنديار وقد ارتجع درفش كابيان فلما دخل على أبيه استبشر به وأمره باتباع الترك ووصاه بقتل ملكهم ومن قدر عليه من أهله ويقتل من الترك من أمكنه قتله وان يستنقذ السبايا والغنائم التي أخذت من بلادهم فسار اسفنديار ودخل بلاد الترك وقتل وسبى وأخرب وبلغ مدينتهم العظمى ودخلها عنوة وقتل الملك واخوته ومقاتلته واستباح أمواله وسبى نساءه واستنقذ أختيه ودوخ البلاد وانتهى الى آخر حدود بلاد الترك والى التبت وأقطع بلاد الترك وجعل كل ناحية الى رجل من وجوه الترك بعد أن امنهم ووظف عليهم خراجا يحملونه كل سنة الى أبيه بشتاسب ثم عاد الى بلخ فحسده ابوه بما ظهر منه من حفظ الملك والظفر بالترك واسر ذلك في نفسه وامره بالتجهز والمسير الى قتال رستم الشديد بسجستان وقال له هذا رستم متوسط بلادنا ولا يعطينا الطاعة لان الملك كيكاوس اعتقه فاقطعه اياها وقد ذكرنا ذلك في ملك كيكاوس وكان غرض بشتاسب ان يقتله رستم أو يقتل هو رستم فانه كان أيضا شديد الكراهة لرستم فجمع العساكر وسار الى رستم لينزع سجستان منه فخرج اليه رستم وقاتله فقتل اسفنديار قتله رستم ومات بشتاسب وكان ملكه مائة سنة واثنتي عشرة سنة وقيل مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين سنة وقيل انه جاءه رجل من بني اسرائيل زعم انه نبي أرسل اليه واجتمع به ببلخ فكان يتكلم بالعبرى وزرادشت نبي المجوس يعبر عنه وجاماسب العالم هو حاضر معهم يترجم أيضا عن الاسرائيلي وكان بشتاسب ومن قبله من آبائه وسائر الفرس يدينون بدين الصابئة قبل زرادشت

(ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكاوس الى أيام بهمن بن اسفنديار)

قد مضى ذكر الخبر عمن زعم ان كيكاوس كان في عهد سليمان بن داود وقد ذكرنا من كان في عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت ايلشرح وصار الملك بعد بلقيس الى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له انعم الانعامة قال أهل اليمن انه سار غازيا

اربعين سنة فلبثوا الاربعين سنة في ستة فراسخ ثمانين وكان يوم دخولهم في التيه لثمان عشر جمادى الآخرة وكانوا ستمائة الف مقاتل سوى الاهل والاولاد وكانوا يسيرون جادين اذا اصبحوا حتى اذا امسوا نزلوا فاذا هم في المكان الذي ارتحلوا منه فطلبوا من موسى عليه السلام ماء يشربون منه فضرب موسى بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين فطلبوا الظل فظلل عليهم الغمام فطلبوا اماما كاون فانزل الله عليهم المن والسلوى فطلبوا اللباس فكانت ثيابهم لا تبلى ولا تتمزق حتى مات أولئك الذين قالوا انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فكان هلاكهم في عشرين سنة وهي العشرون الاولى ونشأت أولادهم في العشرين الاخرى وهم الذين ساروا مع يوشع عليه السلام الى بلد اريحا وقاتلوا الجبارين

(الفصل التاسع عشر في ذكر هرون عليه السلام)

هو شقيق موسى عليهما السلام من ابيه وامه وكان أكبر من موسى عليه السلام بثلاث سنين وقيل باربع سنين وكان فصيح اللسان جميل الصورة وكان اطول من موسى واكثر لحما وابيض جسما واغلظ ألواحا وكانت في جبهته شامة وكان محببا الى بني اسرائيل وكان موسى عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل شئ لا يتمالك الرفق في شئ مما يخالف الشرع فلذلك سأل ربه ان يشرك هرون معه في أمره فاتفق انه سار يوما هو واخوه بجبل بالتيه فرأوا فيه كهوفا كثيرة واذا بكهف يسطع منه النور فبادروا اليه فلما دخلوا الى الكهف فنظروا واسير ا

عن المغرب حتى بلغ واديا يقال له وادى الرمل ولم يبلغه أحد قبله فلما انتهى اليه لم يجد
وراءه مجازا لكثرة الرمل فبينما هو مقيم عليه اذ انكشف الرمل فامر رجلا يقال له عمرو
ان يعبر هو وأصحابه فعبروا فلم يرجعوا فلما رأى ذلك أمر بنصب صنم نحاس فصنع ثم نصب
على صخرة على شفير الوادى وكتب على صدره بالمسند هذا الصنم لياسر انعم الحميرى ليس
وراءه مذهب فلا يتكلفن أحد ذلك فيعطب وقيل ان وراء ذلك الرمل قوما من أمة
موسى وهم الذين عنى الله بقوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والله أعلم
ثم ملك بعده تبع وهو تبان وهو أسعد وهو أبو كرب بن ملكيكرب تبع بن زيد بن عمرو بن
تبع وهو ذو الاذعار بن ابرهة تبع ذى المنار بن الرايش بن قيس بن صيفى بن سبا وكان
يقال له الرائد وكان تبع هذا فى أيام بشتاسب واردشير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب
وانه شخص متوجها من اليمن فى الطريق الذى سلكه الرايش حتى خرج على جبلى طئ
ثم سار يريد الانبار فلما انتهى الى موضع الحيرة تحير وكان ليلا فاقام بمكانه فسمى ذلك
المكان بالحيرة وخلف به قوما من الازد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة فبنوا وأقاموا به
ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طئ وكلب والسكون وبلحرث بن كعب واياد ثم توجه الى
الموصل ثم الى اذربيجان فلقى الترك فهزمهم فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم عاد الى اليمن
فهابته الملوك واهدوا اليه وقدمت عليه هدية ملك الهند وفيها تحف كثيرة من الحرير
والمسك والعود وسائر طرف الهند فرأى ما لم ير مثله فقال للرسول كل هذا فى بلدكم فقال
أكثره من بلد الصين ووصف له بلد الصين فحلف ليغزونها فسار بحمير حتى أتى الى
الركايك وأصحاب القلانس السود ووجه رجلا من أصحابه يقال له ثابت نحو الصين
فى جمع عظيم فاصيب فسار تبع حتى دخل الصين فقتل مقاتلتها واكتسح ما وجد فيها
وكان مسيره ومقامه ورجعته فى سبع سنين ثم انه خلف بالتبت اثنى عشر ألف فارس من
حمير فهم أهل التبت ويزعمون انهم عرب وألوانهم ألوان العرب وخلقهم هكذا ذكروقد
خالف هذه الرواية كثير من أصحاب السير والتواريخ وكل واحد منهم خالف الآخر وقدم
بعضهم من أخره الآخر فلم يحصل منهم كثير فائدة ولكن ننقل ما وجدناه مختصرا

•(ذكر خبر اردشير بهمن وابنته خمانى)•

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه اردشير بهمن بن اسفنديار وكان مناقره فى مغازيه وملكه
أكثر من أبيه وقيل انه ابتنى بالسواد مدينة وسماها اباوان اردشير وهى القرية المعروفة
بهمينا بالزاب الاعلى وابتنى بكور دجلة الابلة وسار الى سجستان طالبا بثار أبيه فقتل
رستم واباه دستان وابنه فرامرز وبهمن هو أبو دارا الاكبر وأبو ساسان أبى ملوك
الفرس الاخر اردشير بن بابك وولده وأم دارا خمانى ابنة بهمن فهى أخته وأمه وغزا
بهمن رومية الداخلة فى ألف ألف مقاتل وكان ملوك الارض يحملون اليه الاتاوة وكان
أعظم ملوك الفرس شأنا وأفضلهم تدبيرا وكانت أم بهمن من نسل بنيامين بن يعقوب
وأم ابنه ساسان من نسل سليمان بن داود وكان ملك بهمن مائة وعشرين سنة وقيل ثمانين
سنة وكان متواضعا مرضيا فيهم وكانت كتبه تخرج من عبد الله خادم الله السائس

من ذهب عليه أنواع الفرش مكتوب على
سائقة السرير بالعبرانية هذا السرير لمن كان طوله قدر موسى على السرير
فلما تدربه فضل من طوله فنزل
موسى عنه وصعد هرون واضطجع
عليه فاذا هو على طوله فهم أن ينزل
فاذا هو بملك الموت فقبض روحه
ثم رجع موسى باكيا حزينا الى بنى
اسرائيل فاخبرهم بموته فاتهموه
بانه الذى قتل هرون لانه كان حبيبا
اليهم فما زالوا يتهمونه حتى دعا الله
تعالى فى براءة امره فانزل الله تعالى
السرير وعليه هرون عليه السلام
وقال لهم انى مت ولم يقتلنى موسى
فحزن عليه بنو اسرائيل حزنا
شديدا فخلف من بعده ابنه العيزار
فاعطاه الله تعالى وقار هرون وخلقه
ولم يحدث لموسى ولا لهرون شئ
من الشيب وقبض هرون وهو ابن
مائة وثلاث وعشرين سنة قال
المسعودى انه دفن فى جبل حران
من نحو جبل الشراة مما يلى الطور
وقبره مشهور فى مغارة عادية يسمع
منها فى بعض الليالى دوى عظيم
يجزع منه كل ذى روح وروى انه
تبع جنازته اربعون الفا وكلهم
يسمون هرون من بنى اسرائيل
سوى سائر الناس ومات موسى
وهرون عليهما السلام فى التيه
على اصح الروايات وكان عمر موسى
مائة وعشرين سنة واختلف فى قبر
موسى عليه السلام قال فى
الصحيحين ان موسى عليه السلام
قال يارب أدننى من الارض المقدسة
رمية حجر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولو انى عنده لاريتكم
قبره الى جنب الطريق عند
الكثيب الاحمر المراد بهذه الطريق التى سلكها صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به من مكة الى بيت المقدس كما اشار اليه لاموركم

لامورهم ثم ملكت بعده ابنته خماني ملكوها حبا لابيها واعقلها وفروسيتها وكانت تلقب بشهرزاد وقيل انما ملكت لانها حين حملت منه دارا الاكبر سألته ان يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك ففعل بهمن وعقد التاج عليه حملا في بطنها وساسان بن بهمن رجل يتصنع للملك فلما رأى فعل ابيه لحق باصطخر وتزهد ولحق برؤس الجبال واتخذ غنما وكان يتولاها بنفسه فاستبشعت العامة ذلك منه وهلك بهمن وابنه دارا في بطن أمه فملكوها ووضعته بعد أشهر من ملكها فانفت من اظهار ذلك وجعلته في تابوت وجعلت معه جواهر واجرته في نهر الكر من اصطخر وقيل بنهر بلخ وسار التابوت الى طحان من أهل اصطخر ففرح لما فيه من الجوهر فحضنته امرأته ثم ظهر أمره حين شب فاقرت خماني باساءتها فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون ابناء الملوك فحولت التاج اليه وسارت الى فارس وبنت مدينة اصطخر وكانت قد أوتيت ظفرا واغزت الروم وشغلت الاعداء عن تطرق بلادها وخففت عن رعيتها الخراج وكان ملكها ثلاثين سنة وقيل ان خماني أم دارا حضنته حتى كبر فسلمت الملك اليه وعزلت نفسها فضبط الملك بشجاعة وحزم * ونرجع الى ذكر بني اسرائيل ومقابلة تاريخ أيامهم الى حين تصرمها ومدة من كان في ايامهم من ملوك الفرس قد ذكرنا فيما مضى سبب انصراف من انصرف الى بيت المقدس من سبايا بني اسرائيل الذين كان بختنصر سباهم وكان ذلك في أيام كيرش بن اخشويرش وملكه ببابل من قبل بهمن واربع سنين بعد وفاته في ملك ابنته خماني وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خربه بختنصر مائة سنة كل ذلك في أيام بهمن بعضه وفي أيام ابنته خماني بعضه وقيل غير ذلك وقد تقدم ذكر الاختلاف وقد زعم بعضهم ان كيرش هو بشتاسب وانكر عليه قوله ولم يملك كيرش منفردا قط ولما عمر بيت المقدس ورجع اليه أهله كان فيهم عزير وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس امارجل منهم وامارجل من بني اسرائيل الى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم بسبب غلبة الاسكندر على الناحية حين قتل دارا بن دارا وكان جملة مدة ذلك فيما قيل ثمانيا وثمانين سنة

(ذكر خبر دارا الاكبر وابنه دارا الاصغر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين)

وملك دارا بن بهمن بن اسفنديار وكان يلقب جهرازاد يعني كريم الطبع فنزل ببابل وكان ضابطا لملكه قاهرا لمن حوله من الملوك يؤدون اليه الخراج وبني بفارس مدينة سماها دارابجرد وحذف دواب البرد ورتبها وكان معجبا بابنه دارا ومن حبه له سماه باسم نفسه وصير له الملك بعده وكان ملكه اثنتي وعشرين سنة ثم ملك بعده ابنه دارا وبنى بارض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة دارا وهي مشهورة الى الآن واستوزر افتى لا يصلح لها فافسد قلبه على أصحابه فقتل رؤساء عسكره واستوحش منه الخاصة والعامة وكان شابا غرا جميلا حقودا جبارا سيئ السيرة في رعيته وكان ملكه أربع عشرة سنة

(ذكر الاسكندر ذي القرنين)

كان فيلقوس أبو الاسكندر اليوناني من أهل بلدة يقال لها مقدونية كان ملكا عليها

بسنده الى محمد بن اسحق يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اطلع أحد على قبر موسى عليه السلام الا الرخمة فنزع الله عقلها لئلا تدل عليه أحدا وجعلها ابكم واصم وانما سأل الدنو من الارض المقدسة لشرفها ولم يسأل مكانا معروفا خوفا من ان يعبد وتكثر الاحداث عنده قال الحافظ ضياء الدين المقدسي ان القبر الذي اشتهر أنه قبره شرقي بيت المقدس بالقرب من اريحا وعنده كثيب احمر الى جانبه طريق مسلوك وقبره مقصود بالزيارة الى يومنا هذا وعلى القبر الشريف قبة مبنية بناها الملك الظاهر بيبرس بعد سنة ستين وستمائة واما الاشباح التي ترى على قبره بالوان مختلفة فمنهم صفة الراكب ومنهم صفة الماشي ومنهم من على كتفه رمح وغير ذلك من الصفات فللناس في ذلك أقوال مختلفة فيقال انهم من الملائكة ويقال انهم الصالحون وينظرهم كل الناس واذا دخل المسجد امرأة حائض اوفعل احد حول المسجد شيأ من المعاصي يثور هواء في تلك البرية حتى لا يرى الرجل من الى جانبه وغير ذلك من الخوارق الباهرات التي يستدل بها على أنه مدفون في هذا المكان والله اعلم

(الفصل العشرون في ذكر يوشع عليه السلام)

وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام هو فتى موسى المذكور في قصة الخضر بعثه الله نبيا بعد موسى الى مدينة اريحا قال ابن اسحق حولت النبوة الى يوشع بن نون في حياة

وعلى بلاد أخرى فصالح دارا على خراج يحمله اليه فى كل سنة فلما هلك فيلقوس ملك
بعده ابنه الاسكندر فاستولى على بلاد الروم أجمع فقوى على دارا فلم يحمل اليه من
الخراج شيأ وكان الخراج الذى يحمله بيضا من ذهب فسخط عليه دارا وكتب اليه يؤنبه
بسوء صنيعه فى ترك حمل الخراج وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيز من سمسم وكتب اليه
انه صبى وانه ينبغى له ان يلعب بالصولجان والكرة ويترك الملك وان لم يقتصر على ذلك
واستعصى عليه بعث اليه من يأتيه به فى وثاق وان عدة جنوده كعدة حب السمسم
الذى بعث به اليه فكتب اليه الاسكندر انه قد فهم ما كتب به وقد نظر الى ما ذكر فى كتابه
اليه من ارساله الصولجان والكرة وتيمن به لالقاء الملقى الكرة الى الصولجان واحترازه
اياها وشبه الارض بالكرة وانه يجر ملك دارا الى ملكه وتيمنه بالسمسم الذى بعث
كتيمنه بالصولجان والكرة لدسمه وبعده من المرارة والحرافة وبعث اليه بصرة فيها
خردل واعلمه فى ذلك أن ما بعث به اليه قليل ولكنه مر حريف وان جنوده مثله فلما وصل
كتابه الى دارا تأهب لمحاربته وقد زعم بعض العلماء باخبار الاولين ان الاسكندر الذى
حارب دارا بن دارا هو أخو دارا الاصغر الذى حاربه وان أباه دارا الاكبر كان تزوج
أم الاسكندر وهى ابنة ملك الروم فلما حملت اليه وجد من ريحها وسهكها فامر ان يحتال
لذلك منها فاجتمع رأى اهل المعرفة فى مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية سندر
تغسلت بمائها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ولم يذهب كله وانتهت نفسه عنها فردها الى
أهلها وقد علقت منه فولدت فى أهلها غلاما فسمته باسم الشجرة التى غسلت بمائها
مضافا الى امها وقد هلك أبوها وملك الاسكندر بعده فمنع الخراج الذى كان يؤديه جده
الى دارا فارسل يطلبه وكان بيضا من ذهب فاجابه انى قد ذبحت الدجاجة التى كانت
تبيض ذلك البيض واكلتها فان أحببت وادعناك وان أحببت نابذناك ثم خاف
الاسكندر من الحرب فطلب الصلح فاستشار دارا أصحابه فاشاروا عليه بالحرب لفساد
قلوبهم عليه فعند ذلك نابذه دارا القتال فكتب الاسكندر الى حاجبى دارا وحكمهما
على الفتك بدارا فاحتكما شيأ ولم يشترطا أنفسهما فلما التقيا للحرب طعن دارا حاجباه
فى الوقعة وكانت الحرب بينهما سنة فانهزم أصحاب دارا ولحقه الاسكندر وهو بآخر رمق
وقيل بل قتله رجلان من حرسه من أهل همذان حال الراحة من ظلمه وكان قتلهما له
لما رأيا عسكره قد انهزم عنه ولم يكن ذلك بأمر الاسكندر وكان قد أمر الاسكندر مناديا
ينادى عند هزيمة عسكر دارا ان يؤسر دارا ولا يقتل فاخبر بقتله فنزل اليه ومسح
التراب عن وجهه وجعل رأسه فى حجره وقال له انما قتلك أصحابك وانى لم أهم بقتلك قط
ولقد كنت أرغب بك يا شريف الاشراف ويا ملك الملوك وحر الاحرار عن هذا المصرع
فأوص بما أحببت فاوصاه دارا ان يتزوج ابنته روشنك ويرعى حقها ويعظم قدرها
ويستبقى احرار فارس ويأخذه بثاره ممن قتله ففعل الاسكندر ذلك أجمع وقتل حاجبى
دارا وقال انهما انكما لم تشترطا نفوسكما فقتلهما بعد أن وفى لهما بما ضمن لهما وقال ليس
ينبغى ان يستبقى قاتل الملوك الا بذمة لا تخفر وكان التقاؤهما بناحية خراسان مما يلى

موسى وهرون فلما انقضت لبنى اسرائيل الاربعون سنة فى التيه بعث الله تعالى يوشع بن نون فسار ببنى
اسرائيل الى اريحا فلما وصلوا الى
نهر الشريعة بالغور واسمه نهر
الاردن وكان عاشر نيسان من
السنة التى توفى فيها موسى عليه
السلام فلم يجد للعبور سبيلا فامر
يوشع حامل صندوق الشهادة الذى
فيه الالواح بان ينزلوا به الى حافة النهر
فلما وضعه وزال الماء حتى انكشفت
ارضه فلما عبر بنو اسرائيل عادت
الشريعة الى ما كانت عليه ونزل
يوشع بنى اسرائيل اريحا وحاصروا
اهلها وصار كل يوم يدور حولها ولم
يجد للدخول اليها سبيلا الى ستة
ايام وفى اليوم السابع امر بنى
اسرائيل ان يطوفوا حول اريحا
سبع مرات وان يكبروا ففعند ذلك
هبطت أسوار المدينة وانطمت
الخنادق وتساوت الارض كذا
نقله صاحب المختصر فى أخبار
البشر وقيل أقام يحاصرها ستة
أشهر فلما كان الشهر السابع
ثلموا ثلمة واحدة فسقط سور
المدينة فدخلوا وقتلوا الجبارين
قتلا ذريعا فكان الجماعة من بنى
اسرائيل يجتمعون على الرجل منهم
حتى يطرحوه على الارض ويضربوا
عنقه وكان القتال يوم الجمعة وقد
بقى من الجبارين بقية وكادت
الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت
فدعا الله تعالى يوشع عليه السلام
فقال اللهم اردد على الشمس حتى
أنتقم من اعدائك فاستجاب الله
دعاءه ورجعت الشمس مقدار ساعة
وقيل ثنتى عشرة درجة فقتلهم
اجمعين وكان ذلك فى سادس جمادى الاولى وما احسن قول ابى تمام حبيب بن اوس فى رد الشمس ليوشع حيث قال

الخزر وقيل بلاد الجزيرة عند دارا وكان ملك الروم قبل الاسكندر متفرقا فاجتمع وملك فارس مجتمعا فتفرق وحمل الاسكندر كتبا وعلوما لاهل فارس من علوم ونجوم وحكم ونقله الى الرومية وقد ذكرنا قول من قال ان الاسكندر اخو دارا الابيه واما الروم وكثير من أهل الانساب فيزعمون انه الاسكندر بن فيلقوس وقيل فيلبوس بن مطربوس وقيل ابن مصريم بن هرمس بن هردس بن ميطون بن رومى بن ليطى بن يونان بن يافث بن ثوبه ابن سرحون بن روميط بن زنط بن توقيل بن رومى بن الاصفر بن ايلفر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم فجمع بعد هلاك دارا ملك دارا فملك العراق والشام والروم ومصر والجزيرة وعرض جنده فوجدهم على ما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل منهم من جنده ثمانمائة ألف رجل ومن جند دارا ستمائة ألف رجل وتقدم بهدم حصون فارس وبيوت النيران وقتل الهرابذة واحرق كتبهم واستعمل على مملكة فارس رجالا وسار قدما الى أرض الهند فقتل ملكها وفتح مدنها وخرب بيوت الاصنام وأحرق كتب علومهم ثم سار منها الى الصين فلما وصل اليها أتاه حاجبه فى الليل وقال هذا رسول ملك الصين فاحضره فسلم وطلب الخلوة ففتشوه فلم يروا معه شيأ فخرج من كان عند الاسكندر فقال انا ملك الصين جئت أسئلك عن الذى تريده فان كان ما يمكن عمله عملته وتركت الحرب فقال له الاسكندر ما الذى آمنك منى قال علمت أنك عاقل حكيم ولم يكن بينى وبينك عداوة ولا ذحل وأنت تعلم انك ان قتلتنى لم يكن قتلى سببا لتسليم أهل الصين ملكى اليك ثم انك تنسب الى الغدر فعلم انه عاقل فقال له أريد منك ارتفاع ملكك الثلاث سنين عاجلا ونصف الارتفاع لكل سنة قال قد أجبتك ولكنك اسئلنى كيف حالى قال قل كيف حالك قال أكون أول قتيل لمحارب واول أكلة لمفترس قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين قال يكون حالى أصلح قليلا قال فان قنعت منك بارتفاع سنة قال يبقى ملكى وتذهب لذاتى قال وانا اترك لك ما مضى وآخذ الثلث لكل سنة فكيف يكون حالك قال يكون السدس للفقراء والمساكين ومصالح البلاد والسدس لى والثلث للعسكر والثلث لك قال قد قنعت منك بذلك فشكره وعاد وسمع العسكر بذلك ففرحوا بالصلح فلما كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم أحاط بعسكر الاسكندر فركب الاسكندر والناس فظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسه التاج فقال له الاسكندر أغدرت قال لا ولكنى أردت ان تعلم انى لم اطعك من ضعف ولكنى لما رأيت العالم العلوى مقبلا عليك أردت طاعته بطاعتك والقرب منه بالقرب منك فقال له الاسكندر لا يسام مثلك الجزية فما رأيت بينى وبينك من يستحق الفضل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما اردته منك وانا منصرف عنك فقال له ملك الصين فلست تخسر وبعث اليه بضعف ما كان قرره معه وسار الاسكندر عنه من يومه ودانت له عامة الارضين فى الشرق والغرب وملك التبت وغيرها فلما فرغ من بلاد المغرب والمشرق وما بينهما قصد بلاد الشمال وملك تلك البلاد ودان له من بها من الامم المختلفة الى أن اتصل بديار يأجوج ومأجوج وقد اختلفت الاقوال فيهم والصحيح انهم نوع من الترك لهم شوكة وفيهم

لقينا باخواهم وقد حوم الهوى * قلوبا عهدنا طيرها وهى وقع
فردّت علينا الشمس والليل راغم * بشمس بدت من جانب الخدر تطلع
فوالله ما ادرى أأحلام نائم * ألمت بنا ام كان فى الركب يوشع

ثم تتبع ملوك الشام فاستباح منهم واحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على ملوك الشام وصارت الشام كلها لبنى اسرائيل وفرق عماله فى نواحيها فسار الى نابلس الى المكان الذى اودع فيه يوسف عليه السلام وكان اودعه موسى هنالك لما استخرج يوسف من نيل مصر فاستمر مودعا اربعين سنة وهم فى التيه فلما فرغ يوشع من اريحا سار به ودفنه عند أجداده بحبرون فلما استولت بنو اسرائيل على الارض المقدسة وصفت لهم اقام يوشع عليه السلام يدبر أمرهم ثمانية وعشرين سنة وتوفى وعمره مائة وعشرون سنة ودفن فى جبل افرايم وقيل بقرية قدس من اعمال صفد وله قبر هنالك يزار ويتبرك به وقيل بمدينة معرة النعمان * (ذكر كالب بن يوفنا ابن فارض بن يهودا عليه السلام) * استخلفه يوشع عليه السلام وهو الرجل الذى أنعم الله عليه فاحسن الخلافة والقيام بامر بنى اسرائيل حتى قبضه الله تعالى واستخلف ولده يوشانوس وكان شبيها بيوسف وحسنه وجماله وكان الناس يأتونه وينظرون اليه فكادوا أن يفتتنوا من شغفهم به فلما بالغوا فى النظر اليه خاف على نفسه من الفتنة فسأل الله تبارك وتعالى ان يغير صورته مع سلامة حواسه فاصابه ١٥ الجدرى فصار وجهه مجدرا فلبث فى بنى اسرائيل ألف سنة ثم قبضه الله تعالى

شرّهم كثيرون وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الارض ويخربون ماقدروا عليه من البلاد ويؤذون من يقرب منهم فلما رأى أهل تلك البلاد الاسكندر شكوا اليه من شرّهم كما أخبر الله عنهم في قوله ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدّين وهما جبلان منيفان أملسان لا يرتقى فيهما وليس لهما مخرج الا من الفرجة التي بينهما فلما بلغ الى تلك وقارب السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما يقول ما مكني فيه ربي خير من خرجكم ولكن أعينوني بالقوة والقوة الفعلة والصناع والآلة التي يبنى بها فقال آتوني زبر الحديد أي قطع الحديد فأتوه بها فحفر الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل الحديد والحطب صفوفا بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما جبلان اشعل النار في الحطب فحمي الحديد وأفرغ عليه القطر وهو النحاس المذاب فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد فبقي كأنه برد محبر من حمرة النحاس وسواد الحديد وجعل أعلاه شرفا من الحديد فامتنعت يأجوج ومأجوج من الخروج الى البلاد المجاورة لهم قال الله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا فلما فرغ من أمر السد دخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي والشمس جنوبية فلهذا كانت ظلمة والا فليس في الارض موضع الا تطلع الشمس عليه أبدا فلما دخل الظلمات أخذ معه أربعمائة من أصحابه يطلب عين الخلد فسار فيها ثمانية عشر يوما ثم خرج ولم يظفر بها وكان الخضر على مقدمته فظفر بها واغتسل فيها وشرب منها والله أعلم ورجع الى العراق فمات في طريقه بشهرزور وبعلة الخوانيق وكان عمره ستا وثلاثين سنة في قول ودفن في تابوت من ذهب مرصع بالجوهر وطلي بالصبر لئلا يتغير وحمل الى أمه بالاسكندرية وكان ملكه أربع عشرة سنة وقتل دارا في السنة الثالثة من ملكه وبنى اثنتى عشرة مدينة منها أصبهان وهي التي يقال لها جي ومدينة هراة ومرو وسمرقند وبنى بالسواد مدينة لروشنك ابنة دارا وبارض اليونان مدينة وبمصر الاسكندرية فلما مات الاسكندر أطاف به من معه من الحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم فكان يجمعهم ويستريح الى كلامهم فوقفوا عليه فقال كبيرهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا ووضع يده على التابوت وقال أصبح آسر الاسراء أسيرا وقال آخر هذا الملك كان يخبأ الذهب فقد صار الذهب يخبؤه وقال آخر ما أزهد الناس في هذا الجسد وما أرغبهم في التابوت وقال آخر من أعجب العجب أن القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترون وقال آخر هذا الذي جعل أجله ضمارا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك بل هلا حققت من أملك بالامتناع من وفور أجلك وقال آخر أيها الساعي المغتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج اليه فتوفرت عليك أوزاره وفارقت آثامه فجمعت لغيرك وآثمه عليك وقال آخر قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك فمن كان له معقول فليعقل ومن كان معتبرا فليعتبر وقال آخر رب هائب لك يخافك من ورائك وهو اليوم بحضرتك ولا يخافك وقال

(الفصل الحادي والعشرون في ذكر حزقيل وما وقع لبني اسرائيل) وهو حزقيل بن بوري لما قبض الله تعالى يوشانوس بعث حزقيل نبيا الى بني اسرائيل وهو الذي أحيا الله له الموتى وهم القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف كانوا بقرية واسط فوقع بها الطاعون فخرج جميع من في القرية وساروا حتى نزلوا واديا وهم يبتغون النجاة فقال الله تعالى لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتهم واختلف العلماء في عددهم قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا أربعة آلاف وقال ابن مليك كانوا ثلاثين ألفا وقال ابن أبي رباح كانوا سبعين ألفا فأتى عليهم حين من الدهر حتى بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت أوصالهم فمر عليهم حزقيل عليه السلام يوما ووقف عليهم متفكرا ومتعجبا لما حل بهم فبكى بكاء شديدا وقال يارب قوم كانوا يعبدونك ويذكرونك فماتوا جميعا وقد بقيت وحيدا فريدا ولو شئت أحييتهم فيعمرون بلادك ويعبدونك فأوحى الله تعالى اليه أتحب ذلك قال نعم قال الله تعالى قد جعلت حياتهم على يديك قال فوقف حزقيل وناداهم وقال أيتها العظام البالية ان الله تبارك وتعالى يأمرك ان تكتسي لحما وجلدا ودما وعروقا وعصبا ثم نادى أيتها الارواح ان الله تعالى يأمرك ان تعودي الى أجسادك فقام الاموات جميعا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وهم يكبرون الله تعالى ورجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا حتى ماتوا الا جالهم وكانوا يعرفون انهم كانوا أمواتا بسحنة الموت على وجوههم قال ابن عباس رضي الله عنهما

آخر

فانها توجد اليوم تلك الرائحة فى ذلك السبط من اليهود ه

آخر رب حريص على سكوتك اذ لا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك اذ لا تتكلم وقال آخر كم اماتت هذه النفس لئلا تموت وقد ماتت وقال آخر وكان صاحب كتب الحكمة قد كنت تأمرنى ان لا ابعد عنك فاليوم لا اقدر على الدنو منك وقال آخر هذا يوم عظيم أقبل من شره ما كان مدبرا وادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك وقال آخر يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الذباب وقال آخر يا من ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعرى كيف حالك بما احتوى عليك منها وقال آخر اعجبوا ممن كان هذا سبيله كيف شهر نفسه بجمع الاموال الحطام البائد والهشيم النافد وقال آخر أيها الجمع الحافل والملتى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغى والفساد وقال آخر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى وظل الغمام كيف انجلى وقال آخر يا من كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت وقال آخر قد رأيتم هذا الملك الماضى فليتعظ به هذا الملك الباقى وقال آخر ان الذى كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت وقال آخر سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال آخر مالك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل بملك الارض بل مالك لا ترغب عن ضيق المكان الذى أنت فيه وقد كنت ترغب عن رحب البلاد وقال آخر ان دنيا يكون هذا فى آخرها فالزهد أولى ان يكون فى أولها وقال صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت النضائد ولا أرى عميد القوم وقال صاحب بيت ماله قد كنت تأمرنى بالادخار فالى من أدفع ذخائرك وقال آخر هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طويت منها فى سبعة أشبار ولو كنت بذلك موقنا لم تحمل على نفسك فى الطلب وقالت زوجته روشنك ما كنت احسب ان غالب دارا يغلب فان الكلام الذى سمعت منكم فيه شماتة فقد خلف الكاس الذى شرب به ليشرب به الجماعة وقالت امه حين بلغها موته لئن فقدت من ابنى أمره لم يفقد من قلبى ذكره فهذا كلام الحكماء فيه مواعظ وحكم حسنة فلهذا أثبتناه ومن حيل الاسكندر فى حروبه انه لما حارب دارا خرج الى بين الصفين وأمر مناديا فنادى يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبتم الينا وما كتبنا اليكم من الامان فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل فانه يرى منا الوفاء فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا ومن حيله انه تلقاه ملك الهند بالفيلة فنفرت خيل أصحابه عنها فعاد عنه وأمر باتخاذ فيلة من نحاس وألبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتى ألفتها ثم عاد الى الهند فخرج اليهم ملك الهند فأمر الاسكندر بتلك الفيلة فملئت بطونها من النفط والكبريت وجرت على العجل الى وسط المعركة ومعها جمع من أصحابه فلما انتشبت الحرب أمر باشعال النار فى تلك الفيلة فلما حميت انكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحترقت وولت هاربة راجعة على الهند فانهزموا بين يديها ومن حيله انه نزل على مدينة حصينة وكان بها كثير من الاقوات وبها عيون ماء فعاد عنها فارسل اليها قوما على هيئة التجار ومعهم امتعة يبيعونها وأمرهم بمشترى الطعام والمغالاة فى ثمنها فاذا صار عندهم أحرقوه وهربوا

(الفصل الثانى والعشرون فى ذكر الياس عليه السلام)

وهو الياس بن ياسين بن فنحاص ابن العيزار بن هرون عليه السلام بعثه الله تعالى الى اهل بعلبك وكانوا يعبدون صنما اسمه بعل وكان طوله عشرين ذراعا وملكهم يومئذ اسمه اجب واسم امرأته اربيل وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فتحكم بين الناس وكانت كافرة قتالة للانبياء وقد قتلت منهم خلقا كثيرا وهى التى قتلت يحيى بن زكريا عليه السلام وكانت بنت ملك صيدا وعمرت دهرا طويلا وتزوجها سبعة من ملوك بنى اسرائيل وما ملك الا وتقتله بالاغتيال وولدت سبعين ولدا فلما تمادى قومه فى الطغيان دعا عليهم الياس عليه السلام فامسك الله تعالى الغيث عنهم ثلاث سنين حتى هلكت مواشيهم ودوابهم فسألوه أن يدعو لهم فدعا لهم فجاءهم المطر فقالوا ليس عندنا من الحبوب ما نزرعه فاوحى الله الى الياس ان يبذروا الملح فى الارض ففعلوا فانبت الله لهم الحمص فلما رأوا ذلك لم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما رأى الياس عليه السلام ذلك منهم سأل ربه أن يخرجه من بينهم فاوحى الله تعالى اليه ان انتظر يوم كذا فما جاءك من شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس عليه السلام فى ذلك اليوم ومعه تلميذه اليسع عليه السلام فاذا بفرس

من نار بين يديه فركبه الياس عليه السلام فانطلق به الفرس طائرا فى الجو فناداه اليسع وهو فى الجو يا

الياس بماذا تأمرني فقذف اليه كساءه من الجو فكان ذلك علامة استخلافه على بني اسرائيل ورفع عن الياس لذة

فعملوا ذلك وهربوا اليه فانفذ السرايا الى سواد تلك المدينة وأمرهم بالغارة مرة بعد أخرى فهربوا ودخلوا البلد ليحتموا به فسار الاسكندر اليهم فلم يمتنعوا عليه وكتب الى ارسطاطاليس يذكر له ان من خاصة الروم جماعة لهم همم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة وانه يخافهم على نفسه ويكره قتلهم بالظنة فكتب اليه ارسطاطاليس فهمت كتابك فان ماذكرت من بعد هممهم فان الوفاء من بعد الهمة وكبر النفس والغدر من دناءة النفس وخبثها واما شجاعتهم ونقص عقولهم فمن كانت هذه حاله فرفهه في معيشته واخصصه بحسان النساء فان رفاهية العيش تميت الشجاعة وتحبب السلامة واياك والقتل فانه زلة لا تستقال وذنب لا يغفر وعاقب بدون القتل تكن قادرا على العفو فما احسن العفو من القادر وليحسن خلقك تخلص لك النيات بالمحبة ولا تؤثر نفسك على اصحابك فليس مع الاستئثار محبة ولا مع المواساة بغضة وكتب الى ارسطاطاليس أيضا لما ملك بلاد فارس يذكر له انه رأى بايران شهر رجالا ذوي رأي وصرامة وشجاعة وجمال وانساب رفيعة وانه انما ملكهم بالحظ والاتفاق وانه لا يأمن ان سافر عنهم فقارقهم وثوبهم وانه لا يكفي شرهم الا بيوارهم فكتب اليه قد فهمت كتابك في رجال فارس فاما قتلهم فهو من الفساد والبغي الذي لا يؤمن عاقبته ولو قتلتهم لانبت أهل البلاد امثالهم وصار جميع اهل البلاد اعداءك بالطبع واعداء عقبك لانك تكون قد وترتهم في غير حرب واما اخراجك اياهم من عسكرك فمخاطرة بنفسك واصحابك ولكني اشير عليك برأي هو ابلغ من القتل وهو ان تستدعي منهم اولاد الملوك ومن يصلح للملك فتقلدهم البلدان وتجعل كل واحد منهم ملكا برأسه فتتفرق كلمتهم ويقع بأسهم بينهم ويجتمعون على الطاعة والمحبة لك ويرون انفسهم صنيعتك ففعل الاسكندر ذلك فهم ملوك الطوائف وقيل في ملوك الطوائف غير هذا السبب ونحن نذكره ان شاء الله

(ذكر من ملك من قومه بعد الاسكندر)

لما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه الاسكندروس فأبى واختار العبادة فملكت اليونان فيما قيل بطليموس بن لاغوس وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ثم ملك بعده بطليموس فيلاذلفوس وكان ملكه اربعين سنة ثم ملك بعده بطليموس اوراغاطس اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس فيلافطر احدى وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس افيفانس اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس اوراغاطس تسعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس ساطر سبع عشرة سنة ثم ملك بعده بطليموس الاخشندر احدى عشرة سنة ثم ملك بعده بطليموس الذي اختفى عن ملكه ثماني سنين ثم ملكت بعده قالوبطرى سبع عشرة سنة وكانت من الحكماء وهؤلاء كلهم من اليونان وكل من كان بعد الاسكندر كان يدعى بطليموس كما كانت تدعى ملوك الفرس اكاسرة وملوك الروم قياصرة وقد ذكر بعض العلماء ان بطليموس صاحب المجسطي وغيره من الكتب لم يكن من هؤلاء الملوك وانما كان ايام ملوك الروم على ما نذكره ان شاء الله تعالى ثم ملك الشام فيما بعد قالوبطرى ملوك الروم فكان أول من ملك منهم جايوس يولوس خمس سنين ثم ملك بعده

الأكل والمشرب وكساه الله تعالى ريشا وجعله أرضيا سماويا ملكيا بشريا مع الملائكة حيث شاء وسلط الله على الملك وزوجته عدوا فقتلهما ولم يوجد من يدفنهما ولم تزل جيفتهما ملقاة على الارض حتى بليت لحومهما وتمزقت أوصالهما وذكر محمد بن جرير الطبري انه يعيش الى يوم ينفخ في الصور ويجتمع في كل موسم بالخضر عليهما السلام روى الحاكم في المستدرك عن أنس رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ونزلنا منزلا فاذا برجل في الوادي يقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة قال فاشرفت عليه فاذا برجل طوله ثلثمائة ذراع فقال من انت قلت أنس خادم النبي عليه السلام قال وأين هو قلت ذا يسمع منك كلامك فجاء وتعانقا وقعدا يتحدثان فقال يارسول الله اني انما آكل في السنة يوما واحدا وهذا يوم فطري فآكل أنا وأنت فنزل عليهما مائدة من السماء عليها خبز وحوت وكرفس فأكلا واطعماني وصلينا العصر ثم ودعه ثم رأيته في السحاب نحو السماء وروى ان الابدال يجتمعون به وسئل الياس هل يوحى اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم لم يوح الي

(الفصل الثالث والعشرون في ذكر اليسع بن اخطوب وما لقي من الخطوب) فهو اليسع بن اخطوب كان تلميذا لالياس عليه السلام وهو يعرف بابن العجوز لان امه

اغسطوس

اغسطوس ستا وخمسين سنة فلما مضى من ملكه اثنتان واربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام وقيل كان بين مولده وقيام الاسكندر ثلثمائة سنة وثلاث سنين

(ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف)

لما مات الاسكندر ملك بلاد الفرس بعده ملوك الطوائف وقد تقدم ذكر السبب في تمليكهم وقيل كان السبب في ذلك ان الاسكندر لما ملك بلاد الفرس ووصل الى ما أراد كتب الى ارسطاطاليس الحكيم انى قد وترت جميع من في بلاد المشرق وقد خشيت ان يتفقوا بعدي على قصد بلادنا وايذاء قومنا وقد هممت ان اقتل اولاد من قتلت من الملوك والحقهم بآبائهم فما ترى فكتب اليه انك ان قتلت أبناء الملوك افضى الملك الى السفل والانذال والسفل اذا ملكوا قدروا واذا قدروا طغوا وبغوا وظلموا وما يخشى من معرتهم اكثر والرأى ان تجمع ابناء الملوك فتملك كل واحد منهم بلدا واحدا وكورة واحدة فان كل واحد منهم يقوم في وجه الآخر يمنعه عن بلوغ غرضه خوفا على ما بيده فتتولد العداوة بينهم فيشتغل بعضهم ببعض فلا يتفرغون الى من بعدهم فعندها قسم الاسكندر بلاد المشرق على ملوك الطوائف ونقل عن بلادهم النجوم والحكمة وكان من حالهم بعد الاسكندر ما ذكره ارسطاطاليس واشتغلوا عن قصد اليونان وكان ارسطاطاليس من أفضل الحكماء وأعلمهم وكان الاسكندر يصدر عن رأيه وأخذ الحكمة عن افلاطون تلميذ سقراط وسقراط تلميذ اوسيلاوس في الطبيعيات دون غيرها ومعناه راس السباع وكان اوسيلاوس تلميذ انكساغورس الا ان ارسطاطاليس خالف استاذه في عدة مسائل فلما قيل له في ذلك قال افلاطون صديقي والحق صديق الا ان الحق اولى بالصداقة منه وقد اختلف العلماء في الملك الذي كان بسواد العراق بعد الاسكندر وعدد ملوك الطوائف الذين ملكوا اقليم بابل فقال هشام بن الكلبي وغيره ملك بعد الاسكندر بلاقس سلبقيس ثم انطيخس وهو الذي بنى مدينة انطاكية وكان في ايدي هؤلاء الملوك سواد الكوفة اربعا وخمسين سنة وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الاهواز وفارس

(ذكر ملك اشك بن اشكان)

ثم خرج رجل يقال له اشك وهو من ولد دارا الاكبر وكان مولده ومنشؤه بالري فجمع جمعا كبيرا وسار يريد انطيخس وزحف اليه انطيخس والتقيا ببلاد الموصل فقتل انطيخس وملك اشك السواد وصار بيده من الموصل الى الري واصبهان وعظمته سائر ملوك الطوائف لسنه وشرفه وفعله وبدءوا به في كتبهم وسموه ملكا من غير ان يعزل احدا منهم ثم ملك بعده ابنه سابور بن اشك

(ذكر ملك جوذرز)

ثم ملك بعد سابور جوذرز بن اشكان وهو الذي غزا بني اسرائيل في المرة الثانية وسبب تسلط الله اياه عليهم قتلهم يحيى بن زكريا فاكثر القتل فيهم فلم يعد لهم جماعة كجماعتهم الاولى ورفع الله منهم النبوة وأنزل بهم الذل وقيل ان الذي غزا بني اسرائيل طيطوس بن اسفيانوس ملك الروم فقتلهم وسباهم وخرب بيت المقدس وقد كانت الروم غزت بلاد

ولدته وهي عجوز عقيم بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل بعد ان رفع الياس عليه السلام فآمنوا به وحكم فيهم بما أمره الله تعالى الى ان قبض وعاش اربعمائة سنة وستين ودفن بقرية تستر من اعمال اذرع ولم يزل امر بني اسرائيل في ادبار لكثرة التخابط وسلط الله عليهم ملكا أخذ منهم التابوت وحمله الى بابل

(في ذكر السكينة والتابوت وما أودع فيهما من سر ذي الملكوت)

ورد في الخبر ان الله تبارك وتعالى لما اهبط آدم عليه السلام الى الدنيا اهبط عليه تابوتا من الجنة فيه بيوت الانبياء من ذريته على عدد الانبياء والرسل عليهم السلام كل نبي قائم واسمه مكتوب على جبهته وفي آخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم واذا هو قائم يصلي وعلى يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبهته أبو بكر الصديق وعن يساره عمر الفاروق مكتوب على جبهته لا تأخذه في الله لومة لائم ومن ورائه عثمان بن عفان مكتوب على جبهته بار من البررة وبين يديه علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين شاهرا سيفه على عاتقه مكتوب على جبينه هذا أخوه وابن عمه المؤيد بنصر من الله عز وجل وحوله اعمامه واصحابه نور حوافر خيولهم مثل نور الشمس وكان طول التابوت ثلاثة اذرع في عرض ذراعين وكان من خشب الشمشار وهو محلى بالذهب قال السدي ان موسى عليه السلام قد ضرب التابوت من ذهب من ستمائة ألف مثقال وسبعمائة مثقال وكان في التابوت طست من ذهب كان تغسل فيه قلوب الانبياء

فارس بالطبون ثارا لنفسه وملك بابل جمشيد بلاش ابو اردوان الذي قتله اردشير بن بابك فكتب بلاش الى ملوك الطوائف يعلمهم ما اجمعت عليه الروم من غزو بلادهم وما حشدوا وجمعوا وانه ان عجز عنهم ظفروا بهم جميعا فوجه كل ملك من ملوك الطوائف الى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته فاجتمع عنده اربعمائة ألف رجل فولى عليهم صاحب الحضر وكان له ما بين السواد والجزيرة فلقى الروم وقتل ملكهم واستباح عسكرهم وذلك الذي هيج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من رومية اليها وكان الذي انشأها قسطنطين الملك وهو اول من تنصر من ملوك الروم وأجلى من بقى من بنى اسرائيل عن فلسطين والشام لقتلهم عيسى بزعمهم واخذ الخشبة التي يزعمون انهم صلبوا المسيح عليها فعظمها الروم وادخلوها خزائنهم وهى عندهم الى اليوم ولم يزل ملك فارس متفرقا حتى ملك اردشير بن بابك ولم يبين هشام مدة ملكهم وقال غيره من اهل العلم باخبار فارس ملك بلادهم بعد الاسكندر ملوك من غير الفرس كانوا يطيعون كل من ملك بلاد الجبل وهم الاشغانيون الذين يدعون ملوك الطوائف وكان ملكهم مائتي سنة وقيل كان ملكهم ثلثمائة وأربعين سنة ملك من هذه السنين اشك بن اشكان عشرين سنة ثم ابنه سابور ستين سنة وفى احدى وأربعين سنة من ملكه ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان تيطوس بن اسفيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع المسيح بنحو من اربعين سنة فملك المدينة وقتل وسبى وأخرب المدينة ثم ملك جوذرز بن اشغان الاكبر عشر سنين ثم ملك بيزن الاشغانى احدى وعشرين سنة ثم ملك جوذرز الاشغانى تسعا وثمانين سنة ثم ملك نرسى الاشغانى اربعين سنة ثم ملك هرمز الاشغانى سبع عشرة سنة ثم ملك اردوان الاشغانى اثنتين وعشرين سنة ثم ملك كسرى الاشغانى اربعين سنة ثم ملك بلاش الاشغانى اربعا وعشرين سنة ثم ملك اردوان الاصغر ثلاث عشرة سنة ثم ملك اردشير بن بابك وقال بعضهم ملك بلاد الفرس بعد الاسكندر ملوك الطوائف الذين فرق الاسكندر المملكة بينهم وتفرد بكل ناحية من ملك عليها من حين ملكه عليها ما خلا السواد فانه كان اربعا وخمسين سنة بعد هلاك الاسكندر فى يد الروم وكان فى ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك قد ملك الجبال واصبهان ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد وكانوا ملوكا عليها وعلى الماهات والجبال واصبهان كالرئيس على سائر ملوك الطوائف لان العادة جرت بتقديمه وتقديم ولده ولذلك قصدنا ذكرهم فى كتب سير الملوك فاقتصرنا على ذكرهم دون غيرهم فكانت مدة ملوك الطوائف مائتى سنة وستين سنة وقيل ثلاثمائة واربعا واربعين سنة وقيل خمسمائة وثلاثا وعشرين سنة والله اعلم فمن الملوك الذين ملكوا الجبال ثم تهيأت بعد أولادهم الغلبة على السواد اشك بن حره وهو من ولد اسفنديار بن بشتاسب فى قول وبعض الفرس زعم ان اشك بن دارا قال بعضهم اشك بن أشكان الكبير هو من ولد كيكاوس وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده اشك ابنه احدى وعشرين سنة ثم ملك ابنه سابور ثلاثين سنة ثم ملك ابنه جوذرز عشر سنين ثم ملك ابنه بيرى احدى وعشرين سنة ثم ملك ابنه جوذرز الاصغر تسع عشرة سنة ثم ابنه نرسه

ومكسرات الالواح وكان من زمرد اخضر فيها كتابة من الذهب وعصا موسى ونعلاه وعمامة هرون وذلك قوله تعالى وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون الآية واختلفوا ان السكينة التى فى التابوت ما هى قال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه ان السكينة ريح خجوج هفافة أى سريعة المرور فى هبوبها وقيل انها حيوان له رأس ووجه كوجه الانسان وسائرها خلق رقيق كالريح والهواء وقال ابن عباس رضى الله عنهما هى روح من الله تعالى يتكلم اذا اختلف بنو اسرائيل فى شئ من امورهم فيخبرهم بشأن ما يريدون ويحكم بينهم واذا أرادوا قتال عدوهم اماهم وبين أيديهم فينتصرون على عدوهم

• (الفصل الرابع والعشرون فى ذكر يونس عليه السلام) •

وهو يونس بن متى وهو ذو النون واختلف فى زمان مبعثه فقيل بعث بعد سليمان عليه السلام وقيل بعد الياس وقيل بعد شعيب عليه السلام وكان متى رجلا من أهل بيت النبوة وقيل متى اسم امه قال القرطبى فى تفسيره وهو ابن العجوز الذى نزل عندها الياس عليه السلام فاستخفى عندها من قومه ستة اشهر ويونس صبى يرضع وكانت ام يونس تخدم الياس بنفسها ثم ان الياس عليه السلام ضاق صدره ولحق بالجبال ومات ابن المرأة يونس فخرجت فى اثر الياس تطوف الجبال حتى وجدته فسألته ان يدعو الله تعالى لها لعله يجيء ولدها فجاء الياس الى الصبي بعد اربعة عشر يوما من موته فتوضأ وصلى ودعا الله تعالى فاحيا الله يونس بن اربعين

اربعين سنة ثم هرمز بن بلاش بن اشكان سبع عشرة سنة ثم اردوان الاكبر بن اشكان اثنتى عشرة سنة ثم كسرى بن اشكان اربعين سنة ثم اردوان الاصغر ابن بلاش ثلاث عشرة سنة وكان اعظم ملوك الاشكانية واظهرهم واعزهم قهر الملوك ثم ملك اردشير ابن بابك وجمع مملكة الفرس على ما نذكره ان شاء الله وقد عد بعضهم فى اسماء الملوك غير ما ذكرنا لا حاجة الى الاطالة بذكره وقد ذكرنا بعض ما قيل عند ملك اردشير بن بابك

(ذكر الاحداث ايام ملوك الطوائف فمن ذلك ذكر المسيح عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام)

انما جمعنا هذين الامرين العظيمين فى هذه الترجمة لتعلق أحدهما بالآخر فنقول كان عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود وكان آل ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم وكان متزوجا بحنة بنت فاقوذ وكان زكريا بن برخيا متزوجا باختها ايشاع وقيل كانت ايشاع اخت مريم بنت عمران وكانت حنة قد كبرت وعجزت ولم تلد ولدا فبينما هى فى ظل شجرة ابصرت طائرا يزق فرخا له فاشتهت الولد فدعت الله ان يهب لها ولدا ونذرت ان رزقها ولدا أن تجعله من سدنة بيت المقدس وخدمته فحررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو وكان النذر المحرر عندهم ان يجعل للكنيسة يقوم بخدمتها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير فان أحب ان يقيم فيها أقام وان أحب ان يذهب ذهب حيث شاء ولم يكن يحرر الا الغلمان لان الاناث لا يصلحن لذلك لما يصيبهن من الحيض والاذى ثم هلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هى أنثى فقالت عند ذلك رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وانى سميتها مريم وهى بلغتهم العابدة ثم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يلون من بيت المقدس ما يلى بنو شيبة من الكعبة فقالت دونكم هذه المنذورة فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا انا احق بها لان خالتها عندى فقالوا لكنا نقترع عليها فالقوا اقلامهم فى نهر جار قيل هو نهر الاردن فالقوا فيه اقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فاخذها وكفلها وضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى كبرت فبنى لها غرفة فى المسجد لا يرقى اليها الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء فيقول أنى لك هذا فتقول هو من عند الله فلما رأى زكريا ذلك منها دعا الله تعالى ورجا الولد حيث رأى فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فقال ان الذى فعل هذا بمريم قادر على ان يصلح زوجتى حتى تلد فقال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فبينما هو يصلى فى المذبح الذى لهم فاذا هو برجل شاب هو جبريل ففزع زكريا منه فقال له ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله يعنى عيسى ابن مريم عليه السلام ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك ان أمه كانت حاملا به فاستقبلت مريم وهى حامل بعيسى فقالت لها يا مريم أحامل أنت فقالت لماذا تسألينى قالت لما انى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك تصديقه وقيل صدق المسيح عليه

وكان لهم ملك يقال له ملعب بن الارشاد وكانوا يعبدون الاصنام فاقام يونس عليه السلام يدعوهم الى الاسلام تسع سنين فلم يؤمنوا وسألوه بان يظهر نارا من ماء ويوقدها بالحطب ففعل فلم يؤمنوا وقيل اقام يدعوهم ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به الا رجلان فلما يئس من ايمانهم اتاه جبريل عليه السلام فقال له يا يونس انطلق الى اهل نينوى وانذرهم ان العذاب قد حضرهم فاخبرهم بذلك فلم يرجعوا فلما كان الليل خرج يونس وزوجته وولداه فاصبحوا ولم يجدوا يونس فتيقنوا العذاب فتابوا ورجعوا الى الله تعالى وفرقوا بين كل والدة وولدها فلبسوا المسوح وردوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر الذى كان اغتصبه ووضعه فى الاساس فيقلعه ويرده الى صاحبه وهم يقولون اين انت يا يونس فانا لا نعود الى مخالفتك فلم يجدوا ابدا من الايمان فقالوا ان يكن يونس قد غاب عنا فان الهه لا يغيب فخرجوا الى ظاهر البلد يبكون ويتضرعون الى الله تعالى وقالوا الهنا انا قد آمنا بك وبنبيك يونس وبجميع الانبياء والمرسلين فاغفر لنا ذنوبنا واكشف عنا العذاب ثم خروا باجمعهم ساجدين لله تعالى فلما فعلوا ذلك اوحى الله تعالى الى ملائكة العذاب ان ارجعوا فقد حق القول منى ان لا اعذب قوما حدونى فرجعوا الى المدينة مؤمنين آمنين واختلف فى وقوع العذاب والاصح انه لم يقع بهم العذاب وانما رأوا العلامة

التي تدل على العذاب ولو عاينوا شيأ منه لما نفعهم الايمان وذلك انهم رأوا غيما اسود هائلا بدخان شديد حتى غشي

مدينتهم واسودت سطوحهم وقام يونس لينظر الى اخبار المدينة وما نزل بقومه من العذاب فلقيه ابليس في صورة شيخ فقال له يونس أيها الشيخ من اين اقبلت قال من بلد نينوى قال فما نزل بهم اليوم فقال كان يونس قد وعدنا بالعذاب ولم يكن وعلمنا انه كاذب قال فغضب يونس وقال لا اعود الى قوم كذبوني وكان معه زوجته وولداه فبلغ شاطئ دجلة فاخذ ولده الاكبر وعبر به الماء ثم رجع فاخذ ولده الاصغر فلما صار في وسط الدجلة ازداد الماء حتى غرق الولد وبادر ذئب فحمل ولده الذي كان عبر به الماء فخرج يونس من الماء وجعل يعدو خلف الذئب فالتفت الذئب اليه وقال ارجع يا يونس لا سبيل لك الى ولدك فرجع ولم يجد زوجته فجلس باكيا حزينا وسار على وجهه حتى لحق بالبحر فاذا هو بسفينة مارة فلوح اليهم فرحموه وحملوه فساروا واغير بعيد اذ جاءهم ريح عاصف كادت السفينة ان تغرق فاجتمع اهل السفينة فقالوا هذه بخطيئة أحدكم فقال يونس ان فيها عبدا آبقا من ربه وانها لن تسكن حتى تلقوه في البحر فبيناهم كذلك اذ رفع حوت عظيم رأسه اليهم واراد أن يبتلع السفينة فقال لهم يونس هذا من اجلي فلو طرحتموني في البحر لسرتم ولذهب الريح عنكم قالوا لا نطرحك حتى نتساهم فمن وقعت عليه المساهمة رميناه في البحر قال فتساهموا ثلاث مرات فوقعت عليه فذلك قوله تعالى فساهم فكان

السلام وله ثلاث سنين وسماه الله تعالى ولم يكن قبله من تسمى هذا الاسم قال الله تعالى لم نجعل له من قبل سميا وقال تعالى والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا قيل اوحش ما يكون ابن آدم في هذه الايام الثلاثة فسلمه الله تعالى من وحشتها وانما ولد يحيى قبل المسيح بثلاث سنين وقيل بستة أشهر وكان لا يأتي النساء ولا يلعب مع الصبيان قال رب أنى يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر وكان عمره اثنتين وتسعين سنة وقيل مائة وعشرين سنة وكانت امرأته ابنة ثمان وتسعين سنة فقيل له كذلك الله يفعل ما يشاء وانما قال ذلك استخبارا هل يرزق الولد من امرأته العاقر أم غيرها لا انكارا للقدرة قال الله تعالى قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا اذا امسك الله لسانه عقوبة لسؤاله الآية والرمز الاشارة فلما ولد رآه أبوه حسن الصورة قليل الشعر قصير الاصابع مقرون الحاجبين دقيق الصوت قويا في طاعة الله تعالى كان صبيا قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل انه قال له يوما الصبيان امثاله يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وكان يأكل العشب وأوراق الشجر وقيل كان يأكل خبز الشعير ومر به ابليس ومعه رغيف شعير فقال أنت تزعم انك زاهد وقد ادخرت رغيف شعير فقال يحيى يا ملعون هو القوت فقال ابليس ان الاقل من القوت يكفي لمن يموت فاوحى الله اليه اعقل ما يقول لك وبني صغيرا فكان يدعو الناس الى عبادة الله ولبس الشعر فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن اليه أين ما جنه الليل أقام ولم يكن له عبد ولا أمة واجتهد في العبادة فنظر يوما الى بدنه وقد نحل فبكى فاوحى الله اليه يا يحيى اتبكي لما نحل من جسمك وعزتي وجلالي لو اطلعت في النار اطلاعة لتدرعت الحديد عوض الشعر فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فبلغ ذلك امه فدخلت عليه واقبل زكريا ومعه الاحبار فقال يا بني ما يدعوك الى هذا قال انت امرتني بذلك حيث قلت ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا البكاؤن من خشية الله فقال فابك واجتهد اذن فنسجت له امه قطعتي لبد على خديه تواري اضراسه فكان يبكي حتى يبلهما وكان زكريا اذا أراد أن يعظ الناس تلطف ان كان يحيى حاضرا لم يذكر جنة ولا نارا وبعث الله عيسى رسولا فنسخ بعض أحكام التوراة فكان مما نسخ انه حرم نكاح بنت الاخ وكان لملكهم واسمه هيرودس بنت أخ تعجبه يريد ان يتزوجها فنهاه يحيى عنها وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها فلما بلغ ذلك امها قالت لها اذا سألك الملك ما حاجتك فقولي ان تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه وسألها ما حاجتك قالت أريد أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلي غير هذا قالت ما اسألك غيره فلما أبت دعا بيحيى ودعا بطست فذبحه فلما رأت الرأس قالت اليوم قرت عيني فصعدت الى سطح قصرها فسقطت منه الى الارض ولها كلاب ضارية تحته فوثبت الكلاب عليها فاكلتها وهي تنظر وكان آخر ما أكل منها عيناها لتعتبر فلما قتل بدرت قطرة من دمه على الارض فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم فجاءته امرأة فدلته على ذلك الدم فالقى الله في قلبه ان يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن فقتل منهم سبعين ألفا حتى سكن الدم وقال السدي هو هذا غير انه قال اراد الملك ان يتزوج

بنت

بنت امرأته فنهاه يحيى عن ذلك فطلبت المرأة من الملك قتل يحيى فارسل اليه فقتله واحضر رأسه فى طست وهو يقول له لا تحل لك فبقى دمه يغلى فطرح عليه تراب حتى بلغ سور المدينة فلم يسكن الدم فسلط الله عليهم بختنصر فى جمع عظيم فحصرهم فلم يظفر بهم فاراد الرجوع فاتته امرأة من بنى اسرائيل فقالت بلغنى انك تريد العود قال نعم قد طال المقام وجاع الناس وقلت الميرة بهم وضاق عليهم فقالت ان فتحت لك المدينة أتقتل من آمرك بقتله وتكف اذا آمرتك قال نعم قالت اقسم جندك اربعة أقسام على نواحى المدينة ثم ارفعوا أيديكم الى السماء وقولوا اللهم انا نستفتحك على دم يحيى بن زكريا ففعلوا فخرب سور المدينة فدخلوها فأمرتهم العجوز ان يقتلوا على دم يحيى بن زكريا حتى يسكن فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفا وسكن الدم فامرته بالكف وكف وخرب بيت المقدس وامر ان تلقى فيه الجيف وعاد ومعه دانيال وغيره من وجوه بنى اسرائيل منهم عزريا وميشائيل ورأس الجالوت فكان دانيال اكرم الناس عليه فحسدهم المجوس وسعوا بهم الى بختنصر وذكر نحو ما تقدم من القائهم الى السبع ونزول الملك عليهم ومسخ بختنصر ومقامه فى الوحش سبع سنين وهذا القول ومالم نذكره من الروايات من ان بختنصر هو الذى خرب بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا باطل عند أهل السير والتاريخ وأهل العلم بامور الماضين وذلك انهم أجمعون مجمعون على ان بختنصر غزا بنى اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا فى عهد أرميا بن حلقيا وبين عهد ارميا وقتل يحيى اربعمائة سنة واحدى وستون سنة عند اليهود والنصارى ويذكرون ان ذلك فى كتبهم وأسفارهم مبين وتوافقهم المجوس فى مدة غزو بختنصر بنى اسرائيل الى موت الاسكندر وتخالفهم فى مدة ما بين موت الاسكندر ومولد يحيى فيزعمون ان مدة ذلك كانت احدى وخمسين سنة (واما ابن اسحق) فانه قال الحق ان بنى اسرائيل عمروا بيت المقدس بعد مرجعهم من بابل وكثروا ثم عادوا يحدثون الاحداث و يعود الله سبحانه عليهم و يبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكريا وابنه يحيى وعيسى بن مريم عليهم السلام فقتلوا يحيى وزكريا فابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له جودرس فسار اليهم حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم بيت المقدس قال لقائد عظيم من عسكره اسمه نبوزاذان وهو صاحب الفيل انى كنت حلفت لئن انا ظفرت ببنى اسرائيل لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى الا ان لا أجد من أقتله وأمره ان يدخل المدينة ويقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم فدخل نبوزاذان المدينة فاقام فى المدينة التى يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فقال يا بنى اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلى فقالوا هذا دم قربان لنا لم يقبل فلذلك هو يغلى فقال ما صدقتمونى الخبر فقالوا انه قد انقطع منا الملك والنبوة فلذلك لم يقبل منا فذبح منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رؤسهم فلم يهدأ فأمر بسبعمائة من علمائهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم يا بنى اسرائيل أصدقونى واصبروا على امر ربكم فقد طال ما ملكتم فى الارض تفعلون ما شئتم قبل ان لا أدع منكم نافخ نار ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه

فتحاماه ثم جاؤا به الى جانب آخر فاذا بالحوت فتحاماه كالاول فلما رأى ذلك القى بنفسه فالتقمه الحوت وهو مليم يعنى يلوم نفسه وكان ذلك فى جوف الليل قال ابن مسعود رضى الله عنه فابتلع الحوت حوت آخر فصار فى ظلمات ثلاث وهو يسمع تسبيح الحصى الذى فى قعر البحر ذكر الشيخ عبد القادر الكيلانى فى معراج لطيف المعانى ان الله تعالى أوحى اليه وقال يا يونس من اشتغل بغيرى احرمه جزيل خيرى واعتبر بقارون حين استغاث بموسى فلقى حنقا ويونس فنادى فى الظلمات الثلاث المذكورات لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فلما سمعت الملائكة صوته قالت الهنا هذا صوت يونس ولا ندرى فى اى موضع هو قال هو فى قعر البحر فى بطن الحوت قالت الهنا هل فعل ذنبا قال لا الا انى ادبته وعلى عجائب قدرتى وملكوتى فرجته وهو يسبحنى ويقدسنى وكان نودى فى سره يا يونس يكون لك معى خلوة فى قرار البحر ما نالها أحد غيرك قال ومن يحملنى الى قرار البحر يا ذا العزة والجبروت قال يحملك بقدرتى الحوت قال كعب الاحبار كان هذا البحر بحر الروم له سبعمائة الف باب الى البحار كلها فادخل الحوت يونس الى هذه الابواب كلها وهو يقول له هذا باب كذا وهذا باب

كذا ويونس يسمع لغات الحيتان وخلائق الماء ويسمع تسبيحهم بلغات مختلفة ويقال ان الله عز وجل رقق له جلد

الخبر وقالوا هذا نبى كان ينهانا عن كثير ما يسخط الله ويخبرنا بخبركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه فقال ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتم ولمثل هذا انتقم ربكم منكم وخر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من ههنا من جيش جودرس فقعلوا وخلا فى بنى اسرائيل ثم قال للدم يا يحيى قد علم ربى وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ باذن الله قبل ان لا يبقى من قومك أحد فسكن الدم ورفع نبوزاذان القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وايقنت انه لا رب غيره ثم قال لبنى اسرائيل ان جودرس امرنى ان اقتل فيكم حتى تسيل دماؤكم فى عسكره ولست استطيع ان اعصيه قالوا افعل فامرهم ان يحفروا حفيرة وأمر بالخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والابل فذبحها حتى كثر الدم واجرى عليه ماء فسال الدم فى العسكر فامر بالقتلى الذين كانوا قتلهم فالقوا فوق المواشى فلما نظر جودرس الى الدم قد بلغ عسكره ارسل الى نبوزاذان ان ارفع القتل عنهم فقد انتقمت منهم بما فعلوا وهى الوقعة الاخيرة التى أنزل الله ببنى اسرائيل يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وعد من الله حق وكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده ثم رد الله سبحانه لهم الكرة ثم كانت الوقعة الاخيرة جودرس وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبى ذراريهم ونسائهم يقول الله تعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا وزعم بعض أهل العلم ان قتل يحيى كان أيام أردشير بن بابك وقيل كان قتله قبل رفع المسيح عليه السلام بسنة ونصف والله أعلم

(ذكر قتل زكريا)

لما قتل يحيى وسمع أبوه بقتله فر هاربا فدخل بستانا عند بيت المقدس فيه اشجار فارسل الملك فى طلبه فمر زكريا بالشجرة فنادته هلم الى يا نبى الله فلما أتاها انشقت فدخلها فانطبقت عليه وبقى فى وسطها فأتى عدو الله ابليس فاخذ هدب ردائه فاخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم ثم لقى الطلب فاخبرهم فقال لهم ما تريدون فقالوا نلتمس زكريا فقال انه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخلها قالوا لا نصدقك قال فان لى علامة تصدقونى بها فاراهم طرف ردائه فاخذوا الفؤس وقطعوا الشجرة باثنتين وشقوها بالمناشير فمات زكريا فيها فسلط الله عليهم أخبث أهل الارض فانتقم به منهم وقيل أن السبب فى قتله ان ابليس جاء الى مجالس بنى اسرائيل فقذف زكريا بمريم وقال لهم ما احبلها غيره وهو الذى كان يدخل عليها فطلبوه فهرب وذكر من دخوله الشجرة نحو ما تقدم

بطن الحوت حتى ينظر الى جميع ما فى البحر فلم يزل الحوت يطوف به البحار كلها وكان مخدوده على كبد الحوت. روى الطبرانى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى حبس يونس فى بطن الحوت اوحى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما انى لم اجعله لك رزقا ولكن جعلت بطنك له وعاء ومسجدا وفى معراج لطيف المعالى للشيخ عبد القادر الكيلانى قدس الله سره ان زوج تلك الحوتة قصدها للجماع فقالت انى حاملة وديعة وامانة فلا اشتغل بالشهوات والخيانة فمكث فى بطن الحوت على أصح الروايات اربعين ليلة ينادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس منه يونس عليه السلام فلما وصل الحوت الى الموضع الذى ابتلعه فيه ناداه ملك ان اقذفه من بطنك أيها الحوت فتقدم الى الساحل فقذفه وكان حين خرج من بطن الحوت كهيئة الفرخ الممعوط الذى ليس عليه ريش وهو قطعة لحم لم ينقص من خلقه شئ فانبت الله عليه شجرة اليقطين وكان يوم خروجه من بطن الحوت سابع المحرم ثم امر الله تعالى ظبية فاقبلت اليه ووقفت بين يدى يونس وكلمته باذن الله تعالى وامرته ان يمص من لبنها ليقوى به فما مص وشرب قوى فلم يزل على ذلك اربعين يوما فنام يوما ثم انتبه فرأى اليقطينة قد يبست والظبية غابت عنه فخلس (ذكر

(ذكر ولادة المسيح عليه السلام ونبوته الى آخر أمره)

كانت ولادة المسيح أيام ملوك الطوائف قالت المجوس كان ذلك بعد خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وبعد احدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين وقالت النصارى ان ولادته كانت لمضي ثلثمائة وثلاث وستين سنة من وقت غلبة الاسكندر على ارض بابل وزعموا ان مولد يحيى كان قبل مولد المسيح بستة أشهر وان مريم عليها السلام حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة وقيل عشرين وان عيسى عاش الى ان رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياما وان مريم عاشت بعده ست سنين فكان جميع عمرها احدى وخمسين سنة وان يحيى قتل قبل ان يرفع المسيح وأتت المسيح النبوة والرسالة وعمره ثلاثون سنه وقد ذكرنا حال مريم في خدمة الكنيسة وكانت هي وابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماثان النجار يليان خدمة الكنيسة وكان يوسف حكيما نجارا يعمل بيديه ويتصدق بذلك وقالت النصارى ان مريم كان قد تزوجها يوسف ابن عمها الا انه لم يقرب بها الا بعد رفع المسيح والله أعلم وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف ابن عمها أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التي فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبرائيل نفد ماؤها فقالت ليوسف ليذهب معها الى الماء فقال عندي من الماء ما يكفيني الى غد فأخذت قلتها وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت جبرائيل قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثني اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي مطيعا لله وقيل هو اسم رجل بعينه وتحسبه رجلا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا أي زانية قال كذلك قال ربك الى قوله أمرا مقضيا فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها ثم انصرف عنها وقد حملت بالمسيح وملأت قلتها وعادت وكان لا يعلم في أهل زمانها أعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار وكان معها وهو أول من أنكر حملها فلما رأى الذي بها استعظمه ولم يدر على ماذا يضع ذلك منها فاذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذي بها فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه لها ان قال لها انه قد وقع من أمرك شيء قد حرصت على ان أميته وأكتمه فغلبني فقالت قل قولا جميلا فقال حدثيني هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل ينبت شجر بغير غيث يصيبه قالت نعم قال فهل يكون ولد بغير ذكر قالت له نعم ألم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه بغير بذر ألم تعلم ان الله خلق الشجر من غير مطر وانه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعدما خلق كل واحد منها وحده أو تقول لن يقدر الله على ان ينبت حتى يستعين بالبذر والمطر قال يوسف لا أقول هكذا ولكني أقول ان الله يقدر على ما يشاء انما يقول لذلك كن فيكون قالت له ألم تعلم ان الله خلق آدم وحواء من غير ذكر ولا انثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شيء من الله لا يسعه ان يسألها عنه لما رأى من كتمانها له وقيل انها خرجت الى جانب الحجرات لحيض أصابها فاتخذت من دونهم حجابا من الجدران فلما

ولم تحزن على مائة ألف أو يزيدون من اولاد ابراهيم عليه السلام فعند ذلك هبط عليه ملك وأتاه بحلتين فألبسهما وقال له قم يا يونس الى قومك فانهم يتمنون ان يروك فسار يونس عليه السلام حتى وصل الى قرية فرأى رجلا ومعه امرأة وهو ينادي من يحمل هذه المرأة الى بلاد نينوى ويسلمها الى زوجها يونس بن متى وله مائة مثقال من الذهب فنظر يونس عليه السلام الى المرأة فعرفها فاذا هي امرأته فقال أيها الرجل ما قصة هذه المرأة فقال ان هذه كانت جالسة على شاطئ البحر تنتظر زوجها فمر بها ملك من ملوك هذه البلاد فاحتملها الى منزله واراد ان يفجر بها فأيبس الله تعالى يديه ورجليه فسألها ان تدعو له ولا يعود الى ذلك ابدا فدعت له فعافاه الله تعالى فدفعها الي ومائة مثقال من الذهب الاحمر على ان احملها الى بلد نينوى واسلمها الى زوجها يونس ابن متى فقال يونس انا احملها فأعطاه الرجل الذهب وسلم اليه المرأة فسار فرمضين حتى دخل قرية أخرى واذا هو برجل راكب دابة ومن ورائه غلام فنظر اليه يونس فاذا هو ولده الصغير الذي غرق فأخذه واعتنقه فقال له الرجل من انت قال انا يونس بن متى وهذا ولدي فسلم الرجل اليه ولده فسأله يونس عن قصة هذا الغلام قال انا رجل صياد وكنت قد ألقيت الشبكة في طرف دجلة فوقع هذا الغلام في الشبكة وهو حي فأخذته واذا بهاتف يقول احفظ هذا الغلام حتى

طهرت اذا برجل معها وذكر الآيات فلما حملت أتت اختها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما
فتحت لها الباب التزمتها فقالت امرأة زكريا اني حبلى فقالت لها مريم وانا أيضا حبلى
قالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك وولدت امرأة زكريا يحيى
(وقد اختلف) في مدة حملها فقيل تسعة أشهر وهو قول النصارى وقيل ثمانية أشهر فكان
ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية اشهر غيره وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات
وقيل ساعة واحدة وهو أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى فحملته فانتبذت به
مكانا قصيا عقبه بالنباء فلما أحست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقي فاتت اقصاه
فاجاءها المخاض الى جذع النخلة فقالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس يا ليتني
مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا يعني نسي ذكري واثري فلا يرى لي اثر ولا عين قالت مريم
كنت اذا خلوت حدثني عيسى وحدثته فاذا كان عندنا انسان سمعت تسبيحه في بطني
فناداها جبرائيل من تحتها أي من أسفل الجبل لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهو
النهر الصغير اجراه تحتها فمن قرأ من تحتها بكسر الميم جعل المنادي جبرائيل ومن فتحها
قال انه عيسى انطقه الله وهزي اليك بجذع النخلة كان جذعا مقطوعا فهزته فاذا هو نخلة
وقيل كان مقطوعا فلما اجهدها الطلق احتضنته فاستقام واخضر وارطب فقيل لها
وهزي اليك بجذع النخلة فهزته تساقط الرطب فقال لها كلي واشربي وقري عينا فاما
ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا وكان من صام
في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي فلما ولدته ذهب ابليس فاخبر بني اسرائيل ان مريم
قد ولدت فاقبلوا يشتدون يدعونها فاتت به قومها تحمله وقيل ان يوسف النجار تركها
في مغارة أربعين يوما ثم جاء بها الى أهلها فلما رأوها قالوا لها يا مريم لقد جئت شيئا فريا
يا اخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فما بالك أنت وكانت من نسل
هرون أخي موسى كذا قيل قلت انها ليست من نسل هرون انما هي من سبط يهوذا بن
يعقوب من نسل سليمان بن داود وانما كانوا يدعون بالصالحين وهرون من ولد لاوي بن
يعقوب قالت امها ما أمرها الله به بعد ذلك فلما ارادوها بعد ذلك على الكلام أشارت اليه
فغضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا
فتكلم عيسى فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت
وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا فكان اول ما تكلم به العبودية ليكون أبلغ في الحجة
على من يعتقد انه اله وكان قومها قد اخذوا الحجارة ليرجموها فلما تكلم ابنها تركوها ثم لم
يتكلم بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان وقال بنو اسرائيل ما احبلها غير زكريا فانه هو
الذي كان يدخل عليها ويخرج من عندها فطلبوه ليقتلوه ففر منهم ثم ادركوه فقتلوه وقيل
في سبب قتله غير ذلك وقد تقدم ذكره وقيل انه لما ولدته نفساء اوحى الله اليها ان اخرجي من
أرض قومك فانهم ان ظفروا بك عيروك وقتلوا ولدك فاحتملها يوسف النجار وسار بها
الى ارض مصر فلما وصلا الى تخوم مصر ادركها المخاض فلما وضعت وهي محزونة قيل لها
لا تحزني الآية الى انسيا فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء واصبحت الاصنام

يجيء اليك ابوه يونس بن متى فادفعه اليه وسار يونس حتى بلغ قرية من بلد نينوى فاذا هو بغلام يرعى غنما فلما
قارعة الطريق وهو يقول اللهم
اردده علي والذي قرأه يونس فاذا هو
ولده الكبير فاعتنقا وبكيا جميعا ثم قال
يا ابت ان هذه الاغنام لرجل في هذه
القرية فسر معي حتى نردها عليه
فمضيا حتى دخلا القرية واذا بشيخ
كبير جالس على باب داره فاخبره
الغلام ان هذا ابي فقام الشيخ الى
يونس وقبل يديه فقال له يونس هل
تعرف قصة هذا الغلام قال نعم
انا رجل كنت ارعى هذه الغنم
واذا بهذا الغلام على ظهر الذئب
فالقاه بين يدي وكلمني باذن الله
تعالى وقال يا راعي احفظ هذا
الغلام فاذا جاءك يونس بن متى
فادفعه اليه وابنه ثم سار يونس
حتى قرب من المدينة فاذا هو براع
يرعى غنما فوقف عليه وطلب منه
لبنا فقال الراعي يا هذا ما ذقنا لبنا
منذ غاب عنا نبينا يونس عليه
السلام قال يونس للغلام ائتني بنعجة
فأتاه بها فمسح ضرعها فدرت باذن
الله تعالى فحلبها فتعجب الراعي
فقال ان كان يونس حيا فهو انت
قال انا يونس فانكب الغلام على
رجليه فقبلهما ثم قال يا غلام اذهب
الآن الى المدينة واخبر الناس
انك رأيتني فقال يا نبي الله اخشى
ان يكذبوني فقال يونس خذ معك
هذه الاغنام فانها تشهد لك قال
فمضى الراعي بغنمه حتى توسط المدينة
ثم قال أيها الناس ابشروا فقد
رجع الينا نبينا يونس وقد رأيته
فكذبوه فقال انا والله صادق
وهذه الاغنام تشهد لي بصدقي قال فشهدت له الاغنام باذن الله تعالى فتعجبوا واتصل الخبر بالملك فوثب من سريره

منكوسة على رؤسها ونزعت الشياطين فجاؤا الى ابليس فلما رأى جماعتهم سألهم فاخبروه
فقال قد حدث في الارض حادث فطار عند ذلك وغاب عنهم فمر بالمكان الذي ولد فيه عيسى
فرأى الملائكة محدقين به فعلم ان الحدث فيه ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى فعاد
الى اصحابه واعلمهم بذلك وقال لهم ما ولدت امرأة الا وانا حاضر واني لارجو ان اضل
به أكثر ممن يهتدي واحتملته مريم الى أرض مصر فمكثت اثنتي عشرة سنة تكتمه من
الناس فكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبيها قالت والقول الاول في ولادته بارض
قومها والقرآن اصح لقول الله تعالى فأتت به قومها تحمله ولقوله كيف نكلم من كان في
المهد صبيا وقيل ان مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهي
الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل الربوة دمشق وقيل بيت المقدس وقيل غير ذلك
فكان سبب ذلك الخوف من ملك بني اسرائيل وكان من الروم واسمه هيردوس فان
اليهود اغروه بقتله فساروا الى مصر واقاموا بها اثنتي عشرة سنة الى ان مات ذلك الملك
وعادوا الى الشام وقيل ان هيردوس لم يرد قتله ولم يسمع به الا بعد رفعه وانما خافوا اليهود
عليه والله اعلم

(ذكر نبوة المسيح وبعض معجزاته)

لما كانت مريم به نزلت على دهقان وكانت داره يأوي اليها الفقراء والمساكين فسرق
له مال فلم يتهم المساكين فحزنت مريم فلما رأى عيسى حزن امه قال أتريدين ان أدله على
ماله قالت نعم قال انه أخذه الاعمى والمقعد اشتركا فيه حمل الاعمى المقعد فاخذه فقيل
للاعمى احمل المقعد فاظهر العجز فقال له المسيح كيف قويت على حمله البارحة لما
أخذتما المال فاعترفا واعاداه ونزل بالدهقان أضياف ولم يكن عنده شراب فاهتم لذلك
فلما رآه عيسى دخل بيتا للدهقان فيه صفان من جرار فأمر عيسى يده على أفواهها
وهو يمشي فامتلأت شرابا وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة وكان في الكتاب يحدث الصبيان
بما يصنع أهلوهم وبما كانوا يأكلون قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب
غلام على صبي فضربه على رجله فقتله فالقاه بين رجلي المسيح متلطخا بالدم فانطلقوا به الى
الحاكم في ذلك البلد فقالوا قتل صبيا فسأله الحاكم فقال ما قتلته فارادوا ان يبطشوا به
فقال ائتوني بالصبي حتى أسأله من قتله فتعجبوا من قوله واحضروا عنده القتيل فدعا الله
فأحياه فقال من قتلك فقال قتلني فلان يعني الذي قتله فقال بنو اسرائيل للقتيل من هذا
قال هذا عيسى بن مريم ثم مات الغلام من ساعته وقال عطاء سلمت مريم عيسى الى صباغ
يتعلم عنده فاجتمع عند الصباغ ثياب وعرض له حاجة فقال للمسيح هذه ثياب مختلفة
الالوان وقد جعلت في كل ثوب منها خيطا على اللون الذي يصبغ به فاصبغها حتى أعود
من حاجتي هذه فاخذها المسيح والقاها في حب واحد فلما عاد الصباغ سأله عن الثياب
فقال صبغتها فقال أين هي قال في هذا الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدتها على
أصحابها وتغيظ عليه فقال له المسيح لا تعجل وانظر اليها وقام وأخرجها كل ثوب منها
على اللون الذي أراد صاحبه فتعجب الصباغ منه وعلم ان ذلك من الله تعالى ولما عاد

وركب معه جميع اهل المدينة وخرجوا بين يديه وساروا فاذا هم بيونس عليه السلام فلما رآهم بكى بكاء شديدا ثم
احتملوه فادخلوه المدينة واجلسه
الملك مكانه ووقف بين يديه وفرح
اهل المدينة بذلك فرحا شديدا فاقام
يونس فيهم زمانا يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر الى ان مات
الملك فدعا يونس بالغلام الراعي
فاستخلفه مكان الملك (ذكر القطب
الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني
في سراج لطيف المعاني قال ابن
عباس رضي الله عنهما ان نبيين
من الانبياء حصل لهما خلوتان
احدهما يونس في بطن الحوت
والثاني محمد صلى الله عليه وسلم
على بساط القرب من الملكوت
وكان السبب في المعراجين
ان بعض الكفار قال ان السماء لله
والارض والبحار لغير الله فأراد
الله ان يجعل معراج يونس في البحر
في وسط الماء ومعراج محمد صلى الله
عليه وسلم فوق السماء وخرج يونس
عليه السلام ومعه سبعون رجلا
من العباد والزهاد حتى وصل الى
جبل صهيون فكانوا فيه يعبدون
الله تعالى الى ان مات يونس عليه
السلام ودفن في جبل صهيون
وقيل دفن بأرض الموصل وله قبر
هناك يزار ويتبرك به قال الامام
ابو الفتح في كتابه قبر يونس عليه
السلام بالقرية المعروفة بحلحول
على طريق بلدة الخليل عليه السلام
وله قبر هناك يزار ويتبرك به وقد زرته
وقيل ان قبره بالكوفة في ناحية
طبرية

*(الفصل الخامس والعشرون
في ذكر شمويل عليه السلام)* وقيل اسمه اشماويل وهو بالعربية اسمعيل وهو ابن هلقانا من ولد قاهث ابن لاوي بن يعقوب عليه

عيسى وأمه الى الشام نزلوا بقرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى فأقام الى ان بلغ ثلاثين سنة فاوحى الله اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله تعالى ويداوى المرضى والزمنى والاكمه والابرص وغيرهم من المرضى ففعل ما أمر به واحبه الناس وكثر اتباعه وعلا ذكره وحضر يوما طعام بعض الملوك وكان دعا الناس اليه فقعد على قصعة يأكل منها ولا تنقص فقال الملك من انت قال انا عيسى بن مريم فنزل الملك عن ملكه واتبعه فى نفر من أصحابه فكانوا الحواريين وقيل ان الحواريين هم الصباغ الذى تقدم ذكره وأصحاب له وقيل كانوا صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين والله اعلم وكانت عدتهم اثنى عشر رجلا وكانوا اذا جاعوا أو عطشوا قالوا يا روح الله قد جعنا وعطشنا فيضرب بيده الى الارض فيخرج لكل انسان منهم رغيفان ومايشربون فقالوا من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا وسقيتنا فقال افضل منكم من يأكل من كسب يده فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة ولما أرسله الله أظهر من المعجزات انه صور من الطين صورة طائر ثم نفخ فيه فيصير طائرا باذن الله قيل هو الخفاش وكان غالب على زمانه الطب فاتاهم بما أبرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى تعجيزا لهم فمن أحياه عازر وكان صديقا لعيسى فمرض فارسلت اخته الى عيسى ان عازر يموت فسار اليه وبينهما ثلاثة ايام فوصل اليه وقد مات منذ ثلاثة أيام فاتى قبره فدعاله فعاش وبقى حتى ولد له وأحيا امرأة وعاشت وولد لها وأحيا سام بن نوح كان يوما مع الحواريين يذكر نوحا والغرق والسفينة فقالوا لو بعثت لنا من شهد ذلك فاتى تلا وقال هذا قبر سام بن نوح ثم دعا الله فعاش وقال قد قامت القيامة فقال المسيح لا ولكن دعوت الله فاحياك فسألوه فاخبرهم ثم عاد ميتا وأحيا عزيرا النبى قال له بنو اسرائيل احى لنا عزيرا والا أحرقناك فدعا الله فعاش فقالوا ما تشهد لهذا الرجل قال اشهد انه عبد الله ورسوله واحيا يحيى بن زكريا واحيا غير من ذكرناه وكان يمشى على الماء

(ذكر نزول المائدة)

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة وسببه ذلك ان الحواريين قالوا له يا عيسى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فدعا عيسى فقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا فانزل الله المائدة عليها الخبز واللحم يأكلون منها ولا تنفد فقال لهم انها مقيمة مالم تدخروا منها فما مضى يومهم حتى ادخروا وقيل أقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقيل كان عليها من ثمار الجنة وقيل كانت تمد بكل طعام الا اللحم وقيل كانت سمكة فيها طعم كل شئ فلما أكل منها وهم خمسة آلاف وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم قالوا نشهد انك رسول الله ثم تفرقوا وقصدوا بذلك فكذب به من لم يشهده وقالوا سحر اعينكم فافتتن بعضهم وكفر فمسخوا خنازير ليس فيهم امرأة ولا صبى فبقوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا وقيل كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة وهم ينظرون اليها تنزل حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة واليهود ينظرون

السلام بعثه الله تعالى نبيا الى العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين فمكث فيهم عشرين سنة وكان جالوت ملك العمالقة ظهر على بنى اسرائيل وتغلب على ارضهم وسبى كثيرا من ذراريهم وضرب عليهم الجزية فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله فأخبرهم ان الله تعالى بعث لكم طالوت ملكا وهو من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام وكان دباغا وقيل كان سكابا سقاء اهل البلد وسمى طالوت لطوله وكان اجمل بنى اسرائيل وأعلاهم فملكه الله عليهم فقالوا فيه ما قالوا ولم يقبلوه وأخبرهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الذى انتزع منكم وكان أخذه البابليون ومكث عندهم عشر سنين فسمعوا عند الفجر خفيق أجنحة الملائكة تحمل التابوت بين السماء والارض وبنو اسرائيل ينظرون اليه حتى وضعوه بين يدى طالوت فآمنوا حينئذ بنبوة شمويل وبملك طالوت واشتد سلطانه وكثرت عساكره وخرج طالوت لقتال جالوت ومعه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وفيهم ايشا والد داود عليه السلام ومعه بنوه وهم ثلاثة عشر ولدا فكان داود عليه السلام أصغرهم فأوحى الله الى شمويل ان فى ولد ايشا من يقتل جالوت وانما اريد ان اجعله خليفة فى الارض فقال شمويل لايشا أعرض على اولادك فعرض عليه أولاده الا داود فطلبه فرآه رجلا قصيرا مصفرا فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتى وأجرى حكمك فى ملكى فقال نعم قال له طالوت فهل جربت

الى

الى شئ لم يروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحها فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة فقال المسيح لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة انما هو شئ خلقه الله بقدرته فقال لهم كلوا مما سألتم فقالوا له كل أنت يا روح الله فقال معاذ الله أن آكل منها فلم يأكل ولم يأكلوا منها فدعا المرضى والزمنى والفقراء فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة فشبعوا وهي بحالها لم تنقص فصح المرضى والزمنى واستغنى الفقراء ثم صعدت وهم ينظرون اليها حتى توارت وندم الحواريون حيث لم يأكلوا منها وقيل انها نزلت أربعين يوما كانت تنزل يوما وتنقطع يوما وأمر الله عيسى أن يدعو اليها الفقراء دون الاغنياء ففعل ذلك فاشتد على الاغنياء وجحدوا نزولها وشكوا في ذلك وشككوا غيرهم فيها فأوحى الله الى عيسى انى شرطت ان اعذب المكذبين عذابا لا أعذب به أحدا من العالمين فسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا فاصبحوا خنازير فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا وبكى عيسى على الممسوخين فلما أبصرت الخنازير عيسى بكوا وطافوا به وهو يدعوهم بأسمائهم ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا

(ذكر رفع المسيح الى السماء ونزوله الى امه وعوده الى السماء)

قيل ان عيسى استقبله ناس من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة وقذفوه وامه فسمع ذلك ودعا عليهم فاستجاب الله دعاءه ومسخهم خنازير فلما رأى ذلك رأس بنى اسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتله فاجتمعوا عليه فسألوه فقال يا معشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته وثاروا اليه ليقتلوه فبعث اليه جبريل فأدخله فى خوخة الى بيت فيها روزنة فى سقفها فرفعه الى السماء من تلك الروزنة فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه اسمه تطليانوس ان يدخل اليه فيقتله فدخل فلم ير أحدا وألقى الله عليه شبه المسيح فخرج اليهم فظنوه عيسى فقتلوه وصلبوه وقيل ان عيسى قال لاصحابه أيكم يحب أن يلقى عليه شبهى وهو مقتول فقال رجل منهم أنا يا روح الله فالقى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل ان الذى شبه بعيسى وصلب رجل اسرائيلى اسمه يوشع أيضا وقيل لما أعلم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من الموت فدعا الحواريين فصنع لهم طعاما فقال احضرونى الليلة فان لى اليكم حاجة فلما اجتمعوا عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا أخذ يغسل أيديهم بيده ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك وكرهوه فقال من يرد على الليلة شيأ مما أصنع فليس منى فاقروه حتى فرغ من ذلك ثم قال اما ما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدى فليكن بى اسوة فلا يتعاظم بعضكم على بعض واما حاجتى التى أستغيثكم عليها فتدعون الله لى وتجتهدون فى الدعاء ان يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء أخذهم النوم حتى ما يستطيعون الدعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون لى ليلة قالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نقدر عليه الليلة وكلما نريد الدعاء أحيل بيننا وبينه فقال يذهب بالراعى ويتفرق الغنم وجعل ينعى نفسه ثم قال ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات

قوتك فى شئ قال ثم أنا راع للغنم فاذا جاءها الاسد أو النمر أو الذئب وأخذ الشاة فأقوم اليه ستر نعا ثم اقبضه وافتح فاه عنها وأخلصها وأخرق فاه الى قفاه ورأيت يوما أسدا رابضا فقبضت على عنقه فقتلته من غير سلاح فتعجب طالوت من كلامه ثم سار مع العسكر حتى وقف بين يدى جالوت وكان جالوت رجلا جبارا اشد الناس بأسا وأقواهم بطشا وكان يهزم الجيش وحده وكانت له بيضة لرأسه ينقلها ثلاثون رجلا وكان له فرس أبلق خلقه الله تعالى له ما كان مثله فى الخلق والقوة ولم يحمله غيره فلما قرب داود عليه السلام الى جالوت أخرج ثلاثة أحجار كانوا فى مخلاته فوضعها فى المقلاع فقال له جالوت انت أتيتنى لتقاتلنى بالحجر الذى فى المقلاع كما يؤتى الكلب قال نعم وأنت أشر من الكلب قال المسعودى فصارت الثلاثة الاحجار حجرا واحدا فى المقلاع بقدرة الله تعالى ثم قال داود بسم الله اله الخلق ورمى بالمقلاع الحجر وقصد برميته جالوت فأصاب الحجر بارادة الله تعالى دماغه فخرق البيضة ودماغه وخرج من نقرة قفاه وتقطع الحجر باذن الله تعالى على عدد جنود جالوت وتفرق عليهم فلم يبق منهم أحد الا وأصابه من ذلك الحجر قطعة أهلكته وان داود عليه السلام حز رأس جالوت وانتزع خاتمه من اصبعه وجعل يجره من رجله حتى ألقاه بين يدى طالوت وكان موضع القتل بيسان من أرض الغور ففرح المسلمون بقتلهم ورفع الله ذكر داود عليه السلام وأخذ ذكر طالوت فتزوج بنته لداود عليه السلام وأجرى حكمه فى الملك فحسد طالوت داود عليه السلام

وليدمى أحدكم بدراهم يسيرة ولما كان ثم خرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه
فأخذوا شمعون أحد الحواريين وقالوا هذا صاحبه واختلف العلماء في موته قبل رفعه
الى السماء فقيل رفع ولم يمت وقيل توفاه الله ثلاث ساعات ثم أحياه ورفعه ولما رفع الى
السماء قال الله له انزل فلما قالوا لشمعون عن المسيح جحد وقال ما أنا صاحبه فتركوه
وفعلوا ذلك ثلاثا فلما سمع صياح الديك بكى وأحزنه ذلك وأتى أحد الحواريين الى اليهود
فدلهم على المسيح وأعطوه ثلاثين درهما فأتى معهم الى البيت الذي فيه المسيح فدخله
فرفع الله المسيح وألقى شبهه على الذي دلهم عليه فأخذوه وأوثقوه وقادوه وهم يقولون له
أنت كنت تحيي الموتى وتفعل كذا وكذا فهلا تنجي نفسك وهو يقول أنا الذي دللتكم
عليه فلم يصغوا الى قوله ومضوا به الى الخشبة وصلبوه عليها وقيل ان اليهود لما دلهم عليه
الحواري اتبعوه وأخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه فأظلمت الارض وأرسل الله
ملائكة فحالوا بينهم وبينه وألقى شبه المسيح على الذي دلهم عليه فأخذوه ليصلبوه فقال
انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا اليه فقتلوه وصلبوه عليها ورفع الله المسيح اليه بعد ان
توفاه ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ثم أحياه ورفعه ثم قال له انزل الى مريم فانه لم يبك
عليك أحد بكاها ولم يحزن أحد حزنها فنزل عليها بعد سبعة أيام فاشتعل الجبل حين هبط
نورا وهي عند المصلوب تبكي ومعها امرأة كان ابرأها من الجنون فقال ما شأنكما
تبكيان قالتا عليك قال اني رفعني الله اليه ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم وأمرها
فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض رسلا عن الله وأمرهم ان يبلغوا عنه ما أمره الله
به ثم رفعه الله اليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع
الملائكة فهو معهم فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا فتفرق الحواريون حيث أمرهم
فتلك الليلة التي اهبطه الله فيها هي التي تدخن فيها النصارى وتعدى اليهود على بقية
الحواريين يعذبونهم ويشتمونهم فسمع بذلك ملك الروم واسمه هيردوس وكانوا تحت يده
وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان في بني اسرائيل وكان يفعل الآيات من احياء
الموتى وخلق الطير من الطين والاخبار عن الغيوب فعدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم انه
رسول الله فقال الملك ويحكم ما منعكم ان تذكروا هذا من أمره فوالله لو علمت ما خليت
بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايدي اليهود وسألهم عن دين عيسى
فأخبروه وتابعهم على دينهم واستنزل المصلوب الذي شبه لهم فغيبه وأخذ الخشبة التي
صلب عليها فأكرمها وصانها وعدا على بني اسرائيل فقتل منهم قتلى كثيرة فمن هنالك كان
أصل النصرانية في الروم وقيل كان هذا الملك هيردوس ينوب عن ملك الروم الأعظم
الملقب قيصر واسمه طيباريوس وكان هذا أيضا يسمى ملكا وكان ملك طيباريوس ثلاثا
وعشرين سنة منها الى ارتفاع المسيح ثماني عشرة سنة وأياما

•(ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح الى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)•

زعموا ان ملك الشام جميعه صار بعد طيباريوس الى ولده جايوس وكان ملكه اربع سنين
ثم ملك بعده ابن له آخر اسمه قلوديوس أربع عشرة سنة ثم ملك بعده نيرون الذي قتل

وأراد قتله فهرب منه داود ثم بعد ذلك ندم طالوت على ما هم به من قتل داود عليه السلام وتاب الى الله تعالى فخرج من
ملكه وقاتل في سبيل الله ومعه
أولاده الثلاثة عشر حتى قتلوا كلهم
وورث الله تعالى داود عليه السلام
ملك طالوت ونبوة اشماويل وكان
مدة ملك طالوت فيما حكاه محمد بن
جرير الطبري اربعين سنة وأما
شمويل فعاش اثنتين وخمسين سنة
وقبره بأميال عن بيت المقدس وأما
قبر طالوت ففي دمشق بسفح جبل
قاسيون شرقي الصالحية قريب
من الركنية

•(الفصل السادس والعشرون
في ذكر داود عليه السلام)•

وهو داود بن ايشا بن عويل من ولد
يهودا عليه السلام وكان قصيرا
ازرق العينين اصفر اللون دقيق
القامة سبط الشعر طويل اللحية
فيها جعودة حسن الصوت طيب
الخلق طاهر القلب نقيا وقد وهبه
الله القوة والبطش وجعله خليفة
في الارض وآتاه الله الملك والحكمة
وكان بيت المقدس دار ملكه وانزل
الله عليه الزبور خمسين صحيفة
بالعبرانية وكان يقرأ الزبور على
اثنين وسبعين صوتا بين روابي البرية
فيقوم الانس والجن والوحوش
والطيور لاستماع قراءته ويركد
الماء الجاري وتسكن الرياح وتجاوبه
الجبال قال الحكماء ما صنعت
المزامير والاوتار والنغمات الا على
الحان داود عليه السلام وصوته
(عن ابن عباس) رضي الله عنهما
قال كان داود عليه السلام اذا سبح
الله تعالى سبح معه الحجر والمدر
وكان يصوم يوما ويفطر يوما وكان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه في كل ليلة أربعة آلاف رجل

بطرس

بنارس وبولس فصلبهما امنكس بن اربع عشرة سنة ثم ملك بعده بوطلايس اربعة اشهر ثم ملك اسفسيانوس وهذا الذي وجه ابنه طيطوس الى البيت المقدس فهدمه وقتل من بني اسرائيل غضبا للمسيح ثم ملك ابنه طيطوس ثم ملك أخوه دومطيانوس ست عشرة سنة ثم ملك بعده نارواس ست سنين ثم ملك من بعده طرايانوس تسع عشرة سنة ثم ملك بعده هدريانوس احدى وعشرين سنة ثم ملك من بعده انطونينوس بن بطيانوس اثنتين وعشرين سنة ثم ملك مرقوس وأولاده تسع عشرة سنة ثم ملك بعده قرمودوس ثلاث عشرة سنة ثم ملك من بعده فرطيناجوس ستة اشهر ثم ملك بعده سيواروس أربع عشرة سنة ثم ملك بعده انطنيانوس سبع سنين ثم ملك من بعده مرقيانوس ست سنين ثم ملك من بعده انطنيانوس اربع سنين وفي ملكه مات جالينوس الطبيب ثم ملك الخسندروس ثلاث عشرة سنة ثم ملك مكسيانوس ثلاث سنين ثم ملك جورديانوس ست سنين ثم فيلفوس سبع سنين ثم ملك داقيوس ست سنين ثم ملك قالوس ست سنين ثم ملك والريانوس وقاليتوس خمس عشرة سنة ثم ملك قلوذيوس سنة ثم ملك قريطاليوس شهرين ثم ملك أورليانوس خمس سنين ثم ملك طيقطوس ستة اشهر ثم ملك فولورنوس خمسة وعشرين يوما ثم ملك فروبوس ست سنين ثم دقلطيانوس ست سنين ثم ملك مخسيميانوس عشرين سنة ثم قسطنطين ثلاثين سنة ثم ملك يلبانوس سنتين ثم ملك يويانوس سنة ثم ملك والنطيانوس وغرطيانوس عشر سنين ثم ملك غرطيانوس ووالنطيانوس الصغير سنة ثم ملك تيداسيس الاكبر سبع عشرة سنة ثم ارقاديوس وانوريوس عشرين سنة ثم ملك تيداسيس الاصغر ووالنطيانوس ست عشرة سنة ثم ملك مرقيانوس سبع سنين ثم لاوست عشرة سنة ثم ملك زانون ثماني عشرة سنة ثم ملك انسطاس سبعا وعشرين سنة ثم ملك يوسطنيانوس تسع سنين ثم ملك يوسطنيانوس الشيخ عشرين سنة ثم ملك يوسطينس اثنتي عشرة سنة ثم ملك طيبازيوس ست سنين ثم مريقيش وتاداسيس ابنه عشرين سنة ثم ملك فوقا الذي قتل سبع سنين وستة أشهر ثم هرقل الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين فمن لدن عمر البيت المقدس بعد ان أخربه بختنصر الى الهجرة على قولهم ألف سنة ونيف ومن ملك الاسكندر اليها تسعمائة ونيف وعشرون سنة فمن ذلك من وقت ظهوره الى مولد عيسى عليه السلام ثلثمائة سنة وثلاث سنين ومن مولده الى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة ومن وقت ارتفاعه الى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وأشهر هذا الذي ذكره أبو جعفر من عدد ملوك الروم وقد أخلى ذكرهم عن شئ من الحوادث التي كانت في ايامهم وقد سطرها غيره من العلماء بالتاريخ وخالفه في كثير منها ووافقه في الباقي مع مخالفة الاسم وأضاف الى اسمائهم ذكر شئ من الحوادث في أيامهم وانا اذكره مختصرا ان شاء الله

* (ذكر ملوك الروم وهم ثلاث طبقات فالطبقة الاولى الصابئون) *

ذكر غير واحد من علماء التاريخ ان الروم غلبت اليونان وهم ولد صوفير والاسرائيليون يدعون ان صوفير هو الاصفر بن نفر بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانوا ينزلون رومية

وألان الله له الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين فكان يصرفه كيف يشاء من غير ادخاله في النار وكان يتخذ الدروع ويبيع كل درع باربعة آلاف درهم فيأكل منه ويطعم عياله ويتصدق بالباقي (روى) ان لقمان الحكيم دخل عليه ذات يوم فرآه يعمل حلقا صغارا من حديد ويضعها في قصعة فاراد ان يسأله فمنعته الحكمة فصبر حتى امتلأت القصعة وكان ذلك عباره فقام على قدميه وصبها عليه وغزا كتافه فلم يقع شئ من ذلك الحلق على الارض بل اشتبكت بعضها ببعض فصارت درعا فقال لقمان لما رأى ذلك نعم الدرع للحرب وقال داود عليه السلام نعم الرجل الصابر أنت وكان لداود عليه السلام تسع وتسعون امرأة فلما ارتكب الخطيئة بزواج امرأة أوريا عاتبه الله تعالى بسبب ذلك فمكث ساجدا ولم يرفع رأسه أربعين يوما وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه واكلت الارض جبهته وهو يسأل التوبة وقيل بكى على خطيئته ثلاثين سنة وكان بكاؤه ودموعه يعادل بكاء أهل الارض ودموعهم حتى تاب الله عليه قال أبو عبد الله الحلبي ما رفع داود عليه السلام رأسه الى السماء بعد الخطيئة حتى مات وكان يوصي ولده سليمان عليهما السلام ويقول يا بني اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان واياك والغضب فانه يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله تعالى وطاعته فانهما يغلبان كل شئ واياك وكثرة الغيرة على أهلك فان ذلك يورث ظن السوء بالناس واقطع طمعك عما في أيدي الناس وعود نفسك ولسانك الصدق وتوفي داود عليه السلام وعمره مائة سنة وستة أشهر ودفن في كنيسة صهيون ببيت المقدس وكان مدة خلافته

أربعين سنة (وعن وهب) انه قال شيع جنازة داود عليه السلام اربعون الف راهب سوى سائر الناس وكان

في يوم صائف فاذا هم حر الشمس فنادى سليمان عليه السلام الطير وامرها ان تظل الناس فتراص بعضها الى بعض من كل جهة حتى اعتمت ومنعت الريح وكاد الناس ان يهلكوا الحر فخرج سليمان فنادى الطير اظلي من ناحية الشمس وتنحي عن ناحية الريح ففعلت ذلك باذن الله تعالى

•(الفصل السابع والعشرون في ذكر سليمان عليه السلام)•

كان رجلا ابيض جسيما جميلا حسنا كثير الشعر منتصف القامة اسود العينين مع شدة بياضهما وكان النور يسطع من جبينه وكان يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا وكان أبوه يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه لوفور عقله وكثرة علمه واعطاه الله عز وجل من الملك ما لم يعطه لاحد غيره من خلقه وحتى ملك الارض جميعا وكان عمره حين اتاه الملك ثلاث عشرة سنة فابتدأ ببنيان بيت المقدس فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتا وهو موضع القمامة وهي الكنيسة العظمى في وقتنا هذا وكان له ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية قال صاحب العرائس مما أنعم الله تعالى على سليمان عليه السلام ان نسجت له الشياطين بساطا من ذهب في حرير طوله فرسخ في عرض فرسخ وكان ينصب في صدر البساط منبرا من الذهب فيجلس عليه سليمان عليه السلام ويوضع عن يمينه ألف كرسي من ذهب وعن شماله كذلك من فضة فيجلس عليهم علماء بني اسرائيل ويجلس حول الكراسي الانس وخلف الانس الجن ومن خلف الجن فلما

قبل غلبتهم على اليونان وكانوا يدينون قبل النصرانية بمذهب الصابئين ولهم اصنام يعبدونها على عادة الصابئين فكان أول ملوكهم برومية غاليوس وكان ملكه ثماني عشرة سنة وقيل كان ملك قبله روملس وارمانوس وهما بنياها واليهما نسبت وأضيف الروم اليها وانما غاليوس اول من يعتد في التاريخ لشهرته ثم ملك بعده يوليوس اربع سنين وأربعة اشهر ثم ملك أوغسطس ومعناه الصبا وهو اول من سمي قيصر وتفسير ذلك انه شق عنه بطن أمه لانها ماتت وهي حامل به فأخرج من بطنها ثم صار ذلك لقبا لملوكهم وكان ملكه ستا وخمسين سنة وخمسة اشهر واكثر المؤرخين يتسددون باسمه لانه اول من خرج من رومية وسير الجنود برا وبحرا وغزا اليونانيين واستولى على ملكهم وقتل قلوبطرة آخر ملوكهم واستولى على الاسكندرية ونقل ما فيها الى رومية وملك الشام واستعمل ملك اليونانيين ودخلوا في الروم واستخلف على البيت المقدس هيردوس بن انطيقوس ولاثنتين وأربعين سنة من ملكه كانت ولادة المسيح وهو الذي بنى قيسارية ثم ملك بعده طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة وهو الذي بنى مدينة طبرية وأضيفت اليه وعربها العرب وفي ملكه رفع المسيح عليه السلام وملك بعد رفعه ثلاث سنين ثم ملك بعده ابنه غايوس أربع سنين وهو الذي قتل اصطفنوس رئيس الشمامسة عند النصارى ويعقوب أخا يوحنا بن زبدي وهما من الحواريين وقتل خلقا من النصارى وهو أول الملوك من عباد الاصنام قتل النصارى ثم ملك قلوديوس بن طيباريوس أربع عشرة سنة وفي ملكه حبس شمعون الصفا ثم خلص شمعون من الحبس وسار الى انطاكية ودعا الى النصرانية ثم سار الى رومية فدعا أهلها ايضا فاجابته زوجة الملك وسارت الى البيت المقدس واخرجت الخشبة التي تزعم النصارى ان المسيح صلب عليها وكانت في أيدي اليهود فاخذتها وردتها الى النصارى ثم ملك نيرون ثلاث عشرة سنة وثلاثة اشهر وفي آخر ملكه قتل بطرس وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكسين وفي ايامه ظفرت اليهود بيعقوب بن يوسف وهو اول الاساقفة بالبيت المقدس فقتلوه واخذوا خشبة الصليب فدفنوها وفي ايامه كان ماريتوس الحكيم صاحب كتاب الجغرافيا في صورة الارض ثم ملك بعده غلباس سبعة اشهر ثم ملك اوثون ثلاثة اشهر ثم ملك سيباسيانوس احد عشر شهرا ثم ملك اسباسيانوس سبع سنين وسبعة أشهر وفي ايامه خالف اهل البيت المقدس قيصر فحصرهم وافتتح المدينة عنوة وقتل كثيرا من اهلها من اليهود والنصارى وعمهم الأذى في ايامه ثم ملك ابنه طيطوس سنتين وثلاثة اشهر وفي أيامه اظهر مرقيون مقالته بالاثنين وهما الخير والشر وبعد ثالث بينهما واليه ينسب المرقونية وهو من أهل حران ثم ملك دومطيانس بن اسباسيانوس خمس عشرة سنة وعشرة اشهر ولتسع سنين من ملكه نفي يوحنا الحواري كاتب الانجيل الى جزيرة في البحر ثم رده ثم ملك نرواس سنة وخمسة اشهر ثم ملك طرايانوس تسع عشرة سنة وفي السادسة من ملكه توفي يوحنا كاتب الانجيل بمدينة افسس ثم ملك ايليا اندريانوس عشرين سنة وقتل من اليهود والنصارى خلقا كثيرا لخلاف كان منهم عليه واخرب البيت المقدس وهو آخر خرابه

فالمعنى من ملكه ثمان سنين عمره أيضا وعماه أيليا فبقى الاسم عليه فكان قبل ذلك يسمى اورشلم وأسكن المدينة جماعة من الروم واليونان وبنى هيكلا عظيما للزهرة وكان عالى البنيان فهدم من أعلاه كثير وهو باق الى يومنا هذا وهو سنة ثلاث وثمانين وقد رأيته وهو محكم البناء ولا أدرى كيف نسب الى داود وقد بنى بعد داود بدهر طويل على أنى سمعت بالبيت المقدس من جماعة يذكرون ان داود بناه وكان يتفرغ فيه لعبادته وفى أيام هذا الملك كان ساقيدس الفيلسوف الصامت ثم ملك انطنينس بيوس اثنتين وعشرين سنة وفى أيامه كان بطليموس صاحب المجسطى والجغرافيا وغيرهما وقيل انه من ولد قلوديوس ولهذا قيل له القلودى نسبة اليه وهو السادس من ملوك الروم ودليل كونه فى هذا الزمان وليس من ملوك اليونان انه ذكر فى كتاب المجسطى انه رصد الشمس بالاسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين لبختنصر وكان من ملك بختنصر الى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة وثلثمائة وستة عشر يوما ومن قتل دارا الى زوال ملك قلوبطرة الملكة آخر ملوك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وست وثمانون سنة ومدة غلبة أوغسطس الى انطنينوس مائة وسبع وستون سنة فمن ملك بختنصر الى ادريانوس ثمانمائة وثلاث وثمانون سنة تقريبا وهذا موافق لما حكاه بطليموس قال ومن زعم انه ابن قلوبطرة آخر ملوك اليونانيين فقد ابطل ذكر هذا بعض العلماء بالتاريخ وعد ملوك اليونان وذكر مدة ملكهم على ما قال واما أبو جعفر الطبرى فانه ذكر فى مدة ملكهم مائتى سنة وسبعا وعشرين سنة على ما تقدم ذكره ثم ملك بعده مرقس ويسمى اورليوس تسع عشرة سنة وفى ملكه أظهر ابن ديصان مقالته وكان اسقفا بالرها وهو من القائلين بالاثنين ونسب الى نهر على باب الرها يسمى ديصان وجد عليه منبوذا وبنى على هذا النهر كنيسة ثم ملك قومودوس اثنتى عشرة سنة وفى أيامه كان جالينوس قد أدرك بطليموس القلودى وكان دين النصرانية قد ظهر فى أيامه وذكرهم فى كتابه فى جوامع كتاب افلاطون فى السياسة ثم ملك برطينقس ثلاثة أشهر ثم ملك يوليانوس شهرين ثم ملك سيوارس سبع عشرة سنة وشمل اليهود والنصارى فى أيامه القتل والتشريد وبنى بالاسكندرية هيكلا عظيما اسماه هيكل الآلهة ثم ملك انطونيوس ست سنين ثم ملك مقرونيوس سنة وشهرين ثم ملك انطونيوس الثانى اربع سنين ثم ملك الاكسندروس ويلقب ماماس ثلاث عشرة سنة ثم ملك مقسيمانوس ثلاث سنين ثم ملك مقسيموس ثلاثة أشهر ثم ملك غرديانوس ست سنين ثم ملك فيلبوس ست سنين وتنصر وترك دين الصابئين وتبعه كثير من أهل مملكته واختلفوا لذلك وكان فيمن خالفه بطريق يقال له داقيوس فقتل فيلبوس واستولى على الملك ثم ملك بعد فيلبس داقيوس سنتين وتتبع النصارى فهرب منه أصحاب الكهف الى غار فى جبل شرقى مدينة افسوس وقد خربت المدينة وكان لبثهم فيه مائة وخمسين سنة وهذا باطل لانه على هذا السياق من حين رفع المسيح الى الآن نحو مائتى سنة وخمس عشرة سنة وكان لبث أصحاب الكهف على ما نطق به القرآن المجيد ثلثمائة وسبع سنين وازدادوا تسعا فذلك خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة فعلى هذا يكون ظهورهم قبل الاسلام بنحو ستين سنة وقد

الشياطين والطيور تظلهم بأجنحتها من حر الشمس فاذا أراد المسير الى الغزو وغيره ركب البساط ومعه أهله وخدمه وجنوده بآلة الحرب والدواب وما يحتاجون اليه من مأكول ومشروب ومعه مخابز وتنانير من حديد وقدور عظام كل قدر منها تسع عشرة جزورا من الابل واتخذ على البساط اصطبلات للدواب وأماكن للطباخين والخبازين وكان له على البساط قصر عجيب اتخذه من صخر الجنى من صفاء القوارير يكاد البصر لا يدركه من شدة لمعانه يرى ما وراءه ظهره وسقوفه وأبوابه ايضا من القوارير طوله خمسة آلاف ذراع وعرضه مثله وجعل فيه بيوتا ومجالس وغرفا للرجال مفردا وللنساء مفردا فاذا أراد المسير الى جهة من الجهات أمر الريح الرخاء فتدخل تحت البساط وترفعه بما عليه باذن الله تعالى بين السماء والارض ويسير بغير انزعاج فتسير بالزرع ولم تحركه وكان غدوها شهرا ورواحها شهرا ولا يقف على مدينة الافتحها فاذا كان وقت الغداء نزل البساط على مواضع الماء وتغدى وعلامة نزول البساط أن سليمان عليه السلام كان اذا رفع رأسه الى الطير ضمت أجنحتها وسكنت الريح ويدور البساط رويدا حتى يصير الى الارض وكان اذا تكلم أحد من الناس جاءت به الريح اليه فتخبره بذلك روى أن سليمان عليه السلام غزا أهل نصيبين فأصاب منهم ألف فرس من الخيل الجياد السراع فصلى ذات يوم صلاة الظهر وجلس على كرسيه وأمر بعرض الخيل فعرض عليه منها تسعمائة فرس

ذكرنا أن من لدن ظهورهم الى الهجرة زيادة على مائتي سنة فهذه الجملة أكثر من الفترة بين المسيح والنبي عليهما الصلاة والسلام الا ان هذا الناقل قد ذكر ان غيبتهم كانت مائة وخمسين سنة على ما نراه مذكوراً وفيه مخالفة للقرآن ولولا نص القرآن لكان استقام له ما يريد ثم ملك بعده غلوس سنتين وكان شريكه في الملك يوليانوس ملك خمس عشرة سنة ثم ملك قلوديوس (٣) ثم ملك ابنه أورليانوس ست سنين ثم ملك طافطوس وأخوه فوريس تسعة اشهر ثم بروبس تسع سنين ثم ملك قاروس سنتين وخمسة اشهر ثم ملك دقلطيانوس سبع عشرة سنة ثم ملك مقسيميانوس وشاركه مقسنطيوس ثم اقتتلا فاقتسما الملك فملك الاب على الشام وبلاد الجزيرة وبعض الروم وملك الابن رومية وما اتصل بها من ارض الفرنج وملكا تسع سنين وفي ملكهما قسطنس أبو قسطنطين بلاد بوزنطيا وما يليها وهي نواحي القسطنطينية ولم تكن بنيت حينئذ ثم مات قسطنس وملك بعده ابنه قسطنطين المعروف بامه هيلانا وهو الذي تنصر قال ومن أول ملوك الروم الى ههنا كانوا شبيهين بملوك الطوائف لا ينضبط عددهم وقد اختلف الناس فيهم كاختلافهم في ملوك الطوائف وانما الذي يعول عليه من قسطنطين الى هرقل الذي بعث محمد صلى الله عليه وسلم في أيامه ولقد صدق قائل هذا فان فيه من الاختلاف والتناقض ما ذكرنا بعضه عند ذكر دقيوس وأصحاب الكهف ولهذه العلة لم يذكر الطبري أصحاب الكهف في زمان أي الملوك كانوا وانما ذكرناه ضمن ما في أيام الملوك من الحوادث

•(الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصرة)•

ثم ملك قسطنطين المعروف بامه هيلانا في جميع بلاد الروم وجرى بينه وبين مقسيميانوس وابنه حروب كثيرة فلما استولى على الملك وتفرد به وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وهو الذي تنصر من ملوك الروم وقاتل عليها حتى قبلها الناس ودانوا بها الى هذا الوقت وقد اختلفوا في سبب تنصره فقيل انه كان به برص وأرادوا نزعه فأشار عليه بعض وزرائه ممن كان يكتم النصرانية باحداث دين يقاتل عليه ثم حسن له النصرانية يساعده من دان به ففعل ذلك فتبعه النصارى من الروم مع أصحابه وخاصته فقوي بهم وقهر من خالفه وقيل انه سير عساكر على أسماء أصنامهم فانهزمت العساكر وكان لهم سبعة أصنام على أسماء الكواكب السبعة على عادة الصابئين فقال له وزير له يكتم النصرانية في هذا ازرى بالاصنام وأشار عليه بالنصرانية فأجابه فظفر ودام ملكه وقيل غير ذلك وهو الذي بنى مدينة القسطنطينية لثلاث سنين خلت من ملكه بمكانها الآن اختاره لحصانته وهي على الخليج الآخذ من البحر الاسود الى بحر الروم والمدينة على البر المتصل برومية وبلاد الفرنج والاندلس والروم تسميها اسطنبول يعني مدينة الملك ولعشرين سنة مضت من ملكه كان السنودس الاول بمدينة نيقية من بلاد الروم ومعناه الاجتماع فيه ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً فاختار منهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً متفقين غير مختلفين فحرموا اريوس الاسكندراني الذي يضاف اليه الاريوسية من النصارى ووضع شرائع النصرانية بعد ان لم تكن وكان رئيس هذا الجمع بطرك

واذا بالشمس قد غربت وفاتته صلاة العصر فاغتم لذلك غماً شديداً فقال ردوها علي فعرقبها بالسيف وقربها لله تعالى فبقي منها مائة فرس التي لم تعرض عليه فما في ايدي الناس من الخيل فهي من نسل تلك المائة قال كعب الاحبار كانت الافراس التي عرقبت أربعة عشر فرساً وسلب الله تعالى ملك سليمان أربعة عشر يوماً لانه ظلم الخيل بقتلها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أمر الله تعالى الشمس فردت حتى صلى العصر في وقتها واختلفوا في سبب زوال ملكه وأخذ خاتمه قبل قتله الخيل وقال سعيد بن المسيب انه احتجب عن الناس ثلاثة أيام ولم يتطرق أمور العباد وقيل غير ذلك وكان ملكه في خاتمه وكان خاتمه من ياقوتة حمراء أتاه بها جبريل عليه السلام من الجنة مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان لا يمسه الا وهو طاهر وفي كتاب تاج السلاطين في معرفة الابالسة والشياطين ان أصل خاتم سليمان كان لآدم عليه السلام فلما عصى آدم طار من اصبعه واستجار بركن من أركان العرش عليه كتابة نورية من غير نقش وهو لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الجانب الآخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وعلى الجانب الثالث له الملك والكبرياء والعزة والعظمة والسلطان لمن سليمان وعلى الجانب الرابع تبارك الله أحسن الخالقين ولما لبس سليمان الخاتم سجد له من كان حوله من أول النهار الى آخره ولم يتمكن أحد من النظر الى الخاتم من شدة نوره ولمعانه

الاسكندرية وفى السنة السابعة من ملكه صارت أمه هيلانا الرهاوية كان أبوها سبا اها من الرها فأولدها هذا الملك فصارت الى البيت المقدس واخرجت الخشبة التى تزعم النصارى ان المسيح صلب عليها وجعلت ذلك اليوم عيدا لهم وعيد الصليب وبنت الكنيسة المعروفة بقمامة وتسمى القيامة وهى الى وقتنا هذا يحجها أنواع النصارى وقيل كان مسيرها بعد ذلك لان ابنها دان بالنصرانية فى قول بعضهم بعد عشرين سنة من ملكه وفى السنة الحادية والعشرين من ملكه طبق جميع ممالكه بالبيع هو وأمه منها كنيسة حمص وكنيسة الرها وهى من العجائب ثم ملك بعده قسطنطين انطاكية أربعا وعشرين سنة بعهد من أبيه اليه وسلم اليه القسطنطينية والى أخيه قسطنس انطاكية والشام ومصر والجزيرة والى أخيه قسطوس رومية وما يليها من بلاد الفرنج والصقالبة وأخذ عليهما المواثيق بالانقياد لاخيهما قسطنطين ثم ملك بعده يوليانوس ابن اخيه سنتين وكان يدين بمذهب الصابئين ويخفى ذلك فلما ملك أظهرها وخرب البيع وقتل النصارى وهو الذى سار الى العراق ايام سابور بن اردشير فقتل بسهم غرب وقد ذكر أبو جعفر خبر هذا الملك مع سابور ذى الاكتاف وهو بعد سابور بن اردشير ثم ملك بعده يونيانوس سنة اظهر دين النصرانية ودان بها وعاد عن العراق ثم ملك بعده ولنطيوش اثنتى عشرة سنة وخمسة أشهر ثم ملك والنس ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم ملك والنطيانوس ثلاث سنين ثم ملك تدوس الكبير ومعناه عطية الله تسع عشرة سنة وفى ملكه كان السنهودس الثانى بمدينة القسطنطينية اجتمع فيه مائة وخمسون اسقفا لعنوا مقدونس واشياعه وكان فيه بطرق الاسكندرية وبطرق انطاكية وبطرق البيت المقدس والمدن التى يكون فيها كراسى البطرق أربع احداها رومية وهى لبطرس الحوارى والثانى الاسكندرية وهى لمرقس أحد أصحاب الاناجيل الاربعة والثالثة القسطنطينية والرابعة انطاكية وهى لبطرس أيضا وثمان سنين من ملكه ظهر أصحاب الكهف ثم ملك بعده ارقاديوس ابن تدوس ثلاث عشرة سنة ثم ملك تدوس الصغير ابن تدوس الكبير اثنتين وأربعين سنة ولاحدى وعشرين سنة من ملكه كان السنهودس الثالث بمدينة افسوس وحضر هذا المجمع مائتا اسقف وكان سببه ما ظهر من نسطورس بطرق القسطنطينية وهو رأس النسطورية من النصارى من مخالفة مذهبهم فلعنوه ونفوه فسار الى صعيد مصر فاقام ببلاد اخميم ومات بقرية يقال لها سيلج وكثر اتباعه وصار بسبب ذلك بينهم وبين مخالفيهم حرب وقتال ثم درست مقالته الى ان احياها برصوما مطران نصيبين قديما ومن العجائب ان الشهرستانى مصنف كتاب نهاية الاقدام فى الاصول ومصنف كتاب الملل والنحل فى ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة ذكر فيه ان نسطور كان أيام المأمون وهذا تفرد به ولا أعلم له فى ذلك موافقا ثم ملك بعده مرقيان ست سنين وفى أول سنة من ملكه كان السنهودس الرابع على تسقرس بطرق القسطنطينية اجتمع فيه ثلثمائة وثلاثون أسقفا وفى هذا المجمع خالفت اليعقوبية سائر النصارى ثم ملك ليون الكبير ست عشرة سنة ثم ملك ليون الصغير سنة وكان يعقوبى المذهب ثم ملك زينون سبع سنين وكان

ولما افتتن كان كلما وضع الخاتم فى اصبعه سقط من يده فلما رآه وزيره آصف بن برخيا قال انك مفتون بذنبك ففر الى الله تعالى وأنا أقوم مقامك الى ان يتوب الله عليك ويردك الى ملكك فخرج سليمان عليه السلام هاربا الى الله تعالى وأخذ آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت وأقام مقامه أربعة عشر يوما الى ان تاب الله عليه ورجع الى منزله ورد الله عليه ملكه وأعاد الخاتم الى يده فاما ذكر ان الجسد هو صخر الجنى واستولى على ملكه وعلى أهل بيته فما كان الله تعالى ليسلط الشياطين على نساء نبيه وكان مستقر سليمان عليه السلام بمدينة تدمر واسيلت له عين النحاس ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكانت بأرض اليمن وغالب ما ينتفع به الناس اليوم مما أخرجه الله تعالى لسليمان عليه السلام وعلمه الله منطق الطير والوحوش حتى النمل

(ذكر قصة بلقيس وكيفية الاتيان بعرشها)

وهى بلقيس بنت هدهاد من ولد يعرب بن قحطان ملك اليمن كلها فأراد ان يتزوج فلم يجد له كفؤا فتزوج بامرأة من الجن يقال لها ريحانة فولدت بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها فلما مات أبوها ملكوها عليهم فاتخذت عرشا عظيما وقصرا بمدينة سبا ولما فرغ سليمان عليه السلام من بناء بيت المقدس عزم للحج ومعه من العساكر ما بلغ مقدار مائة فرسخ تحملهم الريح فأقام بمكة ماشاء الله ان يقيم وكان ينحر كل يوم طول مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة ثم خرج من مكة صباحا بعد ان قضى نسكه

يعقوبيا فزهد في الملك فاستخلف ابنا له ثم ملك فعاد الى الملك ثم ملك انسطاس سبعا وعشرين سنة وكان يعقوبي المذهب وهو الذي بنى عمورية فلما حفر أساسها أصاب فيه مالا وفى بالنفقة على بنائها وفضل منه شئ بنى به عمارية ثم ملك يوسطين سبع سنين وأكثر القتل في اليعقوبية ثم ملك يوسطانوس تسعا وعشرين سنة وبنى بالرها كنيسة عجيبة وفي أيامه كان الشمدوس الخامس بالقسطنطينية فحرموا ادريحانس أسقف منبج لقوله بتناسخ الارواح في أجساد الحيوان وان الله يفعل ذلك جزاء لما ارتكبوه وفي أيامه كان بين اليعاقبة والملكية بلاد مصر فتن وفي أيامه ثار اليهود بالبيت المقدس وجبل الخليل على النصارى فقتلوا منهم خلقا كثيرا وبنى الملك من البيع والديرة شيئا كثيرا ثم ملك يوسطينوس ثلاث عشرة سنة وفي أيامه كان كسرى انوشروان ثم ملك طباريوس ثلاث سنين وثمانية أشهر وكان بينه وبين انوشروان مراسلات ومهاداة وكان مغرى بالبناء وتحسينه وتزويقه ثم ملك موريق عشرين سنة وأربعة أشهر وفي أيامه ظهر رجل من أهل مدينة حماة يعرف بمارون اليه تنسب المارونية من النصارى وأحدث رأيا يخالف من تقدمه وتبعه خلق كثير بالشام ثم انهم انقرضوا ولم يعرف الآن منهم أحد وهذا موريق هو الذي قصده كسرى ابرويز حين انهزم من بهرام جوبين فزوجه ابنته وامده بعساكره وأعاده الى ملكه على ما نذكره ان شاء الله ثم ملك بعده فوقاس وكان من بطارقة موريق فوثب به فاغتاله فقتله وملك الروم بعده وكان ملكه ثمان سنين وأربعة أشهر ولما ملك تتبع ولد موريق وحاشيته بالقتل فلما بلغ ذلك ابرويز غضب وسير الجنود الى الشام ومصر فاحتوى عليهما وقتلوا من النصارى خلقا كثيرا وسيرد ذلك عند ذكر ابرويز ثم ملك هرقل وكان سبب ملكه ان عساكر الفرس لما تمكنت في الروم ساروا حتى نزلوا على خليج القسطنطينية وحصروها وكان هرقل يحمل الميرة في البحر الى أهلها فحسن موقع ذلك من الروم وبانت شهامته وشجاعته وأحبه الروم فحملهم على الفتك بفوقاس وذكرهم سوء آثاره ففعلوا ذلك وقتلوه وملكوا عليهم هرقل

(ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد الهجرة)

وأولهم هرقل وقد ذكر سبب ملكه وكان مدة ملكه خمسا وعشرين سنة وقيل احدى وثلاثين سنة وفي أيامه كان النبي صلى الله عليه وسلم ومنه ملك المسلمون الشام ثم ملك بعده ابنه قسطنطين وقيل هو ابن أخيه قسطنطين وكان ملكه تسع سنين وستة أشهر وسيرد خبره عند ذكر غزاة الصواري ان شاء الله وفي أيامه كان الشمدوس السادس على لعن رجل يقال له قورس الاسكندري خالف الملكية ووافق المارونية ثم ملك بعده ابنه قسطا خمس عشرة سنة في خلافة علي عليه السلام ومعاوية ثم ملك هرقل الاصغر بن قسطنطين أربع سنين وثلاثة أشهر ثم ملك قسطنطين بن قسطا ثلاث عشرة سنة بعض أيام معاوية وأيام يزيد وابنه معاوية ومروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك ثم ملك اسطينان المعروف بالاخرم تسع سنين أيام عبد الملك ثم خلعه الروم وخرموا انفه وحمل الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر واستنجده فلم ينجده فانتقل الى ملك برجان ثم ملك

وسار على البساط نحو اليمن فرأى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسنة فنزل ليصلي ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان دليله على الماء الهدهد لانه يرى الماء من باطن الارض كما يراه الانسان في باطن الزجاج فلما اشتغل سليمان عليه السلام بالنزول ارتفع الهدهد نحو السماء فرأى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فهبط عليه فاذا هو بهدهد من هداهد اليمن فقال له من أين أقبلت والى أين تريد قال أقبلت من الشام مع سليمان عليه السلام فقال له فمن أين أنت قال أنا من هذه البلاد ووصف له ملك بلقيس وان تحت يدها اثنى عشر ألف قائد تحت يد كل قائد ألف مقاتل فمضى معه ونظر الى بلقيس وعرشها وما رجع الى سليمان الا بعد العصر ولما تفقد سليمان الهدهد ولم يعلم خبره غضب وقال لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فلما قرب الهدهد بين يدي سليمان عليه السلام أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان عليه السلام فلما دنا منه أخذ سليمان برأسه يجره اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله عن سبب غيبته فأخبره بأمر بلقيس وعرشها قال سليمان عليه السلام سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ثم كتب سليمان عليه السلام كتابا وختمه بخاتمه وارسله مع الهدهد فحمله بمنقاره وطار حتى وقف على رأس بلقيس فرفرف ساعة حتى رفعت المرأة رأسها اليه فالقى الكتاب في

بعده لونطاس ثلاث سنين أيام عبد الملك ثم ترك الملك وترهب ثم ملك السمين المعروف بالطرسوسي سبع سنين فقصده اسطينان ومعه برجان وجرى بينهما حروب كثيرة وظفر به اسطينان وخلعه وعاد الى ملكه فكان ذلك أيام الوليد بن عبد الملك واستقر اسطينان وكان قد شرط لملك برجان ان يحمل اليه خراجا كل سنة فعسف الروم وقتل بهم اخلاقا كثيرا فاجتمعوا عليه وقتلوه فكان ملكه الثاني سنتين ونصفا وكان قتله أول دولة سليمان بن عبد الملك ثم ملك نسطاس بن فيلفوس وكان في أيامه اختلاف بين الروم فخلعوه ونفوه ثم ملك تبدوس المعروف بالارمني في أيام سليمان بن عبد الملك أيضا وهو الذي حصره مسلمة ابن عبد الملك ثم ملك بعده اليون بن قسطنطين لضعفه عن الملك وضمن اليون للروم رد المسلمين عن القسطنطينية فملكوه فكان ملكه ستا وعشرين سنة ومات في السنة التي بويع فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم ملك بعده ابنه قسطنطين احدى وعشرين سنة وفي أيامه انقرضت الدولة الاموية وتوفي لعشر سنين مضت من أيام منصور ثم ملك بعده ابنه اليون تسع عشرة سنة وأربعة أشهر بقية أيام منصور وتوفي في خلافة المهدي ثم ملك بعده ريني امرأة اليون بن قسطنطين ومعها ابنها قسطنطين بن اليون وهي تدبر الامر بقية أيام المهدي والهادي وصدرا من خلافة الرشيد فلما كبر ابنها أفسد ما بينه وبين الرشيد وكانت أمه مهادنة له فقصده الرشيد وجرى له معه وقعة فانهزم وكاد يؤخذ فكحلته أمه وانفردت بالملك بعده خمس سنين وهادنت الرشيد ثم ملك بعدها نقفور وأخذ الملك منها وكان ملكه سبع سنين وثلاثة أشهر وهو نقفور بن استبراق وكنت قد رأيته مضبوطا بكثير من الكتب بسكون القاف حتى رأيت رجلا زعم ان اسمه نقفور بفتح القاف وعهد نقفور الى ابنه استبراق بالملك بعده وهو أول من فعل ذلك في الروم ولم يكن يعرف قبله وكانت ملوك الروم قبل نقفور يحلقون لحاهم وكذلك ملوك الفرس فلم يفعله نقفور وكانت ملوك الروم قبله تكتب من فلان ملك النصرانية فكتب نقفور من فلان ملك الروم وقال است ملك النصرانية كلها وكانت الروم تسمي العرب سارقينوس يعني عبيد سارة بسبب هاجر أم اسمعيل فنهاهم عن ذلك وجرى بين نقفور وبين برجان حرب سنة ثلاث وتسعين ومائة فقتل فيها ثم ملك بعده ابنه استبراق بعهد من أبيه اليه وكان ملكه شهرين ثم ملك بعده ميخائيل بن جرجس وهو ابن عم نقفور وقيل ابن استبراق وكان ملكه سنتين في أيام الامين وقيل أكثر من ذلك فوثب به اليون المعروف بالبطريق وغلب على الامر وحبسه ثم ملك بعده اليون البطريق سبع سنين وثلاثة أشهر فوثب به اصحاب ميخائيل في خلاص صاحبهم وقتل اليون ثم فتح اهم ذلك وعاد ميخائيل الى الملك وقيل انه كان قد ترهب أيام اليون وكان ملكه هذه الدفعة الثانية تسع سنين وقيل أكثر من ذلك ثم ملك بعده ابنه توفيل بن ميخائيل أربع عشرة سنة وهو الذي فتح زبطرة وسار المعتصم بسبب ذلك وفتح عمورية وكان موته أيام الواثق ثم ملك بعده ابنه ميخائيل ثمانيا وعشرين سنة وكانت أمه تدبر الملك معه وأرادت قتلها فترهبت وخرج عليه رجل من اهل عمورية من أبناء الملوك السالفة يعرف بابن بقراط فلقيه ميخائيل فمن عنده من أسارى المسلمين

خبرها وكانت كاتبة قارئة عربية فقرأت الكتاب فلما رأت الخاتم ارتعدت وجمعت الملأ من قومها واستشارتهم وأرادت دفعه عن ملكها وكتبت الى سليمان كتابا وأرسلته مع رجل من أشراف قومها مع هدية فلم يقبلها سليمان عليه السلام ورد الهدية كلها وقال ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها فلما رجع رسول بلقيس اليها وأخبرها بما رآه بعثت الى سليمان اني قادمة عليك حتى أنظرك وما تدعو اليه من دينك قال ابن عباس رضي الله عنهما كان سليمان عليه السلام جالسا على سرير ملكه بالشام على أصح الروايات فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس فاقبل حينئذ سليمان على جنوده فقال أيكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين والسبب في احضار عرشها أن يريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه قال عفريت من الجن وهو المارد القوي أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك الذي تقضي فيه فقال سليمان اريد أسرع من هذا فقال آصف بن برخيا وكان يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك يروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عليه السلام طرفه نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله تعالى الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون الارض خدا حتى انخرقت الارض وظهر السرير بين يدي سليمان عليه السلام واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف عند

فظفر به ميخائيل فقتله ثم خرج عليه بسيل الصقلبي فاستولى على الملك وقتل ميخائيل
سنة ثلاث وخمسين ومائتين ثم ملك بعده بسيل الصقلبي عشرين سنة أيام المعتز والمهتدى
وصدرا من أيام المعتمد وكانت امه صقلبية فنسب اليها وقد غلط حمزة الاصفهانى فيه فقال
عند ذكر ميخائيل ثم انتقل الملك عن الروم وصار فى الصقالبة فقتله بسيل الصقلبي ظنا منه
ان اباه كان صقلبيا ثم ملك بعده ابنه اليون بن بسيل ستا وعشرين سنة أيام المعتمد
والمعتضد والمكتفى وصدرا من ايام المقتدر وقيل ان وفاته كانت سنة سبع وتسعين
ومائتين ثم ملك اخوه الاسكندروس سنة وشهرين ومات بالدبيلة وقيل انه اغتيل لسوء
سيرته ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون وهو صبي وتولى الامر له بطريق بطريق البحر
واسمه ارمانوس وشرط على نفسه شروطا منها انه لا يطلب الملك ولا يلبس التاج لا هو ولا
احد من أولاده فلم يمض غير سنتين حتى خوطب هو وأولاده بالملوك وجلس مع قسطنطين
على السرير وكان له ثلاثة من الولد فسمى أحدهم وجعله بطرقاليا من المنازعة
فان البطارق يحكم على الملك فبقى على حاله الى سنة ثلاثين وثلثمائة من الهجرة فاتفق ابناه
مع قسطنطين الملك على ازالة أبيهما فدخلا عليه وقبضاه وسيراه الى ديره فى جزيرة بالقرب
من القسطنطينية واقام ولداه مع قسطنطين كذا وأربعين يوما وأرادا الفتك به فسبقهما
الى ذلك وقبض عليهما وسيرهما الى جزيرتين فى البحر فوثب أحدهما بالموكل به فقتله
واخذه أهل تلك الجزيرة فقتلوه وأرسلوا رأسه الى قسطنطين الملك فجزع لقتله وأما
ارمانوس فانه مات بعد أربع سنين من ترهبه ودام ملك قسطنطين بقية أيام المقتدر
والقاهر والراضى والمستكفى وبعض أيام المطيع ثم خرج على قسطنطين هذا قسطنطين
ابن اندرونقس وكان أبوه قد توجه الى المكتفى سنة أربع وتسعين ومائتين واسلم على يده
وتوفى فهرب ابنه هذا على طريق ارمينية واذربيجان الى بلاد الروم فاجتمع عليه خلق
كثير وكثر اتباعه فسار الى القسطنطينية ونازع الملك قسطنطين فى ملكه وذلك سنة
احدى وثلثمائة فظفر به الملك فقتله وخرج عن طاعته أيضا صاحب رومية وهى كرسى
ملك الافرنج وتسمى بالملك ولبس ثياب الملوك وكان قبل ذلك يطيع ملوك الروم أصحاب
القسطنطينية ويصدرون عن أمرهم فلما كانت سنة أربعين وثلثمائة تولى ملك رومية
فخرج عن طاعته فأرسل اليه قسطنطين العساكر يقاتلونه ومن معه من الفرنج فالتقوا
واقتتلوا فانهزمت الروم وعادت الى القسطنطينية منكوبة فكف حينئذ قسطنطين عن
معارضته ورضى بالمسالمة وجرى بينهما مصاهرة تزوج قسطنطين ابنه ارمانوس بابنة
ملك رومية ولم يزل أمر الافرنج بعد هذا يقوى ويزداد ويتسع ملكهم كالاستيلاء على
بعض بلاد الاندلس على ما نذكره وكاخذهم جزيرة صقلية وبلاد ساحل الشام والبيت
المقدس على ما نذكره وفى آخره الامر ملكوا القسطنطينية سنة احدى وستمائة على
ما نذكره ان شاء الله ومما ينبغى ان يلحق بهذا ان الطوائف من الترك اجتمعت منهم البجناك
والجنى وغيرهما وقصدوا مدينة للروم قديمة تسمى وليندر سنة اثنين وعشرين وثلثمائة
وحصروها فبلغ خبرهم الى ارمانوس فسير اليهم عسكرا كثيفا فيهم من المتنصرة اثنا عشر

الاتيان بالعرش فروت عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اسم الله الاعظم الذى دعا به آصف يا حى يا قيوم وقيل انه قال يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتنى بعرشها وقال مجاهد يا ذا الجلال والاكرام

(صفة عرش بلقيس)

اى سريرها كان مقدمه من ذهب أحمر مفصص بالياقوت الاحمر والزمرد الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بأنواع الجواهر له أربع قوائم من ياقوت أحمر وكان عرضه ثمانين ذراعا وطوله فى الهواء كذلك فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه من مارب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف قال هذا من فضل ربى ثم قال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها اى زيدوا فيه وانقصوا منه ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت بلقيس قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو شبهته به ثم ان سليمان عليه السلام دعاها الى الاسلام فاجابت وحسن اسلامها وقيل تزوجها سليمان عليه السلام وكان دخوله بها يوم عاشوراء بعد اربع عشرة سنة خلت من ملكه وأحبها حبا شديدا وقيل ردها الى ملكها وهو الاصح وكان سليمان عليه السلام يزورها فى كل شهر مرة يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام قال وهب بل اقامت بلقيس عند سليمان ولم ترجع الى ملكها مدة سبع سنين وتسعة أشهر وتوفيت ودفنت ليلا فى حائط مدينة تدمر ولم يطلع على دفنها أحد وولد لسليمان منها ولد سماه داود كان فى

ألفا فاقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزم الروم واستولى الترك على المدينة وخربوها بعد ان اكثروا القتل فيها والسبي والنهب ثم ساروا الى القسطنطينية وحصروها أربعين يوما وأغاروا على بلاد الروم واتصلت غاراتهم الى بلاد الافرنج ثم عادوا راجعين

(ذكر وصول قبائل العرب الى العراق ونزولهم الحيرة)

قال ابن الكلبي لما مات بختنصر انضم الذين اسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الانبار وبقيت الحيرة خرابا دهرا طويلا وأهلها بالانبار لا يطلع عليهم قادم من العرب فلما كثر اولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ومزقتهم الحروب خرجوا يطلبون الريف فيما يليهم من اليمن ومشارف الشام واقلت منهم قبائل حتى نزلوا بالبحرين وبها جماعة من الازد وكان الذين اقبلوا من تهامة مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم بن اسد بن وبرة بن قضاعة ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم في جماعة من قومهم والحيقاد بن الحنق بن عمير بن قبيص بن معد بن عدنان في قبيص كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن افصى بن دعمى بن اياد بن نزار بن معد بن عدنان وغيره من اياد فاجتمع بالبحرين قبائل من العرب وتحالفوا على التنوخ وهو المقام وتعاقدوا على التناصر والتساعد فصاروا يدا واحدة وضمهم اسم تنوخ وتنخ عليهم بطون من نمارة بن لخم ودعا مالك بن زهير جذيمة الابرش بن مالك بن فهم بن غانم بن اوس الازدى الى التنوخ معه وزوجه أخته لميس فتنخ جذيمة وكان اجتماعهم أيام ملوك الطوائف وانما سموا ملوك الطوائف لان كل ملك منهم كان ملكه على طائفة قليلة من الارض قال ثم تطلعت أنفس من كان بالبحرين الى ريف العراق فطمعوا في ان يغلبوا الاعاجم فيما يلي بلاد العرب أو مشاركتهم فيه لاختلاف بين ملوك الطوائف فاجمعوا على المسير الى العراق فكان اول من يطلع منهم الحيقاد بن الحنق في جماعة من قومه واخلاط من الناس فوجدوا الارمانيين وهم الذين ملكوا أرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل يقاتلون الاردوانيين وهم ملوك الطوائف وهو ما بين نفز وهى قرية من سواد العراق الى الابلة فدفعوهم عن بلادهم والارمانيون ممن بقايا ارم فلهذا سموا الارمانيين وهم نبط السواد ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله وغيرهم من تنوخ الى الانبار على ملك الارمانيين وطلع نمارة ومن معه الى نفز على ملك الاردوانيين وكان لا يدينون للاعاجم حتى قدمها تبع وهو اسعد ابو كرب بن مليكيكرب في جيوشه فخلف بها من لم يكن فيه قوة من عسكره وسار تبع ثم رجع اليهم فاقرهم على حالهم ورجع الى اليمن وفيهم من كل القبائل ونزلت تنوخ من الانبار الى الحيرة في الاخبية لا يسكنون بيوت المدر وكان أول من ملك منهم مالك بن فهم وكان منزله مما يلي الانبار ثم مات مالك فملك بعده أخوه عمرو بن فهم بن غانم بن دوس الازدى ثم مات فملك بعده جذيمة الابرش بن فهم وقيل ان جذيمة من العادية الاولى من بنى دمار بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام والله أعلم

(ذكر جذيمة الابرش)

قال وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيا وأبعدهم مغارا وأشدهم نكاية وأول من

ومات في حياته. وقد ورد في الخبر ان سليمان عليه السلام اراد ان يصفو له يوم واحد من الدهر من الكدر فأمر الجن ببناء صرح فبنوه له فلما دخله مختفيا رأى فيه شابا فقال له كيف دخلت من غير استئذان قال اذن لى ربى ان أدخل هذا البيت فعلم انه ملك الموت فقال سبحان الله طلبت يوما في الدنيا الصفاء فقيل طلبت شيأ لم يخلق في الدنيا فاعلمه ملك الموت انه بقى من عمره ساعة واحدة وكان قد بقى لعمارة مسجد بيت المقدس مقدار سنة كاملة فقال اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وليتم العمارة فقام يصلى وهو متكئ على عصاه فقبضت روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى أكلتها الارضة فخر ففحصوا عنه فوجدوه ميتا وعاش سليمان عليه السلام اثنين وخمسين سنة وقيل مائة وعشرين سنة ودفن عند قبر ابراهيم عليه السلام

(الفصل الثامن والعشرون في ذكر لقمان عليه السلام)

وهما اثنان (أحدهما) لقمان الحكيم وهو لقمان بن عنقاء وكان نوبيا وقيل كان حبشيا مولى للقين بن حسن قال مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين مشقق القدمين وكان عبدا صالحا فمنّ الله عليه بالحكمة ولم يكن نبيا وفي قول أكثر الناس وروى انه تلمذ لالف نبى وتلمذ له ألف نبى وفي أنوار التنزيل ان لقمان كان من ولد آزر عاش ألف سنة حتى أدرك زمان داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان خياطا وقيل كان راعيا وروى انه

استجمع له الملك بأرض العراق وضم اليه العرب وغزا بالجيوش وكان به برص فكنت
العرب عنه فقيل الوضاح والابرش اعظاما له وكان منازله ما بين الحيرة والانبار وبقة
وهيت وعين التمر واطراف البراري العمير وخفية وتجبى اليه الاموال وتفد اليه الوفود
وكان غزا طسما وجديسا في منازلهم من اليمامة فاصاب حسان بن تبع اسعد ابي كرب
قد اغار عليهم فعاد بمن معه وأصاب حسان سرية لجذيمة فاجتاحها وكان له صنمان يقال
لهما الضيزنان وكانت اياد بعين أباغ فذكر لجذيمة غلام من لخم في اخواله من اياد يقال له
عدي بن نصر بن ربيعة له جمال وظرف فغزاهم جذيمة فبعثت اياد من سرق صنميه وحملهما
الى اياد فارسلت اليه ان صنميك اصبحا فينا زهدا فيك فان أوثقت لنا ان لا تغزونا
دفعناهما اليك قال وتدفعون معهما عدي بن نصر فأجابوه الى ذلك وأرسلوه مع الصنمين
فضمه الى نفسه وولاه شرابه فأبصرته رقاش اخت جذيمة فعشقته وراسلته ليخطبها الى
جذيمة فقال لا اجترئ على ذلك ولا أطمع فيه قالت اذا جلس على شرابه فاسقه صرفا
واسق القوم ممزوجا فاذا أخذت الخمر فيه فاخطبني اليه فلن يردك فاذا زوجك فأشهد
القوم ففعل عدي ما أمرته فاجابه جذيمة واملكه اياها فانصرف اليها فاعرس بها
من ليلته وأصبح مخلوقا فقال له جذيمة وانكر ما رأى به ما هذه الآثار يا عدي قال
آثار العرس قال أي عرس قال عرس رقاش قال من زوجكها ويحك قال الملك فندم
جذيمة وأكب على الارض متفكرا وهرب عدي فلم ير له أثر ولم يسمع له بذكر فارسل
اليها جذيمة

خبريني وأنت لا تكذبيني • أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل لعبد • أم بدون فانت اهل لدون

فقالت لا بل أنت زوجتني امرأ عربيا حسيبا ولم تستأمرني في نفسي فكف عنها
وعذرها ورجع عدي الى اياد فكان فيهم فخرج يوما مع فتية متصيدين فرمى به فتى منهم
فيما بين جبلين فتنكس فمات فحملت رقاش فولدت غلاما فسمته عمرا فلما ترعرع وشب
ألبسته وعطرته وازارته خاله فلما رآه أحبه وجعله مع ولده وخرج جذيمة متبديا بأهله
وولده في سنة خصيبة فاقام في روضة ذات زهر وغدر فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون
الكمأة فكانوا اذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها فانصرفوا الى جذيمة
يتعادون وعمرو يقول هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه فضمه جذيمة اليه
والتزمه وسر بقوله وأمر فجعل له حلي من فضة وطوق فكان أول عربي ألبس طوقا
فبيناهو على أحسن حالة اذ استطارته الجن فطلبه جذيمة في الآفاق زمانا فلم يقدر عليه
ثم أقبل رجلان من بلقين قضاعة يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك من الشام
يريدان جذيمة واهديا له طرفا فنزلا منزلا ومعهما قينة لهما تسمى ام عمرو فقدمت طعاما
فبيناهما يأكلان اذ اقبل فتى عريان قد تلبد شعره وطالت اظفاره وساءت حاله فجلس
ناحية عنهما ومد يده يطلب الطعام فناولته القينة كراعا فأكلها ثم مد يده ثانية فقالت
لا تعط العبد الكراع فيطمع في الذراع فذهبت مثلا ثم سقتهما من شراب معها وأوكت

زقها

لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلانا الراعي فبم بلغت هذه المنزلة قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك
ما لا يعنيني قيل ان لقمان جمع
في الحكمة اربعمائة الف كلمة
واختار منها اربع كلمات ثنتين
منها اذكر ولا تنسى وهما الله
تعالى والموت وثنتين منها انس
ولا تذكرهما الاساءة الى الخلق
واساءة الخلق اليك قال وهب
قرأت من حكمته نحوا من عشرة
آلاف باب لم يسمع الناس كلاما
أحسن منه ثم نظرت فرأيت
الناس قد ادخلوه في كلامهم
واستعانوا به في خطبهم ومن
حكمته انه مولاه دعاه يوما وأراد
ان يجربه فقال اذبح لي شاة وأتني
باطيب مضغتين منها فذبح شاة
وأتاه بالقلب واللسان ثم قال مولاه
اذبح شاة أخرى وأتني بأخبث
مضغتين منها فذبح شاة وأتاه
بالقلب واللسان فسأله عن ذلك
فقال انهما اطيب شيء اذا طابا
وأخبث شيء اذا خبثا ودخل
يوما سيده الخلاء وأطال الجلوس
فناداه ان لا تطل الجلوس في
الخلاء فانه يوجع الكبد ويورث
البواسير روى انه لما قال لابنه
واسمه باران وهو يعظه يا بني
انها ان تك مثقال حبة من خردل
فتكن في صخرة الآية انفطرت
مرارته من هيبتها ومات فكانت
آخر كلمة حكمة قالها وتوفي ومعه
سبعون نبيا في يوم واحد من
الجوع ودفن بفلسطين ذكر
ان لقمان لما احتضر بكى وقال
ما أبكي على الدنيا انما ابكي على
ما امامي شقة بعيدة ومفازة صعبة وعقبة كؤود وزاد قليل وحمل ثقيل فما ادري أحط عني ذلك الحمل حين

زقها فقال عمرو بن عدى

صددت الكاس عنا ام عمرو * وكان الكاس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة ام عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

فسألاه عن نفسه فقال ان تنكرانى وتنكرا نسبى فانى أنا عمرو بن عدى ابن تنوخية اللخمى وغدا ماتريانى فى تمارة غير معصى فنهضا وغسلا رأسه وأصلحا حاله والبساه ثيابا وقالا ما كنا لنهدى لجذيمة انفس من ابن اخته فخرجا به الى جذيمة فسر به سرورا شديدا وقال لقد رأيته يوم ذهب وعليه طوق فما ذهب من عينى وقلبى الى الساعة وأعادوا عليه الطوق فنظر اليه وقال كبر عمرو عن الطوق وارسلها مثلا وقال لمالك وعقيل ما حكمكما قالا حكمنا منادمتك ما بقينا او بقيت فهما ندمانا جذيمة اللذان يضرب بهما المثل وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة العمليقى من عاملة العمالقة فحارب هو وجذيمة فقتل عمرو وانهزمت عساكره وعاد جذيمة سالما وملكت بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة وكان جنود الزباء بقايا العماليق وغيرهم وكان لها من الفرات الى تدمر فلما استجمع لها امرها واستحكم ملكها اجمعت لغزو جذيمة تطلب بثار أبيها فقالت لها اختها ربيبة وكانت عاقلة ان غزوت جذيمة فانما هو يوم له ما بعده والحرب سجال وأشارت بترك الحرب واعمال الحيلة فأجابتها الى ذلك وكتبت الى جذيمة تدعوه الى نفسها وملكها وكتبت اليه انها لم تجد ملك النساء الا قبحا فى السماع وضعفا فى السلطان وانها لم تجد لملكها ولا لنفسها كفؤا غيره فلما انتهى كتاب الزباء اليه استخف ما دعته اليه وجمع اليه ثقاته وهو ببقة من شاطئ الفرات فعرض عليهم ما دعته اليه واستشارهم فاجمع رأيهم على ان يسير اليها ويستولى على ملكها وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد من لخم وكان سعد تزوج امة لجذيمة فولدت له قصيرا وكان اديبا حازما ناصحا لجذيمة قريبا منه فخالفهم فيما أشاروا به عليه وقال رأى فاتر وعدو حاضر فذهبت مثلا وقال لجذيمة اكتب اليها فان كانت صادقة فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير وقال له لا ولكنك امرؤ رأيك فى الكن لا فى الضح فذهبت مثلا ودعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى فاستشاره فشجعه على المسير وقال ان نمارة قومى مع الزباء فلو رأوك صاروا معك فاطاعه فقال قصير لا يطاع لقصير أمر وقالت العرب ببقة أبرم الامر فذهبتا مثلا واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على ملكه وعمرو بن عبد الجن على خيوله معه وسار فى وجوه أصحابه فلما نزل الفرضة قال لقصير ما الرأى قال ببقة تركت الرأى فذهبت مثلا واستقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف فقال يا قصير كيف ترى قال خطر يسير وخطب كبير فذهبت مثلا وستلقاك الخيول فان سارت امامك فان المرأة صادقة وان أخذت جنبيك وأحاطت بك فان القوم غادرون فاركب العصا وكانت فرسا لجذيمة لا تجارى فانى راكبها ومسايرك عليها فلقيته الكتائب

عاد صاحب النسور وهو بقية عاد الاولى بعثه عاد مع الوفد الى الحرم يستسقون فدعوا وسأل هو البقاء واختار عمر سبعة انسر كلما هلك نسر أخذ مكانه آخر يأخذ النسر وهو فرخ فيربيه الى ان يموت وقد اختلف الناس فى عمر النسر وعامتهم على انه يعيش خمسمائة سنة فعلى هذا ان لقمان عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ولم يبلغ هذا العمر من بنى آدم احد غيره وغير عوج بن عناق وقيل انه عاش ثلاثة آلاف وثمانمائة سنة لانه كان له قبل ان يأخذ النسور ثلثمائة سنة والله أعلم

(الفصل التاسع والعشرون فى ذكر شعيا النبى عليه السلام)

وهو شعيا بن امصيا وهو الذى بشر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعيسى بن مريم عليه السلام قال رأيت راكبين اضاءت لهما الارض أحدهما على حمار والآخر على جمل فراكب الحمار عيسى عليه السلام وراكب الجمل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولما كثر فى بنى اسرائيل الاحداث والبدع وكان لهم ملك يدعى صدقيا من ولد سليمان بن داود عليهما السلام فبعث الله سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فاقبل حتى نزل حول بيت المقدس فبلغ ذلك ملك بنى اسرائيل وهو مريض فأوحى

 الله تعالى الى شعيا عليه السلام ان ائت ملك بنى اسرائيل واخبره بأن يوصى ويستخلف من يشاء فأتاه شعيا

عليه السلام فقال له ان ربك قد أوحى ١٤٨ الى ان آمرك ان توصى وتستخلف من شئت على ملكك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا
لصدقيا بكى وتضرع وابتهل الى الله
تعالى فاستجاب الله تعالى دعاءه
فأوحى الله تعالى الى شعيا وأمره
ان يخبر ملك بنى اسرائيل ان ربه
قد استجاب له وقبل دعاءه وقد
اخر أجله خمس عشرة سنة وانجاه
من عدوه فاتاه شعيا عليه
السلام واخبره بذلك فقال ذهب
الوجع وانقطع الحزن وخر
ساجدا لله تعالى فلما أصبح جاءه
صارخ نصرخ على باب المدينة
يا ملك بنى اسرائيل قد كفاك الله
شر عدوك فاخرج فانهم اصبحوا
كلهم موتى الا سنحاريب
وخمسة أنفار من اصحابه فخرج
صدقيا الملك يلتمس سنحاريب
واصحابه بين الموتى فلم يجده فبعث
فى طلبه فادركه مع خمسة احدهم
بختنصر فجعلوهم فى الغل والقيد
ثم اتوا بهم الى صدقيا الملك فلما
رآهم خر ساجدا لله تعالى من وقت
طلوع الشمس الى بعد العصر ثم
قال لسنحاريب كيف رأيت
فعل ربنا بكم الم يقتلكم بحوله
وقوته فقال سنحاريب نعم قد
بلغنى امر نصركم قبل ان اخرج
من بلادى ولكن الشقاوة غلبت
على وعلى من معى ثم ان ملك بنى
اسرائيل وضع فى رقابهم الاغلال
وطاف بهم سبعين يوما حول بيت
المقدس وعين لكل رجل منهم
فى كل يوم رغيفين من خبز شعير
فضاق عليهم عيشهم حتى تمنوا
الموت واراد قتلهم فاوحى الله
تعالى الى شعيا عليه السلام ان يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم فلما قدموا بابل ابث سنحاريب والطارق

فحالت بينه و بين العصا فركبها قصير ونظر اليه جذيمة موليا على متنها فقال
ويل أمه حزما على متن العصا فذهبت مثلا وقال ما ضل من تجرى به العصا فذهبت مثلا
وجرت به الى غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت أرضا بعيدة فبنى عليها برجا يقال له برج
العصا وقالت العرب خير ما جاءت به العصا مثل تضرب وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيول
حتى دخل على الزباء فلما رأته تكشفت فاذا هى مظفورة الاسب والاسب بالباء الموحدة
شعر الاست وقالت له يا جذيمة اداب عروس ترى فذهبت مثلا فقال بلغ المدى وجف
الثرى وأمر غدر أرى فذهبت مثلا فقالت له أما والهى ما بنا من عدم مواس ولا قلة أواس
ولكنها شيمة ما اناس فذهبت مثلا وقالت له انبئت ان دماء الملوك شفاء من الكلب ثم
أجلسته على نطع وأمرت بطست من ذهب فاعدته وسقته الخمر حتى أخذت منه مأخذها
ثم أمرت براهشيه فقطعا وقدمت اليه الطست وقد قيل لها ان قطر من دمه شئ فى غير
الطست طلب بدمه وكانت الملوك لا تقتل بضرب الرقبة الا فى قتال تكرمة للملك فلما
ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه فى غير الطست فقالت لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة
دعوا دما ضيعه أهله فذهبت مثلا فهلك جذيمة وخرج قصير من الحى الذين هلكت العصا
بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدى وهو بالحيرة فوجده قد اختلف هو وعمرو بن عبد
الجن فأصلح بينهما واطاع الناس عمرو بن عدى وقال له قصير تهيأ واستعد ولا تطل دم
خالك فقال كيف لى بها وهى امنع من عقاب الجو فذهبت مثلا وكانت الزباء سألت كهنة
عن امرها وهلاكها فقالوا لها نرى هلاكك بسبب عمرو بن عدى ولكن حتفك بيدك
فحذرت عمرا واتخذت نفقا من مجلسها الى حصن لها داخل مدينتها ثم قالت ان فجأنى
أمر دخلت النفق الى حصنى ودعت رجلا مصورا حاذقا فارسلته الى عمرو بن عدى
متنكرا وقالت له صوره جالسا وقائما ومنفصلا ومتنكرا ومتسلحا بهيئته ولبسه ولونه ثم
أقبل الى ففعل المصور ما وصته الزباء وعاد اليها وارادت ان تعرف عمرو بن عدى فلا تراه
على حال الا عرفته وحذرته وقال قصير لعمرو اجدع انفى واضرب ظهرى ودعنى واياها
فقال عمرو ما انا بفاعل فقال قصير خل عنى اذا وخلاك ذم فذهبت مثلا فقال عمرو فانت
ابصر فجدع قصير أنفه ودق ظهره وخرج كأنه هارب وأظهر ان عمرا فعل ذلك به وسار
حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فأمرت به فأدخل عليها فاذا أنفه قد جدع
وظهره قد ضرب فقالت لامر ما جدع قصير أنفه فذهبت مثلا قالت ما الذى أرى بك
يا قصير قال زعم عمرو انى غدرت خاله وزينت له المسير اليك ومالأتك عليه ففعل بى ما ترين
فأقبلت اليك وعرفت انى لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فأكرمته وأصابت عنده
بعض ما أرادت من الحزم والرأى والتجربة والمعرفة بأمور الملك فلما عرف انها قد
استرسلت اليه ووثقت به قال لها ان لى بالعراق أموالا كثيرة ولى بها طرائف وعطر
فابعثينى لاحمل مالى واحمل اليك من طرائفها وصنوف ما يكون بها من التجارات
فتصيبين ارباحا وبعض مالا غنى للملوك عنه فسرحته ووجهت اليه أموالا وجهزت معه
عيرا فسار حتى قدم العراق وأتى عمرو بن عدى متخفيا وأخبره الخبر وقال جهزنى بالبز

والطارف وغير ذلك اهل الله يمكنك من الزباء فتصيب ثارك وتقتل عدوك فأعطاه حاجته فرجع بذلك كله الى الزباء فعرضه عليها فأعجبها وسرها وازدادت به ثقة ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته به فى المرة الاولى فسار حتى قدم العراق وحمل من عند عمرو حاجته ولم يدع طرفة ولا متاعا قدر عليه ثم عاد الثالثة فأخبر عمرا الخبر وقال اجمع لى ثقاة أصحابك وجندك وهيئ لهم الغرائر وهو أول من عملها وحمل كل رجلين على بعير فى غرارتين وجعل معقد رؤسهما من باطنهما وقال له اذا دخلت مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا باهل المدينة فمن قاتلهم قتلوه وان أقبلت الزباء تريد نفقها قتلتها ففعل عمرو ذلك وساروا فلما كانوا قريبا من الزباء تقدم قصير اليها فبشرها وأعلمها كثرة ما حمل من الثياب والطرائف وسألها ان تخرج وتنظر الى الابل وما عليها وكان قصير يكمن النهار ويسير الليل وهو أول من فعل ذلك فخرجت الزباء فابصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ فى الارض فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

ودخلت الابل المدينة فلما توسطتها أنيخت وخرج الرجال من الغرائر ودل عمرو على باب النفق وصاحوا باهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء تريد الخروج من النفق فلما أبصرت عمرا قائما على باب النفق عرفته بالصورة التى عملها المصور فمصت سما كان فى خاتمها فقالت بيدى لا بيد عمرو فذهبت مثلا وتلقاها عمرو بالسيف فقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة ثم عاد الى العراق وصار الملك بعد جذيمة لابن اخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن سعود بن مالك بن غنم بن نمارة ابن لخم وهو أول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب فلم يزل ملكا حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل مائة وثمانى عشرة سنة منها ايام ملوك الطوائف خمس وتسعون سنة وايام اردشير بن بابك اربع عشرة سنة واشهر وايام ابنه سابور بن اردشير ثمان سنين وشهران وكان منفردا بملكه يغزو المغازى ولا يدين لملوك الطوائف الى ان ملك اردشير بن بابك اهل فارس ولم يزل الملك فى ولده الى ان كان آخرهم النعمان بن المنذر الى ايام ملوك كندة على ما نذكره ان شاء الله وقيل فى سبب مسير ولد نصر بن ربيعة الى العراق غير ما تقدم وهو رؤيا رآها ربيعة وسيرد ذكرها عند امر الحبشة ان شاء الله تعالى

(ذكر طسم وجديس وكانوا ايام ملوك الطوائف)

كان طسم بن لوذ بن ازهر بن سام بن نوح وجديس بن عامر بن ازهر بن سام ابنى عم وكانت مساكنهم موضع اليمامة وكان اسمها حينئذ جوا وكانت من اخصب البلاد وأكثرها خيرا وكان ملكهم ايام ملوك الطوائف عمليق وكان ظالما قد تمادى فى الظلم والغشم والسيرة الكثيرة القبح وان امرأة من جديس يقال لها هزيلة طلقها زوجها واراد اخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق وقالت ايها الملك حملته تسعا ووضعته دفعا وارضعته شفعا حتى اذا تمت اوصاله ودنا فصاله اراد ان يأخذه منى كرها ويتركنى بعده ورها فقال زوجها ايها

سبع سنين ثم مات واستخلف بختنصر وكان ابن ابنه وسار بسيرته ثم بعد ذلك قبض الله تعالى صدقيا ملك بنى اسرائيل وهو آخر من ملك من آل داود وكان اقام الملك فى آل داود أربعمائة وخمسين سنة ووقع الخلف بينهم حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغى والفساد فلا يقبلون كلام نبيهم ولا يرجعون اليه فلما ازداد بغيهم أوحى الله تعالى الى شعيا عليه السلام أن قم خطيبا فيهم فقام وأطلق الله لسانه فبالغ فى التحذير والانذار فلما فرغ من كلامه اجتمعوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فتبعوا أثره فلقيته شجرة فانفلقت فدخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم اياها فانضمت الشجرة عليه فوضعوا المنشار فنشروها ونشروه معها

(الفصل الثلاثون فى ذكر ارميا عليه السلام)

وهو ارميا بن حلقيا قال صاحب العرائس استخلف الله بعد شعيا ارميا عليهما السلام وزعم ابن اسحق انه الخضر عليه السلام فلما كثر فى بنى اسرائيل الاحداث ولم يطيعوا نبيهم ولم يتوبوا الى ربهم أوحى الله تعالى الى ارميا انى مهلك بنى اسرائيل ومسلط عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وانزع عن صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل لا يبقى منهم والدا ولا ولدا فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى وتضرع الى الله تعالى ثم انهم لبثوا بعد ذلك ثلاث سنين ولم يزدادوا الا معصية وتماديا فى الشر فسلط الله تعالى عليهم بختنصر فخرج من بابل فى ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس وارسل الله تعالى صاعقة على بيت

الملك انها اعطيت مهرها كاملا ولم اصب منها طائلا الا وليدا خاملا فاعمل ما كنت فاعلا فامر الملك بالغلام فصار في غلمانه وان تباع المرأة وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى المرأة عشر ثمن زوجها فقالت هزيلة

اتينا اخا طسم ليحكم بيننا • فانفذ حكما في هزيلة ظالما

لعمري لقد حكمت لامتورعا • ولا كنت فيمن يبرم الحكم عالما

ندمت ولم اندم واني بعترتي • واصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها امر ان لا تزوج بكر من جديس وتهدى الى زوجها حتى يفترعها فلقوا من ذلك بلاء وجهدا وذلا ولم يزل يفعل ذلك حتى زوجت الشموس وهي عفيرة بنت عباد اخت الاسود فلما ارادوا احملها الى زوجها انطلقوا بها الى عمليق لينالها قبله ومعها القينات فلما دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها فخرجت الى قومها في دمائها وقد شقت درعها من قبل ودبر والدم يبين وهي في اقبح منظر تقول

لا احد أذل من جديس • اهكذا يفعل بالعروس

يرضى بذا يا قوم بعل حر • اهدى وقد اعطى وسيق المهر

وقالت أيضا تحرض قومها

ايجمل ما يؤتى الى فتياتكم • وانتم رجال فيكم عدد النمل

وتصبح تمشي في الدما عفيرة • جهارا وزفت في النساء الى بعل

ولو اننا كنا رجالا وكنتم • نساء لكنا لا نقر لذا الفعل

فموتوا كراما او أميتوا عدوكم • وذبوا لنار الحرب بالحطب الجزل

والا فخلوا بطنها وتحملوا • الى بلد قفر وموتوا من الهزل

فللبين خير من مقام على الاذى • وللموت خير من مقام على الذل

وان انتم لم تغضبوا بعد هذه • فكونوا نساء لا تعيب من الكحل

ودونكم طيب النساء فانما • خلقتم لاثواب العروس وللغسل

فبعدا وسحقا للذي ليس دافعا • ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

فلما سمع اخوها الاسود قولها وكان سيدا مطاعا قال لقومه يا معشر جديس ان هؤلاء القوم ليسوا باعز منكم في داركم الا بملك صاحبهم علينا وعليهم ولولا عجزنا لما كان له فضل علينا ولو امتنعنا لانتصفنا منه فاطيعوني فيما آمركم فانه عز الدهر وقد حمي جديس لما سمعوا من قولها فقالوا نطيعك ولكن القوم أكثر منا قال فاني أصنع للملك طعاما وادعوه وأهله اليه فاذا جاؤا يرفلون في الحلل أخذنا سيوفنا وقتلناهم فقالوا افعل فصنع طعاما أكثر وجعله بظاهر البلد ودفن هو وقومه سيوفهم في الرمل ودعا الملك وقومه فجاؤا يرفلون في حللهم فلما أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم يأكلون أخذت جديس سيوفهم من الرمل وقتلوهم وقتلوا ملكهم وقتلوا بعد ذلك السفلة ثم ان بقيه طسم قصد واحسان بن تبع ملك اليمن فاستنصروه فسار الى اليمامة فلما كان منها على مسيرة ثلاث قال له بعضهم ان لي أختا متزوجة في جديس يقال لها اليمامة تبصر الراكب من

المقدس فالتهب مكان الرهبان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها الما رأى ارمياء ذلك طار حتى خرج من المدينة وخالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس وقتل بني اسرائيل حتى افناهم بعد ان قتل أربعين الف رجل ممن قرأ التوراة وتقدم في العلم وأخرب بيت المقدس ونهب ما فيه ثم أمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس حتى ردموه بالتراب وأخذ من الذهب والفضة وأنواع اليواقيت الذي كان وضعه سليمان عليه السلام في عمارة المسجد حين بناه مالا يحصيه الا الله تعالى ونقل ذلك كله الى بابل واختار من الصبيان سبعين الفا فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم أربعة غلمان فكان من تلك الغلمان دانيال وعزريا وميشائيل وهم من ذراري الانبياء في قسمة بختنصر وجمع من سبايا بني اسرائيل فكان سبعة آلاف من أهل بيت داود عليه السلام واحد عشر الفا من سبط يوسف وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط شمعون وأربعة آلاف من سبط يالون وأربعة آلاف من سبط يهوذا وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى وهم اولاد يعقوب عليه السلام جعلهم ثلاث فرق فثلثا بالشام ابقاهم وثلثا افناهم وثلثا سباهم وسارت من بني اسرائيل طائفة الى مصر واجتمعوا بملكها فسار بختنصر الى ملك مصر فاقتتلا فظفر به بختنصر فأسره وقتل جنوده واسر كل من كان عنده من بني اسرائيل ثم رجع ولحق ببابل فلما قدم

مسيرة

مسـيرة ثلاث واني أخاف ان تنـذر القوم بك فرأصحابك فليقطع كل رجـل منهم شجرة فليجعلها امامه فأمرهـم حسان بذلك فنظرت اليمامة فأبصرتهم فقالت لجديس لقـد سارت اليكم حمير قالوا وما ترين قالت أرى رجـلا في شجرة معه كتف يتعرقها أو نعل يخصفها وكان كذلك فكذبوها فصبحهم حسان فأبادهم وأتى حسان باليمامة ففقأ عينها فاذا فيها عروق سود فقال ما هذا قالت حجر أسود كنت أكتحل به يقال له الاثمد وكانت أول من اكتحل به وبهذه اليمامة سميت اليمامة وقد أكثر الشعراء ذكرها في اشعارهـم ولما هلكت جـديس هرب الاسود قاتل عمليق الى جبلي طيء فأقام بهما وذلك قبل ان تنزلهما طيء وكانت طيء تنزل الجرف من اليمن وهو الآن لمراد وهمدان وكان يأتي الى طيء بعير زمان الخريف عظيم السمن ويعود عنهـم ولم يعلموا من أين يأتي ثم انهم اتبعوه يسـيرون بسيره حتى هبط بهم على اوجا وسلمى جبلي طيء وهـما بقرب فيد فرأوا فيـه النخل والمراعي الكثيرة ورأوا الاسود بن عفار فقتلوه وأقامت طيء بالجبلين بعـده فهم هناك الى الآن وهذا أول مخرجهم اليهما

(ذكر أصحاب الكهف وكانوا أيام ملوك الطوائف)

كان أصحاب الكهف أيام ملك اسمه دقيوس ويقال دقيانوس وكانوا بمدينة للروم اسمها افسوس وملكهم يعبد الاصنام وكانوا فتية آمنوا بربهم كما ذكر الله تعالى فقال أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا والرقيم خبرهم كتب في لوح وجعل على باب الكهف الذي أووا اليه وقيل كتبه بعض أهل زمانهم وجعله في البناء وفيـه أسماؤهم وفي أيام من كانوا وسبب وصولهـم الى الكهف وقيل كتبه الملك الذي ظهر عليهم وبنى الكنيسـة عليهم وكانت عدتهـم فيما ذكر ابن عباس سـبعة وثامنهم كلبهم وقال انا من القليـل الذين يعلمونهـم وقال ابن اسحق كانوا ثمانيـة فعلى قوله يكون تاسعهم كلبهـم وكانوا من الروم وكانوا يعبـدون الاوثان فهداهم الله وكانت شريعتهم شريعة عيسى عليه السـلام وزعم بعضهم انهم كانوا قبل المسيح وان المسيح أعلم قومه بهم وان الله بعثهم من رقدتهـم بعد رفع المسيح والاول أصح وكان سبب ايمانهم انه جاء حواري من أصحاب عيسى الى مـدينتهم فأراد ان يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد حتى يسجد له فلم يدخلها وأتى حماما قريبا من المدينة فكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام البركة وعلقه الفتية فجعل يخبرهم خـبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخـل بها الحمام فعـيره الحواري فاستحيا ثم رجـع مرة اخرى فعيره فسبه وانتهره ودخل الحمام ومعه المرأة فماتا في الحمام فقيل للملك ان الذي بالحمام قتلهـما فطلب فلم يوجد فقيل من كان يصحبـه فذكر الفتية فطلبوا فهربوا فمروا بصاحب لهم على حالهم في زرع له فذكروا له أمرهم فسار معهم وتبعهم الكلب الذي له حتى آواهـم الليل الى الكهف فقالوا نبيت ههنا حتى نصبح ثم نرى رأينا فدخلوه فرأوا عنده عين ماء وثمارا فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء فلما جنهم الليـل ضرب الله على آذانهم ووكل بهـم ملائكة يقلبونهـم ذات اليمين وذات الشمال لئـلا تأكل الارض

بختنصر أرض بابل مسخه الله أسدا ثم مسخه نسرا ثم مسخه ثورا وكان مسخه سبع

سنين وقلبه في ذلك كله قلب انسان وهو في ذلك كله يعـقل عقـل الانسان فكان ملكه قائما ثم رده الله تعالى الى بشريته فدعا الى توحيد الله تعالى ولكن اختلفوا في ايمانه فقال بعضهم قتل الانبياء وأخرب بيت المقـدس وأحرق كتاب الله تعالى فغضب الله عليه فلم يقبل منه التوبة ودخلت بعوضة في منخره حتى أكلت من دماغه فمات وكان عمره حـين مسخ ألفا وخمسمائة سنة وخمسين يوما ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى ارميا الى عامر بيت المقدس وكان بمصر فاخرج اليه فخرج أرميا من مصر على حمارله ومعه عصـير عنب في ركوة وسلة تين حتى أتى ايليا ووقف عليها ورأى خرابها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ثم ربط حماره فألقى الله عليه النوم وكان وقت الضحى فلما نام نزع الله عنه الروح مائة عام وأمات حماره والعصـير والتين عنـده وأعمى الله عنـه العيون فلم يره أحد ومنع الله الطير والسـباع عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة ارسل الله تعالى ملكا من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره فانتدب في الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة عامل وجعـلوا يعمرونه وكان قد نجا دانيـال وعزير ومن بقي من بني اسرائيل ولم يمت ببابل منهم احد وردهـم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيه وعمروه في ثلاثين سـنة وكثروا حتى كانوا أحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة سنة أحيا الله تعالى من أرميا عينيه وبقي سائر جسده ميتا ثم احيا جسده وهو ينظر ثم نظر

أجسادهم وكانت الشمس تطلع عليهم وسمع الملك دقيانوس خبرهم فخرج في أصحابه يتبعون أثرهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف وأمر أصحابه بالدخول اليهم واخراجهم فكلما أراد رجل ان يدخل ارعب فعاد فقال بعضهم أليس لو كنت ظفرت بهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا ففعل فبقوا زمانا بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت غنمي فيه ففتحه فرد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا فبعثوا أحدهم بورق ليشتري لهم طعاما واسمه تمليخا فلما أتى باب المدينة رأى ما أنكره حتى دخل على رجل فقال بعني بهذه الدراهم طعاما فقال من أين لك هذه الدراهم قال خرجت أنا وأصحاب لي امس فلما أصبحنا ارسلوني لاشتري لهم طعاما فقال هذه الدراهم كانت على عهد الملك الفلاني فرفعه الى الملك وكان ملكا صالحا فسأله عنها فاعاد عليه حالهم فقال الملك وأين أصحابك قال انطلقوا معي فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف فقال دعوني ادخل الى أصحابي قبلكم لئلا يسمعوا أصواتكم فيخافوا ويظنوا انكم دقيانوس قد علم بهم فدخل عليهم وأخبرهم الخبر فسجدوا وشكروا الله وسألوه ان يتوفاهم فاستجاب لهم فضرب على اذنه وآذانهم وأراد الملك الدخول عليهم فكانوا كلما دخل عليهم رجل أرعب فلم يقدروا ان يدخلوا عليهم فعادوا عنهم فبنوا عليهم كنيسة يصلون فيها قال عكرمة لما بعثهم الله كان الملك حينئذ مؤمنا وكان قد اختلف أهل مملكته في الروح والجسد وبعثهما فقال قائل يبعث الله الروح دون الجسد وقال قائل يبعثان جميعا فشق ذلك على الملك فلبس المسوح وسأل الله ان يبين له الحق فبعث الله أصحاب الكهف بكرة فلما بزغت الشمس قال بعضهم لبعض قد اغفلنا هذه الليلة عن العبادة فقاموا الى الماء وكان عند الكهف عين وشجرة فاذا العين قد غارت والاشجار قد يبست فقال بعضهم لبعض ان أمرنا لعجب هذه العين غارت وهذه الاشجار يبست في ليلة واحدة والقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا فدخل احدهم يشتري الطعام فلما رأى السوق عرف طرقها وأنكر الوجوه ورأى الايمان ظاهرا بها فأتى رجلا يشتري منه فانكر الدراهم فرفعه الى الملك فقال الفتى أليس ملككم فلان فقال الرجل لا بل فلان فتعجب لذلك فلما أحضر عند الملك اخبره بخبر أصحابه فجمع الملك الناس وقال لهم انكم قد اختلفتم في الروح والجسد وان الله قد بعث لكم آية هذا الرجل من قوم فلان يعني الملك الذي مضى فقال الفتى انطلقوا بي الى أصحابي فركب الملك والناس معه فلما انتهى الى الكهف قال الفتى للملك ذروني اسبقكم الى أصحابي اعرفهم خبركم لئلا يخافوا اذا سمعوا وقع حوافر دوابكم واصواتكم فيظنوكم دقيانوس فقال افعل فسبقهم الى أصحابه ودخل على أصحابه فأخبرهم الخبر فعلموا حينئذ مقدار لبثهم في الكهف وبكوا فرحا ودعوا الله ان يميتهم ولا يراهم أحد ممن جاءهم فماتوا لساعتهم فضرب الله على اذنه وآذانهم معه فلما استبطؤه دخلوا الى الفتية فاذا أجسادهم لا ينكرون منها شيئا غير انها لا أرواح فيها فقال الملك هذه آية لكم

الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح فسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نودي أن اكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فنهق باذن الله تعالى فكان التين كأنه قطع من ساعته والعصير كأنه عصر من ساعته وعاش أرميا ثلثمائة سنة

(الفصل الحادي والثلاثون في ذكر دانيال عليه السلام)

وهما اثنان أحدهما دانيال الاكبر وكان بين هود وصالح عليهما السلام ذكر ابن الجوزي في كتابه سلوة الاحزان ان الله تعالى اوحى اليه أن احفر لهم نهرين عظيمين وهما دجلة والفرات فقال يارب كيف أحفر قال له خذ سكة من حديد وعرضها واجعلها في خشبة وألقها خلف ظهرك فاني باعث اليك ملائكة يعينونك على حفرهما ففعل كما أمر وكان من بقايا قوم عاد وهو الذي وجد المسلمون قبره بالعراق في زمن الفتوح مع أبي موسى الاشعري وذكروا ان أنفه كان طوله ذراعا وذلك في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين فتح بلاد العراق فكتب ابو موسى بذلك الى عمر بن الخطاب فأمره ان يخرجه ويكفنه ويصلي عليه فأخرجه وكفنه وصلى عليه ودفنه وهو الذي كان يستمطر به اهل فارس في زمن كسرى واما دانيال الاصغر فانه كان في زمن بختنصر وهو الذي تفرد في علم النجوم والرمل وكان ذهب به بختنصر مع اطفال من اولاد الانبياء عليهم السلام الى

ورأى الملك تابوتا من نحاس مختوما بخاتم ففتحه فرأى فيه لوحا من رصاص مكتوبا فيه أسماء الفتية وانهم هربوا من دقيانوس الملك مخافة على نفوسهم ودينهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم دقيانوس بمكانهم بالكهف سده عليهم فليعلم من يقرأ كتابنا هذا شأنهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذى اراهم هذه الآية للبعث ورفعوا أصواتهم بالتحميد والتسبيح وقيل ان الملك ومن معه دخلوا على الفتية فرأوهم احياء مشرقة وجوههم والوانهم لم تبل ثيابهم واخبرهم الفتية بما لقوا من ملكهم دقيانوس واعتنقهم الملك وقعدوا معه يسبحون الله ويذكرونه ثم قالوا له نستودعك الله ورجعوا الى مضاجعهم كما كانوا فجعل الملك لكل رجل منهم تابوتا من الذهب فلما نام رآهم فى منامه وقالوا انا لم نخلق من الذهب انما خلقنا من التراب واليه نصير فعمل لهم حينئذ توابيت من خشب فحجبهم الله بالرعب وبنى الملك على باب الكهف مسجدا وجعل لهم عيدا عظيما واسماء الفتية مكسلمينا وتمليخا ومرطونس ونيرويس وكسطونس وديموس وريطوفس وقالوس ومخسيلمينيا وهذه تسعة أسماء وهى أتم الروايات والله اعلم وكلبهم قطمير

(ذكر يونس ابن متى)

وكان أمره من الاحداث ايام ملوك الطوائف قيل لم ينسب احد من الانبياء الى امه الا عيسى ابن مريم ويونس ابن متى وهى امه وكان من قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعثه الله اليهم بالنهى عن عبادتها والامر بالتوحيد فاقام فيهم ثلاثا وثلاثين سنة يدعوهم فلم يؤمن غير رجلين فلما أيس من ايمانهم دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على عبادى ارجع اليهم فادعهم اربعين يوما فدعاهم سبعة وثلاثين يوما فلم يجيبوه فقال لهم ان العذاب يأتيكم الى ثلاثة ايام وآية ذلك ان ألوانكم تتغير فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا قد نزل بكم ما قال يونس ولم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم فأمنوا من العذاب وان لم يبت فاعلموا ان العذاب يصبحكم فلما كانت ليلة الاربعين ايقن يونس بنزول العذاب فخرج من بين اظهرهم فلما كان الغد تغشاهم العذاب فوق رؤسهم خرج عليهم غيم اسود هائل يدخن دخانا شديدا ثم نزل الى المدينة فاسودت منه سطوحهم فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا يونس فلم يجدوه فالهمهم الله التوبة فاخلصوا النية فى ذلك وقصدوا شيخا وقالوا له قد نزل بنا ما ترى فما نفعل فقال آمنوا بالله وتوبوا وقولوا ياحى ياقيوم ياحى حين لا حى ياحى يحيى الموتى ياحى لا اله الا أنت فخرجوا من القرية الى مكان رفيع فى براز من الارض وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله واستقالوه وردوا المظالم جميعا حتى ان كان احدهم ليقلع الحجر من بنائه فيرده الى صاحبه فكشف الله عنهم العذاب وكان يوم عاشوراء يوم الاربعاء وقيل للنصف من شوال يوم الاربعاء وانتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به مار فقال ما فعل أهل القرية فقال تابوا الى الله فقبل منهم واخر عنهم العذاب فغضب يونس عند ذلك فقال والله لا ارجع كذابا ولم تكن قرية رد الله عنهم العذاب بعدما غشيهم الا قوم يونس. ومضى مغاضبا لربه وكان فيه حدة وعجلة وقلة صبر ولذلك نهى النبى صلى الله

بابل ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة افزعته فسأل عنها الكهنة والسحرة فعجزوا عن تعبيرها وكان دانيال مع اصحابه فى السجن فأخبر السجان بختنصر بقصة دانيال فقال له على به وكان لا يدخل عليه أحد الا سجد له فأتوا به فقام بين يديه ولم يسجد فقال له ما الذى منعك من السجود لى فقال ان لى ربا آتانى الحكمة والعلم وأمرنى أن لا أسجد لغيره فخشيت أن أسجد لغيره فينزع منى علمه الذى آتانى ويهلكنى فأعجب به وقال نعم ما فعلت حيث وفيت نعمه ثم اخبره برؤياه التى رآها قبل ان يخبره الملك وعبرها له فجعل يكرمه واصحابه ويستشيره فى اموره حتى كان اكرم الناس عليه واحبهم اليه فحسده المجوس وذهبوا الى اهلاكه فنجاه الله تعالى ولما هلك بختنصر رجع الى بيت المقدس مع اصحابه وقيل بقى بأرض بابل الى ان مات بالسوس من قرى خورستان وعن ابى الزناد انه قال رايت فى يد ابى بردة بن ابى موسى الاشعرى خاتم فضة نقش عليه أسدان بينهما رجل وهما يلحسان الرجل قال ابو بردة هذا خاتم دانيال اخذه والدى حين وجده يوم حفر قبره قالوا فى سبب هذا النقش ان بختنصر لما اخذ فى تتبع الصبيان وقتلهم وكان دانيال صغيرا فى ذلك الوقت اخذته امه والقته فى غيضة رجاء ان ينجو منه فقيض الله تعالى له اسدا يحفظه ولبوة ترضعه وهما يلحسانه فلما كبر صور ذلك فى خاتمه حتى لا ينسى نعمة الله عليه

(الفصل الثانى والثلاثون فى ذكر عزير عليه السلام) وهو عزير بن شرحيا من ولد هرون عليه السلام قال الشيخ الاكبر

عليه وسلم أن يكون مثله فقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت ولما مضى ظن ان الله
لا يقدر عليه اى يقضى عليه العقوبة وقيل يضيق عليه الحبس فسار حتى ركب فى سفينة
فأصاب اهلها عاصف من الريح وقيل بل وقفت فلم تسر فقال من فيها هذا بخطيئة أحدكم
فقال يونس هذا بخطيئتى فالقونى فى البحر فابوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم فساهم
فكان من المدحضين فلم يلقوه وفعلوا ذلك ثلاثا ولم يلقوه فالقى نفسه فى البحر وذلك تحت
الليل فالتقمه الحوت فاوحى الله الى الحوت ان يأخذه ولا يخدش له لحما ولا يكسر له عظما
فاخذه وعاد الى مسكنه من البحر فلما انتهى اليه سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا
فاوحى الله اليه فى بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو فى بطن الحوت
فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذلك عبدى
يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد له كل
يوم عمل صالح فشفعوا له عند ذلك فنادى فى الظلمات ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة
الليل ان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وكان قد سبق له من العمل الصالح
ما نزل الله فيه فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وذلك ان العمل
الصالح يرفع صاحبه اذا عثر فنبذناه بالعراء وهو سقيم الى على جانب البحر وهو كالصبى
المنفوس ومكث فى بطن الحوت أربعين يوما وقيل عشرين يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل
سبعة أيام والله أعلم وانبت عليه شجرة من يقطين وهو القرع يتقطر اليه منه
اللبن وقيل هيأ الله له اروية وحشية فكانت ترضعه بكرة وعشية حتى رجعت اليه قوته
وصار يمشى فرجع ذات يوم الى الشجرة فوجدها قد يبست فحزن وبكى عليها فعاتبه الله
وقيل له أتبكى وتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف و زيادة اردت ان تهلكهم ثم
ان الله أمره ان يأتى قومه فيخبرهم ان الله قد تاب عليهم فعمد اليهم فلقى راعيا فسأله عن
قوم يونس فاخبره انهم على رجاء ان يرجع اليهم رسولهم قال فاخبرهم انك قد لقيت
يونس قال لا استطيع الا بشاهد فسمى له عنزا من غنمه والبقعة التى كانا فيها وشجرة ثم قال
وقال كل هذه تشهد لك فرجع الراعى الى قومه فاخبرهم انه راى يونس فهموا
به فقال لا تعجلوا حتى أصبح فلما أصبح غدا بهم الى البقعة التى لقى فيها يونس فاستنطقها
فشهدت له وكذلك الشاة والشجرة وكان يونس قد اختفى هناك فلما شهدت الشاة
قالت لهم ان اردتم نبى الله فهو بمكان كذا وكذا فاتوه فلما رأوه قبلوا يديه ورجليه
وأدخلوه المدينة بعد امتناع فمكث مع اهله وولده أربعين يوما وخرج سائحا وخرج
الملك معه يصحبه وسلم الملك الى الراعى فاقام يدبر أمرهم أربعين سنة بعد ذلك ثم ان
يونس أتاهم بعد ذلك وقال ابن عباس وشهر بن حوشب كانت رسالة يونس بعدما
نبذه الحوت وقالا كذلك أخبر الله تعالى فى سورة الصافات فانه قال فنبذناه بالعراء
وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة الف او يزيدون وقال شهر
ان جبريل أتى يونس فقال له انطلق الى اهل نينوى فانذرهم العذاب فانه قد حضرهم
قال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك قال التمس حذاء قال الامر اعجل من ذلك قال

فى ... أمرة الاخبار لم يكن عزير نبيا وكان من ثمالي بنى اسرائيل ونقل ايضا عن ابى الفتوح نصر بن ابى الفرج الحنبلى
انه قال كان عزير قد اكثر
المناجاة فى بيت المقدس فى
القدر فمحى اسمه من الانبياء فلا
يذكر فيهم وذهب بعض العلماء ان
الذى اماته الله مائة عام ثم بعثه
هو عزير قال فلما نجا عزير من
بابل ارتحل على حمار له حتى نزل
بدير هرقل على شط دجلة فطاف
بالقرية فلم ير فيها احدا ورأى عامة
اشجارها حاملة فاكل من
الفاكهة واعتصر من العنب
فشرب منه وجعل الفاكهة فى
سلة والعصير فى زق فلما راى خراب
القرية قال انى يحيى هذه الله بعد
موتها قالها متعجبا لا شاكا فاحياه
الله بعدما اماته مائة سنة فركب
حماره وقصد بيت المقدس حتى
اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء
مقعدة قد أتى عليها من العمر مائة
وعشرون سنة كانت امة لهم
وكان عزير قد خرج عنهم وهى ابنة
عشرين سنة وكانت قد عرفته
وعقلته فقال لها يا هذه هذا منزل
عزير قالت نعم هذا منزل عزير
وبكت وقالت ما رأيت احدا
منذ كذا وكذا سنة ذكر عزيرا
قال فانى انا عزير وان الله عز وجل
قد اماتنى مائة سنة ثم بعثنى قالت
فان عزيرا كان مستجاب الدعوة
فان كنت عزيرا فادع الله تعالى
ان يرد بصرى حتى اراك واعرفك
فدعا ربه عز وجل ومسح بيده على
عينيها فابصرت من ساعتها ثم
اخذ بيدها وقال قومى باذن الله
عز وجل فقامت صحيحة واشارت اليه وقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى بنى اسرائيل وهم فى انديتهم ومجالسهم

فقضيا

فغضب وانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست قال فساهم واقسم فجاءت الحوت فنودى الحوت انالم نجعل يونس من رزقك انما جعلناك له حرزا فالتقمه الحوت وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الابلة ثم انطلق به على دجلة حتى القاه بنينوى

(ومما كان من الاحداث ايام ملوك الطوائف)

ارسال الله تعالى الرسل الثلاثة الى مدينة انطاكية وكانوا من الحواريين اصحاب المسيح ارسل اولا اثنين وقد اختلف فى اسمائهما فقدما انطاكية فرأيا عندها شيخا يرعى غنما وهو حبيب النجار فسلما عليه فقال من انتما قالا رسولا عيسى ندعوكم الى عبادة الله تعالى قال معكما آية قالا نعم نحن نشفى المرضى ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال حبيب ان لى ابنا مريضا مذ سنين وأتى بهما منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيخس يعبد الاصنام فبلغ اليه خبرهما فدعاهما فقال من انتما قالا رسولا عيسى ندعوك الى الله تعالى قال فما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفى المرضى باذن الله فقال قوما حتى ننظر فى امركما فقاما فضربهما العامة وقيل انهما قدما المدينة فبقيا مدة لا يصلان الى الملك فخرج الملك يوما فكبرا وذكرا الله فغضب وحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا وضربا بعث المسيح شمعون رأس الحواريين لينصرهما فدخل البلد متنكرا وعاشر حاشية الملك فرفعوا خبره الى الملك فاحضره ورضى عشرته وأنس به وأكرمه فقال له يوما ايها الملك بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى دينهما فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك ان يحضرهما حتى نسمع كلامهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ ولا شريك له قال فصفاه وأوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شمعون فما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك فجئ بغلام مطموس العينين موضعهما كالجبهة فمازالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر وأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك لذلك فقال ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا ان الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا منذ سبعة أيام فلم ندفنه حتى يرجع أبوه وهو غائب فاحضر الميت وقد تغيرت ريحه فدعوا الله تعالى علانية وشمعون يدعو سرا فقام الميت فقال لقومه انى مت مشركا وأدخلت فى أودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن هم فقال هذا واومأ الى شمعون وهذان واشار اليهما فعجب الملك فحينئذ دعا شمعون الملك الى دينه فآمن قومه وكان الملك فيمن آمن وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك واجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا النجار وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم فيذكرهم ويدعوهم الى طاعة الله وطاعة المرسلين فذلك قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث وهو شمعون فاضاف الله تعالى الارسال الى نفسه وانما ارسلهم المسيح لانه ارسلهم باذن الله تعالى فلما كذبهم اهل

واخبرتهم وابن العزير شيخ ابن مائة وثمان عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فى المجلس فاقبل الناس اليه فقال لنا ابنه كان لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فاذا هى كما قال وقال السدى لما رجع عزير الى بيت المقدس ورأى ان بختنصر قد احرق التوراة ولم يبق من يحفظها بكى عزير على التوراة فأتاه ملك من الله عز وجل باناء فيه ماء فشرب منه فمثلت التوراة فى صدره فرجع الى بنى اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه فقال أنا عزير فلم يصدقوه فقال انى انا عزير اماتنى الله تعالى مائة عام ثم بعثنى اليكم اجدد لكم توراتكم فقالوا أملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقال رجل حدثنى ابى عن جدى ان التوراة جعلت فى خابية ودفنت فى كرم فلان فأخرجوها فوجدوها كما أخبر ولم يغادر منها آية ولا حرفا فقالوا ما جعل الله التوراة فى قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله تعالى الله وتقدس عن الصاحبة والولد وكان الله تعالى امات عزيرا وهو ابن اربعين سنة وبعثه وهو ابن مائة واربعين سنة فكان اولاده وأولاد أولاده شيوخا وهو شاب اسود الرأس واللحية وعن وهب بن منبه قال ليس فى الجنة كلب ولا حمار الا كلب أصحاب الكهف وحمار عزير الذى أماته الله واحياه وذكر اهل التاريخ ان فى آخر أيام عزير زال ملك الفرس من الشام وصار لليونانيين والروم وتوفى عزير عليه السلام ودفن فى جبل الطور شرقى بيت المقدس

(الفصل الثالث والثلاثون فى ذكر شمعون عليه السلام)

المدينة حبس الله عنهم المطر فقال اهلها للرسل انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة وقيل لنقتلنكم وليمسنكم منا عذاب اليم فلما حضر حبيب وكان مؤمنا يكتم ايمانه وكان يجمع كسبه كل يوم وينفق على عياله نصفه ويتصدق بنصفه فقال يا قوم اتبعوا المرسلين فقال قومه وانت مخالف لدينا ومؤمن باله هؤلاء فقال ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون فلما قال ذلك قتلوه فاوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين وأرسل الله عليهم صيحة فماتوا

• (ومما كان من الاحداث شمسون) •

وكان من قرية من قرى الروم قد آمن وكانوا يعبدون الاصنام وكان على اميال من المدينة وكان يغزوهم وحده ويقاتلهم بلحى جمل فكان اذا عطش انفجر له من الحجر الذى فيه ماء عذب فيشرب منه وكان قد أعطى قوة لا يوثقه حديد ولا غيره وكان على ذلك يجاهدهم ويصيب منهم ولا يقدرون منه على شئ فجعلوا لامرأته جعلا لتوثقه لهم فأجابتهم الى ذلك فاعطوها حبلا وثيقا فتركته حتى نام وشدت يديه فاستيقظ وجذبه فسقط الحبل من يديه فارسلت اليهم فاعلمتهم فارسلوا اليها جامعة من حديد فتركتها فى يديه وعنقه وهو نائم فاستيقظ وجذبها فسقطت من عنقه ويديه فقال لها انك فى المرتين ما حملك على ما صنعت فقالت اريد أن اجرب قوتك وما رايت مثلك فى الدنيا فهل فى الارض شئ يغلبك قال نعم شئ واحد فلم تزل تسأله عنه حتى قال لها اوصيك لا يضبطنى الا شعرى فلما نام اوثقت يديه بشعر رأسه وكان كثيرا فارسلت اليهم فجاؤا فاخذوه فجدعوا انفه واذنيه وفقؤا عينيه واقاموه للناس وجاء الملك لينظر اليه وكانت المدينة على اساطين فدعا الله شمسون عليهم فامره ان يأخذ عمودين من عمد المدينة فيجذبهما ويرد اليه بصره وما اصابوا من جسده وجذب العمودين فوقعت المدينة بالملك والناس وهلك من فيها هدما وكان شمسون ايام ملوك الطوائف

• (ومما كان من الاحداث ايضا جرجيس) •

قيل كان بالموصل ملك يقال له داذانه وكان جبارا عاتيا وكان جرجيس رجلا صالحا من اهل فلسطين يكتم ايمانه مع أصحاب له صالحين وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريين فأخذوا عنهم وكان جرجيس كثير التجارة عظيم الصدقة وربما نفد ماله فى الصدقة ثم يعود يكتسب مثله ولولا الصدقة لكان الفقر أحب اليه من الغنى وكان يخاف بالشام ان يفتتن عن دينه فقصد الموصل ومعه هدية للملك لئلا يجعل لاحد عليه سبيلا فجاء وحين قدم جاء أحضر عظماء قومه وأوقد نارا واعد اصنافا من العذاب وأمر بصنم له يقال له افلون فنصب فمن لم يسجد له عذبه وألقى فى النار فلما رأى جرجيس ما يصنع استعظمه وحدثته نفسه بجهاده فعمد الى المال الذى معه فقسمه فى أهل ملته وأقبل عليه وهو شديد الغضب فقال له اعلم أنك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئا ولا لغيرك شيئا وان فوقك ربا هو الذى خلقك ورزقك فاخذ فى ذكر عظمة الله تعالى وعيب صنمه فاجابه الملك بان سأله من هو ومن أين هو فقال جرجيس أنا عبد الله وابن أمته من التراب خلقت واليه أعود

وهو من نسل هرون وهو الذى تولى رياسة بنى اسرائيل بيت المقدس بعد عزيره (الفصل الرابع والثلاثون فى ذكر زكريا عليه السلام) وهو زكريا ابن برخيا من ولد يهوذا عليه السلام وقيل من ولد سليمان عليه السلام وكان نجارا وفى بلغة العواص كان يعمل بالطين قال محمد بن اسحق لما رجعت بنو اسرائيل من ارض بابل الى بيت المقدس بعد ان استأسرهم بختنصر تغيرت امورهم وكانوا يحدثون الاحداث فبعث الله تعالى زكريا عليه السلام فنهاهم عن المعصية ووضع لهم الحدود وهو الذى كان يقرب القربان ويفتح باب المسجد فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول وكان زكريا وعمران متزوجين بأختين وهو عمران بن ماثان ابو مريم وليس بعمران أبى موسى لان بينهما ألفا وثمانمائة سنة

• (فى ذكر قصة مريم عليها السلام) •

ولما حملت حنة زوجة عمران بمريم دعت ربها قالت رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم الآية فكان من دأبهم اذا نذر أحدهم ولدا يجعله فى الكنيسة يخدمها ولا يرجع الى أهله حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ فله الخيار ان اختار الاقامة أقام وان شاء رجع الى أهله ولم يكن ينذر الا الغلمان فمات عمران وزوجته حامل بمريم فلما وضعتها اذا هى أنثى قالت اعتذارا الى الله تعالى رب انى وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى فى خدمة الكنيسة لعورتها وما يعتريها من الحيض والى حين اصابهم

فدعاه

وهى بالغتم العبادة والزاهدة والخادمة وكانت مريم أجمل النساء وأفضلهن فى وقتها ثم قالت أم مريم وانى أعيذها بك

ثم دعاه الملك الى عبادة صنمه وقال له لو كان ربك ملك الملكوت لرؤى عليك أثره كما ترى على
من حولى من ملوك قومى فاجابه جرجيس بتعظيم أمر الله وتمجيده وقال له تعبد افلون
الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى من رب العالمين أم تعبد الذى قامت بامره السموات
والارض أم تعبد طرقلينا عظيم قومك من الناس عليه السلام فانه كان آدميا يأكل
ويشرب فاكرمه الله بان جعله انسيا ملكيا أم تعبد عظيم قومك مخليطيس أيضا وما قال
بولايتك عيسى عليه السلام وذكر من معجزاته وماخصه الله به من الكرامة فقال له الملك
انك أتيتنا باشياء لانعلمها ثم خيره بين العذاب والسجود للصنم فقال جرجيس ان كان صنمك
هو الذى رفع السماء وعدد أشياء من قدرة الله عز وجل فقد أصبت ونصحت والا فاخسأ
أيها الملعون فلما سمع الملك أمر بحبسه ومشط جسده بامشاط الحديد حتى تقطع لحمه
وعروقه و ينضح بالخل والخردل فلم يمت فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد
فاحميت حتى صارت نارا ثم سمر بها رأسه فسال دماغه فحفظه الله تعالى فلما رأى ذلك
لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى جعله نارا ثم أدخله فيه وأطبق عليه حتى
برد فلما رأى ذلك لم يقتله دعاه وقال له ألم تجد ألم هذا العذاب قال ان الهى حمل عنى عذابك
وصبرنى ليحتج عليك فايقن الملك بالشر وخافه على نفسه وملكه فاجمع رأيه على أن يخلده
فى السجن فقال الملأ من قومه انك ان تركته فى السجن طليقا يكلم الناس و يميل بهم
عليك ولكن يعذب بعذاب يمنعه من الكلام فامر به فبطح فى السجن على وجهه ثم أوتد
فى يديه ورجليه أوتادا من حديد ثم أمر باسطوان من رخام حمله ثمانية عشر رجلا فوضع على
ظهره فظل يومه ذلك تحت الحجر فلما أدركه الليل أرسل الله اليه ملكا وذلك أول ما أيد
بالملائكة فأول ماجاءه الوحى قلع عنه الحجر ونزع الاوتاد وأطعمه وأسقاه و بشره وعزاه
فلما أصبح أخرجه من السجن فقال له الحق بعدوك فجاهده فانى قد ابتليتك به سبع سنين
يعذبك و يقتلك فيهن أربع مرات فى كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كانت القتلة الرابعة
تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعر الملك الا وقد وقف جرجيس على رأسه يدعوه الى
الله فقال له أجرجيس قال نعم قال من أخرجك من السجن قال أخرجنى من سلطانه فوق
سلطانك فملئ غيظا ودعا باصناف العذاب ومدوه بين خشبتين و وضعوا على رأسه سيفا ثم
أشروه حتى سقط بين رجليه وصار جزلتين ثم قطعوهما قطعا وكان له سبعة أسد ضارية فى
جب فالقوا جسده اليها فلما رأته خضعت برؤسها وقامت على براثنها لا تألو ان تقيه
الاذى الذى تحتها فظلت يومها تحته ميتا وكانت أول ميتة ذاقها فلما أدركه الليل جمع الله
جسده وسواه ورد فيه روحه وأخرجه من قعر الجب فلما أصبحوا أقبل جرجيس وهم فى
عيد لهم صنعوه فرحا بموت جرجيس فلما نظروا اليه مقبلا قالوا ما أشبه هذا بجرجيس قال
الملك هو هو قال جرجيس أنا هو حقا بئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فرد الله روحى الى هلموا
الى عذاب هذا الرب العظيم الذى أراكم قدرته فقالوا ساحر سحر أعينكم وأيديكم عنه
فجمعوا من بلادهم من السحرة فلما جاؤا قال الملك لكبيرهم اعرض على من سحرك
ما يسرى به عنى فدعا بثور فنفخ فى أذنيه فاذا هو ثوران ودعا ببذر فبذر وحرث وزرع وحصد

وذريتها من الشيطان الرجيم
وعن قتادة رضى الله عنه كل آدمى
يخلق فان الشيطان يطعنه فى
جنبه حين يولد الا عيسى وأمه
مريم جعل الله بينهما وبين
الشيطان حجابا فطعنهما ابليس
فأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ
اليهما شئ ببركة دعائها فلما
ولدت مريم أخذتها امها ولفتها
فى خرقة وحملتها الى المسجد
فوضعتها عند الاحبار أبناء هرون
فقالت لهم دونكم هذه النذيرة
فتنافس فيها الاحبار لانها كانت
بنت امامهم وصاحب قربانهم
فقال لهم زكريا أنا أحق بخدمتها
منكم وعندى خالتها فقال له الاحبار
لو تركت فى الخارج لكانت أمها
أحق بها ولكنا نقترع عليها فتكون
عند من خرج سهمه فانطلقوا
وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى
نهر الاردن فألقوا أقلامهم التى
كانوا يكتبون بها التوراة فى الماء
فوقف قلم زكريا وارتفع فوق
الماء وانحدرت بقية الاقلام
ورسبت فى الماء فعند ذلك كفلها
زكريا أى ضمها الى خالتها وأقام
بأمرها وتكلمت وهى صغيرة
وقال الحسن لم ترضع ثديا قط وكان
رزقها يأتيها من الجنة فلما بلغت
بنى لها غرفة فى المسجد لا يرقى اليها
الا بسلم وكان لا يصعد اليها غيره
وكان زكريا اذا خرج غلق الباب
عليها فاذا رجع وجد عندها رزقا
أى فاكهة فى غير وقتها فيقول لها
أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب وذهب بعضهم الى انها انسية واحتجوا بقوله تعالى واذ كرفى

ودق وذرى وطحن وشبزوا كل في ساعته فقال له الملك هل تقدر أن تحييه كما قال ادع لي بقدح من ماء فاتي به فنفث فيه الساحر ثم قال لجرجيس اشربه فشربه جرجيس حتى أتى على آخره فقال له الساحر ماذا تجد قال ما أجد الا خيرا كنت عطشانا فلطف الله بي فسقاني وأقبل الساحر على الملك وقال لو كنت تقاسي جبارا مثلك لغلبته انما تقاسي جبار السماء والارض وكانت أتت جرجيس امرأة من الشام وهو في أشد العذاب فقالت له انه لم يكن لي مال الا ثور أعيش به من حرثه فمات وجئتك لترحمني وتسأل الله ان يحيي ثوري فاعطاها عصا وقال اذهبي الى ثورك فاضربيه بهذه العصا وقولي له احي باذن الله فاخذت العصا وأتت مصرع الثور فرأت روقيه وشعر ذنبه فجمعتها ثم قرعتها بالعصا وقالت ما امرها به جرجيس فعاش ثورها وجاء الخبر بذلك فلما قال الساحر ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعظمهم بعد الملك اسمعوا مني ما اقول قالوا قل قال انكم قد وضعتم أمر هذا على السحر وانه لم يعذب ولم يقتل فهل رأيتم ساحرا قط قدر على أن يدفع عن نفسه الموت أو أحيا ميتا وذكر الثور واحياءه فقالوا له ان كلامك كلام رجل قد أصغى اليه فقال قد آمنت به وأشهد الله اني بريء مما تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقطعوا لسانه بالخناجر فلم يلبث ان مات وقيل اصابه الطاعون فاعجله قبل ان يتكلم وكتموا شأنه فتكلم به جرجيس للناس فاتبعه اربعة آلاف وهو ميت فقتلهم الملك بانواع العذاب حتى أفناهم وقال له رجل من عظماء اصحاب الملك يا جرجيس انك زعمت ان الهك يبدأ الخلق ثم يعيده واني سائلك امرا ان فعله الهك آمنت به وصدقتك وكفيتك قومي هذا تحتنا اربعة عشر منبرا ومائدة واقداح وصحاف من خشب يابس وهو من اشجار شتى فادع ربك ان يعيدها خضرا كما بدأها يعرف كل عود بلونه وورقه وزهره وثمره فقال جرجيس قد سألت امرا عزيزا علي وعليك وانه على الله يسير ودعا الله فما برحوا حتى اخضرت وساخت عروقها وتشعبت ونبت ورقها وزهرها حتى عرفوا كل عود باسمه فقال الذي سأله هذا انا اولى بعذابه نعمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور مجوف ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا وادخل جرجيس في وسطها ثم اوقد تحت الصورة النار حتى التهبت وذاب كل شيء فيها واختلط ومات جرجيس في جوفها فلما مات ارسل الله ريحا عاصفا ورعدا وبرقا وسحابا مظلما واظلم ما بين السماء والارض وبقوا اياما متحيرين فارسل الله ميكائيل فاحتمل تلك الصورة فلما اقلها ضرب بها الارض ففزع من روعتها كل من سمعها وانكسرت وخرج منها جرجيس حيا فلما وقف وكلمهم انكشفت الظلمة واسفر ما بين السماء والارض قال له عظيم من عظمائهم ادع الله بان يحيي موتانا من هذه القبور فقام جرجيس بالقبور فنبشت وهي عظام رفات ثم دعا فما برحوا حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية وفيهم شيخ كبير فقال له جرجيس متى مت فقال في زمان كذا وكذا فاذا هو اربعمائة عام فلما رأى ذلك الملك قال لم يبق من عذابكم شيء الا وقد عذبتموه واصابه الا الجوع والعطش فعذبوه به فعمدوا الى بيت عجوز فقيرة وكان لها ابن اعمى ابكم مقعد محصور فيه فلا يصل اليه طعام.

الكتاب مريم فان الله تعالى ذكر في ١٤٨ عدد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وأرسل اليها جبريل عليه السلام كما قال تعالى فأرسلنا اليها روحنا وهذا دليل على انها نبية لكن يعارضه نص الكتاب وهو قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم ويؤيده قول علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه لو كانت الخلافة تصلح لامرأة لكانت عائشة تستحق الخلافة ولان النبوة والرسالة توجب الاشتهار بالدعوة واظهار المعجزة ولزوم الاقتداء والانوثة توجب الستر بينهما تناف ولانها ناقصة العقل والدين والنبي يجب ان يكون اعقل أهل زمانه في أمر الدين وتدبير العلاء كلمته قال كعب الاحبار ولما سمع زكريا عليه السلام أن ابنه يحيى قد قتل انطلق هاربا حتى سلك في واد كثير الاشجار عند بيت المقدس فأرسل الملك في طلبه فمر زكريا عليه السلام بشجرة فنادته هلم الي يا نبي الله فلما أتاها انشقت فدخلها وانطبقت عليه وبقي في وسطها فأتى عدو الله ابليس فاخذ هدب ردائه منها فاخرجه من الشجرة فمر به بنو اسرائيل وقالوا له يا راعي هل رأيت رجلا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له ودخل فيها وهذا طرف ردائه فنشروا الشجرة وقطعوها به فلقتين طولا فلما بلغ المنشار الى رأسه اراد ان يئن فاوحى الله تعالى اليه ان لم تكف عن انينك والا اسقطت اسمك من ديوان الانبياء وصبر حتى نشر نصفين وفي السبعيات لما بلغ المنشار رأسه صاح وقال آه فوقعت

طعام ولا شراب فلما جاع قال للعجوز هل عندك طعام أو شراب قالت لا والذي يحلف به
ما لنا عهد بالطعام من كذا وكذا وسأخرج فالتمس لك شيئا فقال لها هل تعبدين الله قالت
لا فدعاها فآمنت وانطلقت تطلب له شيأ وفي بيتها دعامة خشبة يابسة تحمل خشب البيت
فدعا الله فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت كل فاكهة تؤكل وتعرف فظهر للدعامة فروع
من فوق البيت تظله وما حوله وعادت العجوز وهو يأكل رغدا فلما رأت الذي في بيتها
قالت آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم ان يشفي ابني قال أدنيه
مني فأدنته فبصق في عينيه فأبصر ونفث في أذنيه فسمع قالت له اطلق لسانه ورجليه قال
اخريه فان له يوما عظيما ورأى الملك الشجرة فقال أرى شجرة ما كنت أعهدها قالوا تلك
الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت ان تعذبه بالجوع وقد شبع منها وأشبعت العجوز
وشفى لها ابنها فأمر بالبيت فهدم وبالشجرة ان تقطع فلما هموا بقطعها ايبسها الله وتركوها
وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأمر بعجل فأوقر اسطوانا وجعل في أسفل العجل
خناجر وشفارا ثم دعا بأربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع
ثلاث قطع ثم أمر بقطعه فأحرقت حتى صارت رمادا وبعث بالرماد مع رجال فذروه في
البحر فلم يبرحوا حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر ان الله يأمرك ان تحفظ ما فيك من هذا
الجسد الطيب فاني أريد أن أعيده فأرسل الرياح فجمعته كما كان قبل أن يذروه والذين
ذروه قيام لم يبرحوا وخرج جرجيس حيا مغبرا فرجعوا ورجع معهم وأخبروا خبر
الصوت والرياح فقال له الملك هل لك فيما هو خير لي ولك ولولا أن يقال انك غلبتني لآمنت
بك ولكن اسجد لصنمي سجدة واحدة أو اذبح له شاة واحدة وأنا أفعل ما يسرك فطمع
جرجيس في اهلاك الصنم حين يراه وايمان الملك عند ذلك فقال له افعل خديعة منه
وادخلني على صنمك اسجد له واذبح ففرح الملك بذلك وقبل يده ورجليه وطلب منه أن
يكون يومه وليلته عنده ففعل فأخلى له الملك بيتا ودخله جرجيس فلما جاء الليل قام يصلي
ويقرأ الزبور وكان حسن الصوت فلما سمعته امرأة الملك استجابت له وآمنت به وكتمت
ايمانها فلما أصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها وقيل للعجوز ان جرجيس قد افتتن
وطمع في الملك بعد الملك فخرجت تحمل ابنها على عاتقها في اعراضهم توبخ جرجيس فلما
دخل بيت الاصنام نظر فاذا العجوز وابنها أقرب الناس اليه فدعا ابنها فأجابه وما تكلم
قبل ذلك قط ثم نزل عن عاتق أمه يمشي على قدميه سويين وما وطئ الارض قط فلما وقف
بين يدي جرجيس قال له ادع لي هذه الاصنام وهي على منابر من ذهب واحد وسبعون صنما
وهم يعبدون الشمس والقمر معها فدعاها فأقبلت تتدحرج اليه فلما انتهت اليه ركض
برجله الارض فخسف بها وبمنابرها فقال له الملك يا جرجيس خدعتني وأهلكت أصنامي
فقال له فعلت ذلك عمدا لتعتبر وتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت مني فلما قال هذا
قالت امرأة الملك وأظهرت اسلامها وعددت عليهم افعال جرجيس وقالت ما تنتظرون من
هذا الرجل الا دعوة فتهلكون كما هلكت أصنامكم فقال الملك ما أسرع ما أضلك هذا
الساحر ثم أمر بها فعلقت على خشبة ثم مشط لحمها بامشاط الحديد فلما آلمها العذاب قالت

الزلزلة في ملكوت السموات والارض فنزل جبريل عليه السلام من ساعته وقال يا زكريا ان الله تعالى يقول لو قلت مرة
اخرى آه لمحوت اسمك من ديوان
الانبياء عليهم السلام فعض زكريا
شفته حتى شق نصفين وروى عن
يحيى بن معاذ الرازي انه ناجى في
ليلة فقال الهي ان طلبتك اتعبتني
وان هربت منك احرقتني وان
احببتك قتلتني فلا منك فرار ولا
معك قرار وكان قتل زكريا بعد
ولادة المسيح وعمره مائة سنة
ودفن في مغارة الارواح تحت
قبة الصخرة ببيت المقدس

(الفصل الخامس والثلاثون في ذكر يحيى بن زكريا عليهما السلام)

كان حسن الوجه والصوت لين
الجناح قصير الاصابع طويل
الانف مقرون الحاجبين رقيق
الصوت وكان قويا في طاعة الله
تعالى نبئ وهو صغير ولما ولد رفع
الى السماء وغسل بانهار الجنة
وفطم بثمارها ثم انزل فكان يضيء
البيت لنور وجهه وروى انه لما
نظر الى الاحبار والرهبان
وعليهم مدارع الشعر وبرانس
الصوف وهم يجتهدون في العبادة
فقال يا اماه انسجي لي مدرعة حتى
اعبد الله مع الاحبار والرهبان
فنسجت له فتدرع وأقبل يعبد
الله تعالى مع الاحبار والرهبان
حتى اكلت مدرعة الشعر لحمه
فنظر يوما الى ما نحل من جسمه
فبكى فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى
اتبكي على ما نحل من جسمك
وعزتي وجلالي لو اطلعت على
النار لتدرعت بالحديد فضلا عن المسوح قال فبكى حتى اكلت الدموع لحم خديه وكان يضع قدميه في الماء من العطش ولم

يشرب لانه قال وعزتك لاأذوق بارد الشراب حتى اعلم اين مصيري الى الجنة ام الى النار فبكى ابواه وسالاه ان يا كل

يا جرجيس ادع الله أن يخفف عنى الالم فقال انظرى فوقك فنظرت فضحكت فقال لها الملك مايضحكك قالت أرى على رأسى ملكين معهما تاج من حلى الجنة ينتظرون خروج روحى ليزيناني به ويصعدان بها الى الجنة فلما ماتت أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم اكرمتنى بهذا البلاء لتعطيني أفضل منازل الشهداء وهذا آخر أيامي فاسألك أن تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك وعقوبتك مالاقبل لهم به فأمطر الله عليهم النار فاحترقتهم فلما احترقوا ابجزهم عدوا اليه فضربوه بالسيوف فقتلوه وهي القتلة الرابعة فلما احترقت المدينة بجميع مافيها ارفعت من الارض وجعل عاليها سافلها فلبثت زمانا يخرج من تحتها دخان منتن وكان جميع من آمن به وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك

●(ذكر خالد بن سنان العبسى)●

وممن كان فى الفترة خالد بن سنان العبسى قيل كان نبيا وكان من معجزاته ان نارا ظهرت بارض العرب فافتتنوا بها وكادوا ان يجبرون فاخذ خالد عصاه ودخلها حتى توسطها ففرقها وهو يقول بدا بدا كل هاد مؤد الى الله الاعلى لادخلنها وهى تلظى ولاخرجن منها وثيابي تندى ثم انها طفئت وهو فى وسطها فلما حضرته الوفاة قال لاهله اذا دفنت فانه ستجيء عانة من حمير يقدمها عير أبتر فيضرب قبرى بحافره فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عنى فانى ساخبركم بجميع ماهو كائن فلما مات ودفنوه رأوا ماقال فارادوا انبشه فكره ذلك بعضهم قالوا نخاف ان نبشناه أن تسبنا العرب بانا نبشنا ميتا لنا فتركوه فقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فيه ذلك نبى ضيعه قومه واتت ابنته النبى صلى الله عليه وسلم فآمنت به كذا قيل انه آخر الحوادث أيام ملوك الطوائف ولا وجه له فان من أدركت ابنته النبى صلى الله عليه وسلم يكون بعد اجتماع الملك لاردشير بن بابك بدهر طويل ولنرجع الى اخبار ملوك الفرس لسياق التاريخ وتقدم قبل ذكرهم عدد الملوك الاشغانية من ملوك الطوائف وطبقات ملوك الفرس ان شاء الله تعالى

●(ذكر طبقات ملوك الفرس)●

الطبقة الاولى الفيشدادية ملوك الارض بعد جيومرث أوشهنج وملك فيشداذا أربعين سنة ومعنى فيشداذا أول حاكم ملك بعده طهمورث بن نوجهان ثلاثين سنة ثم ملك أخوه جمشيد سبعمائة وست عشرة سنة ثم ملك بيوراسف بن اروندأسف ألف سنة ثم ملك افريدون بن اثفيان خمسمائة سنة ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ثم ملك افراسياب التركى اثنتى عشرة سنة ثم ملك زو بن تهماسف ثلاث سنين ثم ملك كرشاسب تسع سنين

●(الطبقة الثانية الكيانية)●

ثم ملك كيقباذ مائة وستا وعشرين سنة ثم ملك كيكاوس مائة وخمسين سنة ثم ملك كيخسرو وثمانين سنة ثم ملك كى لهراسب مائة وعشرين سنة ثم ملك كى بشتاسب مائة وعشرين سنة ثم ملك كى بهمن مائة واثنتى عشرة سنة ثم ملك خمانى جهرازاد ثلاثين سنة ثم ملك اخوها دارا بن بهمن اثنتى عشرة سنة ثم ملك ابنه دارا بن دارا أربع عشرة سنة وهو الذى أخذ الاسكندر الملك منه وكان ملك الاسكندر بعده أربع عشرة سنة

قرصا من شعير كان معهما ويشرب من الماء ففعل وكفر عن يمينه فقال له ابوه يابنى ما يدعوك الى هذا البكاء واعا سألت الله عز وجل ان يقرعينى بك فقال له انت امرتنى بذلك قال متى امرتك فقال الست القائل ان بين الجنة والنار عقبة لايقطعها الا البكاؤن من خشية الله فقال بلى فاتخذت امه قطعتين من لبد لتغطى بهما ما اكل الدموع من خدوده فلما وضعتهما بكى حتى استنقعا ثم اخذهما تعصرهما وكانت دموعه تجرى على ذراع امها وضعت اللبد فنظر زكريا الى دموع يحيى فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم ان هذا ابنك وهذه دموع عينيه وانت ارحم الراحمين وذكر الاقفهسى فى كتابه كشف الاسرار سئل يحيى عليه السلام لم لاتتزوج ولا تشترى حمارا ولا دارا فقال لاأريد ان يقال لى سيد الدار ولاسيد الحمار ولاسيد فلانة ولااريد اسم السيادة فلما ترك السيادة وتواضع سماه الله سيدا وحصورا لانه لاياتى النساء مع القدرة وكان لبنى اسرائيل ملك يسمى اجب يكرم يحيى عليه السلام غاية الاكرام ولا يفعل شيأ بغير امره وقد هوى بنت امرأته فشاور يحيى عليه السلام فنهاه عن ذلك فبلغ نهيه ام البنت وكانت كافرة قتالة للانبياء فحقدت على يحيى عليه السلام فعمدت بعث جلس الملك على شرابه فالبست بنتها من انواع الحلى وزينتها وطيبتها وارسلتها الى الملك لتسقيه الخمر فاذا

(الطبقة الثالثة الاشغانية)

وهم الذين استولوا على العراق والجبال وكان سائر ملوك الطوائف يعظمونهم فاول ملوك الاشغانيين أيام ملوك الطوائف اشك ملك اثنتين وخمسين سنة ثم ملك ابنه شابور بن اشك أربعا وعشرين سنة ثم ملك ابنه جوذرز بن شابور وهو الذى غزا بنى اسرائيل بعد قتل يحيى بن زكريا خمسين سنة ثم ملك ابن اخيه ويجن بن بلاش احدى وعشرين سنة ثم ملك جوذرز بن ويجن تسع عشرة سنة ثم ملك أخوه نرسه ثلاثين سنة ثم ملك عمه هرمزان بن بلاش بن شابور تسع عشرة سنة ثم ملك ابنه فيروز بن هرمزان اثنتى عشرة سنة ثم ملك ابنه خسرو أربعين سنة ثم ملك أخوه بلاش بن فيروز أربعا وعشرين سنة ثم ملك ابنه اردوان ابن بلاش خمسا وخمسين سنة وقد ذكر بعضهم انه ملك بعده هرمزان بن بلاش اردوان الاكبر اثنتى عشرة سنة وقيل فى عدد ملوك الطوائف غير ذلك والفرس تعترف باضطراب التاريخ عليهم فى أيام ملوك الطوائف وملك بيوراسف وملك افراسياب التركى لانهم زال الملك عنهم ولم يمكن ضبطه

(الطبقة الرابعة الساسانية)

فاولهم اردشير بن بابك

(ذكر اخبار اردشير بن بابك وملوك الفرس)

قيل لما مضى من لدن ملك الاسكندر أرض بابل فى قول النصارى وأهل الكتاب الاول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة وفى قول المجوس مائتان وست وستون وثب اردشير ابن بابك بن ساسان الاصغر بن بابك بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن الملك بن اسفنديار بن بشتاسب وقيل فى نسبه غير ذلك يريد الاخذ بثار الملك دارا بن دارا ورد الملك الى أهله والى مالم يزل عليه أيام سلفه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف وجمعه لرئيس واحد وذكر ان مولده كان بقرية من قرى اصطخر يقال لها طيروده من رستاق اصطخر وكان جده ساسان شجاعا مغرى بالصيد وتزوج امرأة من نسل ملوك فارس يعرفون بالبادرنجيين وكان قيما على بيت نار باصطخر يقال له بيت نار هيذ فولدت له بابك فلما كبر قام بأمر الناس بعد أبيه ثم ولد له ابنه اردشير وكان ملك اصطخر يومئذ رجلا من البادرنجيين يقال له جوزهر وكان له خصى اسمه تيرى قد صيره ارجبذا بدارابجرد فلما أتى لاردشير سبع سنين قدمه أبوه الى جوزهر وسأله ان يضمه الى تيرى ليكون ربيبا له وارجبذا بعده فى موضعه فأجابه وأرسله الى تيرى فقبله وتبناه فلما هلك تيرى تقلد اردشير الامر وحسن قيامه به وأعلمه قوم من المنجمين صلاح مولده وانه يملك فازداد فى الخير ورأى فى منامه ملكا جاء فجلس عند رأسه فقال له ان الله يملكك البلاد فقويت نفسه قوة لم يعهدها وكان أول مافعل انه سار الى موضع من دارابجرد يسمى خوبابان فقتل ملكها واسمه فاسين ثم سار الى موضع يقال له كوسن فقتل ملكها واسمه منوجهر ثم الى موضع يقال له لزوير فقتل ملكها واسمه دارا وجعل فى هذه المواضع قوما من قبله وكتب الى أبيه بما كان منه وأمره بالوثوب بجوزهر وهو بالبيضاء ففعل ذلك وقتل جوزهر وأخذ

راودها عن نفسها تابى عليه حتى يعطيها ما تسأله فان اعطاها سؤلها تطلب ان يؤتى برأس يحيى عليه السلام فى طست فلما راودها طلبت منه ذلك فقال الملك ويحك سألتنى امرا اعطيها فاطلبى غير هذا فقالت له لا اسألك غيره فبعث الى يحيى عليه السلام وهو قائم يصلى فى محراب داود عليه السلام فضرب عنقه فاتى برأسه والراس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك فحفر له فى بيته حفيرة عميقة ودفن الراس فيها فغلى الدم حتى امتلأ البيت ثم خرج الى ساحة الدار الى الازقة فلما اصبح امر بتراب فالقى عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك كله يغلى ويفور فخسف الله تعالى بالملك وبالبنت وامها وتوابعهم عقوبة لهم وفى الخبر ان الشمس بكت على يحيى عليه السلام اربعين صباحا وكان بكاؤها ان طلعت اوغربت كانت حمراء ولم ير فيها قبل ويروى ان يحيى عليه السلام سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة ولما قتل يحيى قالت الملائكة الهنا وسيدنا باى ذنب قتل يحيى ولاهم بذنب قط فقال الله تعالى ما اذنب يحيى ولاهم بذنب قط ولكنه احبنى وانا افعل بمن يحبنى هكذا عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن احد الا ويلقى الله تعالى وقدهم بخطيئة أوعملها الا يحيى عليه السلام فانه لم يهم بها ولم يعملها فلما قتل يحيى عليه السلام وخسف بالملك وتوابعه بعث الله ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش لينتقم منهم فسار الى بيت المقدس فاحاط المدينة

تاجه وكتب الى اردوان ملك الجبال وما يتصل بها يتضرع اليه ويسأله فى تتويج ابنه سابور بتاج بوزهر فمنعه من ذلك وحذده فلم يحفل بابك بذلك وهلك فى ثلاثة أيام فتوج سابور بن بابك بالتاج وملك مكان أبيه وكتب الى اردشير يستدعيه فامتنع فغضب سابور وجمع جموعا وسار بهم نحوه ليحاربه وخرج من اصطخر وبها عدة من أصحابه واخوانه وأقاربه وفيهم من هو أكبر سنا منه فأخذوا التاج والسرير وسلموه الى اردشير فتتوج وافتتح أمره بجد وقوة وجعل له وزيرا ورتب موبذموبذان وأحس من اخوته وقوم كانوا معه بالفتك به فقتل جماعة كثيرة منهم وعصى عليه أهل دارابجرد فعاد اليهم فافتتحها وقتل جماعة من أهلها ثم سار الى كرمان وبها ملك يقال له بلاش فاقتتلا قتالا شديدا وقاتل اردشير بنفسه وأسر بلاش فاستولى على المدينة وجعل فيها ابناله اسمه اردشير أيضا وكان فى سواحل بحر فارس ملك اسمه اسبوت يعظم فسار اليه اردشير فقتله وقتل من معه واستخرج له أموالا عظيمة وكتب الى جماعة من الملوك منهم مهرك صاحب ابرساس من اردشير خرة يدعوهم الى الطاعة فلم يفعلوا فسار اليهم فقتل مهرك ثم سار الى جور فأسسها وبنى الجوسق المعروف بالطربال وبيت نار هناك فبينا هو كذلك اذ ورد عليه رسول اردوان بكتاب فجمع الناس فقرأه عليهم فاذا فيه انك عدوت قدرك واجتلبت حتفك أيها الكردى من أذن لك فى التاج والبلاد ومن أمرك ببناء المدينة وأعلمه انه قد وجه اليه ملك الاهواز ليأتيه به فى وثاق فكتب اليه أن الله حبانى بالتاج وملكنى البلاد وأنا أرجو أن يمكننى منك فأبعث برأسك الى بيت النار الذى أسسته وسار اردشير نحو اصطخر وخلف وزيره ابرسام باردشير خره فلم يلبث الا قليلا حتى ورد عليه كتاب ابرسام بموافاة ملك الاهواز وعوده منكوبا ثم سار الى اصبهان فملكها وقتل ملكها وعاد الى فارس وتوجه الى محاربة نيروفر صاحب الاهواز وسار الى ارجان والى ميسان وطاسار ثم الى سرق فوقف على شاطئ دجيل فظفر بالمدينة وابتنى مدينة سوق الاهواز وعاد الى فارس بالغنائم ثم عاد من فارس الى الاهواز على طريق خرة وكازرون وقتل ملك ميسان وبنى هناك كرخ ميسان وعاد الى فارس فأرسل الى اردوان يؤذنه بالحرب ويقول له ليعين موضعا للقتال فكتب اليه اردوان انى أوافيك فى صحراء هرمزجان لانسلاخ مهرماه فوافاه اردشير قبل الوقت وخندق على نفسه واحتوى على الماء ووافاه اردوان وملك الارمانيين وكانا يتحاربان على الملك فاصطلحا على اردشير وحارباه وهما متساندان يقاتله هذا يوما وهذا يوما فاذا كان يوم باباملك الارمانيين لم يقم له اردشير واذا كان يوم اردوان لم يقم لاردشير فصالح اردشير باباملك الارمانيين على أن يكف عنه ويفرغ اردشير لاردوان فلم يلبث ان قتله واستولى على ما كان له وأطاعه بابا وسمى اردشير شاهنشاه ثم سار الى همذان فافتتحها والى الجبل وأذربيجان وارمينية والموصل فافتتحها عنوة وسار الى السواد من الموصل فملكه وبنى على شاطئ دجلة قبالة طيسفون وهى المدينة التى فى شرق المدائن مدينة غربية وسماها به اردشير وعاد من السواد الى اصطخر وسار منها الى سجستان

فغلقوا دونه ابواب المدينة وتحصنوا واشتد عليهم المقام فخرجت اليه عجوز من عجائز بنى اسرائيل فقالت ايها الملك ان كنت تبغى دخول هذه المدينة فاقسم جندك اذا أصبحت اربعة اقسام حول سور المدينة فى كل ناحية قسم ثم ارفعوا اصواتكم فنادوا اللهم انا نستفتحك هذه المدينة بدم يحيى بن زكريا فانه سوف يتساقط سور المدينة فلما اصبحوا عملوا مثل ما علمتهم العجوز فتساقط سور المدينة ودخلوا من حيث شاؤا وانطلقت العجوز بهم الى دم يحيى عليه السلام وارتهم اياه وهو يغلى فى بقعة فلما رآه الملك قال انى حلفت بالله الاله اذا ظهرت على اهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم من المدينة الى مكان نزول العسكر فعند ذلك امر رجلا من رؤساء جنده يدعى بزوزادان يذبح حتى يسيل الدم الى وسط العسكر فخرج الملك الى منزله وامر بزوزادان لمن حوله ان يغلقوا ابواب المدينة فذبح سبعين ألف رجل ثم قام فوقف عند راس يحيى عليه السلام وقال يا يحيى قد علم ربى وربك ما ذبحت من أجلك فاهدأ باذن الله والا ما أبقيت من قومك أحدا فهدأ الدم بقدرة الله تعالى ورفع عنهم القتل وجمع الباقى من بنى اسرائيل وقال لهم ان الملك امرنى ان اذبح منكم حتى تسيل دماؤكم الى وسط عسكره وانى لا أستطيع ان اعصيه قالوا افعل ما أمرت فأمرهم ان يحفروا خندقا عظيما وامرهم بان يحضروا امواشيهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحت وطرحت اجسادها فى الخندق حتى سال الدم الى أن وصل الى العسكر وامر بالقتلى الذين ذبحوا قبل ذلك فطرحوهم على ... ثم

ثم الى جرجان ثم الى نيسابور ومرو وبلخ وخوارزم وعاد الى فارس ونزل جور فجاءه رسل ملك كوسان وملك طوران وملك مكران بالطاعة ثم سار من جور الى البحرين فحاصر ملكها الى ان رمى نفسه من حصنه فهلك وعاد الى المدائن فتوج ابنه سابور بتاجه فى حياته وبنى ثمان مدن منها مدينة الخط بالبحرين ومدينة بهرسير مقابل المدائن وكان اسمه به أردشير فعربت به سير واردشير خرة وهى مدينة فيروزاباذ سماها عضد الدولة بن بويه كذلك وبنى بكرمان مدينة اردشير أيضا فعربت بردشير وبنى بهمن اردشير على دجلة عند البصرة والبصريون يسمونها بهمن شير وفرات ميسان أيضا وبنى رامهرمز بخوزستان وبنى سوق الاهواز وبالموصل بودرادرشير وهى حزة ولم يزل محمود السيرة مظفرا منصورا لاترد له راية ومدن المدن وكور الكور ورتب المراتب وعمر البلاد وكان ملكه من قتله اردوان الى ان هلك أربع عشرة سنة وقيل أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ولما استولى اردشير على العراق كره كثير من تنوخ المقام فى مملكته فخرج من كان منهم من قضاعة الى الشام ودان له أهل الحيرة والانبار وقد كانت الحيرة والانبار بنيتا زمن بختنصر فخربت الحيرة لتحول أهلها الى الانبار وعمرت الانبار خمسمائة سنة وخمسين سنة الى ان عمرت الحيرة زمن عمرو بن عدى فعمرت خمسمائة وبضعا وثلاثين سنة الى ان وضعت الكوفة ونزلها أهل الاسلام

(ذكر ملك سابور بن اردشير بن بابك)

ولما هلك اردشير بن بابك قام بالملك بعده ابنه سابور وكان اردشير قد أسرف فى قتل الاشكانية حتى أفناهم بسبب ألية آلاها جده ساسان بن اردشير بن بهمن انه أقسم انه ان ملك يوما من الدهر لم يستبق من نسل اشك بن حرة أحدا وأوجب ذلك على عقبه فكان أول من ملك من عقبه اردشير فقتلهم جميعا نساءهم ورجالهم غير ان جارية وجدها فى دار المملكة فأعجبته وكانت ابنة للملك المقتول فسألها عن نسبها فذكرت انها خادم لبعض نساء الملك فسألها ابكر أم ثيب فأخبرته انها بكر فاتخذها لنفسه وواقعها فعلقت منه فلما أمنت منه بحبلها أخبرته انها من ولد اشك فنفر منها ودعا هرجند بن اسام وكان شيخا مسنا فأخبره الخبر وقال له ليقتلها ليبر قسم جده فاخذها الشيخ ليقتلها فأخبرته انها حبلى فاتى بالقوابل فشهدن بحبلها فاودعها سربا من الارض ثم قطع مذاكيره ووضعها فى حق وختم عليه وحضر عند الملك فقال ما فعلت فقال استودعتها بطن الارض ودفع الحق اليه وسأله ان يختمه بخاتمه ويودعه بعض خزائنه ففعل ثم وضعت الجارية غلاما فكره الشيخ ان يسمى ابن الملك دونه وخاف أن يعلمه به وهو صغير فأخذ له الطالع وسماه شاه بور ومعناه ابن الملك فيكون اسما وصفة وهو أول من يسمى بهذا الاسم وبقى اردشير لا يولد له فدخل عليه الشيخ الذى عنده الصبى يوما فوجده محزونا فقال له ما يحزن الملك فقال ضربت بسيفى ما بين المشرق والمغرب حتى ظفرت وصفا لى ملك آبائى ثم اهلك وليس لى عقب فيه فقال له الشيخ سرك الله أيها الملك وعمرك لك عندى ولد طيب نفيس فادع لى بالحق الذى استودعتك أرك برهان ذلك فدعا اردشير

ثم ذبح من مواشيهم حتى لايراهم أحد فلما انظر نبوزردوش الى سيلان الدم فى وسط العسكر امر برفع القتل عنهم ثم انصرف عنهم الى بابل وقد افنى بنى اسرائيل فلم تقم لهم بعد ذلك راية وضربت عليهم الذلة والاحتقار قال صاحب كتاب الانس بسنده الى ابن عباس رضى الله عنهما قال اوحى الله تعالى الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا وانى قاتل بابنى بنتك سبعين ألفا وبقى بيت المقدس خرابا يسكنه بعض اناس من الروم الى أيام عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فلما فتحه على يد ابى عبيدة عمره المسلمون بأمره قال فى اتحاف الاخصاء نقلا عن زيد بن واقد انه قال وكان فى الوليد بن عبد الملك بن مروان فى بناء جامع دمشق فوجدت فيه مغارة فعرفت الوليد بذلك فلما كان الليل جاءنا والشموع بين يديه فنزل فاذا هى كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع فى ثلاثة فوجد فيها صندوقا ففتحه فاذا فيه سفط وفى السفط رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام مكتوب على السفط هذا رأس يحيى بن زكريا عليه السلام وكانت البشرة على رأسه لم تتغير فردوه الى مكانه وأمر بان يجعلوا العمود الذى فوقه مغايرا الاعمدة كى يعرف فجعلا على مسقط الرأس وبنى عليه قبر ايزار ويتبرك به وجسده مدفون ببيت المقدس وقيل بمدينة فلسطين

(الفصل السادس والثلاثون فى ذكر عيسى عليه السلام)

كان رجلا احمر يميل الى البياض مربوع القامة سبط الرأس صغير الوجه افرق السن وكان يمشى حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حرفة ولا سابلة ولا متاعا

بالحق وفحصه ووجدته مذاكير الشيخ وكانا فيه لما أخبرتني ابنة اشك التي علقت من ملك الملوك حين امر بقتلها لم أستحل اتلاف زرع الملك الطيب فاودعتها بطن الارض كما أمر وتبرأنا اليه من انفسنا لئلا يجد علينا سبيلا فامره اردشير ان يجعل مع سابور مائة غلام وقيل ألف غلام من اشباهه في الهيئة والقامة ثم يدخلهم عليه جميعا لا يفرق بينهم زي ففعل الشيخ فلما نظر اليهم اردشير قبلت نفسه ابنه من بينهم ثم اعطوا صوالجة وكرة فلعبوا بالكرة وهو في الايوان فدخلت الكرة الايوان فهاب الغلمان ان يدخلوه واقدم سابور من بينهم ودخل فاستدل باقدامه مع ما كان من قبوله له حين رآه انه ابنه فقال له اردشير ما اسمك قال شاه بور فلما ثبت عنده انه ابنه شهر أمره وعقد له التاج من بعده وكان عاقلا بليغا فاضلا فلما ملك ووضع التاج على رأسه فرق الاموال على الناس من قريب ومن بعد وأحسن اليهم فبان فضل سيرته وفاق جميع الملوك وبنى مدينة نيسابور ومدينة سابور بفارس وبنى فيروز سابور وهي الانبار وبنى جنديسابور وقيل انه حاصر الروم بنصيبين وفيها جمع من الروم مدة ثم أتاه من ناحية خراسان ما احتاج الى مشاهدته فسار اليها واحكم أمرها ثم عاد الى نصيبين فزعموا ان سورها تصدع وانفرجت منه فرجة دخل منها وقتل وسبى وغنم وتجاوزها الى بلاد الشام فافتتح من مدائنها مدنا كثيرة منها فالوقية وقدوقية وحاصر ملكا للروم بانطاكية فاسره وحمله وجماعة كثيرة معه فاسكنهم مدينة جنديسابور

(ذكر خبر مدينة الحضر)

كانت بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وكان بها ملك يقال له الساطرون وكان من الجرامقة والعرب تسميه الضيزن وهو من قضاعة وكان قد ملك الجزيرة وكثر جنده وانه اغار على بعض السواد اذ كان سابور بخراسان فلما عاد سابور أخبر بما كان منه فسار اليه وحاصره أربع سنين وقيل سنتين لا يقدر على هدم حصنه ولا الوصول اليه وكان للضيزن بنت تسمى النضيرة فحاضت فأخرجت الى ربض المدينة وكذلك كان يفعل بالنساء وكانت من اجمل النساء وكان سابور من أجمل الناس فرأى كل واحد منهما صاحبه فتعاشقا فارسلت اليه ما تجعل لي ان دللتك على ما تهدم به سور المدينة فقال احكمك وارفعك على نسائي فقالت عليك بحمامة ورقاء مطوقة فاكتب على رجلها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ارسلها فانها تقع على سور المدينة فيخرب وكان ذلك طلسم ذلك البلد ففعل وتداعت المدينة فدخلها عنوة وقتل الضيزن وأصحابه فلم يبق منهم أحد يعرف اليوم وأخرب المدينة واحتمل النضيرة فاعرس بها بعين التمر فلم تزل ليلتها تتضور فالتمس ما يؤذيها فاذا ورقة آس ملتزقة بعكنة من عكن بطنها فقال لها ما كان يغذوك به أبوك قالت بالزبد والمخ وشهد الابكار من النحل وصفو الخمر فقال وأبيك لأنا أحدث عهدا وآثر لك من أبيك فامر رجلا فركب فرسا جموحا ثم عصب غدائرها بذنبه ثم استركضها فقطعها قطعا وقد اكثر الشعراء ذكر الضيزن في أشعارهم وفي أيام سابور ظهر ماني الزنديق وادعى النبوة وتبعه خلق كثير وهم الذين يسمون المانوية

ولا ثانا ولا اسبابا ولا ثيابا الا مايستره وقوت يومه وكان سائحا في الارض اينما غابت الشمس بات في ذلك المكان واستمر يصلي حتى يصبح وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله تعالى وكان يخبرقومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وكان يمشي على وجه الماء والبحر فلم تبتل قدماه ولما أراد الله تعالى ظهور عيسى عليه السلام انطلقت مريم ذات يوم وحدها لتملا الماء فلما دخلت المغارة وجدت عندها جبريل في صورة شاب امرد مليح الوجه فلما رأته قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا فلما سمعت استسلمت لقضاء الله تعالى فنفخ في كم درعها فوصلت النفخة الى جوفها فحملت بعيسى عليه السلام في وقتها وهي بنت عشر سنين وكانت حاضت حيضتين ويقال ان زكريا عليه السلام في ذلك الوقت اجتمع مع امرأته فحملت منه بيحيى عليه السلام فلما اجتمعتا قالت لها يا مريم أشعرت اني حبلى قالت لها مريم وانت ايضا شعرت اني حبلى فقالت لها ام يحيى اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك وقيل ان أول من علم بحمل مريم ابن خالتها يوسف فقال يا مريم هل ينبت زرع من غير بذر قالت لا قال فهل يولد ولد من غير أب قالت نعم آدم من غير أب وأم قال صدقت قال فهذا الولد الذي في بطنك من أبوه قالت هذا هبة ربي لي ومثله كمثل آدم خلقه من تراب قال فنطق عيسى من بطن امه وقال يا يوسف ماهذه الامثال التي تضرب بها الا بي فاشتغل بصلاتك واستغفر لذنبك عما وقع في قلبك فقام يوسف متحيرا تركها

الانوشروان وكان ملكه ثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقيل احدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة أيام

(ذكر ملك ابنه هرمز بن سابور بن اردشير بن بابك)

وكان يشبه فى خلقه باردشير غير لاحق به فى تدبيره وكان من البطش والجراءة على أمر عظيم وكانت امه من بنات مهرك الملك الذى قتله اردشير وتتبع نسله فقتلهم لان المنجمين خبروه انه يكون من نسله من يملك فهربت امه الى البادية وأقامت عند بعض الرعاء وخرج سابور متصيدا فاشتد به العطش وارتفعت له الاخبية التى فيها ام هرمز فقصدها وطلب الماء فناولته المرأة فرأى منها جمالا فائقا فلم يلبث ان حضر الرعاء فسألهم سابور عنها فقال بعضهم انها ابنته فتزوجها وسار بها الى منزله وكسيت وتنظفت فارادها فامتنعت عليه مدة فلما طال عليه سألها عن سبب ذلك فاخبرته انها ابنة مهرك وانها تفعل ذلك ابقاء عليه من اردشير فعاهدها على ستر أمرها ووطئها فولدت له هرمز فستر أمره حتى صارله سنون فركب اردشير يوما الى منزل ابنه سابور لشئ أراد ذكره له فدخل منزله فاجأة فلما استقر خرج هرمز وبيده صولجان وهو يصيح فى أثر الكرة فلما رآه اردشير أنكره ووقف على المشابه التى فيه من حسن الوجه وعبالة الخلق وامور غيرها فاستدناه اردشير وسأل عنه سابور فخرج مقكرا على سبيل الاقرار بالخطا واخبر أباه اردشير الخبر فسر واخبره انه قد تحقق الذى ذكره المنجمون فى ولد مهرك وان ذلك قد سلى ما كان فى نفسه واذهبه فلما ملك سابور ولى هرمز خراسان وسيره اليها فقهر الاعداء واستقل بالامر فرمى به الوشاة الى سابور وانه على عزم ان يأخذ الملك منه وسمع هرمز بذلك فقيل انه قطع يده وارسلها الى ابيه فكتب اليه بما بلغه وانه فعل ذلك ازالة للتهمة لان رسمهم انهم كانوا لا يملكون ذا عاهة فلما وصلت يده الى سابور تقطع أسفا وارسل الى هرمز يعلمه ما ناله لذلك وعقد له على الملك وملكه ولما ملك عدل فى رعيته وكان صادقا وسلك سبيل ابائه وكور كورة رامهرمز وكان ملكه سنة وعشرة أيام

(ذكر ملك ابنه بهرام بن هرمز بن سابور)

وكان حليما متأنيا حسن السيرة وقتل مانى الزنديق وسلخه وحشا جلده تبنا وعلق على باب من أبواب جنديسابور يسمى باب مانى وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وكان عامل سابور بن اردشير وابنه هرمز وبهرام بن هرمز بعد مهلك عمرو بن عدى على ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابن لعمرو بن عدى يقال له امرؤ القيس الكندى وهو أول من تنصر من آل نصر بن ربيعة وعمال الفرس وعاش مملكا فى عمله مائة سنة واربع عشرة سنة منها فى زمن سابور بن اردشير ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وفى زمن هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام وفى زمن بهرام ثلاث سنين وثلاثة اشهر وثلاثة أيام وفى زمن بهرام بن بهرام بن هرمز ثمانى عشرة سنة

(ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن اردشير)

وكان ملكه حسنا وكان عالما بالامور فلما عقد له التاج ودعهم بحسن السيرة واختلف

وانا اسمعه واختلف العلماء فى مدة حملها قال صاحب مسامرة الاخبار نقلا عن الحسن انها حملت به تسع ساعات ووضعته من يومها وقيل حملت به العادة فلما دنا وقت ولادته خرجت فى جوف الليل فاحتملها يوسف على حماره فادركها النفاس شرقى بيت المقدس بمكان يعرف ببيت لحم قال صاحب مثير الغرام صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام فالجأها ذلك الى ظل نخلة يابسة وكان زمن الشتاء فجلست تحتها فاخضرت النخلة من ساعتها وصار لها سعف وتكللت بحملها بقدرة الله تعالى واجرى الله تعالى فى أصل تلك النخلة عينا من الماء فهزت النخلة وهى تقول ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا واحتوشته الملائكة وكانوا صفوفا محدقين فاراد ابليس ان يأتيه من فوقه فاذا فوقه رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد ان يأتيه من تحت الارض فاذا اقدام الملائكة راسية فاراد ان يدخل من بينهم فنعوه من ذلك فرجع ابليس وقال لاعوانه ماولد مولود اشد على من هذا المولود فلما ولد عيسى عليه السلام اصبحت الاصنام فى جميع الارض منكوسة على رؤسها فلما وضعته ذهب ابليس فاخبر بنى اسرائيل ان مريم قد ولدت فاقبلوا يشتدون ويدعونها وكان بين مولده والهجرة سبعمائة واحدى وثلاثون سنة وقامت مريم من موضع ولادتها وحملت عيسى على صدرها حتى اقبلت على بنى اسرائيل

في سني ملكه فقيل ثماني عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة والله أعلم

●(ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور)●

فلما عقد التاج على رأسه دعا له العظماء فأحسن الرد وكان قبل ان يفضي اليه الامر ملكا على سجستان وكان ملكه أربع سنين

●(ذكر ملك نرسى بن بهرام)●

وهو أخو بهرام الثالث فلما عقد التاج على رأسه دخل عليه الاشراف والعظماء فدعوا له فوعدهم خيرا وسار فيهم بأعدل السيرة وقال ان نضيع شكر ما انعم الله به علينا وكان ملكه تسع سنين

●(ذكر ملك هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز)●

وكان الناس قد وجلوا منه لفظاظته فأعلمهم انه قد علم ما كانوا يخافون من شدة ولايته وان الله قد أبدل ما كان فيه من الفظاظة رقة ورأفة وساسهم ارفق سياسة وكان حريصا على انعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل ثم هلك ولا ولد له فشق ذلك على الناس فسألوا عن نسائه فذكر لهم ان بعضهن حبلى وقيل ان هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل وولدت المرأة سابور ذا الاكتاف وكان ملك هرمز ست سنين وخمسة أشهر وقيل سبع سنين وخمسة اشهر واسماء الملوك من سابور بن اردشير الى ههنا لم يحذف منها شئ

●(ذكر ملك ابنه سابور ذي الاكتاف)●

وهو سابور بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن اردشير بن بابك قد ملك بوصية ابيه له فاستبشر الناس بولادته وبثوا خبره في الآفاق وتقلد الوزراء والكتاب ما كانوا يعملونه في ملك ابيه وسمع الملوك ان ملك الفرس صغير في المهد فطمعت في مملكتهم الترك والعرب والروم وكانت العرب أقرب الى بلاد فارس فسار جمع عظيم منهم في البحر من عبد القيس والبحرين الى بلاد فارس وسواحل اردشير خرة وغلبوا اهلها على مواشيهم ومعايشهم واكثروا الفساد وغلبت اياد على سواد العراق واكثروا الفساد فيهم فمكثوا حينا لا يغزوهم أحد من الفرس لصغر ملكهم فلما ترعرع سابور وكبر كان أول ما عرف من حسن فهمه انه سمع في السحر ضوضاء واصواتا فسأل عن ذلك فقيل ان الناس يزدحمون في الجسر الذي على دجلة مقبلين ومدبرين فامر بعمل جسر آخر يكون أحدهما للمقبلين والآخر للمدبرين فاستبشر الناس بذلك فلما بلغ ست عشرة سنة وقوى على حمل السلاح جمع رؤساء أصحابه فذكر لهم ما اختل من أمرهم وانه يريد الذب عنهم ويشخص الى بعض الاعداء فدعا له الناس وسألوه ان يقيم بموضعه ويوجه القواد والجنود ليكفوه ما يريد فأبى واختار من عسكره ألف رجل فسألوه الازدياد فلم يفعل وسار بهم ونهاهم عن الابقاء على أحد من العرب وقصد بلاد فارس فاوقع بالعرب وهم غارون فقتل واسر واكثر ثم قطع البحر الى الخط فقتل من بالبحرين لم يلتفت الى غنيمة وسار الى هجر وبها ناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس فقتل منهم حتى سالت دماؤهم على الارض وأباد عبد القيس وقصد اليمامة وأكثر في أهلها القتل وغور مياه العرب

وهم يجمعون وزكريا معهم فلما نظروا اليها وعيسى في حجرها بكوا من شدة الغيرة وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من انقياء بني اسرائيل وليس بهرون أخي موسى كامر فلما سألوا مريم وقالوا من أين لك هذا الولد وأخذوا الحجارة ليرجموها فأشارت اليه أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فتضجع عيسى عليه السلام وقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ثم لم يتكلم بعد ذلك حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان فلما سمع ذلك احبار بني اسرائيل من عيسى عليه السلام علموا انه لا اب له وان الله عز وجل خلقه كما خلق آدم فقال زكريا الحمد لله الذي برأنا من كلام الفساق ولما تم لعيسى عليه السلام ثمانية ايام من مولده ختن وسموه اليسوع فلما بلغ عمره اثنتي عشرة سنة جاءه الوحي داخل مسجد بيت المقدس وبنو اسرائيل يتبايعون فيه فجعل يضربهم ويقول يا بني اولاد الحيات والافاعي اتخذتم مساجد الله اسواقا وانزل الله عليه الانجيل ونزل عليه جبريل عشر مرات وكانت الرياسة في ذلك الوقت بالشام ونواحيها القيصر ملك الروم وقيل اسم الملك قسطنطين وكان الملك الذي قبله هيردوس فاراد ان يقتل عيسى ومريم وذلك انهم نظروا الى نجم قد طلع فاستدلوا منه

وقصد

وقصد بكرا وتغلب فيما بين مناظر الشام والعراق فقتل وسبى وغور مياههم وسار الى قرب المدينة ففعل كذلك وكان ينزع اكتاف رؤسائهم ويقتل الى ان هلك فسموه سابور ذا الاكتاف لهذا وانتقلت اياد حينئذ الى الجزيرة وصارت تغير على السواد فجهز سابور اليهم الجيوش وكان لقيط الايادي معهم فكتب الى اياد

سلام في الصحيفة من لقيط * الى من بالجزيرة من اياد

بأن الليث كسرى قد أتاكم * فلا يشغلكم سوق النقاد

اتاكم منهم سبعون ألفا * يزجون الكتائب كالجراد

فلم يقبلوا منه وداموا على الغارة فكتب اليهم أيضا

أبلغ ايادا وطوّل في سراتهم * انى أرى الرأى ان لم اعص قد نصعا

وهي قصيدة مشهورة من اجود ما قيل في صفة الحرب فلم يحذروا وأوقع بهم سابور وأبادهم قتلا الا من لحق بارض الروم فهذا فعله بالعرب وأما الروم فان سابور كان هادن ملكهم وهو قسطنطين وهو أوّل من تنصر من ملوك الروم ونحن نذكر سبب تنصره عند الفراغ من ذكر سابور ان شاء الله ومات قسطنطين وفرق ملكه بين ثلاثة بنين كانوا له فهلكوا وملكت الروم عليهم رجلا من أهل بيت قسطنطين يقال له اليانوس وكان على ملة الروم الاولى ويكتم ذلك فلما ملك أظهر دينه وأعاد ملة الروم وأخرب البيع وقتل الاساقفة ثم جمع جموعا من الروم والخزر وسار نحو سابور واجتمعت العرب للانتقام من سابور فاجتمع في عسكر اليانوس منهم خلق كثير وعادت عيون سابور اليه فاختلفوا في الاخبار فسار سابور بنفسه مع جماعة من ثقاته نحو الروم فلما قرب من يوسانوس وهو على مقدمة اليانوس اختفى وأرسل بعض من معه الى الروم فأخذوا وأقر بعضهم على سابور فارسل يوسانوس اليه سرا ينذره فارتحل سابور الى عسكره وتحارب هو والعرب والروم فانهزم عسكره وقتل منهم مقتلة عظيمة وملكت الروم مدينة طيسبور وهي المدائن الشرقية وملكوا أيضا أموال سابور وخزائنه وكتب سابور الى جنوده وقواده يعلمهم ما لقي من الروم والعرب ويستحثهم على المسير اليه فاجتمعوا اليه وعاد واستنقذ مدينة طيسبور ونزل اليانوس مدينة بهرسير واختلف الرسل بينهما فبينما اليانوس جالس أصابه سهم لا يعرف راميه فقتله فسقط في أيدي الروم ويئسوا من الخلاص من بلاد الفرس فطلبوا من يوسانوس ان يملك عليهم فلم يفعل وأبى الا ان يعودوا الى النصرانية فاخبروه انهم على ملته وانما كتموا ذلك خوفا من اليانوس فملك عليهم وأرسل سابور الى الروم يتهددهم ويطلب الذي ملك عليهم ليجتمع به فسار اليه يوسانوس في ثمانين رجلا فتلقاه سابور وتساجدا وطعما وقوّى سابور أمر يوسانوس بجهده وقال للروم انكم أخربتم بلادنا وأفسدتم فيها فاما ان تعطونا قيمة ما أهلكتم واما ان تعوضونا نصيبين وكانت قديما للفرس فغلبت الروم عليها فدفعوها اليهم وتحول أهلها عنها فحول اليها سابور اثنى عشر ألف بيت من أهل اصطخر واصبهان وغيرها وعادت الروم الى بلادها وهلك ملكهم بعد ذلك بيسير وقيل ان سابور سار الى حد الروم وأعلم

ظهور عيسى عليه السلام فبعث الله عزوجل ملكا الى يوسف فاخبره بما اراد هيرودس وأمره ان يحملها الى مصر فاذا مات الملك يرجع بهما الى مكانهما قال فاحتمل يوسف مريم وابنها على حماره حتى وردوا مصر فاقامت مريم بمصر اثنتى عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في اثر الحصادين ويوسف يحتطب الحطب ويبيعه في السوق وكان عيسى عليه السلام يكبر في اليوم مثل الشهر وفي الشهر مثل السنة وقيل ان مريم وعيسى حملتهما الملائكة من بيت المقدس الى مدينة دمشق وأقاما بالربوة فذلك قوله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وعن أبي سعيد الخدري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام أرسلته أمه الى الكتاب ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال له عيسى عليه السلام وما معناه قال لا ادرى قال فان كنت لا تدرى فاسألني حتى أفسره لك فسأله قال الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم ملك الله * قال الكسائي انطلقت مريم ذات يوم الى صباغ هناك لتسلمه عيسى عليه السلام ليتعلم الصنعة فاخذه منها وقال يا عيسى خذ هذه الجرة واملأ هذه التيغارات كلها فتركه الصباغ وخرج الى منزله فعمد عيسى الى تيغار واحد فملأه ماء وأخذ جميع تلك الثياب وجعلها فيه وانصرف الى أمه فلما كان من الغد ورد الصباغ الى الحانوت فنظر الى ما فعله عيسى فقال يا عيسى أفسدت على ثياب الناس فقال عيسى عليه السلام يا صباغ ما دينك فقال يهودي فقال قل لا اله الا الله واني عيسى روح الله

اصحابه انه على قصد الروم متخفيا لمعرفة أحوالهم وأخبار مدنهم وسار اليهم فجال فيهم
حينا وبلغه ان قيصر أولم وجمع الناس فحضر بزي سائل لينظر الى قيصر على الطعام
ففطن به وأخذ وأدرج في جلد ثور وسار قيصر بجنوده الى أرض فارس ومعه سابور على
تلك الحال فقتل وأخرب حتى بلغ جندي سابور فتحصن أهلها وحاصرها فبينما هو
يحاصرها اذ غفل الموكلون بحراسة سابور وكان بقربه قوم من سبي الاهواز فأمرهم ان
يلقوا على القد الذي عليه زيتا كان بقربهم ففعلوا ولان الجلد وانسل منه وسار الى
المدينة وأخبر حراسها فأدخلوه فارتفعت أصوات أهلها فاستيقظ الروم وجمع سابور من بها
وعبأهم وخرج الى الروم سحر تلك الليلة فقتلهم وأسر قيصر وغنم أمواله ونساءه وأثقله
بالحديد وأمره بعمارة ما أخرب وألزمه بنقل التراب من بلد الروم ليبني به ما هدم المنجنيق
من جندي سابور وان يغرس الزيتون مكان النخل ثم قطع عقبه وبعث به الى الروم على حمار
وقال هذا جزاؤك ببغيك علينا فأقام مدة ثم غزا فقتل وسبى سبايا أسكنهم مدينة بناها
بناحية السوس سماها ايرانشهر سابور وبنى مدينة نيسابور بخراسان في قول وبالعراق
بزرج سابور وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة وهلك في أيامه امرؤ القيس بن عمرو بن
عدي عامله على العرب فاستعمل ابنه عمرو بن امرئ القيس فبقي في عمله بقية ملك سابور
وجميع أيام أخيه اردشير بن هرمز وبعض أيام سابور بن سابور وكانت ولايته ثلاثين سنة
وأما سبب تنصر قسطنطين فانه كان قد كبر سنه وساء خلقه وظهر به وضح كبير فأرادت
الروم خلعه وترك ماله عليه فشاور نصحاءه فقالوا له لا طاقة لك بهم فقد أجمعوا على خلعك
وانما تحتال عليهم بالدين وكانت النصرانية قد ظهرت وهي خفية وقالوا له استمهلهم حتى
تزور البيت المقدس فاذا زرته دخلت في دين النصرانية وحملت الناس عليه فانهم
يفترقون فتقاتل من عصاك بمن أطاعك وما قاتل قوم على دين الا نصروا ففعل ذلك
فأطاعه تالم عليهم وخالفه خلق كثير وأقاموا على دين اليونانية فقاتلهم وظفر بهم
فقتلهم فأحرق كتبهم وحكمتهم وبنى القسطنطينية ونقل الناس اليها وكانت رومية دار
ملكهم وبقي ملكه عليه وغلب على الشام وكان الاكاسرة قبل سابور ذي الاكتاف
ينزلون طيسفون وهي المدينة الغربية من المدائن فلما نشأ سابور بنى الايوان بالمدائن
الشرقية وانتقل اليه وصار هو دار الملك وهو باق الى الآن ونحن في سنة خمس
وعشرين وستمائة

•(ذكر ملك اردشير بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن سابور بن اردشير بن بابك أخي سابور)•

فلما ملك واستقر له الملك عطف على العظماء وذوي الرياسة فقتل منهم خلقا كثيرا فخلعه
الناس بعد أربع سنين من ملكه

•(ذكر ملك سابور بن سابور ذي الاكتاف)•

فلما ملك بعد خلع عمه استبشر الناس بعود ملك أبيه اليه وكتب الى العمال بالعدل والرفق
بالرعية وأمر بذلك وزراءه وحاشيته وأطاعه عمه المخلوع وأحبه رعيته ثم ان العظماء
وأهل الشرف قطعوا أطناب خيمة كان فيها فسقطت عليه فقتلته وكان ملكه خمس سنين

(ذكر

وأدخل يدك في هذا التيغار وأخرج كل ثوب على لون ما تريده فقال فآمن الصباغ ونبذه في التيغار فأخرج كل ثوب
على لون ما أراد وبقي على ايمانه مع
عيسى عليه السلام فهو من جملة
الحواريين فأخبر الصباغ ما رآه
لبعض أصحابه فلما رأوه آمنوا به
فهؤلاء الحواريون وكانوا اثني
عشر رجلا وتبعوا عيسى عليه
السلام فكانوا اذا جاعوا أخبروا
عيسى عليه السلام فيضرب بيده
الأرض فيخرج لكل رجل منهم
رغيفان فيأكلون وكذلك اذا
عطشوا يضرب الارض فيخرج
منها الماء فيشربون ولما مات ملك
الشام رجعت مريم وعيسى
ويوسف ومن آمن معهم بعد اثني
عشر سنة الى بلاد الشام وسكنوا
بقرية يقال لها ناصرة من أعمال
صفد وبها سميت النصارى
وروي ان عيسى عليه السلام
مر بدير فيه عميان فقال من هؤلاء
قالوا له قوم طلبوا القضاء فطمسوا
أعينهم بأيديهم فقال لهم ما دعاكم
الى هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء
فصنعنا بأنفسنا ما ترى فقال لهم
أنتم العلماء والحكماء الاخيار
امسحوا وجوهكم بأيديكم وقولوا
بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميع
مبصرون فلما شاع خبر عيسى عليه
السلام خاف اليهود على أنفسهم
من دعوة عيسى فاجتمعوا عليه
ذات يوم ليقتلوه فبعث الله تعالى
اليه جبريل فرفعه من روزنة
كانت في سقف بيته الى السماء قال
صاحب مثير الغرام ان عيسى عليه
السلام رفعه الله تعالى من طور
زيتا فصير رئيس اليهود رجلا يدخل على عيسى ليقتله فلما دخل عليه لم يجده في البيت فأبطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيه

(ذكر ملك أخيه بهرام بن سابور ذى الاكتاف)

وكان يلقب كرمان شاه لان أباه ملكه كرمان فى حياته فكتب الى القواد كتابا يحثهم على الطاعة وكان محمودا فى أموره وبنا بكرمان مدينة وثار به ناس من القتالة فقتله أحدهم بنشابة وكان ملكه احدى عشرة سنة

(ذكر ملك يزدجرد الاثيم بن بهرام بن سابور ذى الاكتاف)

ومن أهل العلم من يقول ان يزدجرد هذا هو أخو بهرام كرمان شاه بن سابور لا ابنه وكان فظا غليظا ذا عيوب كثيرة يضع الشئ فى غير مواضعه كثير الرزية فى الصغائر واستعمل كل ما عنده فى المواربة والدهاء والمخاتلة مع فطنة بجهات الشر وعجب به وكان على قاسي الخلق لا يغتفر الصغيرة من الزلات ولا يقبل شفاعة أحد من الناس وان كان قريبا منه كثير التهمة ولا يأتمن احدا على شئ ولم يكن يكافئ أحدا على حسن البلاء وان هو أولى الخسيس من العرف استعظمه واذا بلغه ان أحدا من أصحابه صافى أحدا من أهل صناعته نحاه عن خدمته وكان فيه مع ذلك ذكاء ذهن وحسن أدب وقد مهر فى صنوف من العلم واستوزر نرسى حكيم زمانه وكان فاضلا وقد كمل أدبه واقبه هزار بنده فأمل الناس ان يصلح نرسى منه فكان ما أملوه بعيدا فلما استوى له الملك واشتدت شوكته هانت الاشراف والعظماء وحمل على الضعفاء فأكثر من سفك الدماء فلما ابتليت الرعية به شكوا ما نزل بهم منه الى الله تعالى وسألوه تعجيل انقاذهم منه فزعموا انه كان بجرجان فرأى ذات يوم فى قصره فرسا غائرا لم ير مثله فأخبر به فأمر ان يسرج ويلجم ويدخل عليه فلم يقدر أحد على ذلك فاعلم بذلك فخرج اليه بنفسه وألجمه بيده واسرجه فلما رفع ذنبه ليثفره رمحه على فؤاده رمحة هلك منها مكانه وملأ الفرس فروجه جريا ولم يعلم له خبر وكان ذلك من صنع الله ورأفته بهم وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوما وأما العرب فقيل انه لما هلك عمرو بن امرئ القيس الكندى بن عمرو بن عدى فى عهد سابور استخلف سابور على عمله اوس بن قلام وهو من العماليق فملك خمس سنين وقتل فى عهد بهرام بن سابور فاستخلف بعده فى عمله امرأ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الكندى فبقى خمسا وعشرين سنة وهلك أيام يزدجرد الاثيم فاستخلف بعده فى عمله ابنه النعمان وأمه شقيقة ابنة أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان وهو صاحب الخورنق وسبب بنائه له ان يزدجرد الاثيم كان لا يبقى له ولد فسأل عن منزل برى صحيح فدل على ظاهر الحيرة فدفع ابنه بهرام جور الى النعمان هذا وأمره ببناء الخورنق مسكنا له وأمره باخراجه الى بوادى العرب وكان الذى بنى الخورنق رجلا اسمه سنمار فلما فرغ من بنائه تعجبوا منه فقال لو علمت أنكم توفونى أجرى لعملته يدور مع الشمس فقال وانك لتقدر على ما هو أفضل منه ثم أمر به فالقى من رأس الخورنق فهلك فضربت العرب بجزائه المثل وهو مذكور فى اشعارها وغزا النعمان هذا الشام مرارا واكثر المصائب فى أهلها وسبى وغنم وجعل معه ملك فارس كتيبتين يقال لاحداهما دوس وهى لتنوخ وللاخرى الشهباء وهى لفارس فكان يغزو بهما الشام ومن لم يطعه من العرب ثم انه جلس يوما فى مجلسه من الخورنق

فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى فلما خرج الرجل ظنوا انه عيسى فصلبوه وتوفى الله تعالى عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء وهو قوله تعالى ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى الآية فلما صلب الذى هو شبه عيسى جاءت مريم وامرأة أخرى كانت بها عاهة فدعا لها فبرئت ووقفتا تبكيان عند المصلوب فجاءهن عيسى فقال لهن على من تبكيان فقالتا عليك فقال لهما ان الله تعالى قد رفعنى ولم يصلبنى وان هذا الرجل شبه لهم قال وهب لما رفع عيسى عليه السلام لبث فى السماء سبعة أيام ثم قال الله له انزل الى أصحابك وأوصهم فاهبطه الله على جبل فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريون وهم اثنا عشر رجلا ففرقهم فى الارض يدعون الى توحيد الله تعالى واجتمع بأمه مريم وأخبرها بمكانه وأسر لرجلين منهم يقال لاحدهما شمعون والآخر يحيى وأمرهما ان يكرما أمه ولا يفارقاها ثم رفعه الله اليه وكساه الريش وألبسه النور ووضع عنه لذة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا سماويا أرضيا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فى تلك الليلة فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث اليهم وذكر أن شمعون الصفانى مرسل بعثه الله تعالى الى أهل انطاكية بعد يحيى ويونس وانطلق شمعون ويحيى ومعهما مريم الى مارون ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وأمر بقتل شمعون فقتل وصلب منكوسا وفى كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات انه مدفون فى مدينة رومية الكبرى فى كنيستها العظمى فى تابوت

فاشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والانهار في يوم من ايام الربيع فاعجبه ذلك فقال لوزيره هل رأيت مثل هذا المنظر قط قال لا لو كان يدوم قال فما الذي يدوم قال ما عند الله في الآخرة قال فبم ينال ذلك قال بترك الدنيا وعبادة الله فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح وخرج هاربا لا يعلم به فاصبح الناس فلم يروه وكان ملكه الى ان تركه وساح تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر من ذلك في أيام يزدجرد خمس عشرة سنة وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة وأما علماء الفرس فانهم يقولون غير هذا وسيرد ذكره

(ذكر ملك بهرام بن يزدجرد الاثيم)

لما ولد يزدجرد بهرام جور اختار لحضانته العرب فدعا بالمنذر بن النعمان واستحضنه بهرام وشرفه وكرمه وملكه على العرب فسار به المنذر واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات اجسام صحيحة واذهان ذكية وآداب حسنة من بنات الاشراف منهن عربيتان وعجمية فارضعنه ثلاث سنين فلما بلغ خمس سنين أحضر له مؤدبين فعلموه الكتابة والرمي والفقه بطلب من بهرام بذلك وأحضر حكيما من حكماء الفرس فتعلم ووعى كل ما علمه بأدنى تعليم فلما بلغ اثنتي عشرة سنة تعلم كل ما أفيد وفاق معلميه فامرهم المنذر بالانصراف وأحضر معلمي الفروسية فأخذ عنهم كل ما ينبغي له ثم صرفهم ثم أمر فاحضرت خيل العرب للسباق فسبقها فرس أشقر للمنذر وأقبل باقي الخيل بدادا فقرب المنذر الفرس بيده اليه فقبله وركبه يوما للصيد فبصر بعانة حمر وحش فرمى عليها وقصدها واذا هو بأسد قد أخذ عيرا منها فتناول ظهره بفيه فرماه بهرام بسهم فنفذ في الاسد والعير ووصل الى الارض فساخ السهم الى ثلثه فرآه من معه فعجبوا منه ثم أقبل على الصيد واللهو والتلذذ فمات أبوه وهو عند المنذر فتعاهد العظماء وأهل الشرف على ان لا يملكوا أحدا من ذرية يزدجرد لسوء سيرته فاجتمعت الكلمة على صرف الملك عن بهرام لنشوه في العرب وتخلقه باخلاقهم ولانه من ولد يزدجرد وملكوا رجلا من عقب اردشير بن بابك يقال له كسرى فانتهى هلاك يزدجرد وتمليك كسرى الى بهرام فدعا بالمنذر وابنه النعمان وناس من أشراف العرب وعرفهم احسان والده اليهم وشدته على الفرس وأخبرهم الخبر فقال المنذر لا يهولنك ذلك حتى الطف الحيلة فيه وجهز عشرة آلاف فارس ووجههم مع ابنه النعمان الى طيسفون وبهرسير مدينتي الملك وأمره أن يعسكر قريبا منهما ويرسل طلائعه اليهما وان يقاتل من قاتله ويغير على البلاد ففعل ذلك وأرسل عظماء فارس جوابي صاحب رسائل يزدجرد الى المنذر يعلمه أمر النعمان فلما ورد جوابي قال له الق الملك بهرام فدخل عليه فراعه ما رأى منه فاغفل عن السجود دهشا فعرف بهرام ذلك فكلمه ووعده أحسن الوعد ورده الى المنذر وقال له أجبه فقال له ان الملك بهرام أرسل النعمان الى ناحيتكم حيث ملكه الله بعد أبيه فلما سمع جوابي مقالة المنذر وتذكر ما رأى من بهرام علم ان جميع من تشاور في صرف الملك عن بهرام محجوج فقال للمنذر سر الى مدينة الملوك وتجمع اليك الاشراف والعظماء وتشاور وافي ذلك فلن يخالفوا

من قشة معلق بسلاسل في سقف الهيكل وقيل انه مدفون بقرية زوحين من اعمال حلب وله قبر يزار هناك ويتبرك به فلما قتل شمعون هربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب وقاربا فانشقت لهما الارض فغابا فيها فلم يصروهما وفي اتحاف الاخصاء ان مريم عاشت بعد رفع عيسى عليه السلام ست سنين وكان عمرها ثلاثا وخمسين سنة ثم ماتت ودفنت بالكنيسة المعروفة بالجسمانية وهو الموضع الذي يعرف بمهد عيسى عليه السلام وذكر أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين ان مريم ماتت قبل أن يرفع عيسى عليه السلام وان عيسى تولى دفنها بنفسه وأما الثلاثة أصحاب القرية المذكورة في القرآن قال وهب كانوا ثلاثة انبياء صادق وصدوق وسلوم بعثوا الى أهل انطاكية وكانوا من الحواريين وملك انطاكية حينئذ انطيخس وأما الذي جاء من أقصى المدينة فآمن به فاسمه حبيب النجار كان بانطاكية وكان اجذم فبرئ فلما بلغهم أنه آمن وطئوه بأرجلهم حتى مات فاحياه الله فادخله الجنة وأهلك أهل قريته بصيحة من السماء فخمدوا وذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه الى قوله تعالى فاذا هم خامدون * وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة وامهاتهم شتى ودينهم واحد واني اولى الناس بعيسى عليه السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك ان ينزل فيكم ويحكم حكما عدلا وانه نازل على أمتي وهو خليفتي عليكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع القامة

مائل

وهو الى الحمرة والبياض سبط الشعر كان رأسه يقطر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال

ما نشير به وسار المنذر بعد عود حوابي من عنده يوم في ثلاثين ألفا من فرسان العرب
الى مدينتي الملك بهرام لجمع الناس وصعد بهرام على منبر من ذهب مكلل بالجوهر وتكلم
عظماء الفرس فذكروا فظاظة يزدجرد ابي بهرام وسوء سيرته وكثرة قتله واخراب البلاد
وانهم لهذا السبب صرفوا الملك عن ولده فقال بهرام لست أكذبكم ومازلت زاريا
عليه ذلك ولم أزل أسأل الله ان يملكني لاصلح ما أفسد ومع هذا فاذا أتى على ملكي سنة
ولم أف بما أعد تبرأت من الملك طائعا وانا راض بان تجعلوا التاج وزينة الملك بين اسدين
ضاريين فمن تناولهما كان الملك له فاجابوه الى ذلك ووضعوا التاج والزينة بين أسدين
وحضر موبذ موبذان فقال بهرام لكسرى دونك التاج والزينة فقال كسرى أنت
أولى لانك تطلب الملك بوراثة وأنا فيه مغتصب فحمل بهرام جرزا وتوجه نحو التاج فبدر
اليه أحد الاسدين فوثب بهرام فعلا ظهره وعصر جنبي الاسد بفخذيه وجعل يضرب
رأسه بالجرز الذي معه ثم وثب الاسد الآخر عليه فقبض أذنيه بيده ولم يزل يضرب رأسه
برأس الاسد الآخر الذي تحته حتى دمغهما ثم قتلهما بالجرز الذي معه وتناول بعد
ذلك التاج والزينة فكان أول من اطاعه كسرى وقال جميع من حضر قد اذعنا لك
ورضينا بك ملكا وان العظماء والوزراء والاشراف سألوا المنذر ليكلم بهرام في العفو
عنهم فسأل المنذر الملك بهرام ذلك فاجابه وملك بهرام وهو ابن عشرين سنة وأمر ان
يلزم رعيته راحة ودعة وجلس للناس يعدهم بالخير ويأمرهم بتقوى الله ولم يزل مدة
ملكه يؤثر اللهو على ماسواه حتى طمع فيه من حوله من الملوك في بلاده وكان أول من
سبق الى قصده خاقان ملك الترك فانه غزاه في مائتي ألف وخمسين ألفا من الترك فعظم ذلك
على الفرس ودخل العظماء على بهرام وحذروه فتمادى في لهوه ثم تجهز وسار الى
أذربيجان ليتنسك في بيت نارها ويتصيد بارمينيه في سبعة رهط من العظماء وثلثمائة
من ذوي البأس والنجدة واستخلف أخاه نرسي فشك الناس في انه هرب من عدوه
فاتفق رأي جمهورهم على الانقياد الى خاقان وبذل الخراج له خوفا على نفوسهم
وبلادهم فبلغ ذلك خاقان فأمن ناحيتهم وسار بهرام من اذربيجان الى خاقان في تلك
العدة فثبت للقتال وقتل خاقان بيده وقتل جنده وانهزم من سلم من القتل وامعن بهرام
في طلبهم يقتل ويأسر ويغنم ويسبي وعاد وجنده سالمون وظفر بتاج خاقان واكليله وغلب
على طرف من بلاده واستعمل عليها مرزبانا وأتاه رسل الترك خاضعين مطيعين وجعلوا
بينهم حدا لا يعدونه وارسل الى ماوراء النهر قائدا من قواده فقتل وسبى وغنم وعاد بهرام
الى العراق وولى اخاه نرسي خراسان وأمره ان ينزل مدينة بلخ واتصل به ان بعض رؤساء
الديلم جمع جمعا كثيرا واغار على الري واعمالها فغنم وسبى وخرب البلاد وقد عجز اصحابه في
الثغر عن دفعه وقد قرروا عليهم اتاوة يدفعونها اليه فعظم ذلك عليه وسير مرزبانا الى
الري في عسكر كثيف وامره ان يضع على الديلمي من يطمعه في البلاد ويغريه بقصدها
ففعل ذلك فجمع الديلمي جموعه وسار الى الري فارسل المرزبان الى بهرام جور يعلمه خبره
فكتب اليه يأمره بالمسير نحو الديلمي والمقام بموضع سماه له ثم سار جريدة في نفر من

ويسكن الروحاء حاجا ومعتمرا يقاتل
الناس على الاسلام حتى يهلك
في زمانه أهل الاديان كلها غير
الاسلام وتكون السجدة واحدة
لله تعالى ويهلك الله في زمانه
المسيح الدجال ويقتل على يديه
وعلى يد أصحابه ويقع الامن في
الارض حتى يرتع الاسد مع الابل
والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم
وتلعب الصبيان بالحيات ولا
تضرهم ثم يلبث في الارض
أربعين سنة ثم يتزوج امرأة من
غسان ويولد له أولاد ثم يتوفى في
المدينة ويدفن الى جانب قبر عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه فطوبى
لابي بكر وعمر يحشران بين نبيين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف تهلك امة انا في أولها
وعيسى في آخرها والشهداء من
أهل بيتي في وسطها وروى
الحافظ أبو نعيم قال يمكث الناس
بعد يأجوج ومأجوج في الرخاء
والخصب والدعة عشر سنين حتى
ان الرجلين ليحملان الرمانة
الواحدة بينهما ويحملان عنقود
العنب ثم يبعث الله تعالى ريحا
طيبة فلا تدع مؤمنا ولا مؤمنة
الا قبضت روحه ثم يبقى الناس
بعد ذلك يتهارجون تهارج الحمر
في المروج حتى يأتي امر الله تعالى
(وفي مسامرة الاخبار) ينزل عيسى
عليه السلام عند انفجار الصبح
بين مهرودتين عند المنارة البيضاء
بشرقي دمشق فيصلي بالناس ويطلب الدجال فيقتله بباب لد * (الفصل السابع والثلاثون في ذكر

خواصه فادرك عسكره بذلك المكان والديلمى لا يعلم بوصوله وهو قد قوى طمعه لذلك فعبى بهرام أصحابه وسار نحو الديلم فلقيهم وباشر القتال بنفسه فاخذ رئيسهم اسيرا وانهزم عسكره فامر بهرام بالنداء فيهم بالامان لمن عاد اليه فعاد الديلم جميعهم فامنهم ولم يقتل منهم أحدا واحسن اليهم وعادوا الى احسن طاعة وأبقى على رئيسهم وصار من خواصه وقيل كانت هذه الحادثة قبل حرب الترك والله أعلم ولما ظفر بالديلم أمر ببناء مدينة سماها فيروز بهرام فبنيت هى ورستاقها واستوزر نرسى فاعلمه انه ماض الى الهند متخفيا فسار الى الهند وهو لا يعرفه أحد غير ان الهند يرون شجاعته وقتله السباع ثم ان فيلا ظهر وقطع السبيل وقتل خلقا كثيرا فاستدل عليه فسمع الملك خبره فارسل معه من يأتيه بخبره فانتهى بهرام والهندى معه الى الاجمة فصعد الهندى شجرة ومضى بهرام فاستخرج الفيل وخرج وله صوت شديد فلما قرب منه رماه بسهم بين عينيه كاد يغيب وقذفه بالنشاب واخذ مشفره ولم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه فاحتز رأسه واخرجه واعلم الهندى ملكهم بما رأى فاكرمه واحسن اليه وسأله عن حاله فذكر ان ملك فارس سخط عليه فهرب الى جواره وكان لهذا الملك عدو فقصده فاستسلم الملك واراد أن يطيع ويبذل الخراج فنهاه بهرام واشار بمحاربته فلما التقوا قال لاساورة الهندى احفظوا الى ظهرى ثم حمل عليهم فجعل يضرب فى اعراضهم ويرميهم بالنشاب حتى انهزموا وغنم أصحاب بهرام ما كان فى عسكر عدوه فاعطى بهرام الديبل ومكران وانكحه ابنته فامر بتلك البلاد فضمت الى مملكة الفرس وعاد بهرام مسرورا واغزى نرسى بلاد الروم فى اربعين ألفا وأمره ان يطلب ملك الروم بالاتاوة فسار الى القسطنطينية فهادنه ملك الروم فانصرف بكل ما اراد الى بهرام وقيل انه لما فرغ من شأن الروم سار بنفسه الى بلاد اليمن ودخل بلاد السودان فقتل مقاتلتهم وسبى منهم خلقا كثيرا وعاد الى مملكته ثم انه فى آخر ملكه خرج الى الصيد فشد على عير فامعن فى طلبه فارتطم فى جب فغرق فبلغ والدته ذلك فسارت الى ذلك الموضع وامرت باخراجه فنقلوا من الجب طينا كثيرا حتى صار آكاما عظاما ولم يقدر واعليه وكان ملكه ثمانى عشرة سنة وعشرة اشهر وعشرين يوما وقيل ثلاثا وعشرين سنة هكذا ذكر ابو جعفر فى اسم بهرام جور ان اباه اسلمه الى المنذر بن النعمان كما تقدم وذكر عند يزدجرد الاثيم انه سلم ابنه بهرام الى النعمان بن امرئ القيس ولا شك ان بعض العلماء قال هذا وبعضهم قال ذلك الا انه لم ينسب كل قول الى قائله

•(ذكر ملك ابنه يزدجرد بن بهرام جور)•

لما لبس التاج جلس للناس ووعدهم وذكر اباه ومناقبه واعلمهم انهم ان فقدوا منه طول جلوسه لهم فان خلوته فى مصالحهم وكيد اعدائهم وانه قد استوزر نرسى صاحب ابيه وعدل فى رعيته وقمع أعداءه واحسن الى جنده وكان له ابنان يقال لاحدهما هرمز وللآخر فيروز وكان لهرمز سجستان فتغلب على الملك بعد هلاك ابيه يزدجرد فهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة واستنجد ملكهم فامده بعد ان دفع اليه الطالقان فاقبل بهم فقتل

جرجيس عليه السلام)• كان رجلا صالحا من اهل فلسطين قد ادرك بعض الناس من الحواريين واعتذ منهم قال الكسائى لم يكن نبيا ولكن كان عابدا مستجاب الدعوة وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان بالموصل ملك جبار عات وملك الشام يقال له داذنه قد ترك دين آبائه وعبد صنما يقال له افلون فمن سجد له ابقاه ومن ابى فى النار القاه فعمد جرجيس الى امواله فانفقها فى سبيل الله وقصد الموصل ان يأتى الملك ويدعوه الى خلع الاصنام وتوحيد الملك العلام فاقبل حتى دخل عليه فصادف يوم عيدهم فقال له ايها الجبار العاتى اتق الله ولا تتخذ معه الها آخر فلما سمع الملك ذلك غضب غضبا شديدا فامر بخشبة فنصبت له وربطه فيها ثم أمر بامشاط حديد فخدش بها جلده ولحمه حتى لم يبق الا العروق والعظام ونضح عليه الملح والخل والخردل وامر بمسامير من حديد فاحميت بالنار وسمر بها رأسه حتى سال منها دماغه ورفعه على خشبة فوقفه فى الشمس فلم يجد لذلك ألما ولا وجعا فلما كان الليل بعث الله ملكا اليه فازاله ومر بيده على بدنه فعاد جسده كما كان ونزع المسامير من رأسه ولم يضره شئ وامره الله بالعود اليه وان يدعوه الى الله تعالى فلما اصبح دخل على الملك ووقف بين يديه ودعاه الى الله تعالى فقال له الملك بلغ من سحرك انك سحرت اعضاءك فقال جرجيس ان الله تعالى أحيانى عبرة لك وحجة عليك فعند ذلك أمر بحرقه حتى صار رمادا فألقى الرماد فى البحر فامر الله البحر فحفظ الرماد الذى ذرى فيه وامر الريح ان يجمع

اخاه بالري وكانا من ام واحدة وقيل لم يقتله وانما اسره واخذ الملك منه وكان الروم منعوا الخراج عن يزدجرد فوجه اليهم نرسي في العدة التي انفذه ابوه فيهم فبلغ ارادته وكان ملك يزدجرد ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وقيل تسع عشرة سنة

(ذكر ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام بعد ان قتل اخاه هرمز وثلاثة من أهل بيته)

ولما ظفر فيروز بأخيه وملك اظهر العدل واحسن السيرة وكان يتدين الا انه كان محدودا مشؤوما على رعيته وقحطت البلاد في زمانه سبع سنين متوالية وغارت الانهار والقني وقل ماء دجلة وقحلت الاشجار وهاجت عامة الزروع في السهل والجبل من بلاده وماتت الطيور والوحوش وعم أهل البلاد الجوع والجهد الشديد فكتب الى جميع رعيته انه لا خراج عليهم ولا جزية ولا مؤنة وتقدم اليهم بان كل من عنده طعام مذخور يواسي به الناس وان يكون حال الغني والفقير واحدا واخبرهم انه ان بلغه ان انسانا مات جوعا بمدينة أو قرية عاقبهم ونكل بهم وساس الناس سياسة لم يعطب احد جوعا خلا رجلا واحدا من رستاق أردشير خرة وابتهل فيروز الى الله بالدعاء فازال ذلك القحط وعادت بلاده الى ما كانت عليه فلما حيي الناس والبلاد واثخن في اعدائه سار مريدا حرب الهياطلة فلما سمع اخشنوار ملكهم خافه فقال له بعض أصحابه اقطع يدي ورجلي وألقني على الطريق واحسن الى عيالي لاحتال على فيروز ففعل ذلك واجتاز به فيروز فسأله عن حاله فقال له اني قلت لاخشنوار لا طاقة لك بفيروز ففعل بي هذا واني ادلك على طريق لم يسلكها ملك وهي اقرب فاغتر فيروز بذلك وتبعه فسار به وبجنده حتى قطع بهم مفازة بعد مفازة حتى اذا علم انهم لا يقدرون على الخلاص اعلمهم حاله فقال اصحاب فيروز لفيروز حذرناك فلم تحذر فليس الا التقدم على كل حال فتقدموا امامهم فوصلوا الى عدوهم وهم هلكى عطشى وقتل العطش منهم كثيرا فلما اشرفوا على تلك الحال صالحوا اخشنوار على ان يخلي سبيلهم الى بلادهم على ان يحلف له فيروز انه لا يغزو بلاده فاصطلحا وكتب فيروز كتابا بالصلح وعاد فلما استقر في مملكته حملته الانفة على معاودة اخشنوار فنهاه وزراؤه عن نقض العهد فلم يقبل وسار نحوه فلما تقاربا امر اخشنوار فحفر خلف عسكره خندقا عرضه عشرة أذرع وعمقه عشرون ذراعا وغطاه بخشب ضعيف وتراب ثم عاد وراءه فلما سمع فيروز بذلك اعتقده هزيمة فتبعه ولا يعلم عسكر فيروز بالخندق فسقط هو وأصحابه فيه فهلكوا وعاد اخشنوار الى عسكر فيروز وأخذ كل ما فيه واسر نساءه وموبذان موبذ ثم استخرج جثة فيروز ومن سقط معه فجعلها في النواويس وقيل ان فيروز لما انتهى الى الخندق الذي حفره اخشنوار ولم يكن مغطى عقد عليه قناطر وجعل عليها اعلاما له ولأصحابه يقصدونها في عودهم وجاز الى القوم فلما التقى العسكران احتج عليه اخشنوار بالعهود التي بينهما وحذره عاقبة الغدر فلم يرجع فنهاه اصحابه فلم ينته فضعفت نياتهم في القتال فلما ابى الا القتال رفع اخشنوار نسخة العهد على رمح وقال اللهم خذ بما في هذا الكتاب وقلده بغيه فقاتله فانهزم فيروز وعسكره

الرماد في بعثه وقذفته الى الساحل فرده الله تعالى من ذلك الرماد خلقا سويا كما كان فانصرف حتى دخل على الملك وهو يدعوه الى الله تعالى فلما رآه فزع منه وخاف على نفسه وملكه واجمع رأيه وامر بأن يضرب اربعة اوتاد من حديد وان يسطح على الارض ويربط يداه ورجلاه ويوضع على صدره اسطوانة من الرخام ففعلوا فلما كان الليل اتاه الملك واطلقه فدخل على الملك ودعاه الى الله تعالى فتحير الملك في امره فقال رجل من جلساء الملك يا جرجيس انت تقول ان الهك يحيي ويميت فادع لنا ربك ان يحيي لنا من في هذه القبور وكان هناك بعض قبور فدعا جرجيس وتضرع فما استتم كلامه حتى تفطرت وتشققت الارض وقام من القبور سبعون انسانا ينفضون التراب عن رؤسهم فقالوا انشهد ان لا اله الا الله وان جرجيس نبي الله فيهم خمس نسوة وثلاثة صبيان والباقي رجال وفيهم شيخ كبير فقال له كم لك ميت قال اربعمائة سنة فعند ذلك رجعوا الى رقدتهم قال صاحب السبعيات قتل جرجيس سبعين مرة ثم احياه الله تعالى ولم يؤمن الملك فاشتاق جرجيس الى الجنة فقال اللهم اني اسألك ان تقبضني اليك وان تنزل نقمتك وسطوتك على الظالمين فلما فرغ من دعائه امطر الله على الذين كفروا نارا من السماء فلما رأوا ذلك هجموا بالسيوف على جرجيس فقتلوه ونزلت النار فاحرقت المدينة بمن فيها وصارت رمادا ومكثت زمانا يخرج من تحتها دخان منتن وكان جملة من آمن منهم اربعة وثلاثون الفا وكان ذلك كله في

فتشاغلوا عن مواضع القناطر فسقطوا في الخندق فهلك فيروز وأكثر عسكره وغنم اخشنوار أموالهم ودوابهم وجميع ما معهم وغلب اخشنوار على عامة خراسان فسار اليهم رجل من أهل فارس يقال له سوخرا وكان فيهم عظيما وخرج كالمحتسب وقيل بل كان فيروز استخلفه على ملكه لما سار وكان له سجستان فلقي صاحب الهياطلة فأخرجه من خراسان واستعاد منه كل ما أخذ من عسكر فيروز مما هو في عسكره موجودا من السبي وغيره وعاد الى بلاده فعظمته الفرس الى غاية لم يكن فوقه الا الملك وكانت مملكة الهياطلة طخارستان فكان فيروز قد اعان ملكهم لما ساعده على حرب اخيه الطالقان وكان ملك فيروز ستا وعشرين سنة وقيل احدى وعشرين سنة

(ذكر الاحداث في العرب أيام يزدجرد وفيروز)

كان يخدم ملوك حمير ابناء الاشراف من حمير وغيرهم وكان ممن يخدم حسان بن تبع عمرو ابن حجر الكندي سيد كندة فلما قتل عمرو بن تبع اخاه حسان بن تبع اصطنع عمرو بن حجر وزوجه ابنة اخيه حسان ولم يطمع في التزوج الى ذلك البيت أحد من العرب فولدت الحرث بن عمرو وملك بعد عمرو بن تبع عبد كلال بن مثوب وانما ملكوه لان أولاد عمرو كانوا صغارا وكان الجن قبل ذلك قد استهامت تبع بن حسان وكان عبد كلال على دين النصرانية الاولى ويكتم ذلك ورجع تبع بن حسان من استهامته وهو اعلم الناس بما كان قبله فملك اليمن وهابته حمير فبعث ابن اخته الحرث بن عمرو بن حجر في جيش الى الحيرة فسار الى النعمان بن امرئ القيس وهو ابن الشقيقة فقاتله فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وافلت المنذر بن النعمان الاكبر وامه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط فذهب ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون قاله بعضهم وقال ابن الكلبي ملك بعد النعمان المنذر بن النعمان بن المنذر بن النعمان أربعا واربعين سنة من ذلك في زمن بهرام جور ثماني سنين وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة ثم ملك بعده الاسود بن المنذر عشرين سنة منها في زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين وفي زمن بلاش بن فيروز اربع سنين وفي زمن قباذ بن فيروز ست سنين وهكذا ذكر ابو جعفر ههنا ان الحرث بن عمرو قتل النعمان بن امرئ القيس واخذ بلاده وانقرض ملك اهل بيته وذكر فيما تقدم ان المنذر ابن النعمان أو النعمان على الاختلاف المذكور هو الذي جمع العساكر وملك بهرام جور على الفرس ثم ساق فيما بعد ملوك الحيرة من أولاد النعمان هذا الى آخرهم ولم يقطع ملكهم بالحرث بن عمرو وسبب هذا ان اخبار العرب لم تكن مضبوطة على الحقيقة فقال كل واحد ما نقل اليه من غير تحقيق وقيل غير ذلك وسنذكره في مقتل حجر بن عمرو والد امرئ القيس في أيام العرب ان شاء الله والصحيح ان ملوك كندة عمرو والحرث كانوا بنجد على العرب واما اللخميون ملوك الحيرة المناذرة فلم يزالوا عليها الى ان ملك قباذ الفرس وازالهم واستعمل الحرث بن عمرو الكندي على الحيرة ثم اعاد انوشروان الحيرة الى اللخميين على ما نذكره ان شاء الله تعالى

القتل في أيام ملوك الطوائف وقبر جرجيس بقرب الرملة وعنده مزار سبعين نبيا من بني اسرائيل هلكوا بالجوع الذين اخرجوا من بيت المقدس وقيل قبره بالموصل وقيل بالسوس من بلاد خوزستان هكذا ذكره عدة من المؤرخين

(الفصل الثامن والثلاثون في ذكر شمعون عليه السلام)

كان رجلا صالحا من بني اسرائيل ذا قوة وبطش شديد بحيث لا يوثقه الحديد وكان يحفظ الانجيل وهو من قرية من قرى الروم وكان أهل قريته يعبدون الاوثان ولم يزل شمعون يغزوهم وحده ويقاتلهم ويجاهدهم في الله حق جهاده وكان اذا قاتل قومه وعطش ينفجر له من أي حجر كان بين يديه ماء عذب فيروى منه فجاهد الف شهر (عن ابن ابي نجيح) عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عنده شمعون انه لبس السلاح وجاهد في سبيل الله الف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فانزل الله تبارك وتعالى انا انزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر التي لبس شمعون فيها السلاح وقاتل في سبيل الله وكان شمعون يصيب من الكفار وهم لا يقدرون عليه فاحتالوا على قتله من قبل امرأته فاقبلوا اليها وسألوها ان توثق لهم زوجها وجعلوا لها على ذلك جعلا فاجابتهم الى ذلك وقالت انا اوثقه لكم اعطوني حبلا وثيقا فاعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها اذا نام فاوثقي يديه الى عنقه بهذا الحبل ومضوا عنها قال فلما أتى شمعون الى داره ونام ربطت امرأته يديه فلما استيقظ وجذب يديه من ربطها الى عنقه (ذكر

(ذكر ملك بلاش بن فيروز بن يزدجرد)

ثم ملك بعد فيروز ابنه بلاش وجرى بينه وبين اخيه قباذ منازعة استظهر فيها قباذ وملك فلما ملك بلاش اكرم سوخرا واحسن اليه لما كان منه ولم يزل حسن السيرة حريصا على العمارة وكان لا يبلغه ان بيتا خرب وجلا اهله الا عاقب صاحب تلك القرية على تركه سد فاقتهم حتى لا يضطروا الى مفارقة اوطانهم وبنى مدينة ساباط بقرب المدائن وكان ملكه اربع سنين

(ذكر ملك قباذ بن فيروز بن يزدجرد)

وكان قباذ قبل ان يصير الملك اليه قد سار الى خاقان مستنصرا به على اخيه بلاش فمر في طريقه بحدود نيسابور ومعه جماعة من اصحابه متنكرين وفيهم زرمهر بن سوخرا فتاقت نفسه الى النكاح فشكا ذلك الى زرمهر وطلب منه امرأة فسار الى امرأة صاحب المنزل وكان من الاساورة وكان له بنت حسناء فخطبها منها واطمعها وزوجها فزوجها فدخل بها قباذ من ليلته فحملت بانوشروان وامر لها بجائزة سنية وردها وسألتها امها عن قباذ وحاله فذكرت انها لا تعرف من حاله شيئا غير ان سراويله منسوجة بالذهب فعلمت انه من ابناء الملوك ومضى قباذ الى خاقان واستنصره على اخيه فاقام عنده اربع سنين وهو يعده ثم ارسل معه جيشا فلما صار بالقرب من الناحية التي بها زوجته سأل عنها فاحضرت ومعها انوشروان واعلمته انه ابنه وورد الخبر اليه بذلك المكان ان اخاه بلاش قد هلك فتيمن بالمولود وحمله وامه على مراكب نساء الملوك واستوثق له الملك وخص سوخرا وشكر لولده خدمته وولى سوخرا الامر فمال الناس اليه وتهاونوا بقباذ فلم يحتمل ذلك فكتب الى سابور الرازي وهو اصبهبذ ديار الجبل ويقال للبيت الذي هو منه مهران فاستقدمه ومعه جنده فتقدم اليه فاعلمه عزمه على قتل سوخرا وامره بكتمان ذلك فاتاه يوما سابور وسوخرا عند قباذ فالقى في عنقه وهقا واخذه وحبسه ثم خنقه قباذ وارسل له الى اهله وقدم عوضه سابور الرازي وفي ايامه ظهر مزدك وابتدع ووافق زرادشت في بعض ماجاء به وزاد ونقص وزعم انه يدعو الى شريعة ابراهيم الخليل حسبما دعا اليه زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء حتى لا يكون لاحد على احد فضل في شيء البتة فكثر اتباعه من السفلة والاغتام فصاروا عشرات الوف فكان مزدك يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر وكذا في الاموال والعبيد والاماء وغيرها من الضياع والعقار فاستولى وعظم شأنه وتبعه الملك قباذ فقال يوما لقباذ اليوم نوبتي من امرأتك ام انوشروان فاجابه الى ذلك فقام انوشروان اليه ونزع خفيه بيده وقبل رجليه وشفع اليه حتى لا يتعرض لامه وله حكمه في سائر ملكه فتركها وحرم ذباحة الحيوان وقال يكفي في طعام الانسان ما تنبته الارض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن فعظمت البلية به على الناس فصار الرجل لا يعرف ولده والولد لا يعرف اباه فلما مضى عشر سنين من ملك قباذ اجتمع موبذان موبذ والعظماء وخلعوه وملكوا عليهم اخاه جاماسب

فغطى فقطع الحبل وقال لزوجته لم فعلت هذا قالت فعلته لاختبر به قوتك قط ما رأيت مثلك فلما خرج شمسون اتاها اولئك فاخبرتهم بذلك فمضوا فاتوها بجامعة من الحديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها في يديه الى عنقه واعلمينا فمضوا واقاموا فلما اتى شمسون على حسب عادته ونام جعلت الحديد في يديه الى عنقه فلما استيقظ جذبها فزالت من يده وعنقه وقال لها ايضا لم فعلت ذلك فقالت اختبر به قوتك والآن فما بقيت اخاف عليك فهل شيء في الارض يغلبك اذا اوثقت به فقال شيء واحد فقالت وما هو فسكت فلم تزل تردد عليه حتى قال لا يمسكني الا شعري وكان له ذوائب طوال فلما نام اوثقت يديه الى عنقه بشعره وسارت مسرعة الى القوم واخبرتهم بذلك فجاؤا اليه واوثقوه واخذوه وجدعوا انفه وسملوا عينيه وجعلوه على عامود فجعل الناس ينظرون اليه فرفع شمسون رأسه الى السماء ودعا الله تعالى ان يكشف عنه ما به فاستجاب الله دعاءه ورد الله عليه بصره وعافاه من كل ما فعلوا به واطلق يديه وكانت المدينة على اعمدة فامره الله تعالى ان يأخذ بعمودين من اعمدة المدينة ويجذبهما فلما جذب العمودين سقطت المدينة على اهلها فهلكوا جميعا هدما وهلكت امرأته معهم

(الفصل التاسع والثلاثون فيمن كان في الفترة بين عيسى ونبينا محمد رفع الله قدره)

ذكر البكواشي والزمخشري وغيرهما انه كان بين محمد وعيسى عليهما السلام اربعة من الانبياء ثلاثة من بني اسرائيل

وقالوا له انك قد اثمت باتباعك مزدك وعمل أصحابه بالناس وليس ينجيك الا اباحة نفسك ونسائك وارادوه على ان يسلم نفسه اليهم ليذبحوه ويقربوه الى النار فامتنع من ذلك فخلعوه وتركوه لا يصل اليه أحد فخرج زرمهر بن سوخرا فقتل من المزدكية خلقا واعاد قباذ الى ملكه وازال اخاه جاماسب ثم ان قباذ قتل بعد ذلك زرمهر وقيل لما حبس قباذ وولي أخوه دخلت اخت لقباذ عليه كأنها تزوره ثم لفته في بساط وحمله غلام لها وخرج من السجن فسأله السجان عما معه فقالت هو فرش كنت أحيض فيه فلم يمس البساط فمضى الغلام بقباذ وهرب قباذ فلحق بملك الهياطلة يستجيشه فلما اتى ابرشهر وهي نيسابور نزل برجل من أهلها له ابنة بكر حسنة جميلة فنكحها وهي أم كسرى أنوشروان فيكون نكاحه إياها في هذه السفرة لا في تلك في قول بعضهم وعاد ومعه أنوشروان فغلب أخاه جاماسب على الملك وكان ملك جاماسب ست سنين وغزا قباذ بعد ذلك الروم ففتح مدينة آمد وبنى مدينة ارجان ومدينة حلوان ومات فملك ابنه كسرى أنوشروان بعده فكان ملك قباذ مع سني أخيه جاماسب ثلاثا واربعين سنة فتولى انوشروان ما كان أبوه أمره به وفي ايامه خرجت الخزر فاغارت على بلاده فبلغت الدينور فوجه قباذ قائدا من عظماء قواده في اثني عشر الفا فوطئ بلاد اران وفتح ما بين النهر المعروف بالرس الى شروان ثم ان قباذ لحق به فبنى باران مدينة البيلقان ومدينة البرذعة وهي مدينة الثغر كله وغيرهما وبنى الخزر ثم بنى سد اللان فيما بين أرض شروان وباب اللان وبنى على السد مدنا كثيرة خربت بعد بناء باب الابواب

(ذكر حوادث العرب أيام قباذ)

لما ملك الحرث بن عمرو بن حجر الكندي العرب وقتل النعمان بن المنذر بن امرئ القيس كما ذكرناه بعث اليه قباذ انه قد كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد وأحب لقاءك وكان قباذ زنديقا يظهر الخير ويكره الدماء ويداري أعداءه فخرج اليه الحرث والتقيا واصطلحا على ان لا يجوز الفرات أحد من العرب فطمع الحرث الكندي فامر أصحابه ان يقطعوا الفرات ويغيروا على السواد فسمع قباذ فعلم انه من تحت يد الحرث فاستدعاه فحضر فقال له ان لصوصا من العرب صنعت كذا وكذا فقال ما علمت ولا استطيع ضبط العرب الا بالمال والجنود وطلب منه شيئا من السواد فاعطاه ستة طساسيج وارسل الحرث بن عمرو الى تبع وهو باليمن يطمعه في بلاد العجم فسار تبع حتى نزل الحيرة وارسل ابن اخيه شمرا ذا الجناح الى قباذ فحاربه فهزمه شمر حتى لحق بالري ثم أدركه بها فقتله ثم وجه تبع شمرا الى خراسان ووجه ابنه حسان الى السغد وقال ايكما سبق الى الصين فهو عليها وكان كل واحد منهما في جيش عظيم يقال كانا في ستمائة ألف واربعين الفا وارسل ابن اخيه يعفر الى الروم فنزل على القسطنطينية فاعطوه الطاعة والاتاوة ومضى الى رومية فحاصرها فاصاب من معه طاعون فوثب الروم عليهم فقتلوهم ولم يفلت منهم أحد وسار شمر ذو الجناح الى سمرقند فحاصرها فلم يظفر بها وسمع ان ملكها أحمق وان له ابنة وهي التي تقضي الامور فارسل اليها هدية عظيمة وقال لها

وواحد من العرب وهو (خالد بن سنان العبسي عليه السلام) يقال انه نبي البرزخ قد قيل انه مات طفلا وقال الطبري كان نبيا وكان من معجزاته ان نارا ظهرت من أرض العرب كانت تخرج من مغارة على الناس فتأكل الناس والدواب ولا يستطيعون ردها فافتتنوا بها وكادوا يتمجسون فخرج خالد ومعه راعي غنم يقال له ابن راعية المعزى فقال له خالد امسك ثيابي فاخذ خالد عصاه ودخل النار حتى توسطها ففرقها وهو يقول بدا بدا كل هدى لله مؤدى لادخلنها وهي تلظى ولاخرجن منها وثيابي تندى ثم انها طفئت وهو في وسطها فلما حضرته الوفاة قال لاهله اذا دفنت فانه ستجيء عانة من حمر الوحش يقدمها عير ابتر فيضرب قبري بحافره فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فاني سأخرج اليكم واخبركم بجميع ما هو كائن بعد الموت وأحوال البرزخ والقبر فلما مات ودفنوه رأوا ما قال فأبى أولاده نبشه وقالوا نخاف ان يشيع بين العرب انا نبشنا ميتا لنا فتركوه وقيل ان ابنته اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه فآمنت وقال لها أهلا ببنت خير نبي ضيعه قومه فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قل هو الله أحد فقالت كان أبي يقول هذا وقبره شرقي حلب بمكان يعرف بمشهد خالد يزار ويتبرك به هنالك وقيل غير ذلك والله أعلم (ومنهم حنظلة بن صفوان عليه السلام) كان نبيا في الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام مبعوثا لاهل الرس قال

انى انما قدمت لاتزوج بك ومعى اربعة آلاف تابوت مملوءة ذهبا وفضة انا ادفعها اليك وامضى الى الصين فان ملكت كنت امرأتى وان هلكت كان المال لك فلما بلغتها الرسالة قالت قد اجبته فليبعث المال فارسل اربعة آلاف تابوت فى كل تابوت رجلان وللسمرقند اربعة ابواب ولكل باب الف رجل وجعل العلامة بينهم ان يضرب بالجرس فلما دخلوا البلد صاح شمر فى الناس وضرب بالجرس فخرجوا وملكوا الابواب ودخل المدينة فقتل أهلها وحوى مافيها وسار الى الصين فهزم الترك ودخل بلادهم ولقى حسان بن تبع قد سبقه اليها بثلاث سنين فاقاما بها حتى ماتا وكان مقامهما فيها قيل احدى وعشرين سنة وقيل عادا فى طريقهما حتى قدما على تبع بالغنائم والسبى والجواهر ثم انصرفوا الى بلادهم ومات تبع باليمن فلم يخرج أحد من اليمن غازيا بعده وكان ملكه مائة واحدى وعشرين سنة وقيل تهود قال ابن اسحق كان تبع الآخر وهو تبان اسعد أبو كرب حين أقبل من المشرق بعد ان ملك البلاد جعل طريقه على المدينة وكان حين مر بها فى بدايته لم يهج اهلها وخلف عندهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها عازما على تخريبها واستئصال أهلها فجمع له الانصار حين سمعوا ذلك ورئيسهم عمرو بن الطلة احد بنى عمرو بن مبذول من بنى النجار وخرجوا لقتاله وكانوا يقاتلونه نهارا ويقرونه ليلا فبينما هو على ذلك اذ جاءه حبران من بنى قريظة عالمان فقالا له قد سمعنا ما تريد ان تفعل وانك ان ابيت الا ذلك حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال ولم ذلك فقالا انها مهاجر نبى من قريش تكون داره فانتهى عما كان يريد واعجبه ما سمع منهما فاتبعهما على دينهما واسمهما كعب واسد وكان تبع وقومه أصحاب اوثان وسار من المدينة الى مكة وهى طريقه فكسا الكعبة الوصائل والملاء وكان أول من كساها وجعل لها بابا ومفتاحا وخرج متوجها الى اليمن فدعا قومه الى اليهودية فابوا عليه حتى حاكموه الى النار وكانت لهم نار تحكم بينهم فيما يزعمون تاكل الظالم ولا تضر المظلوم فقال لقومه انصفتم فخرج قومه باوثانهم وخرج الحبران بمصاحفهما فى اعناقهما حتى قعدوا عند مخرج النار فخرجت النار فغشيتهم وأكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران تعرق جباههما لم يضرهما فاطبقت حمير على دينه وكان قدم على تبع قبل ذلك شافع بن كليب الصدفى وكان كاهنا فقال له تبع هل تجد لقوم ملكا يوازى ملكى قال لا الا لملك غسان قال فهل تجد ملكا يزيد عليه قال اجده لبار مبرور ورائد بالقهور ووصف فى الزبور وفضلت امته فى السفور يفرج الظلم بالنور احمد النبى طوبى لامته حين يجىء احد بنى لؤى ثم أحد بنى قصى فنظر تبع فى الزبور فاذا هو يجد صفة النبى صلى الله عليه وسلم ثم ملك بعد تبع هذا وهو تبان اسعد ابو كرب بن ملكيكرب ربيعة بن نصر اللخمى فلما هلك ربيعة رجع الملك باليمن الى حسان بن تبان اسعد فلما ملك ربيعة رأى رؤيا هالته فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا الا احضره وقال لهم رأيت رؤيا هالتنى فأخبرونى بتأويلها فقالوا اقصصها علينا فقال ان اخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم بتأويلها فلما قال ذلك قال له رجل منهم ان كان الملك يريد ذلك

كان بارض الرس بلاد اذربيجان جبل عظيم يقال له فتخ صاعد فى السماء قدر ميل وكان به طيور عظيمة منها طائر اسمه عنقاء وهى عظيمة الخلقة لها وجه كوجه الانسان ولها أربعة أجنحة من كل جانب وفيها اشبه من كل حيوان قال القزوينى انها أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأرة وعند طيرانها يسمع لاجنحتها دوى كدوى الرعد وتعيش ألف سنة وكانت تخطف الصبيان والبنات فشكوا ذلك لنبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فذهب الله تعالى بها الى بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء وهى جزيرة لا تصل الناس اليها وفيها حيوان كثير كالفيل والكركند والجاموس والبقر والوحوش وسميت العنقاء لطول عنقها ويقال لها مغرب لانها تكون عند مغرب الشمس وتبيض بيضا كالقبة ويظهر بها ألم شديد وقت بيضها ثم ان اهل الرس قتلوا نبيهم خالدا فاهلكهم الله تعالى وقال بعض العلماء انه كان رسان أحدهما أدله أهل بدو وأصحاب مواش وغنم فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولى فقتلوا الرسول وجاهدهم الولى حتى افحمهم وكانوا يقولون الهنا فى البحر وكانوا يسكنون ساحل البحر وكان يخرج اليهم من البحر شيطان فى كل شهر مرة فيذبحون عنده ويتخذون ذلك اليوم عيدا فقال لهم الرجل آرأيتم ان خرج الذى تعبدونه واطاعنى تجيبونى الى ما دعوتكم اليه فقالوا بلى فاعطوه على

فليبعث الى سطيح وشق فهما يخبرانك عما سألت واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن غسان وكان يقال له الذئبي نسبة الى ذئب بن عدى وشق بن مصعب بن يشكر بن انمار فبعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شق فلما قدم عليه سطيح سأله عن رؤياه وتاويلها فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض بهمة فاكلت منها كل ذات جمجمة قال له الملك ما اخطأت منها شيأ فما عندك فى تاويلها فقال احلف بما بين الحرتين من حنش ليهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين ابين الى جرش قال الملك وابيك يا سطيح ان هذا الغائظ موجع فتى يكون أفى زمانى ام بعده قال بل بعده بحين ستين سنة أو سبعين يمضين من السنين قال هل يدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين يمضين من السنين ثم يقتلون بها اجمعون ويخرجون منها هاربين قال الملك ومن الذى يلى ذلك قال يليه ارم ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن قال فيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع قال بل ينقطع يقطعه نبى زكى يأتيه الوحى من العلى وهو رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون قال احق ما تخبرنا يا سطيح قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق ثم قدم عليه شق فقال يا شق انى رأيت رؤيا هالتنى فاخبرنى عنها وعن تاويلها وكتمه ما قال سطيح لينظر هل يتفقان ام يختلفان قال نعم رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة واكمة فاكلت منها كل ذات نسمة فلما سمع الملك ذلك قال ما اخطأت شيأ فما تاويلها قال احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلن ارضكم السودان وليملكن ما بين ابين الى نجران قال الملك وابيك يا شق ان هذا الغائظ فتى هو كائن قال بعدك بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم اشد الهوان وهو غلام ليس بدنى ولا مزن يخرج من بيت ذى يزن قال فهل يدوم سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك فى قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم تجزى فيه الولاة ويدعى من السماء بدعوات ويسمع منها الاحياء والاموات ويجمع فيه الناس للميقات فلما فرغ من مسئلتهما جهز بنيه وأهل بيته الى العراق بما يصلحهم فمن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ذلك الملك فلما هلك ربيعة بن نصر واجتمع ملك اليمن الى حسان بن تبان بن أبى كرب بن ملكيكرب بن زيد بن عمرو ذى الاذعار كان مما هيج أمر الحبشة وتحول الملك عن حمير ان حسان سار باهل اليمن يريدان يطأ بهم أرض العرب والعجم كما كانت التبابعة تفعل فلما كان بالعراق كرهت قبائل العرب من اليمن المسير معه فكلموا اخاه عمرا فى قتل حسان وتمليكه فاجابهم الى ذلك الا ما كان من ذى رعين الحميرى فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فعمد ذو رعين الى صحيفة فكتب فيها

الا من يشترى سهرا بنوم ✱ سعيد من يبيت قرير عين

ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة ثور راكبا على اربعة اثوار وله عنق مستطيلة وعلى رأسه مثل التاج فلما ثاروا السحر واحدا نخر وخرج الولى وناداه فقال ائتنى طوعا أو كرها بسم الله الكريم فاتى به الحيتان حتى افضوا به الى البر يجرونه ويجرهم فلما رأوا ذلك كذبوه ونقضوا العهد فارسل الله عليهم ريحا فقذفتهم فى البحر مع جميع ما يملكونه وانقطع نسلهم واما الآخر فهم قوم كان لهم نهر يسمى الرس ينسبون اليه وهذا النهر بين اذربيجان وارمينية فما كان من جانب أهل ارمينية يعبدون الاوثان وما كان من اهل اذربيجان يعبدون النيران فبعث الله تعالى لهم ثلاثين نبيا فى شهر واحد فقتلوهم جميعا ثم بعث الله لهم نبيا وايده بنصره واجرى الله تعالى النهر الى البحر وسدّ عنهم وبعث الله خمسمائة الف من الملائكة امرا ناله فغرقوا ما بقى فى أسفل النهر من الماء ثم امر الله تعالى جبريل عليه السلام فلم يدع فى ارضهم عينا ولا نهرا الا ايبس باذن الله تعالى وكان ذلك أوان الزرع وكانوا احوج ما يكون الى الماء وامات الله مواشيهم ربضة واحدة فاما ما كان من دراهم وحلى وسائر الامتعة فان الله تعالى امر الارض فابتلعته فاصبحوا ولم يبق عندهم شئ فآمن منهم أحد وعشرون رجلا واربع نسوة وصبيان وكان عدة الباقين ستمائة الف فماتوا جوعا وعطشا ولم يبق منهم باقية وبقيت منازلهم ما أتى عام لم يسكنها احد ثم أتى الله تعالى بقرن بعد ذلك فنزلوا بها وكانوا قوما صالحين واما

واما حمير غدرت وخانت * فعذرة الاله لذى رعين

ثم ختمها وأتى بها عمرا فقال ضع هذه عندك ففعل فلما بلغ حسان ما أجمع عليه أخوه وقبائل اليمن قال لعمرو

يا عمرو لا تعجل على منيتى * فالملك تأخذه بغير حشود

فأبى الا قتله فقتله بموضع رحبة مالك فكانت تسمى فرضة نعم فيما قيل ثم عاد الى اليمن فمنع النوم منه فسأل الاطباء وغيرهم عما به وشكا اليهم السهر فقال له قائل منهم ما قتل احد أخاه أو ذا رحم بغيا الا منع منه النوم فلما سمع ذلك قتل كل من اشار عليه بقتل اخيه حتى خلص الى ذى رعين فلما أراد قتله قال ان لى عندك براءة قال وما هى قال اخرج الكتاب الذى استودعتك فاخرجه فاذا فيه البيتان فكف عن قتله ولم يلبث عمرو أن هلك فتفرقت حمير عند ذلك قلت هذا الذى ذكره ابو جعفر من قتل قباذ بالرى وملك تبع البلاد من بعد قتله من النقل القبيح والغلط الفاحش وفساده اشهر من ان يذكر فلولا اننا شرطنا ان لا نترك ترجمة من تاريخه الا ونأتى بمعناها من غير اخلال بشئ لكان الاعراض عنه أولى ووجه الغلط فيه انه ذكر ان قباذ قتل بالرى ولا خلاف بين أهل النقل من الفرس وغيرهم ان قباذ مات حتف انفه فى زمان معلوم وكان ملكه مدة معلومة كما ذكرناه قبل ولم ينقل أحد انه قتل الا فى هذه الرواية ولما مات ملك ابنه كسرى انوشروان بعده وهذا أشهر من قفا نبك ولو كان ملك الفرس انتقل بعد قباذ الى حمير كيف كان يملك ابنه بعده ويتمكن فى الملك حتى اطاعه ملوك الامم وحملت الروم اليه الخراج ثم ذكر أيضا ان تبعا وجه ابنه حسان الى الصين وشمرا الى سمرقند وابن أخيه الى الروم وانه ملك القسطنطينية وسار الى رومية فحاصرها فياليت شعرى ما هو اليمن وحضرموت حتى يكون بهما من الجنود وما يكون بعضهم فى بلادهم لحفظها وجيش مع تبع وجيش مع حسان يسير بهم الى مثل الصين فى كثرة عساكره ومقاتلته وجيش مع ابن أخيه تبع يلتقى به مثل كسرى ويهزمه ويملك بلاده ويحاصر به مثل سمرقند فى كبرها وعظمها وكثرة أهلها وجيش مع يعفر يسير بهم الى ملك الروم ويملك القسطنطينية والمسلمون مع كثرة ممالكهم واتساعها وكثرة عددهم قد اجتهدوا ان يأخذوا القسطنطينية او ما يجاورها واليمن من أقل بلادهم عددا وجنودا فلم يقدروا على ذلك فكيف يقدر عليه بعض عساكر اليمن مع تبع هذا مما تأباه العقول وتمجه الاسماع ثم انه قال ان ملك تبع بلاد الفرس والروم والصين وغيرها كان بعد قتل قباذ يعنى أيام ابنه انوشروان ولا خلاف ان مولد النبى صلى الله عليه وسلم كان فى زمن انوشروان وكان ملكه سبعا وأربعين سنة ولا خلاف أيضا ان الحبشة لما ملكت اليمن انقرضت ملوك حمير منه وكان آخر ملوكهم ذا نواس وكان ملك حمير قد اختل قبل ذى نواس وانقطع نظامه حتى طمعت الحبشة فيه وملكته وكان ملكهم اليمن أيام قباذ وكيف يمكن ان يكون ملك الحبشة الذى هو مقطوع به ايام قباذ ويكون تبع هو الذى ملك اليمن قد قتل قباذ وملك بلاده قبل ان تملك الحبشة اليمن هذا امر مردود محال وقوعه وكان ملك الحبشة اليمن سبعين سنة وقيل اكثر من ذلك وكان

ثم احدثوا فاحشة فكان الرجل يدعو بنته وأخته وزوجته فيجامعها جاره أو صديقه ويلتمس بذلك البر والصلة ثم تركوا ذلك فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء فسلط الله عليهم صاعقة فى أول الليل وخسفا فى آخر الليل وصيحة عظيمة مع الشمس فلم يبق منهم باقية واختلف أهل التفسير فى اصحاب الرس فمنهم من قال هم بقية ثمود وهم أصحاب البئر التى ذكرها الله تعالى فى القرآن فى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بارض اليمامة والله أعلم *(ذكر من آمن فى الفترة)* واختلف فى ايمانهم *(فمنهم)* اسعد أبو كرب الحميرى وكان آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسنين وأنشأ يقول

شهدت على أحمد انه * رسول الاله وبارى النسم

فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وهو أول من كسا الكعبة الانطاع والبرود *(ومنهم)* قس بن ساعدة الايادى وكان حكيم العرب مقرا بالبعث والحساب وكان سبطا من اسباط العرب صحيح النسب فصيحا اذا خطب ذا شيبة حسنة عمر سبعمائة سنة عاش حتى ادرك رأس الحواريين سمعان وكان مقرا لله تعالى بالوحدانية تضرب بحكمته الامثال وتكشف به الاهوال كان يسيح على منهاج المسيح يقفر القفار ولا تكنه دار ولما قدم الجارود بن عبد الله على النبى صلى الله عليه وسلم فسأل عنه فقال هلك فقال يرحمه الله فهل فيكم يا معشر المهاجرين والانصار من يحفظ لنا منه شيأ فوثب أبو بكر رضي الله عنه قائما فقال أنا

انقراض ملكهم فى آخر ملك انوشروان والخبر فى ذلك مشهور وحديث سيف ذى يزن فى ذلك ظاهر ولم تزل اليمن بعد الحبشة فى يد الفرس الى ان ملكه المسلمون فكيف يستقيم ان ينقضى ملك تبع الذى هو ملك بلاد فارس ومن بعده من ملوك حمير وملك الحبشة وهو سبعون سنة فى ملك انوشروان وكان ملكه نيفا واربعين سنة وهذا أعجب ان مدة بعضها سبعون سنة تنقضى قبل مضى نيف واربعين سنة ولو افكر أبو جعفر فى ذلك لاستحيا من نقله وأعجب من هذا أنه قال ثم ملك بعد تبع هذا ربيعة بن نصر اللخمى وهذا ربيعة هو جد عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة وكان ملك عمرو والحيرة بعد خاله جذيمة أيام ملوك الطوائف قبل ملك اردشير بن بابك بخمس وتسعين سنة وملك أيضا أيام أردشير و بين اردشير وقباذ مايقارب عشرين ملكا وكيف يكون جد عمرو وقد ملك بعد قباذ وهو قبله بهذا الدهر الطويل ولو لم يترجم أبو جعفر على هذه الحادثة بقوله ذكر الحوادث أيام قباذ لكان يحتمل تأويلا فيه ثم ما قنع بذلك حتى قال بعد ان قص مسير تبع وقتل قباذ وملك البلاد واما ابن اسحق فانه قال ان الذى سار الى المشرق من التبابعة هو تبع الاخير يعنى بقوله تبع الاخير انه آخر من سار الى المشرق وملك البلاد فان ابن اسحق وغيره يقولون ان الذى ملك البلاد المشرقية لما توفى ملك بعده عدة تبابعة ثم اختل أمرهم زمانا طويلا حتى طمعت الحبشة فيهم وخرجت الى اليمن فليت شعرى اذا كان هذا تبع فى أيام قباذ فلا شك ان تبعا الاخير الذى أخذ منه اليمن يكون فى زمن بنى أمية ويكون ملك الحبشة اليمن بعد مدة من ملك بنى العباس ويكون أول الاسلام من ثلثمائة سنة من ملكهم أيضا مما بعد ذا حتى يستقيم هذا القول ثم انه قال ان عمرو بن طلحة الانصارى خرج الى تبع وعمرو هذا قيل انه أدرك النبى صلى الله عليه وسلم شيخا كبيرا ومات عند مرجعه من غزوة بدر ومن الدليل على بطلانه ايضا ان المسلمين لما قصدوا بلاد الفرس مازالت الفرس تقول لهم عند مراسلاتهم ومحاوراتهم فى حروبهم كنتم أقل الامم وأذلها وا حقرها والعرب تقر لهم بذلك فلو كان ملك تبع قريب العهد لقالت العرب أتينا بالامس فقتلنا ملككم وملكنا بلادكم واستبحنا حريمكم وأموالكم فسكوت العرب عن ذلك واقرارها للفرس دليل على بعد عهده أو عدمه على ان الفرس لا تقر بذلك لا فى قديم الزمان ولا فى حديثه فانهم يزعمون ان ملكهم لم ينقطع من عهد جيومرث الذى هو آدم فى قول بعضهم الى ان جاء الاسلام الا أيام ملوك الطوائف وكان لملوك الفرس طرف من البلاد فى ذلك الزمان لم ينقطع انقطاعا كليا على ان أصحاب السير قد اختلفوا فى تبع الذى سار وملك البلاد اختلافا كثيرا فقيل شمر بن افريقش وقيل تبع أسعد وانه بعث الى سمرقند شمرا ذا الجناح الى غير ذلك من الاختلافات التى لا طائل فيها وهذا القدر كاف فى كشف الخطا فيه

(ذكر ملك لخنيعة)

فلما هلك عمرو وتفرقت حمير وثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فملكهم فى قول ابن اسحق فقتل خيارهم وعاث ببيوت اهل المملكة

يارسول الله كأنى انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا واذا وعيتم شيئا فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت مطر ونبات وارزاق واقوات جمع وأشتات وآيات بعد آيات ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا نجوم تمور وبحار تفور وسقف مرفوع ومهاد موضوع أقسم بالله قسما لا اثما ولا آثما ان لله دينا احب من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد اظلكم أوانه وادرككم ابانه فطوبى لمن ادركه فآمن به وهداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هنالك فناموا يامعشر بنى آدم أين الاباء والاجداد وأين المريض والعواد طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم انشأ يقول

فى الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها * تمضى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى الى * ولا من الباقين غابر
ايقنت انى لامحا * لة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى لارجو ان يبعثه الله أمة واحدة *(ومنهم)* زيد بن عمرو بن نفيل وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان يرغب فى دين الاسلام ويعرض عن عبادة الاصنام

منهم

منهم وكان امرأ فاسقا يزعمون انه كان يعمل عمل قوم لوط فكان اذا سمع بغلام من ابناء الملوك انه قد بلغ أرسل اليه فوقع عليه فى مشربة لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع الى حرسه وجنده قد أخذ سواكا فى فيه يعلمهم انه قد فرغ منه ثم يخلى سبيله فيفضحه

(ذكر ملك ذى نواس وقصة اصحاب الاخدود)

كان من أبناء الملوك زرعة ذو نواس بن تبان اسعد بن كرب وكان صغيرا حين أصيب أخوه حسان فشب غلاما جميلا ذا هيئة فبعث اليه لخنيعة ليفعل به ما كان يفعل بغيره فاخذ سكينا لطيفا فجعله بين نعله وقدمه ثم انطلق اليه مع رسوله فلما خلا به فى المشربة قتله ذو نواس بالسكين ثم احتز رأسه فجعله فى كوة مشربته التى يطلع منها ثم أخذ سواكه فجعله فى فيه ثم خرج فقالوا له ذو نواس رطب أم يابس فقال سل نخماس استرطبان ذو نواس لاباس فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال فاذا رأس لخنيعة مقطوع فخرجت حمير والحرس فى اثر ذى نواس حتى ادركوه فملكوه حيث اراحهم من لخنيعة واجتمعوا عليه وكان يهوديا وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم على استقامة لهم رئيس يقال له عبد الله بن التامر وكان أصل النصرانية بنجران قال وهب بن منبه ان رجلا من بقايا أهل دين عيسى يقال له فيمون وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا فى الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا لا يعرف بقرية الا خرج منها الى غيرها وكان لا يأكل الا من كسب يده وكان يعمل الطين ويعظم الاحد لا يعمل فيه شيأ ويخرج الى الصحراء يصلى جميع نهاره فنزل قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ففطن به رجل اسمه صالح فاحبه حبا شديدا وكان يتبعه حيث ذهب لا يفطن به فيمون حتى خرج مرة يوم الاحد الى الصحراء واتبعه صالح وفيمون لا يعلم فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا وقام فيمون يصلى فبينما هو يصلى اذ أقبل نحوه تنين فلما رآه فيمون دعا عليه فمات ورآه صالح ولم يدر ما أصابه فخاف على فيمون فصاح يا فيمون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى امسى وعرف ان صالحا عرفه فكلمه صالح وقال له يعلم الله انى ما احببت شيأ حبك قط وقد أردت صحبتك حيثما كنت قال افعل فلزمه صالح وكان اذا ما جاءه العبد به ضر شفى اذا دعا له واذا دعى الى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فجعل ابنه فى حجرة القى عليه ثوبا ثم قال له فيمون قد أردت ان تعمل فى بيتى عملا فانطلق اليه لاشارطك عليه فانطلق معه فلما دخل الحجرة القى الرجل الثوب عن ابنه وطلب اليه ان يدعو له فدعا له فابصر وعرف فيمون انه قد عرف بالقرية فخرج هو وصالح ومر بشجرة عظيمة بالشام فناداه رجل وقال مازلت أنتظرك لا تبرح حتى تقوم على فانى ميت قال فمات فواراه فيمون وانصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب وأخذهما بعض العرب فباعوهما بنجران وأهل نجران على دين العرب تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة تعلق عليها كل ثوب حسن وحلى جميل فعلقوا عليها يوما فابتاع رجل من اشرافهم فيمون وابتاع رجل صالحا فكان فيمون اذا قام من الليل يصلى فى بيته استسرج له البيت حتى يصبح عن غير مصباح فلما راى سيده ذلك أعجبه

وعابهم افاولع به عمر بن الخطاب وسلط عليه سفهاء مكة فآذوه فسكن كهفا بجبل حراء وكان يدخل مكة سرا وسار الى الشام يبحث عن الدين فسمه بعض ملوك غسان بدمشق فمات *(ومنهم)* أمية بن الصلت الثقفى وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام فتلقاه بعض اناس من أهل الكتاب فقرأ عليهم وعلم ان نبيا سيبعث من العرب وكان يقول اشعارا يصف فيها السموات والارض وذكر الانبياء والبعث والجنة والنار ويعظم الله تعالى ويوحده ويمجده وهو أول من كتب باسمك اللهم *(ومنهم)* ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى بن قصى وهو ابن عم خديجة الكبرى زوج النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب المنزلة ورغب عن عبادة الاصنام وبشر خديجة بالنبى عليه السلام وانه نبى هذه الامة وانه سيؤذى ويكذب واجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى اثبت على ما انت عليه فوالذى نفس ورقة بيده انك لنبى هذه الامة ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ولئن ادركت يومك لانصرنك نصرا مؤزرا *(ومنهم)* بحيرا الراهب وكان مؤمنا على دين المسيح عيسى ابن مريم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب الى الشام فى تجارة وهو ابن اثنتى عشرة سنة ومعهما ابو بكر وبلال رضى الله عنهما فمروا ببحيرا الراهب وهو فى صومعته فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ودلالاته وكان الغمام يظله حيثما جلس فانزلهم بحيرا واكرمهم واصطنع لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوة بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع

وسأله عن دينه فأخبره وعاب دين سيده وقال له لو دعوت الهى الذى أعبد لاهلك الصلاة فقال افعل فانك ان فعلت دخلنا فى دينك وتركنا ما نحن عليه فصلى فيميون ودعا الله تعالى فارسل الله عليها ريحا فجففتها والقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على شريعة من دين عيسى ودخل عليهم بعد ذلك الاحداث التى دخلت على اهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كان اصل النصرانية بنجران وقال محمد بن كعب القرظى كان اهل نجران يعبدون الاوثان وكان فى قرية من قراها ساحر كان اهل نجران يرسلون أولادهم اليه يعلمهم السحر فلما نزلها فيميون وهو رجل كان يعبد الله على دين عيسى بن مريم عليه السلام فاذا عرف فى قرية خرج منها الى غيرها وكان مجاب الدعوة يبرئ المرضى وله كرامات فوصل نجران فسكن خيمة بين نجران وبين الساحر فارسل التامر ابنه عبد الله مع الغلمان الى الساحر فاجتاز بفيميون فرأى ما اعجبه من صلاته فجعل يجلس اليه ويستمع منه فاسلم معه ووحد الله تعالى وعبده وجعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكتمه اياه وقال لن تحمله والتامر يعتقد ان ابنه يختلف الى الساحر مع الغلمان فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضن عليه بالاسم الاعظم عمد الى قداح فكتب عليها أسماء الله جميعها ثم القاها فى النار واحدا واحدا حتى اذا القى القدح الذى عليه الاسم الاعظم وثب منها فلم تضره شيأ فاخذه وعاد الى صاحبه فاخبره الخبر فقال له امسك على نفسك وما اظن ان تفعل فكان عبد الله لا يلقى أحدا اذا أتى نجران به ضر الا قال يا عبد الله اتدخل فى دينى حتى أدعو الله فيعافيك مما انت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم ويدعو له عبد الله فيشفى حتى لم يبق احد من أهل نجران ممن به ضر الا أتاه واتبعه ودعا له فعوفى فرفع شأنه الى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت على اهل قريتى وخالفت دينى لامثلن بك فقال لا تقدر على ذلك فجعل يرسله الى الجبل الطويل فيلقى من رأسه فيقع على الارض ليس به باس فارسله الى مياه نجران وهى بحور لا يقع فيها شئ الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به باس فلما غلبه قال عبد الله بن التامر انك لا تقدر على قتلى حتى توحد الله وتؤمن كما آمنت فانك اذا فعلت قتلتنى فوحد الله الملك ثم ضربه بعصا بيده فشجه شجة غير كبيرة فقتله فهلك الملك مكانه واجتمع اهل نجران على دين عبد الله بن التامر قال فسار اليهم ذو نواس بجنوده فجمعهم ثم دعاهم الى اليهودية وخيرهم بينها وبين القتل فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود وحرق بالنار وقتل بالسيف حتى قتل قريبا من عشرين ألفا وهم الذين أنزل الله فيهم قتل اصحاب الاخدود وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له ذو نواس واسمه يوسف بن شرحبيل وكان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك انى كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما اسمه عبد الله بن التامر ليعلمه فجعل يختلف الى الساحر وكان فى طريقه راهب حسن القراءة فقعد اليه الغلام فاعجبه أمره فكان اذا جاء الى المعلم يدخل الى الراهب فيقعد عنده فاذا جاء من عنده الى المعلم ضربه وقال له ما الذى حبسك واذا انقلب الى أبيه دخل الى الراهب فيضربه أبوه

يده على موضعه وآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم واعلم ابا بكر وبلالا بقصته وما يكون من أمره وحذره ما عليه من أهل الكتاب وسأله سلمان ان يرجعا به فرجعا برسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة وأعلما قريشا بما أظهر الله تعالى من دلائل نبوته وعلامات رسالته صلى الله عليه وسلم

(الفصل الاربعون فى ذكر محمد عليه الصلاة والتسليم وهو آخر الانبياء والمرسلين وانه كان نبيا وآدم بين الماء والطين)

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قال المسعودى فى مروج الذهب ان النبى صلى الله عليه وسلم قد نهى ان يجاوز فى نسبه عن معد فقد ثبت ان يوقف فى النسب على معد بن عدنان فقط فالواجب الوقوف عند أمره ونهيه صلى الله عليه وسلم وأمه آمنة بنت وهب قد أعطاها الله تعالى من الجمال والكمال ما أعطاها وما كانت تدعى الا حكيمة قومها وعن العباس رضى الله عنه أن ليلة بنى عبد الله بآمنة احصينا مائتى امرأة من بنى مخزوم وعبد شمس وعبد مناف متن وخرجن من الدنيا ولم يتزوجن اسفا على ما فاتهن من عبد الله وفى نزهة النواظر ان اول من سمى محمدا وأحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول عين تنظر الى الله عز وجل هو النبى عليه السلام وهو اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث وفى عيون الاخبار عد

ويقول

ويقول ما الذي ابطأبك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له اذا أتيت المعلم فقل حبسني أبي واذا أتيت اباك فقل حبسني المعلم وكان في ذلك البلاد حية عظيمة قطعت طريق الناس فربها الغلام فرماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها وأتى الراهب فاخبره فقال له الراهب ان لك لشأنا وانك ستبتلي فان ابتليت فلا تدلن علي وصار الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي الناس وكان للملك ابن عم أعمى فسمع بالغلام وقتل الحية فقال ادع الله ان يرد علي بصري فقال الغلام ان رد الله عليك بصرك تؤمن به قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فعاد بصره ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وسأله فلم يخبره والح عليه فدله على الغلام فجيء به فقال له لقد بلغ من سحرك ما أرى فقال أنا لا اشفي احدا انما يشفي الله من يشاء فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء به فقيل ارجع عن دينك فابى فامر به فوضع المنشار على رأسه فشق نصفين ثم جيء بابن عم الملك فقال ارجع عن دينك فابى فشقه قطعتين ثم قال للغلام ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا فان رجع والا فاطرحوه من رأسه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم فرجف بهم الجبل وهلكوا ورجع الغلام الى الملك فسأله عن أصحابه فقال كفانيهم الله فغاظه ذلك وارسله في سفينة الى البحر ليلقوه فيه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم فغرقوا ونجا وجاء الى الملك فقال اقتلوه بالسيف فضربوه فنبا عنه وفشا خبره في اليمن فاعظمه الناس وعلموا انه على الحق فقال الغلام للملك انك لن تقدر على قتلي الا ان تجمع أهل مملكتك وترميني بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل ذلك فقتله فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك قد نزل بك ما تحذر فاغلق أبواب المدينة وخد اخدودا وملأه نارا وعرض الناس فمن رجع عن دينه تركه ومن لم يرجع ألقاه في الاخدود فاحرقه وكانت امرأة مؤمنة وكان لها ثلاثة بنين احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي والا قتلتك انت وأولادك فابت فألقى ابنيها الكبيرين فأبت ثم أخذ الصغير ليلقيه فهمت بالرجوع فقال لها الصغير ياأماه لاترجعي عن دينك لا بأس عليك فالقاه والقاها في اثره وهذا الطفل احد من تكلم صغيرا قيل حفر رجل خربة بنجران في زمن عمر بن الخطاب فرأى عبدالله ابن التامر واضعا يده على ضربة في رأسه فاذا رفعت عنها يده جرت دما واذا أرسلت يده ردها اليها وهو قاعد فكتب فيه الى عمر فأمر بتركه على حاله

(ذكر ملك الحبشة اليمن)

قيل لما قتل ذو نواس من قتل من أهل اليمن في الاخدود لاجل العود عن النصرانية افلت منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان حتى أعجز القوم فقدم على قيصر فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره بما فعل بهم فقال له قيصر بعدت بلادك عنا ولكن ساكتب الى النجاشي ملك الحبشة وهو على هذا الدين وقريب منكم فكتب قيصر الى ملك الحبشة يامره بنصره فأرسل معه ملك الحبشة سبعين ألفا وامر عليهم رجلا يقال له ارياط وفي جنوده ابرهة الاشرم فساروا في البحر حتى نزلوا بساحل اليمن وجمع ذو نواس جنوده

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت من آدم في نكاح لم يصبني عهر الجاهلية عن المطلب بن أبي وداعة قال قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم (٣) وقد بلغه ما يقول الناس فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال من أنا قالوا انت رسول الله قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فانا خيركم بيتا وأنا خيركم نفسا وقال عليه السلام أنا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي وقال أنا سيد المرسلين اذا بعثوا وسائقهم اذا وردوا ومبشرهم اذا ايسوا وامامهم اذا سجدوا واقربهم مجلسا اذا اجتمعوا أتكلم فيصدقني واشفع فيشفعني واسأل فيعطيني بيدي لواء الحمد وبي يثاب ويعاقب وانا اكرم ولد آدم ولا فخر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما خلق الله اكرم نفسا عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله حلف بحياة أحد غيره فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون بعثه الله الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وجعل امته خير الامم واصحابه أفضل الناس بعد الانبياء وفي سلوة الاحزان نقلا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فضلت على جميع الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا

فاجتمعوا ولم يكن حرب غير انه ناوش شيأ من قتال ثم انهزموا ودخلها ارياط فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه اقتحم البحر بفرسه فغرق ووطئ ارياط اليمن فقتل ثلث رجالها وبعث الى النجاشي بثلث سباياهم ثم اقام بها واذل اهلها وقيل ان الحبشة لما خرجوا الى المندب من ارض اليمن كتب ذو نواس الى اقيال اليمن يدعوهم الى الاجتماع على عدوهم فلم يجيبوه وقالوا يقاتل كل رجل عن بلاده فصنع مفاتيح وحملها على عدة من الابل ولقي الحبشة وقال هذه مفاتيح خزائن الاموال باليمن فهي لكم ولا تقتلوا الرجال والذرية فاجابوه الى ذلك وسار واسعه الى صنعاء فقال لكبيرهم وجه اصحابك اقبض الخزائن فتفرق اصحابه ودفع اليهم المفاتيح وكتب الى الاقيال بقتل كل ثور اسود فقتلت الحبشة ولم ينج منهم الا الشريد فلما سمع النجاشي جهز اليهم سبعين ألفا مع ارياط والاشرم فملك البلاد واقام بها سنين ونازعه ابرهة الاشرم وكان في جنده فمال اليه طائفة منهم وبقي ارياط في طائفة وسار احدهما الى الآخر وارسل ابرهة انك لن تصنع بان تلقى الحبشة بعضها على بعض شيأ فيهلكوا ولكن ابرز الي فأينا قهر صاحبه استولى على جنده فتبارزا فرفع ارياط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت على رأسه فشرمت انفه وعينه فسمي الاشرم وحمل غلام لابرهة يقال له عتودة كان قد تركه كمينا من خلف ارياط على ارياط فقتله واستولى ابرهة على الجند والبلاد وقال لعتودة احتكم فقال لا تدخل عروس على زوجها من اليمن حتى أصيبها قبله فاجابه الى ذلك فبقي يفعل بهم هذا الفعل حينا ثم عدا عليه انسان من اليمن فقتله فسر ابرهة بقتله وقال لو علمت انه يحتكم هذا الحكم ما حكمته ولما بلغ النجاشي قتل ارياط غضب غضبا شديدا وحلف لايدع ابرهة حتى يطأ ارضه ويجز ناصيته فبلغ ذلك ابرهة فارسل الى النجاشي من تراب اليمن وجز ناصيته وأرسلها أيضا وكتب اليه بالطاعة وارسال شعره وترابه ليبر قسمه بوضع التراب تحت قدميه فرضي عنه واقره على عمله فلما استقر باليمن بعث الى أبي مرة ذي يزن فاخذ زوجته ريحانة بنت ذي جدن ونكحها فولدت له مسروقا وكانت قد ولدت لذي يزن ولدا اسمه معديكرب وهو سيف فخرج ذو يزن من اليمن فقدم الحيرة على عمرو بن هند وسأله ان يكتب له الى كسرى كتابا يعلمه محله وشرفه وحاجته فقال اني اوفد الى الملك كل سنة وهذا وقتها فاقام عنده حتى وفد معه ودخل الى كسرى معه فاكرمه وعظمه وذكر حاجته وشكا ما يلقون من الحبشة واستنصره عليهم وأطمعه في اليمن وكثرة مالها فقال له كسرى انوشروان اني لاحب ان أسعفك بحاجتك ولكن المسالك اليها صعبة وسانظر وأمر بانزاله فاقام عنده حتى هلك ونشأ ابنه معديكرب بن ذي يزن في حجر ابرهة وهو يحسب انه أبوه فسبه ابن لابرهة وسب أباه فسأل أمه عن أبيه فصدقته وأقام حتى مات ابرهة وابنه يكسوم وسار عن اليمن ففعل ما نذكره ان شاء الله

(ذكر ملك كسرى انوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الاثيم) لما لبس التاج خطب الناس فحمد الله واثنى عليه وذكر ما ابتلوا به من فساد أمورهم ودينهم وأولادهم واعلمهم انه يصلح ذلك ثم أمر برؤس المزدكية فقتلوا وقسمت أموالهم في

من دلائل الحمل بمحمد صلى الله عليه وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق في الدنيا كاهن ولا كاهنة الا انتزع علم الكهانة منهما ولم يبق سرير الملك من ملوك الدنيا الا واصبح منكوسا والملك مخرسا لا ينطق يومه ومرت وحوش الشرق الى وحوش الغرب بالبشارات وكذا دواب البحر يبشر بعضهم بعضا وفي كل شهر من شهور حمله ينادى نداء في السماء ان أبشروا فقد آن لابي القاسم ان يخرج الى الارض ميمونا مباركا وكانت آمنة اذا مشت في الدار كان الحجر يلين تحت قدمها وغمامة النور تظلل على رأسها والطيور تنزل من الجو تتبرك بفؤادها وكانت اذا أرادت ان تستقي من البئر يطلع الماء الى فم البئر ويجري قدامها قالت آمنة اتاني آت في المنام وقال لي يا آمنة قد حملت بخير الرسل طرا فاذا وضعتيه فقولي

اعيذه بالواحد * من شر كل حاسد
وقائم وقاعد * يأخذ بالمراصد
في طرق الموارد

وبقي محمد النبي صلى الله عليه وسلم في بطن أمه تسعة أشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا تحس بثقل ولا تشكو الحمل قالت امنة لما جاءني المخاض جعلت انظر الى النجوم تدلى علي حتى قلت يقعن علي فلما وضعته خرج مني نور أضاء له البيت وارتفع الى السماء وامتلأ ما بين المشرق والمغرب حتى رأيت قصور بصرى ومدائن الروم فلما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد

في أهل الحاجة وكان سبب قتلهم ان قباذ كان كماذ كرنا قد اتبع مزدك على دينه مادعاه اليه واطاعه في كل ما يأمره به من الزندقة وغيرها مما ذكرنا أيام قباذ وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ الى ذلك فابى فدعا الحرث بن عمرو الكندي فاجابه فسدد له ملكه وطرد المنذر عن مملكته وكانت أم انوشروان يوما بين يدي قباذ فدخل عليه مزدك فلما رأى ام انوشروان قال لقباذ ادفعها الي لاقضي حاجتي منها فقال دونكها فوثب اليه انوشروان ولم يزل يسأله ويتضرع اليه ان يهب له أمه حتى قبل رجله فتركها فكان ذلك في نفسه فهلك قباذ على تلك الحال وملك انوشروان فجلس للملك ولما بلغ المنذر هلاك قباذ أقبل الى انوشروان وقد علم خلافه على أبيه في مذهبه واتباع مزدك فان انوشروان كان منكرا لهذا المذهب كارها له ثم ان انوشروان أذن للناس اذنا عاما ودخل عليه مزدك ثم دخل عليه المنذر فقال انوشروان اني كنت تمنيت امنيتين ارجو ان يكون الله عز وجل قد جمعهما الي فقال مزدك وما هما أيها الملك قال تمنيت ان املك واستعمل هذا الرجل الشريف يعني المنذر وان أقتل هذه الزنادقة فقال مزدك او تستطيع ان تقتل الناس كلهم فقال وانك ههنا يا ابن الزانية والله ما ذهب نتن ريح جوربك من أنفي منذ قبلت رجلك الى يومي هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل منهم ما بين جازر الى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم وسمي يومئذ أنوشروان وطلب انوشروان الحرث بن عمرو فبلغه ذلك وهو بالانبار فخرج هاربا في صحابته وماله وولده فمر بالثوية فتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهرا فلحق بارض كلب ونجا وانتهبوا ماله وهجائنه وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بني آكل المرار فقدموا بهم على المنذر فضرب رقابهم بجفر الاميال في ديار بني مرين العباديين بين دير بني هند والكوفة فذلك قول عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس

ملوك من بني حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا * ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم * وتنتزع الحواجب والعيونا

ولما قتل انوشروان مزدك وأصحابه أمر بقتل جماعة ممن دخل على الناس في اموالهم ورد الاموال الى أهلها وامر بكل مولود اختلف فيه ان يلحق بمن هو منهم اذا لم يعرف ابوه وان يعطى نصيبا من ملك الرجل الذي يسند اليه اذا قبله الرجل وبكل امرأة غلبت على نفسها ان يؤخذ مهرها من الغالب ثم تخير المرأة بين الاقامة عنده وبين فراقه الا ان يكون لها زوج فترد اليه وامر بعيال ذوي الاحساب الذين مات قيمهم فانكح بناتهم الاكفاء وجهزهن من بيت المال وانكح نساءهم من الاشراف واستعان بابنائهم في اعماله وعمر الجسور والقناطر واصلح الخراب وتفقد الاساورة وأعطاهم وبنى في الطرق

رفع اصبعه كالمتضرع المبتهل ووجهه كالبدر وريحه يسطع كالمسك وهو مختون مسرور وكان ذلك في نهار الاثنين ثاني عشر ربيع الاول عام الفيل يوم عشرين لنيسان في شعب بني هاشم وفي شواهد النبوة انه لما وقع على الارض رفع رأسه وقال بلسان فصيح لا اله الا الله واني رسول الله فلما خافوا عليه من وباء مكة دفعوه الى حليمة السعدية ترضعه ولان النشوء في البلاد المعروفة بطيب الهواء وقلة الرطوبة وعذوبة الماء له مدخل عظيم وتاثير بليغ في فصاحة المولود وكان ذلك عادة قريش ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أنا أعربكم انا من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر وكانت مشهورة بين العرب بكمال الجود وتمام الشرف فمكث عندها خمس سنين وكان يقبل على الثدي الايمن فيشرب منها ما شاء ويابى اذا حولته حليمة الى الايسر فاعلمه الله تعالى ان له شريكا فالهمه العدل وفي المنتقى قالت حليمة من العجائب انه ما رأيت له بولا ولا غسلت له غائطا قط وكانت له طهارة ونظافة وفي السنة الثالثة من مولده وقع شق صدره المبارك فبقي اثر الشق ما بين مفرق صدره الى منتهى عانته وكان صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالادم سهل الخدين واسع الجبين ضليع الفم مفلج الاسنان كانها بياض اللؤلؤ كان عنقه في صفاء الفضة عريض الصدر بعيد المنكبين طويل الزندين بين منكبيه خاتم النبوة وهو شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات

القصور والحصون وتخير الولاة والعمال والحكام واقتدى بسيرة اردشير وارتجع بلادا
كانت مملكة لفارس منها السند وسندوست والرخج وزابلستان وطخارستان وأعظم
القتل في البازور وأجلى بقيتهم عن بلاده واجتمع ابجز وبنجر وبلنجر واللان على قصد
بلاده فقصدوا ارمينية للغارة على أهلها وكان الطريق سهلا فامهلهم كسرى حتى
توغلوا في البلاد وارسل اليهم جنودا فقاتلوهم وأهلكوهم ماخلا عشرة آلاف رجل
أسروا فاسكنوا اذربيجان وكان لكسرى انوشروان ولد هوا كبرا ولاده امه انوشزاد
فبلغه عنه انه زنديق فسيره الى جنديسابور وجعل معه جماعة يثق بدينهم ليصلحوا دينه
وادبه فبيناهم عنده اذ بلغه خبر مرض والده لما دخل بلاد الروم فوثب بمن عنده فقتلهم
واخرج أهل السجون فاستعان بهم وجمع عنده جموعا من الاشرار فأرسل اليه نائب ابيه
بالمدائن عسكرا فحصروه بجنديسابور وأرسل الخبر الى كسرى فكتب اليه يامره بالحذق
أمره واخذه اسيرا فاشتد الحصار حينئذ عليه ودخل العساكر المدينة عنوة فقتلوا بها
خلقا كثيرا وأسروا انوشزاد فبلغه خبر جده لامه الداور الرازى فوثب بعامل سجستان
وقاتله فهزمه العامل فالتجأ الى مدينة الرخج وامتنع بها ثم كتب الى كسرى يعتذر
ويسأله ان ينفذ اليه من يسلم له البلاد ففعل وآمنه وكان الملك فيروز قد بنى بناحية صول
واللان بناء يحصن به بلاده وبنى عليه ابنه قباذ زيادة فلما ملك كسرى انوشروان بنى في
ناحية صول وجرجان بناء كثيرا وحصونا تحصن بها بلاده جميعها وان سنجبو رخاقان
قصد بلاده وكان أعظم الترك واستمال الخزر وابجز وبلنجر فاطاعوه فأقبل في عدد
كثير وكتب الى كسرى يطلب منه الاتاوة ويتهدده ان لم يفعل فلم يجبه كسرى الى شئ
مما طلب لتحصينه بلاده وان ثغر ارمينية قد حصنه فصار يكتفى بالعدد اليسير فقصد
خاقان بلاده فلم يقدر على شئ منها وعاد خائبا وهذا خاقان هو الذى قتل ورز ملك
الهياطلة وأخذ كثيرا من بلادهم

•(ذكر ملك كسرى بلاد الروم)•

كان بين كسرى انوشروان وبين غطيانوس ملك الروم هدنة فوقع بين رجل من العرب
كان ملكه غطيانوس على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة وبين رجل من لخم كان ملكه
كسرى على عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز يقال له المنذر بن النعمان
فتنة فاغار خالد على ابن النعمان فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أمواله فكتب
كسرى الى غطيانوس يذكره ما بينهما من العهد والصلح ويعلمه مالقي المنذر من خالد
ويسأله ان يامر خالدا برد ما غنم الى المنذر ويدفع له دية من قتل من أصحابه وينصفه من خالد
وانه ان لم يفعل انتقض الصلح ووالى الكتب الى غطيانوس في انصاف المنذر فلم يحفل
به فاستعد كسرى وغزا بلاد غطيانوس في بضعة وسبعين الفا وكان طريقه على الجزيرة
فاخذ مدينة دارا ومدينة الرها وعبر الى الشام فملك منبج وحلب وانطاكية وكانت
أفضل مدائن الشام وفامية وحمص ومدنا كثيرة متاخمة لهذه المدائن عنوة واحتوى
على ما فيها من الاموال والعروض وسبى اهل مدينة انطاكية ونقلهم الى أرض السواد

متواليات وقد افاد الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه انه لم يبعث الله نبيا الا وقد كانت له شامة
النبوة في يده اليمنى الا نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة
بين كتفيه وكان صلى الله عليه
وسلم يمشي هونا واذا التفت التفت
جميعا وعن أبي هريرة رضي الله عنه
قال مارأيت احدا أسرع في مشيه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانما الارض تطوى له وانا لنجهد
انفسنا وانه لغير مكترث وكان
لا ينطق في غير الحاجة واذا تكلم
يتكلم بجوامع الكلم واذا أشار
اشار بكفه كلها اجل ضحكه
التبسم وكان اذا جلس الى قوم
جلس حيث ينتهى به المجلس ولم يجعل
له موضعا يعرف به قال انس بن
مالك رضي الله عنه مارأيت كما
ألين من كف النبي صلى الله عليه
وسلم ولا شممت ريحا وعرقا اطيب
منه ريحا وعرقا وفي صحيح مسلم
انه صلى الله عليه وسلم نام على فراش
أم سليم وعرق واستنقع عرقه على
نطع وكان كثير العرق فجعلت
تاخذ العرق في قواريرها فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تصنعين به ياام سليم فقالت
يارسول الله عرقك نجعله في طيبنا
وهو من اطيب الطيب نرجو
بركته لصبياننا فقال أصبت وفي
صدق المودة في شرح البردة نقلا
عن جرير بن عبد الله قال كنت
بين يدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلا فنظرت اليه والى البدر
وكانت ليلة تمامه فوعيشه رأيت
وجهه أحسن من البدر وقالت
عائشة رضي الله عنها انها بليل فسقطت ابرتها او طفئ سراجها فدخل صلى الله عليه وسلم فاضاء البيت من نوره حتى
وأمر

وأمر فبنيت لهم مدينة الى جانب مدينة طيسفون على بناء مدينة انطاكية واسكنهم
اياها وهى التى تسمى الرومية وكورلها خمسة طساسيج طسوج النهروان الاعلى وطسوج
النهروان الاوسط وطسوج النهروان الاسفل وطسوج بادرايا وطسوج باكسايا
واجرى على السبى الذين نقلهم اليها من انطاكية الارزاق وولى القيام بأمرهم رجلا
من نصارى الاهواز ليستأنسوا به لموافقته فى الدين وأما سائر مدن الشام ومصر فان
غطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها اليه وضمن له فدية يحملها اليه كل
سنة على ان لايغزو بلاده فكانوا يحملونها كل عام وسار انوشروان من الروم الى الخزر
فقتل منهم وغنم وأخذ منهم بثار رعيته ثم قصد اليمن فقتل فيها وغنم وعاد الى المدائن وقد
ملك مادون هرقلة ومابينه وبين البحرين وعمان وملك النعمان بن المنذر على الحيرة
وأكرمه وسار نحو الهياطلة ليأخذ بثار جده فيروز وكان انوشروان قد صاهر خاقان
قبل ذلك ودخل كسرى بلادهم فقتل ملكهم واستأصل اهل بيته وتجاوز بلخ وماوراء
النهر وانزل جنوده فرغانة ثم عاد الى المدائن وغزا البرجان ثم رجع وأرسل جنده الى اليمن
فقتلوا الحبشة وملكوا البلاد وكان ملكه ثمانيا وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة
وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر ملكه وقيل ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو
رسول الله لاربع وعشرين سنة مضت من ملك انوشروان وولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم سنة اثنتين واربعين من ملكه قال هشام بن الكلبى ملك العرب من قبل ملوك
الفرس بعد الاسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان سبع سنين ثم ملك بعده
النعمان بن الاسود أربع سنين ثم استخلف ابو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدى اللخمى
ثلاث سنين ثم ملك المنذر بن امرئ القيس الكندى ولقب ذا القرنين لضفيرتين كانتا له وامه
ماء السماء وهى ماوية ابنة عمرو بن جشم بن النمر بن قاسط تسعا وأربعين سنة ثم ملك ابنه
عمرو بن المنذر ست عشرة سنة قال ولثمانى سنين وثمانية اشهر من ولايته ولد النبى صلى الله
عليه وسلم وذلك أيام أنوشروان عام الفيل فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه الى سرنديب
من بلاد الهند وهى ارض الجوهر قائدا من قواده فى جند كثيف فقاتل ملكها فقتله
واستولى عليها وحمل الى كسرى منها أموالا عظيمة وجواهر كثيرة ولم يكن ببلاد الفرس
بنات آوى فجاءت اليها من بلاد الترك فى ملك كسرى انوشروان فشق عليه ذلك واحضر
موبذان موبذ وقال له قد بلغنا تساقط هذه السباع الى بلادنا وقد تعاظمنا ذلك فاخبرنا
برأيك فيها فقال سمعت فقهاءنا يقولون متى لم يغلب العدل الجور فى البلاد بل جار أهلها
غزاهم أعداؤهم واتاهم مايكرهون فلم يلبث كسرى ان اتاه ان فتيانا من الترك قد غزوا
أقصى بلاده فأمر وزراءه وعماله ان لايتعدوا فيما هم بسبيله العدل ولايعملوا فى شئ
منها الا به ففعلوا ما أمرهم فصرف الله ذلك العدو عنهم من غير حرب

(ذكر مافعله انوشروان بارمينية واذربيجان)

كانت ارمينية واذربيجان بعضها للروم وبعضها للخزر فبنى قباذ سورا مما يلى بعض تلك
الناحية فلما توفى وملك ابنه انوشروان وقوى أمره وغزا فرغانة والبرجان وعاد بنى مدينة

وجدت الابرة وقالت حليمة مرضعة النبى عليه السلام كانت تضئ بوجهه بالليل من غير مصباح ومن خصائصه صلى الله
عليه وسلم انه لاظل له لانه نور كله
قال القاضى فى الشفاء كان صلى
الله عليه وسلم لاظل له فى شمس ولاقمر
ولايقع الذباب على جسده ولامص
دمه البعوض ولاأذاه قمل واذا
أراد أن يتغوط انشقت له الارض
فابتلعت غائطه وبوله وفاحت
لذلك رائحة طيبة وفى الصحيح
من قوله صلى الله عليه وسلم انى
لاراكم من خلفى كما أراكم من
امامى تحريضا على تسوية
الصفوف واذا سر استنار وجهه
كانه قطعة قمر فكان يعرف ذلك
منه وكان اذا مشى مع الطويل
طاله واذا جلس يكون كتفه
أعلى من جميع الجالسين وكان
اذا ركب دابته لاتروث ولاتبول
وهو راكبها ولم يكن لقدمه
اخمص وكانت الارض تطوى
له اذا مشى وكان صلى الله عليه
وسلم ارجح الناس عقلا وأفضلهم
رأيا وان الله تعالى لم يعط جميع
الناس من بدء الدنيا الى انقضائها
من العقل فى جنب عقله الا كحبة
رمل من رمال الدنيا وكان اذا
نامت عيناه لاينام قلبه وانه
لاينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا
ولااحتلم قط ولاتثاءب قط وشق
قلبه فى زمن الصبا مرتين وذلك
لاستخراج حظ الشيطان وهو
العلقة السوداء وغسله من أثرها
حتى يكون طاهر القلب من نزغات
الشيطان ومن اخلاقه الحميدة
انه كان صلى الله عليه وسلم دائم
البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ غليظ ولا فحاش ولا صخاب ولا عتاب ولا قداح ولا عاب طعاما

فقط كان اذا اشتهاه أكله وان لم يشتهه تركه وكان رؤفا رحيما حليما لينا هينا هشاشا بشاشا يقارب قاطبة وأوصافه صلى الله عليه

الشابران ومدينة مسقط ومدينة الباب والابواب وانما سميت أبوابا لانها بنيت على طريق في الجبل واسكن المدن قوما سماهم السياسيجين وبنى غير هذه المدن وبنى لكل باب قصرا من حجارة وبنى بارض جرزان مدينة سغدبيل وانزلها السغد وابناء فارس وبنى باب اللان وفتح جميع ما كان بايدي الروم من ارمينية وعمر مدينة اردبيل وعدة حصون وكتب الى ملك الترك يسأله الموادعة والاتفاق ويخطب اليه ابنته ورغب في صهره وتزوج كل واحد بابنة الآخر فاما كسرى فانه ارسل الى خاقان ملك الترك بنتا كانت قد تبنتها بعض نسائه وذكر انها ابنته وارسل ملك الترك ابنته واجتمعا فامر انوشروان جماعة من ثقاته ان يكبسوا طرفا من عسكر الترك ويحرقوا فيه ففعلوا فلما أصبحوا شكاه ملك الترك ذلك فانكر ان يكون له علم به ثم أمر بمثل ذلك بعد ليال فضج التركي فرفق به انوشروان فاعتذر اليه ثم أمر انوشروان ان تلقى النار في ناحية من عسكره فيها اكواخ من حشيش فلما أصبح شكا الى التركي وقال كافأتني بالتهمة فحلف التركي انه لم يعلم بشيء من ذلك فقال انوشروان له ان جندنا قد كرهوا صلحنا لانقطاع العطاء والغارات ولا آمن ان يحدثوا حدثا يفسد قلوبنا فنعود الى العداوة والرأي ان تأذن لي في بناء سور يكون بيني وبينك نجعل عليه ابوابا فلا يدخل اليك الا من تريده ولا يدخل الينا الا من تريده فأجابه الى ذلك وبنى انوشروان السور من البحر والحقه برؤس الجبال وعمل عليه أبواب الحديد ووكل به من يحرسه فقيل لملك الترك انه خدعك وزوجك غير ابنته وتحصن منك فلم تقدر له على حيلة وملك انوشروان ملوكا رتبهم على النواحي فمنهم صاحب السرير وفيلان شاه واللكز ومسقط وغيرها ولم تزل ارمينية بأيدي الفرس حتى ظهر الاسلام فرفض كثير من السياسيجين حصونهم ومدائنهم حتى خربت واستولى عليها الخزر والروم وجاء الاسلام وهي كذلك

(ذكر امر الفيل)

لما دام ملك أبرهة باليمن وتمكن بنى القليس بصنعاء وهي كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الارض ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك كنيسة لم ير مثلها ولست بمنته حتى اصرف اليها حاج العرب فلما تحدثت العرب بذلك غضب رجل من النسأة من بني فقيم فخرج حتى أتاها فقعد فيها وتغوط ثم لحق بأهله فأخبر بذلك ابرهة وقيل له انه فعل رجل من أهل البيت الذي تحجه العرب بمكة غضب لما سمع انك تريد صرف الحجاج عنه ففعل هذا فغضب ابرهة وحلف ليسيرن الى البيت فيهدمه وأمر الحبشة فتجهزت وخرج معه بالفيل واسمه محمود وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلا وهي تتبع محمودا وانما وحد الله سبحانه الفيل لانه عنى كبيرها محمودا وقيل في عددهم غير ذلك فلما سار سمعت العرب به فقاتلوه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج عليه رجل من أشراف اليمن يقال له ذو نفر فقاتله فهزم ذو نفر وأخذ أسيرا فاراد قتله ثم تركه محبوسا عنده ثم مضى على وجهه فخرج عليه نفيل بن حبيب الخثعمي فقاتله فانهزم نفيل وأخذ أسيرا فضمن لابرهة ان يدله على الطريق فتركه وسار حتى اذا مر على الطائف بعثت معه ثقيف ابا رغال يدله على الطريق

حتى

وسلم أجل وأعظم من أن يحيط بها ناعت بوصفه ولكن ما وصفه من وصفه الا بقدر ما ظهر منه وذكر الترمذي في الشمائل نقلا عن قتادة رضي الله عنه قال ما بعث الله تعالى نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت فكان نبيكم صلى الله عليه وسلم أحسن الانبياء وجها وأحسن صوتا وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال ما عددت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا اربع عشرة شعرة بيضاء عن أبي هريرة قال قالوا يا رسول الله نراك قد شبت قال شيبتني هود وأخواتها ذكر في صحاح المصابيح قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لي معاوية رضي الله عنه اني قصرت من رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة بمشقص فكان معاوية اول من قص من شعره الشريف وفي المظهر شرح المصابيح انه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه ثم دعا أبا طلحة الانصاري فاعطاه اياه فقال له اقسمه بين الناس وانما قسمه ليكون بركة باقية بين أظهرهم وتذكرة لهم ومعجزة باقية لانه لم تحرقه النار اذا ألقي فيها ذكر أهل التاريخ والسير انه صلى الله عليه وسلم أقام في بني سعد خمس سنين ومات أبوه عبد الله في المدينة وهو في بطن امه ثم توفيت أمه في الابواء وكفله جده عبد المطلب ثم توفي فكفله عمه أبو طالب *(مسئلة)* هل كان للنبي صلى الله عليه وسلم أخ من أبيه وأمه فقيل لم يكن لعبد الله ولد ولا لآمنة ولد

حتى انزله بالمغمس فلما انزله مات ابورغال فرجمت العرب قبره فهو القبر الذى يرجم وبعث ابرهة الاسود بن مقصود الى مكة فساق أموال اهلها واصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ثم أرسل ابرهة حناطة الحميرى الى مكة فقال سل عن سيد قريش وقل له انى لم آت لحربكم انما جئت لاهدم هذا البيت فان لم تمنعوا عنه فلا حاجة لى بقتالكم فلما بلغ عبد المطلب ما أمره قال له والله مانريد حربه هذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو يمنع بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ماعندنا من دفع فقال له انطلق معى الى الملك فانطلق معه عبد المطلب حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر وكان له صديقا فدل عليه وهو فى محبسه فقال له هل عندك غناء فيما نزل بنا فقال وماغناء رجل اسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله ولكن أنيس سائس الفيل صديق لى فاوصيه بك واعظم حقك واسأله ان يستاذن لك على الملك فتكلمه بما تريد ويشفع لك عنده ان قدر فقال حسبى فبعث ذونفر الى أنيس فحضره وأوصاه بعبد المطلب واعلمه انه سيد قريش فكلم أنيس ابرهة وقال هذا سيد قريش يستأذن فأذن له وكان عبد المطلب رجلا عظيما جليلا وسيما فلما رآه ابرهة اجله وأكرمه ونزل عن سريره اليه وجلس معه على بساط واجلسه الى جنبه وقال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتى ان يرد على مائتى بعير أصابها الى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتنى اتكلمنى فى ابلك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لاهدمه قال عبد المطلب انا رب الابل وللبيت رب يمنعه قال ما كان ليمنع منى وامر برد ابله فلما أخذها قلدها وجعلها هديا وبثها فى الحرم لكى يصاب منها شئ فيغضب الله وانصرف عبد المطلب الى قريش واخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج معه من مكة والتحرز فى رؤس الجبال خوفا من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

يارب لا ارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا فناكا

وقال أيضا

لاهم ان العبد يمنع * رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
والئن فعلت فانه * أمر تتم به فعالك
أنت الذى ان جاءنا * غر نرجيك له فذالك
ولوا ولم يحووا سوى * خزى وتهلكهم هنالك
لم اسمع يوما بارجس * منهم يبغوا قتالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وماراقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا * فأمر ما بدالك

غيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت امها بنت تسمى فاطمة ماتت صغيرة وسافر صلى الله عليه وسلم الى الشام مع عمه ابى طالب وهو ابن اثنتى عشرة سنة ثم خرج مع ميسرة فى تجارة خديجة وكان ابن خمس وعشرين سنة وبعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة وفى احاسن المحاسن لما ابتدأه الله تعالى بالنبوة كان اذا خرج لحاجته فلا يمر بحجر ولا شجر الا ويسلم عليه وقال صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث وانى لاعرفه الآن * (ومن معجزاته) * انشقاق القمر له نصفين نصفه فوق الجبل ونصفه دونه ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام القليل وحنين الجذع اليه واقرار الضب بنبوته ورسالته بين يديه ونزول العذق من النخلة مبادرا اليه وتظليل الغمامة عليه ومشى الشجرة اليه وتكليم الذراع المسمومة له واخباره بما كان وبما سيكون من المغيبات واحتباس الشمس لاجله واحياء والديه له واسلامهما والاسراء من مكة ليلا الى بيت المقدس الى السموات العلا حتى كان قاب قوسين اوأدنى ووطوءه مكانا ماوطئه نبى مرسل ولاملك مقرب واحياء الانبياء له وصلاته اماما بهم وبالملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى ربى ليلة أسرى بى علوما شتى فعلم أخذ على كتمانه وعلم خيرنى فيه وعلم أمرنى ان أبلغه فكان صلى الله عليه وسلم يسر الى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى مما كان خيره الله فيه وفى مسامرة الاخبار انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل ابرهة بمكة اذا دخل فلما اصبح ابرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وكان اسمه محمودا وابرهة مجمع لهدم البيت والعود الى اليمن فلما وجهوا الفيل اقبل نفيل بن حبيب الخثعمي فسلك باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فالقى الفيل نفسه الى الارض واشتد نفيل فصعد الجبل فضربوا الفيل فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل كذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فسقط الى الارض وأرسل الله عليهم طيرا أبابيل من البحر امثال الخطاطيف مع كل طير منها ثلاثة احجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه فقذفتهم بها وهي مثل الحمص والعدس لا تصيب أحدا منهم الا هلك وليس كلهم أصابت وأرسل الله سيلا ألقاهم في البحر وخرج من سلم مع ابرهة هاربا يبتدرون الطريق الذي جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

وقال أيضا

الا حييت عنا يا ردينا * نعمناكم مع الاصباح عينا
أتانا قابس منكم عشاء * فلم يقدر لقابسكم لدينا
ردينة لو رأيت ولا تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت رأيي * ولم تأسي لما قد فات بينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن علي للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل منهل وأصيب ابرهة في جسده فسقطت اعضاؤه عضوا عضوا حتى قدموا به صنعاء وهو مثل الفرخ فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فلما هلك ملك ابنه يكسوم بن ابرهة وبه كان يكنى وذلت حمير واليمن له ونكحت الحبشة نساءهم وقتلوا رجالهم واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب ولما أهلك الله الحبشة وعاد ملكهم ومعه من سلم منهم ونزل عبد المطلب من الغد اليهم لينظر ما يصنعون ومعه ابو مسعود الثقفي لم يسمعا حسا فدخلا معسكرهم فرأيا القوم هلكى فاحتفر عبد المطلب حفرتين ملأهما ذهبا وجوهرا له ولابي مسعود ونادى في الناس فتراجعوا فأصابوا من فضلهما شيأ كثيرا فبقي عبد المطلب في غنى من ذلك المال حتى مات وبعث الله السيل فألقى الحبشة في البحر وقال كثير من أهل السير ان الحصبة والجدري أول ما رؤيا في العرب بعد الفيل وكذلك قالوا ان العشر والحرمل والشيح لم تعرف بارض العرب الا بعد الفيل وهذا مما لا ينبغي ان يعرج عليه فان هذه الامراض والاشجار قبل الفيل منذ خلق الله العالم ولما رد الله الحبشة عن الكعبة وأصابهم ما أصابهم عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل عنهم ثم مات يكسوم وملك بعده أخوه مسروق

وسلم دحية الكلبي الى قيصر يدعوه لتوحيد الله تعالى وكان بطريق بيت المقدس واقفا عند رأسه فذكر قصة الاسراء فقال البطريق قد علمت بتلك الليلة فنظر اليه قيصر وقال ما علمك بهذا قال كنت لا انام كل ليلة حتى اغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت الابواب كلها غير باب واحد فلم استطع ان احركه فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا هذا باب سقط عليه النجاف والبنيان فلا نستطيع أن نحركه فتركت الباب مفتوحا فلما أصبحت غدوت عليه فاذا الحجر الذي من زاوية المسجد مثقوب واذا فيه أثر مربط الدابة قلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة الا لنبي يصلي فيه وكان الاسراء على أصح الاقوال حال اليقظة وهو ابن احدى وخمسين سنة وثمانية اشهر وعشرين يوما فلا ينبغي ان ينكر لان خرق العادات أساس اثبات النبوات * ومما برأ بكفه الشريف ان قتادة اصيبت عينه يوم أحد وسالت على وجنته فردها صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فالتصقت واصيب يوم بدر خبيب بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل في فيه فبرئ لحينه وجاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فبرئ ومما روى عن حبيب ان أباه فديك ابيضت

(ذكر

(ذكر عود اليمن الى حمير واخراج الحبشة عنه)

لما هلك يكسوم ملك اليمن أخوه مسروق بن ابرهة وهو الذى قتله وهرز فلما اشتد البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن وكنيته ابو مرة وقيل كنية ذى يزن ابو مرة حتى قدم على قيصر وتنكب كسرى لابطائه عن نصر ابيه فانه كان قصد كسرى انوشروان لما أخذت زوجته يستنصره على الحبشة فوعده فأقام ذو يزن عنده فمات على بابه وكان ابنه سيف مع امه فى حجر ابرهة وهو يحسب انه ابنه فسبه ولد لابرهة وسب أباه فسأل امه عن أبيه فأعلمته خبره بعد مراجعة بينهما فأقام حتى مات ابرهة وابنه يكسوم ثم سار الى الروم فلم يجد عند ملكهم ما يحب او افقته الحبشة فى الدين فعاد الى كسرى فاعترضه يوما وقد ركب فقال له ان لى عندك ميراثا فدعا به كسرى لما نزل فقال له من انت وما ميراثك قال أنا ابن الشيخ اليمانى الذى وعدته النصرة فمات ببابك فتلك العدة حق لى وميراث فرق كسرى له وقال له بعدت بلادك عنا وقل خيرها والمسلك اليها وعر ولست اغرر بجيشى وأمر له بمال فخرج وجعل ينثر الدراهم فانتهبها الناس فسمع كسرى فسأله ما حمله على ذلك فقال لم آتك للمال وانما جئتك للرجال ولتمنعنى من الذل والهوان وان جبال بلادنا ذهب وفضة فأعجب كسرى بقوله وقال يظن المسكين انه اعرف ببلاده منى واستشار وزراءه فى توجيه الجند معه فقال له موبذان موبذ أيها الملك ان لهذا الغلام حقا بنزوعه اليك وموت أبيه ببابك وما تقدم من عدته بالنصرة وفى سجونك رجال ذوو نجدة وبأس فلو ان الملك وجههم معه فان أصابوا ظفرا كان للملك وان هلكوا فقد استراح واراح اهل مملكته منهم فقال كسرى هذا الرأى فأمر بمن فى السجون فأحضروا فكانوا ثمانمائة فقود عليهم قائدا من اساورته يقال له وهرز وقيل بل كان من اهل السجون سخط عليه كسرى لحدث احدثه فحبسه وكان يقيد بألف اسوار وأمر بحملهم فى ثمانى سفن فركبوا البحر فغرق سفينتان وخرجوا بساحل حضرموت ولحق بابن ذى يزن بشر كثير وسار اليهم مسروق فى مائة ألف من الحبشة وحمير والاعراب وجعل وهرز البحر وراء ظهره واحرق السفن لئلا يطمع أصحابه فى النجاة واحرق كل ما معهم من زاد وكسوة الا ما أكلوا وما على أبدانهم وقال لاصحابه انما أحرقت ذلك لئلا يأخذه الحبشة ان ظفروا بكم وان نحن ظفرنا بهم فسنأخذ أضعافه فان كنتم تقاتلون معى وتصبرون اعلمتمونى ذلك وان كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفى حتى يخرج من ظهرى فانظروا ما حالكم اذا فعل رئيسكم هذا بنفسه قالوا بل نقاتل معك حتى نموت او نظفر وقال لسيف بن ذى يزن ما عندك قال ما شئت من رجل عربى وسيف عربى ثم اجعل رجلى مع رجلك حتى نموت جميعا او نظفر جميعا قال انصفت فجمع اليه سيف من استطاع من قومه فكان أول من لحقه السكاسك من كندة وسمع بهم مسروق بن ابرهة فجمع اليه جنده فعبى وهرز أصحابه وأمرهم أن يوتروا قسيهم وقال اذا أمرتكم بالرمى فارموا رشقا واقبل مسروق فى جمع لا يرى طرفاه وهو على فيل وعلى رأسه تاج وبين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة لا يرى دون الظفر شيأ وكان وهرز كل بصره فقال أرونى عظيمهم فقالوا هذا صاحب الفيل ثم ركب فرسا فقالوا ركب فرسا ثم انتقل الى بغلة

عيناه فكان لا يبصر بهما شيأ فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فأبصر ثم رأيته يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين سنة وهذا باب لا يحاط به خصوصا فى انقلاب الاعيان ببركة لمسه * ومما يتعلق بصبره على الجوع واعراضه عن حطام الدنيا ما رواه الطبرانى باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال يا جبريل والذى بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه بأسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال صلى الله عليه وسلم يا أمين رب العالمين هل أمر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل ان ينزل اليك حين سمع كلامك فأتاه فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح خزائن الارض وأمرنى ان أعرضها عليك وان أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فان شئت فكن نبيا ملكا وان شئت فكن نبيا عبدا فاومأ اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر الى همته العالية كيف عرضت عليه خزائن الارض فأعرض عنها واباها مع انه لو أخذها لم ينفقها الا فى طاعة الله لكنه اختار العبودية المحضة فيالها من همة شريفة رفيعة ما أسناها ونفس زكية كريمة ما أبهاها

(ذكر شأن البردة النبوية والخاتم وغيره)

قال صاحب الطوريات بسنده الى أبى عمرو بن العلاء ان كعب بن زهير لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته بانت سعاد رمى اليه بردة كانت عليه فلما كان

فقالوا راكب بغلة فقال وهرز ذل ودل ملكه وقال وهرز ارفعوا لي حاجبي وكانا قد سقطا على عينيه من الكبر فعصبوهما له بعصابة ثم جعل نشابة في كبد قوسه وقال أشيروا إلى مسروق فأشاروا إليه فقال لهم سأرميه فإن رأيتم أصحابه وقوفا لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم فإني قد أخطأت الرجل وإن رأيتموهم قد استداروا ولاذوا به فقد أصبته فاحملوا عليهم ثم رماه فأصاب السهم بين عينيه ورمى أصحابه فقتل مسروق وجماعة من أصحابه فاستدارت الحبشة بمسروق وقد سقط عن دابته وحملت الفرس عليهم فلم يكن دون الهزيمة شيء وغنم الفرس من عسكرهم ما لا يحد ولا يحصى وقال وهرز كفوا عن العرب واقتلوا السودان ولا تبقوا منهم أحدا وهرب رجل من الأعراب يوما وليلة ثم التفت فرأى في جعبته نشابة فقال لأمك الويل أبعد طول مسير وسار وهرز حتى دخل صنعاء وغلب على بلاد اليمن وأرسل عماله في المخاليف وكان مدة ملك الحبشة اليمن اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة ملوك أرياط ثم أبرهة ثم ابنه يكسوم ثم مسروق بن أبرهة وقيل كان ملكهم نحو اثنتين وثلاثين سنة وقيل غير ذلك والأول أصح فلما ملك وهرز اليمن أرسل إلى كسرى يعلمه بذلك وبعث إليه بأموال وكتب إليه كسرى يأمره أن يملك سيف بن ذي يزن وبعضهم يقول معديكرب بن سيف بن ذي يزن على اليمن وأرضها وفرض عليه كسرى جزية وخراجا يبعثها في كل عام ففعل وهرز وانصرف إلى كسرى وأقام سيف على اليمن ملكا يقتل الحبشة ويبقر بطون الحبالى عن الحمل ولم يترك منهم إلا القليل جعلهم خولا فاتخذ منهم جمازين يسعون بين يديه بالحراب فمكث غير كثير ثم إنه خرج يوما والحبشة يسعون بين يديه بحرابهم فضربوه بالحراب حتى قتلوه فكان ملكه خمس عشرة سنة ووثب بهم رجل من الحبشة فقتل باليمن وأفسد فلما بلغ ذلك كسرى بعث إليهم وهرز في أربعة آلاف فارس وأمره أن لا يترك باليمن أسود ولا ولد عربية من أسود ومن شرك فيه أسود قتله وأقبل حتى دخل اليمن ففعل ما أمره وكتب إلى كسرى يخبره فأمره على ملك اليمن فكان يجبيها لكسرى حتى هلك وأمر بعده كسرى ابنه المرزبان بن وهرز حتى هلك ثم أمر بعده كسرى التينجان بن المرزبان ثم أمر بعده خرخسرة بن التينجان بن المرزبان ثم إن كسرى أبرويز غضب عليه فأحضره من اليمن فلما قدم تلقاه رجل من عظماء الفرس فألقى عليه سيفا كان لأبي كسرى فأجاره كسرى بذلك من القتل وعزله عن اليمن وبعث باذان إلى اليمن فلم يزل عليها حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل إن أنوشروان استعمل بعد وهرز زرين وكان مسرفا إذا أراد أن يركب قتل قتيلا ثم سار بين أوصاله فمات أنوشروان وهو على اليمن فعزله ابنه هرمز وقد اختلفوا في ولاة اليمن للأكاسرة اختلافا كثيرا لم أر لذكره فائدة

(ذكر ما أحدثته قريش بعد الفيل)

لما كان من أمر أصحاب الفيل ما ذكرناه عظمت قريش عند العرب فقالوا لهم أهل الله وقاتل عنهم فاجتمعت قريش بينها وقالوا نحن بنو إبراهيم عليه السلام وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنو مكة فليس لأحد من العرب مثل منزلتنا ولا يعرف العرب لأحد

مثل

ومن معاوية فدفع له فيها عشرة آلاف درهم فأبى فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم وأخذ منهم البردة وقد كانت هذه البردة لم تزل عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم في المواكب والأعياد جلوسا وركوبا وكانت على المستعصم لما خرج إلى هلاكو كبير التتار وقضيب النبي صلى الله عليه وسلم بيده فأخذهما منه هلاكو وأحرقهما في طبق وألقى رمادهما في دجلة وقال إني ما أحرقتهما استهانة بهما وإنما أحرقتهما تطهيرا لهما كما سيأتي بيان ذلك في محله إن شاء الله تعالى وذكر الذهبي في تاريخه أن البردة التي كانت عند الخلفاء هي البردة التي أعطاها صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك لأهل أيلة مع كتابه الذي كتبه لهم بالأمان فاشتراها أبو العباس السفاح بثلثمائة دينار وأفاد أنها هي البردة التي وصلت لسلاطين بني عثمان فهي اليوم عندهم يتباركون بها ويسقون ماءها المريض بإذن الله تعالى واتخذ لها المرحوم السلطان مراد خان تغمده الله بالرحمة والغفران صندوقا من ذهب زنته مثقال فوضعها فيه تعظيما لها وقيل إن البردة التي اشتراها معاوية فقدت عند زوال ملك بني أمية وقيل كفن فيها معاوية وعن عروة بن الزبير أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمي طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر وهو الذي كان عند الخلفاء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها

بهامش أصله بياض في كل النسخ

مثل ما يعرف لنا فهلموا فلنتفق على ائتلاف انّا لا نعظم شيأ من الحل كما يعظم الحرم فانما
اذا فعلنا ذلك استخفت العرب بنا وبحرمنا وقالوا قد عظمت قريش من الحل مثل ما
عظمت من الحرم فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرّون انها من
المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرى سائر العرب ان يقفوا عليها وان يفيضوا منها وقالوا
نحن أهل الحرم فلا نعظم غيره ونحن الحمس والحمس اهل الحماسة الشدّة لانهم تشددوا في دينهم
وجعلوا لمن ولد واحدة من نسائهم من العرب ساكني الحل مثل ما لهم بولادتهم ودخل
معهم في ذلك كنانة وخزاعة وعامر لولادة لهم ثم ابتدعوا فقالوا لا ينبغي للحمس ان يعملوا
الاقط ولا يسلؤا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتا من شعر ولا يستظلوا الا في بيوت الادم
ما كانوا احراما وقالوا ولا ينبغي لاهل الحل ان يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل في
الحرم اذا جاؤا حجاجا او عمارا ولا يطوفوا بالبيت طوافهم اذا قدموا الا في ثياب الحمس
فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة فان انف احد من عظمائهم ان يطوف عريانا اذا لم يجد
ثياب الحمس فطاف في ثيابه ألقاها اذا فرغ من الطواف ولا يمسها هو ولا أحد غيره
وكانوا يسمونها اللقى فدانت العرب لهم بذلك فكانوا يطوفون كما شرعوا لهم ويتركون
ازوادهم التي جاؤا بها من الحل ويشترون من طعام الحرم ويأكلونه هذا في الرجال واما
النساء فكانت المرأة تضع ثيابها كلها الا درعها مفرجا ثم تطوف فيه وتقول

اليوم يبدو بعضه او كله * وما بدا منه فلا أحله

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فنسخه فافاض من عرفات وطاف
الحجاج بالثياب التي معهم من الحل وأكلوا من طعام الحل في الحرم أيام الحج وانزل الله
تعالى في ذلك ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم أراد
بالناس العرب أمر قريشا ان يفيضوا من عرفات وانزل الله تعالى في اللباس والطعام
الذي من الحل وتركهم اياه في الحرم يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا
واشربوا الى قوله لقوم يعلمون

(ذكر حلف المطيبين والاحلاف)

قد ذكرنا ما كان قصي اعطى ولده عبد الدار من الحجابة والسقاية والرفادة والندوة
واللواء ثم ان هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا بني عبد مناف بن قصي رأوا انهم احق
بذلك من بني عبد الدار لشرفهم عليه وفضلهم في قومهم وارادوا أخذ ذلك منهم فتفرقت
عند ذلك قريش كانت طائفة مع بني عبد مناف وطائفة مع بني عبد الدار يرون انه
لا يجوز ان يؤخذ منهم ما كان قصي جعله لهم اذ كان امر قصي فيهم شرعا متبعا معرفة
منهم لفضله وتيمنا بأمره وكان صاحب أمر بني عبد مناف بن قصي عبد شمس لانه كان
أكبرهم وكان صاحب بني عبد الدار الذي قام في المنع عنهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن
عبد الدار فاجتمع بنو اسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة
وبنو الحرث بن فهر بن مالك بن النضر مع بني عبد مناف واجتمع بنو مخزوم وبنو سهم وبنو
جمح وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار وخرجت عامر بن لؤي ومحارب بن فهر عن

كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وعنها قالت كان فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي ينام عليه من أدم
حشوه ليف وعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال كانت راية
رسول الله صلى الله عليه وسلم
سوداء وعمامته سوداء ولواؤه
اسود كذا في عيون التواريخ
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال
اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاتما من فضة وكان في يده ثم
كان في يد أبي بكر ثم عمر ثم في يد
عثمان حتى وقع في بئر أريس
نقشه محمد رسول الله وكان يختم
في يمينه وكان اذا دخل الخلاء
نزع خاتمه وكان صلى الله عليه
وسلم يكتحل قبل ان ينام بالاثمد
ثلاثا في كل عين وقال ان
خير أكحالكم الاثمد فانه يجلو
البصر وينبت الشعر

(في ذكر ركابه وسلاحه)

كان له صلى الله عليه وسلم ثلاث
نياق الجدعاء والعضباء والقصواء
وستة أفراس السكب والمرتجز
والطرب واللحيف والورد
واليعسوب وسيوفه ستة
ذو الفقار والمخذم والرسوب
والعضب والبتار والحتف
وادراعه ثلاثة السعدية
وفضة وذات الفضول وقسيه
ثلاثة الروحاء والصفراء والبيضاء
ورماحه ثلاثة لم يسمهم لنا
احد وكان له ترس واحد وروى
بن سعد في طبقاته ان النبي صلى
الله عليه وسلم اهدى له ترس فيه
تمثال كبش فوضع النبي صلى الله
عليه وسلم يده عليه فأذهب الله
ذلك التمثال واسم جبته الذكا واسم عمامته السحاب واسم لوائه الحمد واسم قصعته الغرا وكان يحملها أربعة رجال فيها أربع

ذلك فلم يكونوا مع أحد الفريقين وعقد كل طائفة بينهم حلفا مؤكدا على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة فأخرجت بنو عبد مناف بن قصي جفنة مملوءة طيبا قيل ان بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها في المسجد وغمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا وتعاقدوا ومسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا بذلك المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم من القبائل عند الكعبة على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف ثم تصافوا للقتال واجمعوا على الحرب فبينما هم على ذلك اذ تداعوا الى الصلح على ان يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وان تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار فاصطلحوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجزوا عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الاسلام وهم على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من حلف في الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة ولا حلف في الاسلام فولي السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف لان عبد شمس كان كثير الاسفار قليل المال كثير العيال وكان هاشم موسرا جوادا وكان ينبغي ان نذكر هذا قبل الفيل وما حدث لقريش وانما أخرناه للزوم تلك الحوادث بعضها ببعض

(ذكر ما فعله كسرى في أمر الخراج والجند)

كان ملوك الفرس يأخذون من غلات كورهم قبل ملك كسرى انوشروان في خراجها من بعضها الثلث ومن بعضها الربع وكذلك الخمس والسدس على قدر شربها وعمارتها ومن الجزية شيأ معلوما فأمر الملك قباذ بمسح الارضين ليصح الخراج عليها فمات قبل الفراغ من ذلك فلما ملك انوشروان أمر باستتمام ذلك ووضع الخراج على الحنطة والشعير والكرم والرطب والنخل والزيتون والارز على كل نوع من هذه الانواع شيأ معلوما ويؤخذ في السنة في ثلاثة انجم وهي الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب وكتب كسرى الى القضاة في البلاد نسخة بالخراج ليمنع العمال من الزيادة عليه وأمر ان يوضع عن من اصابت غلته جائحة بقدر جائحته والزم الناس الجزية ما خلا العظماء وأهل البيوتات والجند والهرابذة والكتاب ومن في خدمة الملك كل انسان على قدره اثني عشر درهما وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة دراهم واسقطها عمن لم يبلغ عشرين سنة او جاوز خمسين سنة ثم ان كسرى ولى رجلا من الكتاب من الكفاة والنبلاء اسمه بابك عرض جيشه فسأل من كسرى التمكن من شغله الى ذلك فتقدم ببناء مصطبة موضع عرض الجيش وفرشها ثم نادى ان يحضر الجند بسلاحهم وكراعهم للعرض فحضروا ولم ير معهم كسرى امرهم بالانصراف ففعل ذلك يومين ثم امر فنودي في اليوم الثالث أن لا يتخلف احد ولا من اكرم بتاج وسرير فسمع كسرى فحضر وقد لبس التاج والسلاح ثم أتى بابك ليعرض عليه فرأى سلاحه تاما ما عدا وترين للقوس كان عادتهم ان يستظهروا بهما فلم يرهما بابك معه فلم يجز على اسمه وقال له هلم كلما يلزمك فذكر كسرى الوترين فتعلقهما ثم نادى منادي بابك وقال للكمي السيد سيد الكماة أربعة آلاف درهم وأجاز على اسمه فلما قام عن مجلسه حضر عند كسرى يعتذر اليه من غلظته عليه وذكر له ان أمره لا يتم الا بما

ساقي من حديد واسم بغلته دلدل واسم حماره يعفور وذكر ابن صاعد في تاريخه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر اصاب حمارا اسود فكلم الحمار النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخرج الله تعالى من نسل جدي ستين حمارا لم يركبهم الا نبي وقد كنت اتوقعك لتركبني ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وكنت عند رجل يهودي وكنت اعثر به لئلا يركبني فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا ولا يخفى على كل ذي لب ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الجمال وتناسب الاعضاء وسلامته من العيوب وما كان من العبادة والعلم والحلم وكل خصلة حميدة ما لو تتبع لضاقت عن حصره الدفاتر وكلت دون مرماه الاقلام وجفت المحابر ولله در القائل

أيعيد مخلوق ثناءك بعدما
أثنى عليك الهنا الخلاق

(ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم)

الذكور القاسم وبه كان يكنى ثم الطيب ثم الطاهر وعبد الله وابراهيم والاناث منهم أكبرهن رقية ثم زينب ثم ام كلثوم ثم فاطمة وجميع أولاده من خديجة غير ابراهيم فانه من مارية القبطية سرية اهداها له المقوقس ملك الاسكندرية

(ذكر فضائل فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها)

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها لانها كانت زاهدة عابدة وكانت تذكره من خديجة وكانت لها اسماء تدعى بها أحدها البتول

فعل

والثانى زهراء والثالث طاهرة والرابع مطهرة والخامس فاطمة قالت عائشة كنا نخيط ونغزل وننظم الابرة بالليل فى ضوء

فصل فقال كسرى ما غلبنا علينا امر يرينيه اصلاح دولتنا ومن كلام كسرى الشكر والنعمة عدلان ككفتى الميزان أيهما رجح بصاحبه احتاج الاخف الى ان يزاد فيه حتى يعادل صاحبه فاذا كانت النعم كثيرة والشكر قليلا انقطع الحمد فكثير النعم يحتاج الى كثير من الشكر وكلما زيد فى الشكر ازدادت النعم وجاوزته ونظرت فى الشكر فوجدت بعضه بالقول وبعضه بالفعل ونظرت احب الاعمال الى الله فوجدته الشئ الذى اقام به السموات والارض وأرسى به الجبال واجرى به الانهار وبرأ به البرية وهو الحق والعدل فلزمته ورأيت ثمرة الحق والعدل عمارة البلدان التى بها قوام الحياة للناس والدواب والطير وجميع الحيوانات ولما نظرت فى ذلك وجدت المقاتلة اجراء لاهل العمارة وأهل العمارة اجراء للمقاتلة فاما المقاتلة فانهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لدفعهم عنهم ومجاهدتهم من ورائهم فحق على أهل العمارة أن يوفوهم أجورهم فان العمارة والامن والسلامة فى النفس والمال لا يتم الا بهم ورأيت ان المقاتلة لا يتم لهم المقام والاكل والشرب وتثمير الاموال والاولاد الا بأهل الخراج والعمارة فأخذت للمقاتلة من أهل الخراج ما يقوم بأودهم وتركت على أهل الخراج من مستغلاتهم ما يقوم بمؤنتهم وعمارتهم ولم أجحف بواحدة من الجانبين ورأيت المقاتلة واهل الخراج كالعينين المبصرتين واليدين المتساعدتين والرجلين على أيهما دخل الضرر تعدى الى الاخرى ونظرنا فى سير آبائنا فلم نترك منها شيأ يقترن بالثواب من الله والذكر الجميل بين الناس والمصلحة الشاملة للجند والرعية الا اعتمدناه ولا فسادا الا أعرضنا عنه ولم يدعنا الى حب ما لا خير فيه حب الآباء ونظرت فى سير أهل الهند والروم وأخذنا محمودها ولم تنازعنا أنفسنا الى ما تميل اليه أهواؤنا وكتبنا بذلك الى جميع أصحابنا ونوابنا فى سائر البلدان فانظر الى هذا الكلام الذى يدل على زيادة العلم وتوفر العقل والقدرة على منع النفس ومن كان هذا حاله استحق ان يضرب به المثل فى العدل الى أن تقوم الساعة وكان لكسرى أولاد مناكبون فجعل الملك من بعده لابنه هرمز وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وذلك لمضى اثنتين وأربعين سنة من ملكه وفى هذا العام كان يوم ذى جبلة وهو يوم من أيام العرب المذكورة

(ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم)

قال قيس بن مخرمة وقباث بن اشيم وابن عباس وابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل قال ابن الكلبى ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربع وعشرين سنة مضت من سلطان كسرى انوشروان وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين واربعين من سلطانه وارسله الله تعالى لمضى اثنتين وعشرين من ملك كسرى ابرويز بن كسرى هرمز بن كسرى انوشروان وهاجر لثلاث وثلاثين سنة مضت من ملك ابرويز قال ابن اسحق ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول وكان مولده بالدار التى تعرف بدار ابن يوسف قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبها عقيل بن أبي طالب فلم تزل فى يده حتى توفى فباعها اولاده من

وجه فاطمة وقالت اذا أقبلت فاطمة كانت مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لا تحيض قط لانها خلقت من تفاح الجنة ولقد وضعت الحسن بعد العصر وطهرت من نفاسها فاغتسلت وصلت المغرب ولذلك سميت الزهراء وفى عيون الاخبار نقلا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر التقبيل لفاطمة رضى الله عنها فقالت له عائشة بأبى أنت وامى انى أراك تكثر تقبيل فاطمة فقال عليه السلام ان جبريل ليلة أسرى بى أدخلنى الجنة واطعمنى من جميع ثمارها فصار ذلك ماء فى صلبى فحملت منى خديجة بفاطمة فاذا اشتقت الى تلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من ريح تلك الثمار التى أكلتها * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما كانت الليلة التى زفت فيها فاطمة الى على بن ابى طالب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامها وجبريل عن يمينها وميكائيل عن شمالها وسبعون ألف ملك من خلفها يسبحون الله تعالى ويقدسونه حتى طلع الفجر * وعن النبى عليه السلام انه قال يا فاطمة ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك * وعن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا اهل الجمع نكسوا رؤسكم وغضوا ابصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط قال فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور

محمد بن يوسف اخي الحجاج فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف وادخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجته الخيزران فجعلته مسجدا يصلى فيه وقيل ولد لعشر خلون منه وقيل لثمان خلت منه * قال ابن اسحق ان آمنة ابنة وهب ام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث انها أتيت في منامها لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع بالارض قولي أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من ارض الشام فلما وضعته أرسلت الى جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه * وقال عثمان بن أبي العاص حدثتني امي انها شهدت ولادة آمنة ابنة وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما شئ انظر اليه من البيت الا نور واني لانظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول لتقعن علي * واول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة مولاة ابي لهب بلبن ابن لها يقال له مسروح وكانت قد ارضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومي فكانت ثويبة تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر فيكرمها وتكرمها خديجة فأرسلت الى أبي لهب ان يبيعها اياها لتعتقها فأبى فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أعتقها ابو لهب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث اليها بالصلة الى ان بلغه خبر وفاتها منصرفه من خيبر فسأل عن ابنها مسروح فقيل توفي قبلها فسأل هل لها من قرابة فقيل لم يبق لها أحد * ثم ارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثويبة حليمة بنت أبي ذؤيب واسمه عبد الله بن الحرث بن شجنة من بني سعد بن بكر بن هوازن واسم زوجها الذي ارضعته بلبنه الحرث بن عبد العزى واسم اخوته من الرضاعة عبد الله وأنيسة وجذامة وهي الشيماء عرفت بذلك وكانت الشيماء تحضنه مع أمها حليمة وقدمت حليمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوج خديجة فأكرمها ووصلها وتوفيت قبل فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فلما فتح مكة قدمت عليه أخت لها فسألها عنها فأخبرته بموتها فذرفت عيناه فسألها عن خلف فأخبرته فسألته نحلة وحاجة فوصلها * وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كانت حليمة السعدية تحدث أنها خرجت من بلادها مع نسوة يلتمسن الرضعاء وذلك في سنة شهباء لم تبق شيأ قالت فخرجت على أتان لنا قمراء معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا اجمع من صبينا الذي معي من بكائه من الجوع ومافي ثديي ما يغنيه ومافي شارفنا مايغذوه ولكنا نرجو الغيث والفرج فلقد
٢ أدمت أتاني بالركب حتى شق عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك انا انما نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم فما عسى ان تصنع أمه وجده فما بقيت امرأة معي الا أخذت رضيعا غيري فلما اجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي والله اني لأكره ان أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه قال افعلي فعسى أن الله يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبت فأخذته فلما اخذته ووضعته في حجري أقبل عليه

العين كالبرق وقد ورد في الطبراني لما سمعت بأن اباها زوجها وجعل الدراهم مهرا لها فقالت يارسول الله ان بنات الناس يتزوجن بالدراهم فما الفرق بيني وبينهن أسألك ان تردها وتدعو الله تعالى ان يجعل مهري الشفاعة في عصاة امتك فنزل جبريل عليه السلام ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها جعل الله مهر فاطمة الزهراء شفاعة المذنبين من امة أبيها فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن فوضعت وقالت اذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدي وشفعت في عصاة امة ابي ولما احتضرت اغتسلت بنفسها وأوصت أن لا يغسلها احد فدفنها علي رضي الله عنه بغسلها ذلك كذا في كشف الغمة للشيخ عبد الوهاب الشعراني

بمحمد وبنته وبعلها
وابنيهما السبطين أعلام الهدى
فرج عن المكروب واكشف غمه
ياخير من رفع العباد له يدا

(ذكر ازواجه امهات المؤمنين)

كانت عدة ازواجه خمس عشرة دخل باحدى عشرة منهن ولم يدخل بأربع وتوفيت في حياته اثنتان وقبض عليه السلام عن تسع (فأولهن خديجة) بنت خويلد كان صداقها عشرين بكرة لم ينكح عليها امرأة حتى ماتت وكان تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهور وهي أول من آمنت من النساء (وتزوج بعد وفاتها سودة) بنت زمعة بن قيس روى انها رأت في المنام ان النبي عليه السلام أتاها ووضع رجله على رقبتها فلما انتبهت أخبرت زوجها فقال صدقت فأنا أموت ويتزوجك محمد ورأت رؤيا أخرى

تدباي

ثديای بما شاءا من لبن فشرب حتى روى وشرب معه اخوه حتى روى ثم ناما وما كان ابنى ينام قبل ذلك وقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انها حافل فحلب منها ما شرب حتى روى ثم سقاني فشربت حتى شبعنا قالت يقول لى صاحبي تعلمين والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قلت والله لارجو ذلك قالت ثم خرجنا فركبت أتاني وحملته عليها فلم يلحق شئ من حمرهم حتى ان صواحبي ليقلن لى يا ابنة ابي ذؤيب اربعي علينا أليست هذه اتانك التى كنت خرجت عليها فأقول بلى والله لهى هى فيقلن ان لها شأنا ثم قدمنا منازلنا من بنى سعد وما اعلم ارضا من أرض الله اجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة ولا يجدها فى ضرع حتى ان كان الحاضر من قومنا ليقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى ابنة أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة من لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فلم نزل نتعرف البركة من الله والزيادة فى الخير حتى مضت سنتان وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شئ على مكثه عندنا لما كنا نرى من بركته فكلمنا أمه فى تركه عندنا فأجابت قالت فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه فى بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتانا اخوه يشتد فقال لى ولأبيه ذلك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاه وشقا بطنه وهما يسوطانه قالت فخرجنا نشتد فوجدناه قائما منتقعا وجهه قالت فالتزمته أنا وأبوه وقلنا له مالك يا بنى قال جاءنى رجلان فاضجعانى فشقا بطنى فالتمسا به شيأ لا ادرى ماهو قالت فرجعنا الى خبائنا وقال لى أبوه والله لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك قالت فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت ما اقدمك يا ظئر به وقد كنت حريصة على مكثه عندك قالت قلت قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى على وتخوفت عليه الاحداث فأديته اليك كما تحبين قالت ما هذا بشأنك فاصدقينى ولم تدعنى حتى أخبرتها قالت فتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابنى لشأنا أفلا اخبرك قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج منى نور أضاء لى قصور بصرى من الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان اخف منه ولا أيسر ثم وقع حين وضعته وانه لواضع يديه بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقى راشدة * وكانت مدة رضاع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين وردته حليمة الى أمه وجده عبد المطلب وهو ابن خمس سنين فى قول وقال شداد بن أوس بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل شيخ من بنى عامر وهو مالك قومه وسيدهم شيخ كبير متوكئا على عصا فمثل قائما وقال يا ابن عبد المطلب انى أنبئت انك تزعم انك رسول الله أرسلك بما ارسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء الا وانك فهت بعظيم الا وقد كانت الانبياء من بنى اسرائيل وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان ومالك والنبوة وان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولك وبدو شأنك فأعجب النبى صلى الله عليه وسلم بمسألته ثم قال يا أخا بنى عامر اجلس فجلس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان حقيقة قولى وبدو شأنى انى دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخى

ان القدر وقع عليها من السماء فأقامت مضى كثير حتى مات زوجها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم تزوج بعائشة) وفى السبعيات انه تزوج بعائشة رضى الله عنها بعد وفاة خديجة (ومن ازواجه حفصة) بنت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه روى انه طلقها فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله يأمرك أن تراجع حفصة فانها صوامة قوامة فراجعها (وام سلمة) واسمها هند بنت أبي ابن المغيرة وهى آخر من مات من أزواجه بعده (ومنهن زينب) بنت جحش توفيت بالمدينة سنة عشرين وهى اولهن وفاة (ومنهن ام حبيبة) واسمها رملة بنت ابى سفيان (وزينب) بنت خزيمة وهى ام المساكين توفيت فى حياته بالمدينة ولم تلبث عنده الاشهرين أو ثلاثة (ومنهن ميمونة) بنت الحرث وهى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل الواهبة نفسها خولة بنت حكيم (ومنهن جويرية) بنت الحرث سباها النبى عليه السلام فى غزوة المريسيع وتزوج بها (ومنهن صفية) بنت حيى بن أخطب سباها يوم خيبر فهؤلاء احدى عشرة امرأة دخل بهن النبى صلى الله عليه وسلم بلا خلاف

(ذكر فضائل خديجة الكبرى ام المؤمنين رضى الله عنها)

كان يحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا شديدا وكان صلى الله عليه وسلم سافر لتجارتها مع عبدها ميسرة الى مدينة بصرى قبل ان يدخل بها وأنفق مالها فى سبيل الله تعالى بعد ان تزوجها ولم يزل يذكرها بخير بعد وفاتها حتى اخذت عائشة منها الغيرة فقالت يوما يا رسول الله هل هى الا عجوز فعوضك

عيسى وكنت بكرا امي وحملتني كا ثقل ما تحمل النساء ثم رأت في منامها ان المني في بطنها نور
قالت فجعلت اتبع بصري النور وهو يسبق بصري حتى اضاءت لي مشارق الارض
ومغاربها ثم انها ولدتني فنشأت فلما نشأت بغضت الي الاوثان والشعر فكنت مسترضعا
في بني سعد بن بكر فبينا انا ذات يوم منتبذا من اهلي مع أتراب من الصبيان اذ أنا بثلاثة
رهط معهم طست من ذهب مملوء ثلجا فأخذوني من بين اصحابي فخرج اصحابي هرابا حتى
انتهوا الى شفير الوادي ثم أقبلوا على الرهط فقالوا ما أربكم الى هذا الغلام فانه ليس لنا أب
وما يرد عليكم قتله فلما رأى الصبيان الرهط لا يردون جوابا انطلقوا مسرعين الى الحي
يؤذنونهم بي ويستصرخونهم على القوم فعمد أحدهم فأضجعني على الارض اضجاعا
لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فأنا انظر اليه لم اجد لذلك مسا ثم أخرج
احشاء بطني فغسلها بالثلج فانعم غسلها ثم اخرج قلبي فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء
فرمى بها ثم قال بيده يمنة منه كأنه يتناول شيأ فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه
فختم به قلبي فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم
في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فنحاه عني فأمر يده ما بين مفرق صدري الى منتهى
عانتي فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدي فأنهضني من اضجاعي لطيفا ثم قال للاول
الذي شق بطني زنه بعشرة من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنوني
بهم فرجحتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنته بأمته
كلهم لرجح بهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع
انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت به عينك قال فبينا نحن كذلك اذ أنا بالحي قد جاؤا
بحذافيرهم واذا ظئري أمام الحي تهتف بأعلى صوتها وهي تقول يا ضعيفاه قال فانكبوا
علي يعني الرهط وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم قالت ظئري
يا وحيداه فانكبوا علي فضموني الى صدورهم وقبلوا ما بين عيني وقالوا حبذا أنت من
وحيد وما أنت بوحيد ان الله معك ثم قالت ظئري يا يتيماه استضعفت من بين اصحابك
فقتلت لضعفك فانكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا ما بين عيني وقالوا حبذا أنت من
يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما يراد بك من الخير قال فوصلوا بي الى شفير الوادي فلما بصرت
بي ظئري قالت يا بني الأأراك حيا بعد فجاءت حتى انكبت علي وضمتني الى صدرها فو الذي
نفسي بيده اني لفي حجرها وقد ضمتني اليها وان يدي في يد بعضهم فجعلت التفت اليهم
وظننت ان القوم يبصرونهم فيقول بعض القوم ان هذا الغلام أصابه لمم أو طائف من
الجن انطلقوا به الى كاهننا حتى ينظر اليه ويداويه فقلت ما هذا ليس بي شيء مما يذكرون
ارادتي سليمة وفؤادي صحيح ليس في قلبة فقال أبي من الرضاع ألا ترون كلامه صحيحا اني
لارجو أن لا يكون بابني بأس فاتفقوا على ان يذهبوا بي الى الكاهن فذهبوا بي اليه فلما
قصوا عليه قصتي قال اسكتوا حتى اسمع من الغلام فانه أعلم بأمره منكم فقصصت عليه
أمري من أوله الى آخره فلما سمع قولي وثب الي وضمني الى صدره ثم نادى بأعلى صوته
يا للعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فأدرك ليبدلن

الله خيرا منها فقال لا والله ما عوضني الله خيرا منها آمنت بي والناس كذبوني وبذلت مالها ادرني والناس منعوني فانها
كانت وكانت قالت عائشة نويت
ان لا اذكرها الا بخير * روى أبو
هريرة قال أتى جبريل النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
هذه خديجة قد أتتك باناء فيه ادام
وطعام وشراب فاذا هي أتتك
فاقرأ عليها السلام من ربها ومني
وبشرها ببيت في الجنة من قصب
لا صخب فيه ولا نصب توفيت بمكة
وعمرها اربع وستون سنة وشهور
ودفنت في المعلاة

* (ذكر فضائل عائشة ام المؤمنين
رضي الله تعالى عنها) *

ذكر في عيون الاخبار ان جبريل
عليه السلام أتى النبي صلى الله
عليه وسلم بعد وفاة خديجة بصورة
عائشة في حريرة وقال يأمرك
ربك أن تتزوج بكرا هذه صورتها
قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا
بنت سبع ودخل بي وأنا بنت تسع
سنين ومات وأنا بنت ثمانية عشرة
سنة وذلك بعد الهجرة بسبعة
اشهر وتسعة ايام وكان صداقها
اربعمائة درهم * عن عروة عن ابيه
قال كان الناس يقدمون هداياهم
يوم عائشة فاجتمع زوجات النبي
عليه السلام وقالوا لام سلمة قولي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر
الناس أن يهدوا اليه حيث كان
فذكرت ذلك ام سلمة للنبي عليه
السلام فأعرض عنها ثم قال يا ام
سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه والله
ما نزل علي وحي وأنا في لحاف
امرأة غيرها وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لو كانت امرأة خليفة لكانت عائشة واذا حدث عن عائشة

دينكم

دينكم ويخلفن أمركم ولياً تينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط فانتزعتني ظئري منه وقالت لانت ابن واعتمه من ابى هـذا فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتليه ثم ردونى الى أهلى فأصبحت مفزعا مما فعل بى وأثر الشق ما بين صدرى الى عانتى كأنه الشراك فذلك حقيقة قولى وبدء شأنى يا أخا بنى عامر فقال العامرى اشهد بالله الذى لا اله الا هو ان أمرك حق فأنبئنى بأشياء اسألك عنها قال سل قال اخبرنى ما يزيد فى العلم قال التعلم قال فما يدل على العلم قال النبى صلى الله عليه وسلم السؤال قال فأخبرنى ماذا يزيد فى الشئ قال التمادى قال اخبرنى هل ينفع البر مع الفجور قال نعم التوبة تغسل الحوبة والحسنات يذهبن السيآت واذا ذكر العبد الله عند الرخاء أعانه عند البلاء فقال العامرى فكيف ذلك قال ذلك بأن الله عز وجل يقول وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا اجمع له خوفين ان خافنى فى الدنيا أمنته يوم اجمع عبادى فى حظيرة القدس فيدوم له امنه ولا أمحقه فيمن امحق وان هو أمننى فى الدنيا خافنى يوم اجمع فيه عبادى لميقات يوم معلوم فيدوم له خوفه قال يا ابن عبد المطلب اخبرنى الى ما تدعو قال أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع الانداد وتكفر باللات والعزى وتقر بما جاء من عند الله من كتاب ورسول وتصلى الصلوات الخمس بحقائقهن وتصوم شهرا من السنة وتؤدى زكاة مالك يطهرك الله تعالى بها ويطيب لك مالك وتحج البيت اذا وجدت اليه سبيلا وتغتسل من الجنابة وتؤمن بالموت والبعث بعد الموت وبالجنة والنار قال يا ابن عبد المطلب فاذا فعلت ذلك فمالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى فقال هل مع هذا من الدنيا شئ فانه يعجبنى الوطأة من العيش قال النبى صلى الله عليه وسلم نعم النصر والتمكين فى البلاد فأجاب وأناب قال ابن اسحق ذلك عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وام رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حامل به قال هشام بن محمد توفى عبد الله أبو رسول الله بعد ما أتى على رسول الله ثمانية وعشرون يوما وقال الواقدى أثبت عندنا ان عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام فى عير قريش ونزل بالمدينة وهو مريض فأقام حتى توفى ودفن بدار النابغة الصغرى قال ابن اسحق وتوفيت أمه آمنة وله ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة كانت قدمت به المدينة على اخواله من بنى النجار تزيره اياهم فماتت وهى راجعة وقيل انها أتت المدينة تزور قبر زوجها عبد الله ومعها رسول الله وام أيمن حاضنة رسول الله فلما عادت ماتت بالابواء وقيل ان عبد المطلب زار أخواله من بنى النجار وحمل معه آمنة ورسول الله فلما رجع توفيت بمكة ودفنت فى شعب ابى ذر والاول أصح ولما سارت قريش الى أحد هموا باستخراجها من قبرها فقال بعضهم ان النساء عورة وربما أصاب محمد من نسائكم فكفهم الله بهذا القول اكراما لام النبى صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وتوفى عبد المطلب ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين وقيل ابن عشر سنين ولما مات عبد المطلب صار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجر عمه أبى طالب بوصية من عبد المطلب اليه بذلك لما كان يرى من بره به وشفقته وحنوه عليه فيصبح ولد أبى طالب غمصا رمصا ويصبح رسول الله صقيلا دهينا

رضى الله عنها قال حدثتنى المرأة الصادقة بنت الصديق حبيبة النبى صلى الله عليه وسلم روى عن عروة بن [illegible] قالت قلت يا رسول الله أى النساء أحب اليك فقال عائشة قلت ومن الرجال قال ابوها قال عروة ما رأيت احدا من الناس اعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث ولا بنسب من عائشة رضى الله عنها * عن حرب بن نوفل قال ارسل ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة الى النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذنت فى الدخول عليه وهو مضطجع مع عائشة فى مرطها فأذن لها فقالت يا رسول الله ان أزواجك ارسلننى اليك يسألنك العدل فى ابنة ابن أبى قحافة فقال لها رسول الله ألست تحبين ما احب قالت بلى قال فأحب هذه * وفى صحيح البخارى عن عائشة قالت مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى وتوفى ورأسه بين سحرى ونحرى وفى رواية بين حاقنتى وذاقنتى وجمع الله بين ريقه وريقى عند موته وذلك لانها كانت تلين السواك لرسول الله صلى الله عليه وسلم * قال عروة رأيت عائشة رضى الله عنها تقسم سبعين ألف درهم وترقع ثوبها قال مصعب بن سعد فرض عمر رضى الله عنه لامهات المؤمنين عشرة آلاف وزاد عائشة ألفين وقال انها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين من الهجرة بالمدينة ودفنت بالبقيع وصلى عليها ابو هريرة وكان فى ايام معاوية وقد قاربت السبعين * (ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم) * قال صاحب المختصر فى اخبار البشر لما قدم رسول الله صلى الله عليه

(ذكر قتل تميم بالمشقر)

قال هشام ارسل وهرز باموال وطرف من اليمن الى كسرى فلما كانت ببلاد تميم صعصعة ابن ناجية دعا المجاشعي جد الفرزدق الشاعر بني تميم الى الوثوب عليها فابوا فقال كانى ببني بكر بن وائل وقد انتهبوا فاستعانوا بها على حربكم فلما سمعوا ذلك وثبوا عليها واخذوها واخذ رجل من بني سليط يقال له النطف خرجا فيه جوهر فكان يقال اصاب كنز النطف فسار صاحب العير ومن سلم من اساورته الى هوذة بن على الحنفي باليمامة فكساهم وحملهم وسار معهم حتى دخل على كسرى فاعجب به كسرى ودعا بعقد من در فعقد على راسه فمن ثم سمي هوذة ذا التاج وساله كسرى عن تميم هل من قومه أو بينه وبينهم سلم فقال لا بيننا الا الموت قال قد أدركت ثارك وأراد ارسال الجنود الى تميم فقيل له ان ماءهم قليل وبلادهم بلاد سوء وأشير عليه ان يرسل الى عامله بالبحرين وهو ازاد فيروز بن جشيش الذى سمته العرب المكعبر وانما سمي بذلك لانه كان يقطع الايدى والارجل فامره بقتل بني تميم ففعل ووجه اليه رسولا ودعا هوذة وجدد له كرامة وصلة وأمره بالسير مع رسوله فاقبلا الى المكعبر ايام اللقاط وكانت تميم تصير الى هجر للميرة واللقاط فامر المكعبر مناديا ينادى ليحضر من كان ههنا من بني تميم فان الملك قد أمر لهم بميرة وطعام فحضروا ودخلوا المشقر وهو حصن فلما دخلوا قتل المكعبر رجالهم واستبقى غلمانهم وقتل يومئذ قعنب الرياحي وكان فارس يربوع وجعل الغلمان في السفن وعبر بهم الى فارس قال هبيرة بن حدير العدوى رجع الينا بعدما فتحت اصطخر عدة منهم وشد رجل من بني تميم يقال له عبيد بن وهب على سلسلة الباب فقطعها وخرج واستوهب هوذة من المكعبر مائة أسير منهم فاطلقهم (حدير بضم الحاء المهملة وفتح الدال)

(ذكر ملك ابنه هرمز بن أنوشروان)

وكانت أمه ابنة خاقان الاكبر فلما هلك كسرى أنوشروان كان ملكه ثمانية وأربعين سنة ملك بعده هرمز وكان هرمز بن كسرى أديبا ذا نية في الاحسان الى الضعفاء والحمل على الاشراف فعادوه وابغضوه وكان في نفسه مثل ذلك وكان عادلا بلغ من عدله أنه ركب ذات يوم الى ساباط المدائن فاجتاز بكروم فاطلع اسوار من أساورته في كرم وأخذ منه عناقيد حصرم فلزمه حافظ الكروم وصرخ فبلغ من خوف الاسوار من عقوبة كسرى هرمز أن دفع الى حافظ الكرم منطقة محلاة بذهب عوضا من الحصرم فتركه وقيل كان مظفرا منصورا لا يمد يده الى شيء الا ناله وكان داهيا ردىء النية تنزع الى اخواله الترك وانه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل ولم يكن له رأي الا في تألف السفلة وحبس كثيرا من العظماء واسقطهم وحط مراتبهم وحرم الجنود فقعد عليه كثير ممن كان حوله وخرج عليه شابه ملك الترك في ثلثمائة ألف مقاتل في سنة ست عشرة من ملكه فوصل هراة وباذغيس وارسل الى هرمز والفرس يأمرهم باصلاح الطرق ليجوز الى بلاد الروم ووصل ملك الروم في ثمانين ألفا الى الضواحي قاصدا له ووصل ملك الخزر الى الباب والابواب في جمع عظيم فاب جماعة من العرب ...

وسلم من حجة الوداع اقام بالمدينة وابتدأ مرضه لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة وهو في بيت زينب بنت جحش وكان يدور على نسائه جميعهن وهو في بيت ميمونة بنت الحرث واستأذنهن في ان يمرض في بيت احداهن فاذن له ان يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فانتقل اليها وكان في ايام مرضه يصلي بالناس وانما انقطع ثلاثة ايام فأول ما انقطع قال مروا أبا بكر فليصل بالناس وكانت صلاة العشاء فلما صلى ابو بكر رضي الله عنه بعض الصلاة وجد في نفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة فدعا بعلي والعباس واتكأ عليهما وخرج الى المسجد ففرح الناس بذلك فعرف ابو بكر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حضر الصلاة فنكص عن مصلاه فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظهره وقال صل بالناس وجلس الى جنبه فصلى قاعدا وابو بكر قائما يقتدى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون بصلاة ابي بكر وروى نافع أنه صلى في مرضه ذلك خلف ابي بكر ولم يصل خلف احد غيره * ولما احتضر صلى الله عليه وسلم ورأى حزن بنته فاطمة رضي الله عنها قال لها أبشري أنك اول اهلي يجيء الى وأنك تكونين سيدة نساء هذه الامة او نساء المؤمنين وكان عنده قدح فيه ماء يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعني على سكرات الموت وفي رواية ان للموت سكرات * قالت عائشة وثقل رأسه صلى الله عليه وسلم في حجري فنظرت في وجهه واذا بصره قد شخص وهو يقول بل الرفيق ا...

العرب شنوا الغارة على السواد فارسل هرمز بهرام خشنش ويعرف بجوبين في اثني عشر
ألفا من المقاتلة اختارهم من عسكره فسار مجدا وواقع شابه ملك الترك فقتله برمية رماها
واستباح عسكره ثم وافاه برموده بن شابه فهزمه أيضا وحصره في بعض الحصون حتى
استسلم فارسله الى هرمز أسيرا وغنم ما في الحصن فكان عظيما ثم خاف بهرام ومن معه
هرمز فخلعوه وساروا نحو المدائن وأظهروا ان ابنه ابرويز اصلح للملك منه وساعدهم على
ذلك بعض من كان بحضرة هرمز وكان غرض بهرام ان يستوحش هرمز من ابنه ابرويز
ويستوحش ابنه منه فيختلفا فان ظفر ابرويز بأبيه كان أمره على بهرام سهلا وان
ظفر أبوه نجا بهرام والكلمة مختلفة فينال من هرمز غرضه وكان يحدث نفسه
بالاستقلال بالملك فلما علم ابرويز ذلك خاف أباه فهرب الى أذربيجان فاجتمع عليه عدة
من المرازبة والاصبهبذين ووثب العظماء بالمدائن وفيهم بندويه وبسطام خالا ابرويز
فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وتركوه تحرجا من قتله وبلغ ابرويز الخبر فأقبل من أذربيجان
الى دار الملك وكان مملكة هرمز احدى عشرة سنة وتسعة أشهر وقيل اثنتي عشرة سنة
ولم يسمل من ملوك الفرس غيره لا قبله ولا بعده * ومن محاسن السير ما حكى عنه أنه لما فرغ
من بناء داره التي تشرف على دجلة مقابل المدائن عمل وليمة عظيمة وأحضر الناس من
الاطراف فأكلوا ثم قال لهم هل رأيتم في هذه الدار عيبا فكلهم قال لا عيب فيها فقام
رجل وقال فيها ثلاثة عيوب فاحشة احدها ان الناس يجعلون دورهم في الدنيا وأنت
جعلت الدنيا في دارك فقد أفرطت في توسيع صحونها وبيوتها فتتمكن الشمس في الصيف
والسموم فيؤذي ذلك أهلها ويكثر فيها في الشتاء البرد والثاني ان الملوك يتوصلون في
البناء على الانهار لتزول همومهم وأفكارهم بالنظر الى المياه ويترطب الهواء وتضيء
أبصارهم وأنت قد تركت دجلة وبنيتها في القفر والثالث أنك جعلت حجرة النساء مما
يلي الشمال من مساكن الرجال وهو أدوم هبوبا فلا يزال الهواء يجيء بأصوات النساء
وريح طيبهن وهذا ما تمنعه الغيرة والحمية فقال هرمز اما سعة الصحون والمجالس فخير
المساكن ما سافر فيه البصر وشدة الحر والبرد يدفعان بالخيش والملابس والنيران وأما
مجاورة الماء فكنت عند أبي وهو يشرف على دجلة فغرقت سفينة تحته فاستغاث من
بها اليه وأبي يتأسف عليهم ويصيح بالسفن التي تحت داره ليلحقوهم فالى أن يلحقوهم
غرق بجمعهم فجعلت في نفسي أنني لا أجاور سلطانا هو أقوى مني وأما عمل حجرة النساء في
جهة الشمال فقصدنا به ان الشمال أرق هواء وأقل وخامة والنساء يلازمن البيوت
فعملنا لذلك وأما الغيرة فان الرجال لا يخلون بالنساء وكل من يدخل هذه الدار انما هو مملوك
وعبد لقيم وأما أنت فما أخرج هذا منك الا بغض لي فأخبرني عن سببه فقال الرجل لي قرية
ملك كنت أنفق حاصلها على عيالي فغلبني المرزبان فأخذها مني فقصدتك أتظلم منذ سنتين
فلم أصل اليك فقصدت وزيرك وتظلمت اليه فلم ينصفني وأنا أؤدي خراج القرية حتى
لا يزول اسمي عنها وهذا غاية الظلم ان يكون غيري يأخذ دخلها وأنا أؤدي خراجها فسأل
هرمز وزيره فصدقه وقال خفت أعلمك فيؤذيني المرزبان فأمر هرمز أن يؤخذ من

الرفيق الاعلى فعلمت انه قد خير فلم يخترنا وكان يحدثنا انه لا يموت نبي حتى يخير في البقاء في الدنيا واللحاق بالله تعالى واستاذن
عليه ملك الموت ولم يستأذن على
احد قبله * وفي حياة الحيوان ان
اسماء بنت عميس زوجة الصديق
وضعت يدها بين كتفيه فقالت
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد رفع الخاتم من بين كتفيه وبه
عرف موته صلى الله عليه وسلم لانه
لم يتغير عما كان في حياته * وتوفي يوم
الاثنين ضحوة النهار لاثنتي عشرة
ليلة خلت من ربيع الاول سنة
احدى عشرة من الهجرة وتولى
غسله حسبما أوصى علي بن أبي
طالب رضي الله عنه والعباس
والفضل وقثم ابنا العباس واسامة
ابن زيد وشقران مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانا يصبان الماء
عليه من بئر أريس من وراء الستر
واعينهما معصوبة لحديث علي
رضي الله عنه لا يغسلني الا أنت
فانه لا يرى أحد عورتي الا طمست
عيناه كذا في الشفاء * واختلفوا في
نزع قميصه فسمعوا صوتا لا تنزعوا
عنه قميصه وكان يقول علي بن أبي
طالب رضي الله عنه بأبي أنت وامي
طبت حيا وميتا ولم ير منه ما يرى
من ميت * وكفن في ثلاثة أثواب
ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء
انه اختلف المهاجرون والانصار
في محل دفنه فمنهم من قال ندفنه بمكة
بلده التي ولد فيها وقال آخرون بل
بمسجده وقال آخرون بل بالبقيع
وقال آخرون بل ببيت المقدس
مدفن الانبياء فما وجدوا عند احد
من ذلك علما فقال ابو بكر الصديق
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي يقبض الا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه فرجعوا الى كلامه ودفنوه ليلة

المرزبان ضعف ما أخذ وان يستخدمه صاحب القرية فى أى شغل شاء سنتين وعزل وزيره وقال فى نفسه اذا كان الوزير يراقب الظالم فالحرى ان غيره يراقبه فأمر باتخاذ صندوق وكان يقفله ويختمه بخاتم ويتركه على باب داره وفيه خرق يلقى فيه رقاع المتظلمين وكان يفتحه كل اسبوع ويكشف المظالم ثم افكر وقال اريد اعرف ظلم الرعية ساعة فساعة واتخذ سلسلة طرفها فى مجلسه فى السقف والطرف الآخر خارج الدار فى روزنة وفيها جرس وكان المتظلم يحرك السلسلة فيحرك الجرس فيحضره ويكشف ظلامته

•(ذكر علكة كسرى ابرويز بن هرمز)•

وكان من أشد ملوكهم بطشا وانفذهم رأيا وبلغ من البأس والنجدة وجمع الاموال ومساعدة الاقدار مالم يبلغه ملك قبله ولذلك لقب ابرويز ومعناه المظفر وكان فى حياة أبيه قد سعى به بهرام جوبين الى ابيه أنه يريد الملك لنفسه فلما علم ذلك سار الى أذربيجان سرا وقيل غير ذلك وقد تقدم فلما وصلها بايعه من كان بها من العظماء واجتمع من بالمدائن على خلع ابيه فلما سمع ابرويز بادر الوصول الى المدائن قبل بهرام جوبين فدخلها قبله ولبس التاج وجلس على السرير ثم دخل الى أبيه وكان قد سمل فأعلمه انه برىء مما فعل به وانما كان هربه للخوف منه فصدقه وسأله ان يرسل اليه كل يوم من يؤنسه وان ينتقم ممن خلعه وسمل عينيه فاعتذر بقرب بهرام منه فى العساكر وانه لا يقدر على ان ينتقم ممن فعل به ذلك الا بعد الظفر ببهرام وسار بهرام الى النهروان وسار ابرويز اليه فالتقيا هنالك ورأى ابرويز من أصحابه فتورا فى القتال فانهزم ودخل على أبيه وعرفه الحال فاستشاره فاشار عليه بقصد موريق ملك الروم وجهز ثانيا وسار فى عدة يسيرة فيهم خالاه بندويه وبسطام وكردى أخو بهرام فلما خرجوا من المدائن خاف من معه أن بهرام يرد هرمز الى الملك ويرسل الى ملك الروم فى ردهم فيردهم اليه فاستأذنوا ابرويز فى قتل أبيه هرمز فلم يحر جوابا فانصرف بندويه وبسطام وبعض من معهم الى هرمز فقتلوه خنقا ثم رجعوا الى ابرويز وساروا مجدين الى ان جاوزوا الفرات ودخلوا ديرا يستريحون فيه فلما دخلوا غشيتهم خيل بهرام جوبين ومقدمها رجل اسمه بهرام بن سياوش فقال بندويه لابرويز احتل لنفسك قال ما عندى حيلة قال بندويه انا ابذل نفسى دونك وطلب منه بزته فلبسها وخرج ابرويز ومن معه من الدير وتواروا بالجبل ووافى بهرام الدير فرأى بندويه فوق الدير عليه بزة ابرويز فاعتقده هو وسأله ان ينظره الى غد ليصير اليه سلما ففعل ثم ظهر من الغد على حيلته فحمله الى بهرام جوبين فحبسه ودخل بهرام جوبين دار الملك وقعد على السرير ولبس التاج فانصرفت الوجوه عنه لكن الناس اطاعوه خوفا وواطأ بهرام بن سياوش بندويه على الفتك ببهرام جوبين فعلم بهرام جوبين بذلك فقتل بهرام وافلت بندويه فلحق باذربيجان وسار ابرويز الى انطاكية وارسل أصحابه الى الملك فوعده النصرة وتزوج ابرويز ابنة الملك موريق واسمها مريم وجهز معه العساكر الكثيرة فبلغت عدتهم سبعين الفا فيهم رجل يعد بالف مقاتل فرتبهم ابرويز وسار بهم الى اذربيجان فوافاه بندويه وغيره من المقدمين والاساورة فى أربعين ألف فارس من أصبهان وفارس وخراسان وسار الى

المدائن

الاربعاء فى حجرة عائشة تحت فراشه الذى مات عليه وهو موضع طينته التى خلق منها وحفر له ابو طلحة الانصارى ونزل فى قبره على بن ابى طالب رضى الله عنه وابنا العباس وعزى اهل بيته الخضر عليه السلام وصلى عليه جبريل وميكائيل وخازن الجنة ومعهم ألوف من الملائكة يسمع خفق اجنحتهم وكثرة استرجاعهم ولا يرى منهم أحد وصلى الناس عليه أرسالا ولم يؤم الناس احد حتى اذا فرغ الرجال دخل الصبيان وفى شواهد النبوة سئل على بن أبى طالب رضى الله عنه عن سبب زيادة فهمه وحفظه قال لما غسلت رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع ما فى جفونه فرفعته بلسانى وازدردته فأرى قوة حفظى منه ثم انهم لما فرغوا من دفنه صلى الله عليه وسلم خرجت فاطمة وقعدت تندب على قبر أبيها وتقول واأبتاه وارسول الله وانبى الرحمة الآن لا يأتى الوحى الآن ينقطع عنا جبريل اللهم ألحق روحى بروحه وأشفعنى بالنظر الى وجهه ولا تحرمنى اجره وشفاعته يوم القيامة وأخذت تربة من تراب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشمته ثم انشأت تقول

ماذا على من شم تربة احمد
أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها
صبت على الايام صرن لياليا

قال أنس بن مالك مررت على باب عائشة رضى الله عنها وكانت تندب النبى عليه السلام وتقول يا من لا يشبع من خبز الشعير يا من اختار الحصير على السرير يا من لم ينم الليل كله خوف السعير ولما صار من أمر عثمان ما صار كانت عائشة تخرج قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعره وتقول

المدائن فخرج بهرام جوبين نحوه فجرى بينهما حرب شديدة فقتل فيها الفارس الرومي الذي يعد بالف فارس ثم انهزم بهرام جوبين وسار الى الترك وسار ابرويز من المعركة ودخل المدائن وفرق الاموال في الروم فبلغت جملتها عشرين ألف ألف فاعادهم الى بلادهم واقام بهرام جوبين عند الترك مكرما فارسل ابرويز الى زوجة الملك واجزل لها الهدية من الجواهر وغيرها وطلب منها قتل بهرام فوضعت عليه من قتله فاشتد قتله على ملك الترك ثم علم ان زوجته قتلته فطلقها ثم ان ابرويز قتل بندويه واراد قتل بسطام فهرب منه الى طبرستان لحسابتها فوضع ابرويز عليه فقتله وأما الروم فانهم خلعوا ملكهم موريق بعد أربع عشرة سنة من ملك ابرويز وقتلوه وملكوا عليهم بطريقا اسمه فوقاس فأباد ذرية موريق سوى ابن له هرب الى كسرى ابرويز فارسل معه العساكر وتوجه وملكه على الروم وجعل على عساكره ثلاثة نفر من قواده واساورته أما أحدهم فكان يقال له بوران وجهه في جيش منها الى الشام فدخلها حتى انتهى الى البيت المقدس فاخذ خشبة الصليب التي تزعم النصارى ان المسيح عليه السلام صلب عليها فارسلها الى كسرى ابرويز وأما القائد الثاني فكان يقال له شاهين فسيره في جيش آخر الى مصر فافتتحها وارسل مفاتيح الاسكندرية الى ابرويز واما القائد الثالث وهو أعظمهم فكان يقال له فرخان وتدعى مرتبته شهر براز وجعل مرجع القائدين الاولين اليه وكانت والدته منجبة لا تلد الانجبا فاحضرها ابرويز وقال لها اني أريد ان اوجه جيشا الى الروم استعمل عليه بعض بنيك فاشيري على أيهم استعمل فقالت اما فلان فاروغ من ثعلب واحذر من صقر واما فرخان فهو انفذ من سنان واما شهر براز فهو أحلم من كذى فقال قد استعملت الحليم فولاه أمر الجيش فسار الى الروم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع أشجارهم وسار في بلادهم الى القسطنطينية حتى نزل على خليجها القريب منها ينهب و يغير ويخرب فلم يخضع لابن موريق احد ولا اطاعه غير ان الروم قتلوا فوقاس لفساده وملكوا عليهم بعده هرقل وهو الذي أخذ المسلمون الشام منه فلما رأى هرقل ما أهم الروم من النهب والقتل والبلاء تضرع الى الله تعالى ودعاه فرأى في منامه رجلا كث اللحية رفيع المجلس عليه بزة حسنة فدخل عليهما داخل فالقى ذلك الرجل من مجلسه وقال لهرقل اني قد اسلمته في يدك فاستيقظ فلم يقص رؤياه فرأى في الليلة الثانية ذلك الرجل جالسا في مجلسه وقد دخل الرجل الثالث و بيده سلسلة فالقاها في عنق ذلك الرجل وسلمه الى هرقل وقال قد دفعت اليك كسرى برمته فاغزه فانك مدال عليه و بالغ أمنيتك في أعدائك فقص حينئذ هذه الرؤيا على عظماء الروم فاشاروا عليه ان يغزوه فاستعد هرقل واستخلف ابنا له على القسطنطينية وسلك غير الطريق الذي عليه شهر براز وسار حتى اوغل في بلاد ارمينية وقصد الجزيرة فنزل نصيبين فارسل اليه كسرى جندا وأمرهم بالمقام بالموصل وأرسل الى شهر براز يستحثه على القدوم عليه ليتظافرا على قتال هرقل وقيل في مسيره غير هذا وهو ان شهر براز سار الى بلاد الروم فوطئ الشام حتى وصل الى اذرعات ولقي جيوش الروم بها فهزمها وظفر بها وسبى وغنم وعظم شأنه ثم ان فرخان اخا

عليه وسلم عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا من الصحابة قال صاحب فردوس الاخبار يخرج نور النبي عليه السلام من قبره وهو النور الذي يراه الناس فيتلألأ فوقه ثم ينقسم ستة وأربعين قسما فيسير كل قسم منه الى رجل من أمته فيصير عاشقا ولا يزال هكذا الى يوم القيامة وفي نزهة النواظر ان الله تعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بان ينزل عليه سبعون ألف ملك كل يوم في فجره يحفون بتربته الزكية الثناء ويصلون عليه الى المساء ثم يصعدون ويأتي مثلهم ٢ على نوبهم في الكرامة ليلا ونهارا الى يوم القيامة واختلف الصحابة في ميراثه صلى الله عليه وسلم فما وجدوا عند أحد من ذلك علما ٣ فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة

الباب الثاني في ذكر الخلفاء الراشدين والائمة المهديين رضوان الله عليهم أجمعين وفيه أربعة فصول

•(الفصل الاول في ذكر أبي بكر الصديق معدن الهدى والتصديق رضي الله عنه)•

وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام مرضه وابن عمه الاعلى وصهره ووزيره وخير الخلق بعده وكان كبير الشان زاهدا خاشعا اماما حليما وقورا شجاعا صابرا رؤفا اسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب

٢٥ مل ل ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لوى بن غالب القرشي التيمي يلتقي مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة

ولتبه عتيق لعتقه من النار وقيل لعتاقة وجهه أي جماله ومن ذلك الخيل العتاق أي الحسان واجتمعت الامة على تسميته
بالصديق لانه بادر الى تصديق النبي
صلى الله عليه وسلم ولازم الصدق
وكان رجلا أبيض نحيفا الجسم
خفيف العارضين أجنا يسترخي
ازاره فلا يستمسك على حقويه
معروق الوجه غائر العينين ناتئ
الجبهة عاري الاشاجع وكان
يخضب بالحناء والكتم ومولده قبل
النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين
ونصف وأمه بنت عم أبيه اسمها
سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب
وتكنى أم الخير وهو أول من أسلم
من الرجال على أصح الاقوال وفيه
درحسان حيث قال

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها
الا النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده
وأول الناس ممن صدق الرسلا

وشاعة شاتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانت له في الاسلام
المواقف الرفيعة منها قصة تصديقه
بالاسراء وجوابه الكفار في ذلك
وهجرته مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وترك عياله بين العدو
ومرافقته له في الغار وسائر الطرق
وثباته حين وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم وخطبته الناس
وتسكينهم ثم قتاله أهل الردة ومن
أحسن مناقبه وأجل فضائله
استخلافه على المسلمين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وكان
منشؤه بمكة لا يخرج منها الا لتجارة
وكان ذا مال جزيل واحسان وتفضل في قومه وكان من رؤساء قريش في الجاهلية وأهل مشاورتهم فكان اليه

شهر براز شرب الخمر يوما وقال لقد رأيت في المنام كأني جالس على سرير كسرى فبلغ الخبر
كسرى فكتب الى أخيه شهر براز يأمره بقتله فعاوده واعلمه بشجاعته ونكايته في العدو
فعاد كسرى وكتب اليه بقتله فراجعه فكتب اليه الثالثة فلم يفعل فكتب كسرى بعزل
شهر براز وولاية فرخان العسكر فأطاع شهر براز فلما جلس على سرير الامارة القى اليه
القاصد بولايته كتابا صغيرا من كسرى يأمره بقتل شهر براز فعزم على قتله فقال له شهر براز
امهلني حتى اكتب وصيتي فأمهله فاحضر درجا واخرج منه كتب كسرى الثلاثة واطلعه
عليها وقال انا راجعت فيك ثلاث مرات ولم اقتلك وانت تقتلني في مرة واحدة فاعتذر
اخوه اليه واعاده الى الامارة واتفقا على موافقة ملك الروم على كسرى فارسل شهر براز
الى هرقل ان لي اليك حاجة لا يحملها البريد ولا تسعها الصحف فالقني في خمسين روميا
فاني القاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في جيوشه جميعها ووضع عيونه تأتيه بخبر
شهر براز وخاف ان يكون مكيدة فاتته عيونه فاخبروه انه في خمسين فارسيا فحضر عنده
في مثلها واجتمعا وبينهما ترجمان فقال له انا واخي خربنا بلادك وفعلنا ما علمت وقد حسدنا
كسرى واراد قتلنا وقد خلعناه ونحن نقاتل معك ففرح هرقل بذلك واتفقا عليه وقتلا
الترجمان لئلا يفشي سرهما وسار هرقل في جيشه الى نصيبين وبلغ كسرى ابرويز الخبر
فارسل لمحاربة هرقل قائدا من قواده اسمه راهزار في اثني عشر الفا وامره ان يقيم بنينوى
من أرض الموصل على دجلة يمنع هرقل من ان يجوزها واقام هو بدسكرة الملك فارسل
راهزار العيون فاخبروه ان هرقل في سبعين ألف مقاتل فارسل الى كسرى يعرفه ذلك
وانه يعجز عن قتال هذا الجمع الكثير فلم يعذره وأمره بقتاله فاطاع وعبى جنده وسار هرقل
نحو جنود كسرى وقطع دجلة من غير الموضع الذي فيه راهزار فقصده راهزار ولقيه
فاقتتلوا فقتل راهزار وستة آلاف من اصحابه وانهزم الباقون وبلغ الخبر ابرويز وهو
بدسكرة الملك فهاله ذلك وعاد الى المدائن وتحصن بها لعجزه عن محاربة هرقل وكتب الى
قواد الجند الذين انهزموا يتهددهم بالعقوبة فاحوجهم الى الخلاف عليه على ما نذكره
ان شاء الله وسار هرقل حتى قارب المدائن ثم عاد الى بلاده وكان سبب عوده ان كسرى لما
عجز عن هرقل أعمل الحيلة فكتب كتابا الى شهر براز يشكره ويثني عليه ويقول له
أحسنت في فعل ما أمرتك به من مواصلة ملك الروم وتمكينه من البلاد والآن فقد
اوغل وامكن من نفسه فتجيء انت من خلفه وانا من بين يديه ويكون اجتماعنا عليه يوم
كذا فلا يفلت منهم أحد ثم جعل الكتاب في عكاز ابنوس واحضر راهبا في دير عند
المدائن وقال له لي اليك حاجة فقال الراهب الملك اكبر من ان يكون له الي حاجة ولكني
عبده قال ان الروم قد نزلوا قريبا منا وقد حفظوا الطرق عنا ولي الى أصحابي الذين
بالشام حاجة وانت نصراني اذا جزت على الروم لا ينكرونك وقد كتبت كتابا وهو في هذه
العكازة فتوصله الى شهر براز واعطاه مائتي دينار فاخذ الكتاب وفتحه وقرأه ثم اعاده
وسار فلما سار بالعسكر ورأى الروم والرهبان والنواقيس رق قلبه وقال انا شر الناس
ان اهلكت النصرانية فاقبل الى سرادق الملك وانهى حاله وأوصل الكتاب اليه فقرأه ثم

احضر

احضر أصحابه رجلا قد أخذوه من طريق الشام قد واطأه كسرى ومعه كتاب قد افتعله على لسان شهريراز الى كسرى يقول انى مازلت اخادع ملك الروم حتى اطمأن الىّ وجاز الى البلاد كما أمرتنى فيعرفنى الملك فى أى يوم يكون القاؤه حتى اهجم انا عليه من ورائه والملك من بين يديه فلا يسلم هو ولا اصحابه وامره ان يتعمد طريقا يؤخذ فيها فلما قرأ ملك الروم الكتاب الثانى تحقق الخبر فعاد شبه المنهزم مبادرا الى بلاده ووصل خبر عوده ملك الروم الى شهريراز فاراد ان يستدرك ما فرط منه فعارض الروم فقتل منهم قتلا ذريعا وكتب الى كسرى انى عملت الحيلة على الروم حتى صاروا فى العراق وانفذ من رؤسهم شيأ كثيرا وفى هذه الحادثة انزل الله تعالى الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون يعنى بادنى الارض اذرعات وهى أدنى ارض الروم الى العرب وكانت الروم قد هزمت بها فى بعض حروبها وكان النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد ساءهم ظفر الفرس أولا بالروم لان الروم أهل كتاب وفرح الكفار لان المجوس أميون مثلهم فلما نزلت هذه الآيات راهن ابو بكر الصديق أبىّ بن خلف على ان الظفر يكون للروم الى تسع سنين والرهن مائة بعير فغلبه ابو بكر ولم يكن الرهن ذلك الوقت حراما فلما ظفرت الروم اتى الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية

(ذكر ما رأى كسرى من الآيات بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

فمن ذلك ان كسرى ابرويز سكر دجلة العوراء وانفق عليها من الاموال ما لا يحصى كثرة وكان طاق مجلسه قد بنى بنيانا لم ير مثله وكان عنده ثلثمائة وستون رجلا من الحزاة من بين كاهن وساحر ومنجم وكان فيهم رجل من العرب اسمه السائب بعث به باذان من اليمن وكان كسرى اذا أحزنه امر جمعهم فقال انظروا فى هذا الامر ما هو فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أصبح كسرى وقد انفصم طاق ملكه من غير ثقل وانخرقت دجلة العوراء فلما رأى ذلك احزنه وقال انفصم طاق ملكى وانخرقت دجلة العوراء شاه بشكست يقول الملك انكسر ثم دعا كهانه وسحاره ومنجميه وفيهم السائب فقال لهم انظروا فى هذا الامر فنظروا فى أمره فاخذت عليهم اقطار السماء واظلمت الارض فلم يمض لهم ما راموه وبات السائب فى ليلة ظلماء على ربوة من الارض ينظر فرأى برقا من قبل الحجاز استطار فبلغ المشرق فلما اصبح رأى تحت قدميه روضة خضراء فقال فيما يعتاف ان صدق ما ارى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عليه الارض كافضل ما اخصبت على ملك فلما خلص الكهان والمنجمون والسحار بعضهم الى بعض ورأوا ما اصابهم ورأى السائب ما رأى قال بعضهم لبعض والله ما حال بينكم وبين علمكم الا امر جاء من السماء وانه لنبى بعث أو هو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره ولئن نعيتم لكسرى ملكه ليقتلنكم فاتفقوا على ان يكتموه الامر وقالوا له قد نظرنا فوجدنا ان وضع دجلة العوراء وطاق الملك قد وضع على النحوس فلما اختلف الليل والنهار وقعت النحوس مواقعها فزال كل ما وضع عليها وانا نحسب لك حسابا تضع عليه بنيانك فلا يزول فحسبوا وأمروه بالبناء فبنى دجلة العوراء فى ثمانية أشهر فانفق عليه اموالا جليلة حتى

الامور كلها وذلك ان قريشا لم يكن لها ملك ترجع اليه بل كان لهم فى كل قبيلة رئيس تكون الولاية له فكانت فى بنى هاشم السقاية والرفادة ومعنى ذلك انه لا يأكل ولا يشرب احد الا من طعامهم وشرابهم وكان من اعف الناس ولقد ترك هو وعثمان بن عفان رضى الله عنهما شرب الخمر فى الجاهلية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كلمت فى الاسلام أحدا الا أبى علىّ وراجعنى الكلام الا ابن ابى قحافة فانى لم اكلمه فى شئ الا قبله واستقام عليه وفى حديث رواه عبد الله التيمى قال ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر الا ابا بكر ما عتم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه قال العلماء صحب ابو بكر النبى صلى الله عليه وسلم ولبث الى ان توفى لم يفارقه سفرا ولا حضرا الا فيما اذن له وشهد المشاهد كلها اخرج البزار فى مسنده عن على رضى الله عنه انه قال اخبرونى من اشجع الناس قالوا أنت قال انى ما بارزت احدا الا انتصفت منه ولكن اخبرونى باشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر انه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون معه لئلا يهوى اليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد الا ابو بكر شاهرا سيفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى اليه احد الا هوى اليه فهذا اشجع الناس وانه أجود الصحابة قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى اجمعوا على انها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأخرج احمد عن أبى هريرة

فرغ فقال لهم أجلس على سورها قالوا نعم نجلس فى اساورته فبينما هو هنالك انفجرت دجلة البنيان من تحته فلم يخرج الا بآخر رمق فلما اخرجوه جمع كهانه وسحاره ومنجميه فقتل منهم قريبا من مائة وقال قربتكم واجريت عليكم الارزاق ثم انتم تلعبون بى فقالوا أيها الملك أخطأنا كما اخطأ من قبلنا ثم حسبوا له وبناه وفرغ منه وأمروه بالجلوس عليه نخاف فركب فرسا وسار على البناء فبينما هو يسير انتسفته دجلة فلم يدركه الا بآخر رمق فدعاهم وقال لاقتلنكم أجمعين أو لتصدقونى فصدقوه الامر فقال ويحكم فلا بينتم لى فارى فيه رأيى قالوا منعنا الخوف فتركهم واهى عن دجلة حين غلبته وكان ذلك سبب البطائح ولم تكن قبل ذلك وكانت الارض كلها عامرة فلما كانت سنة ست من الهجرة ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى فزاد الفرات والدجلة زيادة عظيمة لم ير قبلها ولا بعدها مثلها فانبثقت البثوق وانتسفت ما كان بناه كسرى واجتهدان يسكرها فغلبه الماء كاينا ومال الى موضع البطائح فطما الماء على الزروع وغرق عدة طساسيج ثم دخلت العرب ارض الفرس وشغلهم عن عملها بالحروب واتسع الخرق فلما كان زمن الحجاج تفجرت بثوق أخر فلم يسدها مضارة للدهاقين لانه اتهمهم بمالأة ابن الاشعث فعظم الخطب فيها وعجز الناس عن عملها فبقيت على ذلك الى الآن وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بعث الله الى كسرى ملكا وهو فى بيت ايوانه الذى لا يدخل عليه فيه فلم يرعه الا وهو قائما على رأسه فى يده عصا بالهاجرة فى ساعته التى يقيل فيها فقال يا كسرى اسلم او اكسر هذه العصا فقال بهل بهل وانصرف عنه فدعا بحراسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال من ادخل هذا الرجل فقالوا ما دخل علينا أحد ولا رأيناه حتى اذا كان العام المقبل اتاه فى تلك الساعة وقال له اسلم او اكسر العصا فقال بهل بهل وتغيظ على حجابه وحراسه فلما كان العام الثالث اتاه فقال اسلم او اكسر العصا فقال بهل بهل فكسر العصا ثم خرج فلم يكن الا تهور ملكه وانبعاث ابنه والفرس حتى قتلوه وقال الحسن البصرى قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما حجة الله على كسرى فيك قال بعث اليه ملكا فاخرج يده اليه من جدار بيته تلألأ نورا فلما رآها فزع فقال له لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك قال سأنظر

(ذكر وقعة ذى قار وسببها)

ذكروا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما بلغه ما كان من ظفر ربيعة بجيش كسرى هذا أول يوم انتصفت العرب من العجم وبى نصروا وحفظ ذلك منه وكان يوم الوقعة قال هشام بن محمد كان عدى بن زيد التميمى وأخوه عمار وهو ابى وعمرو وهو سمى يكونون مع الاكاسرة ولهم اليهم انقطاع وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان فى حجر عدى بن زيد وكان له غير النعمان احد عشر ولدا وكانوا يسمون الاشاهب لجمالهم فلما مات المنذر بن المنذر وخلف أولاده اراد كسرى ابن هرمز ان يملك على العرب من يختاره فاحضر عدى بن زيد وسأله عن اولاد المنذر فقال هم رجال

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر فبكى ابو بكر رضى الله عنه وقال هل انا ومالى الا لك يا رسول الله وكان صلى الله عليه وسلم يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى فى مال نفسه وكان له يوم أسلم اربعون ألف دينار انفقها فى سبيل الله حتى تخلل بالعباءة واخرج الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه الا ابا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة واخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احد عندى اعظم يدا من أبى بكر واسانى بنفسه وماله وأنكحنى ابنته وانه اعلم الصحابة واذكاهم استدل العلماء على عظيم علمه باحاديث كثيرة منها ما ذكره ابو اسحق فى طبقاته انه سئل ابن عمر رضى الله عنه من كان يفتى الناس فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر وعمر وما اعلم غيرهما وكان اقرأ الصحابة اى اعلمهم بالقرآن لانه صلى الله عليه وسلم قدمه اماما للصلاة بالصحابة مع قوله يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله وهو أول من جمع القرآن بين اللوحين وسماه مصحفا واخرج الترمذى عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر ان يؤمهم غيره وكان مع ذلك اعلمهم بالسنة كما رجع اليه الصحابة فى غير موضع فتبرز عليهم بنقل سنن عن النبى عليه السلام يحفظها ويستحضرها عند الحاجة اليها ليست عندهم وكان يعبر الرؤيا فى زمن النبى عليه السلام وكان اعبر هذه الامة بعد النبى عليه السلام

فامره باحضارهم فكتب عدى فاحضرهم وانزلهم وكان يفضل اخوة النعمان عليه ويريهم انه لا يرجوا النعمان ويخلو بواحد واحد ويقول له اذا سألك الملك اتكفوننى العرب فقولوا نكفيكهم الا النعمان وقال للنعمان اذا سألك الملك عن اخوتك فقل له اذا عجزت عن اخوتى فانا عن غيرهم اعجز وكان من بنى مرينا رجل يقال له عدى بن أوس ابن مرينا وكان داهيا شاعرا وكان يقول للاسود بن المنذر قد عرفت انى ارجوك وعينى اليك وانى أريد ان تخالف عدى بن زيد فانه والله لا ينصح لك أبدا فلم يلتفت الى قوله فلما أمر كسرى عدى بن زيد ان يحضرهم احضرهم رجلا رجلا وسألهم كسرى اتكفوننى العرب فقالوا نعم الا النعمان فلما دخل عليه النعمان رأى رجلا دميما احمر ابرش قصيرا فقال له اتكفينى اخوتك والعرب قال نعم وان عجزت عن اخوتى فانا عن غيرهم أعجز فملكه وكساه والبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم فقال عدى بن مرينا للاسود دونك فقد خالفت الرأى ثم صنع عدى بن زيد طعاما ودعا عدى بن مرينا اليه وقال انى عرفت ان صاحبك الاسود كان أحب اليك ان يملك من صاحبى النعمان فلا تلمنى على شئ كنت على مثله وانى احب ان لا تحقد على وان نصيبى من هذا الامر ليس باوفر من نصيبك وحلف لابن مرينا ان لا يهجوه ولا يبغيه غائلة أبدا فقام ابن مرينا وحلف انه لا يزال يهجوه ويبغيه الغوائل وسار النعمان حتى نزل الحيرة وقال ابن مرينا للاسود اذا فاتك الملك فلا تعجز ان تطلب بثارك من عدى فان معدا لا ينام مكرها وأمرتك بعصيته فخالفتنى واريد ان لا يأتيك من مالك شئ الا عرضته على ففعل وكان ابن مرينا كثير المال وكان لا يخلى النعمان يوما من هدية وطرفة فصار من اكرم الناس عليه وكان اذا ذكر عدى بن زيد وصفه وقال الا انه فيه مكر وخديعة واستمال اصحاب النعمان فمالوا اليه ووضعهم على ان قالوا للنعمان ان عدى بن زيد يقول انك عامله ولم يزالوا بالنعمان حتى اضغنوه عليه فارسل الى عدى يستزيره فاستأذن عدى كسرى فى ذلك فاذن له فلما أتاه لم ينظر اليه حتى حبسه ومنع من الدخول عليه فجعل عدى يقول الشعر وهو فى السجن وبلغ النعمان قوله فندم على حبسه اياه وخاف منه اذا أطلقه فكتب عدى الى أخيه أبى ابياتا يعلمه بحاله فلما قرأ ابياته وكتابه كلم كسرى فيه فكتب الى النعمان وأرسل رجلا فى اطلاق عدى وتقدم أخو عدى الى الرسول بالدخول الى عدى قبل النعمان ففعل ودخل على عدى واعلمه انه أرسل لاطلاقه فقال له عدى لا تخرج من عندى واعطنى الكتاب حتى ارسله فانك ان خرجت من عندى قتلنى فلم يفعل ودخل أعداء عدى على النعمان فاعلموه الحال وخوفوه من اطلاقه فارسلهم اليه فخنقوه ثم دفنوه وجاء الرسول فدخل على النعمان بالكتاب فقال نعم وكرامة وبعث اليه باربعة الاف مثقال وجارية وقال اذا أصبحت ادخل اليه فخذه فلما أصبح الرسول غدا الى السجن فلم ير عديا وقال له الحرس انه مات منذ ايام فرجع الى النعمان واخبره انه رآه بالامس ولم يره اليوم فقال كذبت وزاده رشوة واستوثق منه ان لا يخبر كسرى الا انه مات قبل وصوله الى النعمان قال وندم النعمان على قتله واجترأ اعداء عدى على النعمان وهابهم هيبة

وكان من أفصح الناس وأخطبهم وكان من اعلم الناس بالله واخوفهم له وكان اسد الصحابة رأيا واكملهم عقلا واخرج تمام الرازى فى فوائده وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتانى جبريل فقال ان الله يأمرك ان تستشير ابا بكر قال النووى فى تهذيبه روى الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنين واربعين حديثا وسبب قلة روايته قصر مدته وسرعة وفاته بعد النبى صلى الله عليه وسلم وكان الذين فى زمنه من الصحابة لا يحتاج أحدهم ان ينقل عنه ما قد شاركه هو فى روايته فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم وفى نزهة الاسرار نقلا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى الى السماء وقفت بين يدى رب العزة فقال يا أحمد على من تركت اهل ارضى فقلت على أبى بكر الصديق فقال اما انه احب عبادى الى بعدك فاقرئه منى السلام وكم للصديق من موقف واثر ومناقب وفضائل لم تخف اجمع اهل السنة على ان افضل الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم سائر العشرة ثم باقى اهل بدر ثم باقى اهل احد ثم باقى اهل البيعة ثم باقى الصحابة وفى الاوسط عن اسعد بن زرارة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس جبريل اخبرنى ان خير امتك بعدك ابو بكر واخرج ابن سعد عن الزهرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت هل قلت فى ابى بكر شيأ قال نعم فقال قل وانا اسمع فقال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ❊ طاف العدو به اذ صعد الجبلا وكان حب رسول الله قد علموا ❊ من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال صدقت يا حسان هو كما قلت وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد وابو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال هكذا نبعث يوم القيامة وأخرج أبوداود والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي واخرج ابو سعد عن ابن شهاب قال رأى صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على ابي بكر فقال رأيت كاني استبقت انا وانت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يارسول الله يقبضك الله الى مغفرته ورحمته واعيش بعدك سنتين ونصفا فكان كذلك وكان موته كمدا على وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال جسمه ينقص حتى مات واخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب ان أبا بكر والحرث بن كلدة كانا ياكلان حريرة اهديت لابي بكر فقال الحرث لابي بكر ارفع يدك يا خليفة رسول الله ان فيها لسم سنة وانا وانت نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة واخرج الواقدي والحاكم عن عائشة قالت كان أول بدء مرض أبي انه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج

شديدة فخرج النعمان في بعض صيده فرأى ابنا لعدي يقال له زيد فكلمه وفرح به فرحا شديدا واعتذر اليه من أمر ابيه وسيره الى كسرى ووصفه له وطلب اليه ان يجعله مكان ابيه ففعل كسرى وكان يلي ما يكتب الى العرب خاصة وسأله كسرى عن النعمان فاحسن الثناء عليه واقام عند الملك سنوات بمنزلة ابيه وكان يكثر الدخول على كسرى وكان الملوك الاعاجم صفة للنساء مكتوبة عندهم وكانوا يبعثون في طلب من يكون على هذه الصفة من النساء ولا يقصدون العرب فقال له زيد بن عدي اني أعرف عند عبد النعمان من بناته وبنات عمه اكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة قال فتكتب فيهن قال ايها الملك ان شر شيء في العرب وفي النعمان انهم يتكرمون بانفسهم عن العجم فانا اكره ان يتعنتهن وان قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك فابعثني وابعث معي رجلا يفقه العربية فبعث معه رجلا جلدا فخرجا حتى بلغا الحيرة ودخلا على النعمان قال له زيد ان الملك احتاج الى نساء لاهله وولده واراد كرامتك فبعث اليك قال وما هؤلاء النسوة قال هذه صفتهن قد جئنا بها وكانت الصفة ان المنذر أهدى انوشروان جارية أصابها عند الغارة على الحرث بن ابي شمر الغساني وكتب يصفها أنها معتدلة الخلق نقية اللون والثغر بيضاء وطفاء قرناء دعجاء حوراء عيناء قنواء شماء شمراء زجاء برجاء اسيلة الخد شهية القد جثلة الشعر بعيدة مهوى القرط عيطاء عريضة الصدر كاعب الثدي ضخمة مشاشة المنكب والعضد حسنة المعصم لطيفة الكف سبطة البنان لطيفة طي البطن خميصة الخصر غرثى الوشاح رداح القبل رابية الكفل لفاء الفخذين ريا الروادف ضخمة المكمين عظيمة الركبة مفعمة الساق مشبعة الخلخال لطيفة الكعب والقدم قطوف المشي مكسال الضحى بضة المتجرد سموع للسيد ليست بخنساء ولا سفعاء ذليلة الانف عزيزة النفر لم تغذ في بؤس حيية رزينة ركينة كريمة الخال تقتصر بنسب أبيها دون فصيلتها وبفصيلتها دون جماع قبيلتها قد احكمتها الامور في الادب فرأيها رأي اهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة صناع الكفين قطيعة اللسان رهوة الصوت تزين البيت وتشين العدو ان اردتها اشتهت وان تركتها انتهت تحملق عيناها وتحمر خداها وتذبذب شفتاها وتبادرك الوثب فقبلها كسرى وأمر باثبات هذه الصفة فبقيت الى أيام كسرى ابن هرمز فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان فشق ذلك عليه وقال لزيد والرسول يسمع ما في عين السواد وفارس ما تبلغون حاجتكم فقال الرسول لزيد ما العين قال البقر وانزلهما يومين وكتب الى كسرى ان الذي طلب الملك ليس عندي وقال لزيد اعذرني عنده فلما عاد الى كسرى قال لزيد أين ما كنت اخبرتني قال قد قلت للملك وعرفته بخلهم بنسائهم على غيرهم وان ذلك لشقائهم وسوء اختيارهم وسل هذا الرسول عن الذي قال فاني اكرم الملك عن ذلك فسأل الرسول فقال انه قال ما في بقر السواد ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا فعرف الغضب في وجهه ووقع في قلبه وقال رب عبد قد اراد ما هو اشد من هذا فصار امره الى التباب وبلغ هذا الكلام النعمان وسكت كسرى على ذلك اشهرا والنعمان يستعد حتى اتاه كتاب كسرى يستدعيه فحين وصل الكتاب أخذ سلاحه

وماتوى عليه ثم لحق بجبلي طيء وكان متزوجا اليهم وطلب منهم ان يمنعوه فابوا عليه خوفا من كسرى فاقبل وليس احد من العرب يقبله حتى نزل في ذي قار في بني شيبان سرا فلقي هانئ بن مسعود بن عمرو الشيباني وكان سيدا منيعا والبيت من ربيعة في آل ذي الجدين لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين وكان كسرى قد اطعمه الابلة فكره النعمان ان يدفع اليه اهله لذلك وعلم ان هانئا يمنعه مما يمنع منه اهله فاودعه اهله وماله وفيه اربعمائة درع وقيل ثمانمائة درع وتوجه النعمان الى كسرى فلقي زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال انج نعيم فقال انت يازيد فعلت هذا اما والله لئن انفلت لافعلن بك مافعلت بابيك فقال زيد امض نعيم فقد والله وضعت لك أخية لا يقطعها المهر الارن فلما بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه فقيده وبعث به الى خانقين حتى وقع الطاعون فمات فيه قال والناس يظنون انه مات بساباط ببيت الاعشى وهو يقول

فذاك وما ينجي من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محرزق

وكان موته قبل الاسلام فلما مات استعمل كسرى اياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان وكان كسرى اجتاز به لما سار الى ملك الروم فاهدى له هدية فشكر ذلك له وارسل اليه فبعث كسرى بان يجمع ماخلفه النعمان ويرسله اليه فبعث اياس الى هانئ بن مسعود الشيباني يامره بارسال ما استودعه النعمان فابى هانئ ان يسلم ماعنده فلما ابى هانئ غضب كسرى وعنده النعمان بن زرعة التغلبي وهو يحب هلاك بكر بن وائل فقال لكسرى امهلهم حتى يقيظوا ويتساقطون على ذي قار تساقط الفراش في النار فتأخذهم كيف شئت فصبر كسرى حتى جاؤا نحو ذي قار فارسل اليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم واحدة من ثلاث اما ان يعطوا بايديهم واما ان يتركوا ديارهم واما ان يحاربوا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة العجلي فاشار بالحرب فآذنوا الملك بالحرب فارسل كسرى اياس بن قبيصة الطائي أمير الجيش ومعه مرازبة الفرس والهامرز التسوى وغيره من العرب تغلب واياد وقيس بن مسعود بن قيس بن ذي الجدين وكان على طف سفوان فارسل الفيول وكان قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقسم هانئ بن مسعود دروع النعمان وسلاحه فلما دنت الفرس من بني شيبان قال هانئ بن مسعود يامعشر بكر لاطاقة لكم في قتال كسرى فاركنوا الى الفلاة فسارع الناس الى ذلك فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلي وقال ياهانئ أردت نجاءنا فالقيتنا في الهلكة ورد الناس وقطع وضن الهوادج وهي الحزم للرحال فسمي مقطع الوضن وضرب على نفسه قبة وأقسم ان لا يفر حتى تفر القبة فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر فاتتهم العجم فقاتلتهم بالجنود فانهزمت العجم خوفا من العطش الى الجبابات فتبعتهم بكر وعجل وابلت يومئذ بلاء حسنا اصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس هلكت عجل ثم حملت بكر فوجدت عجلا تقاتل وامرأة منهم تقول

ان تظفروا نحرز وافينا الغزل * ايها فداء لكم بني عجل

فقاتلوهم ذلك اليوم ومالت العجم الى بطحاء ذي قار خوفا من العطش فارسلت اياد الى

الى الصلاة وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وسنه ثلاث وستون سنة وافق عمره عمر النبي صلى الله عليه وسلم وكان اسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج الطبراني عن الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال لما احتضر ابو بكر قال ياعائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نطبخ فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فانا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين فاذا مت فارددية الى عمر فلما مات أبو بكر ارسلت به الى عمر رضي الله عنه فقال عمر رحمك الله ياابابكر لقد اتعبت من جاء بعدك فلما احتضر دعا عثمان رضي الله عنه بعد ان شاور اعيان الصحابة فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن ابي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب اني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا واني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي واياكم خيرا فان عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير اردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمر الكاتب فختمه رضي الله تعالى عنه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعا ابو بكر عمر خاليا فاوصاه بما اوصاه به ثم خرج من عنده فرفع ابو بكر يديه فقال اللهم اني ما اردت بذلك الا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما انت أعلم به

بكر وكانوا مع الفرس وقالوا لهم ان شئتم هربنا الليلة وان شئتم أقمنا ونفر حين تلاقون الناس فقالوا بل تقيمون وتنهزمون اذا التقينا وقال زيد بن حسان السكرلي وكان حليفا لبنى شيبان اطيعونى وا كمنوا لهم فتعلوا ثم تقاتلوا وحرض بعضهم بعضا وقالت ابنة القرين الشيبانية

ايها بنى شيبان صفا بعد صف • ان تنهزموا تصبغوا اقبنا القلف

فقطع سبعمائة من بنى شيبان ايدى أقيتهم من مناكبهم لتخف أيديهم لضرب السيوف فجالدوهم وبادر الهامرز برز اليه برد بن حارثة اليشكرى فقتله برد ثم حملت ميسرة بكر وميمنتها وخرج الكمين فشدوا على قلب الجيش وفيهم اياس بن قبيصة الطائى وولت اياد منهزمة كما وعدتهم فانهزمت الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت الى سلب وغنيمة وقال الشعراء فى وقعة ذى قار فا كثروا

•(ذكر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند)•

قد ذكرنا من ملك من آل نصر بن ربيعة الى هلاك عمرو بن هند فلما هلك عمرو ملك موضعه أخوه قابوس بن المنذر أربع سنين من ذلك أيام انوشروان ثمانية أشهر وفى ايام هرمز ثلاث سنين واربعة اشهر ثم ولى بعد قابوس السهراب ثم ملك بعده المنذر بن النعمان اربع سنين ثم ولى بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة من ذلك فى زمان هرمز سبع سنين وثمانية اشهر وفى زمان ابنه ابرويز أربع عشرة سنة واربعة اشهر ثم ولى اياس بن قبيصة الطائى ومعه النخيرجان فى زمان كسرى ابن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية اشهر من ولاية اياس بعث النبى صلى الله عليه وسلم ثم ولى ازادبه ابن ماليان الهمذانى سبع عشرة سنة من ذلك فى زمان كسرى ابن هرمز اربع عشرة سنة وثمانية اشهر وفى زمان شيرويه ابن كسرى ثمانية أشهر وفى زمن اردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر وفى زمن بوران دخت ابنة كسرى شهرا ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر وهو الذى يسميه العرب المغرور والذى قتل بالبحرين يوم جوائا وكانت ولايته الى ان قدم عليه خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر وكان آخر من بقى من آل نصر وانقرض ملكهم مع انقراض ملك فارس فجميع ملوك آل نصر فيما زعم هشام عشرون ملكا ملكوا خمسمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية اشهر

•(ذكر المروزان وولايته اليمن من قبل هرمز)•

قال هشام استعمل كسرى هرمز المروزان بعد عزل زرين عن اليمن وأقام باليمن حتى ولد له فيها ثم ان أهل جبل يقال له المصانع منعوا الخراج فقصدهم فرأى جبلهم لا يقدر عليه لحصانته وله طريق واحد يحميه رجل واحد وكان يحاذى ذلك الجبل جبل آخر وقد قارب هذا الجبل فاجرى فرسه فعبر به ذلك المضيق فلما رأنه حمير قالوا هذا شيطان وملكهم ثم وادوا الخراج وأرسل الى كسرى يعلمه فاستدعاه اليه فاستخلف ابنه خرخسره على اليمن وسار اليه فمات فى الطريق وعزل كسرى خرخسره عن اليمن وولى باذان وهو آخر من قدم اليمن من ولاة العجم

واجتهدت اليهم رأيى فوليت عليهم خيرهم واقواهم عليهم واحرصهم على ما ارشدهم وقد حضرنى من أمرك ما حضر فاخلفنى فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اصلح لهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين واصلح رعيته عن عائشة رضى الله عنها قالت لما احتضر ابو بكر قال انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما فان الحى احوج الى الجديد من الميت وفى اخبار الرماة ان أبا بكر لما توفى غسلته زوجته اسماء بنت عميس وصلى عليه عمر رضى الله عنه بين الحجرة والمنبر وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سرير عائشة وكان من خشبتين ساجا منسوجا بالليف وفى نزهة النواظر قال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه لما حضرت ابا بكر الوفاة دعانى فقال يا على غسلنى بالكف الذى غسلت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفنى بثوبى وأت باب البيت الذى قبر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فان انفتحت الاقفال بغير مفاتيح فادخلونى وادفنونى والا فردونى الى مقابر المسلمين قال على فلما غسلته وكفنته كنت أول من بادر الى الباب فوالله ثم والله لقد رأيت الاقفال انفتحت من غير مفاتيح وسمعت قائلا يقول ادخلوا الحبيب الى الحبيب فان الحبيب الى الحبيب مشتاق قال فدفناه معه وجعلنا رأسه عند كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصق اللحد بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مدة خلافته كما سبق سنتين ونصفا والله أعلم

(ذكر قتل كسرى ابرويز)

كان كسرى قد طغى لكثرة ماله وما فتحه من بلاد العدو ومساعدة الاقدار وشره على أموال الناس فنسدت قلوبهم وقيل كانت له اثنا عشر الف امرأة وقيل ثلاثة آلاف امرأة يباشرهن والوف جوار وكان له خمسون ألف دابة وكان أرغب الناس في الجوهر والاواني وغير ذلك وقيل انه أمران يحصى ما جبي من خراج بلاده في سنة ثمان عشرة من ملكه فكان من الورق مائة ألف ألف مثقال وعشرون الف الف مثقال وانه احتقر الناس وامر رجلا اسمه زاذان بقتل كل مقيد في سجونه فبلغوا ستة وثلاثين ألفا فلم يقدم زاذان على قتلهم فصاروا أعداءله وكان أمر بقتل المنهزمين من الروم فصاروا أيضا اعداءله واستعمل رجلا على استخلاص بواقي الخراج فعسف الناس فظلمهم ففسدت نياتهم ومضى ناس من العظماء الى بابل فاحضروا ولده شيرويه بن ابرويز فان كسرى كان قد ترك أولاده بها ومنعهم من التصرف وجعل عندهم من يؤدبهم فوصل الى بهرشير فدخلها ليلا فاخرج من كان في سجونها واجتمع اليه أيضا الذين كان كسرى أمر بقتلهم فنادوا قباذشاهنشاه وساروا حين أصبحوا الى رحبة كسرى فهرب حرسه وخرج كسرى الى بستان قريب من قصره هاربا فأخذ اسيرا وملكوا ابنه فارسل الى أبيه يقرعه بما كان منه ثم قتلته الفرس وساعدهم ابنه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ولمضي اثنتين وثلاثين سنة وخمسة اشهر وخمسة عشر يوما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة قيل وكان لكسرى ابرويز ثمانية عشر ولدا وكان اكبرهم شهريار وكانت شيرين قد تبنته فقال المنجمون لكسرى انه سيولد لبعض ولدك غلام يكون خراب هذا المجلس وذهاب الملك على يديه وعلامته نقص في بعض بدنه فمنع ولده عن النساء لذلك حتى شكا شهريار الى شيرين الشبق فارسلت اليه جارية كانت تحجمها وكانت تظن انها لا تلد فلما وطئها علقت بيزدجرد فكتمته خمس سنين ثم انها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبر فقالت ايسرك ان ترى لبعض بنيك ولدا قال نعم فاتته بيزدجرد فاحبه وقربه فبينما هو يلعب ذات يوم ذكر ما قيل فأمر به فجرد من ثيابه فرأى النقص في احد وركيه فاراد قتله فمنعته شيرين وقالت ان كان الامر في الملك قد حضر فلا مرد له فامرت به فحمل الى سجستان وقيل بل تركته في السواد في قرية يقال لها خمانية ولما قتل كسرى ابرويز بن هرمز ملك ابنه شيرويه.

(ذكر ملك كسرى شيرويه بن ابرويز بن هرمز بن انوشروان)

لما ملك شيرويه بن ابرويز وامه مريم ابنة موريق ملك الروم واسمه قباذ دخل عليه العظماء والاشراف فقالوا لا يستقيم أن يكون لنا ملكان فاما ان تقتل كسرى ونحن عبيدك واما ان نخلعك ونطيعه فانكسر شيرويه ونقل أباه من دار الملك الى موضع آخر حبسه فيه ثم جمع العظماء وقال قد رأينا الارسال الى كسرى بما كان من اساءته ونوقفه على اشياء منها فارسل اليه رجلا يقال اسفاذجشنس كان يلي تدبير المملكة وقال له قل لابينا الملك عن رسالتنا ان سوء أعمالك فعل بك ما ترى منها جرأتك على أبيك وسملك عينيه

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي العدوي يلتقي مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب وكان رجلا طويلا مشرفا على الناس كانه على دابة أصلع ابيض شديد الحمرة في عارضيه خفة سبلته كثيرة وامه حنتمة بنت هشام اخت ابي جهل ولي الخلافة بعهد من أبي بكر كما سبق يوم توفي صبيحة نهار الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وكان خاتمه خاتم النبي صلى الله عليه وسلم اسلم في ذي الحجة في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة وكان من اشراف قريش واليه كانت السفارة في الجاهلية فكانت قريش اذا وقع حرب أو امر بينهم بعثوه سفيرا أي رسولا وهو أحد السابقين الاولين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وثاني الخلفاء الراشدين وأحد اصهار النبي عليه السلام واحد كبار علماء الصحابة وزهادهم وروى له عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثا واخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه واخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب واخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى

وقتلك اباه ومنها امر صنيعك الينا معشر ابنائك فى منعنا من مجالسة الناس وكل ماليس له دعة ومنها اساءتك الى من خلدت فى السجون ومنها اماءتك الى النساء تأخذهن لنفسك وتركك العطف عليهن ومنعهن عمن يعاشرهن ويرزقن منه الولد ومنها ما اتيت الى رعيتك عامة من العنف والغلظة والفظاظة ومنها جمع الاموال فى شدة وعنف من اربابها ومنها تجميرك الجنود فى ثغور الروم وغيرها وتفريقك بينهم وبين اهاليهم ومنها غدرك بموريق ملك الروم مع احسانه اليك وحسن بلائه عندك وتزويجه اياك ابنته ومنعك اياه خشبة الصليب التى لم يكن بك ولا باهل بلادك اليها حاجة فان كانت لك حجة تذكرها فافعل وان لم يكن لك حجة فتب الى الله تعالى حتى يأمر فيك بامره قال فجاء الرسول الى كسرى ابرويز فادّى اليه الرسالة فقال ابرويز قل عنى لشيرويه القصير العمر لا ينبغى لاحد ان يترتب من اجل الصغير من الذنب الا بعد ان يتيقنه فضلا عن عظيمه ماذكرت وكثرت منا ولو كنا كما تقول لم يكن لك ايها الجاهل ان تنشر عنا مثل هذا العظيم الذى يوجب علينا القتل لما يلزمك فى ذلك من العيوب فان قضاة اهل ملتك ينفون ولد المستوجب للقتل من ابيه وينفونه من مصاحبة الاخيار ومجالستهم فضلا عن ان يملك مع انه قد بلغ من بحمد الله من اصلاحنا انفسنا وابناءنا ورعيتنا ما ليس فى شئ منه تقصير ونحن نشرح الحال فيما رمتنا من الذنوب لتزداد علما بجهلك فمن جوابنا ان الاشرار اغروا كسرى هرمز والدنا بنا حتى اتهمنا فرأينا من سوء رأيه فينا ما خوفنا منه فاعتزلنا بابه الى اذربيجان وقد استفاض ذلك فلما انتهك منه ما انتهك شخصنا الى بابه فهجم المنافق بهرام علينا فاجلانا عن المملكة فسرنا الى الروم وعدنا الى ملكنا واستحكم امرنا فبدأنا باخذ الثار ممن قتل ابانا او شرك فى دمه واما ما ذكرت فى ابنائنا فانا كنا وكلنا بكم من يكفكم عن الانتشار فيما لا يعنيكم فتتأذى بكم الرعية والبلاد وكنا اقمنا لكم النفقات الواسعة وجميع ما تحتاجون اليه واما انت خاصة فان المنجمين قضوا فى مولدك انك مثرب علينا وان يكون ذلك بسببك وان ملك الهند كتب اليك كتابا واهدى لك هدية فقرأنا الكتاب فاذا هو يبشرك بالملك بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكنا وقد ختمنا على الكتاب وعلى مولدك وهما عند شيرين فان احببت ان تقرأهما فافعل فلم يمنعنا ذلك عن برك والاحسان اليك فضلا عن قتلك واما ما ذكرت ممن خلدناه فى السجون فجوابنا ان السالم نحبس الامن وجب عليه القتل او قطع بعض الاطراف وقد كان الموكلون بهم والوزراء يأمرون بقتل من وجب قتله قبل ان يحتالوا لانفسهم فكنا نحب الاستبقاء وكراهتنا لسفك الدماء نتأنى بهم ونكل امرهم الى الله تعالى فان اخرجتهم من محبسهم عصيت ربك ولتجدن غب ذلك واما قولك انا جمعنا الاموال وانواع الجواهر والامتعة باعنف جمع واشد الحاح فاعلم ايها الجاهل انه انما يقيم الملك بعد الله تعالى الاموال والجنود وخاصة ملك فارس الذى قد اكتنفه الاعداء ولا يقدر على كفهم وردعهم عما يريدونه الا بالجنود والاسلحة والعدد ولا سبيل الى ذلك الا بالمال وقد كان اسلافنا جمعوا الاموال والسلاح وغير ذلك فاغار المنافق بهرام ومن معه على ذلك الا اليسير فلما ارتجعنا

ملكنا

الله عليه وسلم اول من يصافحه الحق عمر واول من يسلم عليه واخرج البزار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر سراج اهل الجنة واخرج الطبرانى فى الاوسط عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء جبريل الى النبى عليه السلام وقال اقرئ عمر منى السلام واخبره ان غضبه عز ورضاه حكم عن عثمان ابن مظعون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا غلق باب الفتنة واشار بيده الى عمر لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين اظهركم واخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فى السماء ملك الا وهو يوقر عمر ولا فى الارض شيطان الا وهو يفر من عمر وفى كتاب فضائل الامامين لابى عبد الله الشيبانى قال وافق عمر ربه فى احد وعشرين موضعا قال قتادة كان عمر يلبس وهو خليفة جبة صوف مرقوعة بعضها بادم ويطوف فى الاسواق على عاتقه الدرة يؤدب الناس بها ويمر بالنوى فيلتقطه ويلقيه فى منازل الناس فينتفعون به قال الضحى كان عمر يتجر وهو خليفة فقام بالامر اتم قيام وكثرت الفتوحات فى ايامه ففى سنة اربع عشرة فتحت دمشق وحمص وبعلبك صلحا والبصرة والابلة كلاهما عنوة وفيها جمع الناس على صلاة التراويح وقال عبد الله بن عامر ابن ربيعة رأيت عمر اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتنى كنت هذه التبنة يا ليتنى لم اك شيئا ليت امى لم تلدنى

ملكنا واذعن لنا الرعية بالطاعة ارسلنا الى نواحي بلادنا اصبهبدين وقامر وسانين فكفوا الاعداء واغاروا على بلادهم ووصل الينا غنائم بلادهم من اصناف الاموال والامتعة مالا يعلمه الا الله تعالى وقد بلغنا انك هممت بتفريق هذه الاموال على رأى الاشرار المستوجبين للقتل ونحن نعلمك ان هذه الاموال لم تجتمع الا بعد الكد والتعب والمخاطرة بالنفوس فلا تفعل ذلك فانها كهف ملكك وبلادك وقوة على عدوك فلما انصرف اسبادخشنش الى شيرويه قص عليه جواب أبيه ثم ان عظماء الفرس عادوا الى شيرويه فقالوا اما ان تأمر بقتل ابيك واما ان نطيعه ونخلعك فامر بقتله على كره منه وانتدب لقتله رجالا من ترهم كسرى ابرويز وكان الذى باشر قتله شاب يقال له مهرهرمز بن مردانشاه من ناحية نيمروذ فلما قتل شق شيرويه ثيابه وبكى ولطم وجهه وحملت جنازته وتبعها العظماء واشراف الناس فلما دفن أمر شيرويه بقتل مهرهرمز قاتل أبيه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ثم ان شيرويه قتل اخوته فهلك منهم سبعة عشر اخا ذوى شجاعة وادب بمشورة وزيره فيروز وابتلى شيرويه بالامراض ولم يلتذ بشئ من الدنيا وكان هلاكه بسكرة الملك وجزع بعد قتل اخوته جزعا شديدا ويقال انه لما كان اليوم الثانى من قتل اخوته دخلت عليه بوران وازرميدخت اختاه فاغلظتاله وقالتا حملك الحرص على الملك الذى لا يتم لك على قتل ابيك واخوتك فلما سمع ذلك بكى بكاء شديدا ورمى التاج عن رأسه ولم يزل مهموما مدنفا ويقال انه أباد من قدر عليه من أهل بيته وفشا الطاعون فى أيامه فهلك من الفرس اكثرهم ثم هلك هو وكان ملكه ثمانية أشهر

(ذكر ملك اردشير)

وكان عمره سبع سنين فلما توفى شيرويه ملك الفرس عليهم ابنه اردشير وحضنه رجل يقال له بهادرجسنس مرتبته رياسة أصحاب المائدة فاحسن سياسة الملك فبلغ من احكامه ذلك ما لم يحس معه بحداثة سن اردشير وكان شهريراز بثغر الروم فى جند ضمهم اليه كسرى ابرويز وكان قد صلح له بعد ما فعل بالروم مما ذكرناه وكان ينفذ له الخلع والهدايا وكان ابرويز وشيرويه يكاتبانه ويستشيرانه فلما لم يشاوره عظماء الفرس فى تمليك اردشير اتخذ ذلك ذريعة الى التعنت وبسط يده فى القتل وجعله سببا للطمع فى الملك احتقارا لاردشير اصغر سنه فاقبل بجنده نحو المدائن فحول اردشير وبهادرجسنس ومن بقى من نسل الملك الى مدينة طيسفون فحاصرهم شهريراز ونصب عليهم المجانيق فلم يظفر بشئ فاتاها من قبل المكيدة فلم يزل يخدع رئيس الحرس واصبهبد نيمروذ حتى فتحاله باب المدينة فدخلها وقتل جماعة من الرؤساء واخذ اموالهم وقتل بعض أصحابه اردشير فى ايوان خسروشاه قباذ بأمر شهريراز وكان ملكه سنة وستة أشهر

(ذكر ملك شهريراز)

ولم يكن من بيت الملك لما قتل اردشير جلس شهريراز واسمه فرخان على تخت المملكة فحين جلس ضرب عليه بطنه فاشتد ذلك ثم عوفى وتعاهد ثلاثة اخوة من أهل اصطخر على قتله غضبا لقتل اردشير وكانوا فى حرسه وكان الحرس يقفون سماطين اذا ركب الملك

وقال عبد الله بن عيسى كان فى وجه عمر خطان اسودان من البكاء وكان له كرامات جليلة لا تحصى منها ما ذكر فى تبصرة الادلة ودلائل النبوة ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ظهرت له كرامات فى العناصر الاربعة تصرف فى عنصر التراب وذلك انه وقعت زلزلة فى سنة عشرين من الهجرة فى خلافته فضرب برجله الارض قائلا ياارض اسكنى الم اعدل عليك فسكنت وفى النار فى قصة احتراق قرية رجل حين كانه أن يغير اسمه فابى وكان متعلقا بالنار كالشهاب والقبس والثاقب وفى الهواء فى قصة ندائه ساريه وهو على المنبر لما كشف له حاله وفى الماء فى قصة ارسال بطاقة الى نيل مصر لما بلغه عدم جريانه قال الحسن ان كان أحد يعرف الكذب اذا حدث به انه كذب فهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى أخرج اليهود من الحجاز الى الشام واخر مقام ابراهيم الى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت وأول من سمى أمير المؤمنين وأول من ضرب على الخمر ثمانين جلدة وأول من حرم المتعة وأول من نهى عن بيع امهات الاولاد وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز على أربع تكبيرات وهو اول من نصب القضاة فى الامصار واخرج البخارى فى تاريخه عن ابن المسيب قال اول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة على رضى الله عنه واخرج ابن سعد عن شداد قال كان اول كلام تكلم به عمر حين ولى الخلافة

عليهم السلاح وبأيديهم السيوف والرماح فاذا حاذى الملك بعضهم وضع جبهته على ترسه ورق الترس كهيئة السجود فركب شهريراز يوما ووقف الاخوة الثلاثة بعضهم قريب من بعض فلما حاذاهم طعنوه فسقط ميتا فشدوا فى رجله حبلا وجروه وساعدهم بعض العظماء وتساعدوا على قتل جماعة قتلوا اردشير وكان جميع ملكه أربعين يوما

•(ذكر ملك بوران ابنة ابرويز بن هرمز بن انوشروان)•

لما قتل شهريراز ملكت الفرس بوران لانهم لم يجدوا من بيت المملكة رجلا يملكونه فلما ملكت أحسنت السيرة فى رعيتها وعدلت فيهم فاصلحت القناطر ووضعت ما بقى من الخراج وردت خشبة الصليب على ملك الروم وكانت مملكتها سنة وأربعة أشهر ثم ملك بعدها رجل يقال له خشنشبنده من بنى عم ابرويز الابعدين وكان ملكه أقل من شهر وقتله الجند لانهم أنكروا سيرته

•(ذكر ملك ارزميدخت ابنة ابرويز)•

لما قتل خشنشبنده ملكت الفرس ارزميدخت ابنة ابرويز وكانت من اجمل النساء وكان عظيم الفرس يومئذ فرخهرمز اصبهبذ خراسان فارسل اليها يخطبها فقالت ان التزوج للملكة غير جائز وغرضك قضاء حاجتك منى فصر الى وقت كذا ففعل وسار اليها تلك الليلة فتقدمت الى صاحب حرسها أن يقتله فقتله وطرح فى رحبة دار المملكة فلما اصبحوا رأوه قتيلا فغيبوه وكان ابنه رستم وهو الذى قاتل المسلمين بالقادسية خليفة أبيه بخراسان فسار فى عسكر حتى نزل بالمدائن وسمل عينى ارزميدخت وقتلها وقيل بل سمت وكان ملكها ستة أشهر قيل ثم ملك رجل يقال له كسرى بن مهرجشنس من عقب اردشير ابن بابك كان ينزل الاهواز فملكه العظماء ولبس التاج وقتل بعد ايام وقيل ان الذى ملك بعد ارزميدخت خرزادخسرو من ولد ابرويز وامه كردية اخت بسطام قيل وجد بحصن الحجارة بقرب نصيبين فمكث اياما يسيرة ثم خلعوه وقتلوه وكان ملكه ستة أشهر وقال الذين قالوا ملك كسرى بن مهرجشنس انه لما قتل طلب عظماء الفرس من له نسب ببيت المملكة ولو من النساء فاتوا برجل كان يسكن ميسان يقال له فيروز بن مهران جشنس ويسمى أيضا جشنسنده امه صهار بخت ابنة يزدازان بن انوشروان فملكوه وكان ضخم الرأس فلما توج قال ما اضيق هذا التاج فتطيروا من كلامه فقتلوه فى الحال وقيل كان قتله بعد ايام

•(ذكر ملك يزدجرد بن شهريار بن ابرويز)•

ثم ان الفرس اضطرب أمرهم ودخل المسلمون بلادهم فطلبوا أحدا من بيت المملكة ليملكوه ويقاتلوا بين يديه ويحفظوا بلادهم فظفروا بيزدجرد بن شهريار بن ابرويز باصطخر فاخذوه وساروا به الى المدائن فملكوه واستقر فى الملك غير ان ملكه كان كالخيال عند ملك أهل بيته وكان الوزراء والعظماء يدبرون ملكه لحداثة سنه وضعف أمر مملكة فارس واجترأ عليهم الاعداء وتطرقوا بلادهم وغزت العرب بلاده بعد ان مضى من ملكه سنتان وكان عمره كله الى أن قتل ثمانيا وعشرين سنة وبقى من أخباره

وصعد المنبر قال اللهم انى شديد فلينى وانى ضعيف فقونى وانى بخيل فسخنى قال سعيد بن المسيب لما نفر عمر من منى اناخ بالابطح ثم استلقى ورفع يديه الى السماء وقال اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفرط فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل قال كعب الاحبار له عمر اجدك فى التوراة تقتل شهيدا قال وأنى لى بالشهادة وانا بجزيرة العرب فقال اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك اخرجه البخارى وقال سعد بن أبى طلحة رضى الله عنه خطب عمر رضى الله عنه فقال رأيت كان ديكا نقرنى نقرة أو نقرتين وانى لاأراه الاحضور اجلى وان قوما يأمروننى ان استخلف وان الله لم يكن ان يضيع دينه ولا خلافته فان عجل بى فامر الخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وقد جعلتها شورى فى عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وكان سبب وفاته انه كان للمغيرة عبد مجوسى اسمه ابولؤلؤة وكان ضرب عليه المغيرة مائة درهم فى الشهر فجاء الى عمر يشكى شدة الخراج فقال ما صنعتك قال حداد ونقاش ونجار قال ما خراجك بكثير فانصرف ساخطا ثم عاد به دليال فقال يا امير المؤمنين ان المغيرة زاد على فكلمه كى يخفف عنى فقال احسن الى مولاك ومن نية عمران يكلم المغيرة فيه فغضب وقال يسع الناس كلهم عدله غيرى واضمر قتله واتخذ خنجرا ذا رأسين نصابه

ما نذكره ان شاء الله في موضعه من فتوح المسلمين * هذا آخر ملوك الفرس ونذكر بعده التواريخ الاسلامية على سياقة سني الهجرة ونقدم قبل ذلك الايام المشهورة للعرب في الجاهلية ثم نأتي بعدها بالحوادث الاسلامية ان شاء الله تعالى

(ذكر أيام العرب في الجاهلية)

لم يذكر أبو جعفر من ايامها غير يوم ذي قار وجذيمة الابرش والزباء وطسم وجديس وما ذكر ذلك الا حيث انهم ملوك فاغفل ما سوى ذلك ونحن نذكر الايام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد ولم اعرج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير لانه يكثر ويخرج عن الحصر فنقول وبالله التوفيق

(ذكر حرب زهير بن جناب الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين)

كان زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة الكلبي أحد من اجتمعت عليه قضاعة وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه وعاش مائتين وخمسين سنة اوقع فيها مائتي وقعة وقيل عاش اربعمائة وخمسين سنة وكان شجاعا مظفرا ميمون النقيبة وكان سبب غزاته غطفان ان بني بغيض بن ريث بن غطفان حين خرجوا من تهامة ساروا باجمعهم فتعرضت لهم صداء وهي قبيلة من مذحج فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون باهليهم واموالهم فقاتلوهم عن حريمهم فظهروا على صداء وفتكوا فيهم فعزت بغيض بذلك وأثرت وكثرت أموالها فلما رأوا ذلك قالوا والله لنتخذن حرما مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه فبنوا حرما ووليه بنو مرة بن عوف فلما بلغ فعالهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب قال والله لا يكون ذلك أبدا وانا حي ولا أخلي غطفان تتخذ حرما أبدا فنادى في قومه فاجتمعوا اليه فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم وقال ان اعظم مأثرة يدخرها هو وقومه ان يمنعوهم من ذلك فاجابوه فغزاهم غطفان وقاتلهم ابرح قتال واشده وظفر بهم زهير واصاب حاجته منهم واخذ فارسا منهم في حرمهم فقتله وعطل ذلك الحرم ثم من على غطفان ورد النساء واخذ الاموال وقال زهير في ذلك

فلم تصبر لنا غطفان لما * تلاقينا واحرزت النساء
فلولا الفضل منا ما رجعتم * الى عذراء شيمتها الحياء
فدونكم ديونا فاطلبوها * وأوتارا ودونكم اللقاء
فانا حيث لا يخفى عليكم * ليوث حين يحتضر اللواء
فقد اضحى لحي بني جناب * فضاء الارض والماء الرواء
نفينا نخوة الاعداء عنا * بارماح أسنتها ظماء
ولولا صبرنا يوم التقينا * لقينا مثل ما لقيت صداء
غداة تضرعوا لبني بغيض * وصدق الطعن للنوكى شفاء

واما حربه مع بكر وتغلب ابني وائل فكان سببها أن ابرهة حين طلع الى نجد اتاه زهير فاكرمه وفضله على من اتاه من العرب ثم أمره على بكر وتغلب ابني وائل فوليهم حتى اصابتهم سنة فاشتد عليهم ما يطلب منهم من الخراج فاقام بهم زهير في الحرب ومنعهم من

في وسطه وسنه فكمن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة فلما دنى منه طعنه ثلاث طعنات وفي رواية اخرى كان عمر يقول أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر فجاء أبو لؤلؤة فقام حذاءه في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته فسقط عمر وطعن معه ثلاثة عشر رجلا فمات منهم ستة وحمل عمر الى أهله وكادت الشمس تطلع وصلى بالناس عبد الرحمن بن عوف باقصر سورتين وأتى عمر بلبن فشربه فخرج من جرحه فقال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام ثم قال لابنه يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا ونحوها فقال ان وفي مال آل عمر فاده من أموالهم والا فاسأل في بني عدي فان لم تف أموالهم فاسأل في قريش وقال اذهب الى أم المؤمنين عائشة فقل لها يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه فذهب اليها فقالت كنت أريده يعني المكان لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فاتى عبد الله فقال قد اذنت فحمد الله وقيل له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف قال ما ارى احدا أحق بهذا الامر من هؤلاء الستة فسماهم واصيب عمر يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الاحد مستهل المحرم وصلى عليه صهيب في المسجد ودفن بجنب صاحبه والصق لحده بلحد الصديق ورأسه عند كتفي الصديق واختلفوا في سنه والاصح ستون سنة ورجحه الواقدي وكانت مدة خلافته عشر سنين

الانصار يقول دعوت الله ان يريني عمر في المنام فرأيته بعد عشر سنين وهو يمسح العرق عن جبينه فقلت يا أمير المؤمنين ما فعل الله بك قال الآن فرغت ولولا رحمة ربي اهلكت وأخرج الطبراني عن طارق بن شهاب قال قالت ام ايمن يوم قتل عمر اليوم وهى الاسلام وعن عبد الرحمن بن يسار قال شهدت موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانكسفت الشمس يومئذ رضي الله تعالى عنه

(الفصل الثالث في ذكر عثمان ابن عفان خليفة التقى والايمان رضي الله عنه)

وعثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الاموي يلتقي نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ويقال له أبو عمرو وابو عبد الله كان رجلا ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه ابيض مشرب بحمرة بوجهه نكتات جدري كبير اللحية عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين جدل الساقين طويل الذراعين شعره قد كسا ذراعيه جعد الرأس اصلع أحسن الناس ثغرا يخضب بالصفرة وكان قد شد أسنانه بالذهب وأمه أروى بنت كريز وكان خاتمه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سقط في البئر اتخذ خاتما من فضة نقش عليه لتصبرن أو لتندمن وقيل نقش عليه آمنت

النعمة حتى يؤذوا ما عليهم فكادت واشتهم تهلك فلما رأى ذلك ابن زيابة أحد بني تيم الله ابن ثعلبة وكان فاتكا أتى زهيرا وهو نائم فاعتمد التيمي بالسيف على بطن زهير فمر فيها حتى خرج من ظهره مارقا بين الصفاق وسلمت امعاؤه وما في بطنه وظن التيمي انه قد قتله وعلم زهير انه قد سلم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه فسكت فانصرف التيمي الى قومه فاعلمهم انه قتل زهيرا فسرهم ذلك ولم يكن مع زهير الا نفر من قومه فأمرهم أن يظهروا أنه ميت وان يستأذنوا بكرا وتغلب في دفنه فاذا أذنوا ادفنوا ثيابا ملفوفة وساروا به مجدين الى قومهم ففعلوا ذلك فاذنت لهم بكر وتغلب في دفنه فحفروا وعمقوا ودفنوا ثيابا ملفوفة لم يشك من رآها انه فيها ميتا ثم ساروا مجدين الى قومهم فجمع لهم زهير الجموع وبلغهم الخبر فقال ابن زيابة

طعنة ما طعنت في غلس الليـ ـل زهيرا وقد توافى الخصوم
حين يحمي له المواسم بكر * أين بكر وأين منها الحلوم
خانني السيف اذ طعنت زهيرا * وهو سيف مضلل مشؤوم

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن وغزا بكرا وتغلب وكانوا علموا به فقاتلهم قتالا شديدا انهزمت به بكر وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت أيضا واسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة وأخذت الاموال وكثرت القتلى في بني تغلب وأسر جماعة من فرسانهم ووجوههم فقال زهير في ذلك من قصيدة

اين اين الفرار من حذر المو * ت اذ يتقون بالاسلاب
اذ أسرنا مهلهلا واخاه * وابن عمرو في القيد وابن شهاب
وسبينا من تغلب كل بيضا * ء رقود الضحى برود الرضاب
حين تدعو مهلهلا بالبكر * ها أهذي حفيظة الاحساب
ويحكم ويحكم ابيح حماكم * يا بني تغلب أنا ابن رضاب
وهم هاربون في كل فج * كشريد النعام فوق الروابي
واستدارت رحا المنايا عليهم * بليوث من عامر وجناب
فهم بين هارب ليس يألو * وقتيل معفر في التراب
فضل العز عزنا حين نعو * مثل فضل السماء فوق السحاب

واما امره مع بني القين بن جسر فكان سببها ان اختا لزهير كانت متزوجة فيهم فجاء رسولها الى زهير ومعه صرة فيها رمل وصرة فيها شوك قتاد فقال زهير انها تخبركم انه يأتيكم عدو كثير ذو شوكة شديدة فاحتملوا فقال الجلاح بن عوف السهمي لا نحتمل لقول امرأة فظعن زهير واقام الجلاح وصبحه الجيش فقتلوا عامة قوم الجلاح وذهبوا باموالهم وماله ومضى زهير فاجتمع مع عشيرته من بني جناب وبلغ الجيش خبره فقصدوه فقاتلهم وصبر لهم فهزمهم وقتل رئيسهم فانصرفوا عنه خائبين ولما طال عمر زهير وكبرت سنه استضعف ابن أخيه عبد الله بن عليم فقال زهير يوما الا ان الحي ظاعن فقال عبد الله الا ان الحي مقيم فقال زهير من هذا المخالف علي فقالوا ابن أخيك عبد الله بن عليم فقال

أعدى الناس للمرء ابن أخيه ثم شرب الخمر صرفا حتى مات وممن شرب الخمر صرفا حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبي وأبو عامر ملاعب الأسنة العامري

(ذكر يوم البردان)

ذكر كان من حديثه ان زياد بن الهبولة ملك الشام وكان من سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أغار على حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندي ملك عرب نجد ونواحي العراق وهو يلقب آكل المرار وكان حجر قد اغار في كندة وربيعة على البحرين فبلغ زيادا خبرهم فسار الى أهل حجر وربيعة وأموالهم وهم خلوف ورجالهم في غزاتهم المذكورة فاخذ الحريم والاموال وسبى منهم هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية وسمع حجر وكندة وربيعة بغارة زياد فعادوا عن غزوهم في طلب ابن الهبولة ومع حجر اشراف ربيعة عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وغيرهما فادركوا عمرا بالبردان دون عين أباغ وقد امن الطلب فنزل حجر في سفح جبل ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحصحان على ماء يقال له حفير فتعجل عوف ابن محلم وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وقالا لحجر انا متعجلان الى زياد لعلنا ناخذ منه بعض ما اصاب منا فسارا اليه وكان بينه وبين عوف اخاء فدخل عليه وقال له يا خير الفتيان اردد علي امرأتي امامة فردها عليه وهي حامل فولدت له بنتا أراد عوف ان يئدها فاستوهبها منه عمرو بن أبي ربيعة وقال لعلها تلد أناسا فسميت أم أناس فتزوجها الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار فولدت عمرا ويعرف بابن ام اناس ثم ان عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد يا خير الفتيان اردد علي ما اخذت من ابلي فردها عليه وفيها فحلها فنازعه الفحل الى الابل فصرعه عمرو فقال له زياد يا عمرو لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم أنتم أنتم فقال له عمرو لقد اعطيت قليلا وسميت جاملا وجررت على نفسك ويلا طويلا ولتجدن منه ولا والله لا تبرح حتى أروي سناني من دمك ثم ركض فرسه حتى صار الى حجر فلم يوضح له الخبر فارسل سدوس بن شيبان بن ذهل وصليع ابن عبد غنم يتجسسان له الخبر ويعلمان علم العسكر فخرجا حتى هجما على عسكره ليلا وقد قسم الغنيمة وجيء بالشمع فاطعم الناس تمرا وسمنا فلما أكل الناس نادى من جاء بحزمة حطب فله قدرة تمر فجاء سدوس وصليع بحطب واخذا قدرتين من تمر وجلسا قريبا من قبته ثم انصرف صليع الى حجر فاخبره بعسكر زياد واراه التمر واما سدوس فقال لا أبرح حتى آتيه بامر جلي وجلس مع القوم يتسمع ما يقولون وهند امرأة حجر خلف زياد فقالت لزياد ان هذا التمر أهدي الى حجر من هجر والسمن من دومة الجندل ثم تفرق اصحاب زياد عنه فضرب سدوس يده الى جليس له وقال له من أنت مخافة ان يستنكره الرجل فقال انا فلان بن فلان ودنا سدوس من قبة زياد بحيث يسمع كلامه ودنا زياد من امرأة حجر فقبلها وداعبها وقال لها ما ظنك الآن بحجر فقالت ما هو ظن ولكنه يقين انه والله لن يدع طلبك حتى تعاين القصور الحمر يعني قصور الشام وكاني به في فوارس من بني شيبان يذمرهم ويذمرونه وهو شديد الكلب تزبد شفتاه كانه بعير اكل مرارا فالنجاء

بالذي خاتم فسوى قيل كان سبب اختلال امر الخلافة وقوع الخاتم ولو لم يقع خاتمه صلى الله عليه وسلم في البئر لانتظم امر الخلافة في امته الى يوم القيامة ولكن كان امر الله قدرا مقدورا وكان مولده قبل النبي صلى الله عليه وسلم بست سنين اخرج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما زوج النبي عليه السلام بنته ام كلثوم لعثمان رضي الله عنه قال لها ان بعلك أشبه الناس بجدك ابراهيم الخليل عليه السلام وابيك محمد عن عبد الله بن حزم المازني قال رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه فما رأيت قط ذكرا ولا أنثى احسن وجها منه قال ابن اسحق هو اول الناس اسلاما بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة فهو ثالث الخلفاء وزوج بنتي المصطفى صلى الله عليه وسلم تزوج رقية قبل النبوة وماتت في ليالي بدر عنده فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها باختها ام كلثوم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة ولذلك سمي ذا النورين ولم يعقبا أخرج ابن عساكر عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان لو ان لي اربعين بنتا لزوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة قال العلماء لا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره فهو من السابقين الاولين وأول المهاجرين واحد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهو الذي جمع القرآن روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعون حديثا

بالماء فان وراءك طالبا حثيثا وجمعا كثيفا وكيدا متينا ورأيا صليبا فرفع يده فلطمها ثم قال اوما قلت هذا الامن غيلك وحبك له فقالت والله ما ابغضت احدا بغضى له ولا رأيت رجلا ابزم منه نائما ومستيقظا ان كان لتنام عيناه فبعض اعضائه مستيقظ وكان اذا اراد النوم امرنى ان اجعل عنده عساما ابن فبينا هو ذات ليلة نائم وانا قريب منه انظر اليه اذا اقبل أسود سالخ الى رأسه فنحى رأسه فمال الى يده فقبضها فمال الى رجله فقبضها فمال الى العس فشرب به ثم مجه فقلت يستيقظ فيشرب به فيموت فاستيقظ منه فانتبه من نومه فقال على بالاناء فناولته فشمه ثم ألقاه فهريق فقال اين ذهب الاسود فقلت ما رأيته فقال كذبت والله وذلك كله يسمعه سدوس فسار حتى اتى حجرا فلما دخل عليه قال

اتاك المرجفون بأمر غيب • على دهش وجئتك باليقين

فمن يك قد اتاك بأمر لبس • فقد آتى بأمر مستبين

ثم قص عليه ما سمع فجعل حجر يعبث بالمرار ويأكل منه غضبا وأسفا ولا يشعر انه يأكله من شدة الغضب فلما فرغ سدوس من حديثه وجد حجر المرار فسمى يومئذ آكل المرار والمرار نبت شديد المرارة لا تأكله دابة الا قتلها ثم أمر حجر فنودى فى الناس وركب وسار الى زياد فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم زياد وأهل الشام وقتلوا قتلا ذريعا واستنقذت بكر وكندة ما كان بايديهم من الغنائم والسبى وعرف سدوس زيادا فحمل عليه فاعتنقه وصرعه واخذه اسيرا فلما رآه عمرو بن ابى ربيعة حسده فطعن زيادا فقتله فغضب سدوس وقال قتلت اسيرى وديته دية ملك فتحاكما الى حجر فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك واعانهم من ماله واخذ حجر زوجته هندا فربطها فى فرسين ثم ركضهما حتى قطعاها ويقال بل احرقها وقال فيها

ان من غره النساء بشئ • بعد هند لجاهل مغرور

حلوة العين والحديث ومر • كل شئ أجن منها الضمير

كل أنثى وان بدا لك منها • آية الحب حبها خيتعور

ثم عاد الى الحيرة (قلت) هكذا قال بعض العلماء ان زياد بن هبولة السليحى ملك الشام غزا حجرا وهذا غير صحيح لان ملوك سليح كانوا باطراف الشام مما يلى البرمن فلسطين الى قنسرين والبلاد للروم ومنهم اخذت غسان هذه البلاد وكلهم كانوا عمالا لملوك الروم كما كان ملوك الحيرة عمالا لملوك الفرس على البر والعرب ولم يكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال وقولهم ملك الشام غير صحيح وزياد بن هبولة السليحى ملك مشارق الشام اقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل لان حجرا هو جد الحرث بن عمرو بن حجر الذى ملك الحيرة والعرب بالعراق ايام قباذ الى أنوشروان وبين ملك قباذ والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة وقد ملكت غسان اطراف الشام بعد سليح ستمائة سنة وقيل خمسمائة سنة واقل ما سمعت فيه ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وكانوا بعد سليح ولم يكن زياد آخر ملوك سليح فتزيد المدة زيادة اخرى وهذا تفاوت

اخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال الا استحيى من رجل تستحيى منه الملائكة واخرج الترمذى عن عبد الرحمن ابن خباب قال شهدت النبى عليه السلام وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه يا رسول الله على مائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله على مائتا بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله على ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما عمل بعد هذه وعن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعنى عثمان بويع له بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليال وذلك ان الناس كانوا يجتمعون فى تلك الايام الى عبد الرحمن بن عوف يشاورونه فقال عبد الرحمن اجعلوا امركم الى ثلاثة من الستة فقال الزبير قد جعلت امرى الى على وقال سعد قد جعلت امرى الى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت امرى الى عثمان قال فخلا هؤلاء الثلاثة فقال عبد الرحمن انا لا اريد الخلافة فايكما يبرأ من هذا الامر ويجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه وليحرصن على صلاح الامة فسكت على وعثمان فقال عبد الرحمن اجعلوه الى والله لا اعدل به عن افضلكم قالا نعم فخلا بعلى

كثير فكيف يستقيم ان يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه وحيث اطبقت رواة العرب على هذه الغزاة فلابد من توجيهها واصلح ما قيل فيه ان زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيسا على قوم أو متغلبا على بعض اطراف الشام حتى يستقيم هذا القول والله أعلم وقولهم أيضا ان حجرا عاد الى الحيرة لا يستقيم أيضا لان ملوك الحيرة من ولد عدي بن نصر اللخمي لم ينقطع ملكهم الا ايام قباذ فانه استعمل الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار كما ذكرناه قبل فلما ولى انوشروان عزل الحرث وأعاد اللخميين ويشبه ان يكون بعض الكنديين قد ذكر هذا تعصبا والله أعلم ان أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح بل قال هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ولم يذكر عوده الى الحيرة فزال هذا الوهم * وسليح بفتح السين المهملة وكسر اللام وآخره حاء مهملة *

(ذكر مقتل حجر أبي امرئ القيس والحروب الحادثة بقتله الى أن مات امرؤ القيس)

نذكر أولا سبب ملكهم العرب بنجد ونسوق الحادثة الى قتله وما يتصل به فنقول كان سفهاء بكر قد غلب على عقلائها وغلبوهم على الامر وأكل القوى الضعيف فنظر العقلاء في أمرهم فرأوا ان يملكوا عليهم ملكا يأخذ للضعيف من القوى فنهاهم العرب وعلموا ان هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم لانه يطيعه قوم ويخالفه آخرون فساروا الى بعض تبابعة اليمن وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين وطلبوا منه ان يملك عليهم ملكا فملك عليهم حجر بن عمرو آكل المرار فقدم عليهم ونزل ببطن عاقل واغار ببكر فانتزع عامة ما كان بايدي اللخميين من أرض بكر وبقي كذلك الى ان مات فدفن ببطن عاقل فلما مات صار عمرو بن حجر آكل المرار وهو المقصور ملكا بعد أبيه وانما قيل له المقصور لانه قصر على ملك أبيه وكان أخوه معاوية وهو الجون على اليمامة فلما مات عمرو ملك بعده ابنه الحرث وكان شديد الملك بعيد الصوت فلما ملك قباذ بن فيروز الفرس خرج في أيامه مزدك فدعا الناس الى الزندقة كما ذكرناه فاجابه قباذ الى ذلك وكان المنذر بن ماء السماء عاملا للاكاسرة على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ الى الدخول معه فامتنع فدعا الحرث بن عمرو الى ذلك فاجابه فاستعمله على الحيرة وطرد المنذر عن مملكته وقيل في تمليكه غير ذلك وقد ذكرناه أيام قباذ فبقوا كذلك الى ان ملك كسرى انوشروان بن قباذ بعد أبيه فقتل مزدك وأصحابه واعاد المنذر بن ماء السماء الى ولاية الحيرة وطلب الحرث بن عمرو وكان بالانبار وبها منزله فهرب باولاده وماله وهجانه وتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهراء فلحق بارض كلب فنجا وانتهبوا امواله وهجانه وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بني آكل المرار فيهم عمرو ومالك ابنا الحرث فقدموا بهم على المنذر فقتلهم في ديار بني مرينا وفيهم يقول عمرو ابن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس

ملوك من بني حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا * ولكن في ديار بني مرينا

، قال لك من التقدم في الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن امرت عليك لتسمعن ولتطيعن قال نعم ثم خلا بعثمان فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه علي وبقية المهاجرين والانصار وفي مسند احمد عن ابي وائل قال قلت لعبد الرحمن بن عوف كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا قال ما ذنبي قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة ابي بكر وعمر فقال فيما استطعت ثم عرضت ذلك على عثمان فقال نعم وفي سنة ست وعشرين من الهجرة زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه واشترى أماكن كثيرة للزيادة وزاد أيضا في مسجد المدينة مما يلي القبلة ووسعه وجعل طوله مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين ذراعا وفتح في أيامه فتوحات جليلة كثيرة حتى كثر الخراج وأتاه المال من كل وجه حتى اتخذ له الخزائن وادر الارزاق قال الزهري وكان عثمان احب الى قريش من عمر بن الخطاب لان عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم وكان سبب قتله انه ولى عبد الله بن ابي سرح مدينة مصر فمكث عليها سنين ثم عزله بشكوى اهل مصر وولى مكانه محمد بن ابي بكر بطلبهم فلما سار وكان على مسيرة ثلاثة فراسخ من المدينة اذا هو بغلام اسود على بعير يسرع في مشيه كانه رجل يطلب او يطلب فسألوه فقال انا غلام امير المؤمنين وجهني الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه

ولم تفعل بما جمهم بفعل • ولكن في الدماء مرملينا

تظل الطير عاكفة عليهم • وتنتزع الحواجب والعيونا

وأقام الحرث بديار كلب فتزعم كلب انهم قتلوه وعلماء كندة تزعم انه خرج يتصيد فتبع تيسا من الظباء فاعجزه فاقسم ان لا يأكل شيأ الا من كبده فطلبته الخيل فأتى به بعد ثلاثة وقد كاد يهلك جوعا فشوى له بطنه فأكل فلذة من كبده حارة فمات ولما كان الحرث بالحيرة أتاه اشراف عدة قبائل من نزار فقالوا انا في طاعتك وقد وقع بيننا من الشر بالقتل ما تعلم وخاف الفناء فوجه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض ففرق أولاده في قبائل العرب فملك ابنه حجرا على بني اسد بن خزيمة وغطفان وملك ابنه شرحبيل وهو الذي قتل يوم الكلاب على بكر بن وائل باسرها وعلى غيرها وملك ابنه معديكرب وهو غلفاء وانما قيل له غلفاء لانه كان يغلف رأسه بالطيب على قيس عيلان وطوائف غيرهم وملك ابنه سلمة على تغلب والنمر بن قاسط وبني سعد بن زيد مناة من تميم فبقي حجر في بني اسد وله عليهم جائزة واتاوة كل سنة لما يحتاج اليه في كذلك دهرا ثم بعث اليهم من يجبي ذلك منهم وكانوا بتهامة وطردوا رسله وضربوهم فبلغ ذلك حجرا فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة فأتاهم فأخذ سرواتهم وخيارهم وجعل يقتلهم بالعصا وأباح الاموال وسيرهم الى تهامة وحبس منهم جماعة من أشرافهم منهم عبيد بن الابرص الشاعر فقال شعرا يستعطفه لهم فرق لهم وارسل من يردهم فلما صاروا على يوم منه تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الاسدي فقال لهم من الملك الصلهب الغلاب غير المغلب في الابل كأنها الربرب هذا دمه ينثعب وهو غدا أول من يستلب قالوا ومن هو قال لولا تجيش نفس خاشية لاخبرتكم انه حجر ضاحية فركبوا كل صعب وذلول حتى بلغوا الى عسكر حجر فهجموا عليه في قبته فقتلوه طعنه علباء بن الحرث الكاهلي فقتله وكان حجر قتل أباه فلما قتل قالت بنو أسد يا معشر كنانة وقيس أنتم اخواننا وبنو عمنا والرجل بعيد النسب منا ومنكم وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع بكم هو وقومه فانتهبوهم فشدوا على هجائنه فانتهبوها والقوه في ريطة بيضاء والقوه على الطريق فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا اسلابه واجار عمرو بن مسعود عياله وقيل ان حجرا لما رأى اجتماع بني اسد عليه خافهم فاستجار عوير بن شجنة احد بني عطارد بن كعب بن زيد مناة بن تميم لبنته هند بنت حجر وعياله وقال لبني اسد ان كان هذا شأنكم فاني مرتحل عنكم ومخليكم وشأنكم فوادعوه على ذلك وسار عنهم واقام في قومه مدة ثم جمع لهم جمعا عظيما واقبل اليهم مدلا بمن معه فتآمرت بنو اسد وقالوا والله لئن قهركم ليحكمن عليكم حكم الصبي فما خير العيش حينئذ فموتوا كراما فاجتمعوا وساروا الى حجر فلقوه فاقتتلوا قتالا شديدا وكان صاحب امرهم علباء بن الحرث فحمل على حجر فطعنه فقتله وانهزمت كندة ومن معهم وأسر بنو أسد من اهل بيت حجر وغنموا حتى ملؤا ايديهم من الغنائم وأخذوا جواريه ونساءه وما معهم فاقتسموه بينهم وقيل ان حجرا أخذ اسيرا في المعركة وجعل في قبة فوثب عليه ابن اخت علباء فضربه بحديدة كانت معه لان حجرا كان قتل اباه فلما جرحه لم

فوجدوا معه كتابا الى عامله بمصر فاذا فيه اذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وابطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي في ذلك ان شاء الله تعالى فلما قرأ الكتاب رجع الى المدينة مع من معه والغلام معه ودخل على عثمان ومعه علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال علي كرم الله وجهه هذا الغلام غلامك قال نعم والبعير بعيرك قال نعم قال فانت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله تعالى ما كتبت هذا الكتاب ولا امرت به ولا علم لي به قال له علي والخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به فحلف بالله تعالى بانه ما كتبت هذا الكتاب ولا امرت ولا وجهت هذا الغلام الى مصر قط وأما الخط فعرفوا انه خط مروان وشكوا في أمر عثمان وسألوه ان يدفع اليهم مروان فخاف ان يقتلوه فابى وكان مروان عنده في الدار وعلموا ان عثمان لا يحلف بباطل وانه بريء من هذا الامر الا ان قوما قالوا لن يبرأ عثمان من قلوبنا الا ان يدفع الينا مروان حتى نباحثه ونعرف حال الكتاب فابى عثمان من دفعه فحاصروه في داره ومنعوه الماء قال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه كنا مع عثمان رضي الله عنه وهو محصور في الدار فقال وبم يقتلونني وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بعد اسلام او زنى بعد احصان او قتل نفسا بغير حق فيقتل بها فوالله ما أحببت لديني بدلا منذ هداني الله تعالى ولا زنيت في جاهلية ولا اسلام ولا قتلت نفسا بغير

يدتض عليه فاوصى حجر ودفع كتابه الى رجل وقال له انطلق الى ابنى نافع وكان اكبر اولاده فان بكى وجزع فاتركه واستقرهم واحدا واحدا حتى تاتى امرأ القيس وكان اصغرهم فايهم لم يجزع فادفع اليه خيلى وسلاحى ووصيتى وقد كان بين فى وصيته من قتله وكيف كان خبره فانطلق الرجل بوصيته الى ابنه نافع فوضع التراب على رأسه ثم أتاهم كلهم ففعلوا مثله حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد فقال قتل حجر فلم يلتفت الى قوله وأمسك نديمه فقال له امرؤ القيس اضرب فضرب حتى اذا فرغ قال ما كنت لافسد دستك ثم سأل الرسول عن امر أبيه كله فاخبره فقال له الخمر والنساء على حرام حتى اقتل من بنى اسد مائة واطلق مائة وكان حجر قد طرد امرأ القيس لقوله الشعر وكان يأنف منه ❊ وكانت ام امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحرث اخت كليب بن وائل وكان يسير فى احياء العرب يشرب الخمر على الغدران ويتصيد فأتاه خبر قتل أبيه وهو بدمون من ارض اليمن فلما سمع الخبر قال

تطاول الليل علينا دمون ❊ دمون انا معشر يمانون ❊ وانا لقومنا محبون

ثم قال ضيعنى صغيرا وحملنى دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا امر فذهبت مثلا ثم ارتحل حتى نزل ببكر وتغلب فسألهم النصر على بنى اسد فاجابوه فبعث العيون الى بنى اسد فنذروا به فلجؤا الى بنى كنانة وعيون امرئ القيس معهم فقال لهم علباء بن الحرث اعلموا ان عيون امرئ القيس قد عادوا اليه بخبركم وانكم عند بنى كنانة فارتحلوا بليل ولا تعلموا بنى كنانة فارتحلوا وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب وغيرهم حتى انتهى الى بنى كنانة وهو يظنهم بنى اسد فوضع السلاح فيهم وقال يا لثارات الملك يا لثارات الهمام فقيل له أبيت اللعن لسنا لك بثار نحن بنو كنانة فدونك ثارك فاطلبهم فان القوم قد ساروا بالامس فتبع بنى أسد ففاتوه ليلتهم فقال فى ذلك

الا يا لهف هند اثر قوم ❊ هموا كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببنى أبيهم ❊ وبالاشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء جريضا ❊ ولو أدركنه صفر الوطاب

يعنى ببنى ابيهم كنانة فان اسدا وكنانة ابنى خزيمة هما اخوان وقوله ولو أدركنه صفر الوطاب قيل كانوا اقتلوه واستاقوا ابله فصفرت وطابه من اللبن اى خلت وقيل كانوا قتلوه فخلا جلده وهو وطابه من دمه بقتله فسار امرؤ القيس فى آثار بنى اسد فادركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وهلكوا اعطاشا وبنو اسد نازلون على الماء فقاتلهم حتى كثرت القتلى بينهم وهربت بنو اسد فلما أصبحت بكر وتغلب ابوا ان يتبعوهم وقالوا قد أصبت ثارك فقال لا والله فقالوا بلى ولكنك رجل مشؤم وكرهوا قتالهم بنى كنانة فانصرفوا عنه ومضى الى ازدشنوأة يستنصرهم فابوا ان ينصروه وقالوا اخواننا وجيراننا فسار عنهم ونزل بقيل يدعى مرثد الخير بن ذى جدن الحميرى وكان بينهما قرابة فاستنصره على بنى اسد فامده بخمسمائة رجل من حمير ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس وملك بعده رجل من حمير يقال له قرمل فزود امرأ القيس ثم سير معه ذلك الجيش وتبعه شذاذ من العرب

حتى انهم يقتلوننى فلما اشتد عليه اشرف على الناس فقال افيكم على فقالوا لا فقال أفيكم سعد فقالوا لا فسكت ثم قال الا احد يبلغ عليا فيسقينا ماء فبلغ ذلك عليا فبعث اليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما وصل اليه حتى جرح بسببها عدة من بنى هاشم وبنى امية فلما بلغ عليا ان عثمان محاصر يراد قتله قام خارجا من منزله معتما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه وامامه ابنه الحسن وعبد الله بن عمر فى نفر من الصحابة والمهاجرين والانصار رضى الله عنهم ودخلوا على عثمان وهو محصور فقال له على كرم الله وجهه السلام عليك يا أمير المؤمنين انك امام العامة وقد نزل بك ما ترى وانى أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر احداهن اما ان تخرج فتقاتلهم ونحن معك وأنت على الحق وهم على الباطل واما ان تخرق بابا سوى الباب الذى هم عليه فتركب رواحلك وتلحق بمكة فانهم ان يستحلوك وأنت بها واما ان تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية فقال عثمان اما ان اخرج الى مكة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن اكون انا واما ان الحق بالشام فلن افارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاذا فأذن لنا ان نقاتلهم ونكشفهم عنك قال فلا أكون اول من يأذن فى محاربة امة محمد صلى الله عليه وسلم فخرج على وهو يسترجع وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا احدا يصل اليه وبعث الزبير ابنه وبعث

واستأجر غيرهم من قبائل اليمن فسار بهم إلى بني اسد وظفر بهم ثم ان المنذر طلب امرأ القيس ولج في طلبه ووجه الجيوش اليه فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقة وتفرق عنه من كان معه من حمير وغيرهم فضاق بجماعة من أهله ونزل بالحرث بن شهاب اليربوعي وهو أبو عتيبة بن الحرث فارسل اليه المنذر يتوعده بالقتال ان لم يسلمهم اليه فسلمهم ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحرث وابنته هند ابنة امرئ القيس وادراعه وسلاحه وماله فخرج ونزل على سعد بن الضباب الايادي سيد قومه فأجاره ومدحه امرؤ القيس ثم تحول عنه ونزل على المعلى بن تيم الطائي فاقام عنده واتخذ ابلا هناك فعدا قوم من جديلة يقال لهم بنو زيد عليها فاخذوها فاعطاه بنو نبهان معزى يحلبها فقال

اذا مالم يكن ابل فمعزى * كأن قرون جلتها العصي

الابيات ثم رحل عنهم ونزل بعامر بن جوين فاراد ان يغلب امرأ القيس على ماله واهله فعلم امرؤ القيس بذلك فانتقل الى رجل من بني ثعل يقال له حارثة بن مر فاستجاره فاجاره فوقعت بين عامر بن جوين والثعلي حرب وكانت امور كبيرة فلما رأى امرؤ القيس ان الحرب قد وقعت بين حي بسببه خرج من عندهم فقصد السموأل بن عادياء اليهودي فاكرمه وانزله فاقام عنده امرؤ القيس ماشاء الله ثم طلب منه ان يكتب له الى الحرث ابن أبي شمر الغساني ليوصله الى قيصر ففعل ذلك وسار الى الحرث واودع أهله وادراعه عند السموأل فلما وصل الى قيصر اكرمه فبلغ ذلك بني اسد فارسلوا رجلا منهم يقال له الطماح كان امرؤ القيس قتل اخاله فوصل الاسدي وقد سير قيصر مع امرئ القيس جيشا كثيفا فيهم جماعة من أبناء الملوك فلما سار امرؤ القيس قال الطماح لقيصر ان امرأ القيس غوي عاهر وقد ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها وقال فيها اشعارا أشهرها بها في العرب فبعث اليه قيصر بحلة وشي منسوجة بالذهب مسمومة وكتب اليه اني أرسلت اليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك فالبسها واكتب الي بخبرك من منزل لمنزل فلبسها امرؤ القيس وسر بذلك فاسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سمي ذا القروح فقال امرؤ القيس في ذلك

لقد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسني مما يلبس أبؤسا

فلو انها نفس تموت سوية * ولكنها نفس تساقط أنفسا

فلما وصل الى موضع من بلاد الروم يقال له أنقرة احتضر بها فقال رب خطبة مسحنفرة وطعنة مثعنجره وجفنة مستحيرة حلت بارض أنقره ورأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم وقد دفنت بجنب عسيب وهو جبل فقال

اجارتنا ان الخطوب تنوب * واني مقيم ما أقام عسيب

اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن الى جنب المرأة فقبره هناك ولما مات امرؤ القيس سار الحرث بن ابي شمر الغساني الى السموأل بن عادياء وطالبه بادراع امرئ القيس وكانت مائة درع وماله عنده فلم يعطه فأخذ الحرث ابنا للسموأل فقال اما ان تسلم الادراع واما قتلت ابنك فأبى

طلحة ابنه وبعث عدة من أصحابه محمد ابناهم يمنعون الناس ان يدخلوا على عثمان ويسألونه اخراج مروان فلما رأى ذلك محمد بن ابي بكر وقد رمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه وغيره فخشي محمد ابن أبي بكر ان يغضب بنو هاشم لحال الحسن ويكشفوا الناس عن عثمان فاخذ بيد رجلين من أهل مصر فدخلوا من بيت كان بجواره لان كل من كان مع عثمان كانوا فوق البيوت ولم يكن في الدار عند عثمان الا امرأته فنقبوا الحائط فدخل عليه محمد بن ابي بكر فوجده يتلو القرآن فأخذ بلحيته فقال له عثمان والله لو رآك أبوك لساءه فعلك فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فقتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا قيل جلس عمرو بن الحمق على صدره وضربه حتى مات ووطئ عمير بن ضابئ على بطنه فكسر له ضلعين من اضلاعه وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان حول الدار من الناس وصعدت امرأته فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحا وانتثر الدم على المصحف على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وقال علي لابنيه كيف قتل امير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب على صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله

السموأل ان يسلم اليه شيأ فقتل ابنه فقال السموأل فى ذلك

وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ما ذم اقوام وفيت
واوصى عاديا يوما بأن لا * تهدم ياسموأل مابنيت
بنى لى عاديا حصنا حصينا * وماء كلما شئت استقيت

وقد ذكر الاعشى هذه الحادثة فقال

كن كالسموأل اذطاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار
اذسامه خطتى خسف فقال له * قل ماتشاء فانى سامع حار
فقال غدر وثكل أنت بينهما * فاختر فمافيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له * اقتل أسيرك انى مانع جار

وهى أكثر من هذا

(يوم خزاز)

وكان من حديثه ان ملكا من ملوك اليمن كان فى يديه اسارى من مضر وربيعة وقضاعة فوفد عليه وفد من وجوه بنى معد منهم سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وعوف بن محلم ابن ذهل بن شيبان وعوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان وجشم بن ذهل بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان فلقيهم رجل من بهراء يقال له عبيد بن قراد وكان فى الاسارى وكان شاعرا فسألهم ان يدخلوه فى عدة من يسألون فيه فكلموا الملك فيه وفى الاسارى فوهبهم لهم فقال عبيد بن قراد البهراوى

نفسى الفداء لعوف الفعال * وعوف ولابن هلال جشم
تداركنى بعد ماقد هويت * مستمسكا بعرا فى الوذم
ولولا سدوس وقد شمرت * بى الحرب زلت بنعلى القدم
وناديت بهراء كى يسمعوا * وايس بآذانهم من صمم
ومن قبلها عصمت قاسط * معدا اذا ماعز يزازم

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينة وقال للباقين ائتونى برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لى والاقتلت أصحابكم فرجعوا الى قومهم فاخبروهم الخبر فبعث كليب وائل الى ربيعة فجمعهم واجتمعت عليه معد وهو احد النفر الذين اجتمعت عليهم معد على مانذكره فى مقتل كليب فلما اجتمعوا عليه سار بهم وجعل على مقدمته السفاح التغلبى وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن تغلب وأمرهم أن يوقدوا على خزاز نارا ليهتدوا بها وخزاز جبل بطخفة مابين البصرة الى مكة وهو قريب من سالع وهو جبل أيضا وقال له ان غشيك العدو فاوقد نارين فبلغ مذحجا اجتماع ربيعة ومسيرها فاقبلوا بجموعهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا اليهم فلما سمع اهل تهامة بمسير مذحج انضموا الى ربيعة ووصلت مذحج الى خزاز ليلا فرفع السفاح نارين فلما رأى كليب النارين اقبل اليهم بالجموع فصبحهم فالتقوا بخزاز فاقتتلوا قتالا شديدا أكثروا فيه القتل فانهزمت مذحج وانفضت جموعها فقال السفاح فى ذلك

وجاء الناس يهرعون اليه فقالوا نبايعك فمد يدك فلا بد لنا من أمير فقال على والله انى لاستحى ان ابايع قوما قتلوا عثمان وانى لاستحى من الله تعالى ان ابايع وعثمان لم يدفن بعد فافترقوا ثم رجعوا فسألوه البيعة فقال اللهم انى مشفق مما اقدم عليه فقال لهم ليس ذلك اليكم انما ذلك لاهل بدر فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق احد من أهل بدر حتى أتى عليا فقالوا مانرى احدا أحق بها منك مد يدك نبايعك فبايعوه فهرب مروان وولده وجاء على وسأل امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان. قالت لا أدرى دخل عليه محمد بن أبى بكر ومعه رجلان لا اعرفهما فدعا محمدا فسأله عماذكرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب والله دخلت عليه وانا أريد قتله فذكر لى ابى فقمت عنه وانا تائب الى الله تعالى والله ماقتلته ولا أمسكته فقالت امرأته صدق ولكنه أدخلهما عليه وكان قتل عثمان فى وسط أيام التشريق يوم الجمعة لثمان عشر بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء فى حش كوكب بالبقيع وهو أول من دفن به وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وكانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة وصلى عليه الزبير ودفنه *عن زيد بن أبى حبيب قال بلغنى ان عامة من اشار الى قتل عثمان جنوا *عن حذيفة قال أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذى نفسى بيده لايموت رجل وفى قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان الا اتبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به فى قبره عن ابن عباس

وليلة بت اوقد فى خزاز • هديت كائبا متحيرات

ضللن من السهاد وكن لولا • سهاد القوم احسب هاديات

وقال الفرزدق يخاطب جريرا ويهجوه

لولا فوارس تغلب ابنة وائل • دخل العدو عليك كل مكان

ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا • نارين أشرفتا على النيران

وقيل انه لم يعلم احد من كان الرئيس يوم خزاز لان عمرو بن كلثوم وهو ابن ابنة كليب يقول

ونحن غداة أوقد فى خزاز • رفدنا فوق رفد الرافدينا

فلو كان جده الرئيس لذكره ولم يفتخر بانه رفد ثم جعل من شهد خزازا متساندين فقال

فكنا الايمنين اذا التقينا • وكان الايسرين بنو ابينا

فصالوا صولة فيمن يليهم • وصلنا صولة فيمن يلينا

فقالوا انه استأثرت على اخوتك يعنى مضر ولما ذكر جده فى القصيدة قال

ومنا قبله الساعى كليب • فأى المجد الا قد ولينا

فلم يدع به الرياسة يوم خزاز وهى أشرف ما كان يفتخر به حبيب بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره باء أخرى موحدة

•(ذكر مقتل كليب والايام بين بكر وتغلب)•

وكان من حديث الحرب التى وقعت بين بكر وتغلب ابنى وائل بن هنب بن أفصى بن دعمى ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بسبب قتل كليب واسمه وائل ابن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وانما لقب كليبا لانه كان اذا سار أخذ معه جرو كلب فاذا مر بروضة او موضع يعجبه ضربه ثم ألقاه فى ذلك المكان وهو يصيح ويعوى فلا يسمع عواءه احد الا تجنبه ولم يقربه وكان يقال كليب وائل ثم اختصروا فقالوا كليب فغلب عليه وكان لواء ربيعة بن نزار للاكبر فالاكبر من ولده فكان اللواء فى عنزة بن اسد بن ربيعة وكان سنتهم انهم يوفرون لمامهم ويقصون شواربهم فلا يفعل ذلك من ربيعة الا من يخالفهم ويريد حربهم ثم تحول اللواء فى عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار وكانت سنتهم اذا شتموا لطموا من شتمهم واذا لطموا قتلوا من لطمهم ثم تحول اللواء فى النمر بن قاسط بن هنب وكان لهم غير سنة من تقدمهم ثم تحول اللواء الى بكر بن وائل فساروا غيرهم فى فرخ طائر كانوا يوثقون الفرخ بقارعة الطريق فاذا علم بمكانه لم يسلك احد ذلك الطريق ويسلك من يريد الذهاب والمجىء عن يمينه ويساره ثم تحول اللواء الى تغلب فوليه وائل ابن ربيعة وكانت سنته ما ذكرناه من جرو الكلب ولم يجتمع معد الا على ثلاثة نفر وهم عامر ابن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحرث وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان وهو • الناس ابن مضر بالنون وهو أخو الياس بن مضر وكان قائد معد حين تمذحجت مذحج وسارت الى تهامة وهى أول وقعة كانت بين تهامة واليمن والثانى ربيعة بن الحرث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب وكان قائد معد يوم السلان بين أهل اليمامة

واليمن

رضى الله عنه انه قال لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء اخرج ابن عدى وابن عساكر من حديث أنس رضى الله عنه ان لله سيفا مغمودا فى غمده ما دام عثمان حيا فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد الى يوم القيامة اخرج ابن عساكر عن أبى خلدة قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول ان بنى امية يزعمون انى قتلت عثمان لا والله الذى لا اله الا هو ما قتلت ولا مالأت ولقد نهيت فعصونى عن سمرة قال ان الاسلام كان فى حصن حصين وانهم ثلموا فى الاسلام ثلمة بقتلهم عثمان لا تنسد الى يوم القيامة وان أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فاخرجوها ولم تعد اليهم اخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن حميد بن هلال قال كان عبد الله بن سلام يدخل على محاصرى عثمان فيقول لا تقتلوه فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقى الله اجذم لا يدله وان سيف الله لم يزل مغمودا وانكم والله ان قتلتموه ليسلنه الله ثم لا يغمده عنكم ابدا وما قتل نبى قط الا قتل بسببه سبعون ألفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون ألفا قبل ان يجتمعوا وفى الروض النضر ان ملك الروم لما سمع بقتله تعجب وقال يقتلون خليفتهم ونحن نكرم خشبة زعموا ان المسيح صلب عليها وقالوا انه طلب الماء فاسقى فقال والله لو حضرته واستنصرنى لنصرته وفى هذا كفاية لمن يعى واخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن ابن المهدى قال خصلتان لعثمان ليستا لابى بكر ولا عمر صبره على نفسه حتى قتل وجمعه الناس على المصحف ومحاسن مناقبه ظاهرة وافرة

والمين والثالث وائل بن ربيعة وكان قائد معد يوم خزاز ففض جموع اليمن وهزمهم وجعلت له معد قسم الملك وتاجه وطاعته وبقي زمانا من الدهر ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه وكان يقول وحش ارض كذا في جواري فلا يصاد ولا يورد احد مع ابله ولا يوقد نار مع ناره ولا يمر احد بين بيوته ولا يحتبي في مجلسه وكانت بنو جشم وبنو شيبان اخلاطا في دار واحدة ارادة الجماعة ومخافة الفرقة وتزوج كليب جليلة بنت مرة بن شيبان بن ثعلبة وهي اخت جساس بن مرة وحمى كليب ارضا من العالية في أول الربيع وكان لا يقربها الا محارب ثم ان رجلا يقال له سعد بن شمس بن طوق الجرمي نزل بالبسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة وكان للجرمي ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق جساس وهي التي ضربت العرب بها المثل فقال اشأم من سراب واشأم من البسوس فخرج كليب يوما يتعهد الابل ومراعيها فأتاها وتردد فيها وكانت ابله وابل جساس مختلطة فنظر كليب الى سراب فانكرها فقال له جساس وهو معه هذه ناقة جارنا الجرمي فقال لا تعد هذه الناقة الى هذا الحمى فقال جساس لا ترعى ابلي مرعى الا وهذه معها فقال كليب لئن عادت لاضعن سهمي في ضرعها فقال جساس لئن وضعت سهمك في ضرعها لاضعن سنان رمحي في لبتك ثم تفرقا وقال كليب لامرأته أترين ان في العرب رجلا مانعا مني جاره قالت لا أعلمه الا جساسا فحدثها الحديث وكان بعد ذلك اذا أراد الخروج الى الحمى منعته وناشدته الله ان يقطع رحمه وكانت تنهى أخاها جساسا ان يسرح ابله (٣) ثم ان كليبا خرج الى الحمى وجعل يتصفح الابل فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فانفذه فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها فلما رأى ما بها اصرخ بالذل وسمعت البسوس صراخ جارها فخرجت اليه فلما رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها ثم صاحت واذلاه وجساس يراها ويسمع فخرج اليها فقال لها اسكتي ولا تراعي وسكن الجرمي وقال لهما اني ساقتل جملا أعظم من هذه الناقة ساقتل غلالا وكان غلال فحل ابل كليب لم ير في زمانه مثله وانما أراد جساس بمقالته كليبا وكان لكليب عين يسمع ما يقولون فاعاد الكلام على كليب فقال لقد اقتصر من يمينه على غلال ولم يزل جساس يطلب غرة كليب فخرج كليب يوما آمنا فلما بعد عن البيوت ركب جساس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كليبا فوقف كليب فقال له جساس يا كليب الرمح وراءك فقال ان كنت صادقا فاقبل الي من امامي ولم يلتفت اليه فطعنه فأرداه عن فرسه فقال يا جساس أغثني بشربة من ماء فلم يأته بشيء وقضى كليب نحبه فأمر جساس رجلا كان معه اسمه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان فجعل عليه احجارا لئلا تأكله السباع وفي ذلك يقول مهلهل بن ربيعة اخو كليب

قتيل ما قتيل المرء عمرو * وجساس بن مرة ذي صريم
أصاب فؤاده بأصم لدن * فلم يعطف هناك على حميم
فان غدا وبعد غد لرهن * لامر ما يقام له عظيم
جسيما ما بكيت به كليبا * اذا ذكر الفعال من الجسيم

واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشميا وقد أسلمت وهاجرت وكنيته ابو الحسن وابو تراب وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وكان شيخا اصلع كثير الشعر ربعة الى القصر اقرب عظيم البطن عظيم اللحية جدا قد ملأت ما بين منكبيه بيضاء كأنها قطن آدم شديد الادمة وكان خاتمه من الورق ونقشه الملك لله وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين واحد السابقين الى الاسلام واحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين واحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اول خليفة من بني هاشم وهو اول من اسلم من الاولاد وعنه رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء وشهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها الا تبوك فان النبي عليه السلام استخلفه على المدينة واعطاه اللواء في مواطن كثيرة خصوصا يوم خيبر واخبر ان الفتح يكون على يديه قال جابر بن عبد الله حمل علي الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها وانهم جروه بعد ذلك فلم يحمله الا اربعون رجلا وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة حديث وست وثمانون حديثا اخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزل قوله تعالى ندع أبناءنا وأبناءكم دعا

سأشرب كأسها صرفا وأسقي * بكأس غير منطقة مليم

ولما قتل جساس كليبا انصرف على فرسه يركضه وقد بدت ركبتاه فلما نظر أبوه مرة الى ذلك قال لقد اتاكم جساس بداهية ما رأيته قط بادي الركبتين الى اليوم فلما وقف على أبيه قال مالك يا جساس قال طعنت طعنة يجتمع بنو وائل غدا لها رقصا قال ومن طعنت لامك الثكل قال قتلت كليبا قال افعلت قال نعم قال بئس والله ما جنيت به قومك فقال جساس

تأهب عنك أهبة ذي امتناع * فان الامر جل عن التلاحي

فاني قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

فلما سمع ابوه قوله خاف خذلان قومه لما كان من لائمته اياه فقال يجيبه

فان تك قد جنيت علي حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

جمعت بها يديك على كليب * فلا وكل ولا رث السلاح

سألبس ثوبها وأذود عني * بها عار المذلة والفضاح

ثم ان مرة دعا قومه الى نصرته فأجابوه وجلوا الاسنة وشحذوا السيوف وقوموا الرماح وتهيؤا للرحلة الى جماعة قومهم وكان همام بن مرة اخو جساس ومهلهل اخو كليب في ذلك الوقت يشربان فبعث جساس الى همام جارية لهم تخبره الخبر فانتهت اليهما واشارت الى همام فقام اليها فاخبرته فقال له مهلهل ما قالت لك الجارية وكان بينهما عهد ان لا يكتم أحدهما صاحبه شيئا فذكر له ما قالت الجارية واحب ان يعلمه ذلك في مداعبة وهزل فقال له مهلهل است اخيك اضيق من ذلك فاقبلا على شربهما فقال له مهلهل اشرب فاليوم خمر وغدا امر فشرب همام وهو حذر خائف فلما سكر مهلهل عاد همام الى اهله فساروا من ساعتهم الى جماعة قومهم وظهر أمر كليب فذهبوا اليه فدفنوه فلما دفن شقت الجيوب وخمشت الوجوه وخرجت الابكار وذوات الخدور والعواتق اليه وقمن للمأتم فقال النساء لاخت كليب أخرجي جليلة أخت جساس عنا فان قيامها فيه شماتة وعار علينا وكانت امرأة كليب كما ذكرنا فقالت لها أخت كليب اخرجي عن مأتمنا فانت أخت قاتلنا وشقيقه واخرنا فخرجت تجر عطافها فلقيها أبوها مرة فقال لها ما وراءك يا جليلة فقالت ثكل العدد وحزن الابد وفقد خليل وقتل أخ عن قليل وبين هذين غرس الاحقاد وتفتت الاكباد فقال لها أو يكف ذلك كرم الصفح واغلاء الديات فقالت أمنية مخدوع ورب الكعبة البيت أبعد تدع لك تغلب دم ربها ولما رحلت جليلة قالت اخت كليب رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها اسعد الله اختي الا قالت نفرة الحياء وخوف الاعداء ثم انشأت تقول

يا ابنة الاقوام ان شئت فلا * تعجلي باللوم حتى تسألي

فاذا ما أنت تبينت الذي * يوجب اللوم فلومي واعذلي

ان تكن اخت امرئ ليمت على * شفق منها عليه فافعلي

جل عندي فعل جساس فيا * حسرتا عما انجلت أو تنجلي

رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة ٢١٦ وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي اخرج الترمذي عن أبي سريحة عن النبي عليه السلام قال من كنت مولاه فعلي مولاه وفي أكثرها زيادة اللهم وال من والاه وعاد من عاداه اخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي ابن جنادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي مني وأنا من علي اخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه جاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين احد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت أخي في الدنيا والآخرة اخرج مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي الي انه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق عن ام سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب عليا فقد أحبني ومن احبني فقد أحب الله ومن ابغض عليا فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وفي حديث آخر يقول من سب عليا فقد سبني وقد أخرج ابن سعد عن علي كرم الله وجهه قال والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت ام بنهار في سهل او في جبل قال ابن سعد بويع علي بالخلافة من الغد من قتل عثمان بالمدينة نبايعه جميع من كان بها من الصحابة ويقال ان طلحة والزبير بايعا كارهين

فعل

فعل جساس على وجدي به * قاطع ظهري ومدن أجلي
لو بعين فقئت عين سوى * اختها فانفقأت لم احفل
تحمل العين قذى العين كما * تحمل الام أذى ماتفتلي
يا قتيلا قوض الدهر به * سقف بيتي جميعا من عل
هدم البيت الذي استحدثته * وانثنى في هدم بيتي الاول
ورماني قتله من كثب * رمية المصمى به المستأصل
يا نسائي دونكن اليوم قد * خصني الدهر برزء معضل
خصني قتل كليب بلظى * من ورائي ولظى مستقبل
ليس من يبكي ليومين كمن * انما يبكي ليوم مقبل
يشتفي المدرك بالثأر وفي * دركي ثأري ثكل المثكل
ليته كان دما فاحتلبوا * دررا منه دمي من اكحل
انني قاتلة مقتولة * ولعل الله ان يرتاح لي

واما مهلهل واسمه عدي وقيل امرؤ القيس وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي وانما لقب مهلهلا لانه أول من هلهل الشعر وقصد القصائد وأول من كذب في شعره بانه لما صحا لم يرعه الا النساء يصرخن الان كليبا قتل فقال وهو أول شعر قيل في هذه الحادثة

كأن الغارة على العواتق أن ترى * بالامس خارجة عن الاوطان
يخرجن حين ثوى كليب حسرا * مستيقنات بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواطلا * اذحان مصرعه من الاكفان
يخمشن من أدم الوجوه حواسرا * من بعده ويعدن بالازمان
متسلبات نكدهن وقد ورى * اجوافهن بحرقة ورواني
ويقلن من للمستضيف اذا دعا * ام من لخضب عوالي المران
أم لا تسار بالجزور اذا غدا * ريح يقطع معقد الاشطان
أم من لاسباق الديات وجمعها * ولفادحات نوائب الحدثان
كان الذخيرة للزمان فقد أتى * فقدانه واخل ركن مكاني
يا لهف نفسي من زمان فاجع * القى على بكلكل وجران
بمصيبة لا تستقال جليلة * غلبت عزاء القوم والنسوان
هدت حصونا كن قبل ملاوذا * لذوي الكهول معا وللشبان
اضحت واضحى سورها من بعده * متهدم الاركان والبنيان
فابكين سيد قومه واندبنه * شدت عليه قباطي الاكفان
وابكين للايتام لما اقحطوا * وابكين عند تخاذل الجيران
وابكين مصرع جيده متزملا * بدمائه فلذاك ما ابكاني
فلاتركن به قبائل تغلب * قتلى بكل قرارة ومكان
قتلى تعاورها النسور اكفها * ينهشنها وحواجل الغربان

غير طائعين ثم خرجا الى مكة وعائشة بها فأخذاها وخرجا الى البصرة يطلبون بدم عثمان فبلغ ذلك عليا فخرج الى العراق فالتقى بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة وقتل بها طلحة والزبير وغيرهما وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا واقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة ثم انصرف الى الكوفة ثم خرج عليه معاوية ابن أبي سفيان ومن معه بالشام فبلغ عليا فسار اليه فالتقوا بصفين في سنة سبع وثلاثين ودام القتال بها أياما فرفع اهل الشام المصاحف يدعونه الى ما فيها مكيدة من عمرو ابن العاص فكره الناس الحرب وتداعوا الى الصلح وحكموا الحكمين فحكم علي أبا موسى الاشعري وحكم معاوية عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتابا على ان يوافوا رأس الحول باذرح فينظروا في أمر الامة فافترق الناس ورجع معاوية الى الشام وعلي الى الكوفة فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا لا حكم الا لله وعسكروا بحروراء فبعث اليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم فرجع منهم قوم كثير وثبت قوم وساروا الى النهروان فسار اليهم علي ليقتلهم فاجتمع الناس للمعاكمة باذرح في شعبان من هذه السنة وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة فقدم عمرو بن العاص أبا موسى الاشعري مكيدة منه فتكلم فخلع عليا وتكلم عمرو فأقر معاوية وبايع له وتفرق الناس على هذا وصار علي في خلاف من أصحابه حتى صار يعض على اصبعه ويقول اعصى ويطاع معاوية واخرج ابن

ثم انطلق الى المكان الذى قتل فيه كليب فرأى دمه واتى قبره فوقف عليه ثم قال

ان تحت التراب حزما وعزما ٭ وخصيما الدّ ذا معلاق

حية فى الوجار اربد لا ينـ ٭ ـفع منه السليم نفث الراقى

ثم جز شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب وجمع اليه قومه وارسل رجالا منهم الى بنى شيبان فاتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو فى نادى قومه فقالوا له انكم اتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناقة وقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا نعرض عليك خلالا اربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع اما ان تحيى لنا كليبا او تدفع الينا قاتله جساسا فنقتله به او هماما فانه كفء له او تمكننا من نفسك فان فيك وفاء لدمه فقال لهم أما احيائى كليبا فلست قادرا عليه واما دفعى جساسا اليكم فانه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه فلا أدرى اى بلاد قصد وأما همام فانه ابو عشرة واخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره وأما انا فهو الا ان تجول الخيل جولة فاكون أول قتيل فما اتعجل الموت ولكن لكم عندى خصلتان أما احداهما فهؤلاء ابنائى الباقون فخذوا ايهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم وأما الاخرى فانى أدفع اليكم الف ناقة سود الحدق حمر الوبر فغضب القوم وقالوا لقد اسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب ونشبت الحرب بينهم ولحقت جليلة زوجة كليب بابيها وقومها واعتزلت قبائل بكر الحرب وكرهوا مساعدة بنى شيبان على القتال واعظموا قتل كليب فتحولت لجيم ويشكر وكف الحرث بن عباد عن نصرهم ومعه اهل بيته وقال مهلهل عدة قصائد يرثى كليبا منها

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها ٭ اذ انت خليتها فيمن يخليها

كليب أى فتى عز ومكرمة ٭ تحت السفائف اذ يعلوك سافيها

نعى النعاة كليبا الى فقلت لهم ٭ مالت بنا الارض أو زالت رواسيها

الحزم والعزم كانا من صنيعته ٭ ما كل آلائه يا قوم أحصيها

القائد الخيل تردى فى اعنتها ٭ زهوا اذا الخيل لجت فى تعاديها

من خيل تغلب ما تلقى اسنتها ٭ الا وقد خضبوها من أعاديها

يهزهزون من الخطى مدمجة ٭ صما أنابيبها زرقا عواليها

ليت السماء على من تحتها وقعت ٭ وانشقت الارض فانجابت بمن فيها

لا اصلح الله منا من يصالحكم ٭ ما لاحت الشمس فى أعلى مجاريها

فالتقوا أول قتال كان بينهم فى قول يوم عنيزة وهى عند فلج وكانا على السواء فقال مهلهل

كأنا غدوة وبنى ابينا ٭ بجنب عنيزة رحيا مدير

ولولا الريح أسمع اهل حجر ٭ صليل البيض تقرع بالذكور

فتفرقوا ثم بقوا زمانا ثم انهم التقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه ويرى انه أول وقعة كانت بينهم وكان رئيس تغلب مهلهل ورئيس شيبان الحرث بن مرة وكانت الدائرة لبنى تغلب وكانت الشوكة فى بنى شيبان واستحر القتال فيهم الا انه لم يقتل

عما كر عن الحسن قال لما قدم على البصرة قام اليه ابن الكواء وقيس بن عباد فقالا له الا تخبرنا عن مسيرك هذا الذى سرت فيه تتولى على الامة تضرب بعضهم ببعض اعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده اليك فحدثنا فانت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال اما ان يكون عندى عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فلا والله ان كنت أول من صدق به فلا اكون أول من كذب عليه ولو كان عندى من النبى عليه السلام عهد فى ذلك ما تركت أخا بنى تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما بيدى ولو لم أجد الا بردتى هذه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة مكث فى مرضه اياما وليالى يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس وهو يرى مكانى ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس وهو يرى مكانى ولقد ارادت امرأة من نسائه ان تصرفه عن أبى بكر فابى وغضب وقال انتن كصواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نظرنا فى أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه نبى الله لديننا وكانت الصلاة أصل الاسلام وهى قوام الدين فبايعنا ابا بكر وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض ولم نقطع منه البراءة فاديت الى أبى بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه فى جنوده وكنت آخذ اذا أعطانى واغزو اذا اغزانى واضرب بين يديه الحدود بسوطى فلما قبض ولاها عمر فاخذ بسنة صاحبه وما يعرف

ذلك

ذلك اليوم أحد من بني مرة ثم التقوا بالذنائب وهي اعظم وقعة كانت لهم فظفرت بنو تغلب وقتلت بكرا مقتلة عظيمة وقتل فيها شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان وهو جد الحوفزان وجد معن بن زائدة وقتل الحرث بن مرة بن ذهل بن شيبان وقتل من بني ذهل بن ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل وغيرهم من رؤساء بكر ثم التقوا يوم واردات فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت تغلب أيضا وكثر القتل في بكر فقتل همام بن مرة ابن ذهل بن شيبان أخو جساس لابيه وأمه فمر مهلهل فلما رآه قتيلا قال والله ما قتل بعد كليب أعز علي منك وتالله لا تجتمع بكر بعد كما على خير أبدا وقيل انما قتل يوم القصيبات وقيل يوم قضة قتله ناشرة وكان همام قد التقطه ورباه وسماه ناشرة وكان عنده فلما شب علم انه تغلبي فلما كان هذا اليوم جعل همام يقاتل فاذا عطش جاء الى قربة له يشرب منها فتغفله ناشرة فقتله ولحق بقومه تغلب وكاد جساس يؤخذ فلم فقال مهلهل

لو ان خيلي أدركتك وجدتهم * مثل الليوث بسترغب عرين

(ويقول فيها)

ولأوردن الخيل بطن اراكة * ولأقضين بفعل ذاك ديوني

ولأقتلن جحاجحا من بكركم * ولأبكين بها جفون عيون

حتى تظل الحاملات مخافة * من وقعنا يقذفن كل جنين

وقيل في ترتيب الايام غير ما ذكرنا وسنذكره ان شاء الله تعالى وكان ابو نويرة التغلبي وغيره طلائع قومه وكان جساس وغيره طلائع قومهم والتقى بعض الليالي جساس وابو نويرة فقال له أبو نويرة اختر اما الصراع أو الطعان أو المسايفة فاختار جساس الصراع فاصطرعا وابطأ كل واحد منهما على أصحاب حيه وطلبوهما فاصابوهما وهما يصطرعان وقد كاد جساس يصرعه ففرقوا بينهما وجعلت تغلب تطلب جساسا أشد الطلب فقال له أبوه مرة الحق باخوالك بالشام فامتنع فألح عليه ابوه فسيره سرا في خمسة نفر وبلغ الخبر الى مهلهل فندب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلا من شجعان أصحابه فسار واجدين فادركوا جساسا فقاتلهم فقتل ابو نويرة وأصحابه ولم يبق منهم غير رجلين وجرح جساس جرحا شديدا مات منه وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين ايضا فعاد كل واحد من السالمين الى اصحابه فلما سمع مرة قتل ابنه جساس قال انما يحزنني أن كان لم يقتل منهم أحدا فقيل له انه قتل بيده ابا نويرة رئيس القوم وقتل معه خمسة عشر رجلا ما شركه منا احد في قتلهم وقتلنا نحن الباقين فقال ذلك مما يسكن قلبي عن جساس وقيل ان جساسا آخر من قتل في حرب بكر وتغلب وكان سبب قتله ان أخته جليلة كانت تحت كليب وائل فلما قتل كليب عادت الى ابيها وهي حامل ووقعت الحرب وكان من الفريقين ما كان ثم عادوا الى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانى فولدت أخت جساس غلاما فسمته هجرسا ورباه جساس وكان لا يعرف ابا غيره فزوجه ابنته فوقع بين هجرس وبين رجل من بكر كلام فقال له البكري ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك فامسك عنه ودخل الى أمه كئيبا حزينا فاخبرها الخبر فلما نام الى جنب امرأته رأت من همه وفكره ما انكرته فقصت على أبيها

من أمره فبايعنا عمر لم يختلف عليه منا اثنان فأديت الى عمر حقه وعرفت طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا اغزاني واضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وانا اظن ان لا يعدل بي أحدا ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده ذنبا الا لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ولو كانت محاباة منه لآثر بها ولده فبرئ منها الى رهط من قريش ستة انا احدهم فلما اجتمع الرهط تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وانا أظن ان لا يعدلوا بي احدا فاخذ عبد الرحمن مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله امرنا ثم أخذ ابن عفان فضرب بيده على يده فنظرت في أمري فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني واضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما أصيب نظرت في أمري فاذا الخليفتان اللذان اخذاها بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الذي اخذ له الميثاق قد أصيب فبايعني اهل الحرمين واهل هذين المصرين فوثب فيها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء ان ثلاثة نفر من الخوارج انتدبوا وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكير التميمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص فقال ابن ملجم

جساس قصته فقال ثائر ورب الكعبة وبات على مثل الرضف حتى أصبح فاحضر الهجرس فقال له انما انت ولدي وانت مني بالمكان الذي تعلم وزوجتك ابنتي وقد كانت الحرب في ابيك زمانا طويلا وقد اصطلمنا وتحاجزنا وقد رأيت ان تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق معي حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا فقال الهجرس انا فاعل فحمله جساس على فرس فركبه ولبس لامته وقال مثلي لا يأتي أهله بغير سلاحه فخرجا حتى أتيا جماعة من قومه فاقتص عليهم جساس القصة واعلمهم ان الهجرس يدخل في الذي دخل فيه جماعتهم وقد حضر لعقد ما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد اخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال وفرسي واذنيه ورمحي ونصليه وسيفي وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه وكان آخر قتيل في بكر والاول اكثر ونرجع الى سياقة الحديث فلما قتل جساس أرسل ابو مرة الى مهلهل انك قد أدركت ثارك وقتلت جساسا فاكفف عن الحرب ودع اللجاج والاسراف واصلح ذات البين فهو اصلح للحيين وانكأ لعدوهم فلم يجب الى ذلك وكان الحرث بن عباد قد اعتزل الحرب فلم يشهدها فلما قتل جساس وهمام ابنا مرة حمل ابنه بجيرا وهو ابن عمرو ابن عباد أخي الحرث بن عباد فلما جاء على الناقة كتب معه الى مهلهل انك قد أسرفت في القتل وأدركت ثارك سوى ما قتلت من بكر وقد أرسلت ابني اليك فاما قتلته باخيك وأصلحت بين الحيين واما اطلقته واصلحت ذات البين فقد مضى من الحيين في هذه الحروب من كان بقاؤه خيرا لنا ولكم فلما وقف على كتابه أخذ بجيرا فقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب فلما سمع ابوه بقتله ظن انه قد قتله باخيه ليصلح بين الحيين فقال نعم القتيل قتيلا اصلح بين ابني وائل فقيل انه قال بؤ بشسع نعل كليب فغضب عند ذلك الحرث بن عباد وقال

قربا مربط النعامة مني * لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني * شاب رأسي وانكرتني رجالي
لم أكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صالي

فاتوه بفرسه النعامة ولم يكن في زمانها مثلها فركبها وولي أمر بكر وشهد حربهم وكان أول يوم شهده يوم قضة وهو يوم تحلاق اللمم وانما قيل له تحلاق اللمم لان بكرا حلقوا رؤوسهم ليعرف بعضهم بعضا الا جحدر بن ضبيعة بن قيس ابو المسامعة فقال لهم انا قصير فلا تشينوني وانا اشتري لمتي منكم باول فارس يطلع عليكم فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله وكان يرتجز ذلك اليوم ويقول

ردوا علي الخيل ان ألمت * ان لم اقاتلهم فجزوا لمتي

وقاتل يومئذ الحرث بن عباد قتالا شديدا فقتل في تغلب مقتلة عظيمة وفيه يقول طرفة

سائلوا عنا الذي يعرفنا * بقوانا يوم تحلاق اللمم
يوم تبدي البيض عن اسوقها * وتلف الخيل أفواج النعم

وفي هذا اليوم اسر الحرث بن عباد مهلهلا واسمه عدي وهو لا يعرفه فقال له دلني على عدي وأنا اخلي عنك فقال له المهلهل عليك عهد الله بذلك ان دللتك عليه قال نعم قال فانا

انا الكم بعلي وقال البرك انا الكم بمعاوية وقال عمرو بن بكر انا اكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا على ذلك ليلة سبع عشرة من رمضان ثم توجه كل منهم الى المصر الذي فيه صاحبه فقدم ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريده الى ليلة الجمعة سابع عشرة رمضان سنة أربعين فاستيقظ علي مصرا وقال لابنه الحسن رأيت الليلة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاود واللدد فقال لي ادع الله تعالى عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني ودخل المؤذن فقال الصلاة فخرج علي من الباب ينادي أيها الناس الصلاة الصلاة فاعترضه ابن ملجم فضربه بالسيف فاصاب جبهته ووصل الى دماغه فشد عليه الناس من كل جانب فامسك واوثق وأقام علي رضي الله تعالى عنه الجمعة والسبت وتوفي ليلة الاحد وغسله الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ومحمد بن الحنفية وصلى عليه الحسن ودفن بدار الامارة بالكوفة ليلا واخفي قبره لئلا ينبشه الخوارج ثم قطعت اطراف ابن ملجم وجعل في قوصرة واحرقوه بالنار واما البرك فانه ضرب معاوية فاصاب اوراكه وكان معاوية عظيم الاوراك فقطع منه عرق النكاح فلم يولد له بعد ذلك ولد فامر معاوية باتخاذ المقصورة في الجوامع من ذلك الوقت وأما عمرو ابن بكير فانه رصد عمرو بن العاص بمصر فاشتكى عمرو بطنه فلم يخرج الى الصلاة فصلى بالناس رجل من بني تميم يقال له خارجة فضربه ابن بكير فقتله واليه أشار ابن عبدون في قصيدته الرائية

عدي فجز ناصيته وتركه وقال في ذلك

لهف نفسي على عدي ولم أعـ * ـرف عديا اذ امكنتني اليدان

وكانت الايام التي اشتدت فيها الحرب بين الطائفتين خمسة أيام يوم عنيزة تكافؤا فيه وتناصفوا ثم اليوم الثاني يوم واردات كان لتغلب على بكر ثم اليوم الثالث الحنو كان لبكر على تغلب ثم اليوم الرابع يوم القصيبات أصيب بكر حتى ظنوا انهم لن يستقلوا ثم اليوم الخامس يوم قضة وهو يوم التحالق وشهده الحرث بن عباد ثم كان بعد ذلك أيام دون هذه منها يوم النقية ويوم الفصيل لبكر على تغلب ثم لم يكن بينهما مزاحفة انما كان مغاورات ودامت الحرب بينهما أربعين سنة ثم ان مهلهلا قال لقومه قد رأيت ان تبقوا على قومكم فانهم يحبون صلاحكم وقد أتت على حربكم أربعون سنة وما لمتكم على ما كان من طلبكم بوتركم فلو مرت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تمل من طولها فكيف وقد فني الحيان وثكلت الامهات ويتم الاولاد ونائحة لا تزال تصرخ في النواحي ودموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن وسيوف مشهورة ورماح مشرعة وان القوم سيرجعون اليكم غدا بمودتهم ومواصلتهم وتتعطف الارحام حتى تتواسوا في قتال القتل فكان كما قال ثم قال مهلهل اما أنا فما تطيب نفسي ان أقيم فيكم ولا أستطيع ان أنظر الى قاتل كليب وأخاف ان احملكم على الاستئصال وأنا سائر الى اليمن وفارقهم وسار الى اليمن ونزل في جنب وهي حي من مذحج فخطبوا اليه ابنته فمنعهم فاجبروه على تزويجها وساقوا اليه صداقها جلودا من أدم فقال في ذلك

أعزز على تغلب بما لقيت * أخت بني الاكرمين من جشم
انكحها فقدها الاراقم في * جنب وكان الحباء من أدم
لو بأبانين جاء يخطبها * ضرج ما انف خاطب بدم

الاراقم بطن من جشم بن تغلب يعني حيث فقدت الاراقم وهم عشيرتها تزوجها رجل من جنب بادم ثم ان مهلهلا عاد الى ديار قومه فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة البكري أسيرا بنواحي هجر فاحسن اساره فمر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر وكان صديقا لمهلهل فاهدى اليه وهو أسير زقا من خمر فاجتمع اليه بنو مالك فنحروا عنده بكرا وشربوا عند مهلهل في بيته الذي أفرد له عمرو فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بما كان يقوله من الشعر وينوح به على أخيه كليب فسمع منه عمرو ذلك فقال انه لريان والله لا يشرب عندي ماء حتى يرد زبيب وهو فحل كان له لا يرد الا خمسا في حمارة القيظ فطلب بنو مالك زبيبا وهم حراص على ان لا يهلك مهلهل فلم يقدروا عليه حتى مات مهلهل عطشا وقيل ان ابنة خال مهلهل وهي ابنة المجلل التغلبي كانت امرأة عمرو وأرادت ان تاتي مهلهلا وهو أسير فقال يذكرها

طفلة ما ابنة المجلل بيضا * ء لعوب لذيذة في العناق
فاذهبي ما اليك غير بعيد * لا يؤاتي العناق من في الوثاق
ضربت صدرها الي وقالت * يا عدي لقد وقتك الاواقي

وهو أبو محمد سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته وآخر الخلفاء بنصه فهو الخامس نخلع كان ابيض اللون

ابن ملجم يتمثل بهذا البيت

أريد حياته ويريد قتلي
عذيري من خليلي من مرادي

فقيل لعلي رضي الله عنه كأنك عرفته وعرفت ما يريد أولا تقتله قال كيف أقتل قاتلي اخرج ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز قال لما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حملوه على جمل ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم في المسير ليلا اذ ند الجمل الذي هو عليه فلم يدر أين ذهب ولم يقدر عليه أحد فلذلك يقول أهل العراق هو في السحاب وقال غيره ان البعير قد وقع في بلاد طي فأخذوه ودفنوه وكان أوصى ان يخفى قبره لعلمه ان الامر يصير الى بني أمية فلم يأمن ان يمثلوا بقبره وكان عمره ثلاثا وستين سنة وقيل أزيد وكان له تسع عشرة سرية ومدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ويوم واحد وكانت مدة اقامته بالمدينة أربعة أشهر ثم سار الى العراق وللناس خلاف في مدة عمره وفي قدر خلافته

(الباب الثالث في ذكر الحسن والحسين ابني أمير المؤمنين وسبطي سيد المرسلين وأولادهما رضوان الله عليهم أجمعين)

(وفيه عدة فصول)

(الفصل الاول في ذكر برزخ الكرم والمنن الامام أبي محمد الحسن رضي الله عنه)

ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وهي ابيات ذوات عدد فنقل شعره الى عمرو بن مالك فلف عمرو ان لا يسقيه الماء حتى يرد زبيب فسأله الناس ان يورد زبيبا قبل ورود ففعل وأورده وسقاه حتى يجال من عينه ثم انه سقى مهلهلا من ماء هناك هو أوخم المياه فمات مهلهل (عباد بضم العين وفتح الباء الموحدة وتخفيفها)

(ذكر الحرب بين الحرث الاعرج وبني تغلب)

قال أبو عبيدة ان بكرا وتغلب ابني وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء وذلك بعد حربهم وكان الذي أصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مرة بن همام فغزاهم المنذر بني آكل المرار وجعل على بني بكر وتغلب ابنه عمرو بن هند وقال اغزا اخوالك فغزاهم فاقتتلوا فانهزم بنو آكل المرار وأسروا وجاؤا بهم الى المنذر فقتلهم ثم انتقضت تغلب على المنذر ولحقت بالشام ونحن نذكر سبب ذلك في اخبار شيبان ان شاء الله وعادت الحرب بينهم وبين بكر فخرج ملك غسان بالشام وهو الحرث بن أبي شمر الغساني فمر بافاريق من تغلب فلم يستقبلوه وركب عمرو بن كلثوم التغلبي فلقيه فقال له ما منع قومك ان يتلقوني فقال لم يعلموا بمرورك فقال لئن رجعت لاغزونهم غزوة تتركهم ايقاظا لقدومي فقال عمرو ما استيقظ قوم قط الا نبل رأيهم وعزت جماعتهم فلا توقظن نائمهم فقال كانك تتوعدني بهم أما والله لتعلمن اذا نالت غطاريف غسان الخيل في دياركم ان ايقاظ قومك سينامون نومة لا حلم فيها تجتث أصولهم وينفي فلهم الى اليابس الجدد والنازح الثمد ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه وقال

الا فاعلم ابيت اللعن أنا * ابيت اللعن نأد ما تريد
تعلم ان محملنا ثقيل * وان دبار كبتنا شديد
وانا ليس حي من معد * يقاومنا اذا لبس الحديد

فلما عاد الحرث الاعرج غزا بني تغلب فاقتتلوا واشتد القتال بينهم ثم انهزم الحرث وبنو غسان وقتل أخو الحرث في عدد كثير وقال عمرو بن كلثوم

هلا عطفت على أخيك اذا دعا * بالثكل ويل أبيك يا ابن ابي شمر
فذق الذي جشمت نفسك واعترف * فيها اخاك وعامر بن ابي حجر

(يوم عين اباغ)

وهو بين المنذر بن ماء السماء وبين الحرث الاعرج بن أبي شمر جبلة وقيل أبو شمر عمرو بن جبلة بن الحرث بن حجر بن النعمان بن الحرث الايهم بن الحرث بن مارية الغساني وقيل في نسبه غير هذا وقيل هو ازدي تغلب على غسان والاول اكثر واصح وهو الذي طلب ادراع امرئ القيس من السموأل بن عادياء وقتل ابنه وقيل غيره والله أعلم وسبب ذلك ان المنذر بن ماء السماء ملك العرب سار من الحيرة في معد كلها حتى نزل بعين أباغ بذات الخيار وأرسل الى الحرث الاعرج بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو مزيقياء ابن عامر الغساني ملك العرب بالشام اما ان تعطي الفدية فانصرف عنك بجنودي واما ان تأذن بحرب فارسل اليه الحرث انظرنا ننظر في أمرنا فجمع عساكره وسار نحو

مشربا بحمرة ادعج العينين سهل الخدين كان عنقه ابريق فضة ليس بالطويل ولا بالقصير كان يخضب بالسواد جعد الشعر حسن البدن وكان شبيها برسول الله صلى الله عليه وسلم ونقش خاتمه العزة لله وحده أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ما سمت العرب بهما في الجاهلية ولد الحسن في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة فلما ولد أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فسمره والباه بريقه وقال اللهم اني أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم وسماه وعق عنه يوم سابعه وحلق شعره وأمر ان يتصدق بزنة شعره فضة أخرج الشيخان عن البراء قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه وهو يقول اللهم اني أحبه فأحبه اخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم وقد حمل الحسن على رقبته فلقيه رجل فقال نعم المركب ركبت يا غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو كان الحسن رضي الله عنه سيدا حليما ذا سكينة ووقار وحشمة جوادا ممدوحا يكره الفتن والسيف وكان كثير التزوج مطلاقا للنساء واحصن تسعين امرأة عن علي بن زيد بن جدعان قال خرج الحسن من ماله لله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى انه كان ليعطي نعلا ويمسك نعلا ويعطي خفا ويمسك خفا وله مناقب كثيرة وأما عبادته وزهادته فامر مشهور وبين الناس مذكور نقل أبو نعيم في الحلية انه قال اني لاستحي من ربي ان القاه ولم أمش الى بيته فمشى عشرين مرة

المنذر وأرسل اليه يقول له انا شيخان فلا تهلك جنودى وجنودك ولكن يخرج رجل من ولدى ويخرج رجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر واذا فنى أولادنا خرجت أنا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فتعاهدا على ذلك فعمد المنذر الى رجل من شجعان أصحابه فأمره ان يخرج فيقف بين الصفين ويظهر انه ابن المنذر فلما خرج اخرج اليه الحرث ابنه ابا كرب فلما رآه رجع الى أبيه وقال ان هذا ليس بابن المنذر انما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه فقال يا بنى أجزعت من الموت ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه وقاتله فقتله الفارس والقى رأسه بين يدى المنذر وعاد فأمر الحرث ابنا له آخر بقتاله والطلب بثار أخيه فخرج اليه فلما واقفه رجع الى أبيه وقال يا ابت هذا والله عبد المنذر فقال يا بنى ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه فشد عليه فقتله فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفى وكانت أمه غسانية وهو مع المنذر فقال أيها الملك ان الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام وقد غدرت بابن عمك دفعتين فغضب المنذر وأمر باخراجه فلحق بعسكر الحرث فاخبره فقال له سل حاجتك فقال له حلتك وخلتك فلما كان الغد عبى الحرث أصحابه وحرضهم وكان فى أربعين الفا واصطفوا للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل المنذر وهزمت جيوشه فامر الحرث بابنيه القتيلين فحملا على بعير بمنزلة العدلين وجعل المنذر فوقهما فردا وقال يا العلاوة دون العدلين فذهبت مثلا وسار الى الحيرة فانهبها واحرقها ودفن ابنيه بها وبنى الغريين عليهما فى قول بعضهم وفى ذلك اليوم يقول ابن الرعلاء الضبانى

كم تركنا بالعين عين اباغ * من ملوك وسوقة اكفاء

امطرتهم سحائب الموت تترى * ان فى الموت راحة الاشقياء

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

(يوم مرج حليمة وقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء)

لما قتل المنذر بن ماء السماء على ما تقدم ملك بعده ابنه المنذر وتلقب الاسود فلما استقر وثبت قدمه جمع عساكره وسار الى الحرث الاعرج طالبا بثار أبيه عنده وبعث اليه انى قد أعددت لك الكهول على الفحول فاجابه الحرث قد أعددت لك المرد على الجرد فسار المنذر حتى نزل بمرج حليمة فتركه من به من غسان للاسود وانما سمى مرج حليمة بحليمة ابنة الحرث الغسانى وسنذكر خبرها عند الفراغ من هذا اليوم ثم ان الحرث سار فنزل بالمرج أيضا فامر أهل القرى التى فى المرج ان يصنعوا الطعام لعسكره ففعلوا ذلك وجعلوه فى الجفان وتركوه فى العسكر فكان الرجل يقاتل فاذا أراد الطعام جاء الى تلك الجفان فأكل منها فاقامت الحرب بين الاسود والحرث أياما ينتصف بعضهم من بعض فلما رأى الحرث ذلك قعد فى قصره ودعا ابنته هندا وأمرها فاتخذت طيبا كثيرا فى الجفان وطيبت به أصحابه ثم نادى يا فتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتى هندا فقال لبيد بن عمرو الغسانى لابيه يا ابت انا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة ولست ارضى فرسى فاعطنى فرسك الزيتية فاعطاه فرسه فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شد لبيد على الاسود فضربه ضربة فالقاه عن فرسه وانهزم أصحابه فى كل وجه

من المدينة الى مكة على قدميه وروى انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا على قدميه وان النجائب لتقاد بين يديه ولى الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فاقام فيها ستة اشهر وأياما ثم سار الى معاوية لتسليم الامر اليه على ان تكون له الخلافة من بعده وعلى ان لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء مما كان فى أيام أبيه وعلى ان يقضى عنه ديونه فاجابه معاوية الى ما طلب فاصطلحا على ذلك وظهرت المعجزة النبوية فى قوله صلى الله عليه وسلم يصلح الله به بين فئتين من المسلمين ونزل له عن الخلافة وذلك فى سنة احدى وأربعين فى شهر ربيع الاول فكان أصحابه يقولون له يا عار المؤمنين فيقول العار خير من النار ثم ارتحل الحسن عن الكوفة الى المدينة فاقام بها قال ابن الجوزى مات الحسن مسموما سمته زوجته جعدة بنت الاشعث دس اليها يزيد ابن معاوية ان تسمه ويتزوجها ففعلت فلما مات الحسن بعثت الى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال انا لم نكن نرضاك للحسن افنرضاك لانفسنا فخسرت الدين والدنيا وكانت وفاته فى خامس ربيع الاول سنة خمسين وصلى عليه سعيد بن العاص وجهد به أخوه ان يخبره عمن سقاه فلم يخبره فقال الله أشد نقمة ان كان الذى أظن والا فلا يقتل بى برىء فلما توفى رضى الله عنه أدخله قبره أخوه الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس ودفن بالبقيع بعد ان أوصى ان يدفن عند جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمحت له عائشة بذلك ومنعه مروان فانه كان والى المدينة فلبس الحسين ومن معه

ونزل فاحتز رأسه وأقبل به الى الحرث وهو على قصره ينظر اليهم فألقى الرأس بين يديه فقال له الحرث شأنك بابنتي عمك فقد ذهبت وحدك بها فقال بل أنصرف فأواسي أصحابي بنفسي فاذا انصرف الناس انصرفت فرجع فصادف أخا الاسود قد رجع اليه الناس وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته فتقدم لبيد فقاتل فقتل ولم يقتل في هذه الحرب بعد تلك الوقيعة غيره وانهزمت لخم هزيمة ثانية وقتلوا في كل وجه وانصرفت غسان بأحسن ظفر وذكر ان الغبار في هذا اليوم اشتد وكثر حتى ستر الشمس وحتى ظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر لان الاسود سار بعرب العراق أجمع وسار الحرث بعرب الشام أجمع وهذا اليوم من أشهر أيام العرب وقد فخر به بعض شعراء غسان فقال

يوم وادي حليمة وازدلفنا • بالمناجيج والرماح الظماء
اذ شحنا أكفنا من رقاق • رقق وقعها سنا السمحاء
وأتت هند بالخلوق الى من • كان ذا نجدة وفضل غناء
ونصبنا الجفان في ساحة المر • ج فلنا الى جفان ملاء

وقيل في قتله غير ما تقدم ونحن نذكره قال بعض العلماء وكان سببه ان الحرث بن أبي شمر جبلة بن الحرث الاعرج الغساني خطب الى المنذر بن المنذر اللخمي ابنته وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان فزوجه المنذر ابنته هندا وكانت لا تريد الرجال فصنعت بجلدها شيئا بالبرص وقالت لابيها أنا على هذه الحالة وتهدي الى الغساني فندم على تزويجها فأمسكها ثم ان الحرث أرسل يطلبها فمنعها أبوها واعتل عليه ثم ان المنذر خرج غازيا فبعث الحرث بن أبي شمر جيشا الى الحيرة فانتهبوها وأحرقوها فانصرف المنذر من غزاته لما بلغه من الخبر فسار يريد غسان وبلغ الخبر الحرث فجمع أصحابه وقومه فسار بهم فتوافقوا بعين أباغ فاصطفوا للقتال فاقتتلوا واشتد الامر بين الطائفتين فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحرث وفيها ابنه فقتلوه وانهزمت الميسرة وحملت ميمنة الحرث على ميسرة المنذر فانهزم من بها وقتل مقدمها فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل ابن شيبان وحملت غسان من القلب على المنذر فقتلوه وانهزم أصحابه في كل وجه فقتل منهم بشر كثير وأسر خلق كثير منهم من بني تميم ثم من بني حنظلة مائة أسير منهم شأس بن عبدة فوفد أخوه علقمة بن عبدة الشاعر على الحرث يطلب اليه ان يطلق أخاه ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها

طحا بك قلب في الحسان طروب • بعيد الشباب عصر حان مشيب
تكلفني ليلى وقد شط أهلها • وعادت عواد بيننا وخطوب

يقول فيها

فان تسألوني بالنساء فانني • بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله • فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث وجدنه • وشرخ الشباب عندهن عجيب
وشاد من غسان أهل حفاظها • وهند وباس ما صنعت بشبيب

السلاح حتى رده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب أمه ولم يكن للحسن عقب من أولاده الا من اثنين وهما الحسن وزيد وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام وهي تكملة ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من مدة الخلافة ثم تكون ملكا عضوضا ثم تكون جبروتا وفسادا في الارض فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وكان عمره سبعا وأربعين سنة

(الفصل الثاني في ذكر النجم الطالع من بني القمرين الامام أبو عبد الله الحسين رضي الله عنه)

ولد بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وكانت والدته المطهرة البتول فاطمة بنت الرسول علقت به بعد ان ولدت أخاه الحسن بخمسين ليلة هكذا صح النقل فلم يكن بينه وبين أخيه من التفاوت سوى هذه المدة المذكورة ومدة الحمل ولما ولد الحسين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم به فجاءه وأخذه وأذن في اذنه اليمنى وأقام في اذنه اليسرى وجاء جبريل عليه السلام فأمره ان يسميه حسينا كما جاء في الحسن وقال لامه احلقي رأسه وتصدقي بوزنه فضة ففعل به كما فعل بأخيه الحسن واعلم ان غالب فضائله قد وردت مشتركة بينه وبين أخيه الحسن فمن خواص الحسين رضي الله عنه ما رواه الترمذي عن يعلى بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الاسباط وكان نقش خاتمه لكل أجل كتاب وروت أم الفضل ابن العباس انها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله رأيت حلما منكرا قال وما هو

تخشخش أبدان الحديد عليهم * كما خشخشت يبس الحصاد جنوب
فلم ينج الا شطبة بلجامها * والا طمر كالقناة نجيب
والا كمي ذو حفاظ كأنه * بما ابتل من حد الظبات خضيب
وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشأس من نداك ذنوب
فلا تحرمني نائلا عن جناية * فاني امرؤ وسط القباب غريب

فلما بلغ الى قوله فحق لشأس من نداك ذنوب قال الملك أي والله وأذنبة ثم اطلق شأسا وقال له ان شئت الحباء وان شئت اسراء قومك وقال لجلسائه ان اختار الحباء على قومه فلا خير فيه فقال أيها الملك ما كنت لاختار على قومي شيأ فأطلق له الاسرى من تميم وكساه وحباه وفعل ذلك بالاسرى جميعهم وزودهم زادا كثيرا فلما بلغوا بلادهم اعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا انت كنت السبب في اطلاقنا فاستعن بهذا على دهرك فحصل له مال كثير من ابل وكسوة وغير ذلك (عبدة بفتح العين والباء الموحدة) وقيل في قتله انه جمع عسكرا ضخما وسار حتى نزل الشام وسار ملك الشام وهو عند الاكثر الحرث بن أبي شمر فنزل مرج حليمة وهو ينسب الى حليمة بنت الملك ونزل الملك اللخمي في مرج الصفر فسير الحرث فارسين طليعة أحدهما فارس خصاف وكانت فرسه تجري على ثلاث فلا تلحق فسارا حتى خالطا القوم وقربا من الملك وامامه شمعة فقتلا حاملها ففزع القوم فاضطربوا باسيافهم فقتل بعضهم بعضا حتى اصبحوا وأتاهم رسل الحرث ملك غسان يبذل الصلح والاتاوة وقال اني باعث رؤس القبائل لتقرير الحال وندب أصحابه فانتدب له مائة غلام وقيل ثمانون غلاما فالبسهم السلاح وامر ابنته حليمة ان تطيبهم وتلبسهم ففعلت فلما مر بها لبيد بن عمرو فارس الزيتية قبلها فاتت أباها باكية فقال هو أسد القوم ولئن سلم لانكحنه اياك وأمره على القوم وساروا فلما قاربوا العسكر العراقي جمع الملك رؤس أصحابه وجاءت الغسانيون وعليهم السلاح قد لبسوا فوقها الثياب والبرانس فلما تتاموا عند الملك أبدوا السلاح فقتلوا من وجدوا وقتل لبيد بن عمرو ملك العراق واحيط بالغسانيين فقتلوا الا لبيد بن عمرو فان فرسه لم تبرح فاستوى عليها وعاد فاخبر الملك فقال له قد انكحتك ابنتي حليمة فقال لا يتحدث الناس اني فل مائة ثم عاد الى القوم فقاتل فقتل وتفقد أهل العراق أشرافهم واذا بهم قد قتلوا فضعفت نفوسهم لذلك وزحفت اليهم غسان فانهزموا قلت قد اختلف النسابون وأهل السير في مدة الايام وتقديم بعضها على بعض واختلفوا أيضا في المقتول فيها فمنهم من يقول ان يوم حليمة وهو الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء ويوم اباغ هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن المنذر ومنهم من يقول بضد ذلك ومنهم من يجعل اليومين واحدا فيقول لم يقتل الا المنذر بن ماء السماء واما ابنه المنذر فمات بالحيرة وقيل ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما فالصحيح ان المقتول هو المنذر ابن ماء السماء لا شك فيه واما ابنه ففيه خلاف كثير والاصح انه لم يقتل ومن اثبت قتله اختلفوا في سببه على ما ذكرناه وانما ذكرت اختلافهم والحادثة واحدة لان كل سبب منها قد ذكره بعض العلماء فمتى تركنا أحدهما ظن من ليس له معرفة ان كل سبب منها

قالت رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري فقال خيرا رأيت تلد فاطمة غلاما فيكون في حجرك فولدت فاطمة الحسين فوضعته في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حانت مني التفاتة فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تدمعان فقلت بابي أنت وامي يا رسول الله مالك قال أتاني جبريل فاخبرني ان أمتي ستقتل ابني هذا بالطف وأتاني بتربة من تربته حمراء وقد صحح أهل الآثار في صحائف السير ان أهل الكوفة لما بلغهم موت معاوية وولاية يزيد كتبوا كتابا الى الحسين رضي الله عنه يدعونه اليهم للبيعة فكتب جوابهم مع القاصد وسير معه ابن عمه مسلم بن عقيل فلما وصل اليهم اجتمع الشيعة عليه وأخذ عليهم البيعة للحسين ثم لما أراد الحسين المسير نهاه جماعة كابن عباس وابن عمر وغيرهما وحذروه غدر أهل العراق فلم ينثنه وتوجه الى العراق وبلغ الخبر الى يزيد فولى العراق عبيد الله بن زياد وأمره بقتال الحسين فدخل ابن زياد الكوفة قبل الحسين وظفر بمسلم بن عقيل فقتله وأرسل جيشا الى الحسين وأمر عليهم عمر بن سعد وأمره ان يحول بين الحسين وبين الماء ذكر الدميري في حياة الحيوان ان الحسين رضي الله عنه لما وصل الى كربلاء سأل عن اسم المكان فقيل له كربلاء فقال ذات كرب وبلاء لقد مر ابي بهذا المكان عند مسيره الى صفين وأنا معه فوقف وسأل عن

هذا المكان وقال ههنا محط ركابهم وههنا مهراق دمائهم فسئل عن ذلك فقال نفر من آل محمد صلى الله عليه وسلم

حادث مستقل وقد أهملناه فأتينا بما جميعا لذلك ونبهنا عليه

(ذكر قتل مضرط الحجارة)

وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة وكان يلقب مضرط الحجارة لشدة ملكه وقوة سياسته وامه هند بنت الحرث بن عمرو المقصور بن آكل المرار وهي عمة امرئ القيس بن حجر بن الحرث وكان سبب قتله انه قال يوما لجلسائه هل تعلمون ان احدا من العرب من أهل مملكتي يأنف ان تخدم امه امي قالوا ما نعرفه الا ان يكون عمرو بن كلثوم التغلبي فان امه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو فسكت مضرط الحجارة على ما في نفسه وبعث الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويأمره ان تزور امه ليلى ام نفسه هند بنت الحرث فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب ومعه امه ليلى فنزل على شاطئ الفرات وبلغ عمرو بن هند قدومه فامر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وارسل الى وجوه اهل مملكته فصنع لهم طعاما ثم دعا الناس اليه وقرب اليهم الطعام على باب السرادق وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السرادق ولامه هند قبة في جانب السرادق وليلى أم عمرو بن كلثوم معها في القبة وقد قال مضرط الحجارة لامه اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف فنحي خدمك عنك فاذا دنا الطرف فاستخدمي ليلى ومريها فلتناولك الشئ بعد الشئ ففعلت هند ما امرها به ابنها فلما استدعى الطرف قالت هند لليلى ناوليني ذلك الطبق قالت لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فالحت عليها فقالت ليلى واذلاه يا آل تغلب فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه والقوم يشربون فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه وثار ابن كلثوم الى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره فاخذه ثم ضرب به رأس مضرط الحجارة فقتله وخرج فنادى يا آل تغلب فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء وساروا فلحقوا بالحيرة فقال أفنون التغلبي

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا * لتخدم ليلى أمه بموفق

فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتا * وامسك من ندمانه بالمخنق

(يوم الكلاب الاول)

قال ابن الكلبي اول من اشتد ملكه من كندة حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندي فلما هلك ملك بعد أبيه عمرو وملك ملك أبيه فسمي المقصور لانه قصر على ملك أبيه فتزوج عمرو أم اياس بنت عوف بن محلم الشيباني فولدت له الحرث فملك بعده أربعين سنة وقيل ستين سنة فخرج يتصيد فرأى عانة وهي حمر الوحش فشد عليها فانفرد منها حمار فتبعه واقسم ان لا يأكل شيأ قبل كبده وهو بمسحلان فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته فاتي به وقد كاد يموت من الجوع فشوي على النار واطعم من كبده وهي حارة فمات وكان الحرث فرق بنيه في قبائل معد فجعل حجرا في بني اسد وكنانة وهو أكبر ولده وجعل شرحبيل في بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبني أسيد بن عمرو بن تميم والرباب وجعل سلمة وهو أصغرهم في بني تغلب والنمر بن قاسط وبني سعد بن

يقتلون ههنا ثم أمر بأثقاله فضربت في ذلك المكان ٢٢٦ فلما التقيا قال الحسين لعمر بن سعد ومن معه اختاروا مني واحدة من ثلاث اما ان تدعوني فالحق بالثغور أو اذهب الى يزيد أو انصرف من حيث جئت فقبل ذلك عمر بن سعد ولم يقبله ابن زياد وقال حتى يضع يده في يدي فقال الحسين لا يكون ذلك أبدا وروى ان عمر ابن سعد المذكور حال بين الحسين وأصحابه وبين الماء فخرج اليه من جماعة الحسين رضي الله عنه يزيد ابن حصين وكلمه فقال هذا الفرات تشرب منه الكلاب والدواب وهذا الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته يموتون عطشا وأنت تزعم انك تعرف الله ورسوله فاطرق عمر رأسه ولم يجبه وكان يزيد وعد لابن زياد ولاية الري اذا فرغ من قتال الحسين وفي بهجة المحاسن ان النبي عليه السلام رأى كان كلبا أبقع ولغ في دمه فأول ان رجلا يقتل الحسين ابن بنته فكان شمر قاتل الحسين رضي الله عنه ابرص فتأخرت الرؤيا بعده صلى الله عليه وسلم خمسين سنة فلما أصبح الصباح وكان يوم عاشوراء خرج عمر بن سعد ومن معه وتعبأ أصحاب الحسين وكانوا اثنين وثلاثين فارسا وأربعين راجلا فركب الحسين دابته وقال اللهم هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألست ابن بنت نبيكم وابن ابن عمه فلم يكلموه وفي دون ساعة قتل أصحاب الحسين رضي الله عنه كلهم وفيهم بضعة عشر شابا من أهل بيته فأصاب ابا الحسين وهو في حجره سهم فجعل يمسح الدم عنه ويقول اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا [illegible] زيد

زيد مناة بن تميم وجعل ابنه معد يكرب ويعرف بغلفاء في قيس عيلان وقد تقدم هذا في قتل حجر ابي امرئ القيس وانما أعدناه ههنا للحاجة اليه فلما هلك الحرث تشتت امر اولاده وتفرقت كلمتهم ومشى بينهم الرجال وكانت المغاورة بين الاحياء الذين معهم وتفاقم امرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش فسار شرحبيل فيمن معه من الجيوش فنزل الكلاب وهو ما بين البصرة والكوفة واقبل سلمة فيمن معه وفي الصنائع أيضا وهم قوم كانوا مع الملوك من شذاذ العرب فاقبلوا الى الكلاب وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب بن زهير فاقتتلوا قتالا شديدا وثبت بعضهم لبعض فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل وانهزموا وثبتت بكر وانصرفت بنو سعد ومن معها عن تغلب وصبرت تغلب ونادى منادي شرحبيل من أتاني برأس سلمة فله مائة من الابل ونادى منادي سلمة من اتاني برأس شرحبيل فله مائة من الابل فاشتد القتال حينئذ كل يطلب ان يظفر لعله يصل الى قتل احد الرجلين ليأخذ مائة من الابل فكانت الغلبة آخر النهار لتغلب وسلمة ومضى شرحبيل منهزما فتبعه ذو السنينة التغلبي فالتفت اليه شرحبيل فضربه على ركبته فاطن رجله وكان ذو السنينة اخا ابي حنش لامه فقال لاخيه قتلني الرجل وهلك ذو السنينة فقال أبو حنش لشرحبيل قتلني الله ان لم اقتلك وحمل عليه فادركه فقال يا أبا حنش اللبن اللبن يعني الدية فقال قد هرقت لبنا كثيرا فقال يا أبا حنش املكا بسوقة فقال ان اخي ملكي فطعنه فالقاه عن فرسه ونزل اليه فاخذ رأسه وبعث به الى سلمة مع ابن عم له فاتاه به والقاه بين يديه فقال سلمة لو كنت القيته ارفق من هذا وعرفت الندامة في وجه سلمة والجزع عليه فهرب ابو حنش منه فقال سلمة

الا ابلغ أبا حنش رسولا * فمالك لا تجيء الى الثواب
لتعلم ان خير الناس طرا * قتيل بين احجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر * وأسلمه جعاسيس الرباب

فاجابه أبو حنش فقال

أحاذر ان أجيئك ثم تحبو * حباء أبيك يوم ضبيعات
وكانت غدرة شنعاء تهفو * تقلدها أبوك الى الممات

وكان سبب يوم ضبيعات ان ابا الحرث كان مسترضعا في تميم وبكر ولدغته حية فمات فاخذ خمسين رجلا من تميم وخمسين رجلا من بكر فقتلهم به ولما قتل شرحبيل قام بنو زيد مناة بن تميم دون أهله وعياله فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم ولما بلغ خبر قتله أخاه معد يكرب وهو غلفاء قال يرثيه

ان جنبي عن الفراش لناب * كتجافي الاسر فوق الظراب
من حديث نمى الي فما تر * قأ عيني ولا أسيغ شرابي
مرة كالذعاف أكتمها النا * س على حر ملة كالشهاب
من شرحبيل اذ تعاوره الار * ماح من بعد لذة وشباب

فقتلوا وبقي الحسين زمانا كلما انتهى اليه رجل منهم انصرف عنه وكره ان يتولى قتله وأتى بصبي صغير من أولاده اسمه عبد الله فحمله وقبله فرماه رجل من بني أسد فذبح ذلك الغلام فتلقى الحسين دمه في يده والقاه نحو السماء وقال يا رب ان تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير وانتقم من الظالمين واشتد العطش به فمنعوه فحصل له شربة ماء فلما أهوى ليشرب رماه حصين بن نمير بسهم في حنكه فصار الماء دما ثم رفع يده الى السماء وهو يقول اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تذر على الارض منهم أحدا ثم حمل الرجال على الحسين رضي الله عنه من كل جانب وهو يجول فيهم يمينا وشمالا فضربه زرعة بن شريك على يده اليسرى وضربه آخر على عاتقه وطعنه سنان بن أنس بالرمح فوقع فنزل اليه الشمر فاحتز رأسه وسلمه الى خولى الاصبحي ثم انتهبوا سلبه حكي انه وجد بالحسين رضي الله عنه حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة وهم شمر الملعون عليه ما يستحق من الله بقتل علي الاصغر ابن الحسين وهو مريض فخرجت اليه زينب بنت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقالت والله لا يقتل حتى اقتل فكف عنه ثم ان عبيد الله بن زياد جهز علي بن الحسين ومن كان معه من حرمه بحيث تقشعر من ذكره الابدان وترتعد منه مفاصل الانسان الى البغيض يزيد بن معاوية وهو يومئذ بدمشق مع الشمر بن ذي الجوشن فساروا الى ان وصلوا الى دير في الطريق فنزلوا ليقيلوا به فوجدوا

يا ابن امى ولو شهدتك اذ تد * عو تميما وأنت غير مجاب
ثم طاعنت من ورائك حتى * يبلغ الرحب أو تبز ثيابى
احسنت وائل وعادتها الاحسـ * ـسان بالحبو يوم ضرب الرقاب
يوم فرت بنو تميم وولت * خيلهم يتقين بالاذناب

وهى طويلة ثم ان تغلب اخرجوا سلمة من بينهم فلجأ الى بكر بن وائل وانضم اليهم ولحقت تغلب بالمنذر بن امرئ القيس اللخمى (الكلاب بضم الكاف أسيد بن عمرو بضم الهمزة وفتح السين المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت وذو السنينة بضم السين المهملة تصغير سن والرباب بكسر الراء وتخفيف الباء الاولى الموحدة)

(يوم أوارة الاول)

وهو يوم كان بين المنذر بن امرئ القيس وبين بكر بن وائل وكان سببه ان تغلب لما أخرجت سلمة بن الحرث عنها التجأ الى بكر بن وائل كما ذكرناه آنفا فلما صار عند بكر أدعنت له وحشدت عليه وقالوا الا عليكا غيرك فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فابوا ذلك فحلف المنذر ليسيرن اليهم فان ظفر بهم فليذبحنهم على قلة جبل أوارة حتى يبلغ الدم الحضيض وسار اليهم فى جموعه فالتقوا باوارة فاقتتلوا قتالا شديدا وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر يزيد بن شرحبيل الكندى فامر المنذر بقتله فقتل وقتل فى المعركة بشر كثير وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرة فامر بهم فذبحوا على جبل أوارة فجعل الدم يجمد فقيل له أبيت اللعن لو ذبحت كل بكرى على وجه الارض لم يبلغ دماؤهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم الى الحضيض وأمر بالنساء ان يحرقن بالنار وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعا الى المنذر فكلمه فى سبى بكر بن وائل فاطلقه من المنذر فقال الاعشى يفتخر بشفاعة القيسى الى المنذر فى بكر

ومنا الذى أعطاه بالجمع ربه * على فاقة وللملوك هباتها
سبايا بنى شيبان يوم أوارة * على النار اذ تجلى به فتياتها

(يوم أوارة الثانى)

كان عمرو بن المنذر اللخمى قد ترك ابناله اسمه أسعد عند زرارة بن عدس التميمى فلما ترعرع مرت به ناقة سمينة فعبث بها فرمى ضرعها فشد عليه ربها سويد أحد بنى عبد الله ابن دارم التميمى فقتله وهرب فلحق بمكة فحالف قريشا وكان عمرو بن المنذر غزا قبل ذلك ومعه زرارة فاخفق فلما كان حيال جبل طيئ قال له زرارة أى ملك اذا غزا لم يرجع ولم يصب فل على طيئ فانك بحيالها فمال اليهم فاسر وقتل وغنم فكانت فى صدور طيئ على زرارة فلما قتل سويد أسعد وزرارة يومئذ عند عمرو فقال له عمرو بن ملقط الطائى يحرض عمرا على زرارة

من مبلغ عمرا بان المرء لم يخلق صباره
ها ان عجزة امه * بالسفح أسفل من أواره
فاقتل زرارة لا أرى * فى القوم أوفى من زراره

مكتوبا على بعض جدرانه أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب فسألوا الراهب عن السطر من كتبه فقال انه مكتوب ههنا من قبل ان يبعث نبيكم بخمسمائة عام وقيل ان الجدار انشق وظهر فيه كف مكتوب عليه هذا السطر فلما دخل زحر بن قيس على يزيد برأس الحسين رضى الله عنه وحكى له ما وقع دمعت عينا يزيد وقال كنت اقنع من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة اما والله لو انى صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين ولم يصله بشئ فلما وضع الرأس بين يديه بعدما غسلوه وسرحوا لحيته وشعره وجعلوه فى طشت من ذهب فجعل يزيد ينكث ثناياه بقضيب فى يده فقال له أبو برزة الاسلمى أتنكت بقضيبك فى ثغر الحسين رضى الله عنه والذى لا اله الا هو لقد رأيت شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما أما انك يا يزيد تجئ يوم القيامة وابن زياد شفيعك ويجئ هذا ومحمد شفيعه ثم قام فولى ثم ان يزيد وجه الذرية صحبة على بن الحسين رضى الله عنه ووجه النعمان بن بشير مع ثلاثين رجلا يسير امامهم حتى انتهوا الى المدينة وكان النعمان يسأل عن حوائجهم ويتلطف بهم فقالت فاطمة لاختها زينب بنت على بن أبى طالب رضى الله عنه لقد أحسن هذا الرجل الينا فهل لك ان تصليه بشئ فقالت والله ما معنا ما نصله به الا حلينا فاخرجتا سوارين ودملجين لهما فبعثتا به اليه واعتذرتا فرد الجميع وقال ما فعلته الا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

فقال عمرو يا زرارة ما تقول قال كذبت قد علمت عداوتهم فيك قال صدقت ولما جن الليل سار زرارة مجدا الى قومه ولم يلبث ان مرض فلما حضرته الوفاة قال لابنه يا حاجب ضم الملك غلي في بني نهشل وقال لابن أخيه عمرو بن عمرو وعليك بعمرو بن ملقط فانه حرض على الملك فقال له يا عماه لقد أسندت الى أبعدهما شقة وأشدهما شوكة فلما مات زرارة تهيأ عمرو بن عمرو في جمع وغزا طيئا فأصاب الطريفين طريف بن مالك وطريف بن عمرو وقتل الملاقط فقال علقمة بن عبدة في ذلك

ونحن جلبنا من ضرية خيلنا * نجنبها حد الاكام قطاقطا
أصبنا الطريف والطريف بن مالك * وكان شفاء الواصبين الملاقطا

فلما بلغ عمرو بن المنذر وفاة زرارة غزا بني دارم وقد كان حلف ليقتلن منهم مائة فسار يطلبهم حتى بلغ أوارة وقد أنذروا به فتفرقوا فأقام مكانه وبث سراياه فيهم فأتوه بتسعة وتسعين رجلا سوى من قتلوه في غاراتهم فقتلهم فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه فأخذه ليقتله ليتم مائة ثم قال ان الشقي وافد البراجم فذهبت مثلا وقيل انه نذر ان يحرقهم فلذلك سمي محرقا فأحرق منهم تسعة وتسعين رجلا واجتاز رجل من البراجم فشم قتار اللحم فظن ان الملك يتخذ طعاما فقصده فقال من انت فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم فقال ان الشقي وافد البراجم ثم أمر به فقذف في النار فقال جرير للفرزدق

أين الذين بنار عمرو أحرقوا * أم أين أسعد فيكم المسترضع

وصارت تميم بعد ذلك يعيرون بحب الاكل لطمع البرجمي في الاكل فقال بعضهم

اذا ما مات ميت من تميم * فسرك أن يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر * أو الشئ الملفف في البجاد
تراه ينقب البطحاء حولا * ليأكل رأس لقمان بن عاد

قيل دخل الاحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية ما الشئ الملفف في البجاد يا أبا بحر قال السخينة يا أمير المؤمنين والسخينة طعام تعير به قريش كما كانت تعير تميم بالملفف في البجاد قال فلم ير متمازحان أوقر منهما

(ذكر قتل زهير بن جذيمة وخالد بن جعفر بن كلاب والحرث بن ظالم المري وذكر يوم الرحرحان)

كان زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس العبسي وهو والد قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء سيد قيس عيلان فتزوج اليه ملك الحيرة وهو النعمان بن امرئ القيس جد النعمان بن المنذر لشرفه وسودده فارسل النعمان الى زهير يستزيره بعض أولاده فارسل ابنه شأسا وكان أصغر ولده فأكرمه وحباه فلما انصرف الى أبيه كساه حللا وأعطاه مالا وطيبا فخرج شأس يريد قومه فبلغ ماء من مياه غني بن أعصر فقتله رباح بن الاشل الغنوي واخذ ما كان معه وهو لا يعرفه وقيل لزهير ان شأسا أقبل من عند الملك وكان آخر العهد به بماء من مياه غني فسار زهير الى ديار غني وهم حلفاء في بني عامر بن صعصعة فاجتمعوا عنده فسألهم عن ابنه فحلفوا انهم

وسلم وذكر في الفصول المهمة ان الناس مكثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلطخ الحيطان بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع وقد حكى أبو حباب الكلبي وغيره ان أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نوح الجن على الحسين رضي الله عنه وهم يقولون

مسح الرسول جبينه
فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش
جده خير الجدود

وتكلم رجل في الحسين بكلمة فرماه الله بكوكب من السماء أخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي نصف النهار أشعث أغبر وبيده قارورة فيها دم فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا قال دم الحسين وأصحابه رضي الله عنهم لم أزل التقطه منذ اليوم فاحصى ذلك اليوم فوجدوه قتل يومئذ واختلفوا في مكان دفن فيه رأس الحسين رضي الله عنه وفي مسالك الابصار انه حمل جسد الحسين ورأسه الى المدينة المنورة حتى دفنوه عند قبر أخيه الحسن وقيل دفن الرأس بالقاهرة بالمشهد المعروف بباب القرافة وقيل انه دفن رأسه عند قبر امه بالمدينة المنورة والاصح انه دفن في جامع دمشق واستقر جسده بكربلاء له مشهد عظيم يزار ويتبرك به وقال السيد الشريف الرضي

كربلا لازلت كربا وبلا
مالقي عندك أهل المصطفى
كم على تربك لما صرعوا
من دم سال ومن دمع جرى
ووجوه كالمصابيح فمن * قمر غاب وبدر قد هوى

وليس للحسين عقبه من الذكور الا من

لم يعلم اخبره قال لكنى اعلمه فقال له أبو عامر ما الذى يرضيك منا قال واحدة من ثلاث اما تحيون ولدى واما تسلمون الى غنيا حتى أقتلهم بولدى واما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا او بقيتم فقالوا اما جعلت لنا فى هذه مخرجا اما احياء ولدك فلا يقدر عليه الا الله واما تسليم غنى اليك فهم يمتنعون مما يمتنع منه الاحرار واما الحرب بيننا فوالله انا لنحب رضاك ونكره سخطك ولكن ان شئت الدية وان شئت نطلب قاتل ابنك فسلمه اليك او تهب دمه فانه لا يضيع فى القرابة والجوار فقال ما افعل الا ما ذكرت فلما رأى خالد بن جعفر بن كلاب تعدى زهير على اخواله من غنى قال والله ما رأينا كاليوم تعدى رجل على قومه فقال له زهير فهل لك ان تكون طلبتى عندك وأترك غنيا قال نعم فانصرف زهير وهو يقول

فلولا كلاب قد أخذت قرينتى * برد غنى أعبدا ومواليا
ولكن منهم عصبة عامرية * يمرون فى الارض القصار العواليا
مساعير فى الهيجا مصاليت فى الوغى * أخو همو عزيز لا يخاف الاعاديا
يقيمون فى دار الحفاظ تكرما * اذا ما فنى القوم أضحت خواليا

ثم انه أرسل امرأة وأمرها ان تكتم نسبها وأعطاها لحم جزور وسمنة وسيرها الى غنى لتبيع اللحم بطيب وتسأل عن حال ولده فانطلقت المرأة الى غنى وفعلت ما أمرها فانتهت الى امرأة رياح بن الاشل وقالت لها قد زوجت بنتا لى وابغى الطيب بهذا اللحم فاعطتها اياه وحدثتها بقتل زوجها اثاسا فعادت المرأة الى زهير واخبرته فجمع خيله وجعل يغير على غنى حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ووقعت الحرب بين بنى عبس وبنى عامر وعظم الشر ثم ان زهيرا خرج فى بنيه واهل بيته فى الشهر الحرام الى عكاظ فالتقى هو وخالد بن جعفر بن كلاب فقال لخالد لقد طال شرنا منك يا زهير فقال زهير اما والله ما دامت لى قوة ادرك ثارا فلا انصرام له وكانت هوازن تؤدى زهير بن جذيمة الاتاوة كل سنة بعكاظ وهو يسومها الخسف وفى أنفسها منه غيظ وحقد ثم عاد خالد وزهير الى قومهما فسبق خالد الى بلاد هوازن فجمع اليه قومه وندبهم الى قتال زهير فاجابوه وتأهبوا للحرب وخرجوا يريدون زهيرا وهم على طريقه وسار زهير حتى نزل على اطراف بلاد هوازن فقال له ابنه قيس اخرج بنا من هذه الارض فانا قريب من عدونا فقال له يا عاجز ما الذى تخوفنى به من هوازن وتتقى شرها فانا اعلم الناس بها فقال ابنه دع عنك اللجاج وأطعنى وسر بنا فانى اخاف عاديتهم وكانت تماضر بنت الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية السلمية أم ولد زهير وقد أصاب بعض اخوتها دما فلحق ببنى عامر وكان فيهم فارسلها لدعينا ليأتيه بخبر زهير فخرج حتى أتاهم فى منزلهم فعلم قيس بن زهير حاله وأراده وأبوه ان يوثقوه ويأخذوه معهم الى ان يخرجوا من أرض هوازن فبعث أخته فأخذوا عليه العهود ان لا يخبر بهم وأطلقوه فسار الى خالد ووقف الى شجرة يخبرها الخبر فركب خالد ومن معه الى زهير وهو غير بعيد منهم فاقتتلوا قتالا شديدا والتقى خالد وزهير فاقتتلا طويلا ثم تعانقا فسقطا على الارض وشد ورقاء بن زهير على خالد وضربه بسيفه فلم يصنع شيئا لانه قد ظاهر بين درعين وحل

(الفصل الثالث فى ذكر برج سرطان الراكعين الامام على بن الحسين زين العابدين رضى الله عنه) *

ولد بالمدينة فى أيام جده على بن أبى طالب رضى الله عنهما قبل وفاته بسنتين وكان أسمر رقيقا قصيرا نقش خاتمه وما توفيقى الا بالله كان اذا توضأ للصلاة يصفر لونه فقيل له ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء فيقول أما ترون بين يدى من اريد ان اقف وكان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة وكان يتصدق سرا ويقول صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال محمد بن اسحق كان اناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم فلما مات على بن الحسين رضى الله عنه فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا الى منازلهم فعلموا ان معايشهم كانت من على بن الحسين رضى الله عنه وسقط ابن له فى بئر ففزع أهل المدينة لذلك حتى أخرجوه وكان قائما يصلى فى المحراب فما زال من مكانه فقيل له فى ذلك فقال ما شعرت لانى كنت أناجى ربا عظيما وكان رضى الله عنه يقول لاولاده يا بنى اذا أصابتكم مصيبة من الدنيا أو نزل بكم فاقة أو أمر فادح فليتوضأ الرجل منكم وضوءه للصلاة وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا فرغ من صلاته فليقل يا موضع شكوى يا سامع كل نجوى يا شافى كل بلوى ويا عالم كل خفية يا كاشف ما يشاء من كل بلية ولك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت قوته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذى لا يجد لكشف ما هو فيه الا أنت يا أرحم الراحمين لا اله سندح

جندح بن البكاء وهو ابن امرأة خالد على زهير فقتله وهو وخالد يعتتر كان فثار خالد عنه وعادت هوازن الى منازلها وحمل بنو زهير اباهم الى بلادهم فقال ورقاء بن زهير فى ذلك

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فاقبلت أسعى كالعجول أبادر
الى بطلين يعتتران كلاهما * يريد رياش السيف والسيف نادر
فشلت يمينى يوم اضرب خالدا * ويمنعه منى الحديد المظاهر
فياليت انى قبل أيام خالد * وقبل زهير لم تلدنى تماضر
لعمرى لقد بشرت بى اذ ولدتنى * فماذا الذى ردت عليك البشائر
فلا يدعنى قومى صريحا لحرة * لئن كنت مقتولا ويسلم عامر
فطر خالدا ان كنت تسطيع طيرة * ولا تقعا الا وقلبك حاذر
اتتك المنايا ان بقيت بضربة * تفارق منها العيش والموت حاضر

وقال خالد بن على هوازن بقتله زهيرا

ابلغ هوازن كيف تكفر بعدما * اعتقتهم فتوالدوا احرارا
وقتلت ربهم زهيرا بعدما * جدع الانوف وأكثر الاوتارا
وجعلت مهر نسائهم ودياتهم * عقل الملوك هجائنا وبكارا

كان زهير سيد غطفان فعلم خالد ان غطفان ستطلبه بسيدها فسار الى النعمان بن امرئ القيس بالحيرة فاستجاره فاجاره فضرب له قبة وجمع بنو زهير لهوازن فقال الحرث بن ظالم المرى اكفونى حرب هوازن فانا أكفيكم خالد بن جعفر وسار الحرث حتى قدم على النعمان فدخل عليه وعنده خالد وهما يأكلان تمرا فاقبل النعمان يسائله فحسده خالد فقال للنعمان أبيت اللعن هذا رجل لى عنده يد عظيمة قتلت زهيرا وهو سيد غطفان فصار هو سيدها فقال الحرث ساجزيك على يدك عندى وجعل الحرث يتناول التمر ليأكله فيقع من بين اصابعه من الغضب فقال عروة لاخيه خالد ما أردت بكلامه وقد عرفته فتاكا فقال خالد وما يخوفنى منه فوالله لو رآنى نائما ما ايقظنى ثم خرج خالد وأخوه الى قبتهم فاشرجاها عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه فلما أظلم الليل انطلق الحرث الى خالد فقطع شرج القبة ودخلها وقال لعروة لئن تكلمت قتلتك ثم أيقظ خالدا فلما استيقظ قال اتعرفنى قال أنت الحرث قال خذ جزاء يدك عندى وضربه بسيفه المعلوب فقتله ثم خرج من القبة وركب راحلته وسار وخرج عروة من القبة يستغيث وأتى باب النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر فبث الرجال فى طلب الحرث قال الحرث فلما سرت قليلا خفت ان أكون لم أقتله فعدت متنكرا واختلطت بالناس ودخلت عليه فضربته بالسيف حتى تيقنت انه مقتول وعدت فلحقت بقومى فقال عبد الله بن جعدة الكلابى

يا حار لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعشا ولا معزالا
شقت عليه الجعفرية جيبها * جزعا وما تبكى هناك ضلالا
فانعوا أبا جزء بكل مجرب * حران يحسب فى القناة هلالا
فليقتلن بخالد سرواتكم * وليجعلن لظالم تمثالا

الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال رضى الله عنه لايدعو به أحد أصابه بلاء الا فرجه الله سبحنه ومن دعائه رضى الله عنه اللهم كما أسأت فأحسنت الى فاذا عدت فعد على (حكى) انه لما حج هشام بن عبد الملك فى حياة أبيه دخل الى الطواف وجهد ان يستلم الحجر الاسود فلم يصل اليه لكثرة ازدحام الناس عليه فنصب له منبر الى جانب زمزم وجلس عليه ينظر الى الناس وحوله جماعة من أعيان أهل الشام فبينما هو كذلك اذ أقبل زين العابدين يريد الطواف فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا الذى قد هابته الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه مخافة ان يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق حاضرا فقال أنا أعرفه فقال الشامى من هو فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها
الى مكارم هذا ينتهى الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
فى كل أمر ومختوم به الكلم
وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من انكرت والعجم
يغضى حياء ويغضى من مهابته
فلا يكلم الا حين يبتسم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق بعسفان وقال الفرزدق يهجو هشاما وكان هشام

فاجابه الحرث

تالله قد نبهته فوجدته ● رخو اليدين مواكلا مقالا
فعلوته بالسيف اضرب راسه ● حتى أضل بسطه السربالا

فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد فلحق بتميم فاستجار بضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم فاجاره على النعمان وهوازن فلما علم النعمان ذلك جهز جيشا الى بنى دارم عليهم ابن الجمس التغلبي وكان يطلب الحرث بدم أبيه لانه كان قتله ثم ان الاحوص بن جعفر أخا خالد جمع بنى عامر وسار بهم فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بنى دارم وسار وافلما ساروا بادنى مياه بنى دارم رأوا امرأة تجنى الكمأة ومعها جمل لها فاخذها رجل من غنى وتركها عنده فلما كان الليل نام فقامت الى جملها فركبته وسارت حتى صبحت بنى دارم وقصدت سيدهم زرارة بن عدس فاخبرته الخبر وقالت اخذنى امس قوم لا يريدون غيرك ولا أعرفهم قال نصفيهم لى قالت رأيت رجلا قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بخرقة صغير العينين وعن أمره يصدرون قال ذاك الاحوص وهو سيد القوم قالت ورأيت رجلا قليل المنطق اذا تكلم اجتمع القوم كما تجتمع الابل لفحلها أحسن الناس وجها ومعه ابنان له لا يفارقانه قال ذاك مالك بن جعفر وابناه عامر وطفيل قالت ورأيت رجلا جسيما كان لحيته محمرة معصفرة قال ذاك عوف بن الاحوص قالت ورأيت رجلا حلقا ما جسيما قال ذاك ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب قالت ورأيت رجلا اسود أخنس قصيرا قال ذاك ربيعة بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر قالت ورأيت رجلا أقرن الحاجبين كثير شعر السبلة يسيل لعابه على لحيته اذا تكلم قال ذاك جندح بن البكاء قالت ورأيت رجلا صغير العينين ضيق الجبهة يقود فرسا له معه جفير لا يفارقيده قال ذاك ربيعة بن عقيل بن كعب قالت ورأيت رجلا معه ابنان له اذا أقبلا رماهما الناس بابصارهم فاذا أدبرا كانا كذلك قال ذاك الصعق بن عمرو بن خويلد بن نفيل وابناه يزيد وزرعة قالت ورأيت رجلا لا يقول كلمة الا وهى أحد من شفرة قال ذاك عبد الله بن جعدة بن كعب وأمرها زرارة فدخلت بيتها وأرسل زرارة الى الرعاء يامرهم باحضار الابل ففعلوا وأمرهم فحملوا الاهل والاثقال وساروا نحو بلاد بغيض وفرق الرسل فى بنى مالك بن حنظلة فاتوه فاخبرهم الخبر وأمرهم فوجهوا اثقالهم الى بلاد بغيض وباتوا معدين وأصبح بنو عامر وأخبرهم الغنوى حال الظعينة وهربها فسقط فى أيديهم واجتمعوا يريدون الرأى فقال بعضهم كانى بالظعينة قد أتت قومها فاخبرتهم الخبر فحذروا وأرسلوا أهليهم وأموالهم الى بلاد بغيض وباتوا معدين لكم فى السلاح فاركبوا بنا فى طلب نعمهم وأموالهم فانهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتنا ونصرف فركبوا يطلبون ظعن بنى دارم فلما ابطأ القوم عن زرارة قال لقومه ان القوم قد توجهوا الى ظعنكم وأموالكم فسيروا اليهم فساروا مجدين فلحقوهم قبل ان يصلوا الى الظعن والنعم فاقتتلوا قتالا شديدا فقتلت بنو مالك بن حنظلة ابن الجمس التغلبي رئيس جيش النعمان واسرت بنو عامر معبد بن زرارة وصبر بنو دارم حتى انتصف النهار وأقبل قيس بن زهير

أحول فانشد يقول أعيش بين المدينة والتي ● اليها قلوب الناس يهوى منيبها يقلب رأسا لم يكن رأس سيد وعينا له حولاء باد عيوبها

توفى زين العابدين رضى الله عنه سنة أربع وتسعين من الهجرة وله من العمر سبع وخمسون سنة وقيل مات مسموما سمه الوليد بن عبد الملك ودفن بالبقيع هكذا قيل فى تاريخ الخلفاء والله سبحانه وتعالى أعلم

● (الفصل الرابع فى ذكر منبع الفضائل والمفاخر الامام محمد بن على الباقر رضى الله عنه) ●

وانما سمى بالباقر لانه بقر العلم وقيل لقب بالباقر لما روى عن جابر بن عبد الله الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجابر يوشك ان تلحق بولد من ولد الحسين اسمه كاسمى يبقر العلم بقرا أى يفجره تفجيرا فاذا رأيته فاقرأه منى السلام قال جابر فاخر الله مدتى حتى رأيت الباقر فاقرأته السلام عن جده محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خليفة أبيه من بين اخوته ووصيه والقائم بالامامة من بعده وكان معتدل القامة اسمر اللون نقش خاتمه رب لا تذرنى فردا وقيل ظنى بالله حسن وبالنبى المؤتمن وبالوصى ذى المنن وبالحسين والحسن ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من علم الدين والسنن وعلم القرآن والسير وفنون الآداب ما ظهر عن أبى جعفر الباقر روى عنه فى معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين وفيه يقول القرظى

ياباقر العلم لاهل التقى ● وخير من لبى على الجبل

ولد بالمدينة قبل قتل جده الحسين بثلاث سنين وامه فاطمة بنت الحسن

فمن معه من ناحية أخرى فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان وعادوا الى بلادهم ومعبد اسير مع بني عامر فبقي معهم حتى مات وفي تلك الايام أيضا مات زرارة بن عدس وقيل في استجارة الحرث ببني تميم غير ذلك وهو ان النعمان طالب شيأ يغيظ به الحرث بعد قتل خالد وهربه فقيل له كان قصد الحيرة ونزل على عياض بن وهب التميمي وهو صديق له فبعث اليه النعمان فأخذ ابلاله فركب الحرث وأتى الحيرة متخفيا واستنقذ ماله من الرعاء ورده عليه وطلب شيأ يغيظ به النعمان فرأى ابنه غضبان فضرب رأسه بالسيف فقتله وبلغ النعمان الخبر فبعث في طلبه فلم يدركه فقال الحرث في ذلك

أخصي حماريات يكدم نجمة * اتؤكل جاراتي وجارك سالم
فان تك أذوادا أصبت ونسوة * فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم
علوت بذي الحيات مفرق رأسه * ولا يركب المكروه الا الاكارم
فتكت به كما فتكت بخالد * وكان سلاحي تحتويه الجماجم
بدأت بتلك وانثنيت بهذه * وثالثة تبيض منها المقادم
حسبت اباقابوس انك تخفري * ولما تذق ثكلا وانفك راغم

كذا قال بعضهم وقيل ان المقتول كان شرحبيل بن الاسود بن المنذر وكان الاسود قد ترك ابنه شرحبيل عند سنان بن أبي حارثة المري ترضعه زوجته فمن هناك كان لسنان مال كثير وكان ابنه هرم يعطي منه فجاء الحرث متخفيا فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان ثم اتى امرأة سنان فقال يقول بعلك ابعثي بشرحبيل بن الملك مع الحرث بن ظالم حتى يستأمن به ويتخفر به وهذا سرجه علامة فزينته ودفعته اليه فأخذه وقتله وهرب فغزا الاسود بني ذبيان وبني اسد بشط اربل فقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى واستأصل الاموال وأقسم ليقتلن الحرث فسار الحرث متخفيا الى الحيرة ليفتك بالاسود فبينما هو في منزله اذ سمع صارخة تقول أنا في جوار الحرث بن ظالم وعرف حالها وكان الاسود قد أخذ لها صرمة من الابل فقال لها انطلقي غدا الى مكان كذا وأتاه الحرث فلما وردت ابل النعمان أخذ مالها فسلمه اليها وفيها ناقة تسمى اللقاع فقال الحرث في ذلك

اذا سمعت حنة اللقاع * فادعي اباليلى فنعم الداعي
يمشي بعضب صارم قطاع * يفري به مجامع الصداع

ثم اقبل يطلب مجيرا فلم يجره احد من الناس وقالوا من يجيرك على هوازن والنعمان وقد قتلت ولده فأتى زرارة بن عدس وضمرة بن ضمرة فاجاراه على جميع الناس ثم ان عمرو بن الاطنابة الخزرجي لما بلغه قتل خالد بن جعفر وكان صديقه قال والله لو وجده يقظان ما أقدم عليه ولوددت اني لقيته وبلغ الحرث قوله وقال والله لآتينه في رحله ولا القاه الا ومعه سلاحه فبلغ ذلك ابن الاطنابة فقال أبياتا منها

أبلغ الحرث بن ظالم المو * عد والناذر النذور علينا
انما تقتل النيام ولا تقـ * ـتل يقظان ذا سلاح كميا

فبلغ الحرث شعره فسار الى المدينة وسأل عن منزل ابن الاطنابة فلما دنا منه نادى يا ابن

ابن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فهو هاشمي من هاشميين وقال رضي الله عنه ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله الا حرم الله عز وجل وجه صاحبها على النار فان سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة وما من شيء الا له جزاء الا الدمعة فان الله تعالى يكفر بها بحور الخطايا ولو ان باكيا بكى في أمة لحرم الله تلك الامة على النار وحدث بعضهم قال كنت بين مكة والمدينة فاذا أنا بشيء يلوح تارة ويختفي أخرى حتى قرب مني فتأملته فاذا هو غلام سباعي أو ثماني فسلم علي فرددت عليه السلام فقلت ممن أنت قال رجل عربي قلت أبن لي قال قرشي قلت أبن لي قال علوي ثم أنشأ يقول

ونحن على الحوض رواده
نذود ونسعد وراده
فما فاز من فاز الا بنا
وما خاب من حبنا زاده
فمن سرنا نال منا السرور
ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن كان غاصبنا حقنا
فيوم القيامة ميعاده

ثم قال انا محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب ثم التفت فلم اره فلا ادري نزل في الارض

الاطنابة أغثنى فأتاه عمرو فقال من أنت قال رجل من بنى فلان خرجت اريد بنى فلان فعرض لى قوم قريبا منك فأخذوا ما كان معى فاركب معى حتى تستنقذه فركب معه ولبس سلاحه ومضى معه فلما ابعد عن منزله عطف عليه وقال أنائم انت ام يقظان فقال يقظان فقال أنا ابو ليلى وسيفى المغلوب فالق ابن الاطنابة سيفه وقيل رمحه وقال قد أعجلتنى فامهلنى حتى آخذ سيفى فقال خذه قال أخاف ان تعجلنى عن أخذه قال لك ذمة ظالم لا اعجلك عن اخذه قال فوذمة الاطنابة لا آخذه فانصرف الحرث وهو يقول يا تامنا

بالعشامة الله عمرو * فالتقينا وكان ذاك بديا
فهممنا بقتله اذ برزنا * ووجدناه ذا سلاح كميا
غير ما نائم يروع بالليـ * ـل ولكن مقلدا مشرفيا
فمننا عليه بعد علو * بوفاء وكنت قدما وفيا

ثم ان الحرث لما علم ان النعمان قد جد فى طلبه وهوازن لا تقعد عن الطلب بثار خالد خرج متنكرا الى الشام واستجار بيزيد بن عمرو فأكرمه واجاره وكان ليزيد ناقة محماة فى عنقها مدية وزناد وملح ليمتحن بذلك رعيته فوحمت زوجة الحرث واشتهت شحما ولحما فأخذ الحرث الناقة فادخلها شعبا فذبحها وحمل الى امرأته من شحمها ولحمها ورفع منه وفقدت الناقة فطلبت فوجدت عقيرة بالوادى فارسل الملك الى كاهن فسأله عنها فذكر له ان الحرث نحرها فارسل امرأة بطيب تشترى من لحمها من امرأة الحرث فادركها الحرث وقد اشترت اللحم فقتلها ودفنها فى البيت فسأل الملك الكاهن عن المرأة فقال قتلها الذى نحر الناقة واذا كرهت ان تفتش بيته فتأمر الرجل بالرحيل فاذا رحل فتشت بيته ففعل ذلك فلما رحل الحرث فتش الكاهن بيته فوجد المرأة واحس الحرث بالشر فعاد الى الكاهن فقتله فاخذ الحرث وأحضر عند الملك فامر بقتله فقال انك قد أجرتنى فلا تغدر بى فقال ان غدرت بك مرة واحدة فقد غدرت بى مرارا فقتله

(أيام داحس والغبراء وهى بين عبس وذبيان)

وكان سبب ذلك ان قيس بن زهير بن جذيمة العبسى سار الى المدينة ليتجهز لقتال عامر والاخذ بثار أبيه فاتى أحيحة بن الجلاح يشترى منه درعا موصوفة فقال له لا أبيعها ولولا أن تذمنى بنو عامر لوهبتها منك ولكن اشترها بابن لبون ففعل ذلك وأخذ الدرع وتسمى ذات الحواشى ووهبه أحيحة أيضا ادراعا وعاد الى قومه وقد فرغ من جهازه فاجتاز بالربيع بن زياد العبسى فدعاه الى مساعدته على الاخذ بثاره فاجابه الى ذلك فلما أراد فراقه نظر الربيع الى عيبته فقال ما فى حقيبتك قال متاع عجيب لو ابصرته لراعك وأناخ راحلته فاخرج الدرع من الحقيبة فابصرها الربيع فاعجبته ولبسها فكانت فى طوله فمنعها من قيس ولم يعطه اياها وترددت الرسل بينهما فى ذلك ولج قيس فى طلبها ولج الربيع فى منعها فلما طالت الايام على ذلك سير قيس أهله الى مكة وأقام ينتظر غرة الربيع ثم ان الربيع سير ابله وأمواله الى مرعى كثير الكلا وأمر اهله فظعنوا وركب فرسه وسار الى المنزل فبلغ الخبر قيسا فسار فى اهله واخوته فعارض ظعائن الربيع وأخذ زمام امه فاطمة

ام صعد فى السماء وتوفى رضى الله عنه سنة سبع عشرة ومائة وله من العمر ثمان وخمسون سنة قيل مات بالسم فى زمن ابراهيم بن الوليد ودفن فى البقيع فى القبة التى فيها العباس فى القبر الذى دفن فيه أبوه وعم أبيه رضى الله عنهم وارضاهم

(الفصل الخامس فى ذكر عالم الحقائق والدقائق الامام جعفر ابن محمد الصادق رضى الله عنه)

كان من بين اخوته خليفة أبيه ووصيه نقل عنه من العلوم ما لم ينقل عن غيره وكان رأسا فى الحديث روى عنه يحيى بن سعد وابن جريج ومالك بن انس والثورى وابن عيينة وأبو حنيفة وشعبة وأبو أيوب السجستانى وغيرهم ولد بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة وأمه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر وكان رضى الله عنه معتدل القامة آدم اللون نقش خاتمه ما شاء الله لا قوة الا بالله استغفر الله نقل ان كتاب الجفر الذى بالمغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن له ومن كلامه لسفيان الثورى يا سفيان اذا أنعم الله عليك بنعمة واحببت بقاءها فاكثر من الحمد والشكر عليها فان الله عز وجل قال فى كتابه

بنت الخرشب وزمام زوجته فقالت فاطمة ام الربيع ماتريد يا قيس قال اذهب بكن الى مكة فابيعكن بها بسبب درعى قالت وهى فى ضمانى وخل عنا ففعل فلما جاءت الى ابنها قالت له فى معنى الدرع فحلف انه لا يرد الدرع فارسلت الى قيس اعلمته بما قال الربيع فاغار على نعم الربيع فاستاق منها اربعمائة بعير وسار بها الى مكة فباعها واشترى بها خيلا وتبعه الربيع فلم يلحقه فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء وقيل ان داحسا كان من خيل بنى يربوع وان اباه كان فرسا لرجل من بنى ضبة يقال له انيف بن جبلة وكان الفرس يسمى السبط وكانت ام داحس لليربوعى فطلب اليربوعى من الضبى ان ينزى فرسه على حجره فلم يفعل فلما كان الليل عمد اليربوعى الى فرس الضبى فأخذه فانزاه على فرسه فاستيقظ الضبى فلم ير فرسه فنادى فى قومه فأجابوه وقد تعلق باليربوعى فاخبرهم الخبر فغضب ضبة من ذلك فقال لهم لا تعجلوا دونكم نطفة فرسكم فخذوها فقال القوم قد انصف فسطا عليها رجل من القوم فدس يده فى رحمها فاخذ ما فيها فلم تزد الفرس الا لقاحا فنتجت مهرا فسمى داحسا بهذا السبب فكان عند اليربوعى ابنان له واغار قيس بن زهير على بنى يربوع فنهب وسبى ورأى الغلامين احدهما على داحس والآخر على الغبراء فطلبهما فلم يلحقهما فرجع وفى السبى ام الغلامين واختان لهما وقد وقع داحس والغبراء فى قلبه وكان ذلك قبل ان يقع بينه وبين الربيع ما وقع ثم جاء وفد بنى يربوع فى فداء الاسرى والسبى فاطلق الجميع الا ام الغلامين واختيهما وقال ان أتانى الغلامان بالمهر والفرس الغبراء والا فلا فامتنع الغلامان من ذلك فقال شيخ من بنى يربوع كان اسيرا عند قيس أبياتا وبعث بها الى الغلامين وهى

انّ مهرا فدا الرباب وجملا * وسعادا لخير مهر اناس

ادفعوا داحسا بهن سراعا * انها من فعالها الاكياس

دونها والذى يحج له النا * س سبايا يبعن بالافراس

ان قيسا يرى الجواد من الخيـ * ـل حياة فى متلف الانفاس

يشترى الطرف بالجرابرة الجلـ * ـة يعطى عفوا بغير مكاس

فلما انتهت الابيات الى بنى يربوع قادوا الفرسين الى قيس وأخذوا النساء وقيل ان قيسا انزى داحسا على فرس له فجاءت بمهرة فسماها الغبراء ثم ان قيسا اقام بمكة فكان اهلها يفاخرونه وكان فخورا فقال لهم نحوا كعبتكم عنا وحرمكم وهاتوا ما شئتم فقال له عبد الله ابن جدعان اذا لم نفاخرك بالبيت المعمور وبالحرم الآمن فبم نفاخرك فمل قيس مفاخرتهم وعزم على الرحلة عنهم وسر ذلك قريشا لانهم قد كانوا كرهوا مفاخرته فقال لاخوته ارحلوا بنا من عندهم اولا والا تفاقم الشر بيننا وبينهم والحقوا ببنى بدر فانهم أكفاؤنا فى الحسب وبنو عمنا فى النسب واشراف قومنا فى الكرم ومن لا يستطيع الربيع ان يتناولنا معهم فلحق قيس واخوته ببنى بدر وقال فى مسيره اليهم

اسير الى بنى بدر بامر * هم فيه علينا بالخيار

فان قبلوا الجوار فخير قوم * وان كرهوا الجوار فغير عار

العزيز ولئن شكرتم لازيدنكم واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فان الله تعالى يقول استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآية واذا أحزنك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة وكان رضى الله عنه يقول لا يتم المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وستره روى انه وقع الذباب على وجه المنصور مرارا كلما ذبه عاد حتى اضجره فدخل عليه تلك الساعة جعفر بن محمد الصادق رضى الله تعالى عنه فقال يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة فسكت المنصور وروى عنه انه قال لمولاه نافذ اذا كتبت رقعة أو كتابا فى حاجة وأردت ان تنجح حاجتك فاكتب فى رأس الرقعة بقلم غير مديد بسم الله الرحمن الرحيم وعد الله الصابرين المخرج مما يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون جعلنا الله واياكم من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال نافذ فكنت أفعل ذلك فتقضى حوائجى ومناقبه كثيرة توفى فى سنة ثمان وأربعين ومائة وله من العمر ثمان وستون سنة وقيل

أتينا الحرث الخير ابن كعب • بنجران وأى الجار جار
يجاورنا الذين اذا أتاهم • غريب حل فى سعة القرار
فيأمن فيهم ويكون منهم • بمنزلة الشعار من الدثار
وان نفرد بحرب بنى أبينا • بلا جار فان الله جارى

ثم نزل ببنى بدر فنزل بحذيفة فاجاره هو وأخوه حمل بن بدر وأقام فيهم وكان معه افراس له ولاخوته لم يكن فى العرب مثلها وكان حذيفة يغدو ويروح الى قيس فينظر الى خيله فيحسده عليها ويكتم ذلك فى نفسه وأقام قيس فيهم زمانا يكرمونه واخوته فغضب الربيع ونقم ذلك عليهم وبعث اليهم بهذه الابيات

الا ابلغ بنى بدر رسولا • على ما كان من شنا ووتر
بانى لم أزل لكم صديقا • ادافع عن فزارة كل أمر
اسالم سلمكم وأرد عنكم • فوارس أهل نجران وحجر
وكان أبى ابن عمكم زياد • صفى أبيكم بدر بن عمرو
فالجاتم أخا الغدرات قيسا • فقد أدعيتم ايغار صدرى
فحسبى من حذيفة ضم قيس • وكان البدء من حمل بن بدر
فاما ترجعوا أرجع اليكم • وان تأبوا فقد أوسعت عذرى

فلم يتغيروا عن جوار قيس فغضب الربيع وغضبت عبس لغضبه ثم ان حذيفة كره قيسا واراد اخراجه عنهم فلم يجد حجة وعزم قيس على العمرة فقال لاصحابه انى قد عزمت على العمرة فاياكم ان تلابسوا حذيفة بشئ واحتملوا كل ما يكون منه حتى ارجع فانى قد عرفت الشر فى وجهه وليس يقدر على حاجته منكم الا ان تراهنوه على الخيل وكان ذا رأى لا يخطئ فيما يريده وسار الى مكة ثم ان فتى من عبس يقال له ورد بن مالك أتى حذيفة فجلس اليه فقال له ورد لو اتخذت من خيل قيس فحلا يكون أصلا لخيلك فقال حذيفة خيلى خير من خيل قيس ولجا فى ذلك الى ان تراهنا على فرسين من خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة والرهن عشرة أذواد وسار ورد فقدم على قيس بمكة فاعلمه الحال فقال له اراك قد أرقعتنى فى بنى بدر ووقعت معى وحذيفة ظلوم لا تطيب نفسه بحق ونحن لا نقرله بضيم ورجع قيس من العمرة فجمع قومه وركب الى حذيفة وسأله ان يفك الرهن فلم يفعل فسأله جماعة فزارة وعبس فلم يجب الى ذلك وقال ان أقر قيس ان السبق لى والا فلا فقال أبو جعدة الفزارى

آل بدر دعوا الرهان فانا • قد مللنا اللجاج عند الرهان
ودعوا المرء فى فزارة جارا • ان ما غاب عنكم كالعيان
ليت شعرى عن هاشم وحصين • وابن عوف وحرث وسنان
حين يأتيهم لجاجك قيسا • وأى صاح أتيت أم نشوان

وسأل حذيفة اخوته وسادات أصحابه فى ترك الرهان ولج فيه وقال قيس علام تراهننى قال على فرسيك داحس والغبراء وفرسى الخطار والحنفاء وقيل كان الرهن على فرسى

انه مات مسموما فى زمن المنصور ودفن بالبقيع فى القبر الذى دفن فيه أبوه وجده وعم جده فلله دره من قبر ما أكرمه واشرفه

●(الفصل السادس فى ذكر المجتهد القائم المتصدق الصائم الامام موسى بن جعفر الكاظم رضى الله عنه)●

هو الامام الكبير القدر الاوحد الحجة الساهر ليله قائما القاطع نهاره صائما المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظما وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج لانه ما خاب المتوسل به فى قضاء حاجة قط ولد بالابواء سنة ثمان وعشرين ومائة وامه حميدة البربرية وكنيته ابو الحسن وكان أسمر اللون ونقش خاتمه الملك لله وحده وكان له كرامات ظاهرة ومناقب باهرة انترع قمة الشرف وعلاها وسما الى اوج المزايا فبلغ علاها فمن ذلك ما ذكره ابن الجوزى فى كتابه مثير العزام الساكن الى أشرف الاماكن عن شقيق البلخى قال قصدت الحج فنزلت القادسية فانا انظر الى الناس وزينتهم اذ رأيت شابا حسن الوجه شديد السمرة ضعيفا فى رجليه نعلان فجلس منفردا فقلت هذا من الصوفية يريد أن

داحس والغبراء قال قيس داحس اسرع وقال حذيفة الغبراء اسرع وقال لقيس ازيد ان اعلمك ان بصرى بالخيل اثقب من بصرك والاول اصح فقال له قيس نفس فى الغاية وارفع فى السبق فقال حذيفة الغاية من ابلى الى ذات الاصاد وهو قدر مائة وعشرين غلوة والسبق مائة بعير وضمروا الخيل فلما فرغوا قادوا الخيل الى الغاية وحشدوا ولبسوا السلاح وتركوا السبق على يد عقال بن مروان بن الحكم القيسى وأعدوا الامناء على ارسال الخيل واقام حذيفة رجلا من بنى اسد فى الطريق وأمره ان يلقى داحسا فى وادى ذات الاصاد ان مر به سابقا فيرمى به الى اسفل الوادى فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقا بينا والناس ينظرون اليه وقيس وحذيفة على رأس الغاية فى جميع قومهما فلما هبط داحس فى الوادى عارضه الاسدى فلطم وجهه فالقاه فى الماء فكاد يغرق هو وراكبه ولم يخرج الا وقد فاتته الخيل واما راكب الغبراء فانه خالف طريق داحس لما رآه قد ابطأ وعاد الى الطريق واجتمع مع فرسى حذيفة ثم سقطت الحنفاء وبقى الغبراء والخطار فكانا اذا أحزنا سبق الخطار واذا أسهلا سبقت الغبراء فلما قربا من الناس وهما فى وعث من الارض تقدم الخطار فقال حذيفة سبقتك يا قيس فقال رويدك يعلون الجدد فذهبت مثلا فلما استوت بهما الارض قال حذيفة خدع والله صاحبنا فقال قيس ترك الخداع من أجرى من مائة وعشرين فذهبت مثلا ثم ان الغبراء جاءت سابقة وتبعها الخطار فرس حذيفة ثم الحنفاء له ايضا ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله فاخبر الغلام قيسا بما صنع بفرسه فانكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظلما وقال جاء فرساى متتابعتين ومضى قيس وأصحابه حتى نظروا الى القوم الذين حبسوا داحسا واختلفوا وبلغ الربيع بن زياد خبرهم فسره ذلك وقال لاصحابه هلك والله قيس وكانى به ان لم يقتله حذيفة وقد أتاكم يطلب منكم الجوار اما والله لئن فعل ما لنا من ضمه من بد ثم ان الاسدى ندم على حبس داحس فجاء الى قيس واعترف بما صنع فسبه حذيفة ثم ان بنى بدر قصروا بقيس واخوته وأذوهم بالكلام فعاتبهم قيس فلم يزدادوا الا بغيا عليه وبذاء له ثم ان قيسا وحذيفة تناكرا فى السبق حتى هما بالمؤاخذة فنعهما الناس وظهر لهم بغى حذيفة وظلمه ولج فى طلب السبق فارسل ابنه ندبة الى قيس يطالبه به فلما ابلغه الرسالة طعنه فقتله وعادت فرسه الى أبيه ونادى قيس يا بنى عبس الرحيل فرحلوا كلهم ولما أتت الفرس حذيفة علم ان ولده قتل فصاح فى الناس وركب فيمن معه واتى منازل بنى عبس فرآها خالية ورأى ابنه قتيلا فنزل اليه وقبل بين عينيه ودفنوه وكان مالك بن زهير اخو قيس متزوجا فى فزارة وهو نازل فيهم فارسل اليه قيس انى قد قتلت ندبة بن حذيفة ورحلت فالحق بنا والا قتلت فقال انما ذنب قيس عليه ولم يرحل فارسل قيس الى الربيع بن زياد يطلب منه العود اليه والمقام معه اذ هم عشيرة وأهل فلم يجبه ولم يمنعه وكان مفكرا فى ذلك ثم ان بنى بدر قتلوا مالك بن زهير أخا قيس وكان نازلا فيهم فبلغ مقتله بنى عبس والربيع بن زياد فاشتد ذلك عليهم وأرسل الربيع الى قيس عينا يأتيه بخبره فسمعه يقول

يكون كالا على الحاج فقلت والله لامضين اليه ولأوبخنه فدنوت منه فقال يا شقيق اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ثم تركنى وولى فقلت هذا عبد صالح كاشفنى لالحقنه ليستغفر لى فاسرعت فى أثره فغاب عنى فلما نزلنا واقصة اذ هو قائم يصلى واعضاؤه ترجف ودموعه تجرى فقلت هذا صاحبى فلما فرغ قال لى يا شقيق اتل قوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم تركنى فقلت هذا من الابدال كاشفنى مرتين ثم رأيته على مورد وبيده ركوة فسقطت منه فى البئر فرمق الى السماء بطرفه وقال أنت ربى اذا ظمئت الى الماء وقوتى اذا أردت طعاما ثم قال اللهم سيدى مالى سواك فلا تعدمنيها قال شقيق فوالله لقد رأيت الماء ارتفع حتى تناول الركوة فتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال الى كثيب رمل فجعل منه فى الركوة وحركها وشرب فجئت وسلمت عليه وقلت أطعمنى من فضل ما أنعم الله عليك فقال يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فاحسن ظنك بربك وناولنى الركوة فشربت منها سويقا بسكر ما شربت ألذ ولا

أيحجو بنو بدر بمقتل مالك * ويخذلنا في النائبات ربيع
وكان زياد قبله يتقى به * من الدهر ان يوم ألم فظيع
فقل لربيع يحتذي فعل شيخه * وما الناس الا حافظ ومضيع
والا فما لي في البلاد اقامة * وأمر بني بدر على جميع

فرجع الرجل الى الربيع فأخبره فبكى الربيع على مالك وقال

منع الرقاد فما اغمض ساعة * جزعا من الخبر العظيم الساري
أفبعد مقتل مالك لضيعة * يرجو النساء عواقب الاطهار
من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه * ويقمن قبل تبلج الاسحار
يضربن حر وجوههن على فتى * ضخم الدسيعة غير ما خوار
قد كن يكنن الوجوه تسترا * فاليوم حين برزن للنظار

وهي طويلة فسمعها قيس فركب هو وأهله وقصدوا الربيع بن زياد وهو يصلح سلاحه فنزل اليه قيس وقام الربيع فاعتنقا وبكيا واظهرا الجزع لما اصاب مالكا ولقي القوم بعضهم بعضا فنزلوا فقال قيس للربيع انه لم يهرب منك من لجأ اليك ولم يستغن عنك من استعان بك وقد كان لك شر يومي فليكن لي خير يوميك وانما انا بقومي وقومي بك وقد اصاب القوم مالكا ولست أهم بسوء لاني ان حاربت بني بدر نصرتهم بنو ذبيان وان حاربتني خذلني بنو عبس الا ان تجمعهم علي وأنا والقوم في الدماء سواء قتلت ابنهم وقتلوا أخي فان نصرتني طمعت فيهم وان خذلتني طمعوا في فقال الربيع يا قيس انه لا ينفعني ان أرى لك من الفضل ما لا أراه لي ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك وقد مال علي قتل مالك وأنت ظالم ومظلوم ظلموك في جوادك وظلمتهم في دمائهم وقتلوا أخاك بابنهم فان يبؤ الدم بالدم فعسى ان تلقح الحرب اقم معك وأحب الامرين الي مسالمتهم ونخلو بحرب هوازن وبعث قيس الى اهله وأصحابه فجاؤا ونزلوا مع الربيع وأنشدهم عنترة بن شداد مرثيته في مالك

لله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتهما لم يطعما الدهر بعدها * وليتهما لم يجمعا لرهان
وليتهما ماتا جميعا ببلدة * وأخطاهما قيس فلا يريان
لقد جلبا جلبا لمصرع مالك * وكان كريما ماجد الهجان
وكان اذا ما كان يوم كريهة * فقد علموا أني وهو فتيان
وكالدى الهيجاء نحمي نساءنا * ونضرب عند الكرب كل بنان
فسوف ترى ان كنت بعدك باقيا * وامكنني دهري وطول زماني
فأقسم حقا لو بقيت لنظرة * لقرت بها العينان حين تراني

وبلغ حذيفة ان الربيع وقيسا اتفقا فشق ذلك عليه واستعد للبلاء وقيل ان بلاد عبس كانت قد اجدبت فانتجع أهلها بلاد فزارة وأخذ الربيع جوارا من حذيفة واقام عندهم فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة لي ذمتي ثلاثة أيام فقال حذيفة ذلك لك فانتقل

الربيع

أطيب منه وبقيت أياما لا أشتهي
طعاما ولا شرابا ثم رأيته بمكة قد
طاف واذا الخدم وحشم وموالي
يلقونه وطافوا به يمينا وشمالا
وانكب الناس يقبلون أطرافه
فتعجبت وقلت من هذا قالوا هذا
موسى الكاظم فقلت لا يكون
ما رأيت الا بمثل هذا وله مناقب
جليلة من ذلك أن المهدي لما حبسه
رأى في النوم علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه وهو يقول له يا محمد
فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا
في الارض وتقطعوا أرحامكم
فأرسل الربيع ليلا فأحضره
وعانقه واخبره بالواقعة وقال له
يا موسى تعاهدني ان لا تخرج
علي ولا على أحد من ولدي قال والله
لا فعلت ذلك ولا هو من شأني قال
صدقت أعطه يا ربيع ثلاثة آلاف
دينار ورده الى المدينة مكرما
وسأله الرشيد يوما فقال يا موسى
لم قلتم انكم أقرب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم منا فقال
يا امير المؤمنين لو أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطب اليك
كريمتك هل كنت تجيبه فقال
سبحان الله وكنت أفتخر بذلك
على العرب والعجم فقال لكنه
لا يخطب الي ولا أزوجه لانه
والدنا لا والدكم فلذلك نحن اقرب

الربيع من بني فزارة فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحذيفة اخيه بئس الرأي رأيت قتلت مالكا وخليت سبيل الربيع والله ليضرمن عليك نارا فركبا في طلب الربيع ففاتهم فعلما انه قد اضمر الشر واتفق الربيع وقيس وجمع حذيفة قومه وتعاقدوا على عبس وجمع الربيع وقيس قومهما واستعدوا للحرب فاغارت فزارة على بني عبس فأصابوا نعما ورجالا فحميت عبس واجتمعت للغارة فنذرت بهم فزارة فخرجوا اليهم فالتقوا على ماء يقال له المذق وهي أول وقعة كانت بينهم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل عوف بن يزيد قتله جندب بن خلف العبسي وانهزمت فزارة وقتلوا قتلا ذريعا واسر الربيع بن زياد حذيفة بن بدر وكان حرز بن الحرث العبسي قد نذر ان قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف وله سيف قاطع يسمى الاصرم فأراد ضربه بالسيف لما أسر وفاء بنذره فأرسل الربيع الى امه أنه فغيبت سيفه ونهوه عن قتله وحذروه عاقبة ذلك فابى الا ضربه فوضعوا عليه الرجال فضربه فلم يصنع السيف شيأ وبقي حذيفة أسيرا فاجتمعت غطفان وسعوا في الصلح فاصطلحوا على ان يهدروا دم بدر بن حذيفة بدم مالك بن زهير ويعقلوا عوف بن بدر ويعطوا حذيفة عن ضربته التي ضربه حرز مائتين من الابل وان يجعلوها عشارا كلها وأربعة اعبد واهدر حذيفة دماء من قتل من فزارة في الوقعة وأطلق من الاسر فلما رجع الى قومه ندم على ذلك وساءت مقالته في بني عبس وركب قيس بن زهير وعمارة بن زياد فمضيا الى حذيفة وتحدثا معه فأجابهما الى الاتفاق وان يرد عليهما الابل التي أخذ منهما وكانت توالدت عنده فبيناهم في ذلك اذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المري فقبح رأي حذيفة في الصلح وقال ان كنت لابد فاعلا فاعطهم ابلا عجافا مكان ابلهم واحبس اولادها فوافق ذلك رأي حذيفة فابى قيس وعمارة ذلك وقيل ان الابل التي طلبوها منه هي ابل كان قد أخذها سبقا من قيس وقيل أيضا ان مالك بن زهير قتل بعد هذه الوقعة المذكورة قال حميد ابن بدر في ذلك

قتلنا بعوف مالكا وهو ثارنا * ومن يبتدع شيأ سوى الحق يظلم

وجعل سنان يحث حذيفة على الحرب فتيسروا لها ثم ان الانصار بلغهم ما عزموا عليه فاتفق جماعة من رؤسائهم وهم عمرو بن الاطنابة ومالك بن عجلان وأحيحة بن الجلاح وقيس بن الخطيم وغيرهم وساروا ليصلحوا بينهم فوصلوا اليهم وترددوا في الاتفاق فلم يجب حذيفة الى ذلك وظهر لهم بغيه فحذروه عاقبته وعادوا عنه واغار حذيفة على عبس وأغارت عبس على فزارة وتفاقم الشر وارسل حذيفة اخاه حملا فاغاروا واسر ريان بن الاسلع بن سفيان وشده وثاقا وحمله الى حذيفة فاطلقه ليرهنه ابنيه وجبيرا ابن اخيه عمرو بن الاسلع ففعل ريان ذلك ثم سار قيس الى فزارة فلقي منهم جمعا فيهم مالك بن بدر فقتله قيس وانهزم فزارة فاخذ حينئذ حذيفة ولدي ريان فقتلهما وهما يستغيثان يا أبتاه حتى ماتا واما ابن أخيه فمنعه اخواله ولما قتل مالك والغلامان اشتدت الحرب بين الفريقين وأكثرها في فزارة ومن معها وفي بعض الايام التقوا واقتتلوا قتالا شديدا دامت الحرب بينهم الى آخر النهار وابصر ريان ابن الاسلع زيد بن حذيفة فحمل عليه فقتله وانهزمت فزارة وذبيان وأدرك الحرث بن

اليه منكم ثم قال وهل كان يجوز له ان يدخل على حرمك وهن منكشفات فقال لا قال لكنه كان له ان يدخل على حرمي ويجوز له ذلك فلذلك نحن اقرب اليه منكم وقد أكثر الادباء في مدائحه فمن ذلك قول أبي الفتح

أنا للسيد الشريف غلام
حيثما كان فليبلغ سلامي
واذا كنت للشريف غلاما
فانا الحر والزمان غلامي

وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ثلاث وثمانين ومائة فلما توفي امر الرشيد بوضع نعشه على الجسر ببغداد و ينادي عليه هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الشيعة انه لايموت فانظروا اليه ميتا ثم دفن بمقابر قريش وله من العمر خمس وخمسون سنة وكان له سبعة وثلاثون ولدا ما بين ذكر وأنثى وكان المخصوص من بينهم بجلالة القدر صاحب هذا الفصل وهو علي ابن موسى الرضا رضي الله عنه

(الفصل السابع في ذكر منشبه شجاعة جده على المرتضى الامام علي ابن موسى الرضا رضي الله عنه)

وكانت مناقبه علية وصفاته سنية ولد بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة وأمه أم ولد وكان شديد السمرة نقش خاتمه لا حول ولا قوة الا بالله

بدر فقتل ورجعت عبس سالمة لم يصب منهم أحد فلما قتل زيد والحرث جمع حذيفة جميع
بنى ذبيان وبعث الى أشجع وأسد بن خزيمة فجمعهم فبلغ ذلك بنى عبس فضموا اطرافهم
وأشار قيس بن زهير بالسبق الى ماء العقيقة ففعلوا ذلك وسار حذيفة فى جموعه الى عبس
ومشى السفراء بينهم فحلف حذيفة انه لا يصطلح حتى يشرب من ماء العقيقة فأرسل اليه
قيس منه فى سقاء وقال لا أترك حذيفة يحدعنى واصطلحوا على ان تعطى بنو عبس حذيفة
ديات من قتل له ووضعوا الرهائن عنده الى ان يجمعوا الديات وهى عشرة وكانت الرهائن
ابنا قيس بن زهير وابنا الربيع بن زياد فوضعوا أحدهما عند قطبة بن سنان والآخر
عند رجل من بكر بن وائل اعمى فعير بعض الناس حذيفة بقبول الدية فحضر هو
وأخوه حمل عند قطبة بن سنان والبكرى وقال ادفعا الينا الغلامين لنكسوهما
ونسرحهما الى أهلهما فاما قطبة فدفع اليهما الغلام الذى عنده وهو ابن قيس واما
البكرى فامتنع من تسليم من عنده فلما اخذا ابن قيس عادا فلقيا فى الطريق ابنا العمارة
ابن زياد العبسى وابن عم له فأخذاهما وقتلاهما مع ابن قيس فلما بلغ ذلك بنى عبس
أخذوا ما كانوا جمعوا من الديات فحملوا عليه الرجال واشتروا السلاح ثم خرج قيس
فى جماعة فلقوا ابنا لحذيفة ومعه فوارس من ذبيان فقتلوهم فجمع حذيفة وسار الى
عبس وهم على ماء يقال له عراعر فاقتتلوا فكان الظفر لفزارة ورجعت سالمة وجد
حذيفة فى الحرب وكرهها أخوه حمل وندم على ما كان وقال لاخيه فى الصلح فلم يجب الى
ذلك وجمع الجموع من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان وسار نحو بنى عبس فاجتمعت
عبس وتشاوروا فى أمرهم فقال لهم قيس بن زهير انه قد جاءكم ما لا قبل لكم به وليس لبنى
بدر الادماؤكم والزيادة عليكم واما من سواهم فلا يريدون غير الاموال والغنيمة والرأى
اننا نترك الاموال بمكانها ونترك معها فارسين على داحس وعلى فرس آخر جواد
ونرحل نحن ونكون على مرحلة من المال فاذا جاء القوم الى الاموال سار الينا الفارسان
فاعلمانا وصولهم فان القوم يشتغلون بالنهب وحيازة الاموال وانتهاهم ذووا الرأى عن
ذلك فان العامة تخالفهم وتنتقض تعبيتهم ويشتغل كل انسان بحفظ ما غنم ويعلقون
أسلحتهم على ظهور الابل ويأمنون فنعود نحن اليهم عند وصول الفارسين فندركهم وهم
على حال تفرق وتشتت فلا يكون لاحدهم همة الا نفسه ففعلوا ذلك وجاء حذيفة ومن
معه فاشتغلوا بالنهب فنهاهم حذيفة وغيره فلم يقبلوا منه وكانوا على الحال التى وصف قيس
وعادت بنو عبس وقد تفرقت اسد وغيرهم وبقى بنو فزارة فى آخر الناس فحملوا عليهم من
جوانبهم فقتل مالك ابن سبيع التغلبى سيد غطفان وانهزمت فزارة وحذيفة معهم وانفرد
فى خمسة فوارس وجد فى الهرب وبلغ خبره بنى عبس فتبعه قيس بن زهير والربيع بن
زياد وقرواش بن عمرو بن الاسلع وريان بن الاسلع الذى قتل حذيفة ابنيه وتبعوا أثرهم فى
الليل وقال قيس كأنى بالقوم وقد وردوا جفر الهباءة ونزلوا فيه فساروا الليل كلها
حتى أدركوهم مع طلوع الشمس فى جفر الهباءة فى الماء وقد أرسلوا خيلهم فأخذوا
يجمعها فحال قيس وأصحابه بينهم وبينها وكان مع حذيفة فى الجفر أخوه حمل بن بدر وابنه

وكنيته ابو الحسن ولقبه الرضا
والصابر والزكى وكراماته كثيرة
ومناقبه شهيرة فمن ذلك انه
كان عند المأمون بالمحل الاعلى
فكان اذا جاء اليه بادر الحجاب
والخدم بين يديه ورفعوا له الستر
فلما بلغهم ان المأمون يريد أن
يبايع له تواصوا على انه اذا جاء
لا يقومون له ولا يرفعون الستر
فلما جاء رضى الله عنه على عادته
ورأوه لم يملكوا أنفسهم أن فعلوا
معه فعلهم الاول ثم تلاوموا فيما
بينهم واقسموا اذا عاد ثانية أن
لا يرفعوا له الستر فلما عاد فى اليوم
الثانى قاموا وسلموا عليه غير انهم
لم يرفعوا له الستر فجاءت ريح
شديدة فرفعته كعادته أو أكثر
فلما دخل سكنت فلما اراد الخروج
رفعته الريح أيضا ثم سكنت
فقال بعضهم لبعض ان لهذا
الرجل شأنا ولله به عناية ارجعوا
الى خدمتكم له فرجعوا وقال
له رجل امرأتى حامل ادع الله
ان يجعله ذكرا فقال هما اثنان
فقلت اسمى الواحد محمدا
والآخر عليا فدعانى فقال سم
واحدا عليا والآخر أم عمرو
فولدت لى غلاما وجارية فسميتهما
كما ذكر وقالت أمى جدتك كانت
تسمى ام عمرو وروى الحاكم
باسناده عن ابى حبيب قال
رأيت النبى صلى الله عليه

حصن بن حذيفة وغيرهم فهجم عليهم قيس والربيع ومن معهما وهم ينادون لبيكم لبيكم يعني انهم يجيبون نداء الصبيان لما قتلوا ينادون يا ابتاه فقال لهم قيس يا بني بكر كيف رأيتم عاقبة البغي فناشدوهم الله والرحم فلم يقبلوا منهم ودار قرواش بن عمرو حتى وقف خلف ظهر حذيفة فضربه فدق صلبه وكان قرواش قد رباه حذيفة حتى كبر عنده في بيته وقتلوا حملا اخاه وقطعوا رأسيهما واستبقوا حصن بن حذيفة لصباه وكان عدد من قتل في هذه الوقعة من فزارة واسد وغطفان ما يزيد على اربعمائة قتيل وقتل من عبس ما يزيد على عشرين قتيلا وكانت فزارة تسمي هذه الوقعة البوار وقال قيس بن زهير

اقام على الهباءة خير ميت * واكرمه حذيفة لا يريم
لقد فجعت به قيس جميعا * موالي القوم والقوم الصميم
وعم به لمقتله بعيد * وخص به لمقتله حميم *

وهي طويلة وقال ايضا

الم تر ان خير الناس أمسى * على جعفر الهباءة لا يريم
فلولا ظلمه ما زلت ابكي * عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغي مرتعه وخيم

واكثروا القول في يوم الهباءة ثم ان عبسا ندمت على ما فعلت يوم الهباءة ولام بعضهم بعضا فاجتمعت فزارة الى سنان بن ابي حارثة المري وشكوا اليه ما نزل بهم فاعظمه وذم عبسا وعزم على ان يجمع العرب ويأخذ بثار بني بدر وفزارة وبث رسله فاجتمع من العرب خلق كثير لا يحصون ونهى اصحابه عن التعرض الى الاموال والغنيمة وامرهم بالصبر وساروا الى بني عبس فلما بلغهم مسيرهم اليهم قال قيس الرأي اننا لا نلقاهم فاننا قد وترناهم فهم يطالبوننا بالذحول والطوائل وقد رأوا اماناتهم بالامس باشتغالهم بالنهب والمال فهم لا يتعرضون اليه الآن والذي ينبغي ان نفعله اننا نرسل الظعائن والاموال الى بني عامر فان الدم لنا قبلهم فهم لا يتعرضون لكم ويبقى اولو القوة والجلد على ظهور الخيل ونماطلهم القتال فان ابوا الا القتال كنا قد احرزنا اهلينا واموالنا وقاتلناهم وصبرنا لهم فان ظفرنا فهو الذي نريد وان كانت الاخرى كنا قد احترزنا ولحقنا باموالنا ونحن على حامية ففعلوا ذلك وسارت ذبيان ومن معها فلحقوا بني عبس على ذات الجراجر فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم ذلك وافترقوا فلما كان الغد عادوا الى اللقاء فاقتتلوا اشد من اليوم الاول وظهرت في هذه الايام شجاعة عنترة بن شداد فلما رأى الناس شدة القتال وكثرة القتلى لاموا سنان بن ابي حارثة على منعه حذيفة عن الصلح وتطيروا منه واشاروا عليه بحقن الدماء ومراجعة السلم فلم يفعل واراد مراجعة الحرب في اليوم الثالث فلما رأى فتور اصحابه وركونهم الى السلم رحل عائدا فلما عاد عنهم رحل قيس وبنو عبس الى بني شيبان بن بكر وجاوروهم واقاموا معهم مدة فرأى قيس من غلمان شيبان ما يكرهه من التعرض لاخذ اموالهم فرحلوا عنهم فتبعهم جمع من شيبان فلقيتهم بنو عبس واقتتلوا

وسلم في المنام في مسجد وبين يديه طبق فيه تمر صيحاني فوقفت بين يديه فقبض لي قبضة من التمر وناولنيها فعددتها فوجدتها ثماني عشرة تمرة فتأولت اني اعيش عدتها ثم بعد ايام جاء علي الرضا من المدينة فمضيت اليه فاذا هو في الموضع الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فيه والطبق والتمر بين يديه فناولني قبضة عدتها كقبضة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت زدني فقال لو زادك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لزدناك ونظر الى رجل فقال يا عبد الله أوص بما تريد واستعد لما لا بد منه فمات بعد ثلاث ومر عليه جعفر بن عمر العلوي وهو رث الهيئة فضحك منه بعض من حضره فقال رضي الله عنه سترونه عن قريب بخدم وحشم فلم يمض شهر الا وقد ولي المدينة فحسنت حاله وفيه يقول ابو نواس

قيل لي انت احسن الناس شعرا
في فنون من المقال النبيه
لك من جوهر القريض بديع
يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى
والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا استطيع مدح امام
كان جبريل خادما لابيه

وكان رضي الله عنه اسود اللون لان امه كانت سوداء فدخل يوما حماما فبينا هو في مكان من الحمام اذ دخل عليه جندي فازاله عن موضعه وقال صب على رأسي يا اسود فصب على رأسه فدخل من عرفه فصاح يا جندي هلكت واهلكت أتستخدم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وامام المسلمين فانثنى الجندي يقبل رجليه ويقول هلا عصيتني اذ أمرتك

فانهزمت شيبان وسارت عبس الى هجر ليصالحوا ملكهم وهو معاوية بن الحرث
الكندي فعزم معاوية على الغارة عليهم ليلا فبلغهم الخبر فساروا عنه مجدّين وسار
معاوية مجدا في اثرهم فتاه بهم الدليل على عمد لئلا يدركوا عبسا الا وهم قد مسهم ودوابهم
النصب فادركوهم بالفروق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم معاوية واهل هجر وغنمت عبس
فاخذت من اموالهم وقتلوا منهم ما ارادوا ورجعوا فاسروا بن قنفذ وابنا يقال له عمرو
عليه حتى من كلب فركبوا ليقاتلوا بني عبس فبرز الربيع وطلب من يبرز اليه واسمه
مسعود بن مصاد فاقتتلا حتى سقطا الى الارض واراد مسعود قتل الربيع فانكسرت
البيضة عن رقبته فرماه رجل من بني عبس بسهم فقتله فثار به الربيع فقطع رأسه وحملت
عبس على كلب والرأس على رمح فانهزمت كلب وغنمت عبس اموالهم وذراريهم
فساروا الى اليمامة فحالفوا اهلها من بني حنيفة واقاموا ثلاث سنين فلم يحسنوا
جوارهم وضيقوا عليهم فساروا عنهم وقد تفرق كثير منهم وقتل منهم وهلكت دوابهم
ووترهم العرب فراسلتهم بنو ضبة وعرضوا عليهم المقام عندهم ليستعينوا بهم على حرب
تميم ففعلوا وجاوروهم فلما انقضى الامر بين ضبة وتميم تغيرت ضبة لعبس وارادوا
اقتطاعهم فغاربتهم عبس فظفرت وغنمت من اموال ضبة وسارت الى بني عامر وحالفوا
الاحوص بن جعفر بن كلاب فسر بهم ليقوى بهم على حرب بني تميم لانه كان بلغه ان
لقيط بن زرارة يريد غزو بني عامر والاخذ بثار اخيه معبد فاقامت عبس عند بني عامر
فقصدتهم تميم وكانت وقعة شعب جبلة وسنذكرها ان شاء الله ثم ان ذبيان غزوا بني عامر
ابن صعصعة وفيهم بنو عبس فاقتتلوا فانهزمت عامر واسر قرواش بن هني العبسي ولم يعرف
فلما قدموا به الحي عرفته امرأة منهم فلما عرفوه ساروا به الى حصن بن حذيفة فقتله ثم رحلت
عبس عن عامر ونزلت بتيم الرباب فبغت تيم عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا وتكاثرت عليهم
تيم فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة ورحلت عبس وقد ملوا الحرب وقلت الرجال والاموال
وهلكت المواشي فقال لهم قيس ما ترون قالوا نرجع الى اخواننا من ذبيان فالموت معهم
خير من المقام مع غيرهم فساروا حتى قدموا على الحرث بن عوف بن ابي حارثة المري
وقيل على هرم بن سنان بن ابي حارثة ليلا وكان عند حصن بن حذيفة بن بدر فلما عاد ورآهم
رحب بهم وقال من القوم قالوا اخوانك بنو عبس وذكروا حاجتهم فقال نعم وكرامة اعلم
حصن بن حذيفة فعاد اليه وقال طرقت في حاجة قال اعطيتها قال بنو عبس وجدت
وفودهم في منزلي قال حصن صالحوا قومكم اما انا فلا ادي ولا اتدي قد قتل آبائي
وعمومتي عشرون من عبس فعاد الى عبس واخبرهم بقول حصن واخذهم اليه فلما رآهم
قال قيس والربيع بن زياد حصن ركبان الموت قال بل ركبان السلم ان تكونوا اختلتم الى
قومكم فقد اختل قومكم اليكم ثم خرج معهم حتى اتوا سنانا فقال له قم بامر عشيرتك
واصلح بينهم فاني ساعينك ففعل ذلك وتم الصلح بينهم وعادت عبس وقيل ان قيس بن زهير
لم يسر مع عبس الى ذبيان وقال لا تراني غطفانية ابدا وقد قتلت اخاها او زوجها او ولدها
او ابن عمها ولكني سأتوب الى ربي فتنصر وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهب

فقال ام المثوبة وما اردت ان اعصيك فيما اثاب عليه ثم انشا يقول ليس لي ذنب ولا ذنب لمن قال لي يا عبد أريا دوة
انما الذنب لمن البسني
ظلمة وهو الذي لا يحمده

وكان رضي الله عنه قليل النوم
كثير الصوم وكان جلوسه في الصيف
على حصير وفي الشتاء على جلد شاة
وفي تاريخ نيسابور ان علي بن
موسى الرضا لما دخل نيسابور
في السفرة التي خص فيها بفضيلة
الشهادة كان راكبا على بغلة شهباء
وعليه قبة مستورة فشق سوق
نيسابور فعرض له الامامان
الحافظان ابو زرعة الرازي
ومحمد بن اسلم الطوسي ومعهما
خلائق لا يحصون من طلبة العلم
والحديث ورواته فقالا ايها
السيد ابن السادة الكرام بحق
آبائك الاطهرين واسلافك
الاكرمين الا اريتنا وجهك
المبارك الميمون ورويت لنا حديثا
عن آبائك عن جدك فاستوقف
البغلة وكشف المظلة واقر العيون
بطلعته المباركة فكانت له
ذؤابتان مدلاتان على عاتقه
والناس ما بين صارخ وباك ومقبل
لحافر بغلته وعلا الضجيج فصاحت
الائمة والعلماء معاشر الناس
انصتوا وكان المستملي ابو زرعة
ومحمد بن اسلم فقال علي الرضا
حدثني ابي موسى الكاظم عن
ابيه جعفر الصادق عن ابيه محمد
الباقر عن ابيه علي زين العابدين
عن ابيه الحسين شهيد كربلاء عن
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
قال حدثني اخي وحبيبي وقرة
عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثني جبريل عليه السلام قال سمعت رب العزة

بهازمانا فلقيه حوج بن مالك العبدى فعرفه فقتله وقال لا رحمنى الله ان رحمتك وقيل ان قيسا تزوج فى النمير بن قاسط لما عادت عبس الى ذبيان وولد له ولدا سماه فضالة فقدم على النبى صلى الله عليه وسلم وعقد له على من معه من قومه وكانوا تسعة وهو عاشرهم انقضى حرب داحس والغبراء والحمد لله

(يوم شعب جبلة)

كان لقيط بن زرارة قد عزم على غزو بنى عامر بن صعصعة للاخذ بثار اخيه معبد بن زرارة وقد ذكرنا موته عندهم اسيرا فبينما هو يتجهز اتاه الخبر بحلف بنى عبس وبنى عامر فلم يطمع فى القوم وأرسل الى كل من كان بينه وبين عبس ذحل يسأله الحلف والتظافر على غزو عبس وعامر فاجتمعت اليه اسد وغطفان وعمرو بن الجون ومعاوية بن الجون واستوثقوا واستكثروا وساروا فعقد معاوية بن الجون الالوية فكان بنو أسد وبنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون وعقد لعمرو بن تميم مع حاجب بن زرارة وعقد للرباب مع حسان بن همام وعقد لجماعة من بطون تميم مع عمرو بن عدس وعقد لحنظلة باسرها مع لقيط بن زرارة وكان مع لقيط ابنته دختنوس وكان يغزو بها معه ويرجع الى رأيها وساروا فى جمع عظيم لا يشكون فى قتل عبس وعامر وادراك ثارهم فلقى لقيط فى طريقه كرب بن صفوان بن الحباب السعدى وكان شريفا فقال ما منعك ان تسير معنا فى غزاتنا قال انا مشغول فى طلب ابل لى قال لا بل تريد ان تنذر بنا القوم ولا اتركك حتى تحلف انك لا تخبرهم فحلف له ثم سار عنه وهو مغضب فلما دنا من عامر اخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكا وترابا وخرقتين من يمانية وخرقة حمراء وعشرة احجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فاخذها معاوية بن قشير فاتى بها الاحوص بن جعفر واخبره ان رجلا القاها وهم يسقون فقال الاحوص لقيس بن زهير العبسى ما ترى فى هذا الامر قال هذا من صنع الله لنا هذا رجل قد اخذ عليه عهد على ان لا يكلمكم فاخبركم ان اعداءكم قد غزوكم عدد التراب وان شوكتهم شديدة واما الحنظلة فهى رؤساء القوم واما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم واما الخرقة الحمراء فهى حاجب بن زرارة واما الاحجار فهى عشر ليال يأتيكم القوم اليها قد انذرتكم فكونوا أحرارا فاصبروا كما يصبر الاحرار الكرام قال الاحوص فانا فاعلون وآخذون برأيك فانه لم تنزل بك شدة الا رأيت المخرج منها قال فاذ قد رجعتم الى رأيى فادخلوا انعمكم شعب جبلة ثم أظمئوها هذه الايام ولا توردوها الماء فاذا جاء القوم أخرجوا عليهم الابل وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذاعير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم واخرجوا أنتم فى آثارها واشفوا نفوسكم ففعلوا ما اشار به وعاد كرب بن صفوان فلقى لقيطا فقال له انذرت القوم فاعاد الحلف له انه لم يكلم احدا منهم فخلى عنه فقالت دختنوس ابنة لقيط لابيها ردنى الى اهلى ولا تعرضنى لعبس وعامر فقد انذرهم لا محالة فاستحمقها وساءه كلامها وردها وسار حتى نزل على فم الشعب بعسا كر جرارة كثيرة الصواهل وايس لهم هم الا الماء فقصدوه فقال لهم قيس أخرجوا عليهم الآن الابل ففعلوا فاذا خرجت الابل مذاعير عطاشا وهم

أمن من عذابى ثم ارخى الستر على القبة وسار قال فعددا اهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فانافوا على عشرين الفا قال القشيرى اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض امراء السامانية فكتبه بالذهب واوصى ان يدفن معه فى قبره فرؤى بعد موته فقيل ما فعل الله بك قال غفر لى بتلفظى بلا اله الا الله وتصديقى بان محمدا رسول الله وكانت وفاة على بن موسى الرضا بطوس من خراسان فى قرية يقال لها سناباد فى آخر صفر سنة ثلاث ومائتين وله من العمر خمس وخمسون سنة رحمه الله

(الفصل الثامن فى ذكر من ظهرت كراماته من ليلة الميلاد محمد بن على الجواد الامام رضى الله عنه)

ولد بالمدينة تاسع رمضان سنة خمس وتسعين ومائة وامه ام ولد وكنيته ابو جعفر ولقبه الجواد وكان ابيض اللون معتدل القامة نقش خاتمه نعم القادر الله (واما مناقبه) فما امتدت أوقاتها ولا تأخر ميقاتها بل قضت عليه الاقدار الالهية بقلة بقائه فى الدنيا فقل مقامه وعاجل حمامه ولم تطل ايامه غير أن الله عز وجل خصه بمنقبة شريفة وآية منيفة وهى ان المأمون لما قدم بغداد خرج يوما فى موكبه متصيدا فمر بصبيان يلعبون وفيهم الجواد رضى الله عنه ففر الصبيان هيبة للمأمون الا الجواد رضى الله عنه وعمره اذ ذاك تسع سنين فلما رآه المأمون قال له الا فررت مع الصبيان فقال يا أمير المؤمنين لم يكن

في اعراضها وادبارها فخبطت تميما من معها وقطعتهم وكانوا في الشعب وابرزتهم الى الصحراء على غير تعبية وشغلوا عن الاجتماع الى ألويتهم وحملت عليهم عبس وعامر فاقتتلوا قتالا شديدا وكثرت القتلى في تميم وكان اول من قتل من رؤسائهم عمرو بن الجون واسر معاوية بن الجون وعمرو بن عمرو بن عدس زوج دختنوس بنت لقيط وأسر حاجب بن زرارة وانحاز لقيط بن زرارة فدعا قومه وقد تفرقوا عنه فاجتمع اليه نفر يسير فغرز رايته فوق جرف ثم حمل فقتل فيهم ورجع وصاح انا لقيط وحمل ثانية فقتل وجرح وعاد فكثر جمعه فانحط الجرف بفرسه وحمل عليه عنترة فطعنه طعنة قصم بها صلبه وضربه قيس بالسيف فالقاه متشحطا في دمه فذكر ابنته دختنوس فقال

يا ليت شعري عنك دختنوس * اذا اتاها الخبر المرموس
أتحلق القرون ام تميس * لا بل تميس انها عروس

ثم مات ووقعت الهزيمة على تميم وغطفان ثم فدوا حاجبا بخمسمائة من الابل وفدوا عمرو بن عمرو بمائتين من الابل وعاد من سلم الى اهله وقالت دختنوس ترثي اباها قصائد منها

عثر الاغر بخير خندف كهلها وشبابها
وأضرها لعدوها * وافكها لرقابها
وقريبها وبجيبها * في المطبقات ونابها
ورئيسها عند الملو * ك وزين يوم خطابها
واتمها نسبا اذا * رجعت الى أنسابها
فرعي عمودا للعشيرة رافعا لنصابها
ويعولها ويحوطها * ويذب عن احسابها
ويطا مواطن للعد * و وكان لا يعني بها
فعل المدل من الاسو * د لحينها وتبابها
كالكوكب الدري في * سمياء لا يخفى بها
عبث الاغر به وكل منية لتكابها
فرت بنو أسد فرا * ر الطير عن اربابها
وهوازن اصحابهم * كالفار في اذنابها

وذكر محمد بن اسحق في يوم جبلة غير ما ذكرنا قال كان سببه ان بني خندف كان لهم على قيس أكل تأكله القعدد من خندف فكان ينتقل فيهم حتى انتهى الى تميم ثم من تميم الى بني عمرو بن تميم وهم اقل بطنا منهم واذله فابت قيس ان تعطي الاكل وامتنعت منه فجمعت تميم وحالفت غيرها من العرب وساروا الى قيس فذكر القصة نحو ما تقدم وخالف في البعض فلا حاجة الى ذكره وفي هذا اليوم ولد عامر بن الطفيل العامري وقد قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين وكان زرارة بن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن حابس وغيرهم مجوسا وان لقيطا تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسي وانه قتل وهي تحته فقال في ذلك

بالطريق ضيق فاوسعه لك وايس لي بجرم فاخشاك والثاني بل حسن انك لا تنثني من لا ذنب له فاعجبه كلامه وترحم على ابيه وعمه وخلاه فلما بعد عن العمارة ارسل بازا على دراجة فغاب البازي ساعة في الجو وعاد وفي منقاره سمكة صغيرة وفيها بقية روح فتعجب من ذلك ورجع من الصيد فمر بالصبيان الذين فيهم الجواد فلما دنا من الجواد قال يا محمد ما في يدي قال الهمه الله تعالى أن قال ان الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكا صغارا يصيدها بزاة الملوك والخلفاء تختبر بها سلالة أهل بيت المصطفى فتعجب المأمون منه واطال النظر اليه وعزم أن يزوجه ابنته ام الفضل فعارضه العباسيون خوفا ان يؤل الامر اليه فقال المأمون ان شككتم في فضله فجربوه وناظروه فاجمعوا ان يكون المناظر له والسائل يحيى بن اكثم فسأله مسائل اعدها له فاجاب احسن جواب وابان عن علم كثير وفضل غزير فقال له المأمون احب ان تسأله كما سألك ولو مسئلة واحدة فقال يحيى يسأل فان حضرني الجواب والا استفدت منه الصواب فقال له ما تقول في رجل نظر الى امرأة في أول النهار بشهوة فكان نظره اليها حراما عليه فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما دخل العشاء حلت له فلما انتصف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له فيما ذا حلت له وبماذا حرمت عليه فقال يحيى لا أدري فقال ابو جعفر هذه امة لرجل

يا ليت شعري عنك دختنوس الابيات

والاول اصح والله اعلم

(يوم ذات نكيف)

كان بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة مبغضين لقريش مضطغنين عليهم ما كان من قصي حين اخرجهم من مكة مع من اخرج من خزاعة حين قسمها ارباعا وخططا بين قريش فلما كانوا على عهد عبد المطلب هموا باخراج قريش من الحرم وان يقاتلوهم حتى يغلبوهم عليه وعدت بنو بكر على نعم ابني الهون بن خزيمة فاطردوها ثم جمعوا جموعهم وجمعت قريش جموعهم واستعدت وعقد عبد المطلب الحلف بين قريش والاحابيش وهم بنو الحرث بن عبد مناة وبنو الهون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة فلقوا بني بكر ومن انضم اليهم وعلى الناس عبد المطلب فاقتتلوا بذات نكيف فانهزم بنو بكر وقتلوا قتلا ذريعا فلم يعودوا لحرب قريش قال ابن شعلة الفهري

فلله عينا من رأى من عصابة * غوت غي بكر يوم ذات نكيف

اناخوا الى ابنائنا ونسائنا * فكانوا النا فيقا بشر مضيف

فقتل يومئذ عبد بن السفاح القاري من القارة قتادة بن قيس اخا بلعاء بن قيس واسم بلعاء مساحق ويومئذ قيل قد أنصف القارة من راماها والقارة من ولد الهون بن خزيمة وهو من ولد عضل بن الديش قال رجل منهم

دعونا قارة لا تنفرونا * فنجفل مثل اجفال الظليم

وقيل بهذا البيت سموا قارة وكان يقال للقارة رماة الحدق

(ذكر الفجار الاول والثاني)

اما الفجار الاول فلم يكن فيه كثير أمر ليذكر وانما ذكرناه لئلا يرى ذكر الفجار الثاني وما كان فيه من الامور العظيمة فيظن ان الاول مثله وقد اهملناه فلهذا ذكرناه قال ابن اسحق كان الفجار الاول بين قريش ومن معها من كنانة كلها وبين قيس عيلان وسببه ان رجلا من كنانة كان عليه دين لرجل من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن فاعدم الكناني فوافى النصري سوق عكاظ بقرد وقال من يبيعني مثل هذا بمالي على فلان الكناني فعل ذلك تعييرا للكناني وقومه فمر به رجل من كنانة فضرب القرد بالسيف فقتله انفة مما قال النصري فصرخ النصري في قيس وصرخ الكناني في كنانة فاجتمع الناس وتحاوروا حتى كاد يكون بينهم القتال ثم اصطلحوا وقيل كان سببه ان فتية من قريش قعدوا الى امرأة من بني عامر وهي وضيئة عليها برقع فقالوا لها اسفري لننظر الى وجهك فلم تفعل فقام غلام منهم فشق ذيل درعها الى ظهرها ولم تشعر فلما قامت انكشفت دبرها فضحكوا وقالوا امنعتنا النظر الى وجهك فقد نظرنا الى دبرك فصاحت المرأة يا بني عامر فضحت فاتاها الناس واشتجروا حتى كاد يكون قتال ثم رأوا ان الامر يسير فاصطلحوا وقيل بل قعد رجل من بني غفار يقال له ابو معشر بن مكرز وكان عازيا منيعا في نفسه وكان بسوق عكاظ فمد رجله ثم قال

مولاها فخلت له فلما كان الظهر اعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء كفر عن الظهار فحلت له فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه فلما كان الفجر راجعها فحلت له فاقبل المأمون عليهم وقال أعذرتموني قالوا نعم فالتفت الى الجواد وزوجه ابنته وفرق المأمون فيهم البدر والجوائز على قدر طبقاتهم ولم يزل الجواد عنده مكرما الى ان توجه بزوجته ام الفضل الى المدينة الشريفة (حكي) انه لما أراد التوجه الى المدينة المنورة صلى في مسجد عند باب الكوفة وفي صحن المسجد شجرة نبق وكان يتوضأ في اصلها فحملت النبقة صبيحة اليوم كرامة له قبض رضي الله عنه ببغداد لان المعتصم استقدمه مع زوجته ام الفضل بنت المأمون ودفن في مقابر قريش في ظهر جده موسى الكاظم رضي الله عنهما

(الفصل التاسع في ذكر بيت الحلم والعلم والايادي الامام علي بن محمد الهادي رضي الله عنه)

ولد بالمدينة وامه ام ولد وكنيته ابو الحسن ولقبه الهادي والمتوكل وكان اسمر ونقش خاتمه الله ربي هو عصمتي من خلقه وأما مناقبه فنفيسة واوصافه شريفة (حكي) انه قصده اعرابي فقال انا من اعراب الكوفة المتمسكين بولاء جدك علي بن أبي طالب وقد

نحن بنو مدركة بن خندف * من يطعنوا في عينه لا يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف * كأنه لجة بحر مسرف

أما والله اعز العرب فمن زعم انه اعز مني فليضربها بالسيف فقام رجل من قيس يقال له احمر بن مازن فضربها بالسيف فخدشها خدشا غير كثير فاختصم الناس ثم اصطلحوا (بنو نصر بالنون)* واما الفجار الثاني وكان بعد الفيل بعشرين سنة وبعد موت عبد المطلب باثنتي عشرة سنة ولم يكن في ايام العرب اشهر منه ولا اعظم وانما سمي الفجار لما استحل الحيان كنانة وقيس فيه من المحارم وكان قبله يوم جبلة وهو مذكور من ايام العرب والفجار اعظم منه وكان سببه ان البراض بن قيس بن رافع الكناني ثم الضمري وكان رجلا فاتكا خليعا قد خلعه قومه لكثرة شره وكان يضرب المثل بفتكه فيقال أفتك من البراض قال بعضهم

والفتى من تعرفته الليالي * فهو فيها كالحية النضناض
كل يوم له بصرف الليالي * فتكة مثل فتكة البراض

خرج حتى قدم على النعمان بن المنذر وكان النعمان يبعث كل عام بلطيمة للتجارة الى عكاظ تباع له هناك وكان عكاظ وذو المجاز ومجنة اسواقا تجتمع بها العرب كل عام اذا حضر الموسم فيؤمن بعضهم بعضا حتى تنقضي أيامها وكانت مجنة بالظهران وكانت عكاظ بين نخلة والطائف وكان ذو المجاز بالجانب الايسر اذا وقفت على الموقف فقال النعمان وعنده البراض وعروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب المعروف بالرحال وانما قيل له ذلك لكثرة رحلته الى الملوك من يجيز لي لطيمتي هذه حتى يبلغها عكاظ فقال البراض أبيت اللعن انا اجيزها على كنانة فقال النعمان انما أريد من يجيزها على كنانة وقيس فقال عروة اكلب خليع يجيرها لك ابيت اللعن أنا أجيزها على اهل الشيح والقيصوم من اهل تهامة واهل نجد فقال البراض وغضب وعلى كنانة تجيرها يا عروة قال عروة وعلى الناس كلهم فدفع النعمان اللطيمة الى عروة الرحال وامره بالمسير بها وخرج البراض يتبع اثره وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه حتى اذا كان عروة بين ظهري قومه بواد يقال له تيمن بنواحي فدك ادركه البراض بن قيس فاخرج قداحه يستقسم بها في قتل عروة فمر به عروة فقال ما تصنع يا براض فقال استقسم في قتلك أيؤذن لي ام لا فقال عروة استك اضيق من ذلك فوثب اليه البراض بالسيف فقتله فلما رآه الذين يقومون على العير والاجمال قتيلا انهزموا فاستاق البراض العير وسار على وجهه الى خيبر وتبعه رجلان من قيس ليأخذاه احدهما غنوي والآخر غطفاني اسم الغنوي اسد بن جوين واسم الغطفاني مساور بن مالك فلقيهما البراض بخيبر اول الناس فقال لهما من الرجلان قالا من قيس قدمنا لنقتل البراض فانزلهما وعقل راحلتيهما ثم قال ايكما أجرأ عليه وأجود سيفا قال الغطفاني أنا فأخذه ومشى معه ليدله بزعمه على البراض فقال للغنوي احفظ راحلتيكما ففعل وانطلق البراض بالغطفاني حتى اخرجه الى خربة في جانب خيبر خارجا من البيوت فقال للغطفاني هو في هذه الخربة اليها يأوي فانظرني حتى انظر أهو فيها فوقف ودخل

ركبتي دين فادح اثقلني حمله ولم يكن لوفائه سواك قال كم هو قال نحو عشرة آلاف درهم قال افعل ثم ازاله عنده فلما أصبح قال له يا أخا العرب اريد منك خصلة فلا تعصيني فيها فقال نعم فأخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها دينا عليه للاعرابي قدر المبلغ المذكور وقال له خذها فاذا رأيتني في المجلس العام فتقاضاني اياها بالعنف والغلظة واما اخذ بمجلسه اقبل الاعرابي وتقاضاه فاعترف وطلب منه المهلة فاغلظ عليه الاعرابي ثم حضروا الحاضرون فنقل المجلس للمتوكل فامر له بثلاثين الف درهم في الحال وجاء الاعرابي فقال له خذ هذا المال كله فاقض منه دينك واستعن بالباقي فاخذه وانصرف وقيل للمتوكل ان في بيته مالا وسلاحا فامر المتوكل سعيدا الحاجب ان يهجم عليه ليلا ويأتيه به على الهيئة التي يجده عليها فوجده قائما يصلي على حصير وعليه جبة من صوف ولم ير مالا ولا سلاحا وقبض يوم الاثنين سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن في داره بسر من رأى وله من العمر أربعون سنة

* (الفصل العاشر في ذكر برج الاصل الزكي والمكاشف بالامر الخفي الامام الحسن بن علي العسكري رضي الله عنه) *

ولد بالمدينة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة وامه ام ولد وكنيته ابو محمد ولقبه الخالص وكان بين السمرة والبياض ونقش خاتمه سبحان من له مقاليد السموات والارض (واما مناقبه) رضي الله عنه ولم تطل ايامه في الدنيا ليظهر للناس مآثره ومزاياه

البراض ثم خرج فقال هو فيها وهو نائم فأرني سيفك حتى انظر اليه أضارب هو أم لا فأعطاه سيفه فضربه به حتى قتله ثم اخفى السيف وعاد الى الغنوى فقال له لم أر رجلا اجبن من صاحبك تركته في البيت الذى فيه البراض وهو نائم فلم يقدم عليه فقال انظر لى من يحفظ الراحلتين حتى أمضى اليه فاقتله فقال دعهما وهما على ثم انطلقا الى الخر بة فقتله وسار بالعير الى مكة فلقى رجلا من بنى اسد بن خزيمة فقال له البراض هل لك الى ان اجعل لك جعلا على ان تنطلق الى حرب بن امية وقومى فانهم قومى وقومك لان اسد بن خزيمة من خندف ايضا فتخبرهم ان البراض بن قيس قتل عروة الرحال فليحذروا قيسا وجعل له عشرا من الابل فخرج الاسدى حتى اتى عكاظ وبها جماعة الناس فاتى حرب بن أمية فاخبره الخبر فبعث الى عبد الله بن جدعان التيمى والى هشام بن المغيرة المخزومى وهو والد أبى جهل وهما من أشراف قريش وذوى السن منهم والى كل قبيلة من قريش احضر منهار جلا والى الجليس بن يزيد الحارثى وهو سيد الاحابيش فاخبرهم ايضا فتشاوروا وقالوا نخشى من قيس ان يطلبوا ثار صاحبهم منا فانهم لا يرضون ان يقتلوا به خليعا من بنى ضمرة فاتفق رأيهم على ان يأتوا أبابراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الاسنة وهو يومئذ سيد قيس وشريفها فيقولوا له انه قد كان حدث بين نجد وتهامة وانه لم يأتنا علمه فأجز بين الناس حتى تعلم وتعلم فاتوه وقالوا له ذلك فاجاز بين الناس واعلم قومه ما قيل له ثم قام نفر من قريش فقالوا يا اهل عكاظ انه قد حدث فى قومنا بمكة حدث اتانا خبره ونخشى ان تخالفنا عنهم تفاقم الشر فلا يروعنكم تحملنا ثم ركبوا على الصعب والذلول الى مكة فلما كان آخر اليوم أتى عامر بن مالك ملاعب الاسنة الخبر فقال غدرت قريش وخدعنى حرب بن امية والله لا تنزل كنانة عكاظ ابدا ثم ركبوا فى طلبهم حتى ادركوهم بنخلة فاقتتل القوم فاشتعلت قيس فكادت قريش تنهزم الا انها على حاميتها تبادر دخول الحرم ليأمنوا به فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا الحرم مع الليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم وعمره عشرون سنة وقال الزهرى لم يكن معهم ولو كان معهم لم ينهزموا وهذه العلة ليست بشئ لانه قد كان بعد الوحى والرسالة ينهزم اصحابه ويقتلون واذا كان فى جمع قبل الرسالة وانهزموا فغير بعيد ولما دخلت قريش الحرم عادت عنهم قيس وقالوا لهم يا معشر قريش انا لا نترك دم عروة وميعادنا عكاظ فى العام المقبل وانصرفت الى بلادها يحرض بعضها بعضا ويبكون عروة الرحال ثم ان قيسا جمعت جموعها ومعها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها منهم كنانه جميعها والاحابيش واسد بن خزيمة وفرقت قريش السلاح فى الناس فاعطى عبد الله بن جدعان مائة رجل سلاحا تاما وفعل الباقون مثله وخرجت قريش للموعد على كل بطن منها رئيس فكان على بنى هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوته ابو طالب وحمزة والعباس بنو عبد المطلب وعلى بنى امية واحلافها حرب بن امية وعلى بنى عبد الدار عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وعلى بنى اسد بن عبد العزى خويلد بن اسد وعلى بنى مخزوم هشام بن المغيرة ابو ابى جهل وعلى بنى تيم عبد الله بن جدعان وعلى بنى جمح معمر بن حبيب بن وهب وعلى بنى سهم

عن الهيثم بن عدى قال لما أمر المعتز بحمل ابى محمد الحسن الى الكوفة كتب اليه ما هذا الخبر الذى بلغنا فغمنا فكتب بعد ثلاث يأتيكم الفرج ان شاء الله تعالى فقتل المعتز فى اليوم الثالث وسأله رجل ان يدعو له بالغنى لفقر مسه فقال ابشر مات ابن عمك وخلف مائة ألف درهم وعن قريب يأتيك فورد الخبر عن قريب والمال معه كما ذكر قال أبو هاشم قحط الناس فامر المعتمد بالاستسقاء فما ازدادت السماء الاصحوا فخرج بعدهم النصارى والرهبان وكان فيهم راهب كلما مد يده الى السماء هطلت السماء ففتن به الناس فارسل المعتمد الى ابى الحسن ان ادرك امة جدك محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يرتدوا وأطلقه من الحبس ومن معه فلما رفع الراهب يده أمطرت السماء وكان فى ذلك المشهد الخليفة فمن دونه فلما رفع الراهب يده كما ذكرنا امر ابو الحسن بالقبض على يد الراهب فاذا بين اصابعه عظم آدمى فاخذه ابو الحسن ولفه ودفنه وقال للراهب استسق فانكشفت السماء فتعجب الناس وقال الخليفة ما هذا يا أبا محمد قال هذا عظم نبى من انبياء الله تعالى ظفر به هذا الراهب وما يكشف عن عظم نبى تحت السماء الا هطلت بالمطر فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال توفى رضى الله عنه سنة اثنتين ومائتين بسر من رأى وله من العمر ثمان وعشرون سنة

*(الفصل الحادى عشر فى ذكر الخلف الصالح الامام ابى القاسم محمد بن حسن العسكرى رضى الله عنه)

وكان عمره عند وفاة ابيه خمس

العاص بن وائل وعلى بنى عدى زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد وعلى بنى عامر بن لؤى عمرو بن عبد شمس والد سهيل بن عمرو وعلى بنى فهر عبد الله بن الجراح والد ابى عبيدة وعلى الاحابيش الحليس بن يزيد وسفيان بن عويف هما قائداهم والاحابيش بنو الحرث بن عبد مناة بن كنانة وعضل والقارة والديش من بنى الهون بن خزيمة والمصطلق ابن خزاعة سموا بذلك لحلفهم بنى الحرث والحبيش التجمع وعلى بنى بكر بلعاء بن قيس وعلى بنى فراس بن غنم من كنانة عمير بن قيس جذل الطعان وعلى بنى اسد بن خزيمة بشر بن ابى حازم وكان على جماعة الناس حرب بن أمية لمكانه من عبد مناف سنا ومنزلة وكانت قيس قد تقدمت الى عكاظ قبل قريش فعلى بنى عامر ملاعب الاسنة ابو براء وعلى بنى نصر وسعد وثقيف سبيع بن ربيع بن معاوية وعلى بنى جشم الصمة والد دريد وعلى غطفان عوف ابن ابى حارثة المرى وعلى بنى سليم عباس بن رعل بن هنى بن أنس وعلى فهم وعدوان كدام ابن عمرو وسارت قريش حتى نزلت عكاظ وبها قيس وكان مع حرب بن امية اخوته سفيان وأبو سفيان والعاص وأبو العاص بنو أمية فعقل حرب نفسه وقيد سفيان وابو العاص نفسيهما وقالوا لن يبرح رجل منا من مكانه حتى نموت أو نظفر فيومئذ سموا العنابس والعنبس الاسد واقتتل الناس قتالا شديدا فكان الظفر اول النهار لقيس وانهزم كثير من بنى كنانة وقريش فانهزم بنو زهرة وبنو عدى وقتل معمر بن حبيب الجمحى وانهزمت طائفة من بنى فراس وثبت حرب بن امية وبنو عبد مناف وسائر قبائل قريش ولم يزل الظفر لقيس على قريش وكنانة الى ان انتصف النهار ثم عاد الظفر لقريش وكنانة فقتلوا من قيس فاكثروا وحمى القتال واشتد الامر فقتل يومئذ تحت راية بنى الحرث ابن عبد مناة بن كنانة مائة رجل وهم صابرون فانهزمت قيس وقتل من اشرافهم عباس بن رعل السلمى وغيره فلما رأى أبو السيد عم مالك بن عوف النصرى ما تصنع كنانة من القتل نادى يا معشر بنى كنانة اسرفتم فى القتل فقال ابن جدعان انا معشر يسرف ولما رأى سبيع ابن ربيع بن معاوية هزيمة قبائل قيس عقل نفسه واضطجع وقال يا معشر بنى نصر قاتلوا عنى او ذروا فانعطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وفهم وعدوان وانهزم باقى قبائل قيس فقاتل هؤلاء أشد قتال رآه الناس ثم انهم تداعوا الى الصلح فاصطلحوا على ان يعدوا القتلى فاى الفريقين فضل له قتلى اخذ ديتهم من الفريق الآخر فتعادوا القتلى فوجدوا قريشا وبنى كنانة قد افضلوا على قيس عشرين رجلا فرهن حرب بن امية يومئذ ابنه ابا سفيان فى ديات القوم حتى يؤديها ورهن غيره من الرؤساء وانصرف الناس بعضهم عن بعض ووضعوا الحرب وهدموا ما بينهم من العداوة والشر وتعاهدوا على ان لا يؤذى بعضهم بعضا فيما كان من امر البراض وعروة

(يوم ذى نجب)

وكان من حديث يوم ذى نجب ان بنى عامر لما اصابوا من تميم ما اصابوا يوم جبلة رجوا ان يستأصلوهم فكاتبوا حسان بن كبشة الكندى وكان ملكا من ملوك كندة وهو حسان بن معاوية بن حجر فدعوه الى ان يغزو معهم بنى حنظلة من تميم فاخبروه أنهم قد

قالوا

سنين آتاه الله فيها الحكمة كما أوتيها يحيى عليه السلام صبيا وكان مربوع القامة حسن الوجه والشعر أقنى الأنف اجلى الجبهة وزعم الشيعة انه غاب فى السرداب ببغداد والحرس عليه سنة ست وستين ومائتين وأنه صاحب السيف القائم المنتظر قبل قيام الساعة وله قبل قيامه غيبتان احداهما أطول من الاخرى فاما القصرى فمنذ ولادته الى انقطاع السفارة بينه وبين الشيعة وأما الطولى فهى التى بعد الاولى وفى آخرها يقوم بالسيف وكان من عادة الشيعة ببغداد أن فى كل يوم جمعة يأتون بفرس مشدود ويقفون على باب السرداب ويدعون باسم المهدى واستمروا على هذا الحال الى ان آل الامر للسلطان سليمان خان من بنى عثمان واستولى على مدينة بغداد وابطل تلك العادة واتفق العلماء على ان المهدى هو القائم فى آخر الوقت وقد تعاضدت الاخبار على ظهوره وتظاهرت الروايات على اشراق نوره وستسفر ظلمة الايام والليالى بسفوره وينجلى برؤيته الظلم انجلاء الصبح عن ديجوره ويسير عدله فى الآفاق فيكون اضوأ من البدر المنير فى مسيره وأما السنة التى يقوم فيها القائم واليوم الذى يبعث فيه فقد جاءت فيه آثار عن ابى بصير عن أبى عبد الله قال لا يخرج القائم الا فى وتر من السنين سنة احدى أو ثلاث او خمس أو سبع أو تسع ويقوم فى يوم عاشوراء وينظر يوم السبت العاشر من المحرم قائما بين الركن والمقام وشخص قائم على يده ينادى البيعة البيعة فيسير اليه انصاره من اطراف الارض

قتلوا فرسانهم ورؤساءهم فأقبل معهم بصنائعه ومن كان معه فلما أتى بني حنظلة خبر مسيرهم قال لهم عمرو بن عمرو يا بني مالك انه لا طاقة لكم بهذا الملك وما معه من العدد فانتقلوا من مكانكم وكانوا في أعالي الوادي مما يلي مجيء القوم وكانت بنو يربوع بأسفله فتحولت بنو مالك حتى نزلت خلف بني يربوع وصارت بنو يربوع تلي الملك فلما رأوا ما صنع بنو مالك استعدوا وتقدموا الى طريق الملك فلما كان وجه الصبح وصل ابن كبشة فيمن معه وقد استعد القوم فاقتتلوا فلما رآهم بنو مالك وصبرهم في القتال ساروا اليهم وشهدوا معهم القتال فاقتتلوا مليا فضرب جشيش بن نمران الرياحي بن كبشة الملك على رأسه فصرعه فمات وقتل عبيدة بن مالك بن جعفر وانهزم طفيل بن مالك على فرسه قرزل وقتل عمرو بن الاحوص بن جعفر وكان رئيس عامر وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة قال جرير في الاسلام يذكر اليوم بذي نجب

بذي نجب ذدنا وواكل مالك * أخا لم يكن عند الطعان بواكل

وكان يوم ذي نجب بعد يوم جبلة بسنة وبقي الاحوص بعد ابنه عمرو يسيرا وهلك أسفا عليه

(يوم نعف قشاوة)

وهو يوم اشيبان على تميم قال أبو عبيدة أغار بسطام بن قيس على بني يربوع من تميم وهم بنعف قشاوة فأتاهم ضحى وهو يوم ريح ومطر فوافق النعم حين سرح فأخذه كله ثم كر راجعا وتداعت عليه بنو يربوع فلحقوه وفيهم عمارة بن عتيبة بن الحرث بن شهاب فكر عليه بسطام فقتله ولحقهم مالك بن حطان اليربوعي فقتله وأتاهم أيضا بجير بن أبي مليل فقتله بسطام وقتلوا من يربوع جمعا وأسروا آخرين منهم مليل بن أبي مليل وسلموا وعادوا غانمين فقال بعض الاسرى لبسطام أيسرك ان أبا مليل مكاني قال نعم قال فان دللتك عليه اتطلقني الآن قال نعم قال فان ابنه بجيرا كان أحب خلق الله اليه وستجده الآن مكبا عليه يقبله فخذه أسيرا فعاد بسطام فرآه كما قال فأخذه أسيرا وأطلق اليربوعي فقال له أبو مليل قتلت بجيرا وأسرتني وابني مليلا والله لا أطعم الطعام أبدا وأنا موثق فخشي بسطام أن يموت فأطلقه بغير فداء على أن يفادي مليلا وعلى أن لا يتبعه بدم ابنه بجير ولا يبغيه غائلة ولا يدل له على عورة ولا يغير عليه ولا على قومه أبدا وعاهده على ذلك فأطلقه وجز ناصيته فرجع الى قومه وأراد الغدر ببسطام والنكث به فأرسل بعض بني يربوع الى بسطام يخبره فحذره وقال متمم بن نويرة

أبلغ شهاب بني بكر وسيدها * عني بذلك أبا الصهباء بسطاما
أروى الاسنة من قومي فانهلها * فاصبحوا في بقيع الارض نواما
لا يطبقون اذا هب النيام ولا * في حرقد يحلون الدهر احلاما
أشجي تميم بن مر لا مكايدة * حتى استعادوا له اسرى وأنعاما
هلا أسيرا فدتك النفس تطعمه * مما أراد وقدما كنت مطعاما

وهي أبيات عدة

بجنودها ثم يشرق الجنود منها الى جميع الامصار وعن عبد الكريم النخعي قال قلت لابي عبد الله كم يملك القائم قال سبع سنين تطول له الايام والليالي حتى تكون السنة من سنيه بمقدار عشر سنين فيكون مدة ملكه سبعين سنة من سنيكم

(الباب الرابع فيما ورد في فضائل قريش وما للصحابة في العقبى من أرغد عيش رضي الله عنهم وما ورد من الاخبار في فضل المهاجرين والانصار رضي الله عنهم)

ذكر أبو المعالي في عيون الاخبار بسند متصل الى الزبير رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الله قريشا بخصال (منها) انهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده الا قرشي (ومنها) انه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون (ومنها) انه نزل فيهم سورة لايلاف قريش (ومنها) ان فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله عز وجل أمرني أن آتي مشارق الارض ومغاربها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها فآتيه بخير أهل الدنيا فأتيتها فوجدت خير أهل الدنيا العرب ثم أمرني أن آتيه بخير العرب فوجدت خير العرب مضر ثم أمرني أن آتيه بخير مضر فوجدت خير مضر قريشا ثم أمرني

أن آتيه بخير قريش فوجدت خير قريش بني عبد المطلب فوجدتك خير بني عبد المطلب وما كنت بأحد في صنف من الناس الا كانوا أخيار أهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اصطفى كنانة من بني اسمعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وذكر صاحب المختصر في أخبار البشر ان كل من كان من ولد فهر بن مالك فهو قرشي ومن لم يكن من نسله فليس قرشيا وقيل سمي قريشا لشدته تشبيها له بدابة من دواب البحر يقال لها القرش تأكل دواب البحر وقيل ان قصي ابن كلاب لما استولى على البيت وجمع اشتات بني فهر سموا قريشا لانه قرش بني فهر اي جمعهم حول الحرم فعلى هذا يكون لفظة قريش اسما لبني فهر لا لفهر نفسه ولم يولد لمالك غير فهر المذكور ويقال انما سميت قريشا لتجمعها من تفرقها لان التجميع التقريش فلما سكنت قريش مكة ونفت عدوها كان الناس لا يتشاورون في أمر ينزل بهم الا في داره ولا يعقدون لواء حرب قوم من غيرهم الا في داره يعقده لهم بعض ولده

ذكر الشيخ محيي الدين النووي في التهذيب في تعريف الصحابي والتابعي ان الصحابي كل مسلم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يجالسه ولم يحادثه وقيل بشرط مجالسته وأما التابعي فهو الذي رأى صحابيا وقيل انه الذي جالس صحابيا كذا في مجمع الاحباب

(وما ورد من الاخبار الجمعة في فضائل الائمة الاربعة) رضي الله عنهم ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه

(يوم الغبيط)

وهو يوم كانت الحرب فيه بين بني شيبان وتميم أميرهم بسطام بن قيس الشيباني وسبب ذلك ان بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك ومفروق بن عمرو ساروا في جمع من بني شيبان الى بلاد تميم فأغاروا على ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سعد بن ضبة وثعلبة بن عدي بن درارة وثعلبة بن سعد بن ذبيان وكانوا متجاورين بصحراء فلج فاقتتلوا فانهزمت الثعالبة وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم بنو شيبان أموالهم ومروا على بني مالك بن حنظلة من تميم وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة فاستاقوا ابلهم فركبت اليهم بنو مالك يقدمهم عتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعي وفرسان بني يربوع وساروا في أثر بني شيبان ومعهم من رؤساء تميم الاحيمر بن عبد الله وأسيد بن حباءة وحر بن سعد ومالك بن نويرة فأدركوهم بغبيط المدرة فقاتلوهم وصبر الفريقان ثم انهزمت شيبان واستعادت تميم ما كانوا غنموه من أموالهم وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ربيعة بن حصبة وألح عتيبة بن الحرث على بسطام ابن قيس فأدركه فقال له استأسر أبا الصهباء فأنا خير لك من الفلاة والعطش فاستأسر له بسطام بن قيس فقال بنو ثعلبة لعتيبة ان أبا مرحب قد قتل وقد أسرت بسطاما وهو قاتل مالك وبجير ابني أبي مليل ومالك بن حطان وغيرهم فاقتله قال اني معيل وأنا أحب اللبن قالوا انك تفاديه فيعود فيصرنا ما فأبى عليهم وسار به الى بني عامر بن صعصعة لئلا يؤخذ فيقتل وانما قصد عامرا لان عمته خولة بنت شهاب كانت فاكفيهم فقال مالك ابن نويرة في ذلك

لله عتاب بن ميسة اذ رأى • الى ثارنا في كفه يتلدد
أنحى امرأ أردى بجيرا ومالكا • وأتوى حريثا بعد ما كان يقصد
ونحن ثأرنا قبل ذاك ابن أمه • غداة الكلابيين والجمع يشهد

فلما توسط عتيبة بيوت بني عامر صاح بسطام واشيباناه ولا شيبان لي اليوم فبعث اليه عامر بن الطفيل ان استطعت أن تلجأ الى قبتي فافعل فاني سأمنعك وان لم تستطع فاقذف نفسك في الركا فأتى عتيبة تابعه من الجن فأخبره بذلك فأمر ببيته فقوض فركب فرسه وأخذ سلاحه ثم أتى مجلس بني جعفر وفيه عامر بن الطفيل العذري فحياهم وقال يا عامر قد بلغني الذي أرسلت به الى بسطام وأنا مخيرك فيه خصالا ثلاثا فقال عامر وما هي قال ان شئت فأعطني خلعتك وخلعة أهل بيتك حتى أطلقه لك فلبست خلعتك وخلعة أهل بيتك بشر من خلعته وخلعة أهل بيته فقال عامر هذا الاسبيل اليه قال عتيبة ضع رجلك مكان رجله فليست عندي بشر منه فقال ما كنت لافعل قال عتيبة تبعني اذا جاوزت هذه الرابية فتقارعني عنه على الموت فقال عامر هذه أبغض الي فانصرف به عتيبة الى بني عبيد بن ثعلبة فرأى بسطام مركب أم عتيبة رثا فقال يا عتيبة هذا رحل أمك قال نعم قال ما رأيت رحل أم سيد قط مثل هذا فقال عتيبة واللات والعزى لا أطلقك حتى تأتي أمك بحدوجها وكان كبيرا اذا هي كثير وهذا الذي أراد بسطام ليرغب فيه فلا يقتله وأرسل بسطام فأحضر حدوج أمه وفادى نفسه بأربعمائة بعير وقيل بألف بعير

وثلاثين فرسا وهودج أمه وحدجها وتخلص من الاسر فلما تخلص من الاسر أذكى العيون على عتيبة وابله فعادت اليه عيونه فأخبروه انها على اراب فأغار عليها وأخذ الابل كلها وما لهم معها (عتيبة بالتاء فوقها نقطتان والياء تحتها نقطتان ساكنة وفى آخرها باء موحدة)

(يوم لشيبان على بنى تميم)

قال أبو عبيدة خرج الاقرع بن حابس وأخوه فراس التميميان وهما الاقرعان فى بنى مجاشع من تميم وهما يريدان الغارة على بكر بن وائل ومعهما البرك أبو جعل فلقيهم بسطام بن قيس الشيبانى وعمران بن مرة فى بنى بكر بن وائل بزبالة فاقتتلوا قتالا شديدا ظفرت فيه بكر وانهزمت تميم وأسر الاقرعان وأبو جعل وناس كثير وافتدى الاقرعان نفسيهما من بسطام وعاهداه على ارسال الفداء فأطلقهما فغدرا ولم يرسلا شيأ وكان فى الاسرى انسان من يربوع فسمعه بسطام بن قيس فى الليل يقول

قدى بوالدة على شفيقة * فكأنها حرض على الاسقام
لو انها علمت فيسكن جأشها * أنى سقطت على الفتى المنعام
ان الذى ترجين ثم ايابه * سقط العشاء به على بسطام
سقط العشاء به على متنمر * سمح اليدين معاود الاقدام

فلما سمع بسطام ذلك منه قال له وأبيك لا يخبر أمك عنك غيرك وأطلقه وقال ابن رميض العنزى

جاءت هدايا من الرحمن مرسلة * حتى أنيخت لدى أبيات بسطام
جيش الهذيل وجيش الاقرعين معا * وكبة الخيل والازواد فى عام
مسوم خيله تعدو مقانبه * على الذوائب من أولاد همام

وقال أوس بن حجر

وصبحنا عار طويل بناؤه * نسب به ما لاح فى الافق كوكب
فلم أر يوما كان أكثر باكيا * ووجها ترى فيه الكآبة تجنب
أصابوا البروك وابن حابس عنوة * فظل لهم بالقاع يوم عصبصب
وان أبا الصهباء فى حومة الوغى * اذا ازورت الابطال ليث مجرب

وأبو الصهباء هو بسطام بن قيس وأكثر الشعراء فى هذا اليوم وفى مدح بسطام بن قيس تركنا ذكره اختصارا (حجر بفتح الحاء والجيم)

(يوم مبايض)

وهو لشيبان على بنى تميم قال أبو عبيدة خرج طريف بن تميم العنبرى التميمى وكان رجلا جسيما يلقب مجدعا وهو فارس قومه ولقيه حميصة بن جندل الشيبانى من بنى أبى ربيعة وهو شاب قوى شجاع وهو يطوف بالبيت فأطال النظر اليه فقال له طريف لم تشد نظرك الى قال حميصة أريد أن أثبتك لعلى أن ألقاك فى جيش فأقتلك فقال طريف اللهم لا تحول الحول حتى ألقاه ودعا حميصة مثله فقال طريف

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا فى قلب مؤمن ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وعن على ابن ابى طالب كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على ان الله عز وجل أمرنى أن أتخذ ابا بكر والدا وعمر مشيرا وعثمان سندا وأنت يا على ظهيرا فأنتم أربعة قد أخذ الله ميثاقكم فى أم الكتاب أنتم خلائف نبوتى وعقدة ذمتى وحجتى على أمتى لا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تنافروا عن ابى صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين عبد الله بن عثمان فيقوم ابو بكر الصديق رضى الله عنه وان شيبته تتوهج نورا فتأخذه الملائكة بعضده فتزج به فى النور زجا ويرفع له الحجاب الذى بينه وبين الله تعالى فيقول الله جل شأنه هذا كتابك ان شئت فانظر فيه وان شئت لا فقد غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قم على باب الجنة فأدخل من شئت برحمتى وامنع من شئت بقدرتى ثم يأتى النداء من قبل الله تعالى أين الفاروق عمر بن الخطاب فيقول لبيك لبيك فتأخذ الملائكة بعضده فتزج به فى النور زجا ويرفع له الحجاب الذى بينه وبين الله تعالى فيقول الله له مرحبا بأبى حفص هذا كتابك ان شئت فانظر فيه وان شئت لا قد غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قم على الميزان فثقل حسنات من شئت برحمتى وخفف سيئات من شئت بقدرتى فاذا تقدم الحجاب تلقاه الاسلام فى صورة حسنة فيقف بين يدى الله تعالى فيقول يارب

أو كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم
لاتنكروني انني داء لكم * شاكي السلاح في الحوادث معلم
حولي فوارس من أسيد جمة * وبنى الهجيم وحول بيتي خضم
تحتي الاغر وفوق جلدي نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم

في أبيات ثم ان بني ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان وبني مرة بن ذهل بن شيبان كان بينهم شر وخصام فاقتتلوا شيأ من قتال ولم يكن بينهم دم فقال هاني بن مسعود رئيس بني ابي ربيعة لقومه اني أكره أن يتفاقم الشر بيننا فارتحل بهم فنزل على ماء يقال له مبايض وهو قريب من مياه بني تميم فأقاموا عليه أشهرا وبلغ خبرهم بني تميم فأرسل بعضهم الى بعض وقالوا هذا حي منفرد وان اصطلمتموهم أوهنتم بكر بن وائل واجتمعوا وساروا على ثلاثة رؤساء أبو الجدعاء الطهوي على بني حنظلة وابن فدكي المنقري على بني سعد وطريف بن تميم على بني عمرو بن تميم فلما قاربوا بني ابي ربيعة بلغهم الخبر فاستعدوا للقتال فخطبهم هاني بن مسعود وحثهم على القتال فقال اذا أتوكم فقاتلوهم شيأ من قتال ثم انحازوا عنهم فاذا اشتغلوا بالنهب فعودوا اليهم فانكم تصيبون منهم حاجتكم وصبحهم بنو تميم والقوم حذرون فاقتتلوا قتالا شديدا وفعلت بنو شيبان ما أمرهم هاني فاشتغلت تميم بالغنيمة ومر رجل منهم بابن لهاني بن مسعود صبي فأخذه وقال حسبي هذا من الغنيمة وسار به وبقيت تميم مع الغنيمة والسبي فعادت شيبان عليهم فهزموهم وقتلوهم وأسروهم كيف شاؤا ولم تصب تميم مثلها لم يفلت منهم الا القليل ولم يلو أحد على أحد وانهزم طريف فاتبعه حمصة فقتله واستردت شيبان الاهل والمال وأخذوا مع ذلك ما كان معهم وفادى هاني بن مسعود ابنه بمائة بعير وقال بعض شيبان في هذا اليوم

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * غر وأنت بمنظر لاتعلم
وأتيت حيا في الحروب محلهم * والجيش باسم أبيهم يستهزم
فوجدتم يرعون حول ديارهم * بسلا اذا هاب الفوارس أقدموا
واذا اعتزوا بأبي ربيعة أقبلوا * بكتيبة مثل النجوم تلملم
ساموك درعك والاغر كليهما * وبنو أسيد أسلموك وخضم

وقال عمرو بن سوادة يرثي طريفا

لاتبعدن يا خير عمرو بن جندب * لعمري لمن زار القبور ليبعدا
عظيم رماد النار لا متعبس * ولا مؤيس منها اذا هو أوقدا
وما كان وقافا اذا الخيل أحجمت * وما كان مبطانا اذا ما تجردا

(يوم الزويرين)

قال أبو عبيدة كانت بكر بن وائل قد أجدبت بلادهم فانتجعوا بلاد تميم بين اليمامة وهجر فلما تدانوا جعلوا لا يلقى بكري تميميا الا قتله ولا يلقى تميمي بكريا الا قتله اذا أصاب أحدهما مال الآخر أخذه حتى تفاقم الشر وعظم فخرج الحوفزان بن شريك والوادك ابن الحرث الشيبانيان ليغيرا على بني دارم فاتفق ان تميما في تلك الحال اجتمعت في جمع

هذا عمر بن الخطاب أعزني في دار الدنيا وقد كنت ليت لافأعزه كما أعزني قال فيكسوه الله تعالى ويقول لاسرافيل أخرج بين يدي عمر بن الخطاب سبعين ألف لواء من نور حتى يقف على الميزان ثم يأتي النداء من قبل الله تعالى فيقال أين المقتول ظلما عثمان بن عفان قال فيثب وأوداجه تشخب دما اللون لون دم والريح ريح مسك أذفر فتأخذ الملائكة بعضديه حتى يقف بين يدي الرحمن فيقول يا عثمان مرحبا هذا كتابك ان شئت فانظر فيه وان شئت فلا فقد غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ان أخذت من طالك أخذت بحق وان عفوت عفوت فيقول عثمان يارب العفو العفو فيقول الله عز وجل قف على الصراط يجوز من شئت برحمتي وامنع من شئت بقدرتي ويكسوه الله حلتين خضراوين ويقول يا عثمان البسهما فاني خلقتهما لك قبل أن أخلق سمواتي وأرضي بألفي عام ثم يأتي النداء من قبل الله تعالى أين الرضا علي فيجيب لبيك لبيك فتأخذ الملائكة بعضديه فتزج به في النور زجا ويرفع له الحجاب الذي بينه وبين الله تعالى. فيقول الله مرحبا بأبي الحسنين هذا كتابك ان شئت فانظر فيه وان شئت فلا فقد غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قم على الحوض فاسق من شئت برحمتي وامنع من شئت بقدرتي وترفع اليه العصا التي خلقها الله لآدم عليه السلام فيقال رديه ما يغضي أصحاب رسول الله عن الحوض ذات اليمين وذات الشمال *(وما ورد في فضل الطيب من كلامهم على

كثير من عمرو بن حنظلة والرباب وسعد وغيرها وسارت الى بكر بن وائل وعلى تميم أبو الرئيس الحنظلي فبلغ خبرهم بكر بن وائل فتقدموا وعليهم الاصم عمرو بن قيس بن مسعود أبو مفروق وحنظلة بن سيار العجلي وحمران بن عبيد عمرو العبسي فلما التقوا جعلت تميم والرباب بعيرين وجللوهما وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوهما بين الصفين معقولين وسموهما زويرين يعني الهين وقالوا لا نفر حتى يفر هذان البعيران فلما رأى أبو مفروق البعيرين سأل عنهما فأعلم حالهما فقال أنا زويركم وبرك بين الصفين وقال قاتلوا عني ولا تفروا حتى أفر فاقتتل الناس قتالا شديدا فوصلت شيبان الى البعيرين فأخذوهما فذبحوهما واشتد القتال عليهما فانهزمت تميم وقتل أبو الرئيس مقدمهم ومعه بشر كثير واحترقت بكر أموالهم ونساءهم وأسروا أسرى كثيرة ووصل الحوفزان الى النساء والاموال وقد سار الرجال عن القتال فأخذ جميع ما خلفوه من النساء والاموال وعاد الى أصحابه سالما وقال الاعشى في ذلك اليوم

يا سلم لا تسألي عنا فلا كشف * عند اللقاء ولا سود مقاريف
نحن الذين هزمنا يوم صبحنا * يوم الزويرين في جمع الاحاليف
ظلوا وظلت تكر الخيل وسطهم * بالشيب منا وبالمرد الغطاريف
تستأنس الشرف الاعلى بأعينها * لمح الصقور علت فوق الاظاليف
انسل عنهن نسيل الصيف فانجردت * تحت اللبود متون كالزحاليف

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم لاسيما الاغلب العجلي فمن ذلك أرجوزته التي أولها

ان سرك العز فجحجح بجشم يقول فيها

جاؤا بزوريهم وجئنا بالاصم * شيخ لنا كالليث من باقي ارم
شيخ لنا معاود ضرب البهم * يضرب بالسيف اذا الرمح انقصم
هل غير غار صك غارا فانهزم

الغاران بكر وتميم وله الارجوزة التي أولها

يارب حرب ثرة الاخلاف يذكر فيها هذا اليوم

(ذكر أسر حاتم طيئ)

قال أبو عبيدة أغار حاتم طيئ بجيش من قومه على بكر بن وائل فقاتلوهم وانهزمت طيئ وقتل منهم واسر جماعة كثيرة فكان في الاسرى حاتم بن عبد الله الطائي فبقي موثقا عند رجل من عنزة فأتته امرأة منهم اسمها عالية بناقة فقالت له افصد هذه فنحرها فلما رأتها منحورة صرخت فقال حاتم

عالي لا تلتد من عاليه * ان الذى أهلكت من ماليه
ان ابن أسماء لكم ضامن * حتى يؤدي أنس ناويه
لا أفصد الناقة في أنفها * لكنني أوجرها العاليه
اني عن الفصد لفي مفخر * يكره مني المفصد الآليه
والخيل ان شمصن فرسانها * تذكر عند الموت امثاليه

وفاطمة واولادهم رضي الله عنهم) *عن ام سلمة قالت انزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي بثوب ابيض في بيتي انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فأمرني ان لا ادع احدا يدخل عليه فأغفيت فجاء الحسن والحسين حتى دخلا عليه ثم جاء علي وفاطمة رضي الله عنهم اجمعين حتى دخلا عليه فجمعهم واخذ كساء كان لبسه احيانا ويبسطه احيانا فغطاه عليهم ثم قال رب هؤلاء خاصتي واهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم باصبعه فأدارها عليهم قالت يارسول الله وأنا منهم فسكت ثم أعدتها ثلاثا فقال انك على خير * عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد الحسن والحسين فقال من أحبني وأحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي في الجنة وفي حديث آخر من احب هؤلاء فقد احبني ومن أبغض هؤلاء فقد أبغضني * انشد الزبير بن بكار لكثير

طبت بيتا فطاب اهلك اهلا * اهل بيت النبي والاسلام
رحمة الله والسلام عليهم * كلما قام قائم بسلام

(وما ورد في فضل العباس المنزه عن الادناس رضي الله عنه) عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم من اشد الناس لطفا بالعباس رضي الله عنه *عن سعيد بن المسيب قال قحط الناس على عهد عمر رضي الله عنه فقام بالمنبر فاخرج الى المصلى النبي صلى الله

الله عليه وسلم قاعدا عند المنبر فأخذ بيده فقال قم فاصعد ياعم رسول الله فانك احق فقال العباس لاوالله لاأفعل اصعد انت وادع وتؤمّن فصعد عمر فقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك هذا فاسقنا فلا والله ما نزل حتى تتابع المطر عن عطاء بن ابى رباح قال قال لى العباس يا بنى لما انصرفت من بيعة الشجرة رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما كنت أرى من البشر والاعظام فلما كان بعد أيام قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك ياعم فقلت بلى بأبى أنت وأمى قال ان الله عز وجل بنى لابراهيم خليله عليه السلام قصرا من ياقوتة خضراء فى الجنة وبنى لى قصرا من ياقوتة بيضاء وبنى لك قصرا من ياقوتة حمراء فأنت بين خليل وحبيب * ذكر الاصمعى قال كان للعباس راع يرعى له على مسيرة ثلاثة ايام فاذا أراد العباس منه شيأ صاح به فاسمعه حاجته * عن جعفر بن محمد رضى الله عنهما قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب فقال ياعم اذا كان بالغداة فاجلس فى البيت حتى آتيك فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد بنيه فى البيت متفرقين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فاجتمعوا الى ابيهم فالتفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم هذا عمى وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار كما سترتهم بثوبى هذا

وقال رميض العنزى يفخر

نحن اسرنا ناسا عتاوا ابن ظالم * فكل لوى فى قيدنا وهو يخشع
وكعب اياد قد أسرنا وبعده * أسرنا أباحسان والخيل تطمع
وريان غادرنا يوجج كأنه * واشياعه فيهم اصريم مصرع

وقال يحيى بن منصور الذهلى قصيدة يفتخر بايام قومه وهى طويلة وفيها آداب حسنة تركناها كراهية التطويل واولها

أمن عرفان منزلة ودار * تعاورها البوارح والسوارى

وقال ابو عبيدة جاء الاسلام وليس فى العرب أحد أعز دارا ولا أمنع جارا ولا أكثر حلفا من شيبان كانت عنينة من تلم فى الاحلاف وكانت دروكة بن كندة فى بنى هند وكانت عكرمة من طى وحوتكة من عذرة وبنانة كل هؤلاء فى بنى الحرث بن همام وكانت عائذة من قريش وضبة وحواس من كندة هؤلاء فى بنى ابى ربيعة وكانت سلمة من بنى عبد القيس فى بنى أسعد بن همام وكانت وثيلة من ثعلبة وبنو شبيرى من طى فى بنى تيم بن شيبان وكانت عوف بن حارث من كندة فى بنى محلم كل هذه قبائل وبطون جاورت شيبان فعزت بها وكثرت

(يوم مسحلان)

قال ابو عبيدة غزا ربيعة بن زياد الكلبى فى جيش من قومه فلقى جيشا لبنى شيبان عامتهم بنو أبى ربيعة فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت بهم بنو شيبان وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وذلك يوم مسحلان وأسروا ناسا كثيرا وأخذوا ما كان معهم وكان رئيس شيبان يومئذ حسان بن عبد الله بن قيس الحلمى وقيل كان رئيسهم زياد بن مرثد من بنى ابى ربيعة فقال شاعرهم

ربيعة سائل حيث حل بجيشه * مع الحى كلب حيث بثت فوارسه
عشية ولى جمعهم فتتابعوا * فصار الينا نهبه وعوانسه

ثم ان الربيع بن زياد الكلبى نادر قومه وسار بهم فورموه فاعتزلهم وسار حتى حل ببنى شيبان فاستجار برجل اسمه زياد من بنى الجار ربيعة فقتله بنو أسعد بن همام ثم ان شيبان حملوا ديته الى كلب مائتى بعير فرضوا

(حرب لسليم وشيبان)

قال ابو عبيدة خرج جيش لبنى سليم عليهم النصيب السلمى وهم يريدون الغارة على بكر ابن وائل فلقيهم رجل من بنى شيبان اسمه صليع بن عبد غنم وهو محرم على فرس له يسمى الصراء فقال لهم أين تذهبون قالوا نريد الغارة على بنى شيبان فقال لهم مهلا فانى لكم ناصح اياكم وبنى شيبان فانى أقسم لكم بالله لتأتينكم على ثلثمائة فرس خصى سوى الفحول والاناث فأبوا الا الغارة عليهم فدفع صليع فرسه ركضا حتى أتى قومه فانذرهم فركبت شيبان واستعدوا فأتاهم بنو سليم وهم معدون فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت شيبان وانهزمت سليم وقتل منهم مقتلة كثيرة وأسر منهم ناس كثير ولم ينج الا القليل وأسر النصيب

النصيب بنيهم أسره عمران بن مرة الشيبانى فضرب رقبته فقال صليع

نهيت بنى زعل غداة لقيتهم * وجيش نصيب والظنون تطاع
وقلت لهم ان الحريب وراكسا * به نعم ترعى المرار رتاع
ولكن فيه الموت يرتع سربه * وحق لهم ان يقبلوا ويطاعوا
متى تأته تلق على الماء حرثا * وجيشا له يوفى بكل بقاع

(يوم جدود)

وهو يوم بين بكر بن وائل وبنى منقر من تميم وكان من حديثه ان الحوفزان واسمه الحرث بن شريك الشيبانى كانت بينه وبين بنى سليط بن يربوع موادعة فهم بالغدر بهم وجمع بنى شيبان وذهلا واللهازم وعليهم حمران بن عبد عمرو بن بشر بن عمرو ثم غزا وهو يرجو أن يصيب غرة من بنى يربوع فلما انتهى الى بنى يربوع نذر به عتيبة بن الحرث بن شهاب فنادى فى قومه فحالوا بين الحوفزان وبين الماء وقال لعتيبة انى لا أرى معك الا رهطك وأنا فى طوائف من بنى بكر فلئن ظفرت بكم قل عددكم وطمع فيكم عدوكم ولئن ظفرتم بى ما تقتلون الا أقاصى عشيرتى وما يا كم أردت فهل لكم أن تسالمونا وتأخذوا اما معنا من التمر ووالله لا نروع يربوعا أبدا فأخذ ما معهم من التمر وخلى سبيلهم فسارت بكر حتى أغاروا على بنى ربيع بن الحرث وهو مقاعس بجدود وانما سمى مقاعسا لانه تقاعس عن حلف بنى سعد فأغار عليهم وهم خلوف فأصاب سبيا ونعما فبعث بنو ربيع صريخهم الى بنى كليب فلم يجيبوهم فأتى الصريخ بنى منقر بن عبيد فركبوا فى الطلب فلحقوا بكر بن وائل وهم مقاتلون فما شعر الحوفزان وهو فى ظل شجرة الا بالاهتم بن سمى بن سنان المنقرى واقفا على رأسه فركب فرسه فنادى الاهتم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل ولحق بنو منقر فقاتلوا قتالا شديدا فهزمت بكر وخلوا السبى والاموال وتبعتهم منقر فمن قتيل وأسير وأسر الاهتم حمران بن عبد عمرو ولم يكن لقيس بن عاصم المنقرى همة الا الحوفزان فتبعه على مهر والحوفزان على فرس فارح فلم يلحقه وقد قاربه فلما خاف أن يفوته حفزه بالرمح فى ظهره فاحتفز بالطعنة ونجا فسمى يومئذ الحوفزان وقيل غير هذا وقال الاهتم فى اسره حمران

نيطت بحمران المنية بعدما * حشاه سنان من شراعة أزرق
دعا يال قيس واعتزيت لمنقر * وكنت اذا لاقيت فى الخيل أصدق

وقال سوار بن حيان المنقرى يفتخر على رجل من بكر

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * كسته نجيعا من دم البطن أشكلا
وحمران قسرا أنزلته رماحنا * فعالج غلا فى ذراعيه مثقلا
فيالك من أيام صدق نعدها * كيوم جوائى والنباج وثيتلا
قضى الله أنا يوم تقتسم العلا * أحق بها منكم فأعطى فأجزلا
فلست بمستطيع السماء ولم تجد * لعز بناه الله فوقك منقلا

(منقر بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف وربيع بضم الراء وفتح الباء الموحدة)

فأمنت اسكفة الباب آمين آمين * عن ابن عباس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للعباس انت وولدك المنصورون الى يوم القيامة * عن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال هبط على الامين جبريل عليه السلام وعليه قباء اسود وعمامة سوداء وفى وسطه منطقة من ذهب فقلت له يا جبريل ما هذه الصورة التى ما رأيتك هبطت على فى مثلها قال هذه صورة الملوك من ولد العباس عمك قال فقلت وهم يومئذ على الحق قال نعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لولد العباس حيث كانوا وأينما كانوا

(وما ورد فى فضل سيد الشهداء حمزة عم سيد الانبياء رضى الله عنه) * عن عطاء عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء حمزة ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله * عن عمرو بن دينار عن جابر ابن عبد الله قال ولد لرجل منا غلام فقلت يا رسول الله بم نسميه قال سموه بأحب الناس الى حمزة ابن عبد المطلب * عن جعفر ابن عمرو الضمرى قال خرجت أنا وعبيد الله بن عدى غازيين الصائفة فى زمن معاوية فمررنا بحمص وفيها وحشى بن حرب الحبشى فأردنا أن نسأله عن قتله حمزة كيف كان فوافيناه شيخا كبيرا أسود ورأسه مثل الثغامة وهو بفناء داره فرفع رأسه الى عبيد الله بن عدى فقال أنت عبيد الله بن عدى قال نعم قال أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التى أرضعتك بذى طوى وهى على بعيرها الى اليوم فلما رأيتك عرفتك فقلنا أتيناك

(يوم الاياد وهو يوم أعشاش ويوم العظالى)

وانما سمى يوم العظالى لان بسطام بن قيس وهانى بن قبيصة ومفروق بن عمرو تعاظلوا على الرياسة وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس وكانوا يقرونهم ويجهزونهم فأقبلوا من عند عامل عين التمر فى ثلثمائة متساندين وهم يتوقعون انحدار بنى يربوع فى الحزن فاجتمع بنو عتيبة وبنو عبيد وبنو زيد فى الحزن فحلت بنو زيد الحديقة وحلت بنو عتيبة وبنو عبيد روضة الثمد فأقبل جيش بكر حتى نزلوا هضبة الخصى فرأى بسطام السواد بالحديقة وثم غلام عرفه بسطام وكان قد عرف غلمان بنى ثعلبة حين أسره عتيبة فسأله بسطام عن السواد الذى بالحديقة فقال هم بنو زيد قال كم هم من بيت قال خمسون بيتا قال فأين بنو عتيبة وبنو عبيد قال هم بروضة الثمد وسائر الناس بخفاف وهو موضع فقال بسطام أتطيعوننى يا بنى بكر قالوا نعم قال أرى لكم ان تغيروا هذا الحى المتفرد بنى زيد وتعودوا سالمين قالوا وما يغنى بنو زيد عنا قال ان فى السلامة احدى الغنيمتين قالوا ان عتيبة بن الحرث قد مات وقال مفروق قد انتفخ سحرك يا أبا الصهباء وقال هانى اخشا فقال ان أسيد بن حناءة لا يفارق فرسه الشقراء ليلا ونهارا فاذا أحس بكم ركبها حتى يشرف على مليحة فينادى يا آل ثعلبة فيلقاكم طعن ينسيكم الغنيمة ولم يبصر أحد منكم مصرع صاحبه وقد عصيتمونى وأنا تابعكم وستعلمون فأغاروا على بنى زيد وأقبلوا نحو بنى عتيبة وبنى عبيد فأحست الشقراء فرس أسيد بوقع الحوافر فبحثت بحافرها فركبها أسيد وتوجه نحو بنى يربوع بمليحة ونادى يا سوء صباحاه يا آل ثعلبة بن يربوع فما ارتفع الضحى حتى تلاحقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت شيبان بعد ان قتلت من تميم جماعة من فرسانهم وقتل من شيبان أيضا وأسر جماعة منهم هانى بن قبيصة ففدى نفسه ونجا فقال متمم بن نويرة فى هذا اليوم

لعمرى لنعم الحى أسمع غدوة * أسيد وقد جد الصراخ المصدق
وأسمع فتيانا بجنبة عبقر * لهم ريق عند الطعان ومصدق
أخذن بهم جنبى أفاق وبطنها * فما رجعوا حتى أرقوا وأعتقوا

وقال العوام فى هذا اليوم

قبح الاله عصابة من وائل * يوم الافاقة أسلموا بسطاما
ورأى أبو الصهباء دون سوامهم * طعنا يسلى نفسه وزحاما
كنتم أسودا فى الوغا فوجدتم * يوم الافاقة فى العجاج نعاما

وأكثر العوام الشعر فى هذا اليوم فلما ألح فيه أخذ بسطام ابله فقالت أمه

أرى كل ذى شعر أصاب بشعره * خلا أن عواما بما قال عيلا
فلا ينطقن شعرا يكون جوازه * كما شعر عوام أعام وأرجلا

(يوم الشقيقة وقتل بسطام بن قيس)

هذا يوم بين بنى شيبان وضبة بن اد قتل فيه بسطام بن قيس سيد شيبان وكان

ثمانية عن حديث قتل حمزة كيف كان فقال انى سأحدثكم بما حدثت به رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت بمكة عبدا لجبير بن مطعم وكان عمه قتل يوم بدر فقال لى ان قتلت حمزة عم محمد فأنت حر وكانت لى حربة اقذفها قلما أقذفها الا اقتله خرجت مع الناس يوم أحد وانما حاجتى قتل حمزة فلما التقى الناس اخذت حربتى وخرجت انظر حمزة رضى الله عنه وهو فى عرض الناس مثل الجمل الاورق يهد الناس بسيفه هدا فاضرب اليه واخطأ قدامى فهززت حربتى ودفعتها عليه فوقعت بين كتفيه حتى خرجت من بين يديه فتركته حتى مات ثم قمت اليه فانتزعتها منه ولم يكن لى حاجة فى غيره وانما قتلته لاعتق فلما قدمنا مكة عتقت واقمت بها حتى فتحت مكة ضاقت على الارض بما رحبت فهربت الى الطائف فقلت الحق باليمن او بالشام فوالله انى فى غم من ذلك اذ قال لى قائل ويحك الحق بمحمد صلى الله عليه وسلم فوالله ما يقتل احدا دخل فى دينه قال فخرجت فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ادعه يرانى الا وانا قائم على رأسه اشهد بشهادته فلما رآنى قال وحشى قلت نعم قال اجلس حدثنى كيف كان قتلك حمزة فجلست بين يديه فحدثته كما حدثتكم ثم قال ويحك يا وحشى غيب عنى وجهك فلا اراك فغبت عنه حتى توفى صلى الله عليه وسلم فلما سار المسلمون الى مسيلمة رمى الصديق خرجت بحربتى تلك حتى اذا امكننى منه الفرصة دفعت اليه حربتى فوقعت فيه وربك اعلم الى قدامه

سيده

سببه ان بسطام بن قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذى الجد بن غزا بنى ضبة ومعه أخوه السليل بن قيس ومعه رجل يزبر الطير من بنى أسد بن خزيمة يسمى نقيدا فلما كان بسطام فى بعض الطريق رأى فى منامه كان آتيا أتاه فقال له * الدلو تاتى الغرب المزله * فقص رؤياه على نقيد فتطير وقال ألا اقلت ثم تعود باديا مبتله فتفرط عنك النحوس ومضى بسطام على وجهه فلما دنا من نقا يقال له الحسن فى بلاد ضبة صعده ليراه فاذا هو بنعم قد ملأ الارض فيه ألف ناقة لمالك بن المنتفق الضبى من بنى ثعلبة بن سعد بن ضبة قد فقأ عين فحلها وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية اذا بلغت ابل احدهم ألف بعير فقؤا عين فحلها لترد عنها العين وهى ابل مرتبعة ومالك بن المنتفق فيها على فرس له جواد فلما أشرف بسطام على النقا تخوف ان يروه فينذروا به فاضطجع وتدهدى حتى بلغ الارض وقال يا بنى شيبان لم ار كاليوم قط فى الغرة وكثرة النعم ونظر نقيد الى لحية بسطام معفرة بالتراب لما تدهدى فتطير له أيضا وقال ان صدقت الطيرة فهو أول من يقتل وعزم الاسدى على فراقه فاخذته رعدة تهيب الفراقه والانصراف عنه وقال له ارجع يا أبا الصهباء فانى أتخوف عليك ان تقتل فعصاه ففارقه نقيد وركب بسطام وأصحابه وأغاروا على الابل واطردوها وفيها الفحل لمالك يقال له أبو شاعر وكان اعور فنجا مالك على فرسه الى قومه من ضبة حتى اذا أشرف على تعشار نادى يا صباحاه وعاد راجعا وادرك الفوارس القوم وهم يطردون النعم فجعل فحلها ابو شاعر يشذ من النعم ليرجع وتتبعه الابل فكلما تبعته ناقة عقرها بسطام فلما رأى مالك ما يصنع بسطام وأصحابه قال ماذا السفه يا بسطام لا تعقرها فاما لنا واما لك فأبى بسطام وكان فى آخريات الناس على فرس ادهم يقال له الزعفران يحمى أصحابه فلما لحقت خيل ضبة قال لهم مالك ارموا روايا القوم فجعلوا يرمونها فيشقونها فلحقت بنو ثعلبة وفى اوائلهم عاصم بن خليفة الصباحى وكان ضعيف العقل وكان قبل ذلك يعقب قناة له فيقال له ما تصنع بها يا عاصم فيقول أقتل عليها بسطاما فيهزؤن منه فلما جاء الصريخ ركب فرس ابيه بغير امره ولحق الخيل فقال لرجل من ضبة أيهم الرئيس قال صاحب الفرس الادهم فعارضه عاصم حتى حاذاه ثم حمل عليه فطعنه بالرمح فى صماخ اذنه انفذ الطعنة الى الجانب الآخر وخر بسطام على شجرة يقال لها الالاءة فلما رأت ذلك شيبان خلوا سبيل النعم وولوا الادبار فمن قتيل واسير واسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس اخا بسطام فى سبعين من بنى شيبان وكان عبد الله بن عنمة الضبى مجاورا فى شيبان فخاف ان يقتل فقال يرثى بسطاما

لام الارض ويل ما اجنت * غداة أضر بالحسن السبيل
يقسم ماله فينا وندعو * أبا الصهباء اذ جنح الاصيل
اجدك لن تريه ولن تراه * تخب به عذافرة ذمول
حقيبة بطنها بدن وسرج * تعارضها مربية دؤل
الى ميعاد ارعن مكفهر * تضمر فى جوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول

من على كرم الله وجهه ... قال ان افضل الشهداء حمزة رضى الله عنه * (وما ورد من الاخبار فى فضل جعفر الطيار رضى الله عنه) * عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الناس من اشجار شتى وخلقت أنا وجعفر بن ابى طالب من شجرة واحدة عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل اختارنى فى ثلاثة من اهل بيتى وانا رابعهم وسيدهم قالوا يا رسول الله سم لنا الثلاثة قال كنت نائما وعلى وحمزة وجعفر بن أبى طالب جعفر عن يمينى وعلى عن يسارى وحمزة عند رجلى كل واحد منهم مسجى بثوبه فنبهنى الاخفيق اجنحة الملائكة فانتبهت فاذا جبريل فى ثلاثة املاك سمعت ملكا يستفهم يقول يا جبريل من هذا قال محمد بن عبد الله خاتم الانبياء وهذا على بن ابى طالب سيد الاولياء وهذا حمزة سيد الشهداء وهذا جعفر بن ابى طالب المزين بالجناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فنظرت فيها فاذا جعفر يطير مع الملائكة واذا حمزة متكئ على سرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم واسماء بنت عميس قريبة منه اذ قال يا اسماء هذا جعفر ابن أبى طالب قد مر مع جبريل وميكائيل عليهما السلام فسلم فردى عليه السلام وقد أخبرنى انه لقى العدو فأصابه ثلاثة وسبعون ما بين طعنة وضربة قال واخذت اللواء بيمنى فقطعت يمينى ثم اخذت

لقد صمت بنو زيد بن عمرو * ولا وفى ببسطام قتيل

تخر على الالاءة لم يوسد * كأن جبينه سيف صقيل

فان يجزع عليه بنو ابيه * فقد فجعوا وفاتهم جليل

بمطعام اذا الاشوال راحت * الى الحجرات ليس لها فصيل

(الريق في بكر بن وائل بيت الاراقي لقتله لعلو عله) وقال شمعلة بن الاخضر بن هبيرة الضبي يذكره

ويوم شقيقة الحسنين لاقت * بنو شيبان آجالا قصارا

شككنا بالرماح وهن زور * صماخي كبشهم حتى استدارا

وأوجرناه أسمر ذا كعوب * يشبه طوله مسدا مغارا

(الشقيقة أرض صلبة بين جبلي رمل والحسنان نقوا رمل كانت الوقعة عندهما) وقالت أم بسطام بن قيس ترثيه

ليبك ابن ذي الجدين بكر بن وائل * فقد بان منها زينها وجمالها

اذا ما غدا فيهم غدوا وكانهم * نجوم سماء بينهن هلالها

فلله عينا من رأى مثله فتى * اذا الخيل يوم الروع هب نزالها

عزيز المكر لا يهد جناحه * وليث اذا الفتيان زلت نعالها

وحمال أثقال وعائذ محجر * تحل اليه كل ذاك رحالها

سيبكيك عان لم يجد من يفكه * ويبكيك فرسان الوغى ورجالها

وتبكيك اسرى طالما قد فككتهم * وأرملة ضاعت وضاع عيالها

مفرج حومات الخطوب ومدرك الـ * ـحروب اذا صالت وعز صيالها

تعشى بها حينا كذاك ففجعت * تميم به أرماحها ونبالها

فقد ظفرت منا تميم بعثرة * وتلك لعمري عثرة لا نقالها

أصيبت به شيبان والحي يشكر * وطير يرى ارسالها وحبالها

(عنة بفتح العين المهملة والنون)

(يوم النسار)

النسار اجبل متجاورة وعندها كانت الوقعة وهو موضع معروف عندهم وكان سبب ذلك اليوم ان بني تميم بن مر بن أد كانوا ابا كاونهم وبينهم ضبة بن أد وبني عبد مناة بن أد فاصابت ضبة رهطا من تميم فطلبتهم تميم فاراحت جماعة الرباب وهم تيم وعدي وثور أطحل وعكل بنو عبد مناة بن أد وضبة بن أد واعاموا الرباب لانهم غمسوا أيديهم في الرب حين تحالفوا والحقت بني أسد وهم يومئذ حلفاء لبني ذبيان بن بغيض فنادى صارخ بني ضبة يا آل خندف فاصرختهم بنو أسد وهو أول يوم تخندفت فيه ضبة واستعدوا حلفهم طيئا وغطفان فكان رئيس أسد يوم النسار عوف بن عبد الله بن عامر بن جذيمة ابن نصر بن قعين وقيل خالد بن نضلة وكان رئيس الرباب الاسود بن المنذر أخو النعمان وليس بصحيح وكان على الجماعة كلهم حصن بن حذيفة بن بدر وفيه يقول زهير بن أبي سلمى

اللواء بيساري فقطعت يساري ثم وضعني الله تعالى جناحين اطير بهما في الجنة مع جبريل وميكائيل حيث شئت وآكل من ثمارها ما شئت قالت اسماء هنيئا لجعفر ما آتاه الله عز وجل ولكن اخاف أن لا يصدقني الناس وانه اصيب قبل ذلك اليوم فاما الخبر بعد ما اعلم الناس بثلاث او اربع فلذلك سمي الطيار في الجنة قتل جعفر وهو ابن خمس وعشرين سنة *(وما صح من الخبر والدليل في فضل من أحب اولاد عقيل رضي الله عنهم)* عن ابن عقيل عن ابيه عقيل بن ابي طالب قال نازعت عليا وجعفر بن ابي طالب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء فقلت والله ما انتما باحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ان قرابتنا لواحدة وان ابانا وامنا لواحد كذلك يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احب اسامة بن زيد فقلت الى لست عن اسامة أسألك وانما اسالك عن نفسي فقال يا عقيل والله اني لاحبك لخلتين لقرابتك ولحب أبي طالب اياك وكان أحبهم الى أبي طالب واما أنت يا جعفر ان خلقك يشبه خلقي وأما انت يا علي فأنت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وفي الخبر ان قريشا اصابتهم أزمة شديدة فكان أبو طالب في عيال كثيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس وكان من ايسر بني هاشم انطلق بنا الى أخيك ابي طالب نخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلا وتأخذ انت رجلا فنكفاهما قال نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن

ومن مثل حصن فى الحروب ومثله * لانداد ضيم أولا مر يحاوله
اذا حل احياء الاحاليف حوله * بذى نجب هداته وصواهله

فلما بلغ بنى تميم ذلك استمدوا بنى عامر بن صعصعة فامدوهم وكان حاجب بن زرارة على بنى تميم وكان عامر بن صعصعة جوابا وهو لقب مالك بن كعب من بنى أبى بكر بن كلاب لان بنى جعفر كانوا اجوابين قد اخرجهم الى بنى الحرث بن كعب فخالفوهم وقيل كان رئيس عامر شريح بن مالك القشيرى وسار الجمعان فالتقوا بالنسار واقتتلوا فصبرت عامر واستحر بهم القتل وانفضت تميم فنجت ولم يصب منهم كثير وقتل شريح القشيرى رأس بنى عامر وقتل عبيد بن معاوية بن عبد الله بن كلاب وغيرهما وأخذ عدة من اشراف نساء بنى عامر منهن سلمى بنت المخلف والعنقاء بنت همام وغيرهما فقالت سلمى تعير جوابا والطفيل

لحى الاله ابا ليلى بفرته * يوم النسار وقنب العير جوابا
كيف الفخار وقد كانت بمعترك * يوم النسار بنو ذبيان اربابا
لم تمنعوا القوم اذ أشلوا سوامكم * ولا النساء وكان القوم أحزابا

وقال رجل يعير جوابا والطفيل بفراره عن امرأتيه

وفر عن ضيرتيه وجه خارئة * ومالك فر قنب العير جواب

القنب غلاف الذكر وجواب لقب لانه كان يجوب الآبار واسمه مالك وقال بشر بن أبى خازم فى هزيمة حاجب

وافلت حاجب جوب العوالى * على شقراء تلمع فى السراب
ولو ادركن رأس بنى تميم * عفرن الوجه منه بالتراب

وكان يوم النسار بعد يوم جبلة وقتل لقيط بن زرارة (جواب بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره باء موحدة وخازم بالخاء المعجمة والزاى)

(يوم الجفار)

لما كان على رأس الحول من يوم النسار اجتمع من العرب من كان شهد النسار وكان رؤساؤهم بالجفار الرؤساء الذين كانوا يوم النسار الا ان بنى عامر قيل كان رئيسهم بالجفار عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة فالتقوا بالجفار واقتتلوا وصبرت تميم فعظم فيها القتل وخاصة فى بنى عمرو بن تميم وكان يوم الجفار يسمى الصيلم لكثرة من قتل به وقال بشر بن أبى خازم فى عصبة تميم لبنى عامر

عصبت تميم ان يقتل عامر * يوم النسار فاعقبوا بالصيلم
كنا اذا نفروا الحرب نفرة * نشفى صداعهم برأس صلدم
نعلو الفوارس بالسيوف ونعترى * والخيل مشعلة النحور من الدم
يخرجن من خلل الغبار عوابسا * خبب السباع بكل ليث ضيغم

وهى عدة ابيات وقال أيضا

يوم الجفار ويوم النسا * ركانا عذابا وكانا غراما
فاما تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه واخذ العباس جعفرا فضمه اليه فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى نبيا فآمن به واتبعه وصدقه ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم واستغنى عنه *(وما ورد فى فضل العشرة المبايعين تحت الشجرة رضى الله عنهم اجمعين)* عن أبى صالح فى قوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين قال هم عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنهم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار *(وما ظهر واستفاض من فضل طلحة الفياض رضى الله عنه)* ان طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه نحر جزورا وحفر بئرا يوم ذى قرد فاطعم الناس وسقاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة الفياض وعنه قال لما كان يوم أحد حملت النبى صلى الله عليه وسلم حتى صيرته على الصخرة فاستتر بها من المشركين فاومأ بيده الى وراء ظهره فقال هذا جبريل يخبرنى انه لا يراك يوم القيامة فى هول الا انقذك منه عن النزال ابن سبرة الهلالى قال قلنا لعلى بن أبى طالب حدثنا عن طلحة قال ذاك امرؤ نزلت فيه آية من كتاب الله تعالى فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر طلحة بن عبيد الله منهم لا حساب عليه فى المستقبل عن زياد بن جرير الاسدى قال قدمت على طلحة بن عبيد الله بثمن غلة ضيعة

وأمابنو عامر بالقنا • ويوم النسار فكانوا نعاما

فلما أكثر بشر على بني تميم قيل له مالك ولتميم وهم أقرب الناس منك أرحاما فقال اذا فرغت منهم فرغت من الناس ولم يبق أحد

•(يوم الصفقة والكلاب الثاني)•

أما يوم الصفقة وسببه فان باذان نائب كسرى ابرويز بن هرمز باليمن أرسل اليه حملا من اليمن فلما بلغ الحمل الى نطاع من أرض نجد اغارت تميم عليه وانتهبوه وسلبوا رسل كسرى واساورته فقدموا على هوذة بن على الحنفي صاحب اليمامة مسلوبين فاحسن اليهم وكساهم وقد كان قبل هذا اذا أرسل كسرى لطيمة تباع باليمن يجهز رسله ويخفرهم ويحسن جوارهم وكان كسرى يشتهي ان يراه ليجازيه على فعله فلما أحسن اخيرا الى هؤلاء الرسل الذين أخذتهم تميم قالوا له ان الملك لايزال يذكرك ويؤثر ان تقدم عليه فسار معهم اليه فلما قدم عليه أكرمه وأحسن اليه وجعل يحادثه لينظر عقله فرأى ما سره فامر له بمال كثير وتوجه بتاج من تيجانه واقطعه اموالا بهجر وكان هوذة نصرانيا وأمره كسرى ان يغزو هو والمكعبر مع عساكر كسرى بني تميم فساروا الى هجر ونزلوا بالمشقر وخاف المكعبر وهوذة ان يدخلا بلاد تميم لانها لاتحتملها العجم وأهلها يمتنعون فبعثا رجالا من بني تميم يدعونهم الى الميرة وكانت شديدة فاقبلوا على كل صعب وذلول فجعل المكعبر يدخلهم الحصن خمسة خمسة وعشرة عشرة وأقل وأكثر يدخلهم من باب على انه يخرجهم من آخر فكل من دخل ضرب عنقه فلما طال ذلك عليهم ورأوا ان الناس يدخلون ولايخرجون بعثوا رجالا يستعلمون الخبر فشد رجل من عبس فضرب السلسلة فقطعها وخرج من كان بالباب فامر المكعبر بغلق الباب وقتل كل من كان بالمدينة وكان يوم الفصح فاستوهب هوذة منهم مائة رجل فكساهم وأطلقهم يوم الفصح فقال الاعشى من قصيدة يمدح هوذة

بهم يقرب يوم الفصح ضاحية • يرجو الاله بما أسدى وما صنعا

فصار يوم المشقر مثلا وهو يوم الصفقة لاصفاق الباب وهو اغلاقه وكان يوم الصفقة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد لم يهاجر • وأما يوم الكلاب الثاني فان رجلا من بني قيس بن ثعلبة قدم أرض نجران على بني الحرث بن كعب وهم اخواله فسألوه عن الناس خلفه فحدثهم انه أصفق على بني تميم باب المشقر وقتلت المقاتلة وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لامانع لها فاجتمعت بنو الحرث من مذحج واحلافها من نهد وجرم بن ربان فاجتمعوا في عسكر عظيم بلغوا ثمانية آلاف ولايعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بذي قار ومن يوم جبلة وساروا يريدون بني تميم فحذرهم كاهن كان مع بني الحرث واسمه سلمة بن المغفل وقال انكم تسيرون اعقابا وتغزون احبابا سعدا وربابا وتردون مياها جبابا فتلقون عليها ضرابا وتكون غنيمتكم ترابا فاطيعوا أمري ولاتغزوا تميما فعصوه وساروا الى عروة فبلغ الخبر تميما فاجتمع ذوو الرأي منهم الى أكثم بن صيفي وله يومئذ مائة وتسعون سنة فقالوا له يا ابا حيدة حقق هذا

الامر

كانت له بالعراق وكان ثلثمائة ألف فقبض المال فلما أصبحت دعاني ودعا بالمال حتى نثره من أوعيته فجعله صررا بين يديه فمازال يفرقه لمن حوله وجيرانه من الفقراء حتى فضلت فضلة أعطاها السعدي بنت عوف حتى لم يبق منه شئ ورأيته في ذلك اليوم وهو يجمع بين طرفي ازاره ويحيطه بيده •(ومار ردفي حواري خير الانام ابي عبد الله الزبير بن العوام)• رضي الله عنه يكنى أبا عبد الله اسلم وهو ابن ثمان سنين استشهد بناحية البصرة وهو ابن بضع وخمسين سنة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر القوم يوم الاحزاب قال فقال الزبير انا ثم قال صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر القوم فقال الزبير انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وان حواري الزبير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو تركت تركة أو عهدت الى احد لعهدت الى الزبير انه ركن من اركان الدين قال الزبير ابن العوام مامني موضع الا وقد جرح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن الزبير قال كنت يوم الاحزاب وجعلت انا وعمرو بن أبي سلمة في النساء فنظرت فاذا أنا بالزبير على فرسه يختلف الى بني قريظة مرتين أو ثلاثا فلما رجعت قلت يا ابت رأيتك تختلف قال وهل رأيتني يا بني قلت نعم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال فداك أبي وامي انفق

الامر فانا قد رضينا لك رئيسا فقال لهم

وان امرأ قد عاش تسعين حجة * الى مائة لم يسأم العيش جاهل

مضت مائتان غير عشر وفاؤها * وذلك من عد الليالى قلائل

ثم قال لهم لا حاجة لى فى الرياسة ولكنى أشير عليكم لينزل حنظلة بن مالك بالدهناء ولينزل سعد بن زيد مناة والرباب وهم ضبة بن أد وثور وعكل وعدى بنو عبد مناة بن أد الكلاب فاى الطريقين أخذ القوم كفى احدهما صاحبه ثم قال لهم احفظوا وصيتى لا تحضروا النساء الصفوف فان نجاة اللئيم فى نفسه ترك الحريم وأقلوا الخلاف على امرائكم ودعوا كثرة الصياح فى الحرب فانه من الفشل والمرء يعجز لا محالة فان أحمق الحمق الفجور وأكيس الكيس التقى كونوا جميعا فى الرأى فان الجميع معز للجميع واياكم والخلاف فانه لا جماعة لمن اختلف ولا تلبثوا ولا تسرعوا فان أحزم الفريقين الركين ورب عجلة تهب ريثا واذا عزأ خولة فهن البسوا جلود النمور وابرزوا للحرب وادرعوا الليل واتخذوه جملا فان الليل أخفى للويل والثبات أفضل من القوة واهنأ الظفر كثرة الاسرى وخير الغنيمة المال ولا ترهبوا الموت عند الحرب فان الموت من ورائكم وحب الحياة لذى الحرب زلل ومن خير امرائكم النعمان بن مالك بن حارث بن جساس وهو من بنى تيم بن عبد مناة بن أد فقبلوا مشورته ونزلت عمرو بن حنظلة الدهناء ونزلت سعد والرباب الكلاب واقبلت مذحج ومن معها من قضاعة فقصدوا الكلاب وبلغ سعدا والرباب الخبير فلما دنت مذحج نذرهم شميت بن زنباع اليربوعى فركب جمله وقصد سعدا ونادى يا آل تميم يا صباحاه فثار الناس وانتهت مذحج الى النعم فانتهبها الناس وراجزهم يقول

فى كل عام نعم ننتابه * على الكلاب غيب أصحابه

* يسقط فى آثاره غلابه *

فلحق قيس بن عاصم المنقرى والنعمان بن جساس ومالك بن المنتفق فى سرعان الناس فأجابه قيس يقول

عما قليل تلحق أربابه * مثل النجوم حسرا سحابه

ليمنعن النعم اغتصابه * سعد وفرسان الوغى اربابه

ثم حمل عليهم قيس وهو يقول

فى كل عام نعم تحوونه * يلحقه قوم وينتحونه

أربابه نوكى فلا يحمونه * ولا يلاقون طعانا دونه

أنعم الابناء تحسبونه * هيهات هيهات لما ترجونه

فاقتتل القوم قتالا شديدا يومهم اجمع فحمل يزيد بن شداد بن قنان الحارثى على النعمان ابن مالك بن جساس فرماه بسهم فقتله وصارت الرياسة لقيس بن عاصم واقتتلوا حتى حجز بينهم سم الليل وباتوا يتحارسون فلما أصبحوا غدوا على القتال وركب قيس بن عاصم وركبت مذحج واقتتلوا أشد من القتال الاول فكان أول من انهزم من مذحج مذحج الرياح وهو عامر بن الجون بن عبد الله الجرمى وكان صاحب لوائهم فالقى اللواء وهرب

يكنى أبا محمد وابعد الفضل بعشر سنين مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله خمس وسبعون سنة وصلى عليه عثمان ابن عثمان رضى الله عنه عن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلى بالناس فاراد ان يتأخر فاومأ اليه النبى صلى الله عليه وسلم ان امكث مكانك قال فصلى النبى صلى الله عليه وسلم بصلاة عبد الرحمن ابن عوف عن عبد الله بن أبى اوفى قال شكا عبد الرحمن بن عوف خالد ابن الوليد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله يا خالد لا تؤذ رجلا من اهل بدر لو انفقت مثل أحد ذهبا لم تبلغ عمله عن الزهرى عن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف قال اغمى على عبد الرحمن فى وجعه فظنوا انه قد فاضت نفسه ثم افاق فقال انه أتانى ملكان فظان غليظان فقالا لى انطلق بنا نحاكمك الى العزيز الامين قال فلقيهما ملك فقال الى أين تذهبان به فقالا نحاكمه الى العزيز الامين قال خليا عنه فانه ممن سبقت له السعادة وهو فى بطن أمه *(وما ورد فى فضل سعد الرماة بالاخلاص سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه)* يكنى أبا اسحق مات بالمدينة فى ولاية معاوية سنة خمس وخمسين وهو ابن ثلاث وثمانين سنة أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة وكان آخر المهاجرين وكان أول من رمى سهما فى سبيل الله الى المشركين وكان مجاب الدعوة لما روى ان رسول الله

فلحقه رجل من بني سعد فعقر به دابته فنزل يهرب ماشيا ونادى قيس بن عاصم يا آل تميم عليكم الفرسان ودعوا الرجالة فانها لكم وجعل يلتقط الاسارى وأسر عبد يغوث ابن الحرث بن وقاص الحارثي رئيس مذحج فقتل بالنعمان بن مالك بن جساس وكان عبد يغوث شاعرا فشدوا لسانه قبل قتله لئلا يهجوهم فأشار اليهم ليطلقوا لسانه ولا يهجوهم فخلوه فقال شعرا

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا • فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
الم تعلما ان الملامة نفعها • قليل وما لومي أخي من شماليا
فيارا كبا اما عرضت فبلغن • نداماي من نجران أن لا تلاقيا
ابا كرب والايهمين كليهما • وقيسا باعلى حضرموت اليمانيا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة • معاشر تيم اطلقوا من لسانيا
كأني لم اركب جوادا ولم أقل • لخيلي كري كرة من ورائيا
ولم أسبأ الزق الروي ولم اقل • لايسار صدق عظموا ضوء ناريا
وقد علمت عرسي مليكة انني • انا الليث معدوا عليه وعاديا
لحى الله قوما بالكلاب شهدتهم • صميمهم والتابعين المواليا
ولو شئت نجتني من القوم شطبة • ترى خلفها الكمت العتاق تواليا
وكنت اذا ما الخيل شمصها القنا • لبيق بتصريف القناة بنانيا
فيا عاص فك القيد عني فانني • صبور على مر الحوادث ناكيا
فان تقتلوني تقتلوا بي سيدا • وان تطلقوني تحربوني ماليا

أبو كرب بشر بن علقمة بن الحرث والايهمان الاسود بن علقمة بن الحرث والعاقب وهو عبد المسيح بن الابيض وقيس بن معديكرب فزعموا ان قيسا قال لو جعلني أول القوم لافتديته بكل ما املك ثم قتل ولم يقبل لمفديه (رباب بالراء والباء الموحدة)

•(يوم ظهر الدهناء)•

وهو يوم بين طيء وأسد بن خزيمة وسبب ذلك ان أوس بن حارثة بن لأم الطائي كان سيدا مطاعا في قومه وجوادا مقدما فوفد هو وحاتم الطائي على عمرو بن هند فدعا عمرو أوسا فقال له أنت أفضل ام حاتم فقال ابيت اللعن ان حاتما أوحدها وأنا احدها ولو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهبنا في غداة واحدة ثم دعا عمرو حاتما فقال له أنت افضل أم أوس فقال ابيت اللعن انما ذكرت أوسا ولاحد ولده أفضل مني فاستحسن ذلك منهما وحباهما واكرمهما ثم ان وفود العرب من كل حي اجتمعت عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس فدعا بحلة من حلل الملوك وقال للوفود احضروا في غد فاني ملبس هذه الحلة اكرمكم فلما كان الغد حضر القوم جميعا الا أوسا فقيل له لم تتخلف فقال ان كان المراد غيري فاجمل الاشياء أن لا اكون حاضرا وان كنت المراد فسأطلب فلما جلس النعمان ولم ير أوسا قال اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمنا مما خفت فحضر فالبس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة اهجه ولك ثلثمائة ناقة فقال كيف اهجو رجلا لا أرى في بيتي اثاثا ولا

صلى الله عليه وسلم قال اللهم استجب لسعد اذا دعاك عن عبد الرحمن بن ابيه عن جده قال دعا سعد بن أبي وقاص فقال يارب لي بنون صغار فاخر عني الموت حتى يبلغوا فاخر الله عنه الموت عشرين سنة عن عائشة رضي الله عنها قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة سهر فقال ليت رجلا صالحا يحرسنا الليلة فبينما نحن كذلك اذ سمعت صوت السلاح فقال من هذا فقال أنا سعد بن ابي وقاص جئت لاحرسك الليلة فجلس ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه •(وما ورد في فضل السالم من الكيد سعيد بن زيد رضي الله عنه)• يكنى أبا الاعور أسلم قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مات سنة احدى وخمسين وغسله سعد بن ابي وقاص وصلى عليه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ودفن بالمدينة وكان سنه بضعا وسبعين سنة وهو احد العشرة المبشرة روى انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان زيدا كان كما رأيت أو كما بلغك فاستغفر له قال نعم واستغفر له وقال صلى الله عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة أمة وحده •(وما ورد في فضل حسن العزيمة والاقتراح أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه)• مات بالشام في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة وقبره ببيسان وله قبر يزار ويتبرك به توفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة صلى عليه معاذ بن جبل انزل الله فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وهو الذي قتل اباه مشركا بيده يوم بدر عن أنس

ولا مالا الا امنه ثم قال .

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من أهل لأم بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم بشر بن أبي خازم انا اهجوه لكم فاعطوه النوق وهجاه فأفحش في هجائه وذكر أمه سعدى فلما عرف أوس ذلك أغار على النوق فاكتسحها وطلبه فهرب منه والتجأ الى بني أسد عشيرته فمنعوه منه ورأوا تسليمه اليه عارا فجمع أوس جديلة طيئ وسار بهم الى أسد فالتقوا بظهر الدهناء تلقاء تيم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت بنو أسد وقتلوا قتلا ذريعا وهرب بشر فجعل لا يأتي حيا يطلب جوارهم الا امتنع من اجارته على أوس ثم نزل على جندب بن حصن الكلابي باعلى الصمان فارسل اليه أوس يطلب منه بشرا فأرسله اليه فلما قدم به على اوس أشار عليه قومه بقتله فدخل على امه سعدى فاستشارها فأشارت ان يرد عليه ماله ويعفو عنه ويحبوه فانه لا يغسل هجاءه الا مدحه فقبل ما أشارت به وخرج اليه وقال يابشر ماترى اني اصنع بك فقال

اني لارجو منك يا أوس نعمة * واني لاخرى منك يا اوس راهب
واني لامحو بالذي انا صادق * به كل ماقد قلت اذ أنا كاذب
فهل نافعي في اليوم عندك انني * ساشكر ان انعمت والشكر واجب
فدى لابن سعدى اليوم كل عشيرتي * بني اسد اقصاهم والاقارب
تداركني اوس بن سعدى بنعمة * وقد امكنته من يدي العواقب

فمنّ عليه اوس وحمله على فرس جواد ورد عليه ماكان أخذ منه واعطاه من ماله مائة من الابل فقال بشر لاجرم لامدحت احدا حتى اموت غيرك ومدحه بقصيدته المشهورة التي اولها

اتعرف من هنيدة رسم دار * بخرجي ذروة فالى لواها
ومنها منزل بيراق خبت * عفت حقبا وغيرها بلاها

وهي طويلة

(يوم الوقيط)

وكان من حديثه ان اللهازم تجمعت وهي قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومعها عجل بن لجيم وعنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار لتغير على بني تميم وهم غارّون فرأى ذلك الاعور وهو ناشب بن بشامة العنبري وكان اسيرا في قيس بن ثعلبة فقال لهم أعطوني رجلا ارسله الى اهلي أوصيهم ببعض حاجتي فقالوا له ترسله ونحن حضور قال نعم فأتوه بغلام مولد فقال أتيتموني باحمق فقال الغلام والله ما انا باحمق فقال اني اراك مجنونا قال والله مابي جنون قال اتعقل قال نعم اني لعاقل قال فالنيران اكثر ام الكواكب قال الكواكب وكل كثيرة فملأ كفه رملا وقال كم في كفي قال لاادري فانه لكثير فأومأ الى الشمس بيده وقال ماتلك قال الشمس قال ما اراك الا عاقلا اذهب الى قومي فأبلغهم السلام وقل لهم ليحسنوا الى اسيرهم فاني عند قوم يحسنون الي ويكرمونني وقل لهم فليعروا جملي الاحمر ويركبوا ناقتي العيساء وليرعوا حاجتي في بني

رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل أمة امين وامين هذه الامة أبو عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان أبو بكر رضي الله عنه يحدث عن يوم احد فقال انتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشج وجهه وقد دخل في جبينه حلقتان من حلق المغفر فذهبت لانزع ذلك من وجهه فقال أبو عبيدة أقسمت عليك بحقي عليك الا ماتركتني فتركته فكره ان يتناولها بيده فيؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فأزم عليها بفيه فاستخرج احدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقة وذهبت لاصنع كما صنع فقال اقسمت بحقي عليك الا ماتركتني قال ففعل مافعل في المرة الاولى فوقعت ثنيته الاخرى مع الحلقة وكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما *(وما ورد في فضل المقرب يوم الورود عبد الله بن مسعود رضي الله عنه)* عن شقيق بن مسلمة قال كنت جالسا مع حذيفة فمر عبد الله ابن مسعود فقال حذيفة لقد علم المجتهدون لقد علم المحققون من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان عبد الله اقربهم وسيلة الى الله يوم القيامة عن أبي عبيدة قال قال عبد الله بن مسعود خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته فاتبعته بماء فقال من أمرك بهذا فقلت ما امرني احد فقال عليه السلام ابشر بالجنة عن عبد الله انه كان في المسجد يدعو فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو فقال صلى الله عليه وسلم سل تعطه وهو يقول اللهم اسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد ومرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في أعلى غرفة جنة الخلد

ماتت واخبرهم ان العوسج قد اورق وان النساء قد اشتكت وليعصوا همام بن بشامة فانه مشؤم مجدود وليطيعوا هذيل بن الاخنس فانه حازم ميمون واسألوا الحرث عن خبري وسار الرسول فاتى قومه فابلغهم فلم يدروا ما اراد فاحضروا الحرث وقصوا عليه خبر الرسول فقال للرسول اقصص علي اول قصتك فقص عليه اول ما كلمه حتى اتى على آخره فقال ابلغه التحية والسلام واخبره انا سنتوصى بما اوصى به فعاد الرسول ثم قال لبني العنبر ان صاحبكم قد بين لكم اما الرمل الذي جعل في كفه فانه يخبركم انه قد اتاكم عدد لا يحصى واما الشمس التي اومأ اليها فانه يقول ذلك اوضح من الشمس واما جمله الاحمر فالصمان فانه يأمركم ان تعروه يعني ترتحلوا عنه واما ناقته العيساء فانه يأمركم ان تحترزوا في الدهناء واما بنو مالك فانه يأمركم ان تنذروهم معكم واما ايراق العوسج فان القوم قد لبسوا السلاح واما اشتكاء النساء فانه يريد ان النساء قد خرزن الشكاء وهي اسقية الماء للغزو فحذر بنو العنبر وركبوا الدهناء وانذروا بني مالك فلم يقبلوا منهم ثم ان اللهازم وعجلا وعنزة اتوا بني حنظلة فوجدوا عمرا قد اجليت فاوقعوا ببني دارم بالوقيط فاقتتلوا قتالا شديدا وعظمت الحرب بينهم فاسرت ربيعة جماعة من رؤساء بني تميم منهم ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة فجز ناصيته واطلقوه واسروا عثجل بن المأمون بن زرارة وجويرة بن بدر بن عبد الله بن دارم ولم يزل في الوثاق حتى رآهم يوما يشربون فانشأ يتغنى يسمعهم ما يقول

وقائلة ما غاله ان يزورنا * وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل
وقد ادركتني والحوادث جمة * مخالب قوم لا ضعاف ولا عزل
سراع الى الجلى بطاء عن الخنا * رزان لدى الباذين في غير ما جهل
لعلهم ان يمطروني بنعمة * كما صاب ماء المزن في البلد المحل
فقد ينعش الله الفتى بعد ذلة * وقد تبنى الحسنى سراة بني عجل

فلما سمعوا الابيات اطلقوه واسر ايضا نعيم وعوف ابنا القعقاع بن معبد بن زرارة وغيرهما من سادات بني تميم وقتل حكيم بن النهشلي ولم يشهدها من نهشل غيره وعادت بكر بن وائل بطارقها بعد الوقعة بثلاثة بجذيمة بن الاصيلع نفر من بني العنبر لم يكونوا ارتحلوا مع قومهم فلما رأوهم طردوا ابلهم فاسر زوها من بكر واكثر الشعراء في هذا اليوم فمن ذلك قول ابي مهوش الفقعسي يعير تميما يوم الوقيط

فما قاتلت يوم الوقيط بنو نهشل * ولا الانكد الشؤمى فقيم بن دارم
ولا اصبحت عوف رجال مجاشع * ولا القثم الاستاه غير البراجم

وقال ابو الطفيل عمرو بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد

حكت تميم بركها لما التقت * راياتنا ككواسر العقبان
دهموا الوقيط بجحفل جم الوغى * ورماحها كنوازع الاشطان

(يوم المروت)

وهو يوم بني تميم وعامر بن صعصعة وكان سببه انه التقى قعنب بن عتاب الرياحي وبجير بن

(وما ورد في فضل الشاهد بصدق الاعلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه) وكان اسمه قبل اسلامه الحصين كما رواه احمد بن حنبل عن عامر بن سعد عن ابيه قال ما سمعت احدا يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة الا عبد الله بن سلام وكان سبب اسلامه ما رواه عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر وارسل اليهم كتابا وكان كبيرهم وعالمهم عبد الله بن سلام اتوا اليه واستشاروه فقال لهم قد علمتم ان في التوراة علامات تعرفونها بشر به موسى بن عمران وان محمدا رجل امي لا يكتب ولا يقرأ فانا استخرج من التوراة الفا واربعمائة مسئلة واربع مسائل من غوامضها واتوجه بها اليه فان عرفها واجاب عنها فهو الذي بشر به موسى بن عمران فتؤمن به فاجابوه الى الذي قال فاستخرج المسائل من التوراة وتوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما اجتمع به قال انا رسول اليهود جئت لاسألك عن مسائل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما بدا لك من المسائل يا ابن سلام فقد اخبرني بها جبريل وان شئت اخبرتك بها قبل ان تتفوه بالكلام فسكت فلما اجابه عن جميع ما سأله قال صدقت يا رسول الله ونهض قائما على قدميه وقال امدد يدك الكريمة لتشملني بركتها فانا اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك يا محمد رسول الله فكبرت الصحابة عند ذلك وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من اكابر الصحابة روي ان الناس لما حاصروا عثمان يوم الدار جاء عبد الله بن سلام قال انشدكم الله هل فيكم من سمع

عبد الله

عبد الله بن سلمة العامري بعكاظ فقال بجير ياقعنب ما فعلت فرسك البيضاء قال هي عندي وما سؤالك عنها قال لانها نجتك منى يوم كذا وكذا فانكر قعنب ذلك وتلاعنا وتداعيا ان يجعل الله ميتة الكاذب بيد الصادق فمكثا ما شاء الله وجمع بجير بني عامر وسار بهم فاغار على بني العنبر بن عمرو بن تميم بأرم الكلبة وهم خلوف فاستاق السبي والنعم ولم يلق قتالا شديدا وأتى الصريخ بنى العنبر بن عمرو بن تميم وبنى مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبنى يربوع بن حنظلة فركبوا فى الطلب فتقدمت عمرو بن تميم فلما انتهى بجير الى المروت قال يا بنى عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا عارضة رماحها على كواهل خيلها قال هذه عمرو بن تميم وليست بشئ فلحق بهم بنو عمرو فقاتلوهم شيأ من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بجير ثم قال يا بنى عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا ناصبة رماحها قال هذه مالك بن حنظلة وليست بشئ فلحقوا فقاتلوا شيأ من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بجير وقال يا بنى عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا ليست معها رماح وكأنما عليها الصبيان قال هذه يربوع رماحها بين آذان خيلها اياكم والموت الزؤام فاصبروا ولا ارى أن تنجوا فكان أول من لحق من بنى يربوع الواقعة وهو نعيم بن عتاب وكان يسمى الواقعة لبليته فحمل على المثلم القشيرى فاسره وحملت قشير على دوكس بن واقد بن حوط فقتلوه وأسر نعيم المصفى القشيرى فقتله وحمل كدام بن بجيلة المازنى على بجير فعانقه ولم يكن اقعنب همة الا بجير فنظر اليه والى كدام قد تعانقا فاقبل نحوهما فقال كدام ياقعنب اسيرى فقال قعنب مازر أسك والسيف يريد يا مازنى فخلى عنه كدام وشد عليه قعنب فضربه فقتله وحمل قعنب أيضا على صهبان وأم صهبان مازنية فاسره فقالت بنو مازن ياقعنب قتلت أسيرنا فاعطنا ابن أختنا مكانه فدفع اليهم صهبان فى بجير فرضوا بذلك واستنقذت بنو يربوع أموال بنى العنبر وسبيهم من بنى عامر وعادوا (بجير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة)

(يوم فيف الريح)

وهو بين عامر بن صعصعة والحرث بن كعب وكان خبره ان بنى عامر كانت تطلب بنى الحرث ابن كعب باوتار كثيرة فجمع لهم الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان الحارثى وهو ذو الغصة واستعان بجعفة زبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء ونهد وخثعم وشهران وناهس ثم أقبلوا يريدون بنى عامر وهم منتجعون مكانا يقال له فيف الريح ومع مذحج النساء والذرارى حتى لا يفروا فاجتمعت بنو عامر فقال لهم عامر بن الطفيل اغيروا بنا على القوم فانى أرجو أن نأخذ غنائمهم ونسبى نساءهم ولا تدعوهم يدخلون عليكم فاجابوه الى ذلك وساروا اليهم فلما دنوا من بنى الحرث ومذحج ومن معهم أخبرتهم عيونهم وعادت اليهم مشايخهم فحذروا فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام يغادونهم القتال بفيف الريح فالتقى الصميل بن الاعور الكلابى وعمرو بن صبيح النهدى فطعنه عمرو فاعتنق الصميل فرسه وعاد فلقيه رجل من خثعم فقتله وأخذ درعه وفرسه وشهدت بنو نمير يومئذ مع عامر ابن الطفيل فابلوا بلاء حسنا وسموا ذلك اليوم حريجة الطعان لانهم اجتمعوا برماحهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت هذه الآية وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم انها نزلت فى قالوا اللهم نعم سمعنا انها نزلت فيك قال وأشهدكم بالله هل فيكم من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن عنده علم الكتاب انها نزلت فى قالوا اللهم نعم سمعنا أو بلغنا قال فانى أشهد انى قرأت الكتاب الاول والكتاب المنزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم فقرأت فى الكتاب الاول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أبا بكر خير الناس بعده وان عمر خير الناس بعد ابى بكر وان عثمان خير الناس بعد عمر ذى النورين فلا تقتلوه فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقى الله أجذم لا يدله

(وما ورد فى فضل المستبشر بموته أهل السماء سعد بن معاذ المحكم فى الاعداء رضى الله عنه) عن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام حتى أمسى فلما استيقظ جاءه جبريل فقال له رجل من أمتك

نصاروا بمنزلة الحربة وهي نخير يجتمع وسبب اجتماعهم ان بني عامر جالوا جولة الى موضع يقال له العرقوب والتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بني نمير فوجدهم قد قتلوا في المعركة فرجع وهو يصيح يا صباحاه يا نميراه ولا نمير لي بعد اليوم حتى اقتحم فرسه وسط القوم نشريت نفوسهم وعادت بنو عامر وقد طعن عامر بن الطفيل ما بين ثغرة نحره الى سرته عشرين طعنة وكان عامر في ذلك اليوم يتعهد الناس فيقول يا فلان ما رأيتك فعلت شيئا فمن أبلي فليرني سيفه أو رمحه ومن لم يبل شيئا تقدم فأبلى فكان كل من ابلى بلاء حسنا أتاه فأراه الدم على سنان رمحه أو سيفه فأتاه رجل من الحارثيين اسمه مسهر فقال له يا أبا علي انظر ما صنعت بالقوم انظر الى رمحي فلما أقبل عليه عامر لينظر وجاء بالرمح في وجنته فلقها وفقأ عينه وترك رمحه وعاد الى قومه وانما دعاه الى ذلك ما رآه يفعل بقومه فقال هذا واقه مبير قومي فقال عامر بن الطفيل

أتونا بشهران العريضة كلها * وأكلب طرا في جياد السنور
لعمري وما عمري على بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر
فبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا * جبانا وما أغنى لدى كل محضر

وأسرت بنو عامر يومئذ سيد مراد جريحا فلما رأى من جراحته أطلق وممن أبلى يومئذ أربد بن قيس بن حزن بن خالد بن جعفر وعبيد بن شريح بن الاحوص بن جعفر وقال لبيد ابن ربيعة ويقال انها لعامر بن الطفيل

أتونا بشهران العريضة كلها * وأكلبها في مثل بكر بن وائل
فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا * يبت عن قرى أضيافه غير غافل
أعاذل لو كان البداد لقوتلوا * ولكن أتانا كل جن وخابل
وخثعم حي يعدلون بمذحج * فهل نحن الا مثل احدى القبائل

وأسرع القتل في الفريقين جميعا ثم انهم افترقوا ولم يشتغل بعضهم عن بعض بغنيمة وكان الصبر فيها والشرف لبني عامر

(يوم اليحاميم ويعرف أيضا بقارات حوق)

وهو بين قبائل طي بعضها في بعض وكان سبب ذلك ان الحرث بن جبلة الغساني كان قد أصلح بين طي فلما هلك عادت الى حربها فالتقت جديلة والغوث بموضع يقال له غرثان فقتل فاندبني جديلة وهو أسبع بن عمرو بن لأم عم أوس بن خالد بن حارثة بن لأم وأخذ رجل من سنبس يقال له مصعب اذنيه نخصف بهما نعليه وفي ذلك يقول أبو سروة السنبسي

نخصف بالآذان منكم نعالنا * ونشرب كرها منكم في الجماجم

وتناقل الحيان في ذلك اشعارا كثيرة وعظم ما صنعت الغوث على أوس بن خالد بن لأم وعزم على لقاء الحرب بنفسه وكان لم يشهد الحروب المتقدمة هو ولا أحد ممن رؤساء طي كحاتم بن عبد الله وزيد الخيل وغيرهم من الرؤساء فلما تجهز أوس للحرب وأخذ في جمع جديلة ولقيها قال أبو جابر

أقيموا علينا القصد يا آل طيئ * والا فان السلم عند التضارب

الذي استبشر بموته أهل السماء فقال صلى الله عليه وسلم لا اعلمه الا ان سعد بن معاذ امسى دنفا فقال صلى الله عليه وسلم ما فعل سعد فقالوا يا رسول الله قد قبض وجاء قومه فاحتملوه الى ديارهم قال فصلى بالناس صلاة الصبح ثم خرج وخرج الناس معه فحضره رسول الله وهو يغسل فجلس صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وجمع نفسه فسئل عن ذلك فقال دخل ملك فلم يجد مجلسا فوسعت له * عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم مات سعد لقد نزل سبعون ألف ملك شهد واجنازة سعد ما وطئوا الارض قبل ذلك اليوم * عن محمد بن شرحبيل ان رجلا أخذ من تراب سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم دفن ففتحها بعد ذلك فاذا هي مسك * عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتز العرش لموت سعد بن معاذ وفتحت له ابواب السماء * عن أبي سعيد الخدري قال ان اهل

نحن مثلنا يوما اذا الحرب شمرت * ومن مثلنا يوما اذا لم نحاسب

فان تقطعيني أو تريدي مساءتي * فقد قطع الخوف المخوف ركائبي

وبلغ الغوث جمع أوس لها وقدت النار على مناع وهى ذروة أجأ وذلك أول يوم توقد عليه النار فأقبلت قبائل الغوث كل قبيلة وعليها رئيسها منهم زيد الخيل وحاتم وأقبلت جديلة مجتمعة على اوس بن حارثة بن لأم وحلف أوس أن لا يرجع عن طي حتى ينزل معها جبليها أجأ وسلمى وتجبى له أهلها وتزاحفوا والتقوا بقارات حوق على راياتهم فاقتتلوا قتالا شديدا ودارت الحرب على بنى كلاد بن جندب فأبيروا وقال عدى بن حاتم انى لواقف يوم اليحاميم والناس يقتتلون اذ نظرت الى زيد الخيل قد حضر ابنيه مكنفا وحريثا فى شعب لا منفذ له وهو يقول أى ابنى أبقيا على قومكما فان اليوم يوم التفانى فان يكن هؤلاء اعمامهما فهؤلاء أخوال فقلت كأنك قد كرهت قتال أخوالك قال فاحمرت عيناه غضبا وتطاول الى حتى نظرت الى ما تحته من سرجه فخفته فضربت فرسى وتنحيت عنه واشتغل بنظاره الى عن ابنيه فخرجا كالصقرين وحمل قيس بن عازب على بجير بن زيد الخيل بن حارثة بن لأم فضرب به على رأسه ضربة عنق لها بجير فرسه وولى فانهزمت جديلة عند ذلك وقتل فيها قتل ذريع فقال زيد الخيل

بجيء بنى لأم جياد كأنها * عصائب طير يوم طل وحاصب

فان تنج منها الايزل بك شامة * اناحيا بين الشجى والترائب

وفر ابن لأم واتقانا بظهره * يرد عنه بالرمح قيس بن عازب

ونجات بنو معن كأن سيوفهم * مصابيح من سقف فليس بآيب

وما فر حتى أسلم ابن حارس * لوقعة مصقول من البيض قاضب

فلم تبق لجديلة بقية للحرب بعد يوم اليحاميم فدخلوا بلاد كلب فحالفوهم وأقاموا معهم

(يوم ذى طلوح)

وهو يوم الصمد ويوم أود أيضا وهو بين بكر وتميم وكان من حديثه ان عميرة بن طارق بن ارقم اليربوعى التميمى تزوج مرية بنت جابر العجلى أخت أبجر وسار الى عجل ليبتنى بأهله وكان له فى بنى تميم امرأة أخرى تعرف بابنة النطف من بنى تميم فأتى أبجر أخته يزورها وزوجها عندها فقال لها أبجر انى لأرجو أن آتيك بابنة النطف امرأة عميرة فقال له ما أراك تبقى على حتى تسلبنى أهلى فندم أبجر وقال له ما كنت لأغزو قومك ولكننى متأسر فى هذا الحى من تميم وجمع أبجر والحوفزان بن شريك الشيبانى الحوفزان على شيبان وأبجر على اللهازم ووكلا بعميرة من يحرسه لئلا يأتى قومه فينذرهم فسار الجيش فاحتال عميرة على الموكل بحفظه وهرب منه وجد السير الى أن وصل الى بنى يربوع فقال لهم قد غزاكم الجيش من بكر بن وائل فأعلموا بنى ثعلبة بطنا منهم فأرسلوا طليعة منهم فبقوا ثلاثة أيام ووصلت بكر فركبت يربوع والتقوا بذى طلوح فركب عميرة ولقى أبجر فعرفه نفسه والتقى القوم واقتتلوا فكان الظفر ليربوع وانهزمت بكر وأسر الحوفزان وابنه شريك وابن عنمة الشاعر وكان مع بنى شيبان فافتكه عتيم بن نويرة وأسر أكثر الجيش البكرى وقال

قريظة لما نزلوا على حكم سعد ارسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم فجاء على حمار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم او الى خيركم

(وما ورد فى فضل المهاجرين الذين ايد الله بهم الدين رضى الله عنهم) عن صهيب عن ابى بريدة عن ابيه قال انكشف الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء التى اهداها له المقوقس وزيد آخذ بركاب بغلته فقال النبى لزيد ويحك ادع الناس فقال زيد يا أيها الناس هذا رسول الله يدعوكم فلم يات أحد فقال ويحك ادع الناس فنادى يا معشر الانصار هذا رسول الله فلم يأت احد فقال ويحك خص الاوس والخزرج فقال زيد يا معشر الاوس والخزرج فلم يات احد فقال ويحك ناد المهاجرين فان لله فى اعناقهم بيعة فقال يا معشر المهاجرين هذا رسول الله يدعوكم قال بريدة فاقبل منهم طائفة قد

ابن عمة يشكر مقدما

جزى الله رب الناس عنى مقاما * خير الجزاء ما أعف وأجودا
اجيرت به ابناؤنا ودماؤنا * وشارك فى اطلاقنا وتفردا
أبا نهشل انى لكم غير كافر * ولا تارك من دون نعمك المال سرمدا

(يوم أقرن)

قال أبو عبيدة غزا عمرو بن عمرو بن عدس التميمى بنى عبس فأخذ ابلهم واستاق سبيهم وعاد حتى اذا كان أسفل ثنية أقرن نزل وابتنى بجارية من السبى ولحقه الطلب فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل أنس الفوارس بن زياد العبسى عمرا وابنه حنظلة واستردوا الغنيمة والسبى فنعى جرير على بنى دارم ذلك فقال

أتنسون عمرا يوم برقة أقرن * وحنظلة المقتول اذ هو يافعا

وكان عمرو أصلع أبرص وكان هو ومن معه قد أخطؤا ثنية الطريق فى عودهم وسلكوا غير الطريق فسقطوا من الجبل الذى سلكوه فلقوا شدة ففى ذلك يقول عنترة

كأن السرايا يوم نيق وصارة * عصائب طير ينتحين لمشرب
شفى النفس منى أو دنا لشفائها * تهورهم من حالق متصوب
وقد كنت أخشى أن أموت ولم تقم * مراتب عمرو وسط نوح مسلب

وكانت أم سماعة بن عمرو بن عمرو من عبس فزاره خاله فقتله بأبيه فقال فى ذلك مسكين الدارمى

وقاتل خاله بأبيه منا * سماعة لم يبع نسبا بخال

(يوم السلان)

قال أبو عبيدة كان بنو عامر بن صعصعة حلفاء الحمس قريش ومن لهم ولادة والحمس متشددون فى دينهم وكانت عامر أيضا لقاحا لا يدينون للملوك فلما ملك النعمان بن المنذر ملكه كسرى ابرويز كان يجهز كل عام لطيمة وهى التجارة لتباع بعكاظ عرضت بنو عامر لبعض ما جهزه فأخذوه فغضب لذلك النعمان وبعث الى أخيه لامه وهو وبرة بن رومانس الكلبى وبعث الى صنائعه ووضائعه والصنائع من كان يصطنعه من العرب ليغزيه والوضائع هم الذين كانوا أشبه المشايخ وأرسل الى بنى ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم فأتوه فأتاه ضرار بن عمرو الضبى فى تسعة من بنيه كلهم فوارس ومعه حبيش بن دلف وكان فارسا شجاعا فاجتمعوا فى جيش عظيم فجهز النعمان معهم عيرا وأمرهم بتسييرها وقال لهم اذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم ورجع كل قوم الى بلادهم فاقصدوا بنى عامر فانهم قريب بنواحى السلان فخرجوا وكتموا أمرهم وقالوا خرجنا لئلا يعرض أحد للطيمة الملك فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم فأرسل عبد الله بن جدعان قاصدا الى بنى عامر يعلمهم الخبر فسار اليهم وأخبرهم خبرهم فحذروا وتهيؤا للحرب وتحرزوا ووضعوا العيون وعاد عامر عليهم عامر بن مالك ملاعب الاسنة وأقبل الجيش فالتقوا بالسلان فاقتتلوا قتالا شديدا فبينا هم يقتتلون اذ نظر يزيد بن عمرو

القوا الجفون او كسر وها حتى اتوا النبى صلى الله عليه وسلم ثم مشوا قدما ففتح الله عليهم * عن زيد بن سلام انه سمع ابا سلام يقول حدثنى ابو اسماء الرحبى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من اليهود فذكر حديثا اختصرته انا فقال جئتك اسألك فقال صلى الله عليه وسلم سل ما بدا لك فقال اليهودى اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظلمة دون الحشر قال فمن اول من يجوز فقال فقراء المهاجرين قال صدقت ثم ذكر حديثا طويلا * عن ابى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمهاجرين منابر من نور يجلسون عليها يوم القيامة قد امنوا من الفزع

(وما ورد من الاخبار فى فضائل الانصار رضى الله عنهم) عن الحرث بن زياد صاحب رسول الله

ابن خو بلد الصعق الى وبرة بن رومانس أخي النعمان فأعجبه هيئته فحمل عليه فأسره فلما صار في أيديهم هزم الجيش بالهزيمة فنهاهم ضرار بن عمرو الضبي وقام بأمر الناس فقاتل هو وبنوه قتالا شديدا فلما رآه أبو براء عامر بن مالك ما يصنع ببني عامر هو وبنوه حمل عليه وكان أبو براء رجلا شديد الساعد فلما حمل على ضرار اقتتلا فسقط ضرار الى الارض وقاتل عليه بنوه حتى خلصوه وركب وكان شيخا فلما ركب قال من سره بنوه ساءته نفسه فذهبت مثلا يعني من سره بنوه اذا صار وارجالا كبر وضعف فساءه ذلك وجعل أبو براء يلح على ضرار طمعا في فدائه وجعل بنوه يحمونه فلما رأى ذلك أبو براء قال له لتموتن أو لاموتن دونك فاجلني على رجل له فداء فأومأ ضرار الى حبيش بن دلف وكان سيدا فحمل عليه أبو براء فأسره وكان حبيش اسود نحيفا دميما فلما رآه كذلك ظنه عبدا وان ضرارا خدعه فقال انا لله أعزز سائر القوم ألا في الشؤم وقعت فلما سمعها حبيش منه خاف أن يقتله فقال أيها الرجل ان كنت تريد اللبن يعني الابل فقد أصبته فافتدى نفسه بأربعمائة بعير وهزم جيش النعمان فلما رجع الفل اليه أخبروه بأسر أخيه وبقيام ضرار بأمر الناس وما جرى له مع أبي براء وافتدى وبرة بن رومانس نفسه بالف بعير وفرس من يزيد بن الصعق فاستغنى يزيد وكان قبله خفيف الحال وقال لبيد يذكر أيام قومه

إني امرؤ منعت أرومة عامر * ضيمي وقد حنقت علي خصوم

يقول فيها

وغداة قاع القريتين أتاهم * رهوا يلوح خلالها التسويم

بكتائب رجح تعود كبشها * نطح الكباش كأنهن نجوم

قوله قاع القريتين يعني يوم السلان (حبيش بن دلف بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة وبالياء المثناة من تحت انقطتان وآخره شين معجمة)

(يوم ذي علق)

وهو يوم التقى فيه بنو عامر بن صعصعة وبنو أسد بذي علق فاقتتلوا قتالا عظيما فقتل في المعركة ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري أبو لبيد الشاعر وانهزمت عامر فتبعهم خالد بن نضلة الاسدي وابنه حبيب والحرث بن خالد بن المضلل وامعنوا في الطلب فلم يشعروا الا وقد خرج عليهم ابو براء عامر بن مالك من وراء ظهره وهم في نفر من أصحابه فقال لخالد يا ابا معقل ان شئت أجزتنا وأجزناك حتى نحمل جرحانا وندفن قتلانا قال قد فعلت فتواقفوا فقال له أبو براء هل علمت ما فعل ربيعة قال نعم تركته قتيلا قال ومن قتله قال ضربته انا واجهز عليه صامت بن الافقم فلما سمع ابو براء بقتل ربيعة حمل على خالد هو ومن معه فانهزم خالد وصاحباه وأخذوا سلاح حبيب بن خالد ولحقهم بنو أسد فمنعوا أصحابهم وسموهم فقال الجميح

سائل معدا عن الفوارس لا * اوفوا بجيرانهم ولا سلموا

يسعى بهم قرزل ويستمع الناس اليهم وتخفق اللمم

ركضا وقد غادروا ربيعة في الا ثار لما تقارب النسم

في صدره صعدة ويخلجه * بالرمح حران باسلا أضم

صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب الانصار أحبه الله تعالى حين يلقاه ومن أبغض الانصار أبغضه الله تعالى يوم القيامة عن البراء بن عازب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب الانصار فبحبي أحبهم ومن أبغض الانصار فببغضي أبغضهم وعن أنس بن مالك انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار

(وما ورد في فضل جماعة من أعلام الدين الذين اختصهم بالشرف خاتم النبيين رضي الله عنهم)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بامتي ابو بكر وأشدها في دين الله عمر وأصدقها حياء عثمان واقضاهم علي وأفرضهم زيد واقرؤهم ابي واعلمهم بالحلال والحرام معاذ وان لكل امة امينا وامين هذه

قرزل فرس الطفيل والد عامر بن الطفيل وقال لبيد من قصيدة يذكر أباه

ولا من ربيعة المقتر بن ورثته • بذى علق فاقنى حياءك واصبرى

(يوم الرقم)

قال ابو عبيدة غزت عامر بن صعصعة غطفان ومع بنى عامر يومئذ عامر بن الطفيل شابا لم يرأس بعد فبلغوا وادى الرقم وبه بنو مرة بن عوف بن سعد وهم قوم من أشجع بن ذئب بن غطفان وناس من فزارة بن ذبيان فنذروا ببنى عامر وهجمت عليهم بنو عامر بالرقم وهو واد يقرب تضرع فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فاقبل عامر بن الطفيل فرأى امرأة من فزارة فسألها فقالت انا اسماء بنت نوفل الفزارى وقيل كانت اسماء بنت حصن بن حذيفة فبينا عامر يسألها خرج عليه المهزومون من قومه وبنو مرة فى اعقابهم فلما رأى ذلك عامر القى درعه الى اسماء وولى منهزما فأدتها اليه بعد ذلك وتبعتهم مرة وعليهم سنان بن حارثة بن أبى حارثة المرى وجعل الاشجعيون يذبحون كل من أسروه من بنى عامر لوقعة كانت اوقعتها بهم بنو عامر فذلك البطن من بنى اشجع يسمون بنى مذبح ذبحوا سبعين رجلا منهم فقال عامر بن الطفيل يذكر غطفان ويعرض باسماء

قد سالت أسماء وهى خفية • لاصحابها أطردت أم لم أطرد

فلا ابغينكم القنا وعوارضا • ولاقبلن الخيل لابة ضرغد

ولابرزن عمالك وعمالك • واحمى المروءات الذى لم يسند

فى ابيات عدة فلما بلغ شعره غطفان هجاه منهم جماعة وكان نابغة بن ذبيان حينئذ غائبا عند ملوك غسان قد هرب من النعمان فلما آمنه النعمان وعاد سأل قومه عما هجوا به عامر بن الطفيل فانشدوه ما قالوا فيه وما قال فيهم فقال لقد أفحشتم وليس مثل عامر يهجى بمثل هذا ثم قال يخطئ عامرا فى ذكره امرأة من عشائرهم

فان يك عامر قد قال جهلا • فان مطية الجهل الشباب

فانك سوف تحلم أو تناهى • اذا ما شبت أو شاب الغراب

فكن كأبيك أو كأبى براء • توافقك الحكومة والصواب

فلا تذهب بحلمك طامسات • من الخيلاء ليس لهن باب

الى آخرها فلما سمعها عامر قال ما هجيت قبلها

(يوم ساحوق)

قال أبو عبيدة غزت بنو ذبيان بنى عامر وهم بساحوق وعلى ذبيان سنان بن أبى حارثة المرى وقد سيرهم وأعطاهم الخيل والابل وزودهم فاصابوا نعما كثيرة وعادوا فلحقهم بنو عامر واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت بنو عامر واصيب منهم رجال وركبوا الفلاة فهلك أكثرهم عطشا وكان الحر شديدا وجعلت ذبيان تدرك الرجل منهم فيقولون له ق نفسك وضع سلاحك فيفعل وكان يوما عظيما على عامر وانهزم عامر بن الطفيل واخوه الحكم ثم ان الحكم ضعف وخاف ان يؤسر فجعل فى عنقه حبلا وصعد الى شجرة وشده ودلى نفسه فاختنق وفعل مثله رجل من بنى غنى فلما القى نفسه ندم فاضطرب

قوله ولا من ربيعة الشطر كذا بالاصل ولا يخفى ما فيه

الامة ابو عبيدة بن الجراح عن النزال بن سبرة الهلالى قال وافقنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ذات يوم طيب نفس وفرح فقلنا يا امير المؤمنين حدثنا عن طلحة بن عبيد الله قال ذاك امرؤ نزلت فيه آية من كتاب الله فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر طلحة بن عبيد الله منهم لا حساب عليه فى المستقبل قلنا يا امير المؤمنين حدثنا عن الزبير بن العوام قال ذاك امرؤ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل نبى حوارى وحوارى الزبير قلت حدثنا عن حذيفة قال ذاك امرؤ عرف المعضلات والمعضلات وعلم اسماء المنافقين ان تسألوه عنها تجدوه بها عالما قلنا فحدثنا عن أبى ذر قال ذاك امرؤ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذى لهجة اصدق من أبى ذر طلب شيأ من الزهد عجز عنده الناس قلت يا أمير المؤمنين حدثنا عن سلمان

فادركوه وخلصوه وعيروه بجزعه وقال عروة بن الورد العبسي في ذلك

ونحن صبحنا عامرا في ديارها * علالة ارماح وضربا مذكرا
بكل رقاق الشفرتين مهند * ولدن من الخطى قد طرّ اسمرا
عجبت لهم اذ يخنقون نفوسهم * ومقتلهم اذ يلتقى كان اعذرا

(يوم أعيار ويوم النقيعة)

كان المثلم بن المشجر العائذى ثم الضبى مجاورا لبنى عبس فقامر هو وعمارة بن زياد وهو احد الكملة فقمره عمارة حتى اجتمع عليه عشرة ابكر فطلب منه المثلم ان يخلى عنه حتى يأتى أهله فيرسل اليه بالذى له فأبى ذلك فرهنه ابنه شرحاف بن المثلم وخرج المثلم فأتى قومه فأخذ البكارة فأتى بها عمارة وافتك ابنه فلما انطلق بابنه قال له فى الطريق يا أبتاه من معضال قال ذلك رجل من بنى عمك ذهب فلم يوجد الى الساعة قال شرحاف فانى قد عرفت قاتله قال ابوه ومن هو قال عمارة بن زياد سمعته يقول للقوم يوما وقد أخذ فيه الشراب انه قتله ولم يلق له طالبا ولبثوا بعد ذلك حينا وشب شرحاف ثم ان عمارة جمع جمعا عظيما من عبس وغار بهم على بنى ضبة فاخذوا ابلهم وركبت بنو ضبة فادركوهم فى المرعى فلما نظر شرحاف الى عمارة قال يا عمارة اتعرفنى قال من أنت قال انا شرحاف أدّ الى ابن عمى معضالا لا مثل له يوم قتلته وحمل عليه فقتله واقتتلت ضبة وعبس قتالا شديدا واستنقذت ضبة الابل وقال شرحاف

الا ابلغ سراة بنى بغيض * بما لاقت سراة بنى زياد
وما لاقت جذيمة اذ تحامى * وما لاقى الفوارس من بجاد
تركنا بالنقيعة آل عبس * شعاعا يقتلون بكل واد
وما ان فاتنا الا شريد * يؤم القفر فى تيه البلاد
فسل عنا عمارة آل عبس * وسل ورداوما كل بداد
تركتهم بوادى البطن رهنا * لسيدان القرارة والجلاد

(يوم النباة)

قال أبو عبيدة خرجت بنو عامر تريد غطفان لتدرك بثارها يوم الرقم ويوم ساحوق فصادفت بنى عبس وليس معهم احد من غطفان وكانت عبس لم تشهد يوم الرقم ولا يوم ساحوق مع غطفان ولم يعينوهم على بنى عامر وقيل بل شهدها أشجع وفزارة وغيرهما من بنى غطفان على ما نذكره قال وأغارت بنو عامر على نعم بنى عبس وذبيان واشجع فأخذوها وعادوا متوجهين الى بلادهم فضلوا فى الطريق فسلكوا وادى النباة فامتنعوا فيه ولا طريق لهم ولا مطلع حتى قاربوا آخره وكاد الجبلان يلتقيان اذا هم بامرأة من بنى عبس تخبط الشجر لهم فى قلة الجبل فسألوها عن المطلع فقالت لهم الفوارس المطلع وكانت قد رأت الخيل قد اقبلت وهى على الجبل ولم يرها بنو عامر لانهم فى الوادى فارسلوا رجلا الى قلة الجبل ينظر فقال لهم أرى قوما كأنهم الصبيان على متون الخيل أسنة رماحهم عند آذان خيلهم قالوا تلك فزارة قال وأرى قوما بيضا جعادا كان عليهم ثيابا حمرا قالوا

القارسى قال ذاك امرؤ منا أهل البيت ادرك علم الاولين وعلم الآخرين من لكم بلقمان الحكيم قلت فحدثنا عن ابن مسعود قال ذاك امرؤ قرأ القرآن فعلم حلاله وحرامه وعمل بما فيه قلت فحدثنا عن عمار بن ياسر قال ذاك رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمار خالط الله الايمان ما بين قرنه الى قدمه بلحمه ودمه يدور مع الحق حيثما دار وليس ينبغى للنار ان تأكل منه شيأ رضى الله عنهم عن عبادة ابن الصامت قال خلوت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أى أصحابك احب اليك حتى احب من تحب فقال صلى الله عليه وسلم اكتم على يا عبادة حياتى فقلت نعم قال أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم سكت قال قلت ثم من يا رسول الله قال من عسى ان يكون الا الزبير وطلحة وسعدا وسعيدا وأبا عبيدة ومعاذ بن جبل وأبا طلحة وأبا أيوب وأنت يا عبادة وأبى بن كعب وأبا

تلك أشجع قال وأرى قوما نسورا قد قلعوا خيولهم بيداهم كاعباء ملوتها حملا بأفخاذهم آخذين بعوامل رماحهم يجزونهم افالوا تلك عبس أتانا ثم الموت الزؤام ولحقهم الطلب بالوادي فكان عامر بن الطفيل أول من سبق على فرسه الورد فثاب القوم وأعيا فرسه الورد وهو المربوق أيضا فعقره لئلا تفضحه فزارة واقتتل الناس ودام القتال بينهم وانهزمت عامر فقتل منهم مقتلة كبيرة قتل فيها من اشرافهم البراء بن عامر بن مالك وبه يكنى أبوه وقتل نهشل وانس وهرار بنو مرة بن انس بن خالد بن جعفر وقتلوا عبد الله بن الطفيل أخا عامر قتله الربيع بن زياد العبسي وغيرهم كثير ووقعت الهزيمة على بني عامر

(يوم الفرات)

قال أبو عبيدة اغار المثنى بن حارثة الشيباني وهو ابن أخت عمران بن مرة على بني تغلب وهم عند الفرات وذلك قبيل الاسلام فظفر بهم فقتل من اخذ من مقاتلتهم وغرق منهم ناس كثير في الفرات وأخذ أموالهم وقسمها بين أصحابه فقال شاعرهم في ذلك

ومنا الذي غشى الدليكة سيفه * على حين ان أعيا الفرات كتائبه
ومنا الذي شد الركي ليستقي * ويسقي محضا غير ضاف جوانبه
ومنا غريب الشام لم يرمثله * أفك لعان قد تناءى أقاربه

الدليكة فرس المثنى بن حارثة والذي شد الركي مرة بن همام وغريب الشام ابن القلوص ابن النعمان بن ثعلبة

(يوم بارق)

قال المفضل الضبي ان بني تغلب والنمر بن قاسط وناسا من تميم اقتتلوا حتى نزلوا ناحية بارق وهي من أرض السواد وارملوا وفد امنهم الى بكر بن وائل يطلبون اليهم الصلح فاجتمعت شيبان ومن معهم وأرادوا قصد تغلب ومن معهم فقال زيد بن شريك الشيباني انى قد ابرت اخوالي وهم النمر بن قاسط فامضوا بجواره وساروا واوقعوا ببني تغلب وتميم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم تصب تغلب بمثلها واقتسموا الاسرى والاموال وكان من اعظم الايام عليهم قتل الرجال ونهب الاموال وسبي الحريم فقال ابو كلابة الشيباني

وليلة بسعادى لم تدع سندا * لتغلبي ولا انفا ولا حسبا
والنمريون لولا سرمن ولدوا * من آل مرة شاع الحي منتهبا

(يوم طخفة)

وهو ليني يربوع على عساكر النعمان بن المنذر قال ابو عبيدة وكان سبب هذه الحرب ان الردافة وهي بمنزلة الوزارة وكان الرديف يجلس عن يمين الملك كانت لبني يربوع من تميم يتوارثونها صغيرا عن كبير فلما كانت أيام النعمان وقيل أيام ابنه المنذر سأله حاجب بن زرارة الدارمي التميمي النعمان ان يجعلها للحرث بن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع الدارمي التميمي فقال النعمان لبني يربوع في هذا وطلب منهم أن يجيبوا الى ذلك فامتنعوا وكان منزلهم اسفل طخفة فحيث امتنعوا من ذلك بعث اليهم النعمان قابوس ابنه وحسانا اخاه ابني المنذر قابوس على الناس وحسان على المقدمة وضم اليهما جيشا

الدرداء وابن مسعود وابن عوف ثم هؤلاء الرهط ما عسى يقولون في سعد بن ابي وقاص سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يوما وقد اوتر قوسه أربع عشرة مرة يرفعها ويقول ارم فداك ابي وامي ما عسى يقولون في عبد الرحمن ابن عوف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في منزل فاطمة رضي الله عنها والحسن والحسين يبكيان جوعا ويتضرعان فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشيء فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفة فيها حيسة ورغيفان بينهما اهالة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كفاك الله امر دنياك فاما آخرتك فانا لها ضامن

(وبقية ما ورد في عمار عن النبي المختار)

صلى الله عليه وسلم انه قال لعمار ابن ياسر تقتلك الفئة الباغية واستسقى يوم صفين فاتى بقعب فيه لبن فلما نظر اليه كبر ثم قال اخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آخر رزقي من الدنيا ضياح لبن في هذا القعب ثم حمل فلم يثن

كثيفا منهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم فساروا حتى أتوا طخفة فالتقوا هم
ويربوع واقتتلوا وصبرت يربوع وانهزم قابوس ومن معه وضرب طارق أبو عميرة فرس
قابوس فعقره وأسره وأراد أن يجز ناصيته فقال ان الملوك لا تجز نواصيها فأرسله واما
حسان فأسره بشر بن عمرو بن جوين فمن عليه وأرسله فعاد المنهزمون الى النعمان وكان
شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي عند الملك فقال له يا شهاب أدرك ابني وأخي فان
أدركتهما حيين فلبني يربوع حكمهم وأرد عليهم ردافتهم واترك لهم من قتلوا وما غنموا
وأعطيهم ألفي بعير فسار شهاب فوجدهما حيين فاطلقهما ووفى الملك لبني يربوع بما قال
ولم يعرض لهم في ردافتهم وقال مالك بن نويرة

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما * رأى القوم منه الموت والخيل تلحب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه * جراز من الهندي أبيض مقضب
طلبنا بها انا مداريك نيلها * اذا طلب الشأو البعيد المغرب

(يوم النباج وثيتل)

قال أبو عبيدة غزا قيس بن عاصم المنقري ثم التميمي مقاعس وهم بطون من تميم وهم
صريم وربيع وعبيد بنو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد وغزا معه سلامة بن ظرب
الحماني في الاحارث وهم بطون من تميم ايضا وهم حمان وربيعة ومالك والاعرج بنو كعب
ابن سعد فغزوا بكر بن وائل فوجدوا اللهازم وهم بنو قيس وتيم اللات ابناء ثعلبة بن
عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومعهم بنو ذهل بن ثعلبة وعجل بن لجيم وعنزة بن
اسد بن ربيعة بالنباج وثيتل وبينهما روحة فاغار قيس على النباج ومضى سلامة الى ثيتل
ليغير على من بها فلما بلغ قيس الى النباج سقى خيله ثم أراق ما معهم من الماء وقال لمن معه
قاتلوا فالموت بين ايديكم والفلاة من ورائكم فاغار على من به من بكر صبحا فقاتلوهم
قتالا شديدا وانهزمت بكر وأصيب من غنائمهم ما لا يحد كثرة فلما فرغ قيس من النهب
عاد مسرعا الى سلامة ومن معه نحو ثيتل فادركهم ولم يغر سلامة على من به فاغار عليهم
قيس ايضا فقاتلوه وانهزموا وأصاب من الغنائم نحو ما أصاب بالنباج وجاء سلامة فقال
اغرتم على من كان لي فتنازعوا حتى كاد الشر يقع بينهم ثم اتفقوا على تسليم الغنائم اليه
ففي ذلك يقول ربيعة بن طريف

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم * فأنت لنا عز عزيز ومعقل
وانت الذي حويت بكر بن وائل * وقد عضلت بها النباج وثيتل

وقال قرة بن زيد بن عاصم

انا ابن الذي شق المرار وقد رأى * بثيتل احياء اللهازم حضرا
فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * فلم يجدوا الا الاسنة مصدرا
سقاهم بها الذيفان قيس بن عاصم * وكان اذا ما اورد الامر اصدرا
على الجرد يعلكن الشكيم عوابسا * اذا الماء من اعطافهن تحدرا
فلم يرها الراؤن الا فجاءة * يثرن عجاجا كالدواخن اكدرا *

حتى قتل

(وما ورد في جابر بن عبد الله رضي الله عنه)

قال جابر لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال مالي اراك منكسرا قلت استشهد ابي يوم أحد وترك عيالا ودينا فقال ألا أبشرك بما لقي الله به أباك قلت بلى قال ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه أحياه فكلمه كفاحا فقال يا عبدي تمن علي أعطك فقال يا رب تحييني فاقتل ثانيا قال سبحانه انه قد سبق مني أنهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء

(وما ورد في فضل الصحابة أولي الفضل والانابة رضوان الله عليهم أجمعين)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه عن جابر بن

وجران اذته البنان واعشا * فنازع غلاق ذراعيه امرا

ثيتل بالثاء المثلثة المفتوحة والياء المسكنة المثناة من تحتها او التاء المثناة من فوقها

(يوم فلج)

قال ابو عبيدة هذا يوم لبكر بن وائل على تميم وسببه ان جماعة من بكر ساروا الى الصعاب فشتوا بها فلما انقضى الربيع انصرفوا فنزلوا بالدو فلقوا ناسا من بني تميم من بني عمرو وحنظلة فاغاروا عليهم كثيرا منهم ومضوا واتى بني عمرو وحنظلة الصريخ فاستجاشوا اقومهم فاقبلوا في آثار بكر بن وائل فساروا يومين وليلة حتى جهدهم السير وانحدروا في بطن فلج وكانوا قد خلفوا رجلين على فرسين ابقين ربيئة ليخبراهم بخبرهم ان ساروا اليهم فلما وصلت تميم الى الرجلين اجريا فرسيهما وسارا مجدين فانذراقومهما فاتاهم الصريخ بمسير تميم عندوصولهم الى فلج فضرب حنظلة بن يسار العجلي قبته ونزل فنزل الناس معه وتهيؤا للقتال معه ولحقت بنو تميم فقاتلتهم بكر بن وائل قتالا شديدا وحمل عرفجة بن بجير العجلي على خالد بن مالك بن سلمة التميمي فطعنه وأخذه اسيرا وقتل في المعركة ربعي بن مالك بن سلمة فانهزمت تميم وبلغت بكر بن وائل منها ما أرادت ثم ان عرفجة اطلق خالد بن مالك وجز ناصيته فقال خالد

وجدنا الرفد رفد بني لجيم * اذا ما قلت الا رفاد زادا
هم ضربوا القباب ببطن فلج * وذادوا عن محارمهم ذيادا
وهم منوا علي واطلقوني * وقد طاوعت في الجذب القيادا
اليسوا خير من ركب المطايا * واعظمهم اذا اجتمعوا رمادا
اليس هم عماد الحي بكرا * اذا نزلت مجللة شدادا

وقال قيس بن عاصم يعير خالدا

لو كنت حرا يا ابن سلمى بن جندل * نهضت ولم تقصد لسلمى بن جندل
فيا بال أصداء بفلج غريبة * تنادى مع الاطلال بالابن حنظل
صوادى لامولى عزيز يجيبها * ولا لامرئ تسقى صداها بمنهل
وغادرت ربعيا بفلج ملحبا * وأقبلت في اولى الرعيل المعجل
تزامل من خوف الردى لاوقيته * كما زالت الكدراء من خين اجدل

يعيره بانه لم يأخذ بثار اخيه ربعي ومن قتل معه يوم فلج ويقول ان أصداءهم تنادي ولا يسقيها احد على مذهب الجاهلية ولولا التطويل لشرحناه أبين من هذا

(يوم الشيطين)

قال أبو عبيدة كان الشيطان لبكر بن وائل فلما ظهر الاسلام في نجد سارت بكر قبل السواد وبقي مقايس بن عمرو العائذي ابن عائذة من قريش حليف بني شيبان بالشيطين فلما اقامت بكر في السواد لحقهم الوباء والطاعون الذي كان ايام كسرى شيرويه فعادوا هاربين فنزلوا اللعلع وهي مجدبة وقد اخصب الشيطان فسارت تميم فنزلوا بها وبلغت اخبار خصب الشيطين الى بكر فاجتمعوا وقالوا نغير على تميم فان في دين ابن عبد المطلب يعنون

عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمس النار مسلما رآني او رأى من رآني وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه

(ذكر أهل الصفة)

وهم من الصحابة رضي الله عنهم وكانوا ناسا فقراء لا منازل لهم ولا عشائر ينامون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ويظلون فيه وكانت صفة المسجد مثواهم فنسبوا اليها وكان اذا تعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو منهم طائفة يتعشون معه ويفرق منهم طائفة على أصحابه ليعشوهم وكان من مشاهيرهم أبو هريرة وواثلة بن الاسقع وابو ذر الغفاري * عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال

النبي

النبي ان من قتل نفسا قتل بها فغير هذه الغارة ثم نسلم عليها فارة لواءمن لعلع بالذراري والاموال وريئسهم بشر بن مسعود بن قيس بن خالد فأتوا الشيطين فى أربع ليال والذى بينهما مسيرة ثمان ليال فسبقوا كل خبر حتى صبحوهم وهم لا يشعرون فقاتلوهم قتالا شديدا وصبرت تميم ثم انهزمت فقال رشيد بن رميض العنبرى يفخر بذلك

وما كان بين الشيطين ولعلع * لنسوتنا الا مناقل اربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله * يكاد له ظهر الوديعة يطلع
بأرعن دهم تنسل البلق وسطه * له عارض فيه المنية تلمع
صبحنا به سعدا وعمرا ومالكا * فظل لهم يوم من الشر أشنع
وذا حسب من آل ضبة غادروا * يجرى كما يجرى الفصيل المقرع
تقسمع يربوع بسرة ارضنا * وليس ليربوع بها متقمع

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى بكر بن وائل على ما بايديهم (الشيطين بالشين المعجمة والياء المشددة المثناة من تحتها وبالطاء المهملة آخره نون)

(أيام الانصار وهم الاوس والخزرج التى جرت بينهم)

الانصار لقب قبيلتى الاوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان لقبهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر اليهم ومنعوه ونصروه وام الاوس والخزرج قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد ولذلك يقال لهم ابناء قيلة وانما لقب ثعلبة العنقاء لطول عنقه ولقب عمرو مزيقياء لانه كان يمزق عنه كل يوم حلة لئلا يلبسها احد بعده ولقب عامر ماء السماء لسماحته وبذله كأنه ناب مناب المطر وقيل لشرفه ولقب امرؤ القيس البطريق لانه أول من استعان به بنو اسرائيل من العرب بعد بلقيس فبطرقه رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام فقيل له البطريق وكانت مساكن الازد بمارب من اليمن الى ان أخبر الكهان عمرو بن عامر مزيقياء ان سيل العرم يخرب بلادهم ويغرق أكثر اهلها عقوبة لهم بتكذيبهم رسل الله تعالى اليهم فلما علم ذلك عمرو باع ماله من مال وعقار وسار عن مأرب هو ومن تبعه ثم تفرقوا فى البلاد فسكن كل بطن ناحية اختاروها فسكنت خزاعة الحجاز وسكنت غسان الشام ولما سار ثعلبة بن عمرو بن عامر فيمن معه الحجاز واى المدينة وكانت تسمى يثرب فتخلف بها الاوس والخزرج ابنا حارثة فيمن معهما وكان فيها قرى واسواق وبها قبائل من اليهود من بنى اسرائيل وغيرهم منهم قريظة والنضير وبنو قينقاع وبنو ماسلة وزعورا وغيرهم وقد بنوا لهم حصونا يجتمعون بها اذا خافوا فنزل عليهم الاوس والخزرج فابتنوا المساكن والحصون الا ان الغلبة والحكم لليهود الى ان كان من الفطيون ومالك بن العجلان ما نذكره ان شاء الله تعالى فعادت الغلبة للاوس والخزرج ولم يزالوا على حال اتفاق واجتماع الى ان حدث بينهم حروب سنذكرها على ما نذكره ان شاء الله تعالى

رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن احد من أصحابي يموت بأرض الابعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة * عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابي شيأ فانى أحب ان أخرج اليكم وأنا سليم الصدر قال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد ورد ان جبريل عليه السلام جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين او كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم اطلع الله على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

(الباب الخامس فى ذكر خلفاء بنى أمية ومن وصف منهم باخلاق سنية)

وهم قسمان (القسم الاول) الخلفاء المقيمون بالشام وعددهم اربعة عشر خليفة ومدة خلافتهم نيف وثمانون سنة وهى الف شهر

•(ذكر غلبة الانصار على المدينة وضعف امر اليهود بها وقتل الفطيون)•

قد ذكرنا ان الاستيلاء كان لليهود على المدينة لما نزلها الانصار ولم يزل الامر كذلك الى ان ملك عليهم الفطيون اليهودي وهو من بني اسرائيل ثم من بني ثعلبة وكان رجل سوء فاجرا وكانت اليهود تدين له بأن لا تزوج امرأة منهم الا دخلت عليه قبل زوجها وقيل انه كان يفعل ذلك بالاوس والخزرج أيضا ثم ان اخت مالك بن العجلان السالمي الخزرجي تزوجت فلما كان زفافها خرجت من مجلس قومها وفيه أخوها مالك وقد كشفت عن ساقيها فقال لها مالك لقد جئت بسوء قالت الذي يراد بي الليلة أشد من هذا ادخل على غير زوجي ثم عادت فدخلت عليه اخوها فقال لها هل عندك من خير قالت نعم ما عندك قال أدخل مع النساء فاذا خرجن ودخل عليك قتلته قالت افعل فلما ذهب بها النساء الى الفطيون انطلق مالك معهن في زي امرأة ومعه سيفه فلما خرج النساء من عندها ودخل عليها الفطيون قتله مالك وخرج هاربا فقال بعضهم في ذلك من ابيات

هل كان للفطيون عقر نسائكم • حكم النصيب فبئس حكم الحاكم
حتى حباه مالك بمرشة • حمراء تضحك عن نجيع قاتم

ثم خرج مالك بن العجلان هاربا حتى دخل الشام فدخل على ملك من ملوك غسان يقال له ابو جبيلة واسمه عبيد بن سالم بن مالك بن سالم وهو احد بني غضب بن جشم بن الخزرج وكان قد ملكهم وشرف فيهم وقيل انه لم يكن ملكا وانما كان عظيما عند ملك غسان وهو الصحيح لان ملوك غسان لم يعرف فيهم هذا وهو أيضا من الخزرج على ما ذكرنا فلما دخل عليه مالك شكا اليه ما كان من الفطيون واخبره بقتله وانه لا يقدر على الرجوع فعاهد الله أبو جبيلة أن لا يمس طيبا ولا يأتي النساء حتى يذل اليهود ويكون بكر الاوس والخزرج اعز أهلها ثم سار من الشام في جمع كثير واظهر انه يريد اليمن حتى قدم المدينة فنزل بذي حرض واعلم الاوس والخزرج ما عزم عليه ثم ارسل الى وجوه اليهود يستدعيهم اليه واظهر لهم انه يريد الاحسان اليهم فأتاه اشرافهم في حشمهم وخاصتهم فلما اجتمعوا ببابه امر بهم فأدخلوا رجلا رجلا وقتلهم عن آخرهم فلما فعل بهم ذلك صارت الاوس والخزرج اعز أهل المدينة وشاركوا اليهود في النخل والدور ومدح الرمق بن زيد الخزرجي ابا جبيلة بقصيدة منها

وابو جبيلة خير من • يمشي واوفاه يمينا
وأبرهم برا وأعـ • ـلمهم بهدي الصالحينا
ابقت لنا الايام والـ • ـحرب المهمة تعترينا
كبشا له قرن يعضـ • ـض حسامه الذكر السنينا

فقال له أبو جبيلة عسل طيب في وعاء سوء وكان الرمق رجلا ضئيلا فقال الرمق انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ورجع ابو جبيلة الى الشام (حرض بضم الحاء والراء المهملتين وآخره ضاد معجمة)

•(حرب سمير)•

(والقسم الثاني) الخلفاء الذين أقاموا بالمغرب فأما الخلفاء المقيمون بالشام فهم عدة فصول

•(الفصل الاول في ذكر معاوية ابن أبي سفيان)•

ابن صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ولد بالخيف من منى وامه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وكنيته أبو عبد الرحمن اسلم قبل أبيه وقيل اسلم هو وأبوه يوم فتح مكة وشهد حنينا وكان من المؤلفة قلوبهم وكان رجلا طويلا أبيض جميلا مهيبا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينظر اليه فيقول هذا كسرى العرب كان نقش خاتمه رب اغفر لي وكان أحد كتاب الوحي روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وثلاثة وستون حديثا روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو الدرداء وجرير البجلي والنعمان بن بشير وغيرهم وقد ورد في فضله أحاديث قلما تثبت أخرجها الترمذي وحسنها

ولم يزل الانصار على حال اتفاق واجتماع وكان اول اختلاف وقع بينهم وحرب كانت لهم
حرب سمير وكان سببها ان رجلا من بنى ثعلبة من سعد بن ذبيان يقال له كعب بن العجلان
نزل على مالك بن العجلان السالمى فحالفه واقام معه فخرج كعب يوما الى سوق بنى قينقاع
فرأى رجلا من غطفان معه فرس وهو يقول ليأخذ هذا الفرس اعز أهل يثرب فقال
رجل فلان وقال رجل آخر احيحة بن الجلاح الاوسى وقال غيرهما فلان بن فلان اليهودى
أفضل أهلها فدفع الغطفانى الفرس الى مالك بن العجلان فقال كعب الم أقل لكم ان
حليفى مالكا أفضلكم فغضب من ذلك رجل من الاوس من بنى عمرو بن عوف يقال له سمير
وشتمه وافترقا وبقى كعب ماشاء الله ثم قصد سوقا لهم بقباء فقصده سمير ولازمه حتى خلا
السوق فقتله وأخبر مالك بن العجلان بقتله فارسل الى بنى عمرو بن عوف يطلب قاتله
فارسلوا انا لاندرى من قتله وترددت الرسل بينهم هو يطلب سميرا وهم ينكرون قتله ثم
عرضوا عليه الدية فقبلها وكانت دية الحليف فيهم نصف دية النسيب منهم فأبى مالك الا
اخذ دية كاملة وامتنعوا من ذلك وقالوا نعطى دية الحليف وهى النصف ولج الامر بينهم
حتى ادى الى المحاربة فاجتمعوا والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وافترقوا ودخل فيها سائر
بطون الانصار ثم التقوا مرة اخرى واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وكان الظفر يومئذ
للاوس فلما افترقوا ارسلت الاوس الى مالك يدعونه الى ان يحكم بينهم المنذر بن حرام
النجارى الخزرجى جد حسان بن ثابت بن المنذر فاجابهم الى ذلك فاتوا المنذر فحكم بينهم
المنذر بان يدوا كعبا حليف مالك دية الصريح ثم يعودون الى سنتهم القديمة فرضوا بذلك
وحملوا الدية وافترقوا وقد نشبت البغضاء فى نفوسهم وتمكنت العداوة بينهم

(ذكر حرب كعب بن عمرو المازنى)

ثم ان بنى جحجبا من الاوس وبنى مازن بن النجار من الخزرج وقع بينهم حرب كان سببها
ان كعب بن عمرو المازنى تزوج امرأة من بنى سالم فكان يختلف اليها فامر أحيحة بن
الجلاح سيد بنى جحجبا جماعة فرصدوه حتى ظفروا به فقتلوه فبلغ ذلك اخاه عاصم بن عمرو
فامر قومه فاستعدوا للقتال وارسل الى بنى جحجبا يؤذنهم بالحرب فالتقوا بالرحابة
فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت بنو جحجبا ومن معهم وانهزم معهم أحيحة فطلبه عاصم بن
عمرو فادركه وقد دخل حصنه فرماه بسهم فوقع فى باب الحصن فقتل عاصم اخا لاحيحة
فمكثوا بعد ذلك ليالى فبلغ احيحة ان عاصما يتطلبه ليجد له غرة فيقتله فقال احيحة

نبئت انك جئت تسرى بين دارى والقبابه
فلقد وجدت بجانب الضحيان شيبانا مهابه
فتيان حرب فى الحديد وشامرين كأسد غابه
هم نكبوك عن الطريق فبت تركب كل لابه
أعصيم لا تجزع فان الحرب ليست بالدعابه
فانا الذى صبحتكم * بالقوم اذ دخلوا الرحابه
وقتلت كعبا قبلها * وعلوت بالسيف الذؤابه

عن عبد الرحمن بن أبى عميرة الصحابى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
قال لمعاوية اللهم اجعله هاديا
مهديا * واخرج أحمد فى مسنده
عن العرباض بن سارية قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم علم معاوية الكتاب
والحساب وقه العذاب * واخرج
ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى
فى الكبير عن عبد الملك بن عميرة
قال قال معاوية مازلت اطمع فى
الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت
فاحسن * ولما خلع الحسن رضى
الله عنه نفسه من الخلافة
واستقام له الملك وصفت له
الخلافة وكان قد بويع له
بالخلافة يوم التحكيم بايعه اهل
الشام واختلف عليه أهل العراق
الى ان صالحه الحسن رضى الله
عنه وسلم اليه الخلافة فى شهر
ربيع الاول سنة احدى وأربعين
فسمى عام الجماعة لان الامة
اجتمعت على امام واحد فبايعوه
وكان قبل ذلك عاملا لعمر رضى

فاجابه عاصم

ابلغ أحيحة ان عرضت بداره * حتى جوابه
وانا الذي أعلقته * عن مقعد الهي كلابه
ورميته سهما فاخطأه * واغلق ثم بابه

في أبيات ثم ان أحيحة اجمع ان يبيت بني النجار وعنده سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية وهي ام عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم فارضيت فلما جنهم الليل وقد سهرت مع احيحة فنام فلما نام سارت الى بني النجار فاعلمتهم ثم رجعت فحذروا وغدا احيحة بقومه مع الفجر فلقيهم بنو النجار في السلاح فكان بينهم شيء من قتال وانحاز احيحة وبلغه ان سلمى اخبرتهم فضربها حتى كسر يدها واطلقها وقال ابياتا منها

لعمرابيك ما يغني مكاني * من الحلفاء آكلة غفول
تزرم لاتقلص مشمعلا * مع الفتيان مضجعه ثقيل
تنزع للجليلة حيث كانت * كما ينتاد اقحمه الفصيل
وقد اعددت للعدوان حصنا * لو ان المرء ينفعه العقول
جلاه القين ثمت لم تخنه * مضاربه ولا لطته فلول
فهل من كاهن آوي اليه * اذا ما حان من آل نزول
يراهنني ويرهنني بنيه * وارهنه بني بما اقول
فما يدري الفقير متى غناه * وما يدري الغني متى يعيل
وما تدري وان اجمعت امرا * بأي الارض يدركك المقيل
وما تدري وان انتجت سقبا * لغيرك ام يكون لك الفصيل
وما ان اخوة كثروا وطابوا * بنافسة وامهم هبول
ستشكل او بفارة ما ابرها * بموت او يجيء لهم قتول

•(ذكر الحرب بين بني عمرو بن عوف وبني الحرث وهو يوم السرارة)•

ثم ان بني عمرو بن عوف من الاوس وبني الحرث من الخزرج كان بينهما حرب شديدة وكان سببها ان رجلا من بني عمرو قتله رجل من بني الحرث فعدا بنو عمرو على القاتل فقتلوه غيلة فاستكشف أهله فعلموا كيف قتل فتهيؤا للقتال وارسلوا الى بني عمرو بن عوف يؤذنونهم بالحرب فالتقوا بالسرارة وعلى الاوس حضير بن سماك والد أسيد بن حضير وعلى الخزرج عبد الله بن سلول أبو الحباب الذي كان رأس المنافقين فاقتتلوا قتالا شديدا صبر بعضهم لبعض أربعة ايام ثم انصرفت الاوس الى دورها فتفخرت الخزرج بذلك وقال حسان بن ثابت في ذلك

فدى لبني النجار امي وخالتي * غداة لقوهم بالمثقفة السمر
وصرم من الاحياء عمرو بن مالك * اذا ما دعوا كانت لهم دعوة النصر
فوالله لا أنسى حياتي بلاءهم * غداة رموا عمرا بقاصمة الظهر

وقال حسان أيضا

الله ه استعمله على امارة دمشق فلم يزل واليا على الشام عشرين سنة وذلك بقية خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما وفي خلافة علي رضي الله عنه لما عزله صار متغلبا عليها وكان متسعا في ماكله ومشربه وملبسه وكان من الموصوفين بالدهاء والحلم وكان يضرب بحلمه المثل وقد افرد ابن أبي الدنيا وأبو بكر بن عاصم تصنيفا في حلمه ثم انه حج سنة احدى وخمسين فلما قدم المدينة لقيه أبو قتادة الانصاري فقال له معاوية تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الانصار فقال لم يكن لنا دواب قال فاين النواضح قال عقرناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وله اخبار كثيرة في الحلم ولم نذكر في هذا الكتاب ما شجر بينه وبين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما يتطرق للنفوس الضعيفة وأهل الاهواء من البغض لمعاوية رضي الله عنه ونكف عن حرب الصحابة فالذي جرى بينهم كان اجتهادا مجردا

لعمر أبيك الخير بالحق مانبا * على لساني في الخطوب ولا يدي
لساني وسيفي صارمان كلاهما * ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي
فلا الجهد يفنيني حياتي وحفظتي * ولا وقعات الدهر فلان مبردي
أكثر أهلي من عيال سواهم * واطوي على الماء القراح المبرد

(ومنها)

واني لمنضاء المطي على الوجي * واني لـــتزال لما لم أعوّد
واني لقوّال لذي اللوث مرحبا * واهلا اذا ما ريع من كل مرصد
واني ليدعوني الندى فاجيبه * واضرب بيض العارض المتوقد
فلا تعجلن ياقيس واربع فانما * قصارك ان تلقى بكل مهند
حسام وارماح بايدي اعزة * متى ترهم ياابن الخطيم تلبد
اسود لدى الاشبال يحمي عرينها * مداعيس بالخطي في كل مشهد

وهي أبيات كثيرة فاجابه قيس بن الخطيم

تروح عن الحسناء ام أنت مغتدي * وكيف انطلاق عاشق لم يزود
تراءت لنا يوم الرحيل بمقلتي * شريد بملتف من السدر مفرد
وجيد كجيد الريم حال يزينه * على النحر ياقوت وفص زبرجد
كأن الثريا فوق ثغرة نحرها * توقد في الظلماء أي توقـــــد
ألا ان بين الشرعبين ورائج * ضرابا كتصديم السيال المعضد
لنا حائطان الموت اسفل منهما * وجمع متى تصرخ بيثرب يصعد
ترى اللابة السوداء يحمر لونها * ويسهل منها كل ربع وفدفد
فاني لاغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضلالا وليس بمهتد
فما عمر اثورا شقيا مرهطا * ألد كأن رأسه رأس اصيد
كثير المنى بالزاد لا صبر عنده * اذا جاع يوما يشتكيه ضحى الغد
وذي شيمة عسراء خالف شيمتي * فقلت له دعني ونفسك أرشد
فما المال والاخلاق الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
متى ما تقد بالباطل الحق يأبه * فان قدت بالحق الرواسي تنقد
اذا ما اتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتد

وهي طويلة (وقال عبيد بن ناقد)

لمن الديار كانهن المذهب * بليت وغيرها الدهور تقلب

يقول فيها في ذكر الوقعة

لكن فرار أبي الحباب بنفسه * يوم السرارة سيء منه الاقرب
ولى وألقى يوم ذلك درعه * اذ قيل جاء الموت خلفك يطلب
فبذاك منا بعد ما قد اشرعت * فيك الرماح هناك شد المذهب

وهي طويلة ايضا وأبو الحباب هو عبد الله بن سلول

توفي بدمشق في نصف رجب سنة ستين وصلى عليه الضحاك الفهري لغيبة ابنه يزيد بيت المقدس ودفن بين باب الجابية وباب الصغير وكان عنده شيء من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلامة اظفاره فاوصى ان يجعل ذلك في فمه وعينيه وان يكفن بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افعلوا ذلك وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين قيل انه عاش سبعا وسبعين سنة وكانت مدة خلافته بعد ان خلص له الامر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وكان اميرا وخليفة اربعين سنة ولم يملك أحد من هذه الامة مقدار ما ملكه

(الفصل الثاني في ذكر يزيد بن معوية عليه ما يستحق)

ولد سنة خمس أو ست وعشرين وكان ضخما كثير اللحم كثير الشعر وامه ميسون بنت بجدل الكلبية خاتمه من فضة نقشه ربنا الله بويع له بالخلافة يوم مات أبوه باستخلافه له وكتب الى الاقاليم بذلك فبايعوه

(حرب الحصين بن الاسلت)

ثم كانت حرب بين بني وائل بن زيد الاوسيين وبين بني مازن بن النجار الخزرجيين وكان سببها ان الحصين بن الاسلت الاوسي الوائلي نازع رجلا من بني مازن فقتله الوائلي ثم انصرف الى اهله فتبعه نفر من بني مازن فقتلوه فبلغ ذلك أخاه اباقيس بن الاسلت فجمع قومه وأرسل الى بني مازن يعلمهم انه على حربهم فتهيؤا للقتال ولم يتخلف من الاوس والخزرج أحد فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعا وقتل ابو قيس بن الاسلت الذين قتلوا اخاه ثم انهزمت الاوس فلام وحوح بن الاسلت اخاه اباقيس وقال لا يزال منهزم من الخزرج فقال أبو قيس لاخيه ويكنى اباحصين

أبلغ اباحصن وبعض من القول عندي ذو كباره

ان ابن ام المرء ليس من الحديد ولا الحجاره

ماذا عليكم ان يكو • ن لكم بدار حيلا عماره

يحمي ذماركم وبعض القوم لا يحمي ذماره

يبني لكم خيرا وبعض بيان المكر بيوله اثاره

في أبيات

(حرب ربيع الظفري)

ثم كانت حرب بين بني ظفر من الاوس وبين بني مالك بن النجار من الخزرج وكان سببها ان ربيعا الظفري كان يمرّ في مال لرجل من بني النجار الى مال له فمنعه النجاري فتنازعا فقتله ربيع فجمع قومهما فاقتتلوا قتالا شديدا كان اشد قتال بينهم فانهزمت بنو مالك بن النجار فقال قيس بن الخطيم الاوسي في ذلك

أجد بعمرة غنيانها • فتهجر أم شاننا شانها

فان تمس شطت بها دارها • وباح لك اليوم هجرانها

فما روضة من رياض القطا • كأن المصابيح حوذانها

بأحسن منها ولا مزنة • ولوح تكشف أدجانها

وعمرة من سروات النسا • ء تنفح بالمسك أردانها

(منها)

ونحن الفوارس يوم الربيـ • ـع قد علموا كيف أبدانها

جنونا لحرب وراء الصريـ • ـخ حتى تقصد مرانها

تراهن يخطبن خلج الدلا • ء يبادر بالنزع اشطانها

وهي طويلة فأجابه حسان بن ثابت الخزرجي بقصيدة اولها

لقد هاج نفسك أشجانها • وغادرها اليوم أديانها

(ومنها)

ويثرب تعلم انا بها • اذا التبس الحق ميزانها

ويثرب تعلم انا بها • اذا قحط القطر نوآنها

ولم يبايعه الحسين بن علي رضي الله عنهما ولا عبد الله بن الزبير واشتغل بامر عامله واقامه مصرين على الامتناع الى ان قتل الحسين رضي الله عنه بكربلا وكان قتله يوم عاشوراء كما مر في ذكر الحسين رضي الله عنه ودعا ابن الزبير الى نفسه بمكة وعاب يزيد بشرب الخمر واللعب بالكلاب والتهاون بالدين فبايعه أهل تهامة والحجاز فلما بلغ يزيد ذلك ندب الى حربه الحصين بن نمير السكوني وروح بن زنباع الجذامي وضم الى كل واحد جيشا واستعمل على الجميع مسلم بن عقبة المري وجعله امير الامراء وأمرهم بمحاربة ابن الزبير فلما ودعهم قال يا مسلم اجعل طريقك على المدينة فان حاربوك فحاربهم فان ظفرت بهم فأبحها ثلاثا فسار مسلم ومن معه حتى نزل الحرة وخرج أهل المدينة فعسكروا بها فدعاهم مسلم ثلاثا فلم يجيبوا فقاتلهم فقتل امير المدينة عبد الله بن حنظلة وسبعمائة من المهاجرين

ويثرب تعلم اذحاربت * باناالدى الحرب فرسانها
ويثرب تعلم أن المبيت عند الهزاهز ذلانها

(ومنها)

متى ترنا الاوس فى بيضنا * نهز القنا تخب نيرانها
وتعط المقاد على رغمها * وتنزل ملهام عصيانها
فلا تفخرن والتمس ملجأ * فقد عاود الاوس أديانها

(حرب فارع بسبب الغلام القضاعى)

ومن أيامهم يوم فارع وسببه ان رجلا من بنى النجار أصاب غلاما من قضاعة ثم من بلى وكان عم الغلام جارا لمعاذ بن النعمان بن امرئ القيس الاوسى والد سعد بن معاذ فأتى الغلام عمه يزوره فقتله النجارى فأرسل معاذ الى بنى النجار ان ادفعوا الى دية جارى اوابعثوا الى بقاتله أرى فيه رأيى فأبوا ان يفعلوا فقال رجل من بنى عبد الاشهل والله ان لم تفعلوا لانقتلن به الاعامر بن الاطنابة وعامر من أشراف الخزرج فبلغ ذلك عامرا فقال

الا من مبلغ الاكفاء عنى * وقد تهدى النصيحة للنصيح
فانكم وماترجون شطرى * من القول المزجى والصريح
سيندم بعضكم عجلا عليه * وما أثر اللسان الى الجروح
أبت لى عزتى وابى بلائى * واخذى الحمد بالثمن الربيح
واعطائى على المكروه مالى * وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى
لادفع عن ماثر صالحات * واحمى بعد عن عرض صحيح
بذى شطب كاون الملح صاف * ونفس لاتقر على القبيح

فقال الربيع بن أبى الحقيق اليهودى فى عراض قول عامر بن الاطنابة

ألا من مبلغ الاكفاء عنى * فلا ظلم لدى ولا افتراء
فلست بغائظ الاكفاء ظلما * وعندى للملامات اجتزاء
فلم ار مثل من يدنو لخسف * له فى الارض سير واستواء
وما بعض الاقامة فى ديار * يهان بها الفتى الاعناء
وبعض القول ليس له علاج * كمحض الماء ليس له اناء
وبعض خلائق الاقوام داء * كداء الشح ليس له دواء
وبعض الداء ملتمس شفاء * وداء النوك ليس له شفاء
يحب المرء ان يلقى نعيما * ويأبى الله الا ما يشاء
ومن يك عاقلا لم يلق بؤسا * ينخ يوما بساحته القضاء
تعاوره بنات الدهر حتى * تثلمه كما ثلم الاناء
وكل شدائد نزلت بحى * سيأتى بعد شدتها رخاء
فقل للمتقى عرض المنايا * توق فليس ينفعك اتقاء

والانصار ولم يبق بدرى بعد ذلك من قريش ومن سائر الناس من الموالى والعرب والتابعين عشرة آلاف وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ودخل مسلم المدينة وانتهبها ثلاثة أيام وافتض فيها ألف عذراء فانا لله وانا اليه راجعون وقد جاء فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم من أخاف أهل المدينة أخافه الله وكانت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين رواه مسلم ثم شخص بالجيش الى مكة وكتب الى يزيد بما صنع بالمدينة فلما بلغ مسلم هرشى اعتل ومات فتولى أمر الجيش الحصين بن نمير فسار حتى وافى مكة فتحصن منه ابن الزبير فى المسجد الحرام بجميع من كان معه فنصب الحصين المنجنيق على أبى قبيس ورمى به الكعبة المعظمة وذلك فى صفر سنة اربع وستين واحترقت من شرارة نيرانهم استار الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذى فدى به اسمعيل وكان فى السقف فبينما هم كذلك اذ ورد

فما يعطى الحريص غنى بحرص * وقد ينمى لدى الجود الثراء
وليس بنافع ذا البخل مال * ولا مزر بصاحبه الحباء
غنى النفس ما استغنى بشئ * وفقر النفس ما عمرت شقاء
يود المرء ما تفد الليالى * وكان فناؤهن له فناء

فلما رأى معاذ بن النعمان امتناع بنى النجار من الدية أو تسليم القاتل اليهم تم بالحرب وتجهز هو وقومه واقتتلوا عند فارع وهو اطم حسان بن ثابت واشتد القتال بينهم ولم تزل الحرب بينهم حتى حمل ديته عامر بن الاطنابة فلما اصطلح الذى كان بينهم وعادوا الى أحسن ما كانوا عليه فقال عامر بن الاطنابة فى ذلك

صرمت ظليمة خلتى ومراسلى * وتباعدت عنا بزاد الراحل
جهلا وما تدرى ظليمة اننى * قد أستقل بصرم غير الواصل
ذالل ركابى حيث شئت مشيعى * الى أروع قطا المكان الماقل
اظليم ما يدريك رب خلة * حسن مرغمها كطبى الحائل
قد بت مالكها وشارب قهوة * درياقة رويت منها واغلى
بيضاء صافية يرى من دونها * قعر الاناء يضى وجه الناهل
وسراب هاجرة قطعت اذا جرى * فوق الاكام بذات لون بازل
أجد مراحلها كان عفاءها * سقطان من كنفى ظليم جافل
فلأكان بناجز من مالنا * والنشر بن يدين عام قابل
انى من القوم الذين اذا ابتدوا * بدأوا بحق الله ثم النائل
المانعين من الخنى جيرانهم * والحاشدين على طعام النازل
والخالطين غنيهم بفقيرهم * والباذلين عطاءهم للسائل
والضاربين الكبش يبرق بيضه * ضرب المهند عن حياض الناهل
والعاطفين على المصاف خيولهم * والمقبين رماحهم بالقاتل
والمدركين عدوهم بذحولهم * والنازلين اضرب كل منازل
والقائلين معاشذوا اقرانكم * ان المنية من وراء الوائل
خزر عيونهم الى اعدائهم * يمشون مشى الاسد تحت الوابل
ليسوا بأنكاس ولا ميل اذا * ما الحرب شبت اشعلوا بالشاعل
لا يطبعون وهم على احسابهم * يشفون بالاحلام داء الجاهل
والقائلين فلا يعاب خطيبهم * يوم المقالة بالكلام الفاصل

وانما اثبتنا هذه الابيات وليس فيها ذكر الوقعة لجودتها وحسنها

(حرب حاطب)

ثم كانت الوقعة المعروفة بحاطب وهو حاطب بن قيس من بنى أمية بن زيد بن مالك بن عوف الاوسى وبينها وبين حرب سمير نحو مائة سنة وكان بينهما ايام ذكرنا المشهور منها وتركنا ما ليس بمشهور وحرب حاطب آخر وقعة كانت بينهم الا يوم بعاث حتى جاء الله بالاسلام

على الحصين بموت يزيد بن معاوية فارسل الى ابن الزبير يسأله الموادعة فأجابه الى ذلك وفتح الابواب واختلط العسكران يطوفان بالبيت ثم انصرف بمن معه الى الشام (سئل) إلكيا الهراسى الفقيه الشافعى عن يزيد بن معاوية هل هو من الصحابة ام لا وهل يجوز لعنه ام لا (فاجاب) انه لم يكن من الصحابة لانه ولد فى ايام عثمان بن عفان رضى الله عنه وأما قول السلف ففيه لكل واحد من أبى حنيفة ومالك وأحمد قولان تصريح وتلويح ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو المتصيد بالفهد واللاعب بالنرد ومدمن الخمر ومن شعره فى الخمر
أقول لصحب ضمت الكاس شملهم
وداعى صبابات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذة
فكل وان طال المدى يتصرم
وكتب فصلا طويلا اضربنا عن ذكره ثم قلب الورقة وكتب ولو مددت ببياض لاطلقت العنان

وكان سبب هذه الحرب ان حاطبا كان رجلا اشر يقاسمه فأتاه رجل من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان فنزل عليه ثم انه غدا يوما الى سوق بنى قينقاع فرآه يزيد بن الحرث المعروف بابن فسحم وهى امه وهو من بنى الحرث بن الخزرج فقال يزيد لرجل يهودى لك ردائى ان كسعت هذا الثعلبى فأخذ رداءه وكسعه كسعة سمعها من بالسوق فنادى الثعلبى يا لحاطب كسع ضيفك وفضح وأخبر حاطب بذلك فجاء اليه فسأله من كسعه فأشار الى اليهودى فضرب به حاطب بالسيف فلق هامته فأخبر ابن فسحم الخبر وقيل له قتل اليهودى قتله حاطب فاسرع خلف حاطب فادركه وقد دخل بيوت أهله فلقى رجلا من بنى معاوية فقتله فثارت الحرب بين الاوس والخزرج واحتشدوا واجتمعوا والتقوا على جسر ردم بنى الحرث بن الخزرج وكان على الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضى وعلى الاوس حضير بن سماك الاشهلى وقد كان ذهب ذكر ما وقع بينهم من الحروب فيمن سواهم من العرب فسار اليهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى وخيار بن مالك بن حماد الفزارى فقدما المدينة وتحدثا مع الاوس والخزرج فى الصلح وضمنا ان يتحملا كل ما يدعى بعضهم على بعض فأبوا وقعت الحرب عند الجسر وشهدها عيينة وخيار شاهدا من قتالهم وشدتهم ما أيسامعه من الاصلاح بينهم فكان الظفر يومئذ للخزرج وهذا اليوم من أشهر أيامهم وكان بعده عدة وقائع كلها من حرب حاطب فمنها

(يوم الربيع)

ثم التقت الانصار بعد يوم الجسر بالربيع وهو حائط فى ناحية السفح فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كاد يفنى بعضهم بعضا فانهزمت الاوس وتبعها الخزرج حتى بلغوا دورهم وكانوا قبل ذلك اذا انهزمت احدى الطائفتين فدخلت دورهم كفت الاخرى عن اتباعهم فلما تبع الخزرج الاوس الى دورهم طلبت الاوس الصلح فامتنعت بنو النجار من الخزرج عن اجابتهم فحصنت الاوس النساء والذرارى فى الآطام وهى الحصون ثم كفت عنهم الخزرج فقال صخر بن سليمان البياضى

الا أبلغا عنى سويد بن صامت * ورهط سويد بلغا وابن الاسلت

بانا قتلنا بالربيع سراتكم * وافلت مجبر وجابه كل مفلت

فلولا حقوق فى العشيرة انها * اداة بحق واجب ان اداة

لنالهم منا كما كان نالهم * مقانب خيل اهلكت حين حلت

فأجابه سويد بن الصامت

الا ابلغا عنى صخير رسالة * فقد ذقت حرب الاوس فيها ابن الاسلت

قتلنا سرايا كم بقتلى سراتنا * وليس الذى يجوا اليكم بغفلت *

(ومنها يوم البقيع)

ثم التقت الاوس والخزرج ببقيع الغرقد فاقتتلوا قتالا شديدا فكان الظفر يومئذ للاوس فقال عبيد بن ناقد الاوسى

لما رأيت بنى عوف وجمعهم * جاؤا وجمع بنى النجار قد حفلوا

وبسطت الكلام على مخازى هذا الرجل وقد أفتى الغزالى فى هذه المسئلة بخلاف ذلك (فانه سئل) عمن صرح بلعن يزيد بن معاوية هل يحكم بفسقه أم يكون ذلك مرخصا فيه وهل كان مريدا قتل الحسين رضى الله عنه أم كان قصده الدفع وهل يسوغ الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل (فأجاب) لا يجوز لعن المسلم أصلا ومن لعن المسلم فهو الملعون وقد قال صلى الله عليه وسلم المسلم ليس بلعان وكيف يجوز لعن المسلم وقد ورد النهى عن ذلك وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص من النبى صلى الله عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وما صح قتله للحسين رضى الله عنه ولا أمره ولا رضاه ذلك واذا لم يصح ذلك عنه لم يجز ان يظن ذلك به فان اساءة الظن أيضا بالمسلم حرام ومع هذا لو ثبت على مسلم انه قتل مسلما فمذهب أهل الحق انه ليس بكافر والقتل ليس بكفر بل هو معصية واذا مات القاتل فربما مات بعد

دعوت قومي وسهلت الطريق لهم * الى المكان الذي أصحابه حلوا
جادت بأقسمها من مالك عصب * يوم اللقاء فلا نانوا ولا فشلوا
وعاوروكم كؤس الموت أذ زروا * شطر النهار وحتى ادبر الاصل
حتى استقاموا وقد طال المراس بهم * فكلهم من دماء القوم قد نهلوا
تكشف البيض عن قتلى أولى رحم * لولا المسالم والارحام ما نقلوا
تقول كل فتاة غاب قيمها * أكل من خلسنا من قومنا قتلوا
اقد قتلتم كريما ذا محافظة * قد كان حالفه القينات والحلل
جزل نوافله حلو شمائله * ريان واغله أشقى به الابل

الواغل الذي يدخل على القوم وهم يشربون فأجابه عبد الله بن رواحة الحارثي الخزرجي

لما رأيت بني عوف واخوتهم * كعبا وجمع بني النجار قد حفلوا
قدما أباحوا حماكم بالسيوف ولم * يفعل بكم احد مثل الذي فعلوا

كان رئيس الاوس يومئذ في حرب حاطب ابوقيس بن الاسلت الوائلي فقام في حرب وهجر الراحة فشحب وتغير وجاء يوما الى امرأته فأنكرته حتى عرفته بكلامه فقالت له أنكرتك حتى تكلمت فقال

قالت ولم تقصد لقيل الخنى * مهلا فقد أبلغت اسماعي
واستنكرت لونا له شاحبا * والحرب غول ذات أوجاع
من يذق الحرب يجد طعمها * مرا وتتركه بجعجاع
قد حصت البيضة رأسي فما * أطعم نوما غير تهجاع
أسعى على جل بني مالك * كل امرئ في شأنه ساعي
اعددت للاعداء موضونة * فضفاضة كالنهي بالقاع
أحفزها عني بذي رونق * مهند كاللمع قطاع
صدق حسام وادق حده * ومجنإ اسمر قراع

وهي طويلة ثم ان أباقيس بن اسلت جمع الاوس وقال لهم ما كنت رئيس قوم قط هزموا الا فر وسر عليكم من احببتم فرأسوا عليهم حضير الكتائب بن السماك الاشهلي وهو والد أسيد بن حضير لولده صحبة وهو بدوى فدار حضير بلي أمورهم في حرب الاوس والخزرج بمكان يقال له العرس فكان الظفر للاوس ثم تراسلوا في الصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى فمن كان عليه الفضل اعطى الدية فافضلت الاوس على الخزرج ... رفدفعت الخزرج ثلاثة غلمة منهم رهنا بالديات فغدرت الاوس فقتلت الغلمة

(حرب الفجار الاول للانصار)

وليس بفجار كنانة وقيس فلما قتلت الاوس الغلمان جمعت الخزرج وحشدوا والتقوا بالحدائق وعلى الخزرج عبد الله بن أبي ابن سلول وعلى الاوس ابوقيس بن الاسلت فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كاد بعضهم يفني بعضا وسمي ذلك اليوم يوم الفجار لغدرهم بالغلمان وهو الفجار الاول فكان قيس بن الخطيم في حائط له فانصرف فوافق قومه قد

لكافر لو تاب من كفره لم يجز لعنه فكيف من تاب عن قتل ولم يعرف ان قاتل الحسين رضي الله عنه مات قبل التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فاذا لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين ومن لعنه كان فاسقا لله عز وجل ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصيا بالاجماع بل لو لم يلعن ابليس طول عمره لا يقال له في ... لم تلعن ابليس ويقال للاعن لم لعنت ومن أين عرفت انه ملعون والملعون هو المبعد من الله تعالى وذلك لا يعرف الا فيمن مات كافرا فان علم ذلك بالشرع وأما الترحم عليه فجائز بل يستحب بل داخل في قولنا اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فانه كان مؤمنا قال نوفل بن أبي الفرات كنت عند عمر ابن العزيز فذكر رجل يزيد فقال قال امير المؤمنين يزيد بن معاوية فقال تقول امير المؤمنين وأمر به فضرب عشرين سوطا عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

برز والقتال فعجل عن أخذ سلاحه الا السيف ثم خرج معهم فعظم مقامه يومئذ وابلى بلاء حسنا وجرح جراحة شديدة فمكث حينا يتداوى منها وامر ان يحتمى عن الماء فلذلك يقول عبد الله بن رواحة

رميناك أيام الفجار فلم تزل * حمياً فمن يشرب فلست بشارب

(يوم معبس ومضرس)

ثم التقوا عند معبس ومضرس وهما جداران فكانت الخزرج وراء مضرس وكانت الاوس وراء معبس فأقاموا أياما يقتتلون قتالا شديدا ثم انهزمت الاوس حتى دخلت البيوت والآطام وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها ثم ان بنى عمرو بن عوف وبنى اوس مناة من الاوس وادعوا الخزرج فامتنع من الموادعة بنو عبد الاشهل وبنو ظفر وغيرهم من الاوس وقالوا لا نصالح حتى ندرك ثارنا من الخزرج فالحت الخزرج عليهم بالاذى والغارة حين وادعهم بنو عمرو بن عوف واوس مناة فعزمت الاوس الا من ذكرنا على الانتقال من المدينة فاغارت بنو سلمة على مال لبنى عبد الاشهل يقال له الرعل فقاتلوهم عليه فجرح سعد بن معاذ الاشهلي جراحة شديدة واحتمله بنو سلمة الى عمرو بن الجموح الخزرجي فاجاره وأجار الرعل من الحريق وقطع الاشجار فلما كان يوم بعاث جازاه سعد على ما نذكره ان شاء الله ثم سارت الاوس الى مكة لتحالف قريش على الخزرج واظهروا انهم يريدون العمرة وكانت عادتهم انه اذا أراد احدهم العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرانيف النخل ففعلوا ذلك وساروا الى مكة فقدموها وحالفوا قريشا وأبو جهل غائب فلما قدم أنكر ذلك وقال لقريش اما سمعتم قول الاول ويل للاهل من النازل انهم لاهل عدد وجلد ولقلما نزل قوم على قوم الا أخرجوهم من بلادهم وغلبوهم عليه قالوا فما المخرج من حلفهم قال أنا أكفيكموهم ثم خرج حتى جاء الاوس فقال انكم حالفتم قومى وأنا غائب فجئت لاحالفكم واذكر لكم من أمرنا ما تكونون بعده على رأس أمركم انا قوم تخرج اماؤنا الى أسواقنا ولا يزال الرجل منا يدرك الامة فيضرب عجيزتها فان طابت أنفسكم ان تفعل نساؤكم مثل ما تفعل نساؤنا حالفنا كم وان كرهتم ذلك فردوا الينا حلفنا فقالوا لا نقر بهذا وكانت الانصار بأسرها فيهم غيرة شديدة فردوا اليهم حلفهم وساروا الى بلادهم فقال حسان بن ثابت يفتخر بما أصاب قومه من الاوس

الا ابلغ ابا قيس رسولا * اذا القى له سمع مبين
فلست لحاصن ان لم تزركم * خلال الدار مسبلة طحون
يدين لها العزيز اذا رآها * ويسقط من مخافتها الجنين
تشيب الناهد العذراء منها * ويهرب من مخافتها القطين
يطوف بها من انجار أسد * كأسد الغيل مسكنها العرين
يظل الليث فيها مستكينا * له في كل ملتفت انين
كأن بهاءها للناظريها * من الاسلات والبيض القتين

اول من بدل سقى رجل من بنى امية يقال له يزيد مات يزيد فى شهر ربيع الاول سنة اربع وستين بذات الجنب بحوران وحمل الى دمشق وصلى عليه اخوه خالد وقيل ابنه معاوية ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره الآن مزبلة وقد بلغ سابعا وثلاثين سنة وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة شهور

(الفصل الثالث فى ذكر خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان)

وهو المعروف بمعاوية الاصغر بويع له بالخلافة يوم موت ابيه وكان شابا صالحا ذا عقل ودين وامه ام خالد بنت هشام بن عتبة نقش خاتمه الدنيا غرور وكان زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة نظر فى الامر فاذا ليس يصلحه الا السيف فجمع الناس وخطبهم على منبر دمشق بعد ما حمد الله وأثنى عليه فقال معاشر الناس انى قد نظرت فى أمركم وانى قد ضعفت عن القيام لكم والساخط على أكثر من الراضى وما كنت لاتحمل

كأنهم من المآذى عليهم * جمال حين يحتادون جون
فقد لاقاك قبل بعاث قتل * وبعد بعاث ذل مستكين

وهى طويلة أيضا

(يوم الفجار الثانى للانصار)

كانت الاوس قد طلبت من قريظة والنضير ان يحالفوهم على الخزرج فبلغ ذلك الخزرج فارسلوا اليهم يؤذنونهم بالحرب فقالت اليهود انا لا نريد ذلك فاخذت الخزرج رهنهم على الوفاء وهم أربعون غلاما من قريظة والنضير ثم ان يزيد بن فسحم شرب يوما فسكر فتغنى بشعر يذكر فيه ذلك

هلم الى الاحلاف اذ رق عظمهم * واذ أصلحوا مالا لجذمان ضائعا
اذا ما امرؤ منهم اساء عمارة * بعثنا عليهم من بنى العير جادعا
فأما الصريح منهم فتحملوا * وأما اليهود فاتخذنا بضائعا
أخذنا من الاولى اليهود عصابة * لغدرهم كانوا لدينا ودائعا
فذلوا الرهن عندنا فى حبالنا * مصانعة يخشون منا القوارعا
وذاك بانا حين نلقى عدونا * نصول بضرب يترك العز خاشعا

فبلغ قوله قريظة والنضير فغضبوا وقال كعب بن اسد نحن كما قال ان لم نغز فحالف الاوس على الخزرج فلما سمعت الخزرج بذلك قتلوا كل من عندهم من الرهن من أولاد قريظة والنضير فاطلقوا نفرا منهم سليم بن أسد القرظى جد محمد بن كعب بن سليم واجتمعت الاوس وقريظة والنضير على حرب الخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا وسمى ذلك الفجار الثانى لقتل الغلمان من اليهود وقد قيل فى قتل الغلمان غير هذا وهو ان عمرو بن النعمان البياضى الخزرجى قال لقومه بنى بياضة ان أباكم أنزلكم منزلة سوء والله لا يمس رأسى ماء حتى أنزلكم منازل قريظة والنضير أو أقتل رهنهم وكانت منازل قريظة والنضير خير البقاع فأرسل الى قريظة والنضير اما ان تخلوا بيننا وبين دياركم واما ان نقتل الرهن فهموا بأن يخرجوا من ديارهم فقال لهم كعب بن أسد القرظى يا قوم امنعوا دياركم وخلوه يقتل الغلمان ما هى الا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأته حتى يولد له مثل أحدهم فارسلوا اليهم انا لا ننتقل عن ديارنا فانظروا فى رهننا فعدوا الى عمرو بن النعمان على رهنهم فقتلهم وخالفه عبد الله بن أبى ابن سلول فقال هذا بغى واثم ونهاه عن قتالهم وقتال قومه من الاوس وقال له كانى بك وقد حملت قتيلا فى عباءة يحملك أربعة رجال فلم يقتل هو ومن أطاعه أحدا من الغلمان وأطلقوهم ومنهم سليم بن اسد جد محمد بن كعب وحالفت حينئذ قريظة والنضير الاوس على الخزرج وجرى بينهم قتال سمى ذلك اليوم يوم الفجار الثانى وهذا القول أشبه بأن يسمى اليوم فجارا وأما على القول الاول فانما قتلوا الرهن جزاء للغدر من اليهود فليس بفجار من الخزرج الا أن يسمى فجارا لغدر اليهود

(يوم بعاث)

ثم ان قريظة والنضير جددوا العهود مع الاوس على المؤازرة والتناصر واستحكم أمرهم

وجدوا

آبائكم ولا يراك الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم وألقاه بتبعاتكم فشأنكم أمركم فخذوه ومن رضيتم به عليكم فولوه فلقد خلعت بيعتى من أعناقكم والسلام واجتمعت اليه بنو أمية وقالوا له اعهد الى من تريد فقال ما أصبت من حلاوتها فلا أتحمل من مرارتها ودخلت عليه أمه فوجدته يبكى فقالت له ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك فقال وددت والله ذلك ثم قال ويلى ان لم يرحمنى ربى ثم ان بنى أمية قالوا لمعلمه عمر القوصى أنت علمته هذا وصددته عن الخلافة وجعلته على ما وصفناه من الظلم وحسنت له البدع حتى نطق بما نطق وقال ما قال فقال والله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب على بن أبى طالب رضى الله عنه فلم يقبلوا منه ذلك وأخذوه ودفنوه حيا حتى مات قبل توفى معاوية بعد خلعه نفسه بأربعين ليلة وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة وصلى عليه أخوه عبد الرحمن ودفن خارج باب الجابية وفى

وجدوا في حربهم ودخل معهم قبائل من اليهود غير من ذكرنا فلما سمعت بذلك الخزرج جمعت وحشدت وراسلت حلفاءها من أشجع وجهينة وراسلت الاوس حلفاءها من مزينة ومكثوا أربعين يوما يتجهزون للحرب والتقوا ببعاث وهي من أعمال قريظة وعلى الاوس حضير الكتائب بن سماك والد أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي وتخلف عبد الله بن ابي ابن سلول فيمن تبعه عن الخزرج وتخلف بنو حارثة بن الحرث عن الاوس فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا وصبروا جميعا ثم ان الاوس وجدت مس السلاح فولوا منهزمين نحو العريض فلما رأى حضير هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح واعقراه كعقر الجمل والله لا أعود حتى أقتل فان شئتم يامعشر الاوس ان تسلموني فافعلوا فعطفوا عليه وقاتل عنه غلامان من بني عبد الاشهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتى قتلا واقبل سهم لايدرى من رمى به فأصاب عمرو بن النعمان البياضي رئيس الخزرج فقتله * فبينا عبد الله بن ابي ابن سلول يتردد راكبا قريبا من بعاث يتجسس الاخبار اذ طلع عليه بعمرو بن النعمان قتيلا في عباءة يحمله أربعة رجال كما كان قال له فلما رآه قال ذق وبال البغي وانهزمت الخزرج ووضعت فيهم الاوس السلاح فصاح صائح يامعشر الاوس احسنوا ولا تهلكوا اخوانكم فجوارهم خير من جوار الثعالب فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم وانما سلبهم قريظة والنضير وحملت الاوس حضيرا مجروحا فمات واحرقت الاوس دور الخزرج ونخيلهم فاجار سعد بن معاذ الاشهلي اموال بني سلمة ونخلهم ودورهم جزاء بما فعلوا له في الرعل وقد تقدم ذكره ونجى يومئذ الزبير بن اياس بن باطا ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي اخذه فجز ناصيته واطلقه وهي اليد التي جازاه بها ثابت في الاسلام يوم بني قريظة وسنذكره وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الاوس والخزرج ثم جاء الاسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصر الاسلام وأهله وكفى الله المؤمنين القتال وأكثرت الانصار الاشعار في يوم بعاث فمن ذلك قول قيس بن الخطيم الظفري الاوسي

أتعرف رسما كالطراز المذهب * لعمرة ركبا غير موقف راكب
ديار التي كانت ونحن على منى * تحل بنا لولا رجاء الركائب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ومنها

وكنت امرأ لا أبعث الحرب ظالما * فلما ابوا اشعلتها كل جانب
اذنت بدفع الحرب حتى رأيتها * عن الدفع لاتزداد غير تقارب
فلما رأيت الحرب حربا تجردت * لبست مع البردين ثوب المحارب
مضاعفة يغشى الانامل ريعها * كان قتيريها عيون الجنادب
ترى قصد المران تلقى كأنها * تذرع خرصان بايدي الشواطب
وسامحني مالك فيهن ومالك * وثعلبة الاخيار رهط المصائب
رجال متى يدعوا الى الحرب يسرعوا * كمشي الجمال المشعلات المصاعب

المساهرة صلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فلما كبر تكبيرتين مات قبل ان يقضي صلاته فصلى عليه مروان بن الحكم ودفن الوليد المذكور بجنب معاوية بن يزيد وكانت خلافته ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما وتمثل مروان بن الحكم على قبره

اني أرى فتنة تغلي مراجلها * والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

وظهر أبو أنيس الضحاك بن قيس الفهري ودعا الناس الى بيعته فخرج عليه مروان بن الحكم في بني أمية فقتله بمرج راهط

(الفصل الرابع في ذكر خلافة مروان بن الحكم)

ابن أبي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بويع له بالخلافة بالجابية ثم دخل الشام فاذعن له أهلها بالطاعة ثم دخل مصر بعد حروب كثيرة فبايعه أهلها وكان يقال له الطريد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد طرده الى الطائف فرده عثمان

اذا ماوردنا كان أسوا فرارنا * صدود الخدود وازورار المناكب

صدود الخدود والقنا متشاجر * ولا تبرح الاقدام عند التضارب

طأرنا كو بالبيض حتى لأنتم * اذل من السقبان بين الحلائب

يجردن بيضا كل يوم كريهة * ويرجعن حمرا جارحات المضارب

لقيتكمو يوم الحدائق حاسرا * كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

ويوم بعاث أسلمتنا سيوفنا * الى حسب في جذم غسان ثاقب

قتلناكمو يوم الفجار وقبله * ويوم بعاث كان يوم التغالب

أتت عصب للاوس تخطر بالقنا * كمشي الاسود في رشاش الاهاضب

فأجابه عبد الله بن رواحة

اشاقتك ليلى في الخليط المجانب * نعم فرشاش الدمع في الصدر غالب

بكى اثر من شطت نواه ولم يقم * لحاجة محزون شكا الحب ناصب

لدن غدوة حتى اذا الشمس عارضت * أراحت له من لبه كل غارب

تحامى على احسابنا بتلادنا * لمفتقر أو سائل الحق واجب

واعمى هدته للسبيل سيوفنا * وخصم أقمنا بعد ما لج شاغب

ومعترك ضنك يرى الموت وسطه * مشيناله مشي الجمال المصاعب

برجل ترى الماذي فوق جلودهم * وبيضا نقيا مثل لون الكواكب

وهم حسر لا في الدروع تخالهم * أسودا متى تنشا الرماح تضارب

معاقلهم في كل يوم كريهة * مع الصدق منسوب السيوف القواضب

وهي طويلة وليلى التي شبب بها ابن رواحة هي أخت قيس بن الحطيم وعمرة التي شبب بها ابن الحطيم هي اخت عبد الله بن رواحة وهي ام النعمان بن بشير الانصاري بعاث بضم الباء الموحدة وبالعين المهملة وقال صاحب كتاب العين وحده وهو بالغين المعجمة

(ذكر غلبة ثقيف على الطائف والحرب بين الاحلاف وبني مالك)

كانت أرض الطائف قديما لعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر فلما كثر بنو عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد وكان بنو عامر يصيفون بالطائف ويشتون بأرضهم من نجد وكانت مساكن ثقيف حول الطائف وقد اختلف الناس فيهم فمنهم من جعلهم من اياد فقال ثقيف اسمه قسي بن نبت بن منبه بن منصور بن مقدم بن افصى بن دعمى بن اياد بن معد ومنهم من جعلهم من هوازن فقال هو قيس بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس ابن عيلان فرأت ثقيف البلاد فأعجبهم نباتها وطيب ثمرها فقالوا لبني عامر ان هذه الارض لا تصلح للزرع وانما هي أرض ضرع وزرع كم على ان آثرتم الماشية على الغراس ونحن اناس ليست لنا مواش فهل لكم ان تجمعوا الزرع والضرع بغير مؤنة تدفعون الينا بلادكم هذه فنثيرها ونغرسها ونحفر فيها الاطواء ولا نكلفكم مؤنة نحن نكفيكم المؤنة والعمل فاذا كان وقت ادراك الثمر كان لكم النصف كاملا ولنا

رضي الله عنه حين ولي وكان كاتب السر له وبسببه جرى عليه ما جرى كما تقدم قريبا وقد كان لحق النبي صلى الله عليه وسلم وهو صبي وولي المدينة وبنى بها امرأته وهو قاتل طلحة أحد العشرة رضي الله عنه وروى الحاكم في كتاب الفتن والملاحم من المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه قال كان لا يولد لاحد ولد الا أتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان ابن الحكم فقال هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون ثم روى الحاكم عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال ان الحكم بن أبي العاص استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال صلى الله عليه وسلم ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه الا المؤمن منهم وقليل ماهم يشرفون في الدنيا ويوضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق ورأى مروان انه بال

النصف عاما لما فرغ بنو عامر فى ذلك وسلموا اليهم الارض فنزلت ثقيف الطائف واقتسموا البلاد وعملوا الارض وزرعوها من الاعناب والثمار و وفوا بما شرطوا لبنى عامر سنينا من الدهر وكان بنو عامر يمنعون ثقيفا ممن أرادهم من العرب فلما كثرت ثقيف وشرفت حصنت بلادها وبنوا سورا على الطائف وحصنوه ومنعوا عامرا مما كانوا يعطونه اليهم عن نصف الثمار وأراد بنو عامر أخذه منهم فلم يقدروا عليه فقاتلوهم فلم يظفروا وكانت ثقيف بطنين الاحلاف و بنى مالك وكان للاحلاف فى هذا أثر عظيم ولم يزل نعمه بذلك على بنى مالك فأقاموا كذلك ثم ان الاحلاف أثروا وكثرت خيلهم فحموا لها حمى من ارض بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن يقال له حاذان فغضب من ذلك بنو نصر وقاتلوهم عليه ولجت الحرب بينهم وكان رأس بنى نصر عفيف بن عوف بن عباد النصرى ثم اليربوعى ورأس الاحلاف مسعود بن معتب فلما لجت الحرب بين بنى نصر والاحلاف اغتنم ذلك بنو مالك ورئيسهم جندب بن عوف بن الحرث بن مالك بن حطيط بن جشم من ثقيف لضغائن كانت بينهم و بين الاحلاف فحالفوا بنى يربوع على الاحلاف فلما سمعت الاحلاف بذلك اجتمعوا وكان أول قتال كان بين الاحلاف و بين بنى مالك وحلفائهم من بنى نصر يوم الطائف واقتتلوا قتالا شديدا فانتصر الاحلاف وانحزوهم منه الى واد من وراء الطائف يقال له لحب (١) وقتل من بنى مالك و بنى يربوع مقتلة عظيمة فى شعب من شعاب ذلك الجبل يقال له الابان ثم اقتتلوا بعد ذلك أياما مسماة منهن يوم عمرذى كندة من نحو نخلة ومنهن يوم كرونا (٢) من نحو حلوان وصاح عفيف ابن عوف اليربوعى فى ذلك اليوم صيحة يزعمون ان سبعين حبلى منهم ألقت ما فى بطنها فاقتتلوا أشد قتال ثم انحزوا فسارت بنو مالك تبتغى الحلف من دوس وخثعم وغيرهما على الاحلاف وخرجت الاحلاف الى المدينة تبتغى الحلف من الانصار على بنى مالك فقدم مسعود بن معتب على أحيحة بن الجلاح أحد بنى عمرو بن عوف من الاوس وكان أشرف الانصار فى زمانه فطلب منه الحلف فقال له أحيحة والله ماخرج رجل من قومه الى قوم قط يحالف أوغيره الا اقر لاولئك القوم بشر مما انف منه من قومه فقال له مسعود انى أخولك وكان صديقا له فقال اخولك الذى تركته وراءك فارجع اليه وصالحه ولو بجدع انفك واذلك فان احدا ان يبرك فى قومك اذ خالفته فانصرف عنه وزوده بسلاح وزاد واعطاه غلاما كان يبنى الآطام يعنى الحصون بالمدينة فبنى لمسعود بن معتب أطما فكان اول اطم بنى بالطائف ثم بنيت الآطام بعده بالطائف ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تذكر وقالوا فى حربهم شعارا كثيرة فمن ذلك قول محبر وهو ربيعة بن سفيان احد بنى عوف بن عقدة من الاحلاف

وما كنت ممن أرث الشر بينهم * ولكن مسعودا جناها وجندبا
قريعى ثقيف انشبا الشر بينهم * فلم يك عنها منزع حين أنشبا
عنافاضروسا بن عوف ومالك * شديدا لظاها ترك الطفل أشيبا
مضرمة شبا أشبا وقودها * بأيديهما ما أورياها وأثقبا

فى محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع مرات فعبر ابن سيرين وقال ان صدقت رؤياك فسيقوم من أولادك أربعة فى المحراب ويقلدون الخلافة بعدك فكان كذلك وهم الوليد وسليمان وهشام ويزيد مات مروان مطعونا وقيل وثبت عليه زوجته لكونه شتمها فوضعت على وجهه مخدة كبيرة وهو نائم وقعدت هى وجواريها فوقها حتى مات وصلى عليه ابنه وولى عهده عبد الملك ودفن بدمشق خارج باب الجابية وكان عمره يوم مات ثلاثا وستين سنة وكانت مدة ولايته تسعة اشهر وثمانية عشر يوما نقش خاتمه ثقتى ورجائى الله قال الذهبى ان مروان لايعد فى أمراء المؤمنين بل هو باغ خارج على ابن الزبير ولا عهده الى ابنه بصحيح وانما صحت خلافة ابنه عبد الملك من حين قتل ابن الزبير وكان داره فى ناحية بجر الذهب قبلى باب الخضراء

أصابت برا من طوائف مالك * وعوف بما جزا عليها وأجلبا
بكمثورة جازا فخطوا ما آتيا * اليهم وقد عوف القاء معتبا
وقد عوف بن عقد في الوغى * وقد عوف لاجار الحليف المطيبا
فيما وحيا من رباب كأنما * وسعد إذا الداعي إلى الموت ثوبا
وقوما عسكروناه شدت معتب * بعارتها ذكان يوما عصبصبا
وأسقطا أحبال النساء بصوته * عفيف إذا نادى بنصر فطربا
عفيف هذا بضم العين وفتح الفاء

※ تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني أوله نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ※